

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد صيف

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الأول

للسنة الأولى الثانوية

جمعه وشرحه

على الجارم

احمد امين

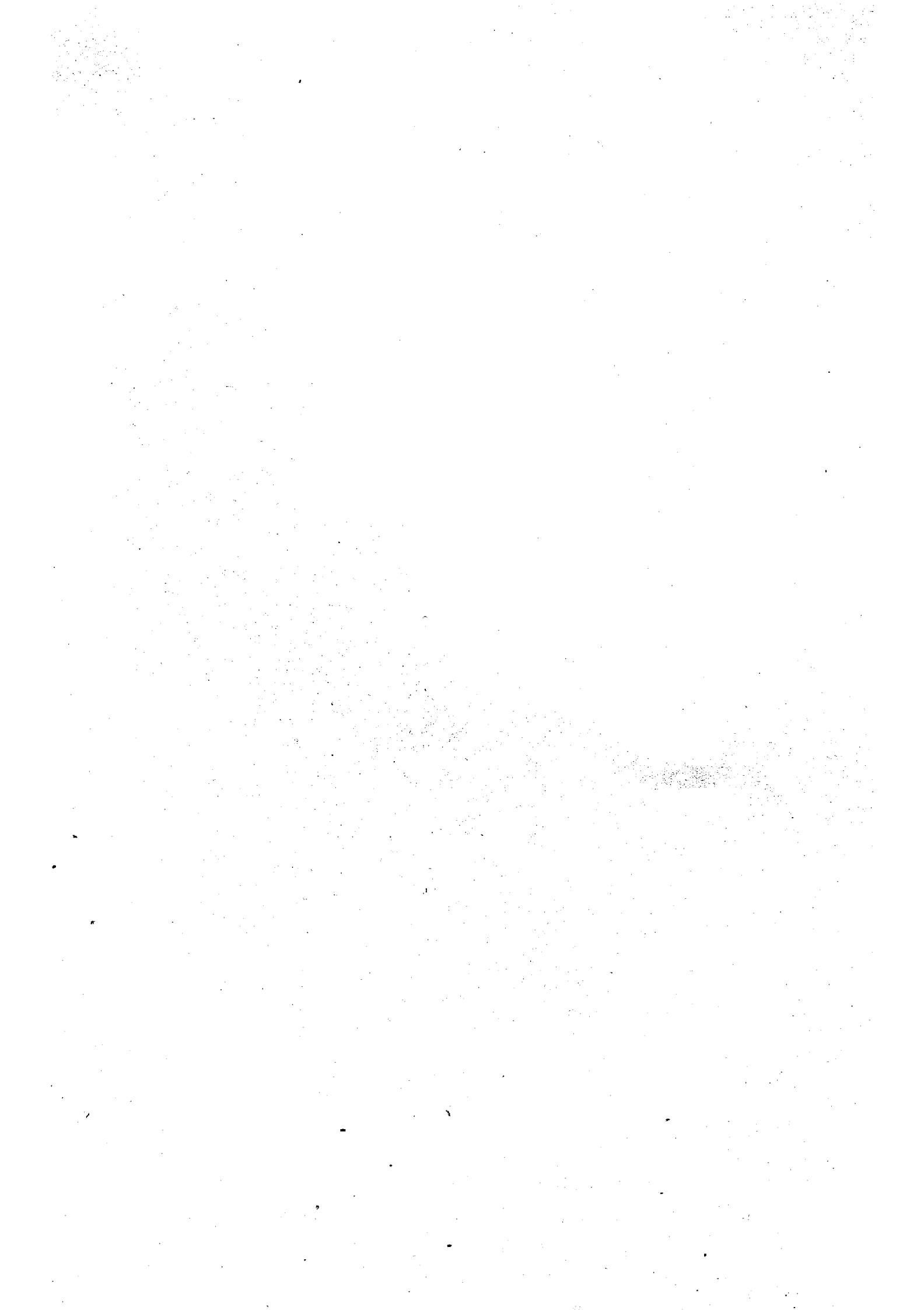
احمد الاسكندري

الدكتور احمد ضيف

عبد العزيز البشري

١٩٥٤

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد علي النياوي



فهرس الكتاب

صفحة

ز	المقدمة ...
١	عصر النهضة الحديثة

(١) النثر

١	الشيخ عبد الرحمن الجبرتي
١	من كتاب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) عند الكلام على الحملة الفرنسية
٣	الشيخ حسن العطار ..
٣	من كتاب له في التحية
٤	رفاعة بك رافع الطهطاوى
٤	من كلام له في حب الوطن
٥	عبد الله باشا فكري
٥	كتاب له في التحية والشوق
٦	من كتاب له ينتقد فيه بعض أحوال معاصريه
٩	السيد عبد الله نديم
٩	من رسالة له تعمد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكر الحكيم
١٠	السيد جمال الدين الأفغانى
١٠	كتابه إلى عبد الله باشا فكري يعتب عليه
١٢	أديب إسحاق
١٢	أوربا والشرق
١٣	نجيب الحداد
١٣	ما كتبه في إرضاء الناس
١٣	من كلامه الجارى مجرى الحكم
١٤	مصطفى بك نجيب
١٤	وصفه نظارة وشكره من أهداها
١٦	الشيخ محمد عيده
١٦	القرآن (من رسالة التوحيد)
١٨	وصفه نهج البلاغة
٢١	إبراهيم بك المويلهى
٢١	شكواه - بلسان حاج - ما رأى في إحدى السنين من فتك الوباء بالحجاج
٢٤	من كتاب له يشكو ناسا من معاصريه
٢٤	الشيخ إبراهيم اليازجى
٢٤	تمزية بعض أصدقائه
٢٦	كتابه إلى صديق له يشكر له صنيعا

صفحة									
٢٦	مصطفى باشا كامل
٢٦	من خطبة له في تحميس أبناء الوطن
٢٩	من خطبة له ألقاها في الاسكندرية في الاعتزاز بالوطن
٣١	الشيخ أحمد مفتاح
٣١	كتاب في التهادى
٣٢	الشيخ على يوسف
٣٢	ما كتبه تحت عنوان « لا تعصب في مصر »
٣٥	الشيخ حمزه فتح الله
٣٥	كتابه إلى بعض الأفاضل يطلب مودته
٣٦	حفي بك ناصف
٣٦	كتابه إلى السيد توفيق البكرى يعتب عليه إهماله إياه في مجلس
٤٠	كتابه إلى الشيخ على الليثي يشكره على هدية عنب
٤٢	كتابه يمزى به كبيراً في ولده
٤٣	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٣	نفس الشاعر
٤٥	الشاعر
٤٧	سعد زغلول باشا
٤٧	ندائه إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر صدر سنة ١٩٢١ م
٤٩	محمد بك المويلحي
٤٩	كتابه إلى منيف باشا وزير المعارف التركية يعزبه في ابنته
٥٤	وصف الصباح (من كتابه : حديث عيسى بن هشام)
٥٥	وصف الأهرام
٥٦	مصطفى صادق الرافعي
٥٦	وصف البلاغة النبوية

(ب) الشعر

٥٨	الحشاش
٥٨	ما كتبه على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه
٥٩	ما قاله متفزلاً
٥٩	الشيخ حسن العطار
٥٩	ما قاله متفزلاً
٦٠	وقوله متفزلاً أيضاً
٦١	وصف بركة الأزيكية
٦١	السيد على الدرويش
٦١	رثاؤه صديقه المرحوم الشيخ على الغلبان
٦٢	الشيخ شهاب
٦٢	من قصيدته التي أنشأها لتسكتب حول جامع القلعة

٨٣	قوله يخاطب ناظر الحقاينة وقد ثقله إلى قنا
٨٦	سؤاله المرحوم حسين رشدي باشا أن يمد خدمته لما أشرف على الإحالة إلى المعاش
٨٦	قوله في التحمير على ضياع علمه بموته
٨٧	ولي الدين يكن
٨٧	ويل للناس من الناس
٨٨	معارضته قصيدة المصري (يا ليل الصب متى غده)
٩٠	إسماعيل صبري باشا
٩٠	من قوله في إيثار الموت على الحياة
٩٠	مناجاته الدواة
٩١	قوله يتمنى الموت
٩١	قوله في وصف لقاء صديق
٩٢	قال في ساعة التوديع
٩٢	قال متغزلاً
٩٣	قال متغزلاً أيضاً
٩٣	ومن قوله متغزلاً أيضاً
٩٤	من قوله في التصوف
٩٤	رثاؤه عمر ابن المرحوم الشيخ على يوسف وقد مات صغيراً
٩٥	قوله بحمس المصريين على لسان فرعون
٩٦	قال في مسأحة الصديق
٩٦	الشيخ محمد عبد المطلب
٩٦	من قصيدة له بعيد النيروز سنة ١٩١٩م يفخر بمصر ويعدد مآثرها
٩٧	من قصيدة له في المعلم
٩٨	حافظ إبراهيم
٩٨	وصف الشمس
١٠٠	ما قاله على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها
١٠٢	غادة اليابان
١٠٦	شوقي
١٠٦	من قصيدة له يصف فيها دمشق
١٠٧	قوله متغزلاً
١٠٧	قوله متغزلاً أيضاً
١٠٨	وصفه الطيبة في طريقه إلى الآستانة قادماً من أوروبا
١١٠	وصفه الطيارة
١١٠	من قصيدة له دعاها « الأندلس الجديدة »
١١١	من روائع حكمه وما جرى من شعره مجرى الأمثال

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد عدلت وزارة المعارف مناهج الأدب العربي ، كما أخذت غيرها بفنون التعديل . وكان تاريخ الأدب يُدرس في المدارس الثانوية مبتدئاً من حيثُ يبتدىء الأدب ، ويظلُّ مسترسلاً إلى هذا العصر الذي نعيش فيه . فاجتمع رأيها على أن يبدأ تدريسه في هذه المدارس من هذا العصر لأن أدبه هو الحاضر لهم ، الملابس لحسبهم ، المترجمٌ عما يحيط بهم . فإذا اتهموا منه ، ترقوا إلى العصر الذي فوقه ، فإنه أدنى إليهم ، وأحضرٌ من سواه لهم . هكذا . وكذلك وضعنا كتاب : « تاريخ الأدب العربي » ، وعلى هذا النحو حررناه . ولقد دعا ذلك ، بالضرورة ، إلى تغيير الوضع فيما كنا قد اخترناه من النصوص الأدبية في كتاب : « المنتخب من أدب العرب » وخاصةً بعد إذ فُرض تاريخُ الأدب ، وفي هذه المناهج الجديدة ، على طلاب السنتين : الأولى ، والثانية . ولم يكن لهما فيه حظٌ كبير ولا صغير .

وقد أخرجنا هذا المنتخب الجديد في أربعة أجزاء ، لكلِّ سنةٍ

من سني التعليم الثانوي جزءاً مقسوم .

وقد حرصنا أشد الحرص ، في هذا الكتاب أيضاً ، على أمرين نرى أن
لها خطراً عظيماً :

(الأول) أن تكون النصوص التي نختارها لكلِّ عصرٍ من عصور
الأدب العربيِّ مرآةً صافيةً ، وصورةً صادقةً واضحةً للحياة الأدبية في هذا
العصر ، على اختلافِ فروعها ، وافتراقِ نزعات الشعراء والكتّاب والأدباء
فيها ، بحيث يستطيع المعلم أن يعتمد عليه في تصوير ما يدرّس للمتعلّمين من
تاريخ الأدب ، ويستطيع المتعلّمون أن يجدوا فيه مصداقاً ما يسمعون من
الأساتذة ، ويقرءون من الكتب من حقائق هذا التاريخ .

(الثاني) أن يكون ما اخترناه ، على صحة تمثيله للعصور الأدبية ، وصدق
تصويره لشخصيات الأدباء ، ومذاهبهم في الأدب ، في جملة جميلات رائقاً ،
وجزلاً رائعاً ، خفيف الموقع من الأسماع ، لطيف المسلك إلى النفوس ،
يستطيع أن يبعث في قلوب الشباب حبّ لغتهم وأدبها ، ويرغبهم في الاستزادة
منها ، والتفقه فيها : وتوخّيناً ، إلى ذلك كلّّه ، أن يكون جُلُّ ما اخترناه
من الشعر والنثر سهلاً يسيراً ، يلائم حالة الشباب وطاقاتهم .

على أننا : فوق هذا ، ضبطنا الجزء الأوّل بالشكل الكامل ، وتوسّلاً إلى
أخذ المبتدئين بالمنطق الصحيح للجديد عليهم من فصيح العربية ، كما تحرّيناً
شرح كلِّ ما يعرّب عليهم من مفردات اللغة ، حتى لا تختلط المعاني على أذهانهم
على أنه كلما علت بهم السنون تخفّفنا من هذا وهذا بقدر ، طوعاً لسنة التدرّج .
ونحن نرجو أن نكون قد وفّقنا من ذلك إلى ما قصدناه ، والله وحده
ولى التوفيق ما

عصر النهضة الحديثة

(١) النثر

١ - الشيخ عبد الرحمن الجبرتي^(١)

قال في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهي أولُ سِنِي المَلّاحِمِ^(٢) العظيمة ، والأحوادث الجسيمة^(٣) ، والوقائع النَّازِلَةِ ، والنوازل الهائلة ، وتَضَاعُفُ الشرور ، وترادف الأمور^(٤) ، وتوالي المِحَنَ ، واختلالِ الزَّمَنِ ، وانعكاسِ المطبوع ، وانقلابِ الموضوع ، وتتابعِ الأهوالِ ، واختلافِ الأحوالِ ، وفسادِ التّدبيرِ ، وحصولِ التّدميرِ ، ومُحمومِ الخرابِ ، وتواترِ الأسبابِ : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » .

(١) هو مؤرخ مصري ، ولد بمصر وتعلم بالأزهر . ونسبته إلى جبرت وهي الزيلع في بلاد الحبشة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتباً في الديوان وكان مفتي الحنفية في عهد محمد علي باشا ؛ وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر سنة ١١٠٠ هـ إلى سنة ١٢٣٦ هـ . وقد مات سنة ١٢٤٠ هـ . بعد أن كُف بصره من كثرة البكاء على ابن له قتل .

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ؛ وهي الحرب العظيمة .

(٣) الجسيمة : العظيمة

(٤) ترادف : تتابع .

في يوم الأحد العاشر من شهر محرّم الحرام من هذه السنة ، وردت مكاتباتٌ على يد الشعاعِ من ثغر الإسكندرية ، ومضمونها أن في يوم الخميس ثامنهِ حضرَ إلى الثغرِ عدّةُ مرّاكبٍ من مرّاكب الإنجليز ، ووقفت على البعد بحيثُ يراها أهلُ الثغر ، وبعدَ قليلٍ حضرَ خمسةَ عشرَ مرّكبًا أيضًا ، فانتظرَ أهلُ الثغرِ ما يريدون ، وإذا بقابقٍ صغيرٍ واصل من عندهم وفيه عشرةُ أنفارٍ فوصلوا البرّ واجتمعوا بكبار البلد ، والرئيسُ إذ ذاك فيها والمشارُ إليه بالإبرام والنقض ، السيد محمد كريم الآتي ذكرُهُ ، فكلموهم واستخبروهم عن غرضِهِمْ ، فأخبروا أنهم إنكليز ، حضرُوا للتفتيش على الفرانسيس لأنهم خرجوا بعارة^(١) عظيمة ، يريدون جهةً من الجهات ، ولا ندري أين قصدُهم ، فرُبّما دهموكم ، فلا تقدرون على دفعِهِمْ ، ولا تتمكنوا^(٢) من منعِهِمْ ، فلم يقبلِ السيدُ محمد كريم منهم هذا القول ؛ وظنّ أنها مكيدة ، وجأوبوهم بكلام خشن ؛ فقالت رُسُلُ الإنكليز : نحنُ نقفُ بمرّاكبتنا في البحر ، محافظين على الثغر ، لا نحتاجُ منكم إلا الإمدادَ بالماء والزادِ بشمّنه ، فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا : هذه بلادُ السلطان ، وليس للفرانسيس ولا غيرِهِمْ عليها سبيلٌ فذهبوا عنّا ، فعندها عادت رُسُلُ الإنكليز ، وأقلموا في البحر ، ليتمتاروا^(٣) من غيرِ الإسكندرية ، وليقضِيَ اللهُ أمرًا كان مفعولًا ؛ ثم إنَّ

(١) يريد أسطولا .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب : ولا تتمكنون .

(٣) ليجلبوا الميرة ؛ وهي الزاد .

أَهْلَ الثَّغْرِ أَرْسَلُوا إِلَى كَاشِفِ الْبُحَيْرَةِ لِيَجْمَعَ الْعُرَبَانَ ، وَيَأْتِي مَعَهُمْ لِلْمَحَافِظَةِ
بِالثَّغْرِ ، فَلَمَّا قُرِئَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَاتُ بِمِصْرَ حَصَلَ بِهَا اللَّغَطُ الْكَثِيرُ مِنْ
النَّاسِ ، وَتَحَدَّثُوا بِذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَكَثُرَتِ الْمَقَالَاتُ^(١) وَالْأَرَاخِيفُ^(٢) .

٢ - من كتاب للشيخ حسن العطار^(٣)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشْيٍ^(٤) رَقْمَتْهُ^(٥) الْأَقْلَامُ ، وَأَبْهَى زَهْرٍ تَفْتَحَتْ
عَنْهُ الْأَكْثَامُ^(٦) عَاطِرُ سَلَامٍ يَفُوحُ بِعَبِيرٍ^(٧) الْمَحَبَّةِ نَفْحُهُ^(٨) وَيُشْرِقُ
فِي سَمَاءِ الطَّرُوسِ^(٩) صَبْحُهُ .

سَلَامٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ أَوْ نَفْحَةِ الصَّبَا

أَوْ الرَّاحِ تَجْمَلِي فِي يَدِ الرَّشَاءِ الْأَلْمَى^(١٠)

(١) المقالات : الأقوال .

(٢) الأراخيف : الأقوال يقال على جهة التخيل والظن أو الكذب والادعاء .

(٣) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد المطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ،
وصار بعد محرراً للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخاً للأزهر الشريف وكان ، على علمه ؛ شاعراً
كاتباً بليغاً ؛ توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

(٤) الوشي : المحسن بالألوان . يريد به هنا : زخرفة الكلام .

(٥) رقمته : خطته .

(٦) الأكام : جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم وهو غلاف الزهرة التي تنشق منه .

(٧) العبير : أخلاط من الطيب .

(٨) نفحه : رائحته .

(٩) الطروس : الأوراق ، واحدها طرس بكسر الطاء .

(١٠) الراح : الحر تجلي : بالبناء للمجهول تكشف وتدار مشرفة . الرشأ : ولد الظبية

والألمى : المسود الشفة ؛ وهذه الصفة من مظاهر الحس عند العرب .

سَلَامٌ عَاطِرٌ الْأُرْدَانَ^(١) ، تَحْمِلُهُ الصَّبَا سَارِيَةً عَلَى الرَّندِ^(٢) وَالْبَانَ^(٣) ، إِلَى
مَقَامِ حَضْرَةِ الْمُخْلِصِ الْوَدَادِ ، الَّذِي هُوَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ ،
صَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، حِلْيَةِ الزَّمَانِ الَّذِي حَلَّى بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ .

٣ - رفاعة بك رافع الطهطاوى^(٤)

من كلام له في حُبِّ الوطن :

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ طَبَعِ الْأَحْرَارِ إِحْرَازُ الْحَنِينِ إِلَى
الْأُوطَانِ . وَمَوْلِدُ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ ، وَمَنْشَوُهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ .
وَالْأَرْضُ حُرْمَةٌ وَطَنِيهَا ، كَمَا لَوَالِدَتِكَ حَقُّ لَبْنِيهَا . وَالكَرِيمُ لَا يَخْفُو
أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ^(٥) ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّي وَإِنْ أَلْبَسْتَنِي الْمَحْرُوسَةَ
نِعْمًا ، وَرَفَعْتَ لِي بَيْنَ أُمَّثَالِي عِلْمًا^(٦) . وَكَانَتْ أُمَّ الْوَطَنِ الْعَامَّةَ ؛ وَوَلِيَّةَ
الْآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ ، وَأَحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النِّعْمَا . وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ
مُجَاوِرًا « كَرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُورِ الطَّوَامِيَا » . فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي

(١) الأردن : جمع ردن بضم الراء ؛ وهو طرف الكرم .

(٢) الرند : نبات طيب الرائحة .

(٣) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

(٤) ولد بطهطا ؛ مدينة بمديرية جرجا ؛ وربي بالأزهر وفرنسا ؛ وشغل مناصب تعليمية وسواها

وألف عدة كتب . وهو على الجملة من بناء النهضة الحديثة في العلم والأدب . وتوفي سنة ١٢٩٠ هـ .

(٥) القوابل : جمع قابلة . وهي التي تتلقى الولد عند ولادته .

(٦) العلم بفتح الحاء : الراية ؛ يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

الْخُصُوصِيَّ وَاتَّشَوَّفُ^(١) ؛ وَأَتَطَّلَعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّةِ وَأَتَعَرَّفُ . وَلَا أُسَاوِي
بَطْهَاطًا الْخِصْبَةَ سِوَاهَا ، فِي الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَثْوَاهَا .
مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غَيْرَهَا مُقَيَّتٌ حَيًّا يَعْمُ ، وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ^(٢)
وَأَمْنَحُهَا زَمَنًا بَعْدَ زَمَنِ الزِّيَارَةِ ، وَأُجَدِّدُ فِيهَا مِنْ هَبَاتِ الْحُكُومَةِ
الْعِمَارَةَ ، وَأَبْذُلُ فِي مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرَاذِي لِلزَّرْعِ وَالْعَرَسِ ،
وَأَفْتَخِرُ بِهَا كَمَا افْتَخَرَ عَصَامٌ بِالنَّفْسِ^(٣) ، وَأُنشِدُ قَوْلَ الْحَافِظِ كَمَالَ الدِّينِ
الْأَذْفُويِّ .

أَحِبُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ وَيَزْدَادُ وَجْدِي حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا
وَتَذْكُرُهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِي فَتَجْرِي دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ التَّهَابُهَا

٤ - لعبد الله باشا فكري^(٤)

سَلَامٌ يُعْبَرُ عَنِ الْوِدَادِ طِيبِ عَيْبِرِهِ^(٥) ، وَيُنْخَبِرُ عَنِ إِخْلَاصِ الْفُؤَادِ لَطْفُ
تَعْبِيرِهِ ، وَثَنَاءٌ عَلَى مَحَاسِنِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ^(٦) ، أَرَقُّ مِنْ نَسَمَاتِ الشَّمَائِلِ^(٧) ، وَتَحِيَّةٌ

(١) تشوف إلى الشيء : تطالع إليه في شغف .

(٢) الحيا : الطر . يدعو لها بالخصب والرخاء .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما

وصيرته ملكا حاميا

(٤) انظر ترجمته في الشعر .

(٥) عبيد الزهر : رائحته الطيبة .

(٦) الحلايا والسجايا .

(٧) جمع شمال : اسم ريح .

جَهِيَّةٌ تُبَاهِي الخُمائل^(١) ، بِنَفَحَاتٍ أَوْرَادِهَا^(٢) ، وَأَدْعِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ جَعَلَتْهَا الأَلْسِنَةُ
خَيْرَ أَوْرَادِهَا^(٣) ، وَسُؤَالٌ عَنِ المَزَاجِ الزَّاهِرِ ، وَصِحَّةِ الخَاطِرِ البَاهِرِ ، لَا زِلْتُمْ
مَحَلَّ نِعْمَةٍ يَتَّصِلُ عَلَى مَدَى الأَيَّامِ بِقَاوِئِهَا ، وَيَزِيدُ عَلَى مَرِّ الشُّهُورِ والأَعْوَامِ
بِهَاوِئِهَا وَلَا بَرِحَتْ تُغُورُ الإِقْبَالَ إِلَيْكُمْ بِوَأْسِمِ ، وَرِيَّاحُ الأَمَالِ لَدَيْكُمْ
نَوَاسِمِ^(٤) .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ بِي مِنَ الأَشْوَاقِ ، مَا تَضَعِفُ عَنْ حَمَلِهِ إِلَى حِمَاكُمْ الأَوْرَاقِ ،
وَمِنَ التَّأْسُفِ عَلَى مَا حُرِمْتُهُ مِنْ لِقْيَاكُمْ ، وَالتَّلَهُّفِ إِلَى مَطَالَعَةِ أنْوَارِ مُحْيَاكُمْ
مَا يَقْصُرُ عَنْ وَصْفِهِ لِسَانُ البِرَاعَةِ^(٥) ، وَيُقْتَصِرُ دُونَ وَصْفِهِ بَيَانُ البِرَاعَةِ ،
وَيَضِيقُ عَنْهُ نِطَاقُ العِبَارَةِ ، وَلَا يَنْفَسِحُ لَهُ مَيْدَانُ الإِشَارَةِ .

ومن كتاب له أيضا إلى بعض أصحابه :

كَتَبْتُ وَالدَّهْنَ فَاتِر^(٦) ، مِنْ وَهْنِ الدَّفَاتِرِ ، وَالتَّبْيِضِ وَالتَّسْوِيدِ وَالتَّقْيِيدِ
وَالتَّسْدِيدِ ، وَالتَّرْجَمَةِ وَكثْرَتِهَا ؛ وَالهَمَّةَ وَفَتْرَتِهَا ، وَالمَاهِيَّةَ^(٧) وَقِلَّتِهَا ، وَالنَّفْسَ
وَذِلَّتِهَا ، وَرَاتِبِي لَا يَكْفِي أُجْرَةَ البَيْتِ ، وَلَا يَفِي ثَمَنَ المَاءِ وَالزَّيْتِ ، وَبِالأَمْسِ
وَعَدَ الوَكِيلُ بِالنِّزَاةِ وَاعْتَدَرَ اليَوْمَ بِالأَصِيلِ^(٨) عَلَى العَادَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ حَصَلَتْ

(١) الخُمائل : جمع خَيْلَةٍ وَهِيَ الشَّجَرُ الكَثِيرُ المَلْتَفِ .

(٢) الأوراد : الورد .

(٣) الأوراد : ما يتلوه الناسك من الأذكار .

(٤) نسمت الريح : تحركت وهبت .

(٥) البراعة : القلم ؛ وَهِيَ فِي الأَصْلِ : القِصَّةُ .

(٦) فطرة : الضعف ؛ فالذهن الفاتر : المنعب المسكود .

(٧) الماهية في اصطلاح المناطقة . حقيقة الشيء ؛ واستعملها العامة بمعنى المرتب .

(٨) الأصيل : يريد به الرئيس .

زِيَادَةٌ فَلَزِيدٌ وَعَمْرُو ، إِلَى آخِرِ الزَّمَرِ ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ . أَحْوَالٌ مُتَبَدِّدَةٌ ، وَنُفُوسٌ
مُتَبَلِّدَةٌ ، وَأَشْغَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، وَإِخْوَانٌ خُؤَانٌ^(١) ، وَخِلَانٌ غِيْلَانٌ ، وَرِفَاقٌ ،
وَمَا أَجْمَلَ الْفِرَاقَ ! وَقَلْتُ :

إِلَامٌ أَعَانِي الصَّبْرَ وَالدهْرُ غَادِرٌ وَحَتَّى مَتَى أَشْكُو وَمَالِي عَادِرٌ
لَوْ أَنِّي أَشْكُو عَظَائِمَ شِدَّتِي لَمَيْتُ ، لَرَقَّتْ لِي الْعِظَامُ النَّوَاحِرُ
وَسَأَلْتُ عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، وَهَيَّانَ بْنِ بِيَّانٍ^(٢) ، مِمَّنْ يَنْتَسِبُ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ،
وَيَتَظَاهَرُ بِشِعَارِ فَضْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِلِجِيَّةٍ تَعَظُمُ وَأُطْوَلُ ، وَشَوَارِبُ
تُحَفُّ وَتُسْتَأْصَلُ ، وَعُمُيُونَ عَلَى مَا بَهَا مِنْ غَمَصٍ وَرَمَصٍ تُكَجَّلُ . . . فَهَمُّ
أَعْلَمُ مَنْ أَقَلَّتَهُ الْغَبْرَاءُ ، وَأَفْقَهُ مَنْ أَظَلَّتَهُ الْخِضْرَاءُ^(٣) ، وَإِنْ كَانَ لِلْعِلْمِ غَيْرُ هَذِهِ
الْآلَاتِ فَمَا لَهُمْ سِوَى هَذِهِ الْحَالَاتِ . . . يَا قَوْمَ : أَهَذَا النَّحْوُ وَإِعْرَابُهُ ، وَالصَّرْفُ
وَأَبْوَابُهُ وَالْعَرْمُوضُ وَأَوْزَانُهُ وَأَبْجُرُهُ ، وَالْمَعَانِي وَإِنْشَائُهُ وَخَبْرُهُ ، وَالْبَيَانُ
وَفَرَائِدُهُ وَالْبَدِيعُ وَشَوَاهِدُهُ وَهَذِهِ الْعُلُومُ الْمَوْضُوعَةُ ، وَالْأَسْفَارُ الْمَحْمُولَةُ ،
وَالدَّرُوسُ الْمَأْهُولَةُ^(٤) ، وَالْأَصْوَاتُ الْمَهْمُولَةُ ، لِجَرْدِ مَعْرِفَةِ ضَرْبِ زَيْدٍ لِعَمْرُو ،
وَقِتَالِ خَالِدٍ لِبَكْرٍ . وَأَنَّ قَالَ أَصْلُهَا قَوْلٌ ، ثُمَّ لَا يَدْرِي مَا حَصَلَ ، وَالطَّوِيلُ
مِنْ فِعُولِنِ مَفَاعِيلَيْنِ ، ثُمَّ لَا يَعْلَمُ ، كَيْفَ يُنْظَمُ ، وَالْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ، وَلَا أَصْلَ
وَلَا فَصْلَ ، وَالْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ ، وَلَيْسَ لِهَذَا مَجَازٌ ، وَالتَّوْرِيَّةُ وَالْجِنَاسُ ، مِمَّا يُحْفَظُ

(١) خوان : جمع خائن .

(٢) هيان بن بيان : اسم لمن لا يعرف ولا يعرف أبوه :

(٣) الخضرَاءُ : المماء .

(٤) الغاصة بالتلاميذ .

وَلَا يُقَاسُ إِذَا وَاللَّهِ تَكُونُ تِلْكَ الْفُنُونُ ، مِنْ أَفَانِينَ^(١) الْجُنُونُ ، وَيَكُونُ
الْمِيلُ إِلَيْهَا ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهَا ، عَمَلًا حَابِطًا^(٢) ، وَشُغْلًا سَاقِطًا ، وَهَوَسًا حَاطِلًا ،
وَوَسْوَسًا بَاطِلًا ، وَيَكُونُ وَاضِعُوهَا أَسَاءُوهَا النَّاسُ ، وَأَخْطَاوُ الْقِيَاسِ ، وَبَنَوْا
عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ ، كَمَا إِنَّمَا وَضَعُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ ، وَشَرَعُوا لِلنَّاسِ تِلْكَ الْمَوَارِدَ^(٣) ،
لِيَتَكَلَّمُوا بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِثْلَ مَا تَكَلَّمْتُمْ وَيَفْهَمُوا مِنْ أَلْفَظِهَا كَالَّذِي فَهَمْتُمْ
وَيُتَرَجِّمُوا عَنْ سَرَائِرِ الضَّمَائِرِ كَمَا تَرَجَّمْتُمْ ، وَيُنْثَرُوا وَيَنْظِمُوا كَمَا نَثَرْتُمْ وَنَظَّمْتُمْ .
وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْعَرَبُ الَّتِي أَوْدَعَ اللَّهُ الْفَصَاحَةَ لِسَانِهَا ، وَشَرَّفَ بِسَيِّدِنَا
النَّبِيِّ وَالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ مَكَانَهَا ، تَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ اللُّغَةِ الْعَلِيَّةِ ، عَلَى الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ ،
وَالسَّجِيَّةِ الْجَبَلِيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ ، وَتِلْكَ الْأَبْوَابِ ، وَالْفُصُولِ ،
وَكَانَتْ تَعْتَدُ الْبَلَاغَةَ مَبْلَغَ عُلَاهَا ، وَتَعْتَقِدُ الْفَصَاحَةَ مِنْ مَحَاسِنِ حُلَاهَا ؛ إِلَى
أَنْ خَلَفَ هَذَا الْخَلْفَ ، فَظَنُّوا تِلْكَ الْوَسَائِلَ مَقَاصِدَ ، لَيْسَ بَعْدَهَا غَايَةٌ لِقَاصِدِ ،
وَحَسِبُوا هَذِهِ الْكُتُبَ تُقْصَدُ لِدَاتِهَا ، وَيُكْتَفَى بِالتَّعْبُدِ بِكَلِمَاتِهَا ، فَوَقَفُوا
عِنْدَهَا ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا ، لَمَّا بَعْدَهَا ، وَانْخَدَعُوا الْأَدَبَ وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا^(٤) ، وَجَعَلُوا
النَّظْمَ وَالنَّثْرَ شَيْئًا فَرِيًّا^(٥) .

(١) أفانين : أنواع .

(٢) حابطا : باطلا .

(٣) الموارد : مواضع الماء يستقى منها . شرعوها . فتجوها .

(٤) أى نبذوه .

(٥) أى لئما .

٥ - السيد عبد الله النديم^(١)

من رسالة طويلة ، تعمّد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكر الحكيم :
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اشْتَبَهَ الْمُرَاقِبُ^(٢) بِاللَّاهِ^(٣) ، وَاسْتَبَدَلَ الْحَلْوُ بِالْعُرِّ ،
وَقَدَّمَ الرَّفِيقُ عَلَى الْحُرِّ ، وَبِيعَ الدُّرُّ بِالْحَزْفِ^(٤) وَالْحَزْءُ^(٥) بِالْخَشْفِ^(٦) ، وَأَظْهَرَ
كُلُّ لَيْتِمٍ كَبْرَهُ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ : سَمِعًا سَمِعًا ، فَالْوَشَاءُ إِنْ سَعَوْا لَا يَمْقُلُوا ،
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَكَيْفَ تَشْتَرُونَ مِنْهُمْ الْقَارَ^(٧) فِي صِفَةِ
الْعَنْبَرِ ، وَقَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، وَكَيْفَ
تَسْمَعُ الْأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَرَ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ^(٨)
عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مَعْرُضُونَ . فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
يِرْكَضُونَ^(٩) . وَأَنْتَ يَا عَزِيزَ الْعَالِيَا ، وَوَحِيدَ الدُّنْيَا ، قَدْ يَدْنَتْ لَكَ فِعْلَهُمْ ،

(١) انظر ترجمته في الشعر .

(٢) يريد بالمرقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه .

(٣) اللاه : اللاهى ؛ وهذا جناس .

(٤) الحزف : الفخار .

(٥) الحز بفتح الحاء : الحرير يخالط بالصوف .

(٦) الخشف : الردىء من الصوف .

(٧) القار : الزفت .

(٨) ازدجره كرجره : منعه ونهاه .

(٩) البأس . القوة . وركض : جرى وعدا .

فَبِمَا رَحْمَةٍ (١) مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ . وَلا كِنِهمْ صَمَعُوا فِي عَمِيمِ طَوْلِكَ (٢) ، وَلَوْ كُنْتَ
فَطَا (٣) غَلِيظَ الْقَلْبِ لا نَفَخُوا مِنْ حَوْلِكَ . أَتَرَأَاهُمْ يَعْقِلُونَ كَلَامَكَ أَمْ يَفْهَمُونَ ؟
لَعَمْرُكَ (٤) إِنَّهُمْ لَنِي سَكَرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٥) . لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَدْرُونَ بِهَا لِلْحَسَدِ
قِرَارًا ، لو أُطْلِعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا . كَيْفَ يَسْعَى الْعَاذِلُ بَيْنَ النَّدِيمِ
وَالِإِفْهِ ، وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ (٦) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ . فَيَأْسَادَتِي : دَعُونِي
مِنَ الْمُعْجَبِ وَالْمُطْرَبِ ، لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . وَاجْعَلُوا سَيْفَ ثَبَاتِكُمْ لِلْعُدَّالِ مَسْلُولا ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا .

٦ — السيد جمال الدين الأفغانى (٧)

كتب إلى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمّه أمام
الخدوي على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه (٨) :
مولاي إِنْ نَسَبْتُكَ إِلَى هَوَادَةٍ فِي الْحَقِّ وَأَنْتَ — تَقَدَّسَتْ جِبِلَّتُكَ (٩) —
فُطِرْتَ عَلَيْهِ وَتَخَوَّضُ الْعَمْرَاتِ إِلَيْهِ : فَقَدْ بَعْتَ يَقِينِي بِالشُّكِّ ؛ وَإِنْ تَوَهَّمْتُ فَيْكَ

(١) فبما رحمة : فبرحة ؛ وما للتوكيد .

(٢) طوولك بفتح الطاء : لإحسانك .

(٣) الفظ : الجافي النفس السيء الخلق .

(٤) لعمر ك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : وحياتك .

(٥) يعمهون : يتحيرون .

(٦) النذر بضمين : جمع نذير بمعنى الإنذار .

(٧) هو محمد بن صفر ولد في أسعد آباد وتنقل في بلاد الهند وأفغانستان ، ثم رحل إلى الآستانة ؛ ثم

نق منها لجاء مصر ونفخ فيها من روحه ؛ وأسس نهضة لإصلاحية في الدين والسياسة وتعلمه فيها الشيخ

محمد عبده وغيره ، نقي من مصر ؛ ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى»

ثم دعي إلى الآستانة وبهامات سنة ١٣١٥ هـ .

(٨) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه في ذلك المقام أبلغ دفاع .

(٩) أى طهر أصلك وطبعك .

حَيْدَانًا^(١) عَنِ الرَّشْدِ ، وَجَوْرًا عَنِ الْقَصْدِ ، وَأَنَا مُوقِنٌ أَنَّكَ لَا زِلْتَ عَلَى السَّدَادِ
غَيْرَ مُفْرَطٍ وَلَا مُفْرَطٍ^(٢) فَقَدْ اسْتَبَدَلْتُ عِلْمِي بِالْجَهْلِ - وَلَوْ قُلْتُ : إِنَّكَ مِنَ
الَّذِينَ تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْ مَ لَأَمَّ ، وَتَصُدُّهُمْ عَنِ الصِّدْقِ خَشْيَةَ ظَالِمٍ ، وَأَنْتَ
تَصَدِّعُ بِهِ^(٣) غَيْرَ وَإِنْ وَلَا ضَجْرٍ ، وَلَوْ أَلَبَّ^(٤) الْبَاطِلُ الْكَوَارِثَ الْمُرْدِيَةَ ،
وَأَجْرِي عَلَيْكَ الْخُطُوبَ الْمُوبِقَةَ ، لَكَذَّبْتُ نَفْسِي وَكَذَّبَنِي مَنْ يَسْمَعُ مَقَاتِي
لَأَنَّ الْعَالِمَ وَالْجَاهِلَ وَالْفَطِنَ وَالْغَبِيَّ كَلِمَهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى طَهَارَةِ سَجِيَّتِكَ .
وَتَقَاوَةَ سَرِيرَتِكَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَضَائِلَ حَيْثُ أَنْتَ ، وَالْحَقُّ مَعَكَ أَيْنَمَا
كُنْتَ ، لَا تُفَارِقُ الْمَكَارِمَ وَلَوْ اضْطُرَرْتَ وَأَنْتَ مُجْبُولٌ عَلَى الْخَيْرِ لَا يَحُومُ
حَوْلَكَ شَرٌّ أَبَدًا ، وَلَا تَصْدُرُ عَنْكَ نَقِيصَةٌ قَصْدًا ، وَلَا تَهِنُ^(٥) فِي قَضَاءِ حَقٍّ ،
وَلَا تَنِي عَنِ شَهَادَةِ صِدْقٍ - وَمَعَ هَذَا وَهَذَا وَذَلِكَ إِنَّكَ مَعَ عِلْمِكَ بِوَاقِعِ
أَمْرِي ، وَعِرْفَانِكَ بِسَرِيرَتِي وَسَرِّي ، أَرَاكَ مَا ذُذْتَ عَنْ حَقِّكَ كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ حِمَايَتُهُ ، وَلَا صُنْتَ عَهْدًا كَانَتْ عَلَيْكَ رِعَايَتُهُ ، وَكَتَمْتَ الشَّهَادَةَ وَأَنْتَ
تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَضْمَرْتُ لِلْخَدِيوِ وَلَا لِلْمُضْرِبِينَ شَرًّا ، وَلَا أَسْرَرْتُ لِأَحَدٍ فِي خَفِيَّاتِ
ضَمِيرِي ضَرًّا ، وَتَرَكَتَنِي وَأَنْيَابَ النَّذْلِ اللَّئِيمِ (فُلَانٍ) حَتَّى نَهَشَنِي نَهَشَ
السَّبْعِ الْهَرَمِ الْعِظَامِ ، ضَعْفِينَةً مِنْهُ عَلَى السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَائِيَّ وَإِعْرَاءَ مِنْ أَعْدَائِي
أَحْزَابِ (فُلَانٍ) ، مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِكَ ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ رُشْدِكَ وَسَدَادِكَ

(١) الحيدان : الميل .

(٢) الإفراط في الشيء : المغالاة في الأخذ فيه . والتفريط : إهماله كل الإهمال .

(٣) تصدع به : تجهر به .

(٤) ألب : جمع .

(٥) تهن : تضعف .

وَلَا يُطَاوِعُنِي لِسَانِي - وَإِنْ كَانَ قَلْبِي مُذْعَنًا بِعُظْمِ مَنْزِلَتِكَ فِي الْفَضَائِلِ ،
مُقَرَّرًا بِشَرَفِ مَقَامِكَ فِي الْكَمَالَاتِ - أَنْ أَقُولَ : عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ إِلَّا أَنْ ،
تَصْدَعِ بِالْحَقِّ ، وَتَقِيمِ الصِّدْقَ ، وَتُظْهِرِ الشَّهَادَةَ إِزَاحَةً لِلشُّبُهَةِ ، وَإِدْحَاضًا
لِلْبَاطِلِ ، وَإِخْزَاءً لِلشَّرِّ وَأَهْلِهِ ، وَأَظْنُكَ قَدْ فَعَلْتَ أَدَاءَ لِفَرِيضَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ،
ثُمَّ إِنِّي يَا مَوْلَايَ أَذْهَبُ الْآنَ إِلَى لَنْدَنْ وَمِنْهَا إِلَى بَارِيسَ مُسَلِّمًا عَلَيْكُمْ ،
وَدَاعِيًا لَكُمْ - وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَخِي الْفَاضِلِ الْبَارِئِ أَمِينِ بِكَ
٨ صفر سنة ١٣٠٠ جمال الدين الأفغانى

٧ - لأديب إسحاق^(١)

أوروبا والشرق

كتب تحت هذا العنوان :

قَضَى عَلَى الشَّرِّقِ أَنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الْارْتِفَاعِ ، وَيَذَلَّ بَعْدَ الْاِمْتِنَاعِ^(٢)
وَيَكُونُ هَدْفًا^(٣) لِسِهَامِ الْمَطَامِعِ وَالْمَطَالِبِ ، تَعَبَتْ بِهِ أَيْدِي الْأَجَانِبِ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُغِيرُ عَلَيْهِ بِحِجَّةِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَتَدَاخَلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقَامَةِ الْمَدَنِيَّةِ . وَلَمْ نَرِ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِي دَعْوَاهُ ،
بَلْ كُلُّهُمْ تَابِعٌ فِي ذَلِكَ قَصْدُهُ وَهَوَاهُ .

(١) ولد بدمشق وتعلم في مدارس المرسلين العربية والفرنسية ، وأجاد الأدب العربي واشتغل بالسياسة
والصحافة وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى . وتوفي سنة ١٨٨٥ م . ويمتاز أسلوبه
بالإرسال المزوج بالسجع مع السهولة .

(٢) الامتناع : الرفعة والتمنع على صروف الزمن أن تنال منه شيئاً .

(٣) الهدف : بفتحين مرمى السهام .

٨ - نجيب الحداد^(١)

كتب في إرضاء الناس :

« عبارة لَوْ وُضِعَتْ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ لَكَانَتْ أَخْتِ الْمُسْتَحِيلِ فِي الْمَعْنَى ،
وَمُرَادِ النَّجْمِ فِي الْبُعْدِ ، وَشَبَهَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرَ^(٢) فِي النُّدْرَةِ وَالْقَلَّةِ . وَإِنْ
شُدَّتْ فَقُلْ : إِرْضَاءُ النَّاسِ كَلِمَةٌ تُقَالُ ، وَلَا تُخَالُ ، حَتَّى يُصَاغَ مِنْهَا خَلْأَمٌ .
خَلْأَمٌ . وَمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُرْضِيَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهِ ، كَيْفَ
يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُرْضِيَ الْجَمِيعَ ؟ ... » .

ومن كلامه الجاري مجرى الحكم :

مَنْ جَارَ عَلَى صِبَاهِ ، جَارَتْ عَلَيْهِ شَيْخُوخَتُهُ .

مَهْمَا اجْتَهَدَتِ الْمَرْأَةُ فِي أَنْ تُقَلِّدَ الرَّجُلَ ، فَجُلُّ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا

لَا تَصِيرُ رَجُلًا ، وَلَا تَعُودُ أُمْرًا !

مَنْ غَرِيبَ طَبَائِعِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يُحِبُّ الْعَدَالََةَ مَظْلُومًا ، وَيَكْرَهُهَا

ظَالِمًا ، وَيَطْلُبُ الْحُرِّيَّةَ مَرءُوسًا ، وَيُنْكِرُهَا رَأْسًا !

(١) كاتب رقيق ، وشاعر مجيد ، اشتغل بالتحريز في الصحف ، وترجمة الروايات ، وأسلوبه رصين ،

والفاظه مختارة .

(٢) الكبريت الأحمر : يضرب به المثل في القلة والندرة .

٩ - مصطفى بك نجيب^(١)

كتب يصف نظارة ويشكر من أهداها :

وَرَدَ الْكِتَابُ الْمَطْرَزُ بِحُلَى الْكَرَمِ ، الْمُحَلَّى بِجَمِيلِ النَّعْمِ ، وَاسْتَمْتُمْتُ^(٢)
الْهَدِيَّةَ ، فَسَلَمْتُ يَدُ أَهْدَتْهَا ، وَحَفِظْتُ السَّجَايَا الَّتِي لِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ
هَدَتْهَا ، وَدَامَتْ رَحَابٌ لِمِثْلِ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ فِيهَا مَجَالٌ ، وَلِلْمُحْسِنَاتِ بِهِاءِ
وَجَمَالٍ ، وَلِلْأَمَالِ مَحَطُّ رَحَالٍ ؛ وَلِلْمَقَاصِدِ كَعَبَّةٌ إِقْبَالٌ ، وَطَابَتْ نَفْسُ تَعَالَى اللَّهُ
أَنْ تُثَامِلَهَا نَفْسُ عَصَامِ^(٣) ، فَإِنَّهَا نَسَخَتْ آيَةَ الْكُرِّ وَالْإِقْدَامِ ، بِآيَةِ الْجُودِ
وَالْإِكْرَامِ ، وَفَعَلَتْ فِي الْقُلُوبِ بِالْعَطَاءِ وَالنَّوَالِ ، مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ الرِّمَاحُ
الطُّوَالِ ، وَتَأَمَّلْتُهَا فَأَرْتَنِي مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَأُظْهِرْتُ مِنْ مَحَاسِنِ الْمَنَاطِرِ
مَا أَضْمَرْتُ ، وَقَرَّبْتُ كُلَّ مَنْظُورٍ بَعِيدٍ ، وَتَلَّتْ (فَكَشَفْنَا عَنْكَ
غَطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)^(٤) ، وَصَفَا وَقْتِي بِصَفَائِهَا ، فَلَمْ أَشْتَهَ شَيْئًا
إِلَّا جَمَعْتُ بَيْنَهُ وَيَنِّي ، وَصَحَّ عَلَيْنَا قَوْلُ الْقَائِلِ : (رَأَيْتُ بَعَيْنَهَا وَرَأَتْ

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب . شاعر كاتب ، يمتاز بسهولة الأسلوب ، ورشاقة العبارة ، وإيراد أروع النكات في شعره ونثره . وقد نشأ في معية الحديوي ؛ ثم تحول إلى وزارة الداخلية فشغل فيها منصباً كبيراً حتى مات رحمه الله ، وهو صاحب رسائل « أحلام الأحلام » وكتاب « حماة الإسلام » الذي نشر منجماً في جريدة اللواء . وتوفي سنة ١٣٢٠ هـ .

(٢) لقد جرى الكاتب أهل العصر في استعمال هذه الكلمة ؛ والاستلام لا يكون إلا للحجر الأسود .

(٣) اسم رجل أنشأ نفسه ويضرب به المثل ؛ قال النابغة الذبياني يمدحه :

نفس عصام سودت عصاما * وعلته الكر والإقداما

* وصيرته ملكا هاما *

(٤) حديد : قوى نفاذ .

بِعَيْنِي) ، ثم سَرَّحْتُ نَظْرِي فِي الْأَطْلَالِ وَالرُّسُومِ (١) حَتَّى نَظَرْتُ نَظْرَةً
فِي النُّجُومِ ، فَلَمْ تُخَفِ عَنِّي شَجَرًا وَلَا مَدْرًا (٢) وَلَا نَجْمًا ، وَلَا قَرًا :

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

بِبَهَاءٍ ، مُخَيَّلٌ لِي أَنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِيَاءٍ ، فَلَوْ كَانَتْ فِي يَدِ ذَلِكَ الظَّمَانِ
- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - لَمَا كَانَ يُحْسَبُ أَنَّ السَّرَابَ مَاءً ، اسْتَغْرَبَتْهَا الْعُقُولُ
حَتَّى صَارَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ فِيهَا نَظْرٌ ، وَأَطَّلَمَتْ عَلَى تَفَاوُتِ النَّاسِ جَاءَتْ لِكُلِّ
بَصَرٍ بِقَدَرٍ ، وَنَالَ بِهَا كُلُّ قَصْدَةٍ وَمَرَامَةٍ ، وَاسْتَوَى عِنْدَهَا « أَعْمَى وَأَعْمَى
مِمَّ ذُو بَصَرٍ وَزَرْقَاءُ (٣) الْيَمَامَةِ » ، فَلَوْ كَانَتْ عَيْنًا لَكَشَفَتْ حَقَائِقَ
الضَّمَائِرِ ، وَنَظَرَ بِهَا تَقَلَّبُ الْقُلُوبِ وَحَقِيقَةُ الْبَصَائِرِ . شَهِدَ لَهَا الْجُمُعُ بِالْفَضْلِ
لَمَّا ظَهَرَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَدَيْهَا حَالَةٌ ضَعْفُهُ ، وَعَظَمَ مِقْدَارَهَا كُلُّ فَرْدٍ وَرَفَعَهَا
- رَغْبَةً مِنْهُ أَوْ رَغْمًا - عَلَى أَنْفِهِ ، وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنِّي نَظَرْتُ بِهَا
فِي سَمَاءِ فَضْلِكَ الْبَاهِرِ ، وَأُفُقِ شَرَفِكَ الطَّاهِرِ ، فَلَمْ يَنْكَشِفْ لِي بِهَا إِجْوَادُهُ
آخِرٌ ، لَا زَالَ كَرَمِكَ بَعِيدًا حَدُّهُ عَلَى كُلِّ نَاطِرٍ وَبَاصِرٍ ، وَفَضْلُ مَنْهَا لِكَ
غَايَةَ تَقْصِيدُهَا الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ .

(١) الأطلال والرسوم مابق من آثار الديار بعد أن تركها أهلها .

(٢) المدر : التراب المتلبد ؛ أو الطين .

(٣) امرأة يمانية يقال لأنها كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام .

١٠ - للشيخ محمد عبده^(١) « من رسالة التوحيد »

القرآن

جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق إليه الريبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نشأته وأميته على الحال التي ذكرنا ، وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء بكتاب قال إنه أنزل عليه ، وأن ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ صدور في من عني بحفظه من المسلمين إلى اليوم

كتاب حوى من أخبار الأمم الماضية ما فيه معتبر^(٢) للأجيال الحاضرة والمستقبلة ؛ نقب على الصحيح منها ، وغادر الأباطيل التي ألحقها الأوهام بها ، ونبه على وجوه العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرأهم مما رامهم به أهل دينهم المعتقدون برسالاتهم . آخذ^(٣) العلماء من الملل المختلفة على ما أفسدوا من عقائدهم ، وما خاطوا في أحكامهم ، وما حرقوا^(٤) بالتأويل في كتبهم ، وشرع للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة في العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده في مجلة نصر إحدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بمجال الدين الأفغانى ، وكان أكثر الناس انتفاعاً به ، ثم نفي عقب الثورة العراقية ؛ ولكنه عاد إلى مصر وتولى التدريس والقضاء في المحاكم الأهلية ثم الإفتاء مجتهداً محققاً وقد توفي سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثاراً ثمينة وطبقة من أئمة الطبقات المصرية .

(٢) معتبر : عبرة وموعظة .

(٣) آخذ : حاسب .

(٤) التحريف : التغيير ؛ ووضع شيء مكان شيء .

ما كانت عِنْدَ حَدِّ مَا قَرَّرَهُ^(١) ، ثم عَظُمَتِ الْمَضَرَّةُ فِي إِهْمَالِهَا وَالانْحِرَافِ
عنها أو البُعْدِ بِهَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي أودَعْتَهُ^(٢) ففَاقَتْ بِذَلِكَ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ
الْوَضْعِيَّةِ^(٣) كما يَتَبَيَّنُ لِلنَّاظِرِ فِي شَرَائِعِ الْأُمَّمِ . ثمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِكْمِ
ومواعظِ وآدابِ تَخَشُّعٍ لَهَا الْقُلُوبُ ، وَتَهَشُّ^(٤) لِاسْتِقْبَالِهَا الْعُقُولُ ، وَتَنْصَرِفُ
وَرَاءَهَا الْهَيْمَمُ ، انْصِرَافُهَا فِي السَّبِيلِ الْأُمَّمِ^(٥) .

نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي عَصْرِ اتَّفَاقِ الرُّوَاةِ وَتَوَاتَرِ الْأَخْبَارِ عَلَى أَنَّهُ أَرَقِيَ
الْأَعْصَارَ عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَغْزَرُهَا مَادَّةً فِي الْفَصَاحَةِ ، وَأَنَّهُ الْمَتَّازُ بَيْنَ جَمِيعِ
مَا تَقَدَّمَهُ بِوَفْرَةِ رِجَالِ الْبَلَاغَةِ ، وَفُرْسَانِ الْخُطَابَةِ ، وَأَنْفُسُ مَا كَانَتْ
الْعَرَبُ تَتَنَافَسُ فِيهِ مِنْ ثَمَارِ الْعَقْلِ ، وَنَتَائِجِ الْفِطَنِ وَالذِّكَاةِ هُوَ الْغَلَبُ^(٦)
فِي الْقَوْلِ ، وَالسَّبْقُ إِلَى إِصَابَةِ مَكَانِ الْوِجْدَانِ مِنَ الْقُلُوبِ ، وَمَقَرُّ الْإِذْعَانِ
مِنَ الْعُقُولِ ، وَتَفَانِيهِمْ فِي الْمُفَاخَرَةِ بِذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَى الْإِطَالَةِ فِي بَيَانِهِ .
تَوَاتَرَ الْخَبَرُ كَذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى مُعَارَضَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْوَسَائِلِ قَرِيبِهَا وَبَعِيدِهَا ، لِإِبْطَالِ دَعْوَاهُ ، وَتَكْذِيبِهِ
فِي الْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ ، وَإِتْيَانِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَى مَبْلَغِ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
الْمُلُوكُ الَّذِينَ تَحْمِلُهُمْ عِزَّةُ الْمُلْكِ عَلَى مُعَانَدَتِهِ ، وَالْأُمَرَاءُ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ

(١) يريد مادامت فاعلة على حدوده ، عاملة بأحكامه .

(٢) أودعته : حفظت فيه .

(٣) الشرائع الوضعية : القوانين التي تسنها الحكومات .

(٤) تهش : ترتاح وتسرع .

(٥) الأمم بفتح الهمزة والميم : البين الواضح .

(٦) الغلب : التغلب .

السُّلْطَانُ إِلَى مَنَاوَأْتِهِ^(١) وَالْخُطْبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْكِتَابُ الدِّينَ يَشْمَخُونَ
بَأَنُوفِهِمْ عَنِ مُتَابَعَتِهِ ، وَقَدْ اشْتَدَّ جَمِيعُ أَوْلِيكَ فِي مُقَاوَمَتِهِ^(٢) ، وَانْهَالُوا
بِقُوَاهُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا عَنِ الْخُضُوعِ ، وَتَعَسَّكَأَ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
أَذْيَانِ آبَائِهِمْ ، وَحَمِيَّةٍ^(٣) لِعِقَائِدِهِمْ وَعَقَائِدِ أَسْلَافِهِمْ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُخْطِئُ
آرَاءَهُمْ ، وَيُسْفَهُ أَحْلَامَهُمْ^(٤) ، وَيَحْتَقِرُّ أَصْنَافَهُمْ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَا لَمْ تَعْهَدُهُ
أَيَّامُهُمْ ، وَلَمْ تَخْفُقْ لِمِثْلِهِ أَعْلَامُهُمْ ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ كُلِّهِ
إِلَّا تَحْدِيثَهُمْ^(٥) بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ ، أَوْ بَعْشَرِ
سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَكَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُصَحَاءِ
وَالْبُلَغَاءِ مَا شَاءُوا لِيَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ مِثْلِ مَا آتَى بِهِ لِيُبْطِلُوا الْحُجَّةَ ،
وَيُفْجِمُوا^(٦) صَاحِبَ الدَّعْوَةِ .

جَاءَنَا الْخَبْرُ الْمُتَوَاتِرُ أَنَّ مَعَ طُولِ زَمَنِ التَّحَدُّي ، وَجَلَّاجِ^(٧) الْقَوْمِ
فِي التَّمَدُّي ، أُصِيبُوا بِالْعِجْزِ ، وَرَجَعُوا بِالْخَيْبَةِ ، وَحَقَّتْ لِلْكِتَابِ الْعَزِيزِ
الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا عَلَى كُلِّ كَلَامٍ .

وله يصف نهج البلاغة :

أَوْفَى لِي حُكْمُ الْقَدْرِ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى كِتَابِ « نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » صُدْفَةً بِلَا تَعْمَلِ
أَصْبَتْهُ عَلَى تَغْيِيرِ حَالِ^(٨) ، وَتَبْلُبِلُ بِالِ ، وَتَرَاحِمُ أَشْغَالِ^(٩) ، وَعُطْلَةٌ مِنْ أَعْمَالِ ،

(١) مناوأتة : محاربتة .

(٢) مقاومته : صده .

(٣) الحمية : الغيرة .

(٤) الأحلام : جمع حلم ؛ وهو العقل .

(٥) التحدى : طاب الإتيان بالشئ مع إظهار العجز عنه .

(٦) يفجمونه : يجعلونه يعيا من النطق والمقاومة .

(٧) الججاج : هنا — المتابعة .

(٨) تبلبل بال : اضطرابه .

(٩) الأشغال : جمع شغل ؛ وهو ما يشغل النفس بـ أى تراحم الهموم وشواغل النفس .

خَسِيبَتُهُ لِلتَّسْلِيَةِ ، وَجَمَلَتُهُ لِلتَّخْلِيَةِ . فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ مُجَلَّاتٍ مِنْ عِبَارَاتِهِ ، مِنْ مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَمَوَاضِيَعٍ مُتَفَرِّقَاتٍ . وَكَانَ يُخَيِّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنَّ حُرُوبًا سَبَّتْ وَغَارَاتٍ سُدَّتْ ، وَأَنَّ لِلْبَلَاغَةِ دَوْلَةً وَلِلْفَصَاحَةِ صَوْلَةً ، وَأَنَّ لِلْأَوْهَامِ عَرَامَةً^(١) ، وَلِلرَّيْبِ دَعَارَةً^(٢) . وَأَنَّ جِحَافِلَ الْخَطَابَةِ^(٣) ، وَكِتَابِيبَ^(٤) الذَّرَابَةِ^(٥) ، فِي عُقُودِ النِّظَامِ ، وَصُفُوفِ الْإِنْتِظَامِ ، تُنَافِحُ^(٦) بِالصِّفِيحِ^(٧) الْأَبْلَجِ^(٨) ، وَالْقَوِيمِ الْأَمْلَجِ^(٩) وَتَمْتَلِجُ^(١٠) الْمَهْجِ^(١١) ، بِرَوَائِعِ الْحُجَجِ . وَتَفْلُ دَعَارَةَ الْوَسَاوِسِ ، وَتُصِيبُ مَقَاتِلَ الْخَوَانِسِ^(١٢) . فَمَا أَنَا إِلَّا وَالْحَقُّ مُنْتَصِرٌ ، وَالْبَاطِلُ مُنْكَسِرٌ ، وَمَرْجُ الشُّكِّ فِي مُجُودٍ ، وَهَرَجُ^(١٣) الرَّيْبِ فِي رُكُودٍ ، وَأَنَّ مُدَبَّرَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ ، وَبَاسِلَ تِلْكَ الصَّوْلَةِ هُوَ حَامِلُ لَوَاهِبِهَا الْغَالِبِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، بَلْ كُنْتُ كَمَا انْتَقَلْتُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَحْسُ بِتَغْيِيرِ الْمَشَاهِدِ ، وَتَحَوُّلِ الْمَعَاهِدِ :

- (١) عرامة — بفتح العين — : شدة وشراسة .
 (٢) الدعارة — بفتح الدال وكسرها — الفجور وسوء الخلق .
 (٣) الجحافل : جمع جحفل — بفتح الجيم — وهو الجيش الكثير .
 (٤) الكتابيب : جمع كتيبة — بفتح الكاف — وهي القطعة من الجيش .
 (٥) الذرابة — بفتح الذال — : الفصاحة .
 (٦) تنافح : تدافع .
 (٧) الصفيح : السيوف ؛ وأراد بها هنا : المفرد .
 (٨) الأبلج : الأبيض اللامع .
 (٩) يريد بالقويم الأملج : الرمح المعتدل الأسمر .
 (١٠) تمتلج : تمتص .
 (١١) المهج : جمع مهجة — بضم الميم — وهي دم القلب .
 (١٢) لعله يريد بالخوانس ما يجول في النفس من خواطر السوء .
 (١٣) للارج — بفتح الراء — القلق والاضطراب ؛ ولما تسكن الراء إذا قرنت بالهرج . والهرج — بسكون الراء — الفتنة .

فَتَابِرَةٌ كُنْتُ أَجْدُنِي فِي عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِنَ الْمَعَانِي أَرْوَاحٌ عَالِيَةٌ فِي حُلَلٍ مِنْ
الْعِبَارَاتِ الزَّاهِيَةِ ، تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَةِ^(١) ، وَتَدْنُو مِنَ الْقُلُوبِ
الصَّافِيَةِ ، تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا وَتُقَوِّمُ مِنْهَا مُنَادَهَا^(٢) ، وَتَنْفُرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ
الْمُنْزَالِ^(٣) ، إِلَى جَوَادِ^(٤) الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَطَوْرًا كَانَتْ تَنْكَشِفُ لِي الْجَمَلِ
عَنْ وُجُوهِ بَاسِرَةٍ^(٥) ، وَأَنْيَابِ كَاشِرَةٍ وَأَرْوَاحِ فِي أَشْبَاحِ النُّمُورِ ، وَنَخَالِ
النُّسُورِ ، وَقَدْ مَحْفَزَتْ لِلْوَثَابِ ، ثُمَّ انْقَضَتْ لِلَاخْتِلَابِ ، نَخَلَبَتْ الْقُلُوبَ عَنْ
هَوَاهَا ، وَأَخَذَتْ الْخَوَاطِرَ دُونَ مَرْمَاهَا ، وَأَغْتَالَتْ فَاسِدَ الْأَهْوَاءِ ، وَبَاطَلَ
الْآرَاءِ . وَأَحْيَانًا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ عَقْلًا نُورَانِيًّا ، لَا يَشْبَهُ خَلْقًا جُسْدَانِيًّا ،
فَصَلَ عَنِ الْمَوْكِبِ الْإِلَهِيِّ^(٦) ، وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ الْإِنْسَانِيِّ ، نَخَلَعَهُ عَنْ غَاشِيَاتِ
الطَّبِيعَةِ وَسَمَّا بِهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى ، وَنَمَّا^(٧) بِهِ إِلَى مَشْهَدِ النُّورِ الْأَجْلِيِّ ،
وَسَكَنَ بِهِ إِلَى عَمَّارِ جَانِبِ التَّقْدِيسِ ، بَعْدَ اسْتِخْلَاصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّلْبِيسِ
وَأَنَاتِ^(٨) كَأَنِّي أَسْمَعُ خَطِيبَ الْحُكْمَةِ ، يُنَادِي بِأَعْلِيَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَأَوْلِيَاءِ
أَمْرِ الْأُمَّةِ ، يُعْرِفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ وَيُبَصِّرُهُمْ مَوَاضِعَ الْأَرْتِيَابِ وَيُحَذِّرُهُمْ
مِنْ أَلْقِ الْأَضْطِرَابِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَقَائِقِ السِّيَاسَةِ ، وَيَهْدِيهِمْ طَرِيقَ
الْكِيَاسَةِ ، وَيَرْتَفِعُ بِهِمْ إِلَى مَنْصَبَاتِ^(٩) الرِّيَاسَةِ ، وَيُضْعِدُهُمْ شَرَفَ التَّدْبِيرِ ،
وَيُشْرِفُ بِهِمْ عَلَى حُسْنِ الْمُنْصِيرِ .

(١) الزَّاكِيَةُ : الْمُطَهَّرَةُ . (٢) الْمُنَادُ : الْمَوْجِدُ .

(٣) الْمَدَاحِضُ : جَمْعُ مَدْحَضَةٍ — بَفَتْحِ الْمِيمِ — وَهِيَ الْمَزَالِقَةُ وَالْمَزَلَّةُ .

(٤) الْجَوَادُ — بِتَشْدِيدِ الدَّالِ — جَمْعُ جَادَةٍ ؛ وَهِيَ مَعْظَمُ الطَّرِيقِ أَوْ وَسْطُهُ .

(٥) بَاسِرَةٌ : مُتَقَطِّبَةٌ . (٦) فَصَلَ عَنْهُ — بِصَيْغَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ — خَرَجَ عَنْهُ . (٧) نَمَّا بِهِ : ارْتَفَعَ .

(٨) أَنَاتٌ : أَوْقَاتٌ . (٩) الْمَنْصَبَاتُ : جَمْعُ مَنْصَبَةٍ — بِكَسْرِ الْمِيمِ — وَهِيَ الْكُرْسِيُّ .

١١ - إبراهيم بك المويلحي^(١)

يَشْكُو بِلِسَانِ حَاجٍّ مَا رَأَى إِحْدَى السِّنِينَ فِي الْحِجِّ مِنْ فَتْكَ الْوَبَاءِ^(٢)
بِالْحِجَّاجِ وَإِهْمَالِ السُّلْطَاتِ شَأْنَهُ وَشَأْنَهُمْ

ترجمت إلى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كَذَا فَلْيَجَلْ^(٣) الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحْ^(٤) الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُدْرُ
يقول الشاعر البيت الجزل من الشعر لغرض له حقير ، ثم يتركه ويأتي
من بعده من يضعه موضعه اللائق به من حوادث الزمان . وإن هذا البيت
لا يحل محله في رثاء واحد من الناس ، وإنما يقال لئيبكى به ما أصاب المسلمين
في مكة هذا العام ، وَلَا غَرْوٌ^(٥) أَنْ تَرْتَعِدَ الْيَدُ وَيَقِفَ الْقَلَمُ ، وَيَتَلَعَّمِ اللِّسَانُ
عند وصف ما فعلته المنية حين قامت فتتك في الأزواح ، وتهتك في
الأشباح^(٦) ، حتى فرشت الأزقة بالموتى ، وأقامت منهم كُثْبَانًا^(٧) تشهد
عَلَى عَجْزِ الْقَوْمِ عَنْ تَدَارِكِ الْأُمُورِ .

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب ؛ وقد انحدروا إلى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم في بيت حسب وغنى ، وكان أبوه من كبار التجار يتجر في الحرير ؛ فنزع إبراهيم ، مع معالجته التجارة ، إلى الأدب فقرأ كثيراً من كتب المتقدمين ، وكان من أوائل من استظهروها ؛ حتى برع في الأدب ؛ وحذق الفرنسية والتركية ، وجود التاريخ القديم والحديث ، واتصل بالأفاضل المبرزين في عصره وشرع لونا من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وخفولة اللفظ ، وبين الوقوع على المعاني الغريبة ؛ والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة ، فكان في بيانه نسيج وحده ، وهو يعد بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية في العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار ، ثم جريدة مفتاح الشرق وحرر فيها وفي كثير من الصحف التي كانت قائمة في عهده . وتوفي سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣ هـ) .

(٢) الوباء : المرض العام ينزل بالبلد فيصيب أهلها ويتفشأ .
(٣) فليجَل : فليعظم .
(٤) فدح الأمر : ثقل وصعب احتماله .
(٥) لا غرو : لا عجب .
(٦) المراد من الأشباح هنا : الأجسام
(٧) الكشبان : جمع كشيبي . وهو التل من الرمال .

ولقد رأيتُ من المناظر المدهشة ما تتصاغر عنده عَظِيْمَاتُ النَّوَابِ ،
وَتَتَضَاعَلُ لَدَيْهِ جَسِيْمَاتُ الْمَصَائِبِ ، فمن ذلك أني رأيتُ شابًا عليه شَارَةٌ^(١)
الْحِشْمَةُ وَالنَّجَابَةُ ، يَتَخَبَّطُ فِي التُّرَابِ وَلَا يَسْتَطِيعُ إِشَارَةً وَلَا كَلَامًا ، وَإِنَّمَا
كَانَ يَطْلُبُ بَعِيْنِيْهِ الْمَمْلُوءَتَيْنِ بِالذَّمْعِ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ أَحَدُ الْمَارَّةِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ
فوجدتهُ قد مات . فأبكاني موتهُ غريبًا عن أهلهِ وقومه على تلك الحالةِ
المؤلمة ، فطلبتُ بالأجرة من يَدْفِنُهُ فلم أجِدْ أَحَدًا ، عَلَى إِفْرَاطِ حُبِّ الْمَالِ
فِي هَذَا الْبَلَدِ . فكَتَبْتُ وَرَقَةً وَأَرْسَلْتُهَا إِلَى قَاضِي مَكَّةَ أَسْأَلُهُ الْمَعْوَنَةَ عَلَى
دَفْنِ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ الْمَطْرُوحِينَ تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ ، فَأَجَابَنِي بِأَنْ
هَذَا لَا يَمْلَقُ^(٢) بِشَيْءٍ مِنَ وظيفتهِ ، وَلَا يَخْصُهُ الْاِسْتِغَالُ بِهِ اِفْسَاطٌ عَنْ غَيْرِهِ
مِنَ أَصْحَابِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ^(٣) ، فوجدتهم قد طَارُوا إِلَى الطَّائِفِ وَتَرَكَوْا مَكَّةَ
لِلْقَتْلِ الْعَامِّ .

وَبَيْنَا أَنَا حَيْرَانٌ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ الْمَكْشُوفَةِ ، إِذْ لَاحَتْ مِنِّي الْتِفَافَةٌ^٤
إِلَى الْمَوْتَى فَرَأَيْتُ وَلَيْتَنِي لَمْ أَرَ ، امْرَأَةً اخْتَطَفَتْهَا الْمَنِيَّةُ مِنْ بَنَاتِهَا صَغِيرَةٍ
لَمْ تَبْلُغْ سِنَّ التَّمْيِيزِ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ ، وَقَدْ شَرَعَتْ تِلْكَ الصَّغِيرَةُ تُحْرِكُ
أُمَّهَا بِيَدَيْهَا لِإِيقَازِهَا ، وَتَبْكِي لِعَدَمِ إِجَابَتِهَا ، بَعِيُونٌ تَقَسَّمَتْ نَظْرَاتُهَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، وَتَعَدُّهَا فِي خِلَالِ تِلْكَ النَّظْرَاتِ الْمُبْهَمَةِ أَنَّهَا لَا تَعُودُ لِشَيْءٍ كَانَتْ
نَهَتْهَا عَنْهُ ، بِعِبَارَاتٍ تَسْتَخْرِجُ الْحُنُوءَ^(٤) وَالشَّفَقَةَ مِنَ الْقُلُوبِ الصَّخْرِيَّةِ .

(١) الشارة : العلامة والدلالة . (٢) يعلق : يتصل . أى ليس من شأنه .
(٣) المراد أهل التصرف في الأمور ، وهم رجال الحكومة . (٤) الحنوء : الحنان .

فَأَمْسَكَتُ بِالْبَيْتِ وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَصِفَ لَكَ كَيْفَ فَصَلْتَهَا عَنْ رَمَّةٍ (١) أُمَّهَا ،
وكيف كان حالها وحال مَنْ يراها عند آخر نظرةٍ نظرتها إلى والدتها وكافلتها (٢)
ثم قفلنا إلى جدةٍ مُسْتَتِينَ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ أَرْسَلَتْ وَأَبُورًا لِنَقْلِ
الْحَجَّاجِ ، وليتها لم ترُسلْ فَإِنَّ قِبْطَانَ الوابُورِ كَانَ أَشَدَّ قَسْوَةً عَلَى الْحَجَّاجِ
مِنَ الْمَوْتِ : أَمْرًا أَوَّلًا بِإِقْضَاءِ قِسْمٍ مِمَّا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَزْوَادِ (٣) . فِي الْبَحْرِ
يَدْعَوِي الْمَحَافِظَةَ عَلَى الصُّحَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ يَبِيعُ لَهُمْ ثَانِيًا ، وَهُمْ فِي اللَّجَّةِ (٤) مِمَّا
اِحْتَكَرَهُ مِنَ الْقُوْتِ ، يَبِيعُ الْقَحْطَ الْيُوسُفِي (٥) . وَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ مِنَ النَّقْدِ
شَيْءٌ ، شَرَعَ يَبِيعُ لَهُمْ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا وَالسَّبِيحِ ، وَكَانَ الْجَبَّارُ لَا يُحِبُّ أَنْ
يَسْمَعَ بِمَرِيضٍ فِي السَّفِينَةِ ، وَلِهَذَا اضْطُرُّ كَثِيرٌ أَنْ يَكْتُمُوا أَمْرَاضَهُمْ .
وَمَا زِلْنَا مَعَهُ عَلَى شَفَا (٦) الْخَطَرِ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى الطُّورِ ، فَلَقِينَا هُنَاكَ مِنْ
كِبْرِيَاءِ الْأَطِبَّاءِ وَعَظَمَتِهِمْ مَا تَمَنَّيْنَا لَهُ أَنْ نَكُونَ طُعْمًا (٧) لِلْحَيْتَانِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا
يَأْنِفُونَ أَنْ يَمَسُّوا أَيْدِيَ الْحَجَّاجِ بِأَيْدِيهِمْ ؛ وَكَانُوا يَكْتَفُونَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ (٨)
إِلَيْهِمْ . وَكَثِيرًا مَا كَانُوا يَمْتَرِضُونَ عَلَى الْحَجَّاجِ . فَاعْتَقَدْتُ أَنَّ الْخَيْرَ أَنْ تَفْعَلَ
إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَنَّ الْأَرْضَ أَصْبَحَتْ قَاعًا صَفْصَفًا (٩) مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَأَنَّ
الَّذِينَ نَرَاهُمْ هُمْ شَيْطَانِينَ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ ؟

(١) الرمة : الجثة . (٢) الكافلة : التي تكفله وتقوم على أمره .

(٣) الأزواد : جمع زاد . وهو ما يتخذ من الطعام للسفر .

(٤) أي في عرض البحر . (٥) القحط الذي أصاب مصر ، وذكر في القرآن في سورة يوسف .

(٦) الشفا : حرف كل شيء . (٧) الطعم : الطعام .

(٨) النظر الشرر : هو النظر بجانب العين دليلا على الإعراض أو الغضب .

(٩) الصفصف : المستوي المظلم . والمراد : أنها خالية لا أحد بها .

وَقَصَارَى الْقَوْلِ إِنَّا فِي زَمَنِ أَصْبَحَ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ فِيهِ كَالْقَابِضِ عَلَى
الْجُرِّ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

ومن كتاب له :

« أَكْتُبُ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ ، وَنَفْسِي تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فِي عُلوِّهَا
وَارْتِفَاعِهَا بِنَظَرِ السُّلْحَفَاءِ إِلَى الْأَجْدَلِ ^(١) فَوْقَ شُرُفَاتِ الْمَجْدَلِ ^(٢) ، وَتُحَدِّثُنِي :
لَوْ مُدَّتْ لِي طَرِيقُ قَضْبَانِهِ مِنَ الذَّهَبِ لَا الْحَدِيدِ وَمَرَّ كِبَاتُهُ مِنْ الْيَوَاقِيتِ ،
وَسَائِقُ آلَتِهِ جِبْرَائِيلُ ، لِيُبَلِّغَنِي بِلَدَا أَسَاكِينُ فِيهِ هَوَاءُ الْقَوْمِ ، لَفَضَّلْتُ
الْجُلُوسَ حَيْثُ أَنَا الْآنَ ، أَكْتُبُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ
لَا أَظْلِمُ وَلَا أُظْلَمُ ! »

١٢ - الشيخ إبراهيم اليازجي ^(٣)

كتب يعزى لبعض أصدقائه :

مَنْ عَلمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِعِ ^(٤) ، فَلَمْ يَصْحَبْ
دَهْرَهُ عَلَى غَرَّةٍ ^(٥) ، وَلَمْ يَفْتَرِ ^(٦) ، مِنَ الْأَقْدَارِ بِفِتْرَةٍ ^(٧) ، لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرَّزِيئَةُ ^(٨)

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) الجدل : بكسر الميم وفتح الدال : القصر .

(٣) يعد إبراهيم اليازجي من خير علماء اللغة والنحو والأدب في هذا العصر . أصدر باسمه مجلتي

البيان والضياء . وله مؤلفات محكمة في علوم اللغة والنقد اللغوي . توفي سنة ١٣٢٤ هـ .

(٤) المصارع : المهالك .

(٥) الغرة : بكسر العين : الغفلة .

(٦) يفتر : يسكن .

(٧) الفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين النوبتين من الحمى .

(٨) الرزية : المصيبة .

إِذَا اغْتَالَتْ ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ^(١) ؛ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً
وَهَبَةً^(٢) ، وَإِنَّ لِلْيَالِي كَمْنَةً^(٣) وَوَثْبَةً . وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي الْأُمُورِ
وَمَصَايِرَهَا^(٤) ، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا . وَإِنَّمَا الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ
أَطْوَارِ الْوُجُودِ ، وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُودِ . وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالْكَوْنِ
وَشَرَائِعِهِ ، وَالكَائِنِ وَطِبَائِعِهِ . إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَجَّأَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ ، وَحَلَّ
بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ . وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ
الْمُبَاحِ ، وَمِنَ النَّاسِيَةِ^(٥) مَا تَعَلَّمُهُ مِنْ حَالِ مُخَاطَبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ .
وَمَا أَخْلَقَنِي^(٦) بَأَنْ أَقُولَ : إِنَّ رِزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجْنًا عَلَى أَشْجَانِي^(٧) ،
وَنَكَأً^(٨) مَا تَمَائِلُ^(٩) مِنْ قَرَحَةِ أَحْزَانِي . وَلَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إِلَى
حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ ، وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسَلْمٍ وَلَا قِتَالٍ ، فَكَأَنَّمَا إِيَّايَ عَنَى
أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ^(١٠) حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءِ^(١١) مِنْ نِبَالٍ^(١٢)
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابْتَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتْ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ^(١٣)

(١) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له ، وإن طال أمد السلامة ، لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائماً داخلية في حسابه .

(٢) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم .

(٣) يريد بالكمنة السكون .

(٤) مصاير الأمور : غاياتها .

(٥) الناسية : التصبير والتعزية .

(٦) ما أخلقني : ما حقتي وأولاني .

(٧) الشجن بفتح الشين والجيم : الهم والحزن ، وجمه أشجان .

(٨) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

(٩) تمائل : قارب البرء .

(١٠) الأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة .

(١١) الغشاء : الغطاء .

(١٢) النبال : جمع نيلة ، وهي السهم .

(١٣) النصال : جمع نصل بفتح النون وسكون الصاد ، وهو حديدة السهم وطرفه .

وكتب إلى صديق له :

مَهْمَا زِدْتَنِي مِنْ جَمِيلِكَ الْمَأْلُوفِ ، وَصَدِيمِكَ ^(١) الْمَعْرُوفِ . فَمَا أَزِيدُكَ عَلَى
مَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ حَالِي مِنَ الْأَعْتِرَافِ بِتَطَوُّلِكَ ^(٢) ، وَالشَّنَاءِ عَلَى تَفَضُّلِكَ ،
لَا سِيَّامَا فِيمَا أَبْدَيْتَ مِنَ الْحَفَاوَةِ ^(٣) وَاللُّطْفِ فِي جَانِبِ أَخِي وَأَخِيكَ النَّازِلِ
فِي كَنْفِ ^(٤) تَدْيِيرِكَ ، أَلَمْؤِ كَوْلِ إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَهِيَ يَدٌ ^(٥) لَكَ حَمَلَتْ
جَمِيهَا عَلَى عَاتِقِي ^(٦) فَوْقَ مَا أَثْقَلْتَهُ أَيَادِيكَ السَّابِقَةُ ، وَالطَّافُكَ ^(٧) السَّالِفَةَ .
وَإِنِّي لِأَمُلُ لَهُ بِمُؤَازَرَتِكَ ^(٨) نَجْحًا لَا يَعْتَرِضُهُ إِخْفَاقٌ مَسْمُومٌ ، وَفَوْزًا
لَا يَصْدُرُ ^(٩) عَنْهُ طَيْشٌ رَأَى . وَأَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ وَلَهُ السَّلَامَةَ وَالتَّوْفِيقَ بِعَنِّهِ ^(١٠)
وَطَوُّهُ ^(١١) .

١٣ - مصطفى باشا كامل ^(١٢)

من خطبة له :

أَيُّهَا السَّادَةُ : إِنَّكُمْ بِاجْتِمَاعِكُمْ الْيَوْمَ هَذَا الْجَمَاعَةَ الْوَطَنِيَّةَ تَرْفَعُونَ
كَثِيرًا مِنْ مَقَامِ الْوَطَنِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ وَتَخَفِّفُونَ مِنْ آلامِ مِصْرَ الْعَزِيزَةِ الَّتِي قَاسَتْ

(١) الصنيع المكرمة .

(٢) الحفاوة بالرجل : لإكرامه وإظهار السرور به .

(٤) الكنف بفتح الكاف والنون : الظل والجانب . والمراد هنا : الرعاية .

(٥) اليد : النعمة .

(٦) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

(٧) الألفاظ ، جمع لطف ، بفتح اللام والطاء ، وهو الإحسان والإتحاف .

(٨) المؤازرة : المعاونة .

(٩) يصدر عنه : أى لا يكون منه .

(١٠) المن : المنة .

(١١) الطول : الفضل .

(١٢) خطيب وسياسي وزعيم مصري ، تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف إلى مقاومة الاحتلال

الانجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين : إحداهما بالفرنسية ، والأخرى بالانجليزية . وتنتقل في بلدان أوروبا داعياً للوطن وكان فصيحاً مؤثراً في كتابته وخطابته ، مات شاباً سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩٠٨ م) .

وَتَقَاسَى أَشَدَّ الْعَذَابِ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْكُمْ يَا أَعَزَّ بَنِيهَا وَيَا نُخْبَةَ أَنْجَابِهَا . فَكُلُّ
اجْتِمَاعٍ وَطَنِيٌّ تَذَكُرُ فِيهِ مَصْرٌ وَيَطَالِبُ بِحَقُوقِهَا ، وَيُعَلِّمُنُ أَبْنَاءُهَا
إِخْلَاصَهُمْ لَهَا ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَرْهَمٌ لِجِرَاحِهَا وَدَوَاءٌ لِدَائِهَا فَاذْكُرُوهَا
مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ فِي ذِكْرِهَا ذِكْرَ آلامِهَا ، وَذِكْرَ آلامِهَا تَجْرُّ حَتْمًا إِلَى
ذِكْرِ عَوَامِلِ الشِّفَاءِ . اذْكُرُوهَا كَمَا يَذْكُرُ الْوَلَدُ الْخُنُونُ أُمَّهُ الشَّفِيقَةَ ، وَهِيَ
عَلَى سَرِيرِ الْمَرَضِ وَالْعِنَاءِ . اذْكُرُوهَا بِآلامِهَا وَإِنْ كَانَ غَيْرُكُمْ يَذْكُرُ بِلَادَهُ
بِعَجْدِهَا وَرِفْعَةِ شَأْنِهَا . اذْكُرُوهَا فَإِنَّكُمْ مَا دُمْتُمْ مُقَدِّرِينَ لِمَصَائِبِهَا عَارِفِينَ
بِحَقِيقَةِ آلامِهَا ، دَامَ لِأَمَلٍ وَطِيدٍ^(١) فِي سَلَامَتِهَا وَدَامَ الرَّجَاءُ . اذْكُرُوهَا ،
فَمَنْ الْمُسْتَحِيلُ أَنْ يَرَى الْعَاقِلُ النَّارَ فِي دَارِهِ ، وَالِدَاءُ فِي شَخْصِ أُمَّهِ ، وَيُهْمِلُ
النَّارَ وَيُهْمِلُ الدَّاءَ . . . ١

ثم قال وهناك فئة من المصريين لا أنكر إخلاص رجالها للوطن
العزير ، ولكن أنكر عليهم اليأس الذي يتظاهرون به في كل وقتٍ
وفي كل مكان . فهم ما عملوا ولا يعملون للبلاد عملاً نافعاً ، ولكنهم جعلوا
اليأس علة عدم العمل وعلة الكسل ، فإن سألتهم لم لا تقومون بعملٍ
محمومٍ نافع للبلاد ؟ أجابوك « نحنُ يائسون من مستقبل الوطن ، معتقدون
بظلمة الأيام الآتية » فبالله كيف يستطيع طبيبٌ أن يحكم على عليلٍ بعمده
لشفاء قبل أن يفحص داءه ويعطيه الدواء ؟ على أننا نرى الكثير من
لأطباء لا يئأس أبداً من شفاء المريض حتى في آخر لحظة من حياته . فكيف

(١) وطيداً : ثابتاً قوياً

يئأسُ رجالٌ من بنى مصرَ مِنْ مستقبلِ البلادِ ؟ وَهُمْ إِنْ كَانُوا قَدْ خَبَرُوا دَاءَ
مصرِ فَيَعْلَمُ اللهُ وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ إِلَى الْيَوْمِ مَا قَدَّمُوا لَهَا الدَّوَاءَ .

كَيْفَ نِيَّاسٌ مِنْ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَالْمُسْتَقْبَلُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ ، وَكَثِيرًا مَا تَأْتِي
الْحَوَادِثُ بِخِلَافِ الْمُنْتَظَرِ وَبَغَيْرِ حِسَابٍ ؟

هِيَ النَّفُوسُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي يُخْلَقُ عِنْدَهَا الْأَمَلُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتَلْغِيفٍ ! ثُمَّ
يَسْتَوْلِي عَلَيْهَا الْيَأْسُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتَلْغِيفٍ ! أَمَّا النَّفُوسُ الْعَالِيَةُ الْكَبِيرَةُ
فَيَدُومُ فِيهَا الْأَمَلُ مَا دَامَ الدَّمُ فِي الْعُرُوقِ وَمَا دَامَتِ الْحَيَاةُ .

وَأَيُّ حَيَاةٍ تَرْضَاهَا النَّفُوسُ الشَّرِيفَةُ مَعَ الْيَأْسِ ، أَيْجَمَعُ الْمَرْءُ فِي جِسْمِهِ
وَاحِدِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ؟ إِذِ الْيَأْسُ مَوْتُ حَقِيقٍ وَأَيُّ مَوْتٍ ؟

كَيْفَ نِيَّاسٌ وَنَحْنُ جَمِيعًا عَالِمُونَ بِأَنَّ مَا يَظْهَرُ طَوِيلًا فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ
هُوَ قَصِيرٌ فِي حَيَاةِ الشُّعُوبِ ، فَعَشْرٌ مِنَ السَّنَوَاتِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ طَوِيلَةٌ
حَقًّا ، وَلَكِنَّهَا فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ قَصِيرَةٌ جَدًّا ، عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْيَائِسُونَ مُعْتَقِدِينَ
بِصِحَّةِ أَفْكَارِهِمْ ، فَمَارَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا فِي الْأُمَّةِ بِوِظِيفَةِ تَنْبِيْطِ هَمِّ الْأَمَلِيِّينَ ،
وَالْأَمَلِيِّينَ فِي الْبِلَادِ كَثِيرِينَ ، بَلِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مُؤَمَّلَةٌ خَيْرًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ . وَإِنْ
لَمْ تَظْهَرْ إِلَى الْآنَ أَعْمَالُ الْأَمَلِيِّينَ فَسَتَظْهَرُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَسَتَرَى الْأُمَّةَ الْمِصْرِيَّةَ
وَأُمَّمَ الْعَالَمِ أَجْمَعًا أَنَّ لِلْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ أُنْبَاءَ مُخْلِصِينَ يَقْدَرُونَ الْوَطَنِيَّةَ قَدْرَهَا ،
وَيَعْرِفُونَ لِمِصْرَ حُقُوقَهَا .

وَلَا غَرَوْفَانِ سُبُلَ خِدْمَةِ الْوَطَنِ عَدِيدَةٍ ، وَإِنَّ أَهْمَهَا إِعْلَانُ الْحَقِيقَةِ
فِي كُلِّ بَلَدٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ . فَالْحُرِّيَّةُ بِنْتُ الْحَقِيقَةِ ، وَمَا انْتَشَرَتِ الْحَقِيقَةُ
فِي أُمَّةٍ إِلَّا وَارْتَفَعَتْ كَلِمَتُهَا ، وَعَلَا شَأْنُهَا . فَالْحَقِيقَةُ نُورٌ سَاطِعٌ إِذَا
انْتَشَرَ اخْتَفَى الظُّلْمُ وَالظُّلْمَةُ ، وَانْتَشَرَتِ الْحُرِّيَّةُ وَالْعَدْلُ . فَكَمَا أَنَّ الْأَفْرَادَ
لَا تُسَلَبُ حُقُوقُهُمْ ، وَلَا يَتَعَدَّى الْأَصْوَصُ عَلَى أُمَّتِهِمْ ، إِلَّا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ
الْحَالِكِ ، فَكَذَلِكَ شَأْنُ الْأُمَّةِ ، لَا تُسَلَبُ حُقُوقُهَا ، وَلَا يَتَعَدَّى الْعَدُوُّ عَلَى
أُمَّلَاكِهَا إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ مُجْهُولَةً فِيهَا ، وَكَانَتْ هِيَ عَائِشَةً فِي الْجَهْلِ
وَالظُّلَامِ .

ومن خطبة له ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م :

« بِلَادِي ! بِلَادِي ! لَكَ حُبِّي وَفُؤَادِي ، لَكَ حَيَاتِي وَوُجُودِي ، لَكَ دَمِي
وَنَفْسِي ، لَكَ عَقْلِي وَلِسَانِي ، لَكَ لُبِّي وَجَنَانِي ، فَأَنْتِ أَنْتِ الْحَيَاةُ ، وَلَا حَيَاةَ
إِلَّا بِكَ يَا مِصْرُ !

« يَقُولُ الْجُهْلَاءُ وَالْفُقَرَاءُ فِي الْإِدْرَاكِ إِنِّي مُتَهَوِّرٌ ^(١) فِي حُبِّهَا ، وَهَلْ
يَسْتَطِيعُ مِصْرِي أَنْ يَتَهَوَّرَ فِي حُبِّ مِصْرٍ ؟ إِنَّهُ مِنْهَا أَحَبُّهَا ، فَلَا يَبْلُغُ الدَّرَجَةَ
الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا جَمَالَهَا وَجَلَالَهَا وَتَارِيخُهَا ، وَالْعِظْمَةُ اللَّائِقَةُ بِهَا .

« أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمُونَ ! أَنْظِرُوا هَا وَتَأْمَلُوا هَا ، وَطُوفُوا هَا ، وَاقْرَأُوا مُصْحَفَ مَاضِيهَا
وَاسْأَلُوا الزَّائِرِينَ لَهَا مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ : هَلْ خَلَقَ اللَّهُ وَطَنًا أَعْلَى مَقَامًا ،

(١) التهور : الوقوع في الأمور بغير مبالاة ، ويريد به هنا : التهلك والمبالغة والإفراط .

وَأَسْمَى شَأْنَا، وَأَجْمَلَ طَبِيعَةً، وَأَجَلَّ آثَارًا، وَأَغْنَى تَرْبَةً^(١)، وَأَضْفَى سَمَاءً،
وَأَعَذَبَ مَاءً، وَأَدْعَى لِلْحُبِّ وَالشَّغْفِ^(٢) مِنْ هَذَا الْوَطَنِ الْعَزِيزِ؟

أَسْأَلُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ يُجِيبُكُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: إِنَّ مِصْرَ جَنَّةِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ
شَعْبَهَا الَّذِي يَسْكُنُهَا وَيَتَوَارَثُهَا لِأَكْرَمِ الشُّعُوبِ إِذَا أَعَزَّهَا، وَأَكْبَرُهَا
جِنَايَةً عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِهِ إِذَا تَسَامَحَ فِي حَقِّهَا، وَسَلَّمَ أَرْمَتَهَا^(٣) لِلْأَجْنَبِيِّ.

إِنِّي لَوْلَمْ أَوْلَدْ مِصْرِيًّا لَوَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ مِصْرِيًّا؟

قَدْ يَرَى السُّفَهَاءُ وَالطَّائِشُونَ أَنَّ الْأَنْتِسَابَ لِشَعْبٍ مُسْتَعْبِدٍ كَالشَّعْبِ
الْمِصْرِيِّ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِإِنْسَانٍ، وَلَكِنْ أَيْ شَرَفٍ يَطْمَعُ فِيهِ الْخُرُّ الْأَكْبَرُ
مِنَ الْعَمَلِ لِإِحْيَاءِ الْأُمَّةِ الَّتِي سَمَقَتْ الْأُمَمَ كَافَّةً فِي الْعِلْمِ وَالْمَدِينَةِ وَالْأَدَبِ؟
أَي رِفْعَةٍ يَسْعَى الشَّرِيفُ إِلَيْهَا أَسْمَى مِنْ إِنْهَاضِ شَعْبٍ كَانَ أَسْتَاذَ الشُّعُوبِ
الْبَشَرِيَّةِ، وَمُرَبِّي الْعَالَمِ كُلِّهِ أَيْ سُودِدِ^(٤) تَرْمِي النُّفُوسُ الْأَبِيَّةَ إِلَيْهِ
أَعْلَى مِنْ إِخْرَاجِ الْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَإِحْلَالِهِ الْمَسْحَلَّ
الْأَوَّلَ بَيْنَ الْأَوْطَانِ الْأُخْرَى الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّجْنَةِ^(٥) الْحَالِكَةِ^(٦) يَوْمَ
كَانَتْ بِلَادُنَا مَشْرِقًا لِلْعَرَفَانِ؟

(١) التربة: التراب ويراد بها الارض وجودتها.

(٢) الشغف: شدة الحب وتمسكه.

(٣) الأزيمة: جمع زمام، وهو الحيل تقوده، والمراد بأرمله مصر هنا: شئونها العامة.

(٤) السودد: الشرف والمهد.

(٥) الدجنة: الظلمة.

(٦) الحالكة: الشديدة الظلام.

لَيْتَ شِعْرِي^(١) ! أَيُّ لَذَّةٍ وَسَعَادَةٍ وَمُكَافَأَةٍ يَطْلُبُهَا الْوَطَنِيُّ الْمِصْرِيُّ
أَكْبَرَ مِنْ اشْتِرَاكِهِ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِي هُوَ أَجَلُ عَمَلٍ يَرَاهُ الْعَالَمُ
فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ؟

إِنَّ الْمَكْسَبَ الْأَدَبِيَّ لِلْوَطَنِيِّ الْمِصْرِيِّ مِنْ هَذِهِ الْخِدْمَةِ يَرْبُو عَلَى
أَتْعَابِهِ^(٢) وَمَجْهُودَاتِهِ بِكَثِيرٍ .

١٤ - الشيخ أحمد مفتاح^(٣)

كتب في التَّهَادِي :

الْهَدِيَّةُ (غَمْرَكَ اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ) تَبْسُطُ يَدَ الْمَوَدَّةِ وَتَدِرُّ أَخْلَافَ
الْقُرْبِ^(٤) ، وَتَعْرِسُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مِنَ الْأَنْتِلَافِ ، بِقَدْرِ مَا تَقْطَعُ بَيْنَهُمَا مِنْ
شَجَرِ الْخِلَافِ . وَمَا أَنَا فِيهَا أَهْدِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا كَمَا سَتَبْضَعُ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ
خَيْبَرَ^(٥) ، أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَاءَ لِلْبَحْرِ ، وَالضَّوْءَ لِلْبَدْرِ ، وَالْمَلِكَ لِسُلَيْمَانَ ،
وَالْمَالَ لِقَارُونَ ، وَالْحِلْمَ لِأَخْنَفَ ، وَالذِّكَاءَ لِإِيَّاسٍ وَالتَّفْسِيرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ .
وَمَا ذَاكَ إِلَّا كِتَابٌ كَمَا تَرَاهُ ضَرَبَ فِي الْإِحْكَامِ بِسَهْمٍ ، وَوَعَى مِنَ الْأَحْكَامِ
مَا خَلَتْ مِنْهُ مُفْعَمَاتُ الْأَسْفَارِ ؛ وَمَوْجَزَاتُ الرَّسَائِلِ ، فَهَوَ كَمَا قِيلَ :
« كَلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » :

(١) ليت شعري : ليتني أشعر .

(٢) أتعاب : جمع تعب .

(٣) يتصل نسبه بالعرب ؛ نشأ بمصر ودرس بالأزهر ؛ وعنى بالأدب ، ثم دخل دار العلوم حتى إذا
خرج منها اشتغل في الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله عدة مؤلفات ،
وطريقته في الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد في استعمال البديع .

(٤) الإدراز : الإكثار من اللبن . والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لذوات الحنف كاللدى للانسان .
والقرب : الصلات . والمعنى أن الهدايا تقوى صلة الأخ بأخيه .

(٥) استبضع تمرأ . جملة بضاعة — وأرض خيبر مشهورة بالتمر ، ومنها يصدر .

تَرْزِينُ مَعَانِيهِ الْفَاطَةُ وَالْفَاطَةُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ تَطَلَّعْتُ عَلَيْكَ ، وَسُقْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ مُزْدَانًا^(١) إِلَى
جَنَابِكَ الرَّحْبِ ، وَمَقَامِكَ الْأَسْنَى^(٢) ، فَقَدْ أَصَبْتُ كِبِدَ الصَّوَابِ ، وَوَضَعْتُهُ
حَيْثُ بَمَرُّهُ أَهْلُوهُ ، وَيَتَقَبَّلُهُ مِنْ بَازِلِهِ عَالِمُوهُ ، عِلْمًا بِأَنَّكَ عِمَادُ الْعُلُومِ ،
وَأَسَاسُ الْفَضَائِلِ ، لَا تُغَادِرُ شَارِدَةً إِلَّا وَعَيْتَهَا ، وَلَا نَادِرَةً إِلَّا رَوَيْتَهَا ، وَإِلَّا
لَوْ كَانَ يُهْدَى عَلَى قَدْرِي وَقَدَّرَ كُمُو لَكُنْتُ أُهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

١٥ - الشيخ علي يوسف^(٣)

كتب تحت عنوان « لا تعصب في مصر » :

التَّعَصُّبُ بِالْمَعْنَى الْمَعْرُوفِ فِي الْغَرْبِ عَنِ أَهْلِ الشَّرْقِ ، وَبِمَبَارَةِ أُخْرَى
عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، هُوَ انْبِثَاتُ رُوحِ الْعَدَاءِ وَالْبَغْضَاءِ مِنَ الْآخِرِينَ
ضِدَّ الْأَوَّلِينَ ، انْبِثَاتًا يَحْمِلُ عَلَى الْاِئْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ حِينًا بَعْدَ حِينٍ .
التَّعَصُّبُ بِهَذَا الْمَعْنَى رَذِيلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ الَّتِي يَنْهَى عَنْهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ ،
وَالْقَوَائِنُ الْأَجْتِمَاعِيَّةُ ، وَفِي نَظَرِ الْأَوْرُبِيِّينَ هُوَ التَّوَحُّشُ الَّذِي يَفْتِكُ بِنَفُوسِ
الْأَبْرِيَاءِ كَلَمًا ثَارَ ثَأْرُهُ ، أَوْ أَشْبَهَهُ بِالْفُؤُولِ الْكَاشِرِ^(٤) الَّذِي يَنْدَفِعُ بِعِمَائَةٍ
فَيَفْتَرِسُ كُلَّ مَا فِي طَرِيقِهِ مِنْ نَفُوسِ الْبَشَرِ .

(١) ازدلف إليه : تقرب .

(٢) الأسنى : الأرفع .

(٣) أصله من بلدة بلفورة بمرجا ، نشأ نشأة دينية ، ودرس بالأزهر ، ولكنه عني بالأدب ،
وخرج صحفياً بارعاً ذا أسلوب قوي رائع ظهر في « الأويد » صحيفته المصرية الإسلامية . ونال منزلة سامية
بقوة أسلوبه ، وشدة نفسه ، وذكاء جنانته توفى سنة ١٣٣١ هـ .

(٤) الذي يكشر عن أنيابه .

التَّعَصُّبُ عَلَىٰ هَذَا مَجْمُوعُ أَرْوَاحٍ شَرِّيرَةٍ لَا نِظَامَ لَهَا فِي ثَوْرَانِهَا وَعُدْوَانِهَا،
نَعْمُودُ بِاللَّهِ أَنْ تُرْزَأَ أُمَّةٌ بِهَذَا الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ (١).

قالوا إنَّ المصريين مُتَمَعِّبُونَ تَعَصُّبًا دِينِيًّا . وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ
الْمُخَالَفِينَ لَهُمْ فِي الدِّينِ كَرَاهَةً عَمِيَاءَ يَمْتَدُّونَ عَلَيْهِمْ بِرُوحِ الْبَغْضَاءِ الْمُتَنَاهِيَةِ ،
كَلَّمَا سَنَحَتْ لَهُمْ فُرْصَةُ الْاِفْتِرَاسِ أَوْ اسْتَفْزَمَتْهُمْ صَاحِحٌ .

في البلاد مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ أَدْيَانٌ مُخْتَلِفَةٌ يَتَجَاوَرُ أَهْلُهَا فِي الْمَنَازِلِ ،
وَيَتَشَارَكُونَ فِي الْمَرَافِقِ (٢) ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الْأَعْمَالِ ، فَلَمْ تَكُنْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
وَالْأَقْبَاطِ تِلْكَ الرُّوحُ الشَّرِّيرَةُ . وَلَوْ كَانَتْ فِي فِطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ فِطْرَةَ
الْفَرِيقَيْنِ لِلآسْتِ (٣) الْأَكْثَرِيَّةِ الْأَقْلِيَّةِ فِي عُصُورٍ مَضَتْ ، وَخُصُوصًا
فِي عُصُورٍ كَانَتْ الْجَهَالَةُ فِيهَا سَائِدَةً ، وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَّامِ مِنَ الْمَالِكِ
وغيرهم يَبْذُرُونَ بَذُورَ الْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ لِالْخِدْمَةِ دِينِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ ،
وَلَكِنْ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى مَنَشُوءِهَا الشَّهَوَاتُ وَالْمَطَامِعُ . وَلَكِنَّ التَّوَارِيخَ
تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ عَاشَا عَلَى الْوِثَامِ (٤) وَالسَّلَامِ فِي كُلِّ الظَّرُوفِ أَوْ أَكْثَرِهَا .
وَفَدَّ عَلَى الْقَطْرِ الْمِصْرِيِّ مِنْذُ أَوَّلِ عَهْدِ الْمَرْحُومِ مُحَمَّدِ عَلِيِّ بَاشَا الْكَبِيرِ وَفُودَ
مِنْ كُلِّ الطَّوَائِفِ الْمَسِيحِيَّةِ ، غَرْبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ : مِنْ أَرْمَنَ وَأَرْوَامَ وَسُورِيَّيْنَ
وَفَرَنْسَاوِيِّيْنَ وَطَلِيَّانِيِّيْنَ وَإِنْكَايَزَ وَنَمْسَاوِيِّيْنَ وَأَمْرِيكَانِيِّيْنَ : مِنْ بَرُوتِسْتَانَتِ

(٢) المرافق : يريد شؤون المعاش .

(٤) الوثام : الوقاق .

(١) ترزأ : تصاب .

(٤) أى أفتتها .

وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك من علماء وتجار وصناع وعملة^(١) وهمل^(٢) متشردين، فلقى الكل في مصر صدرا رحيبا .

كان منهم الموظفون في كل مصلحة حتى تولى نوبار باشا رئاسة النظار في مصر، وكان قائم خديو، ورئيس الاحتفال بموكب المحمل الشريف، فهل يوجد في أمة غير الأمة المصرية المسلمة مثل هذا التساهل في رأس احتفالا دينيا مسيحيا مسلم أو غير مسيحي؟ .

وكان من علمائهم^(٣) الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والمكتشفون، فهل الأمة التي تربي أبناءها على أيدي الأساتذة من غير دينها، تعد متعصبة؟؟ وكان التجار على ما يحبون من الرطب والسعة وحسن القبول، فضربوا في البلاد بمتاجرهم من غث وسمين، وجيد وردى وخالص ومغشوش، حتى صارت مصر من أوسع أسواق متاجر أوربا ومعاملها التي وجدت إقبالا من الأمة هائلا^(٤) .

وهؤلاء بعض الأجانب يقيمون الأكواخ الصغيرة الحقيمة لبيع الخمر الرديئة في كل قرية من قرى القطر، مهما سحقت^(٥) وقل عددها، أو يربون الخنازير ويثرون شيئا فشيئا حتى يكون الصعلوك منهم في بضعة سنوات صاحب القرية وزارعها ومداين أهلها وسيدهم، فهل هؤلاء هم المتعصبون الذين يخشى من شرهم في وادي النيل على الأوربيين؟ .

(١) عملة : جمع عامل .
(٢) الهمل : من لا عمل لهم ولا رئاسة عليهم .
(٣) أي من العلماء غير المسلمين .
(٤) الهائل يريد بها هنا : العظيم ، أو الكبير . وأصلها : من حال يهول : إذراع وأفزح ، وكان الإقبال لعظمه يهول ويروع .
(٥) سحقت : بعدت .

١٦ - كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله^(١)

إلى بعض الأفاضل يطلب وده

كَمَا أَنْ شَغَفَ^(٢) الْجَنَانَ^(٣) ، بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ ، تَكُونُ دَاعِيَتُهُ الْمَشَاهِدَةَ
وَتَسْرِيحَ الْإِنْظَارِ فِي مُحْيَا^(٤) الْكَمَالِ ، وَمُجْتَلَى^(٥) الْجَمَالِ . فَتَرَى الْعَيْنُ مِنْ تِلْكَ
الْفُرَّةِ^(٦) مَا يَمْلَأُهَا قُرَّةً^(٧) ، فَكَذَلِكَ السَّمَاعُ يَسْتَدْعِي هَذَا الشَّغْفَ ، فَيَتَأَثَّرُ
الْفُؤَادُ بِمَا يُشَنَّفُ^(٨) الْأُذُنَ مِمَّا تُهْدِيهِ إِلَيْهِ طَرَائِفُ^(٩) الْأَخْبَارِ ، حَتَّى كَأَنَّ حَاسَّتِي
السَّمْعِ وَالْبَصْرِ فِي ذَلِكَ صِنْوَانٌ^(١٠) ، بَلْ أَخْوَانُ ، فِي هَيْكَلِ هَذَا الْجُمَانِ^(١١) .

أَلَا وَإِنَّ مَحَاسِنَ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ لَمَّا سَارَتْ بِهَا الرَّكْبَانُ ، وَأَنْتَى عَلَيْهَا
كُلُّ لِسَانٍ ، مَا بَيْنَ أَخْلَاقٍ أَبْهَى مِنَ الرَّوْضِ النَّضِيرِ^(١٢) وَأَعْرَاقِ^(١٣) أَشْهَى
مِنْ عُذَيْبِ النَّمِيرِ^(١٤) قَدْ اخْتَلَّتْ مِنْ فُؤَادِي لَا أَقُولُ مَنْزِلًا رَحِيبًا ، وَلَا وَادِيًا
خَصِيْبًا ؛ بَلْ مَنْزِلَةٌ سَمَاءُ^(١٥) وَدَارَةٌ^(١٦) عَلِيَاءُ^(١٧) . وَأَوْجًا بَطَوَّالِهَا السَّعِيدَةَ يَسْعُدُ

- (١) ولد بالإسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغاة ونحوها ، واشتغل بالصحافة في تونس ومصر .
ثم مدرسا ومفتشا بالمعارف ، وقد توفي سنة ١٩١٨ م .
- (٢) الشغف : شدة الحب .
(٣) الجنان بالفتح : القلب .
(٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء : الوجه .
(٥) مجتلا : منظره .
(٦) الفرّة : الوجه .
(٧) قرّت العين : جف دمعها وبردت من السرور . والاسم منه الفرّة بضم القاف .
(٨) يشنف الأذن : يطربها وأصله من لبس الشنف وهو القرط .
(٩) الطرائف : الأحاديث المستملحة .
(١٠) الصنوان : الأخوان الشقيقان .
(١١) الجمّان بضم الجيم : الجسم .
(١٢) النضير : الحسن .
(١٣) الأعراق هنا : بمعنى الطباع والصفات .
(١٤) النمير : الكثير من الماء .
(١٥) شماء : عالية .
(١٦) الدارة : الدار ، ويريد بها المكانة .
(١٧) الأوج : العلو .

وَيَلُوخُ بِهَا مِنْ ذِكْرِهِ كُلِّ حِينٍ فَرَقَدَ (١) . فَلَمْ أَنْشَبْ (٢) أَنْ قَدَّمْتُ كِتَابِي
هَذَا لِمَوْلَايَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّقَاءِ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَحَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَتُشْعِرَ (٣) عَنْهُ اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامَ ، لِيُتَّاحَ (٤) لِي رَيُّ الْفُؤَادِ بِمَا أَرُوِيهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ الْخَيْلِ الَّذِي سَمَّاهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ الْخَيْرِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا وُصِفَ لِي أَحَدٌ فَرَأَيْتُهُ
إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا وُصِفَ لِي سِوَاكَ ، وَإِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ مُجِبَّهُمَا اللَّهُ (الْحِلْمُ
وَالْأَنَاةُ) (٥) مُقْتَدِيًا بِالْإِمَامِ مُحَمَّدٍ جَارٍ (٦) اللَّهُ فِي تَقْدِيمِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ
عَلَى مَا أَنْشَدَهُ إِيَّاهُ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّجَرِيِّ أَوَّلَ مَا لَقِيَهُ ، وَكَانَا قَدْ تَحَابَبَا بِالسَّمَاعِ :
كَانَتْ مُسَاءَلَةَ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا عَنْ جَابِرِ بْنِ رَبِيعِ أَطِيبِ الْخَبَرِ
حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أُذُنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصْرِي

١٧ - المرحوم حنفى بك ناصف (٧)

كتب إلى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية :
كتابى إلى السيد السند وَلَا أَجْشُمُهُ (٨) الْجَوَابَ عَنْهُ فَذَلِكَ مَا لَا أَنْتَظِرُهُ
مِنْهُ ، وَإِنَّمَا أَسْأَلُهُ أَنْ يَنْشَطَ إِلَى قِرَاءَتِهِ ، وَيَتَنَزَّلَ إِلَى مُطَالَعَتِهِ ، وَلَهُ الرَّأْيُ
بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُجَاسِبَ نَفْسَهُ وَيُرَكِّبَهَا ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهَا أَوْلَاهَا .
فَقَدْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى إِذَا كَانَ هَجْرُهُمْ دَلَالًا ، فَأَمَّا إِنْ مَلَّأَ فَلَا نَفْعًا

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ؛ وهما فرقدان .

(٢) لم أنشب : لم ألبث .

(٣) تشعير : تكشف .

(٤) يتاح لى . يتهيا لى .

(٥) الأناة : الوقار والحلم .

(٦) هو الإمام الزمخشري العالم المفسر المشهور .

(٨) جشمه الأمر : كلفه إياه .

(٧) اقرأ ترجمته فى شعره .

زُرْتُ السَّيِّدَ ، وَيَعْلَمُ اللهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَى لِقَائِهِ ، كَجِرْصِي عَلَى بِقَائِهِ ، وَكَانِي ^(١)
بِشُهُودِهِ ^(٢) ، كَشَفَعِي ^(٣) بِوَجُودِهِ ، فَقَدْتُ بَعْدَ وَاللَّهِ عَهْدُ التَّلَاقِ ، وَطَالَ أَمْدُ
الْفِرَاقِ ، وَتَصَرَّم ^(٤) الزَّمَانَ ، وَأَنَا مِنْ رُؤْيَيْتِهِ فِي حَرَمَانَ ، فَقِيلَ لِي : إِنَّهُ خَرَجَ
لِتَشْيِيعِ ^(٥) زَائِرٍ ، وَهُوَ عَمَّا قَلِيلٍ حَاضِرٌ ؛ فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَهُ ؛ وَتَرَقَّبْتُ طُلُوعَهُ ،
وَلَمْ أَزَلْ أَعِدُّ اللِّحَظَاتِ ، وَأَسْتَطِيلُ الْأَوْقَاتِ حَتَّى بَرَزْتَ الْأَنْوَارَ ؛ وَارْتَجَّ
صَحْنُ الدَّارِ ^(٦) وَظَهَرَ الاسْتِبْشَارُ عَلَى وُجُوهِ الزُّوَّارِ ، وَجَاءَ السَّيِّدُ فِي مَوْكِبِهِ ،
وَجَلَّالَةَ مَحْتَدِهِ ^(٧) وَمَنْصِبِهِ ، فَقُمْنَا لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَهَيَّئْنَا ^(٨) بِكَمَالِهِ ؛ فَمَرَّ يَتَعَرَّفُ
وُجُوهُ الْقَوْمِ حَتَّى حَازَانِي ، وَكَبَّرَ عَلَى عَيْنِهِ أَنْ تَرَانِي ؛ فَغَادَرَنِي وَمَنْ عَلَى
يَسَارِي ، وَأَخَذَ فِي السَّلَامِ عَلَى جَارِي ، وَجَرَّ السَّلَامَ الْكَلَامَ ، وَتَكَرَّرَ
الْقُعُودُ وَالْقِيَامُ ، وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ أَوْهَمُ جَارِي ، أَنِّي فِي دَارِي ، وَأُظْهِرُ لِلنَّاسِ
أَنَّ شِدَّةَ الْأُلْفَةِ ، تُسْقِطُ الْكَلْفَةَ ؛ وَمَرَّ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَمَامِي ثَلَاثَ
سَرَّاتٍ ، وَمِنْ الْغَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا فَاتَ ، وَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ
لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ أَرْبَعَةَ ؛ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْحُجْرَةِ فَدَخَلُوا مَعَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِيَامُ ،
وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ .

تَمْرُونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْ عَلَى إِذْنِ حَرَامٍ ^(٩)

(١) الكلف بفتحين : الحب الشديد .

(٢) شهوده : رؤيته .

(٣) الشغف كالكلف .

(٤) تشييعه : توديعه .

(٥) المحتد : الأصل .

(٤) تصرم الزمان : انقضى .

(٦) صحن الدار : ساحتها .

(٨) الهيئنا : الصوت الخفي .

(٩) عاج : مال ، أي لم تميلوا إلى .

وَكَنتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانَتِي عِنْدَ السَّيِّدِ لَا تُنْكَرُ ، وَأَنَّ عَهْدِي لَدَيْهِ
لَا يُخْفَرُ^(١) ؛ فَإِذَا أَنَا لَسْتُ فِي الْعَبْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ^(٢) وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِيرٌ ،
وَذَهَابُ صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرَ عَلَيْهِ يَسِيرٌ .

وَمَنْ مَدَّتْ الْعَلِيَا إِلَيْهِ يَمِينَهَا فَأَكْبَرُ إِنْسَانَ لَدَيْهِ صَفِيرٌ

وَلَا أَدْعَى أَنِّي أُوَازِي السَّيِّدَ (صَانَهُ اللهُ) فِي عُلُوِّ حَسَبِهِ ، وَأَدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ
وَأَدَابِهِ ، أَوْ أَقَارِبُهُ فِي مَنَاصِبِهِ وَرُتَبِهِ ، أَوْ أَكْثَرُهُ فِي^(٣) فَضَّتِهِ وَذَهَبِهِ ، وَإِنَّمَا
أَقُولُ يَذْبَعِي لِلْسَّيِّدِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي وَالْأَذْكَارِ ،
وَشَهُودِ الْأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلسَّلَامِ ، وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ
الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يَفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصًا لِلْإِخْلَاصِ^(٤) وَمَنْ يَتَرَدَّدُ
إِجَابَةً لَدَعْوَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَالَّذِي يَشْتَبِهُ عَلَيْهِ طَلَّابُ الْفَوَائِدِ^(٥) بِطَلَّابِ الْعَوَائِدِ ،
وَقُنَّاصُ الشُّوَارِدِ^(٦) بِنُقَبَاءِ الْمَوَالِدِ ، وَرُوَادُ الطَّرْفِ^(٧) بِأَرْبَابِ الْحَرْفِ .

فَمَا كُلُّ مَنْ لَا قَيْتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلَتْ سَائِلَاتُ الْعُرْفِ^(٨)

(١) خفر عهده : نقضه .

(٢) يقال : هو لا في العبر ولا في النفير ؛ أى أنه لا قيمة له ولا يحسب له أى حساب .

(٣) كثره : فاخره بكثرة المال .

(٤) الإخلاص بكسر الخاء : ما اتقى عنه الغش من الذهب والفضة أو الزبد . والمراد به هنا ما يقدم من

الصدقة ونحوها .

(٥) العوائد : جم عائدة وهي المنفعة .

(٦) يريد بالشوارد غرائب اللغة وتوادر الأدب .

(٧) الطرف بضم الطاء وفتح الراء : جمع طرفة بضم الطاء ، وهي الجديد الحسن المتخير .

(٨) العرف : الجود والمعروف .

فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْضِيَ عَنِ بَعْضِ الْأَجْنَاسِ ، فَلَا يَحْسُنُ أَنْ
يُغْضِيَ عَنِ جَمِيعِ النَّاسِ .

وَلَا أُرُومُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنزِلَةً غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَامَا
وَإِنَّمَا أَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضَّمَّةِ ، وَلَا أَعْرُضُهَا لِلضُّبِقِ وَفِي الدُّنْيَا سَمَةٌ .
وَأَكْرِمُ نَفْسِي إِنِّي إِنْ أَهَنْتُهَا وَحَقَّقْتُ لَمْ تَكْرُمٌ عَلَيَّ أَحَدٍ بَعْدِي
فَلَا يُصَعَّرُ ^(١) السَّيِّدُ مِنْ خَدِّهِ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِنْ بَعْدِهِ ،
وَلَا يُغْضَى ^(٢) مِنْ عَيْنِهِ ، فَهَذَا فِرَاقُ يَدِّي وَبَيْنِهِ ، وَلَيْتَ أَخَذَنِي صَاحِبًا مِنْ بَعِيدٍ ،
وَلَا يُكَلِّمَنِي إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ ^(٣) .

كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَفَانِيَا
وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامُ ، عَلَى الدَّوَامِ ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبِسَ جَدِيدًا ، وَكُلَّ
حَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيدًا ، وَمَرَحَى ^(٤) إِذَا أَصَابَ ، وَشَيَّعَتْهُ السَّلَامَةُ
إِذَا غَابَ ، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آبَ ، وَبِالرَّفَاءِ وَالْبَيْنِينَ ^(٥) إِذَا أَعْرَسَ ^(٦)
وَبِالطَّلَعِ الْمُسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ ^(٧) ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا عَطَسَ ، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا
نَعَسَ ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا أُسْتَيْقِظَ ، وَهَنِينًا إِذَا شَرِبَ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ

(١) صعر الرجل خده : أماله كبرا وتبها .

(٢) يغض عينه : يغمضها .

(٣) يوم الوعيد : يوم القيامة .

(٤) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء : كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية .

(٥) بالرفاء والبنين : دعوة لمن يتزوج بالالتيام واستيلاء الأولاد .

(٦) أعرس : تزوج .

(٧) أنجب : ولد له ولد .

إِذَا رَكِبَ ، وَنَعِمَ صَبَاحُهُ إِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرُ ، وَسَعِدَ مَسَاوُهُ إِذَا أَدَّنَ الْعَصْرَ ،
وَبَخَّ بَخَّ (١) إِذَا نَثَرَ (٢) وَلَا فُضَّ فُوهُ (٣) إِذَا شَعَرَ (٤) ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذَا خَطَبَ ،
وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَبَ ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ حَجًّا مَبْرُورًا ، وَإِذَا شَيَّعَ
جَنَازَتِي فَسَعِيًّا مَشْكُورًا .

وكتب إلى الشيخ على الليثي رحمه الله يشكره على هدية عنب :

وَصَلِّ يَا مَوْلَايَ إِلَى هَذَا الطَّرْفِ ، مَا خَصَّصْتَ بِهِ الْعَبْدَ مِنَ الطَّرْفِ (٥)
« قَفْصٌ » مِنْ عَنبٍ كَاللُّوْلُوِّ فِي الصَّدْفِ ، تَتَأَلَّقُ عُنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا مِنْ صِنَاعَةِ
« النَّجْفِ » (٦) وَلَعَمْرُ الْهَقِّ (٧) إِنَّهَا تَحْفَةُ مِنْ أَحَلَى التُّحَفِ ، لَا يُعْتَرَى عَلَى
مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ « الصَّدْفِ » فَقَابِلِنَاهُ لِنَمَّا بِالْأَفْوَاهِ ، وَرَشْفًا بِالشِّفَاهِ .
وَأَحْتَفِينَا (٨) بِقُدُومِهِ كِلَّ الْاِحْتِفَاءِ ، وَلَمْ نَفْرُطْ فِي حَبَّةٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ ؛
بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الْحَبِي (٩) ، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ، وَأَوْسَعْنَاهُ عَضًا
وَأَلْمًا ، وَتَنَاوَلْنَاهُ تَجْمِيشًا (١٠) وَضَمًّا ؛ وَحَفِظْنَا فِي صُدُورِنَا سِرَّهُ الْمَكْنُونِ ،
وَطَوَيْنَاهُ فِي غُضُوفِ الْبُطُونِ ، فَطَرَبَتْ مِنْ تَعَاطِيهِ الْأَرْوَاحُ ،

(١) بخ : كلة تقال عند استحسان الشيء والإعجاب به .

(٢) نثر : أرسل القول منشوراً .

(٣) لافض فوه : لاخل من أسنانه . دعوة توجه لمن يجيد القول .

(٤) شعر : قال الشعر . (٥) يريد بالطرف : التحف .

(٦) النجف : كلمة مولدة . (٧) لعمر الحق : قسم بالحق .

(٨) احتفى به احتفاءً : أكرمه وأظهر السرور به .

(٩) يقال فلان من تحمل له الحبي ، أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبي : جمع حبة وهي ما يجمع به

ما بين الظهر والساق من حبل ونحوه .

(١٠) جمشه تجميشاً : قرصه ولعبه

وَلَا غَرَوٌ^(١) فَهُوَ أَصْلُ الرَّاحِ^(٢) . وَانْتَشِينَا^(٣) وَلَمْ نَحْمِلْ وَزْرًا ، وَنَمْلِنَا^(٤)
وَلَمْ نَذُقْ طَعْمًا مَرًّا . فَهُوَ كَبِيَانٌ مُهْدِيهِ سِحْرُهُ وَلَكِنَّهُ حَلَالٌ ، وَلَعِبٌ
إِلَّا أَنَّهُ كَمَالٌ .

وَكَانَ الْأُخْرَى بِهَذَا الْعِنَبِ أَنْ يُنَاطَ^(٥) بِالنُّجُورِ ، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُورُ ؛
فَأُحْوَى إِلَّا الْأَوْلُوؤُ وَلَكِنَّهُ سَلِيمٌ مِنْ سِجْنِ الْبِحَارِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الدُّرُّ لَكِنْ
لَيْسَ فِيهِ صُغَارٌ^(٦) .

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِيُّ لِي لَا يَلْقُطُ الدُّرَّ إِلَّا كُبَارًا^(٧)
وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَفْصُ ، (حِصَّةٌ مِنَ الْحِصَصِ^(٨)) فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ
يُودِعُ فِي الْأَقْفَاصِ ، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَمَائِيَا الضُّلُوعِ خَلَاصٌ . فَلَا بَدْعَ
أَنْ تُسْتَقَلَّ فِي حَبَاتِهِ حَبَاتُ الْقُلُوبِ ، وَيُسْتَمْلَحُ فِي جَنْبِ حَلَاوَتِهِ رُضَابٌ^(٩)
الْمُحْبُوبِ . وَكَأَنَّ الْأَرِيَّاءَ لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَهُ ، فَغَرَّ الْهَلَالَ فَاةً^(١٠) لِعِنُقُودِهَا
يُرِيدُ أَكْلَهُ ، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِي السَّمَاءِ ، وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِنَ الْوَرَاءِ .
وَهِيَ تَجْرِي مِنَ الْأَمَامِ ، خَافَةَ الْإِتِهَامِ . هَذَا لِمُجَرَّدِ تَشَابِهِ فِي الشَّكْلِ

(١) لا غرو : لا عجب .

(٢) الانتشى : سكر .

(٣) نمل : سكر .

(٤) ينطق : يعلق .

(٥) الصغار بضم الصاد : الصغير .

(٦) الكبار بضم الكاف : الكبير .

(٧) الحصة في الأصل : النصيب واستعملها المحدثون في معنى الفترة من الزمن يريد وقتنا من الأوقات

(٨) الرضاب بضم الراء : الريق .

(٩) ففر فاه : فتحه .

فَكَيْفَ بِالْثَرِيَّا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حَلَاوَةٌ وَرِيًّا^(١) ! فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعِنَاقِيدُ مَا أَشَدَّ
تَأَلَّفَهَا^(٢) ، وَأَصْنَفِي مَاءَهَا ، وَأَحْسَنَ رَوْنَقَهَا . مِنْ كُلِّ عُنُقُودٍ تَخَالُهُ عُمُودُ الصُّبْحِ^(٣)
أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَارِيُّ ، أَوْ غَضِنَ الْبَانِ^(٤) تَمَلَّقَتْ بِهِ الْقَمَارِيُّ^(٥) .

وكتب يعزى كبيراً (لعله الشيخ على يوسف رحمه الله في ولده) :

خَفَّفَ اللَّهُ لَوْعَتَكَ^(٦) ، وَأَرْقَأَ^(٧) دَمْعَتَكَ ، وَجَنَّبَكَ الْجُزْعَ^(٨) ، وَوَقَاكَ
الْهَلْعَ^(٩) . وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ ، وَأَجْزَلَ لَكَ الْأَجْرَ وَرَزَقَكَ مِنَ الْبَيْنِ ، فِي مُسْتَقْبَلِ
السِّنِينَ ، مَا تَقَرُّ^(١٠) بِهِ عَيْنَاكَ ، وَيَقْوَى بِهِ عِنَاكَ^(١١) ، وَأَنْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
فِي قُوَّةٍ وَبَقِيَّةٍ مِنَ الْفِتْوَةِ^(١٢) تُمَكِّنُكَ مِنَ الْأُبُوَّةِ ، لِخَيْرِ الْبُنُوَّةِ . عَلَى أَنَّ لَكَ
فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، وَضُرُوبِ الْكِيَاسَةِ^(١٣) ، فِي هَذِهِ الْبِلَادِ ، أَلْوَانًا مِنَ الْأَوْلَادِ ،
وَأَثَارًا كُبْرَى ، تَضْمَنُ لَكَ الذَّرِيَّةَ ، وَتَجْعَلُ لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِينَ لِسَانَ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(١) الرى بالكسر : الشبع من الماء .

(٢) تألفها : بريقها .

(٣) عمود الصبح : ضوءه .

(٤) البان : شجر يضرب المثل بأغصانه في اعتدال القوام .

(٥) القمارى بفتح القاف وكسر الراء : جمع قرى بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت

(٦) اللوعة : حرقه الحزن .

(٧) أرقأ دمعته : جففها

(٨) الجزع : أشد الحزن .

(٩) الهلع : الجزع من المصيبة .

(١٠) قرت العين : بردت من السرور .

(١١) العنا : الجانب .

(١٢) الفتوة : قوة الشباب .

(١٣) الكياسة : الفطنة وصحة الرأى .

١٨ - السيد مصطفى لطفى المنفلوطى^(١)

نفس الشاعر

« قطعة من رواية الشاعر ، يخاطب فيها سيرانو ليريه الذى ينصحه بحسن السياسة والمدارة »

أَتُرِيدُ أَنْ أَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِي عَلَى غَيْرِي ، وَأَنْ أَضَعَ زَمَامَ نَفْسِي فِي يَدِ
عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ ، أَوْ نَبِيلٍ مِنَ النُّبَلَاءِ ، يَصْطَنِعُنِي وَيَحْتَبِينِي^(٢) وَيَكْفِينِي
مَثْوَاةَ عَيْشِي ، وَيَحْمِلُ عَنِّي هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَثْقَالَهَا ، فَيَكُونُ مِثْلِي مِثْلَ شَجَرَةٍ
« اللَّبْلَابِ » لَا عَمَلَ لَهَا فِي حَيَاتِهَا سِوَى أَنْ تَلْتَفَّ بِأَحَدِ الْجُدُوعِ تَلْمَعُ^(٣)
قَشْرَتَهُ ، وَتَعْتَصُّ مَادَّةَ حَيَاتِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِهَا عَلَى نَفْسِهَا .
ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ .

أَتُرِيدُ أَنْ أَجْمَلَ نَفْسِي عَلَى عَاتِقِي ، كَمَا يَحْمِلُ الدَّلَالُ سَلْمَتَهُ ، وَأَدُورُ بِهَا
فِي الْأَسْوَاقِ مُنَادِيًا عَلَيْهَا : مَنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَثْرِيَاءُ^(٤) ، وَالْوُزَرَاءُ
وَالْعُظَمَاءُ ، وَأَصْحَابُ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، يَتَتَاعُ نَفْسًا بِذِمَّتِهَا وَضَمِيرِهَا ، وَعَوَاطِفِهَا
وَمَشَاعِرِهَا ، بِلُقْمَةِ عَيْشٍ ، وَجُرْعَةِ مَاءٍ ؟ .

(١) نشأ السيد المنفلوطى بمنفلوط وتعلم بالأزهر . واشتغل محرراً بالوَيْد . ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول فألحقه بالمعارف ثم الحاقانية . وكان كاتباً رقيق القول بحكم الفسج . يجيد تصوير الشعور الحزينة وله شعر قليل توفي سنة ١٣٤٣ هـ تاركاً آثاراً علمية جميلة

(٢) يحتبيني : يختارني

(٣) لعق الشيء : أخذه بطرف لسانه

(٤) الأثرياء : جمع ثرى وهو من عنده مال كثير .

أَتُرِيدُ أَنْ تَسْتَحِيلَ قَامَتِي إِلَى قَوْسٍ مِنْ كَثْرَةِ الْأَنْحِنَاءِ وَأَنْ تَهْدَلَ
أَجْفَانٍ مِنْ كَثْرَةِ الْإِطْبَاقِ وَالْإِغْضَاءِ ، وَأَنْ تَجْتَمِعَ فَوْقَ رُكْبَتِي طَبَقَةٌ
مَمِيكَةٌ مِنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ وَالْجُلُوسِ^(١) بَيْنَ أَيْدِي الْعُظَمَاءِ ! .

أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي لِسَانَانِ : لِسَانٌ كَاذِبٌ أَمْدَحُ بِهِ ذَلِكَ الَّذِي
صَنَعَنِي وَاجْتَبَانِي ، وَلِسَانٌ أَعَدُّ بِهِ عُيُوبَهُ وَسَيِّئَاتِهِ . وَأَنْ يَكُونَ لِي وَجْهَانِ :
وَجْهٌ رَاضٍ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ يَذُودُ عَنِّي وَيَحْمِينِي ، وَوَجْهٌ سَاخِطٌ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ
يَسْتَعْبِدُنِي وَيَسْتَرْقِنِي ؟
ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ !

أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أَضْحَكُ كَمَا أَشَاءُ ، وَأَبْكِي كَمَا أُرِيدُ ،
وَأَحْتَفِظُ بِنَظَرِي سَلِيمًا وَصَوْتِي رَنَانًا ، وَخَطَوَاتِي مُنْتَظِمَةً ، وَرَأْسِي مَرْفُوعًا
وَقَوْلِي صَرِيحًا ، أَنْظِمُ الشُّعْرَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَخْتَارُهَا ، وَفِي الشَّأْنِ الَّذِي أُرِيدُهُ
فَإِنْ أَعْجَبَنِي مَا وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا تَرَكَتُهُ غَيْرَ آسِفٍ عَلَيْهِ ، وَأَخَذْتُ
فِي نَظْمِ غَيْرِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ أَتَوَسَّلَ إِلَى الطَّابِعِينَ أَنْ يَنْشُرُوهُ ، وَالْأَدَبَاءُ أَنْ
يُقَرِّطُوهُ ، وَالْمُمَثِّلِينَ أَنْ يُمَثِّلُوهُ ، وَالْعُظَمَاءَ أَنْ يُنَوِّهُوا بِهِ وَيَرْفَعُوا مِنْ شَأْنِهِ !
أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أَنْاضِلُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأُجَادِلُ مَنْ أَشَاءُ ،
وَأَنْتَقِدُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأَنْ أَقُولَ كَلِمَتِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِلْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ
فِي وَجُوهِهِمْ ، لَا مُتَمَلِّقًا أَوْلِيكَ ، وَلَا خَاشِيًا هُوَءِلاءِ .

(١) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه

(٢) أناضل : أذافع وأغالب

وكتب أيضا :

الشاعر

إِنَّمَا يَشْقَى فِي هَذَا الْعَالَمِ أَحَدٌ ثَلَاثَةً : حَاسِنِدٍ يَتَأَلَّمُ لِمَنْظَرِ النَّعَمِ
الَّتِي يُسْبِغُهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَنِعَمِ اللَّهِ لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنَى . وَطَمَّاعٍ
لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى غَايَةٍ مِنَ الْغَايَاتِ حَتَّى تَتَّبِعَتْ نَفْسُهُ وَرَاءَ غَايَةٍ غَيْرِهَا ؛
فَلَا تَفْنَى مَطَامِعُهُ ، وَلَا تَنْتَهَى مَتَاعُهُ . وَمُقْتَرِفٍ جَرِيمَةٍ مِنْ جَرَائِمِ
الْعَرَضِ وَالشَّرَفِ ، لَا يُفَارِقُهُ خَيَالُهَا حَيْثُمَا حَلَّ وَأَيْنَمَا سَارَ ، وَمَا أَنْتَ
يَا سَيِّدِي بِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَمِنْ أَيِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ يَتَسَرَّبُ الشَّقَاءُ
إِلَى قَلْبِكَ .

أَنْتَ شَاعِرٌ يَا مَوْلَايَ ، وَقَلْبُ الشَّاعِرِ مِرْآةٌ تَتَرَاءَى فِيهَا صُورُ
الْكَائِنَاتِ ، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ، دَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا ؛ فَإِنْ أَعْوَزَتْكَ ^(١) السَّعَادَةُ
فَفَتِّشْ عَنْهَا فِي أَعْمَاقِ قَلْبِكَ ؛ فَقَلْبُكَ الصُّورَةُ الصُّغْرَى لِلْعَالَمِ
الْأَكْبَرِ وَمَافِيهِ .

السَّمَاءُ جَمِيلَةٌ ؛ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ سِرَّ جَمَالِهَا ؛
وَيَخْتَرِقُ بِنَظَرَاتِهِ أَدِيمَهَا ^(٢) الْأَزْرَقَ الصَّافِي ؛ فَيَرَى فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ الْعُلُومِ
النَّائِي مَا لَا تَرَاهُ عَيْنٌ ، وَلَا يَمْتَدُّ إِلَيْهِ نَظَرٌ .

(١) أعوزتك : احتجت إليها .

(٢) الأديم : الجلد . وأديم الأرض والسماء : ما ظهر منها .

وَالْبَحْرُ عَظِيمٌ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَشْعُرُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، وَيَرَى فِي صَفْحَتِهِ الرَّجْرَاجَةَ^(١) الْمُرْتَجِّجَةَ^(٢) صُورَ الْأَمَمِ الَّتِي طَوَّأَهَا ، وَالْمُدُنَ الَّتِي حَمَّأَهَا ، وَالذُّوُلَ الَّتِي أَبَادَهَا وَهُوَ بَاقٍ عَلَى صُورَتِهِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ، وَلَا يَبْلَى^(٣) عَلَى الْمُصَوَّرِ وَالْأَيَّامِ .

وَاللَّيْلُ مُوَحِّشٌ^(٤) وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ فِي سُكُونِهِ وَهُدُوءِهِ أَنْيْنَ الْبَاكِينَ ، وَزَفَرَاتٍ^(٥) الْمُتَأَلِّمِينَ ، وَأَصْوَاتَ الدُّعَاءِ الْمُتَصَاعِدَةَ إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ ، وَيَرَى صُورَ الْأَحْلَامِ الطَّائِفَةَ بِمَضَاجِعِ النَّائِمِينَ ، وَخَيَالَاتِ السَّمَادَةِ أَوِ الشَّقَاءِ الْهَائِمَةِ^(٦) فِي رُؤُوسِ الْمَجْدُودِينَ^(٧) وَالْمَحْدُودِينَ^(٨) .

الشَّاعِرُ يَرَى الْجَمَالَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَنَاوَلُهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ ، حَتَّى فِي الزَّهْرَةِ الذَّابِلَةِ ، وَالنَّدْبَةِ الْخَائِلَةِ^(٩) ، وَالنَّحْلَةِ الطَّائِرَةِ ، وَالْفَرَاشَةَ الْخَائِمَةَ^(١٠) ، وَفِي مَدَارِجِ^(١١) النَّمَالِ وَأَفَاحِيصِ^(١٢) الْقَطَا^(١٣) وَالنُّؤَى^(١٤) الْمَتَهَدِّمِ ، وَالْجُدَثِ الْبَالِيِ ، وَالشَّبْحِ الْمُخِيفِ ، وَالْخَيَالَ الرَّائِعِ ، وَفِي الضُّفْدَعَةِ الْمُتَلَقِّةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ،

(١) الرجراجة : المتحركة المتماوجة . (٢) المترججة : المهتزة المضطربة .

(٣) بلى الشيء : تهيأ للفناء .

(٤) موحش : مظلم يبعث على الوحشة والانبساط

(٥) زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده إياه ؛ من ضيق وحزن .

(٦) الهائمة : الطائفة .

(٧) المجدودون : جمع مجدود ، وهو ذو الحظ الموفق .

(٨) المحدودون : جمع محدود ؛ وهو ضد المجودود .

(٩) الخائلة : المنغيرة .

(١٠) الخائمة : أى التى لا تفتأ تدور حول النار والنور .

(١١) المدارج : جمع مدرج . موضع الدروج . وهو المشى .

(١٢) الأفاحيص جمع أفحوص بضم المهمزة . وهو الموضع الذى تفحص القطة التراب عنه لتبيض فيه .

(١٣) القطا : جمع قطة . وهى طائرة فى حجم الحمام .

(١٤) النؤى : الحفرة التى تحفر حول الخيام ليذهب فيها السيل .

وَالدُّودَةُ الْمُتَمَدِّدَةُ فِي بَاطِنِ الصَّخْرِ ، فَهُوَ مِنْ خَيَالِهِ الْوَاسِعِ فِي نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ
لَا تَنْفَدُ وَلَا تَبْلَى .

أَنْتَ كَالطَّائِرِ السَّجِينِ فِي قَفْصِهِ ، فَمَزَّقَ عَنْ نَفْسِكَ هَذَا السَّجْنَ الَّذِي
يُحِيطُ بِكَ ، وَطَرَهُ بِجَنَاحَيْكَ فِي أَجْوَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْبَسِطِ الْفَسِيحِ ، وَتَنَقَّلَ
مَا شِئْتَ فِي جَنَابَاتِهِ وَأَكْنَفِهِ^(١) ، وَاهْتَفَّ^(٢) بِأَغَارِيدِكَ^(٣) الْجَمِيلَةِ فَوْقَ قَعَمٍ^(٤)
جِبَالِهِ ، وَرءُوسِ أَشْجَارِهِ ، وَضِفَافٍ^(٥) أَنْهَارِهِ ، فَأَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِلسَّجْنِ وَالْقَيْدِ
بَلْ لِلْهَيْفِ وَالْتَّغْرِيدِ .

١٩ - سعد زغلول باشا^(١)

وَجَّهَ رَحْمَهُ اللَّهُ هَذَا النِّدَاءَ إِلَى الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ عَقِبَ عَوْدَتِهِ إِلَى مِصْرٍ

فِي صَدْرِ سَنَةِ ١٩٢١ م :

رَحِّبَتِ الْأُمَّةُ بِعَوْدَةِ نُوَابِهَا تَرْحِيبًا فَاقِ كُلَّ تَرْحِيْبٍ ، وَأَعْجَزَ وَصَفَ
كُلَّ كَاتِبٍ وَخَطِيْبٍ ، فَقَدَّ أَتَى أَفْرَادُهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَّةٍ بِدَافِعٍ مِنْ ضَمَائِرِهِمُ
النَّيِّرَةِ ، وَبَاعَثَ مِنْ شُعُورِهِمُ الْحَيِّ ، تَرْتَمِشُ أَعْصَابُهُمْ حَمَاسَةً ، وَتُخَفِّقُ قُلُوبُهُمْ
بِالْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ ، لِلْإِلْتِفَافِ حَوْلَ مَنْ اتَّخَذُوهُمْ رَمَزَ أَمَانِيَّتِهِمْ وَعُنْوَانَ مَبَادِيئِهِمْ .

(١) أكنافه : نواحيه . (٢) هتف : مد صوتك .

(٣) الأغاريد : جم أغرودة . وهي غناء الطائر .

(٤) القعم : جمع قفة وهي أعلى الجبل . (٥) ضفاف : جمع ضفة . وضافة النهر : جانبه .

(٦) يعد سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية في عصره - درس في الأزهر دراسة استقلالية

أعدته ليكون كاتباً نابغاً ومحامياً بارعاً وقانونياً قديراً كان زعيم النهضة السياسية حتى توفي سنة ١٩٢٧ م .

وَلَقَدْ رَأَيْتِ آيَاتِ الْحِكْمَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالثَّبَاتِ تَتَجَلَّى فِيمَا اسْتَقْبَلْنَا بِهِ مِنْ
مَظَاهِرِ الْفَرَجِ الْبَاهِرِ — تِلْكَ الصِّفَاتُ الَّتِي تَضْمَنُ لِلشُّعُوبِ تَقَدُّمَهَا وَوَلَامَ
سَعَادَتَهَا . وَشَعَرْتُ مِنْ قُبُلَاتِ التَّرْحِيبِ الَّتِي غَمَّرُونَا بِهَا بِحَرَارَةِ قَلْبٍ يَخْفِقُ
فِي جِسْمِ شَعْبٍ عَظِيمٍ . وَقَدْ اشْتَرَكِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ فِي أَنْ يُمَلُّوا عَلَى
الْمَجْمُوعِ وَكُلِّ فَرْدٍ وَاجِبُهُ نَحْوَ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ ، وَأَجْمَعَ الْكُلِّ عَلَى مُطَابَقَتِنَا
بِمَوَاصِلَةِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَنَّهُ الْحَقُّ الْقَوِيمُ .

وَإِنَّ الشَّرْفَ وَالْكَرَامَةَ وَالْإِخْلَاصَ لَوْطَنِنَا الْمُقَدَّسِ لِمِمَّا يُوجِبُ
عَلَيْنَا طَاعَةَ هَذَا الْأَمْرِ الْكَرِيمِ ، وَالنِّزَامَ هَذَا الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

إِنَّا نَشْكُرُ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا ، قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا ، عَلَى حُلَّةِ الثَّقَةِ ^(١) الَّتِي
زَيَّنْتَنَا بِهَا ، وَنُقَسِّمُ بِالْوَطَنِ وَشَعَائِرِهِ ^(٢) الْمُقَدَّسَةَ — وَيُشَارِكُنَا فِي هَذَا
الْقَسَمِ الْعَظِيمِ أَصْحَابُنَا الْمُخْلِصُونَ فِي جِهَادِهِمْ — أَنَّنَا لَا نَدْخِرُ شَيْئًا مِنْ وَسْعِنَا
لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الثَّقَةِ الْعَالِيَةِ ، وَلَا نَتَّحَوَّلُ لِحُلْطَةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ الْغَرَضِ الَّذِي
وَضَعْنَاهُ نُصَبِ ^(٣) عُيُونَنَا حَتَّى نَصِلَ إِلَيْهِ .

إِنَّا لَمْ نَعُدْ إِلَّا لِنُقْوَى بِعِزَائِمِ مُوَاطِنِينَا الْكَرَامِ عِزَانَا ، وَنَشُدُّ أَرْزَانَا
بِاتِّحَادِهِمِ الْمَتِينِ ، وَنَتَمَتِّعُ بِمِرْآئِهِمْ بَعْدَ طَوْلِ هَذِهِ الْغَيْبَةِ ، وَنَتَأَكِّدُ مِنْ أَنْ
الِاشْتِرَاكَ فِي الْمَفَاوِضَاتِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي دَعَتْنَا الْوِزَارَةُ الْجَدِيدَةَ لَهُ مُتَّفَقًا مَعَ
الْمَبَادِي الَّتِي وَضَعْتَهَا الْأُمَّةُ ، وَعَاهَدْنَاهَا عَلَى احْتِرَامِهَا ، وَمَعَ الْخُلْطَةِ الَّتِي رَسَمْتَهَا

(١) الحلة : الثوب . (٢) الشعائر : العلامات والعالم . (٣) نصب عيوننا : أمامها .

وَتَعَهَّدْنَا بِمُتَابَعَتِهَا ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَخْدُمَ بِلَادَنَا بِالِاتِّفَاقِ
مَعَ كُلِّ هَيْئَةٍ مُسْتَعِدَّةٍ لِأَنْ تَسْتَرَشِدَ بِإِرَادَةِ الْأُمَّةِ ، وَعَامِلَةٍ عَلَى تَحْقِيقِ
غَايَتِهَا السَّامِيَةِ .

لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ يَعُودَ كُلُّ مِنَّا إِلَى عَمَلِهِ ، وَيُقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ : فَالتَّامِيذُ
إِلَى مَدْرَسَتِهِ ، وَالْفَلَاحُ إِلَى مَزْرَعَتِهِ ، وَالصَّانِعُ إِلَى مَصْنَعِهِ ، وَالتَّاجِرُ إِلَى مَتَّجِرِهِ ،
وَالكَاتِبُ إِلَى مَكْتَبِهِ ، وَالرَّائِةُ إِلَى إِدَارَةِ بَيْتِهَا ، وَعَلَى الكُلِّ مِنْ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ
أَنْ يُبَاشِرَ عَمَلَهُ ، مُرَاقِبًا أَعْمَالَنَا ، رَاضِعًا نَصَبَ عَيْنَيْهِ الْمُقْصِدَ الْأَسْمَى ،
وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يَزِيدُ بِمَا يَعْمَلُ فِي كُنُوزِ الْوَطَنِ كَنْزًا ، وَيَضُمُّ إِلَى قُوَاهُ قُوَّةً .
إِلَى الْعَمَلِ جَمِيعًا لِنَرْفَعَ مَنَارَ الْوَطَنِ وَنُعَلِي كَلِمَتَهُ ، وَنَلْتَحِي مِصْرُ .

٢٠ - محمد بك المويلحي^(١)

كتب من مصر إلى منيف باشا وزير المعارف في تركيا يعزیه في ابنته :
إِلَى الْوَزِيرِ الَّذِي تَرْتَعِشُ بِنَظَرَةٍ مِنْهُ عُقْدُ السِّيَاسَةِ حَتَّى تَنْحَلَّ مِنْ شِدَّةِ
الْارْتِجَافِ ، وَالْأَمِيرِ الَّذِي يَنْتَعِشُ بِهِ سُورًا دَسْتِ^(٢) الرِّيَاسَةِ ، حَتَّى يَتِيَهُ عَلَى
الْأَسْلَافِ ، وَالْفِيلَسُوفِ الَّذِي تَفَرَّعَتْ عَنْهُ أُصُولُ الْحُكْمِ ، وَالْهَمَامِ الَّذِي أَعْيَا

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحي . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكار أئمة العلم والأدب
في عصره . وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . وامتاز قلمه بصفاء الديباجة ، وانصاعة اللفظ ،
وتلاحم النسيج ، ومثانة السجع ، وقد أوتي من البراعة في فنون الوصف ما لا يتعلق فيه بغيره . وله
(حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجماً في جريدة « مصباح الشرق » التي كان يحررها مع أبيه
توفي سنة ١٩٣٠ .

(٢) الدست : الكرسی .

النجوم أن تباريه في علو الهمم ، والرَّفِيعُ الَّذِي سَارَتْ عَنْهُ أَمْثَالُ الْمَجْدِ الْمُؤْتَلِّ (١) ،
وانتشرَ عَلَى السَّمَارِ (٢) حَدِيثُ فَضْلِهِ الْمُرْتَلِّ :

إِلَى قُطْبِ (٣) الدُّنْيَا الَّذِي لَوْ بِفَضْلِهِ مَدَحْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَفَفْتَهُمْ فَضَائِلُهُ

مِنْ عِبْدٍ لِدَوْلَتِهِ ، لَهُ الشَّرْفُ الْأَسْنَى بِهَذِهِ النِّسْبَةِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَالْفَخْرُ الْأَعْلَى
بِذَلِكَ وَأَفَانِينُ التِّيهِ (٤) . دَهْمُهُ خَيْرُ الْمُصَابِ الَّذِي أَنْقَضَ (٥) ظَهْرَهُ ، وَأَرْضَى

دَهْرَهُ (٦) ، عَلَى أَنْ الْمَوْتَ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الْمَجْدِ بِطُولِ بَقَائِكَ ، وَأَدَامَ رَوْنَقَ

الْفَضْلِ بِدَوَامِكَ - بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الطَّبِيعَةِ لَا مَفْرَجَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ وُلُوجِ فِيهِ ،

وَعَوْنٌ مِنْ أَعْوَانِ الْحَيَاةِ لَا بُدَّ لِلْحَيِّ مِنْ تَوَافِيهِ (٧) . وَاسْمُ الْحَيَاةِ لَا مَعْنَى لَهُ بِغَيْرِ

اسْمِ الْمَوْتِ ، وَالْفِظُّ الْعَيْشِ مُتَضَمِّنٌ لِلْفِظِّ الْفَوْتِ (٨) . وَلَقَدْ قِيلَ لِلْحَكِيمِ مِثْلَكَ :

مَا سَبَبُ مَوْتِ فُلَانٍ . قَالَ : كَوْنُهُ (٩) ، فَعَجِيبٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ مُكَلِّهِ

وَحَزْنُهُ . وَإِنِّي أَتَيْقِنُ أَنَّ مَوْلَايَ الْوَزِيرَ مَا تَجَاسَرَ أَنْ يَلْمَسَ أَذْيَالَهُ رَسُولُ الْحَزْنِ

وَالْأَسَى ، وَلَا عَارِضَ نَوْرَ حِكْمَتِهِ عَارِضٌ مِنْ ظِلْمَةِ ذَاكَ الدُّجَى (١٠) ، وَمَا تَسَنَّى

(١) المؤتئل : الأصيل الثابت .

(٢) السمار : المتسامرون ، المتحدثون ليلاً . وفي الليل يجتمع الناس عادة للتحدث .

(٣) قطب الشيء . مداره وملاكه الذي يعمل به . وقطب القوم : سيدهم الذي يدور عليه أمرهم .

(٤) التيه : الكبر والحيلاء .

(٥) أنقض ظهره : أثقله .

(٦) كل امرئ يحسب دهره عاملاً على إرضائه يرضيه أن يتوالى عليه الضرر ، وينزل به المكروه .

(٧) توافى إلى المكان : حضر إليه .

(٨) الفوت : الهلاك .

(٩) كونه : أى حياته .

(١٠) الدجى : الظلمة .

لِطَفِيلِي الْفَزَعِ أَنْ يَتَمَطَّ^(١) عَلَى مَائِدَةِ حِلْمِهِ بَعْدَ ارْتِقَاءِ هَضْبَاتِهِ^(٢)؛ وَلَا طَمَعٍ
أَشْعَبِي^(٣) الْجَزَعِ فِي اسْتِجْدَاءٍ مِنْ مَعْدِنٍ وَقَارِهِ وَثَبَاتِهِ .

لَكِنَّمَا الْفَقِيدَةُ الَّتِي اخْتَارَتْ رُوحَهَا فِدَاءً لِبَنَاتِ مَعَالِيكَ وَمَجْدِكَ ،
وَرَضِيَتْ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهَا زَكَاةً لِكُنُوزِ فَضَائِكَ وَسَعْدِكَ ، تَسْتَوْجِبُ
مِنْ جِهَتَيْنِ لَا مِنْ جِهَةٍ ، أَنْوَاعَ الْأَسْفِ ، وَيَذْبَغِي لَهَا إِرْسَالُ الدَّمْعِ
الْمُنْدَرِفِ^(٤) ، وَاخْتِرَاقُ الْكَبِدِ عَلَيْهَا مِنْ طَرَفَيْنِ لَا مِنْ طَرَفٍ - الْأَوَّلُ :
أَنْ الْوَرْدَةَ قَدْ اقْتُطِفَتْ قَبْلَ إِبَانِهَا^(٥) ، وَانْتَزَعَتْ مِنْ أَفْنَانِهَا^(٦) قَبْلَ أَوَانِهَا ،
وَاقْتُنِصَتْ الظَّنْبِيَّةُ مِنْ خَمَائِلِهَا ؛ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ مَخَائِلِهَا^(٧) ؛ وَاخْتُطِفَتْ الْحَمَامَةُ
مِنْ وَكْرِهَا قَبْلَ أَنْ يُطَوَّقَ جَيْدُهَا وَيَنْتَظِمَ نَشِيدُهَا ، وَاقْتُصِفَ الْغُصْنُ
قَبْلَ إِثْمَارِهِ ، وَأَنْمَحَقَ^(٨) الْهَلَالُ قَبْلَ إِبْدَارِهِ . وَحِينَ الْبَدءِ فِي دَوْرٍ مِنْ أَدْوَارِهِ ،
وَشُعَاعُ أَمَلٍ لَفَّ عَلَيْهِ السَّحَابُ رِدَاءَهُ ، وَسَاعَةٌ سُرُورٍ نَبَذَهَا حَسَدُ الْأَيَّامِ
وَاللَّيَالِي وَرَاءَهُ :

إِنَّ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا لِأَجْلِ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلًا

(١) تلغظ الشيء : تذوق منه قليلا .

(٢) هضبات : جمع هضبة وهي المكان المرتفع .

(٣) أشعب : اسم رجل يضرب به المثل في الطمع .

(٤) المنذرف : السائل .

(٥) إبان الشيء : أول وقته . أي قبل اكتمال نضرتها .

(٦) جمع فنن وهو الغصن المسقيم .

(٧) مخايلها : صفاتها وحماستها .

(٨) انححق : اضمحل وانحوى .

والثاني : لأني لستُ من رأَى من يَنْسُبُ إلى النَّبِيِّ أَنه قال : « نِعْمَ
الْحَتْنُ الْقَبْرِ ^(١) » ، ولا من رأَى العَرَبَ حينَ تَبَجَّحُ بِمُصَاهَرَةِ ^(٢) القُبُورِ ،
وهَضُمَ حَقَّ الإِنَاتِ وتَفَضَّلَ الذُّكُورَ . ولا أَرَانِي من مَذْهَبِ الشَّيْخِ
المَعْرِيِّ ^(٣) وَمَنْ قَبْلَهُ حيثَ يقول :

وَدَفَّنَ ، وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ لِإِحْدَاهُنَّ إِحْدَى الْمَسْكُومَاتِ ^(٤)

ولا من جَانِبِ الفَرَزْدَقِ وَيُرْوَى عَنْهُ :

وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا المَوْتُ نَالَهُ عَلَى المرءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا

ولا أَلْتَفْتُ لِنَاحِيَةِ البُحْتَرِيِّ وَيُنشِدُهُ :

وَلَمَعْرِي مَا العَجْزُ عِنْدِي إِلاَّ أَنْ تَبَيَّتَ الرِّجَالُ تَبَكِي النِّسَاءِ ^(٥)

فَسَيَّانَ فِي حِمْيَرَ الطَّبِيعَةَ مُقَنَّعٌ ^(٦) بِإِلَامَةِ الحَدِيدِ ^(٧) فِي الهَيْجَاءِ ^(٨) ، وَمُقَنَّعَةٌ

بِإِلَامَةِ ^(٩) الحَرِيرِ مِنَ النِّسَاءِ . وَإِنَّمَا الفَضُّ يَنْبَغِي لِمَنْ جَاءَ بِالعَاقِبَةِ الحُسْنَى ،

وَلِمَنْ قَلَّ ضَرَرُهُ وَأَتَى بِالنَّفْعِ الأَسْنَى ^(١٠) ، وَشَتَّانَ فِي حِمْيَرَ الإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ

(١) الحتن : زوج الابنة

(٢) كان العرب يكرهون البنات خشية العار ، وربما دفنوا البنت حية . وقد أبطل الإسلام ذلك .

(٣) هو أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف .

(٤) هذا البيت من قصيدة له كلها تهجين للمرأة وازدراء بها .

(٥) من قصيدة له يمزى فيها عن بنت توفيت .

(٦) تقنع الشيء لبسه .

(٧) اللامة : الدرع ، وهو ما يتقي به المحارب سلاح عدوه .

(٨) الهيجاء : الحرب .

(٩) أي لابسة ثوب حرير .

(١٠) الأسنى : الأرفع .

قَائِدٍ لِلْجَيْشِ مُعَلِّمٌ^(١) ، وَعَذْرَاءٌ تُطَرِّزُ فِي ثَوْبِهَا وَتُنَمِّمُ^(٢) . ذَاكَ يُشِيرُ بِنَانِهِ
لِتَيْتِيمِ الْأَطْفَالِ وَلِتُخْرِيبِ الْبِلَادِ ، وَتِلْكَ يُشِيرُ بِنَانِهَا لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ بِعَقْدِ الْوَدَادِ .
وَفَرَقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ يَدِ مَخْضَبَةِ الدَّمَاءِ ، وَأُخْرَى مَخْضَبَةُ الْخَنَاءِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَحْتَضِنُ
الْأَطْفَالَ وَيُرِييُهَا وَبَيْنَ مَنْ يُسْتَتُّهَا وَيُعْذِبُهَا ، وَبَيْنَ كَفِّ لَاحِلِيَّةِهَا إِلَّا السِّيُوفُ
الْبَوَاتِرِ ، وَأُخْرَى إِنَّمَا حَلِيَّتُهَا الْخَوَاتِمُ وَالْأَسَاوِرُ ، وَكَمْ جَلَبَتُ تِلْكَ مِنْ فِطَائِعِ
مَشْهُورَةٍ ، وَكَمْ لِهَذِهِ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءٍ مَشْكُورَةٍ :

وَلَيْسَ الْخُمْسُ^(٣) ضَارِبَةً بِسَيْفٍ نَظِيرَ الْخُمْسِ ضَارِبَةً بِدُفٍّ
أَبَاغِي حَظَّهُ بِقِنَا^(٤) وَخَيْلٍ كِبَاغِيهِ بِنُؤَالٍ وَحَفٍّ^(٥)

ومولاي - أعزَّ اللهُ الفضلَ بوجُوده - يَعْلَمُ حِكَايَةَ إِخْدَى الْعَذَارَى
مع عبد الله بن طاهر إذ رَدَّتْ بوقفةٍ منها أمامَ الجيشِ غَرَبَ^(٦) الجيشِ عن
قصدِهِ ، وَأَدْخَلَتْ سَيْفَ الْقَاهِرِ الْجَبَّارِ فِي غَمْدِهِ ، وَنَجَّتْ قَوْمَهَا مِنَ الْخُرَابِ ،
وَأَقْدَتَهُمْ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ ؛ حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَصِيدَةً فِي ذَلِكَ ؛ مِنْهَا :

نَحْنُ قَوْمٌ تُذَيِّبُنَا الْأَعْيُنُ النَّجْبَلُ^(٧) عَلَى أَنَّأُ نُذَيِّبُ الْحَدِيدَا
طَوْعَ أَيْدِي الْغَرَامِ تَقْتَادُنَا الْغَيْدُ^(٨) وَتَقْتَادُ بِالطَّعَامِ الْأَسْوَدَا

(١) معاق عليه صوف ملون في الحرب .
(٢) نَمِّمُ الشيء : زخرفه وزينه .
(٣) يريد الأصابع الخمس .
(٤) القنا : الرماح .
(٥) النؤال : الحشب الذي يلف عليه الثوب وكان النسيج من صنيع النساء ، والحف من حفت المرأة وجهها من الشعر : أزالته .
(٦) غرب الشيء : حده ، والمراد : رده عن وجهه .
(٧) النجل : جمع نجلاء ، وهي العين الواسعة الحسنة .
(٨) الغيد : جمع غيداء ، وهي اللينة الأعطاف .

والأخرى التي لها ما يُعْأَثِلُ ذلك مع أحد ملوكِ الفُرس وهو يُحَارِبُ قَوْمَهَا في بلادِ يَهُودَا أثناءَ الزَمَنِ الأوَّلِ ، إلى غير ذلك من هَذِهِ الوقائع .

هذا ما قَوَّى وَقَعَ المصيبةَ فِينَا ، وأمدَّ^(١) جيوشَ الهُمومِ عَلَيْنَا . أمَّا مَوْلَايَ الوزيرُ فما يُبْعِدُ الأَسْفَ منه ، وَيُزِيلُ الكَدْرَ عَنْهُ ، عَلِمَهُ بِضَوْءِ حِكْمَتِهِ ، وَنُورِ فِلْسَفَتِهِ ، أَنَّهُ مَا فَقَدَ تِلْكَ الفَقِيدَةَ ، وَمَا صَارَتْ عَنْهُ بِعِيدَةَ ، فَهُوَ يَسْتَنْشِقُهَا فِي رَوَائِحِ الأَزْهَارِ ، وَيَرَاهَا فِي أَغْصَانِ الأشْجَارِ ، وَيَسْمَعُ صَوْتَهَا فِي صَوْتِ الأَطْيَارِ ، وَتَمُرُّ عَلَيْهِ فِي رِيحِ الصَّبَا^(٢) مِنْ لِيَالِي الرَّبِيعِ ، وَيُشَاهِدُهَا فِي كُلِّ شَكْلِ لَطِيفٍ أَوْ بَدِيعٍ .

أَلْهَمْنَا اللهُ عَلَيْهَا جَزِيلَ الصَّبْرِ ، وَأَلْبَسَ مَوْلَايَ الوزيرَ ثَوْبَ الأَجْرِ ،
إِنْ شَاءَ اللهُ .

وقال في وصف الصباح (من كتابه : حديث عيشي بن هشام) :

جَلَسْنَا نَتَجَادِبُ أَطْرَافَ الحَدِيثِ ، مِنْ قَدِيمِ فِي الزَمَانِ وَحَدِيثٍ ، إِلَى أَنْ صَارَتِ اللَّيْلَةُ فِي أُخْرِيَاتِ الشَّبَابِ ، وَاسْتَهَانَتْ بِالْإِزَارِ وَالنَّقَابِ ، ثُمَّ دَبَّ المَشِيبُ فِي فَوْدِهَا^(٣) ، وَبَانَ أَمْرُ الوَضَحِ^(٤) فِي جِلْدِهَا ، فَعَبِثَتْ بِالعُقُودِ وَالقَلَائِدِ ، مِنْ الجَوَاهِرِ وَالْفَرَائِدِ ، وَنَزَعَتْ مِنْ صَدْرِهَا كُلَّ مَنْشُورٍ وَمَنْظُومٍ

(١) جاء إليها بالمدد .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق .

(٣) الفود : الشعر الذي في جانب الرأس مما يلي الأذنين من الأمام .

(٤) وضع الجلد : ما يصيبه من البرص ونحوه . ويكنى الكاتب به عن ضوء الصبح .

مِنْ دُرِّ الْكَوَاكِبِ وَوَلَّى النُّجُومِ ، وَأَلْقَتْ بِالْفِرْقَدَيْنِ (١) مِنْ أُذُنِهَا ،
وَوَلَعَتْ خَوَاتِيمَ الثُّرَيَّا (٢) مِنْ يَدَيْهَا ، ثُمَّ إِنِّهَا مَزَّقَتْ جِلْبَابَهَا ، وَهَتَكَتْ
حِجَابَهَا ، وَبَرَزَتْ لِلنَّاظِرِينَ عَجُوزاً شَمَطَاءً (٣) ، تَرْتَعِدُ مُتَوَكِّئَةً عَلَى عَصَا
الْجُوزَاءِ (٤) ، وَتُرَدِّدُ آخِرَ أَنْفَاسِ الْبَقَاءِ ، فَسَتَرَهَا الْفَجْرُ بِمِلَاءِ تِهِ الزَّرْقَاءِ ،
وَوَدَّرَجَهَا (٥) الصُّبْحُ فِي أَرْضِيتهِ الْبَيْضَاءِ ، ثُمَّ قَبَرَهَا فِي جَوْفِ الْفَضَاءِ ، وَقَامَتْ
عَلَيْهَا بَنَاتُ هَدِيلٍ (٦) ، نَائِحَةً بِالتَّسْجِيعِ وَالتَّرْتِيلِ ، ثُمَّ انْقَلَبَ الْمَأْتَمُ فِي الْحَالِ
عُرْسَ اجْتِلَاءٍ ، وَتَبَدَّلَ النَّحِيبُ بِالْغِنَاءِ ، لِإِشْرَاقِ عَرُوسِ النَّهَارِ ، وَإِسْفَارِ
مَلِيكَةِ الْبَدُورِ وَالْأَقْتَارِ .

وقال في وصف الأهرام :

وَقَفْنَا هُنَاكَ مَوْقِفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، قُبَالَةَ ذَلِكَ الْعَلَمِ (٧) الَّذِي يَطَاوِلُ
الرَّوَابِي وَالْأَعْلَامِ ، وَالْمُهْضَبَةَ الَّتِي تَعْلُو الْمِضَابَ وَالْآكَامَ (٨) ، وَالْبِنْيَةَ (٩) الَّتِي
تَشْرَفُ عَلَى رَضْوَى وَشَمَامِ (١٠) ، وَتُبْلِي بِبِقَائِهَا جَدَّةَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَتَطْوِي تَحْتَ
ظِلَالِهَا أَقْوَاماً بَعْدَ أَقْوَامٍ ، وَتُفْنِي بِدَوَامِهَا أَعْمَارَ السِّنِينَ وَالْأَيَّامِ ، خَلَقَتْ
مِيَابُ الدَّهْرِ وَهِيَ فِي ثَوْبِهَا الْقَشِيبِ ، وَشَابَتْ الْقُرُونُ وَأَخْطَأَ قَرْنُهَا وَخَطُّ
الْمَشِيبِ ، مَا بَرِحَتْ ثَابِتَةً تُنَاطِحُ مَوَاقِعَ النُّجُومِ ، وَتَسْخَرُ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبِ

- (١) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالى ، يهتدى بهما فى الليل ، وقد شبههما بالقرط
فى أذن المرأة .
(٢) مجموع كواكب .
(٣) مشى البياض فى شعرها .
(٤) الجوزاء : برج فى السماء .
(٥) درجها : طولها .
(٦) بنات هديل : الحمام .
(٧) قبالة : أمام وتجاه . والعلم : الجبل .
(٨) الآكام : جمع أكمة ، وهى التل .
(٩) البنية : البناء .
(١٠) رضوى وشمام : جبلان .

وَالرُّجُومَ ، وَتُحَدِّثُ حَدِيثَ الْمَشَاهِدَةِ وَالْعِيَانِ ، مَا تَعَاقَبَ الْفَتْيَانُ ^(١) ، وَتَنَاقَبَ
الْمَلَوَانِ عَنِ قُدْرَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ ، فِي بَدَائِعِ الصَّنْعِ وَالْإِتْقَانِ وَتُنَبِّئُ
عَنْ قُوَّةِ هَذَا الضَّعِيفِ الضَّئِيلِ ، فِي إِقَامَةِ مِثْلِ هَذَا الْأَثْرِ الْجَلِيلِ ، وَكَيْفَ
لِهَذَا الْفَانِ الْبَائِدِ ، أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا الْبَاقِي الْخَالِدِ - وَجَلَّ صُنْعُ
الْقَدِيرِ الْخَالِقِ ، فِي تَصْوِيرِ هَذَا الْحَيَوَانَ النَّاطِقِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ مَصْدَرًا
لِلْأَعْمَالِ الْمُتَنَافِضَةِ ، وَالْأَفْعَالِ الْمُتَغَايِرَةِ الْمُتَعَارِضَةِ ، فَبَيْنَمَا تَرَاهُ يَصْمَدُ إِلَى
أَجْرَامِ السَّمَاءِ وَعَوَالِمِهَا ، وَيَبْحَثُ بِفِكْرِهِ فِي رُسُومِهَا ، وَمَعَالِمِهَا ، وَيَسِيرُ
بِعِلْمِهِ فِي أَنْحَاءِهَا وَمَنَاكِبِهَا ، وَيَهْتَدِي لِحَسَابِ أَقْتَارِهَا وَكَوَاكِبِهَا ، إِذْ تَرَاهُ
يَعْتُرُ عَثْرَةَ بَرَجِلِهِ ، فَيَكُونُ فِيهَا مُنْتَهَى أَجَلِهِ ، أَوْ يَكْبُو فِي طَرِيقِهِ ،
فَيَغْصُ بِرِيقِهِ . ذَاكَ الَّذِي كَبُرَ وَصْفُهُ ، وَعَظُمَ وَحَقْرُهُ ، وَعَزَّ وَذَلُّهُ ، وَكَثُرَ
وَقَلُّهُ ، وَصَعِدَ وَهَبَطَ ، وَعَلَا وَسَقَطَ ، وَصَلَحَ وَفَسَدَ ، وَعَرَفَ وَجَحَدَ ،
وَسَعَدَ وَشَقِيَ ، وَفَنِيَ وَبَقِيَ ، وَسُبْحَانَ الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ .

٢١ - مصطفى صادق الرافعي ^(٢)

قال يصف البلاغة النبوية :

هَذِهِ الْبَلَاغَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي سَجَدَتْ الْأَفْكَارُ لِآيَاتِهَا ، وَحَسَرَتْ ^(٣)

(١) الفتيان والملوان . الليل والنهار .

(٢) عني في مطلع حياته بالشعر ، فأخرج ديواناً في ثلاثة أجزاء ، ثم تجرد للنثر ، فأجاد فيه ، وترك
النظم إلا في النادر وهو قوي التوليد المعاني ، بالنم التجويد للانعاظ ، واسع الاطلاع على الأدب العربي ،
وقد كان شديد الغيرة على العروبة ، وكان يكثر من المجازات والتشبيهات ، ويتخير من الألفاظ الجزل
والفخم . توفي سنة ١٩٣٧ م .

(٣) حسرت العقول : ارتدت ونجذات .

الْعُقُولُ دُونَ غَايَاتِهَا . لَمْ تُصْنَعْ ، وَهِيَ مِنَ الْإِحْكَامِ كَأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ ، وَلَمْ
يُتَكَلَّفْ لَهَا ، وَهِيَ عَلَى الشَّهْوَةِ بِعِيدَةٍ مَمْنُوعَةٍ (١) .

أَلْفَاظُ النُّبُوَّةِ يَعْمُرُهَا قَلْبٌ مُتَّصِلٌ بِجَلَالِ خَالِقِهِ ، وَيَصْقُلُهَا لِسَانٌ نَزَلَ
عَلَيْهِ الْقُرْآنُ بِحَقَائِقِهِ ، فَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَحْيِ ، وَلَكِنَّهَا جَاءَتْ
مِنْ سَبِيلِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْهُ دَلِيلٌ ، فَقَدْ كَانَتْ هِيَ مِنْ دَلِيلِهِ .

مُحْكَمَةُ الْفُضُولِ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عُرْوَةٌ مَفْضُولَةٌ ، مَحذُوفَةٌ الْفُضُولِ .
حَتَّى لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ مَفْضُولَةٌ .

وَكَأَنَّهَا هِيَ فِي اخْتِصَارِهَا وَإِفَادَتِهَا ، نَبْضُ قَلْبٍ يَتَكَلَّمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ
فِي سُمُوِّهَا وَإِجَادَتِهَا ، مَظْهَرٌ مِنْ خَوَاطِرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إِنْ خَرَجَتْ فِي الْمَوْعِظَةِ ، قُلْتُ : أَنْبِئُنِي مِنْ فُؤَادِ مَقْرُوحٍ ، وَإِنْ
رَاعَتْ بِالْحِكْمَةِ ، قُلْتُ : صُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ مِنَ الرُّوحِ فِي مَنْزِعٍ (٢) يَلِينُ
فَيَنْفِرُ بِالْدُمُوعِ ، وَيَشْتَدُّ (٣) ، فَيَنْزُو (٤) بِالْدَّمَاءِ .

وَإِذَا أَرَاكَ الْقُرْآنُ أَنََّّهُ خِطَابُ السَّمَاءِ لِلْأَرْضِ ، أَرَاكَ هَذَا أَنَّهُ كَلَامُ
الْأَرْضِ بِعَدِّ السَّمَاءِ .

(١) أى تمتنع على من يحاول محاكمتها .

(٢) منزع - هنا - : أسلوب .

(٣) ينفر بها : يندفعها

(٤) ينزو : يثب .

(ب) الشعر

١ - الخشاب^(١)

كتب علي ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قل للرئيس أبي الحسين محمد
خذن المعالي والسرى الأجد^(٢)
والخاذق الفطن اللبيب أخي الذكا
اللوزعي الألمي الأوحده^(٣)
ألزمت نفسك في القريض مذهباً
ذهبت بشعرك في الحضيض الأوهده^(٤)

كدرت منه بما صنعت مجوره
فعدت مشارع لیس ينحوها صدى^(٥)
فإذا نظمت فكن لنظمك ناقدًا
نقد البصير بذهنك المتوقد
أولافدع تكليف نفسك واسترخ
من قولهم ما شعره بالجيد
ولئن عنفت^(٦) عليك فيما قلته
فلقد بذلت النصيح للمسترشد

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد إسماعيل الخشاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد علي باشا الكبير وقد توفي سنة ١٢٣٠ هـ وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة

(٢) الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب ، والسرى : السيد الشريف السخي .

(٣) اللوزعي : الذكي الذهن . والألمي : الذكي المتوقد الذكاء .

(٤) القريض : الشعر . والحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ؛ والأوهده : العظيم الانخفاض والمراد أن شعره نزل إلى أسفل الدرك ، وقد صرف (مذاهب) لضرورة الشعر .

(٥) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشارع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء وينحوها يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد المعش .

(٦) عنفت : فسوت ، والمسترشد : طالب الرشده والهداية .

وقال متغزلاً :

يَا شَقِيقَ الْبَدْرِ نُورًا وَسَنَى وَأَخَا الْغُصْنِ إِذَا مَا أُنْعَطَفَا^(١)
بِأَبِي مِنْكَ جَبِينًا مُشْرِقًا لَوْ بَدَا لِلنَّيِّرِينَ أَنْكَسَفَا^(٢)
يُنْفِيتِي مِنْكَ رُضَابٌ وَرَضَا وَعَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا الْعَفَا^(٣)

٢ - الشيخ حسن العطار^(٤)

قال يتغزل :

أَعْنِ الْمَحِبُّ ثَنَّاكَ عَنْهُ وَجَبِيهُهُ ؟ أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى الْبِعَادِ رَقِيبُهُ ؟^(٥)
هَجَرَ الْكَرْمَى لِمَا هَجَرَتْ وَوَاصَلَتْ هُ شُجُونُهُ وَازْدَادَ فِيكَ نَحِيبُهُ^(٦)
لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا فِي هَوَاكَ ، وَإِنَّمَا قَدْ كَانَ بِالْهَجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُهُ
أَفْقَرْتَهُ مِنْ حُسْنِ وَصْلِكَ بَعْدَ مَا جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنَسِيبُهُ^(٧)
لَوْ لَلِقَا عَطْفَتِكَ مِنْهُ شِكَايَةٌ رَقَّتْ وَدَمَعَتْ طَافِحُ شَوْبُوبُهُ^(٨)
لَرَأَيْتَ جَسْمًا كَالْخِلَالِ مِنَ الضَّنَا وَلَهَيْبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تَذِييبُهُ^(٩)

(١) السنى : الرفعة أو الضوء . وانعطف : مال وانثنى .

(٢) بأبي : أفدى بأبي . والنيران : الشمس والقمر .

(٣) الرضاب (بضم الراء) : الريق المرشوف . والعفاء : الهلاك .

(٤) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ، بوسار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها . ثم صار شيخا للأزهر الشريف . وكان على علمه شاعرا ، كاتباً بليفاً ؛ توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

(٥) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٦) الشجون جمع شجن بفتحين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد .

(٧) النسيب : رقيق الشعر في الغزل .

(٨) عطفتك : أمالتك إليه وحببتك . الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شأبيب .

(٩) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التي يتخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

صِلُهُ لَتَسْتَبْقَى بِهِ الرَّمَقَ الَّذِي
أَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فِيكَ تَأْسِيًا
لَوْلَا الْأَمَانِ مَا بَقِيَ مَوْهُوبُهُ^(١)
وَالصَّبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نَجِيْبُهُ^(٢)
وَبَلِيَتْ مِنْكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَدَّدَ
دَى نَحْوِ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كُرْمُوبُهُ^(٣)

أَفَلَا رَأَيْتَ لِمَاشِقٍ لَعَبَتْ بِهِ
أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمَنْ عَجِبَ تُعَذُّ
أَيْدَى الْمُنُونِ وَنَازَعَتْهُ خُطُوبُهُ^(٤)
ذِبُهُ ، وَتُمْرُضُهُ وَأَنْتَ طَبِيبُهُ

وقال متغزلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْكَ يَا كُلَّ الْمُنَى
لَسْتُ أَبْغِي مِنْ زَمَانِي حَاجَةً
بِالَّذِي تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الْفَرَامِ
غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا وَالسَّلَامِ

وقال يصف بركة الازبكية :

بِالْأَزْبَكِيَّةِ طَابَتْ لِي مَسَرَّاتُ
حَيْثُ الْمِيَاهُ بِهَا وَالْفُلُكُ سَاجِحَةٌ
وَلَدَّ لِي فِي بَدْيِجِ الْأَنْسِ أَوْقَاتُ
كَأَنَّهَا لِبُدُورِ الْحُسْنِ هَالَاتُ^(٥)

(١) الرَّمَقُ : بفتحين بقية الحياة يقول : لأنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر ، بل استبقها بالوصل .

(٢) التَأْسَى : التصبر والتعزى . والنَجِيبُ : البعير الكريم .

(٣) اللَاحِي : الشاتم العائب والطود بفتح الطاء وسكون الواو . الجبل العظيم . كرموبه مصائبه الشديدة

(٤) رَأَى لَهُ : رَقَ لَهُ وَعَطَفَ عَلَيْهِ . الْمُنُونُ : الموت .

(٥) الْفُلُكُ — بضم الفاء وسكون اللام : السفينة ولفظ جمه كلفظ مفرده . والمراد بـ (الزهر)

بضم الزاى : النجوم المشرقة .

(٦) هَالَاتُ : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر .

والماء حين سرى رطبُ النسيم به وحلّ فيه من الأدواح زهرات^(١)
كسابغاتِ دروع فوقها نقط^(٢) من فضة، واحمرارُ الوجه طعنات^(٣)

٣ - السيد علي الدرويش

قال يرثي صديقه الشيخ علي الغلباني :

أفرّ من المحتوم ، وهو مطاردى وهل أملي إلا حبال المصايد^(٤)
وأرصد أفق الوهم والأمل الشهي ورائد موتي كامن في ورائدي^(٥)
وثقتُ بآمالي ، ولم تف مرة ولا ثقة لي بالندير المعاهد
فأستبعدُ المعلوم ، وهو مقاربي وأستقربُ المجهول ، وهو مباعدى
ومن عتسي خلتُ التجاهر خافياً بغش زيوفٍ عدّها كل ناقد^(٦)
أحاذرُ مرأى الناسِ لا الله في الهوى وعندهم تفصيلُ نقصى وزائدي
لأمارتي بالسوء مُستعبدٌ ولي مداهنةً في الله ، صورةً قابد^(٧)
أبالغُ في الإسرافِ حتى كأنني لميتٌ غداً ، لكن لي حرصٌ خالد

- (١) الأدواح : جمع دوحه بفتح الدال ، وهي الشجرة العظيمة .
(٢) الدروع : جمع درع وهي القميص من زرد الحديد يلبسه المحارب يتقي به سلاح العدو . والدروع السابغات : الطويلة الضافية . والشاعر يشبه البركة وما يملؤها من الزبد والفقاقيع بالدروع الضافية ترصع بالفضة ، ويشبه الورد فيها بالدم من آثار الطعنات .
(٣) هو السيد علي أفندي الدرويش بن حسن المصري ، كان أديبا شاعراً ولوعاً في شعره ونثره بالحسنات البديعية للغاية القصوى وهو أبرع من علم في التواريخ الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ .
(٤) المحتوم : الحادث الذي لامر من وقوعه .
(٥) ورائد موتي : وطالب موتي . ورائد : جمع وريد . وهو عرق في العنق .
(٦) عتسي : العتة بفتح العين نقص العقل بلا جنون . زيوف : جمع زيف بفتح فسكون وهو الدرهم المشوش . يقول : ومن نقص عقلي وقصور تفكيري ظننت أن الجهر بالأمور الباطلة المشوشة التي راج غشها على الناس أمر خاف على الله .
(٧) أمارتي بالسوء : نفسي . المداهنة في الله : أن تظهر له خلاف ما تبطن . يقول : لأنني مستعبد لنفسي خاضع ليلوها ولكنني أظهر خلاف ما أبطن نفاقاً ومداهنة ، فأظهر بصورة العابد الطائم ، على حين أجاري نفسي وأخضع لها في الخفاء .

٤ - الشيخ شهاب^(١)

قال من قصيدته التي أنشأها لتكتب حول « جامع القلعة » :

عَرْمُوسُ كُنُوزٌ قَدْ تَحَلَّتْ بِمَسْجِدِ
أُمِ الْجَنَّةِ الْمَبْنِيِّ حَالِي قُصُورِهَا
أُمِ الْمَكْرَمَاتِ الْأَصْفِيَّةِ أَبْدَعَتْ
هُوَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى تَنْزَلَ وَأُزْدَهِي
أَلَا إِنَّ تَجْدِيدَ الْعَجِيبِ مِنَ الْبِنَاءِ
فَدَعَّ قَصْرَ عُمْدَانَ وَأَهْرَامَ هُرْمُسِ
وَدَعَّ إِرْمًا ذَاتَ الْعِمَادِ وَنَحْوَهَا
وَدَعَّ أُمُومَى الشَّامِ وَأَنْزَلَ بِمِصْرِنَا
فَلَوْ عُدَّتْ فِي الْكَوْنِ بَدْءُ بَدَائِعِ
كَأَنَّ اللَّيَالِي أُلُودَاتِ عَجَائِبِنَا
مُكَلَّمَةٌ تَبِجَانُهَا بِالزَّبْرِ جَدِ
بَابَنْهَجٍ يَأْقُوتُ وَأَبْهَى زُمُرْدِ
هَيُولَى أَعَاجِيبِ بِصُورَةِ مَسْجِدِ^(٢)
بِزُهرِ الدَّرَارِي جَامِعًا كُلَّ فِرْقَدِ
يُؤَكِّدُ تَأْسِيسَ اقْتِدَارِ الْمُجَدِّدِ
وَإِيوَانَ كِسْرِي إِنْ أَرَدْتَ لِتَهْتَدِي
وَعَرْشًا لِبَلْقَيْسٍ كَصَرْحِ مُرْمَدِ
وَبَادِرٍ إِلَى هَذَا بِإِيْمَاءِ مُرْشِدِ^(٣)
لَكَانَ بِهِ نَخْتَمُ لِدَاكِ التَّعَدُّدِ
أُصْبِنَ بِعُقْمٍ بَعْدَ هَذَا التَّوَلُّدِ^(٤)

(١) هو شهاب الدين محمد بن إسماعيل المسكي الأصل المصري المنشأ . كان شاعراً متأدباً موسيقياً ، اشتغل في الكتابة بالوقائع المصرية أول ظهورها مساعداً للشيخ حسن العطار ، ثم كان رئيساً لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجل مؤلفاته سفينته التي حفظت كثيرا مما كانت تتغنى به العامة في عصره وقيبله . وتوفي سنة ١٢٧٥ هـ .

(٢) الأصفية : نسبة إلى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، والهيولى عند القدماء . الطينة التي خلق منها العالم .

(٣) يريد بأُمُومَى الشام : جامع دمشق العظيم .

(٤) يقول كأن الليالي التي تلد العجائب أصيبت بعد بناء هذا الجامع بعقم ، فكان آخر مولود من عجائبها لروعته وإعجاز هندسته . وفي البيت إشارة لقول الشاعر القديم :
والليالي من الزمان حبالٍ مثقلات يلدن كل عجيبة

هـ - الشيخ ناصيف اليازجي^(١)

قال في الغزل :

حَوَاكِ وَقَدْ حَلَلْتِ بِكُلِّ قَلْبٍ فُوَادُ لَمْ يُحْمَلْ بِهِ سِوَاكَ
نَزَلْتِ بِهِ عَلَيَّ طَلَلٍ تَفَانِي وَلَسْتُ بِمَنْ عَلَيَّ طَلَلٍ تَبَاكِي^(٢)
أَطَعْتَ الْعَاذِلِينَ بِقَتْلِ صَبٍّ يُرِيدُ الْقَتْلَ لَكِنْ عَنْ رِضَاكَ
تَعَزُّ كَرَامَةً ، وَيَهُونُ ذُلًّا فَتَأْنَفُ أَنْ يَقُولَ : دَمِي فِدَاكَ

وقال :

كُفَّ عَنِّي لَا أَبَالَكَ قَدْ تَبَيَّنَّا مِحَالِكَ^(٣)
قَدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكَ
قَدْ مَضَى لِي بِكَ عَصْرٌ حَامِلًا فِيهِ مَلَالِكَ
حَسْبُ قَلْبِي مِنْكَ جَوْرٌ كَادَ مِنْهُ يَتَهَالِكَ
وَكَفَانَا مَا احْتَمَلْنَا مِنْكَ فَاسْتَدْعِ احْتِمَالِكَ
سَتَرِي النَّادِمَ مِنَّا وَيُسِيءُ اللَّهُ فَالِكَ

(١) هو ناصيف بن عبد الله اليازجي ، شاعر من كبار الأدباء والمنشئين ، له بحوث مختلفة في فقه اللغة وله كتاب « مجمع البحرين » ، وهو مجموعة مقامات مثل مقامات الحريري ، وكتب أخرى في النحو ، وتوفى سنة ١٢٨٧ هـ .

(٢) الطلل : الشاخص من آثار منزل قديم . يقول : نزلت بقلبي على أثر بال من شدة الوجد والوله ، تفانى فيك غراما ، ولكنك لم تبك عليه ولم ترق له ، شأن الذين يشهدون الآتار البالية فيأسفون عليها .

(٣) المحال بكسر الميم الحديعة والكيد .

وقال من قصيدة يرثي بها صديقاً له :

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْبُشْرَى بِرُؤْيَيْتِهِ نَجَاءَنِي غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ
إِنْ كَانَ قَدَفَاتِ شَهْدِ الْوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لَكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرُ
أَحَبُّ شَيْءٍ لِعَيْنِي حِينَ أَذْكَرُهُ دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيْءٍ عِنْدَهَا السَّهْرُ
هَذَا الصَّدِيقُ الَّذِي كَانَتْ مَوَدَّتُهُ كَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ لَا يَغْتَالُهَا كَدْرُ (١)
لَا غَرْوَ إِنْ أَحْزَنَ الزَّوْرَاءُ مَصْرَعُهُ مَخْزَنُهُ فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَدْرُ (٢)

وقال يرثي صديقاً آخر له :

الْمَوْتُ يَخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِهِ مِمَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا أَعْتَدِي
قَدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةٌ مَكْنُونَةٌ كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارِي حُسْدَا
كَنَزُّ ذَخْرِنَاهُ لَنَا فَاغْتَالَهُ لِحِصْنِ الْمَنِيَةِ خَاطِفًا مُتَمَرِّدَا (٣)

وقال يرثي طيباً من أصدقائه :

قَدْ كَانَ فِي طَيْبِهِ لِلنَّاسِ مَنَفَعَةٌ فَإِذَا أَتَى الْمَوْتُ ذَاكَ الطَّبَّ مَا نَفَعَا
وَكَانَ يُبْرِئِي مِنَ النَّاسِ الْجِرَاحَ فَهَلْ يُبْرِئِي جِرَاحَ فُؤَادٍ بَعْدَهُ أَنْصَدَا (٤)
صَارَتْ إِلَى اللَّهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً جِسْمًا يُرَى فِي رَابِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعَا
كُلٌّ إِلَى أَصْلِهِ قَدْ عَادَ مُنْقَلِبًا فَانْحَطَّ هَذَا وَهَذَا طَارَ مُرْتَفِعَا (٥)

(٢) الزوراء : مدينة حلب .

(١) يغتالها : يخالطها فيقضي عليها .

(٣) فاغتاله : قتلته خفية .

(٤) انصدع : انشق . وهذا كناية عن شدة وقع المصيبة عليه .

(٥) يقول : قد رجع جسمه وروحه إلى أصلهما بعد موته ، فالروح ارتفع إلى الله في السماء والجسم

عاد إلى تراب الأرض الذي خلق منه في الأصل .

٦ - السيد علي أبو النصر^(١)

قال يتحسر على فراق أحبابه :

لَقَدْ ذَهَبَ النَّوَى بِجَمِيلِ صَبْرِي وَأَوْدَعَ فِي حُشَاشَتِي الْوَلُوعَا^(٢)
وَأَلْبَسَنِي الْأَسَى خَلَعَ التَّمَنَّى وَالزَّمَنِي التَّذَلُّ وَالْخُضُوعَا^(٣)
وَنَارُ الشَّوْقِ أَغْرَاهَا غَرَامِي عَلَى كَبِدِي فَقَوَّمتِ الضُّلُوعَا^(٤)
وَلِي قَلْبٌ ثَقَلْبُهُ شُجُونِي وَتَمَنَعَهُ السَّكِينَةَ وَالْهُجُوعَا^(٥)
يَبِيْتُ مَعَ الْأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا وَيُصْبِحُ رَاجِيًا مِنْهُمْ رُجُوعَا
يَرَى أَضْغَاتَ أَحْلَامِ الْأَمَانِي حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وُلُوعَا^(٦)
تَطُوفُ بِهِ الْحَوَادِثُ وَهُوَ لَاهٍ كَأَنَّ الْوَهْمَ أَلْبَسَهُ دُرُوعَا
وَرُبَّ مُكَابِدٍ عَانِي خُطُوبَا وَمُفْرَدٌ عَزَمِهِ عَزَّ الْجُمُوعَا^(٧)
وَقَائِلَةٌ : إِلَامٌ تَحْنُ شَوْقَا إِلَى حَيٍّ أَحَالَ بِكَ الْهُلُوعَا^(٨)

(١) هو الشريف العالم الشاعر الزجال ، أصله من منفلوط بأسسيوط ، درس بالأزهر وبرع في الأدب واتصل بالبيت الحديوي من عهد محمد علي باشا الكبير إلى عهد توفيق باشا وبعد شعره متوسطا ، وله ولع بالتاريخ الشعري ، وقد توفي سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) النوى : البعد والفرقة ، والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع بفتح الواو : شدة العشق

(٣) الأسى : الحزن والهم . خلع : جمع خلعة بكسر فسكون ، وهي الثوب الذي يعطى منحة .

(٤) يريد أن نار الشوق لشدها جعلت أضلعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية .

(٥) المهجوع : النوم في الليل .

(٦) أضغاث الأحلام : المختلطة المتبسة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع ، وهو الحب .

(٧) عز الجموع : غلبها .

(٨) الحى : منازل القوم . والهلع بضم الهاء . الجزع .

فَقُلْتُ لَهَا : وَقِيَتِ الْبَأْسَ ؛ إِنِّي
أَبْعَدَ فِرَاقِهِمْ تَرْتَاخُ رُوحِي
أَوْدُ بِحِيَّتِهِمْ أُدْعَى هَلُوعًا^(١)
وَتَرْجُو سَاعَةً أَنْ لَا تَلُوعًا^(٢)
فَكَيْفَ أَرَى إِلَى السَّلْوَى نُزُوعًا؟^(٣)
وقال رحمه الله :

نُورُ زَاهِي الرَّوْضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحِ
وَنَجْمٌ تَزْدَهِي فِي أَفْقِهَا
وَابْتِسَامُ الشَّعْرِ أَمْ زَهْرُ الْأَقَاخِ
بِوَمِيضِ الْبَرْقِ أَمْ كَاسَاتُ رَاحِ
لِلنَّدَامَى فِي اغْتِبَاقٍ وَاصْطِبَاحِ^(٤)
بِمُحْيَا يَزْدَرِي شَمْسَ الضُّحَى
فِي مَعَانِي حُسْنِهِ تَعْيَا الْفِصَاحِ^(٥)
وقال رحمه الله متغزلا :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلْفٍ عَنِيْدٍ
بَلَّغَهُ الشَّوْقُ مَدَى الْمَجْهُودِ
حَيَاتُهُ فِي قَبْضَةِ الصَّدُودِ^(٦)
مَا فَوْقَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ مَزِيدِ^(٧)
وَاهَا عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجْدٍ

(١) البأس : الشدة . الهلوع بفتح الهاء الشديد الجزع .

(٢) تلوع : تمسها حرقة الحزن .

(٣) الراح : الحمر ، ونزوعا : ميلا .

(٤) الندامى : جمع نديم ، وهم القوم يجتمعون للشراب . الاغتباق : الشرب بالعشى . والاصطباح :

الشرب في الصباح .

(٥) الحيا : الوجه . يزدري : يحتقر . تعيا : تمجز

(٦) كلف : مشتاق .

(٧) مدى الجهود : نهاية الجهد ، يقول إن الشوق بلغ به غاية لا يستطيع احتماله بعدها :

جَارَ عَلَيْهِ حَاكِمُ الْغَرَامِ فَدَقَّ أَنْ يُدْرِكَ بِالْأَفْهَامِ^(١)
فَلَوْ أَتَاهُ طَارِقُ الْحَمَامِ لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ^(٢)
إِلَّا إِذَا صَدَّرَهُ فِي الْبُرْدِ

لَهُ اهْتِرَازٌ وَارْتِيَاخٌ وَطَرَبٌ لَوْجِهِ مِنْ أَوْرَثِهِ طَوْلَ الْكُرْبِ^(٣)
فَهَلْ سَمِعْتُمْ فِي الْأَحَادِيثِ الْعَجَبِ بَيْنَ مُنَاهِ قَرْبُ مَنْ مِنْهُ الْعَطْبُ
وَمَنْ رَأَى الْغَىَّ بِدَيْلِ الرَّشْدِ

مَا الْعُذْرُ فِي الشَّلْوِ عَنْ غَزَالٍ مَنْقُطِعِ الْأَقْرَانِ وَالْأَشْكَالِ
تَسْتَخْلِفُ الشَّمْسُ لَدَى الزَّوَالِ ضِيَاءَ خَدْيِهِ عَلَى اللَّيَالِي^(٤)
فَصَارَ نُورُ الْبَدْرِ غَيْرَ مُجْدِي^(٥)

وكتب إلى بعض أصحابه :

حُرُوفٌ وَوُدِّي وَسَائِلٌ وَالذَّمْعُ جَارٍ وَسَائِلٌ^(٦)
وَلَوْعَاتِي وَشُجُونِي تَضِيقُ عَنْهَا الرَّسَائِلُ^(٧)

(١) الأفهام : العقول .

(٢) الحمام بكسر الحاء : الموت .

(٣) الكرب بضم ففتح : المصائب التي تكرب النفس .

(٤) نور خديه يخلف الشمس بعد المغيب فيطلع على الليالي ساطعا فينيرها .

(٥) غير مجدي : غير نافع .

(٦) وسائل (الأولى) جمع وسيلة . أما الثانية فالواو حرف عطف و « سائل » اسم فاعل من :

صَالَ يَسْلُ .

(٧) اللوعة : حرقة الهوى . والشجون : جمع شجن بفتحين ، وهو الهم والحزن .

لِي فِي هَوَاكُمُ غَرَامٌ - طَوْلَ الْمَدَى - غَيْرُ زَائِلٌ
لَمَّا هَجَرْتُمْ وَبَانَتْ صَبَابَتِي لِلْمَوَازِلِ^(١)
دَخَلْتُ دَارَ أَصْطَبَارِي خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ طَائِلِ^(٢)
فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ : جُودِي بِالْمُرْسَلَاتِ الْهُوَامِلِ^(٣)
وَقَدْ أَمَرْتُ يَرَاعِي نَخَطًا مَا أَنَا قَائِلِ^(٤)
وَحُبُّكُمْ فِي ضَمِيرِي سِوَاهُ زُورٌ وَبَاطِلٌ
وَمَدْحُكُمْ - كُلَّ وَقْتٍ - فَرَائِضٌ لَا نَوَافِلِ^(٥)
وَإِنْ سَأَلْتُمْ فَإِنَّ بِشُكْرِكُمْ لَا أَمَاطِلِ^(٦)
أَوَاخِرُ الشُّوقِ عِنْدِي إِلَى لِقَاكُمْ أَوَائِلِ

(١) الصبابة : شدة العشق .

(٢) جعل للاصطبار داراً دخل فيها ثم خرج لم يستفد شيئاً .

(٣) المرسلات : أى الديموع المرسلات ، أى الجاريات . والهوامل : الفائضات بالدموع .

(٤) اليراع - فى الأصل - القصب ، والمزمار ينفخ فيه راعى الإبل أو الغنم ، ثم استعير للافلام .

(٥) الفرائض : ما يجب على الإنسان القيام به حتماً . والنوافل : ما يقوم به الإنسان طلباً للثواب وليس

محتوماً عليه فعله ، وأكثر ما تستعمل فى الصلاة .

(٦) أماطل : أترأخى وأسوف .

٧ - صفوت الساعاتي^(١)

قال رحمه الله يرث الأديب الشيخ حسن قويدر:

يَا شَمْسَ فَضْلَ فَدَّتْكَ الشُّهْبُ قَاطِبَةً إِذْ عَنكَ لَا أَنْجُمٌ تُغْنِي وَلَا شُهْبُ
لَمَّا أَصَابَكَ لَا قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ سَهْمٌ الْمَنِيَّةُ كَادَ الْكَوْنُ يُنْقَلِبُ
مَا حِيلَةُ الْعَبْدِ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ الْعُمْرُ يُوَهَبُ وَالْأَيَّامُ تُنْتَهَبُ
لَوْ افْتَدَتْكَ الْمَنَايَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ بِخَيْرِنَا لَفَدَّتْكَ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
سَقَى ضَرِيحَكَ غَيْثَ الْعَفْوِ مَنْسَكِبًا وَلَا أَرَاتُوتُ بَعْدَكَ الْأَغْصَانُ وَالْعَذَبُ^(٢)
وَلَا اسْتَهَلْتُ عِيُونَ الْقَطْرِ بِأَكِيَّةٍ إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا الثُّوبُ^(٣)
أَمَسْتَ لِفَقْدِكَ عَيْنُ الْعِلْمِ سَائِلَةٌ تَرْجُو الشِّفَاءَ وَأَنْيَا يَنْجِجُ الْطَلَبُ^(٤)
بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ

كَأَنَّمَا نَالَهَا مِنْ حَزْنِهَا طَرِبُ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّ لَدَى نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ

(١) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا ، شاعر مصري ، ولد بالقاهرة وتعلم بها ، واتصل بشريف مكة فلزمه في بعض وقائع وصفها في شعره ، ثم استخدم في المعية ثم في مجلس أحكام الجيزة والقلبوية . واشتهر بالساعاتي لبراعته في فن الساعات ، ولكن لم يحترفه ؛ وكان حلوا الحديث حسن المحاضرة ؛ مات سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) الغيث : المطر . العذب : بفتحين : الأغصان أيضاً .

(٣) القطر بفتح القاف : المطر . والثوب بضم النون وفتح الواو : المصائب واحداً نوبة .

(٤) في هذا البيت استخدام ، فإن (سائلة) بمعنى فائضة بالدمع ، وفي قوله ترجو أعاد عليها الضمير

بمعنى السؤال .

لَوْ كَانَ يَدْرِي فَوَادِي يَوْمِ نَكْبَتِهِ كَانَ الْفِدَاءَ وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ
بِالرَّغْمِ مِنْ حَيَاتِي بَعْدَ مَضْرَعِهِ سِيَّانَ فُرْقَةٍ مِنْ أَحْبَبْتُ وَالْعَطَبُ^(١)

٨ - عبد الله باشا فكري^(٢)

كتب إلى أحمد فارس الشدياق ردًا على قصيدة له :

تَفْدِيكَ نَفْسُ شَيْخِ عَلِيلِ آسَى عَزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الْآسَى^(٣)
أَضْنَاهُ طَوْلُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ يَحْكِي لِفَرْطِ ضَنْأَهُ ذَاوِي الْآسَى^(٤)
هَزَّتَهُ سَارِيَةُ النَّسِيمِ ، وَقَدْ جَرَتْ بِشِدَا فَرُوقَ أَرِيحَةَ الْأَنْفَاسِ^(٥)
فَكَانَ فِي طَىِّ الشَّمَالِ إِذَا انْتَهَى مِنْ نَشْرِهَا طَرَبًا ، شَمُولَ الْكَاسِ^(٦)
وَكَأَنَّهَا حَمَلَتْ إِلَى رِسَالَةٍ غَرَاءَ جَاءَتْ مِنْ أَغْرَ مُوَاسَى^(٧)
كَلِيحَةَ عِذْرَاءٍ وَافَتْ صَبَّهَا مِنْ بَعْدِ طَوْلِ تَعَذُّرٍ وَشَمَاسِ^(٨)
يَفْتَرُ مَبْسُمَهَا بِحُسْنِ حَدِيثِهَا عَنْ سِحْرِ فَاتِنٍ جَفْنَهَا النَّعَاسِ^(٩)

(١) بعد مضرعه : بعد موته . العطب : الهلاك .

(٢) هو الكاتب الشاعر المترجم عبد الله باشا فكري بن محمد أفندي بليغ ، ولد بمكة ودرس بالأزهر ، وأجاد التركية والعربية ؛ وقد ترقى في المناصب حتى وصل إلى معية المقفور له سعيد باشا فإسماعيل باشا ؛ وكان يكتب عنهما مكاتبات كانت تعد نموذجاً متبعاً في المكاتبات الديوانية ، وكان كاتباً بليغاً يتأثر البديع والحوارزمي بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . وقد توفى سنة ١٣٠٧ هـ .

(٣) الشجى : المهموم ، الحزين . والآسى كذلك . عز الشيء : ندر وصعب الحصول عليه . الآسى : الطبيب .

(٤) أضناه : أسقمه وأهزله . أساه : حزنه . ذاوى : ذابل . الآس : نوع من الزهر .

(٥) الشدا : قوة طيب الرائحة . فروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية ؛ وأريحية : طيبة الريح .

(٦) الشمال : يريد بها ربح الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء الحر .

(٧) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواسى : المساعد المعاون .

(٨) صباها : عاشقها . والتعذر : التمتع . والشماس بكسر الشين : النفور والإباء .

(٩) يفتري : ينكشف . والمبسمة : الفم . والنعاس : الشديد الفتور .

تَذَنُّوْ فَيَطْمَعُ عَاشِقِيهَا أُنْسَهَا وَيُشِيرُ عِزُّ دَلَالِيهَا بِإِيَّاسٍ^(١)
أَوْ رَوْضَةٍ فَيَنجَاءُ حَيَّاهَا الْحَيَا مِنْ صَوْبِ مَحْلُولِ الْعُرَى رَجَّاسٍ^(٢)
وقال يتغزل :

كَتَبْتُ وَلَوْ لَا دَمْعُ عَيْنِي سَائِلٌ تَلَطَّيْ جَوَابِي مِنْ تَلَهَّبِ أَنْفَاسِي^(٣)
وَعِنْدِي مِنَ الْأَشْوَاقِ مَا لَمْ يَبِخْ بِهِ لِسَانٌ يَرَّاجِعُ فِي مَسَامِعِ قِرطَاسٍ^(٤)
وَلِي مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى وَشُجُونِهِ أَحَادِيثٌ تُتْلَى الشَّرْبَ عَنْ لَذَّةِ الْكَاسِ^(٥)
وَلَوْ كُنْتُ مِنْ دَهْرِي أَنَا لَمْ مَارِبِي لَسَرْتُ لَكُمْ سَعْيًا عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّاسِ

وكتب إلى السيد عبد الهادي الأبياري يعتذر عن عدم إجابة دعوة

لم تصل إليه :

يَا مَنْ بَدِيعُ حُلَاةٍ تَرَى الْبَدِيعَ وَتُنْسِي^(٦)
وَأَفْتِ عَقِيْلَةَ نَظْمٍ تَتْلُو فَصَاحَةَ قُسٍّ^(٧)
كَالْبَدْرِ لَاحَ سَنَاهُ مِنْ بَعْدِ مَغْرِبِ شَمْسِ
فَغَادَرْتَنِي صَرِيحًا نَشْوَانَ مِنْ غَيْرِ كَأْسِ

(١) الإيَّاس : اليأس . أى ييأس من أن توصلهم .

(٢) الحيا : المطر . ويريد محلول العرى : المطر التزير الذى لا يحجبه شيء . والرجاس :

الشديد الصوت .

(٣) تلطى : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التى ضمنها خطابه .

(٤) البراع : يريد القلم . والقرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٥) تباريح الهوى : حرقتة . والشجون جمع شجن بفتح الشين والجيم : وهو الهم والحزن .

والشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٦) البديع فى الشطر الثانى هو بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات المشهورة والأسلوب المسجع ،

من كتاب القرن الرابع الهجرى .

(٧) قس بن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى .

فَمَنْ بِالْعَفْوِ إِنِّي مِنْهُ عَلَى غَيْرِ يَأْسٍ
وَإِنْ عَتَبْتَ فَحَقٌّ وَمَا أُبْرِي نَفْسِي

٩ - الشيخ على الليثي^(١)

قال يرثي محمود باشا الفلكي وقد صادف أن تهاوت نيازك ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَّازِكَ عَنْ سَامٍ مِنَ الْفَلَكَ
كَالطَّيْرِ فَاجَّأَهَا الْبَازِي وَأَذْهَلَهَا
نَعَمْتَ إِلَيْنَا الرَّئِيسَ الْجُهَيْدِيَّ ، وَقَدْ
يَا نَفْسُ هَذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا
أَلَيْسَ نَسْرُ سَمَاءِ الْعِلْمِ قَدْ عَلِقَتْ
الصَّبْرَ يَا نَفْسُ ، وَأَسْتَبْقِي مَنَايِحَهُ
حَلَّ الْقَضَاءِ وَنَاعَى الْمَجْدِ أَرْخَنَا
مَذْعُورَةٌ أَصْبَحَتْ تَصْبُو إِلَى الدَّرَكِ^(٢)
فَخَا كَتِ الْبَرْقَ وَأَنْقَضَتْ عَنِ الْحُبِّكَ^(٣)
قَالَتْ تَعَزَّوْا فَمَا حَيٌّ بِمُتَّرِكِ^(٤)
أَبْقَى فُوَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِكِ
كَفَّ الْمُنُونِ بِهِ فَاَنْحَازَ فِي الشَّرِّكَ^(٥)
أَوْ فَالْتَّصَّبِرَ إِنْ تَبَعَى الْهُدَى فَلَكَ^(٦)

١٧١ ١٨٥ ٣٠٤ ٩٨ ٤٤ ١٠٤ ١٣٠٣

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المنادى ، شاعر الخديو إسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار في معية إسماعيل باشا ؛ ولما خلفه توفيق أبقى عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط ؛ وتوفي سنة ١٣١٣ هـ .

(٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون : شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة ؛ والدرك : أسفل السفلى .

(٣) البازي : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء .

(٤) الجهبذ : الناقد العارف بتميز الجيد من الرديء ؛ ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك

(٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبال الصائد .

(٦) المنايح : يريد بها جمع مناخة ، وهي موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال في عقب الثورة العرابية (من قصيدة طويلة) :

كُلُّ حَالٍ لِيُضِدَّهُ يَتَحَوَّلُ
يَا فُؤَادِي اسْتَرِحْ فَمَا الشَّأْنُ إِلَّا
رُبَّ سَاعٍ لِحَتْفِهِ وَهُوَ مِمَّنْ
قَدَرُ غَالِبٌ وَسِرُّ الْخَفَايَا
غَايَةُ الْعَقْلِ حَسْرَةٌ وَعَقَالُ
كَيْفَ نَنْسَى وَحَادِثَاتُ اللَّيَالِي
أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وَغَالَتْ نَفِيسًا
وَإِذَا الْمَرْءُ كَانَ بِالْوَهْمِ يَبْنِي
وَيُنِجُ قَوْمٍ سَعَمُوا لِإِذْرَاكِ أَمْرٍ
مَا أَصْرُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَضْرُّوا
ذَاكَ يَسْمَعِي عَلَى التَّقِيَّةِ خَوْفًا
لَوْ أَصَابُوا الرَّشَادَ عِنْدَ ابْتِدَاءِ

فَأَلْزَمَ الصَّبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمُعْوَلُ^(١)
مَا بِهِ مَظْهَرُ الْقَضَاءِ تَنْزَلُ
ظَنَّ بِالسَّعْيِ لِلْعُمَلَا يَتَوَصَّلُ^(٢)
فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيْبِ مَهْمَا تَكَمَّلُ
وَاللَّيْبُ الذِّكْرُ مَنْ قَدْ تَأَمَّلُ
فَاجَأْتَنَا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَلُ
وَدَوَى مَرْبَعِ الْحُظُوظِ وَأَحْمَلُ^(٣)
فَخَيَالُ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَثَّلُ
دُونَ إِذْرَاكِ الْجِبَالِ تُزَلْزَلُ
بِأَنْسٍ مِنْ نَابِهِ أَوْ مُعْفَلُ^(٤)
وَسِوَاهُ يَسْمَعِي لِكَيْمَا يُجَمَّلُ
كَانَتْ الْغَايَةُ الْجَمِيلَةَ أَمْثَلُ

(١) عليه المعول : عليه المعتمد في الشدة .

(٢) الحنف : الهلاك .

(٣) أحمل : أجذب . يريد أن حوادث الثورة أضاعت الأرواح والنفائس من مال ومتاع .

وأصبحت الحظوظ لا يرجى منها خير ولا أمل .

(٤) أصروا عليه : عزموا وثبتوا على عزمهم .

(٥) التقية : التقى : وهو الخشية والحذر .

وقال يصف السفينة وهو عائد من برلين :

أَصْبَحَ الْوَقْتُ بِاسْمًا بِالشُّرُورِ كَأَبْتَسَامِ الرَّبِيعِ وَقَتَ الزُّهُورِ
أَيْنَ أَلْقَى ظَرْيفَ طَبَعٍ لَطِيفًا كَيْ نُدِيرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ الْخُمُورِ
فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ نُحْسِنُ وَصْفًا حَيْثُ يَجْرِي عَلَى صَفَاءِ الْبُحُورِ
وَتَرَاهُ يَخْتَالُ وَهُوَ مَعْنَى وَيَمْحَهُ كَمْ يَجْرُ ذَيْلَ الْفَخُورِ (١)
ذَيْلُهُ يَرْسُمُ الْمَجْرَةَ مُجْبَا بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مِثْلَ الْبُدُورِ (٢)

١٠ - السيد عبد الله نديم (٣)

قال يتغزل :

سَلَوُهُ عَنِ الْأَرْوَاحِ فَهِيَ مَلَاعِبُهُ وَكُفُّوا إِذَا سَلَّ الْمُهَنْدَ حَاجِبُهُ
وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَعْرِهِ وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْكُمْ عَقَارِبُهُ (٤)
وَلَا تَذْكُرُوا الْأَشْبَاحَ ؛ بِاللَّهِ ؛ عِنْدَهُ فَلَوْ أَتَلَفَ الْأَرْوَاحَ مَنْ ذَا يُطَالِبُهُ
أَرَاهُ بِعَيْنِي وَالْدُمُوعُ تَكَاثِبُهُ وَيُحْجَبُ عَنِّي وَالْفُؤَادُ يُرَاقِبُهُ

- (١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : التعب المكثود . وويحه : رحمة له .
والفخور بفتح الفاء : الكثير التفاخر .
(٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يعيها البصر ، بل يراها كبقعة بيضاء .
(٣) يعد السيد عبد الله نديم في مقدمة الخطباء المرابيين ، وكان لا يجارى في سرعة البديهة وشدة
التأثير في سامعيه بالعامية وغيرها ، وبعد متأثراً بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك
شعر ونثر جيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦ م .
(٤) الأراقم : أحببت الحيات ، واحدها أرقم ، والعقارب هنا شعر الأصداغ ، شبه بها لانطافه ،
كأذناها على العين .

فَهَلْ حَاجَةٌ تُدْنِي الْحَبِيبَ لِصَبِّهِ سِوَى زَفْرَةٍ تَتْنِي الْحَشَا وَتُجَاذِبُهُ ؟
فَلَا أَنَا مِمَّنْ يَتَّقِيهِ حَبِيبُهُ وَلَا أَنَا مِمَّنْ بِالصُّدُودِ يُعَاتِبُهُ
فَلَوْ أَنَّ طَرْفِي أَرْسَلَ الدَّمْعَ مَرَّةً سَفِيرًا لِقَلْبِي مَا تَوَالَتْ كِتَابَتُهُ (١)

١١ - الشيخ نجيب الحداد (٢)

وقال الشيخ نجيب الحداد يمدح مصر والمصريين :

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ رُكَامٍ (٣)
بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ الَّذِي يَهْمِي ، فَإِنَّ النَّيْلَ فِيكَ غَمَامٍ (٤)
نَهْرٌ تَبَارَكَ مَأْوُهُ ، فَكَادُ أَنْ تَمْحَى بِطُورِ مِيَاهِهِ الْآثَامِ (٥)
وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلِيلُ زُلَالَهُ يَشْفِي الْعَلِيلُ وَتَذْهَبُ الْأَسْقَامُ (٦)
يُحْيِي الْبِلَادَ بِمَائِهِ ، فَكَأَنَّهُ الرَّوْحُ الَّتِي تُحْيِي بِهَا الْأَجْسَامُ (٧)

- (١) الكتابات : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهي القطعة من الجيش .
(٢) نشأ الشيخ نجيب الحداد نشأة أدبية ، فصار شاعراً رقيقاً و كاتباً بليغاً له روايات شتى تأليفاً وترجمة . توفي سنة ١٨٩٩ م .
(٣) وسقاك : الخبر هنا للدعاء ، فهو يتمنى لأرض مصر الرى والسقيا من الغمام . صوب الغمام : نزوله ، والغمام : السحاب . والركام (بضم الراء) : المتراكم بعضه فوق بعض .
(٤) الغانية : الغنية بحسبها وجمالها عن الزينة ، أو ذات المال الذى تستغنى به عن الغير . والمراد هنا أنها غنيت بوفر مائها الذى يتدفق من النيل عن المطر . ويهمى : يسقط غزيراً .
(٥) تبارك مأوه : خصه الله بالبركة والخير . تمحى : تزال . الآثام : الذنوب .
(٦) رشف : امتص الماء بشفتيه قليلاً قليلاً . والعليل : المريض . والماء الزلال (بضم الزاى) : العذب الصافى .
(٧) يحيى البلاد : يبعث الحياة فى أهلها وزرعها وطيرها وسائمها بفضل مائه الذى لا ينقطع . والروح : سر الحياة فى الجسم . يريد أن النيل روح مصر وسر حياتها ، ولولاه لأصبحت صحراء يابسة .

إِنْ شَابَهُ كَدْرٌ فَنِي أَكْدَارِهِ صَفْوٌ وَفِي فَيَضَانِهِ إِنْعَامٌ^(١)
أَرْضٌ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ فِي أَرْجَائِهَا عِلْمٌ فَإِنَّ كِرَامَهَا أَغْلَامٌ^(٢)
لَبِسَتْ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ مَطَارِفًا وَلَهَا مِنَ الْمَجْدِ الطَّرِيفِ وَسَاءٌ^(٣)
وَتَعَانَقَتْ وَالْفَخْرَ مِنْ قَدِيمٍ كَمَا قَدْ عَانَقَتْ أَلْفَ الْكِتَابَةِ لَامٌ^(٤)
مَجْدٌ بِهِ هَرَمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ غَضًّا وَقَدْ شَهَدَتْ بِهِ الْأَهْرَامُ^(٥)
هَرَمَانَ زَانًا صَدَرَ مَصْرَ فَأَشْبَهَا نَهْدَيْنِ زَانَهُمَا سَنَى وَتَمَامٌ^(٦)
نَهْدَانِ كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا إِنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مَصْرَ غُلَامٌ^(٧)
أَرْضُ الْفِرَاعِنَةِ الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا فِي الدَّهْرِ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ
بُنْيَانُ عَزٍّ فِي السُّطُورِ مُخَلَّدٌ وَبِنَاءِ مَجْدٍ فِي الصُّخُورِ يُقَامُ

(١) شابهه : خالطه . ويريد بأكداره ما يحمله من الغرين (الطمي) إبان الفيضان ، فإن فيه زيادة في خصب الأرض ونماؤها : وهذا ما عبر عنه بالصفو ليقابل به الأكدار . إنعام : أي وفي فيضانه نعمة وخير للوطن .

(٢) العلم بفتحيتين : الجبل الطويل . والأعلام : جمع علم بفتحيتين وهو سيد القوم . يريد أن مصر إذا حلت أرضها من الجبال الضخمة العظيمة فإن فيها السادة العظام من رجالها .

(٣) التلید : القديم . المطارف : جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء ، وهو الثوب من الحرير . والظريف : الجديد . والوسام شارة الفخر . وقد صرف (مطارف) لضرورة الشعر .

(٤) يريد أن الفخر لازمها من قديم الزمان لما فاض به تاريخها من حضارة سبقت بها الأمم .
(٥) هرم : شاب وكبرت سنه . غضاً : ناضراً . والمراد أن مجد مصر مرت عليه الأزمان الطويلة فأهرمها وهو ما زال في عنقوان شبابيه ونضرته .

(٦) النهدي (بفتح النون) : التدي وجمه نهود . والسني (بفتح السين والنون) : الضوء .
والتام (بتثنية التاء) : الكمال .

(٧) يقول إن هرمي مصر كانا في العصور الغابرة بمثابة نهدين يرضع منهما الزمن . يعني بذلك عما كانت عليه مصر من حضارة وعظمة في الوقت الذي كان فيه العالم كالطفل لجهالته وتأخره .

لَا بَدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَا تَرَاهُمْ فَقَدْ بَقِيَتْ جَسُومُهُمْ وَهُنَّ رِمَامٌ^(١)

١٢ - مصطفى بك نجيب^(٢)

قال يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَّعَنَا أَخٌ كَرِيمٌ حَسَبًا وَحَاتِمِي مَحْتَدًا وَنَسَبًا^(٣)
بِسَاعَةٍ مِنْ خَيْرِ مَا قَدْ جَلَبَا مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنٌ لَهَا مُضْطَرَبًا^(٤)
تَمَشَى مَعَ الزَّمَانِ سَيْرًا عَجَبًا لَا تُخْطِئُ الْوَقْتَ وَلَوْ تَذَبَذَبًا^(٥)
كَأَنَّ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسَبًا وَبِذُكَاةٍ لُحْمَةٌ وَنَسَبًا^(٦)
حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَا وَرَامَتْ الشَّمْسُ لَهَا مُنْقَلَبًا^(٧)
رَأَيْتَ فِيهَا الْعَقْرَبَيْنِ عَقْرَبًا

- (١) لا بدع : لا غرابة ولا عجب . رمام : جمع رمة بكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وهي الجسم البالي . يقول لا غرابة في بقاء آثارهم من أهرامات ومعابد ، فهذه جسومهم وهي رهن البلى ، ما زالت باقية لم تندثر بفضل نبوغهم وتقدمهم في فن التحنيط .
- (٢) هو ابن محمد نجيب ، أديب إداري ، وكاتب شاعر مقل ، صاحب كتاب (حماة الإسلام) ؛ ومقالات (أحلام الأحلام) ؛ توفي سنة ١٣٢٠ هـ .
- (٣) حاتمي : نسبة إلى (حاتم الطائي) الذي ضرب به المثل في الكرم ، وهو من أجواد العرب . والمحتد : الأصل .
- (٤) مضطربا : تقدماً أو تأخراً عن السير الطبيعي للزمن .
- (٥) تذبذب : اضطرب وخرج عن حركته الطبيعية في السير .
- (٦) ذكاة (بضم الذال) : الشمس ، ولحمة (بضم اللام) : قرابة .
- (٧) وقت الزوال : هو الوقت الذي يزول فيه الظل حين تصل الشمس إلى كبد السماء ، أي في الساعة الثانية عشر تماماً .

وكتب على يد مروحة :

إِذَا يَدٌ لَعِبَتْ بِي قَابَلَتْهَا بِهَوَاهَا
مَزَجْتُ لُطْفَ نَسِيمِي بِلُطْفِ رِيَّا مُنَاهَا^(١)
فَزَادَهَا الرِّيحَ وَجَدًا وَزَادَهَا الوَجْدُ آهًا^(٢)
جَاءَتْ لِتَبْرُدَ شَوْقًا فَزِدْتُ مِنْهَا جَوَاهَا^(٣)

١٣ - محمود باشا سامى البارودى^(٤)

قال فى الفخر وهو من قصيدة طويلة :

سِوَاىَ بَتَّحْنَانَ الْأَغَارِيدِ يَطْرَبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَاتِ يَلَهُو وَيُعْجَبُ^(٥)
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لِبَّهْ وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْبِرَاعُ الْمُتَقَبُّ^(٦)
وَلَكِنْ أَخُوهُمْ إِذَا مَا تَرَجَّجْتُ بِهِ سَوْرَةَ نَحْوِ الْعَلَا رَاحَ يَدَابُ^(٧)

(١) الريا : (بفتح الراء وتشديد الياء) الريح الطيبة ، كأنما رويت من الطيب والعطور فى مسراها مؤثت ريان . والمنى : جمع منية بضم الميم وتسكين النون ، وهى ما تتمناه النفس من خير .

(٢) وجداً : صباغة وشوقاً . وآها : تأوها من فرط الحنين .

(٣) لتبرد لتلتمس برداً من شدة حرارتها . والجوى شدة الوجد .

(٤) هو محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى . أحد زعماء الثورة العربية ؛ ولد

سنة ١٢٥٦ هـ . وتعلم بالمدرسة الحربية ، وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظار قبيل الثورة

العربية ، ونفى بعدها إلى سراديب ، ثم عاد إلى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى

فى نشأته الأدبية الشاعرة ، يعد شعره صورة مقاربة للفحول السابقين : جزل الأسلوب ضخم المعانى ،

متنوع الفنون له ديوان ومختارات .

(٥) التحنان بفتح التاء : الحنين . والأغاريد : جمع أغرودة بضم الهمزة ، غناء الطائر . ويعجب

بالشئء بالبناء للجهول : يسر منه .

(٦) يريد بسمعيه أذنيه . والبراع : الفصيح الذى يحرص به الراعى ، واحدته يراعة . والمتقب :

ذو الثقوب التى تعين النافخ على الصفير ، وتنوع الألحان .

(٧) الهم - هنا : الهممة . وترججت به : مالت به ، ويريد بالسورة النزعة القوية .

نَفِي النَّوْمِ عَنِ عَيْنَيْهِ نَفْسُ أَبِيَّةٍ
لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبٌ (١)
وَمَنْ تَكُنَّ الْعَلِيَاءُ هِمَّةً نَفْسَهُ
فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبَّبٌ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا
فَلَا عَزَّي خَالٌ وَلَا ضَمَنِي أَبٌ

خُلِقْتُ عِيُوفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ
عَلَى يَدَا أُغْضَى لَهَا حِينَ يَنْغَضِبُ (٢)
فَلَسْتُ لِأَمْرِ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعًا
وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَنْتَبُّ (٣)
أَسِيرٌ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ
لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبٌ (٤)
وَأَمَسْتُ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرِي تَشَعَّبُ (٥)
وَأِنِّي إِذَا مَا الشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمَغِيبُ (٦)
صَدَعْتُ حَفَافِي طُرَّتِيهِ بِكَوْكَبٍ

وقال يتشوق وهو في المنفى :

رُدُّوا عَلَيَّ الصَّبَا مِنْ عَصْرِي الْخَالِي
وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللَّيْمَةِ الْبَالِي (٧)
لَمْ يَدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَدَّتِهِ
أَنِّي بِنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي (٨)

- (١) الأسنة : جم سنان ، وهو نصل الرمح .
(٢) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة . أغضى لها : أطبق جفني ذلا وندما .
(٣) أنتب : أغضب .
(٤) المذهب : الطريقة .
(٥) الأحلام : العقول . وتشعب أي تختلف وتفرق .
(٦) حفافا الشيء : جانباه . الطرة : الناصية ، يقول لأنه إذا أشكل الأمر وتحيرت فيه العقول أناره رأى كالكوكب في وضوحه وإشرافه .
(٧) اليممة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، هو يريد شعر الرأس على الإطلاق ، ويريد بالبالى الذى تغير لونه فيبيضه المشيب .
(٨) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم ، وصلى بها فهو صال : فاسى حرها أو احترق بها .

يا غاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى عِدَّةٍ بِالْوَصْلِ يَوْمٌ أَنْغَى فِيهِ إِقْبَالِي^(١)
غَيْبُكُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ^(٢)
فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِي طَوْعُ الْقِيَادِ وَلَا قَلْبِي إِلَى زَمْزَمَةِ الدُّنْيَا بِمِيَالِ^(٣)
أَيِّتُ مُنْفَرِدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِثْلَ الْقَطَايِ فَوْقَ الْمَرْبَا الْعَالِي^(٤)

وقال يرثي أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي سَرْحَةَ الْوَادِي طَاحَ الرَّدَى بِشَهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي^(٥)
مَاتَ الَّذِي تَرَهَّبُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ وَيَتَّقِي بِأَسَهُ الضَّرْعَامَةَ الْعَادِي^(٦)
مَضَى وَخَلَّفَنِي فِي سِنِّ سَابِعَةٍ لَا يَرَهَّبُ الْخُصْمُ لِإِبْرَاقِي وَإِرْعَادِي^(٧)
فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرَدًا بَيْنَ آصِرَتِي فَهَآنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِي^(٨)

(١) العدة بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وناغى العصى : كلمه بما يعجبه ويسره .

(٢) الإجمال : الإحسان .

(٣) الرسن بفتح السين : الحبل الذي تقاد به الدابة .

(٤) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع . والقطاي بفتح القاف وضمها : الصقر . والمربأ : المكان الذي

يقف فيه من يرقب .

(٥) السرحة بفتح السين : الشجرة العظيمة يستظل فيها . والمراد : يحمي حرمه . وطاح به : أهلكه

والردي بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب ، يريد أنه كان كالكوكب في انقضاضه على
محاربيه ، كما كان في مجتمع القوم زيقتم كالكوكب أيضا في تألقه .

(٦) الأقران : جمع قرن بكسر القاف ، وهو المناظر في الشجاعة وغيرها . صولته : سطوته وبطشه

في النضال . والضرعامة : الأسد . والعمادي : الصائل .

(٧) لإبراق وإرعادي : تهديدي ووعيدي .

(٨) يريد بأصرتي : أهل قرابته ومودته .

ومن قصيدة له يرثى بها زوجته ، وقد ماتت في مصر وهو لا يزال

في منفاه :

لَا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفَوَادَ ، وَلَا يَدِي
يَا دَهْرُ ! فِيمَ جَمَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى
هَيْهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ تَقْرَّ جَوَانِحِي
وَلَهَى عَلَيْكَ مُصَاحِبُ لَمْسِيرَتِي
فَإِذَا أَنْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوْلُ ذِكْرَتِي
تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادَى^(١)
كَانَتْ خُلَاصَةَ عَدْتِي وَعَتَادِي^(٢)
أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي^(٣)
رَعَى التَّجَلُّدَ ، وَهُوَ غَيْرُ جَمَادٍ^(٤)
أَسْفًا لِبُعْدِكَ ، أَوْ يَلِينُ مِهَادِي^(٥)
وَالدَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لِيُوسَادِي^(٦)
وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي^(٧)

وقال يصف الحرب :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا
وَزَيْنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى
وَدَارَتْ ، كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ^(٨)
وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالْأَتَهَبَ الضَّرْبُ

(١) اللوعة : ألم الفراق ، والغادى : الذهاب ، من غدا يغدو إذا ذهب في الصباح ، والمراد هنا من الغادى : الذهاب عن الدنيا .

(٢) العدة ، والعتاد : ما يعد للمرء لشأنه ، يريد أنها كانت سنده في الحياة وعونه .

(٣) الضنا : الضعف والسقم ، والأسى : الحزن .

(٤) سامه الأمر : كلفه إياه ، والرعى : المراعاة .

(٥) تقر : تهدأ ، والجوانح : الأضلاع ، مفردها : جانحة ، والمهاد : الفراش .

(٦) الوله : أشد الحزن ، والمسيرة : السير ، والمراد بها هنا العمر والحياة ، أى أن حزنه سيصاحب أيام حياته ، والوساد : المنحمة والمتكأ .

(٧) انتبهت : استيقظت ، والذكرة : الذكر ، وأويت : دخلت فراشي ، والزاد : ما يتزود به .

(٨) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً للقتال ، والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح ، وشبه الحرب بالرحى فى دورانها على قطبها .

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءَ كَأَنَّا
سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرِبٌ (١)
صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاوُهَا
وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِالْخَطْبِ (٢)

وقال يصف الفراق :

مَحَا الْبَيْنَ مَا أَبَقَتْ عِيُونَ الْمَهَامِي
عَنَايَ وَيَأْسٍ وَأَشْتِيَاقٍ وَعُزْبَةَ
فَإِنْ أَكُّ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا
بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لِحْظَةِ
فَهَلْ مِنْ فَتَى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلْتُ
أَهْبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فِعْزَنِي
وَسَبِئْتُ وَلَمْ أَقْضِ الْأَبَانَةَ مِنْ سِنِّي (٣)
أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنٍ (٤)
فَوَادُ أَضَلَّتْهُ عِيُونَ الْمَهَامِي عَنِّي (٥)
فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدَارُ فِي شَرِكِ الْحُسْنِ (٦)
فَلَيْسَ كَلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمَسْتَعْنِ
مَدَامِعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمَرْزَنِ (٧)
وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ (٨)

(١) الشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٢) تجلت سماؤها : يريد ذهب شدتها ، وصبور : كثير الصبر ، وألم بتشديد الميم : نزل ، والخطب : الشدة والأمر العظيم .

(٣) البين : البعد والفرقة ، والمهامي : جمع مهامة ، وهي البقرة الوحشية يضرب بها المثل في جلال العيون ، والابانة : الحاجة في غير فاقة ، والسن : العمر ، ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومرح .

(٤) العناء : التعب والمشقة ، وألا شد : ما أشد ، والغبن : يريد به الظلم .

(٥) أضلته : يريد شغلته .

(٦) النوى : البعد ، وإثر لحظة : عقب لحظة ، واللحظة : النظرة بمؤخر العين ، والمقدار : قدر الله ، والشرك : حباله الصيد .

(٧) أسبلت الدموع : أرسلت وهمت ، والترائب : جمع تريبة ، وهي عظمة الصدر ، والمراد بها هنا الصدر ، والمزن : المطر .

(٨) أهاب به : دعاه ، وعزني : غلبني ، والملم : العقل ، ويثوب : يرجع ، وبغني : يفيد .

وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ
فَكَمْ مُهْجَةً مِنْ زَفْرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظِي
وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ
وَلَكِنِّي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّيْ
وَلَوْلَا بُنْيَاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلٌ
بِنَاعِنِ شُطُوطِ الْحَى أَجْنَحَةُ السُّفْنِ (١)
وَكَمْ مُقَلَّةٍ مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ (٢)
فَلَمَّا دَهْتَنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الْحُزْنِ (٣)
إِلَى الْحُزْمِ رَأْيٌ لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ (٤)
لَمَّا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتِ سِنِّي (٥)

١٤ - حَفْنِي بِكَ نَاصِفِ (٦)

قال مخاطب ناظر الحقانية وقد نقله إلى « قنا » :

رَقَيْتَنِي حِسًّا وَمَعْنَى
وَجَعَلْتَ رَأْسَ الْخَالِسِدِ
وَجَعَلْتَ سُدَّةَ مَنْزِلِي
فَلِصْنَعِكَ الشُّكْرُ الْمُمْتَنِي
بَيْنَ بَعْضَرٍ مِنْ قَدَمِي أَذْنِ
مِنْ أَسْقُفِ الْهَرَمَيْنِ أَسْنِي (٧)

(١) أقلع عن المسكان : تحول عنه ، وشطوط : جمع شط ، وهو جانب البحر ، والحى : منازل القوم ، وأجنحة السفن : أشرعها .

(٢) المهجة : دم القلب ، ويراد بها هنا القلب ، الزفرة : النفس الشديد الحار ، والظى : لهب النار والمقلّة : العين ، وغزرة الدمع : كثرته ، والدجن : الظلمة .

(٣) دهتنى : أصابتني ، وأقضى : أموت ، من قضى الرجل يقضى .

(٤) راجعت : استرددت ، والحلم : العقل ، وحام على الشيء : دار به ، والأفن : سوء الرأي .

(٥) البنيات : جمع بنية ، وهى البنت الصغيرة ، والفائت : ما لم يدركه الإنسان ، وقرع السن ، كناية عن الندم ، يقول : لولا بناته الصغار ، ولولا من يعولنهم من أهله المسنين الذين لا كسب لهم ما ندم على شيء .

(٦) هو القاضي الفاضل والشاعر الكاتب الأستاذ محمد حفنى ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القابووية ، ودرس بالأزهر ودار العلوم ، فخرج نايبة نابها ، شغل مناصب القضاء والتدريس بالمدارس والجامعة ، فكان مثال الفضل والبراعة وحسن الفكاكة وسرعة البديهة ، يمتاز أسلوبه بالجزالة فى النثر والسهولة فى الشعر ، توفى سنة ١٩١٩ م .

(٧) سدة المنزل (بتشديد الـ) : عتبة بابه .

أَسْكَنْتَنِي فِي بُقْعَةٍ فِيهَا غَدَوْتُ أَعَزَّ شَأْنًا
أَرَدُ الْمَشَارِعَ سَابِقًا وَالسَّبْقُ عِنْدَ الْوَرْدِ أَهْنَا^(١)
وَأَزُورُ آثَارَ الْمُلُوكِ ، وَكُنْتُ قَبْلَ بِهَا مُعْنَى^(٢)
بَلَدٌ إِذَا حَلَّتْ بِهِ قَدَمَاكَ قُلْتَ حَلَلْتُ حِصْنًا
جَبَلِ الْمُقَطَّمِ حَوْلَهُ مُتَعَطِّفٌ كَالثُّونِ حُسْنًا^(٣)
هَيَّاتَ أَنْ يَصِلَ الْعَدُوُّ (م) لَهُ ، وَيُدْرِكَ مَا تَمَنَّى

قَالُوا : شَخَصْتَ إِلَى قِنَا يَا مَرَّحِبًا « بَقْنَا » وَ « إِسْنَا »
قَالُوا : سَكَنْتَ السَّفْحَ قَدْ تٌ وَحَبْدًا بِالسَّفْحِ سُكْنَى
قَالُوا : « قِنَا » حَرٌّ ، فَقَدْ تٌ : وَهَلْ يَرُدُّ الْحَرَّ قِنَاً ؟^(٤)
سِرُّ الْحَيَاةِ حَرَارَةٌ لَوْلَاهُ مَا طَيْرٌ تَغْنَى
كَلًّا ! وَلَا زَهْرٌ تَبَسَّ سَمٌ ، لَا وَلَا غُصْنٌ تَتَنَّى !
تَتَدَفَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْ حَرٍّ ، وَتَرْجِي الرِّيحُ مُزْنًا !^(٥)
هَا قَدْ أَمِنْتُ الْبَرْدَ وَالْبُرْدَاءَ ، وَالْقَلْبُ اطمأننا^(٦)

(١) أَرَدُ الْمَشَارِعَ : آتِيهَا الْاِرْتَوَاءُ ، وَالْمَشَارِعُ : جَمْعُ مَشْرَعٍ وَهُوَ الْمَنْهَلُ يَرُدُّهُ الظَّهَاءُ .

(٢) مُعْنَى : كَلْفًا (بِكْسَرِ اللَّامِ) مُشْتَقًّا .

(٣) مُتَعَطِّفٌ : مَنْعَنٌ كَالْقَوْسِ .

(٤) الْقِنُّ : الْعَبْدُ الرَّقِيقُ ، وَفَاعِلٌ يَرُدُّ يَعُودُ عَلَى (حَرٍّ) بِفَتْحِ الْحَاءِ ، يَقُولُ وَهَلْ يَصِيرُ حَرٌّ قِنَا

الرَّجُلِ الْحَرِّ هَبْدًا رَقِيقًا .

(٥) الْمَزْنُ : الْمَطَرُ ، وَاحِدَتُهُ مَزْنَةٌ بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ الزَّايِ .

(٦) الْبُرْدَاءُ : الثَّقَلَاءُ ، جَمْعُ بَارِدٍ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمُتَبَدِّلُ الْإِحْسَاسَ .

وَوُقِيتَ أَمْرَاضَ الرُّطُوبِ وَوُقِيتَ أَمْرَاضَ الرُّطُوبِ
أَلْقَى الْهَوَاءَ فَلَا أَهَا أَلْقَى الْهَوَاءَ فَلَا أَهَا
وَأَنَامُ غَيْرَ مُدَثِّرٍ وَأَنَامُ غَيْرَ مُدَثِّرٍ
قَدْ خَفَّتِ النَّفَقَاتُ إِذٍ قَدْ خَفَّتِ النَّفَقَاتُ إِذٍ
وَقَرَّتْ مِنْ مَنِّ الْوَقُوفِ وَقَرَّتْ مِنْ مَنِّ الْوَقُوفِ
فَالشَّمْسُ تَكْفُلُ رَاحَتِي ؛ فَالشَّمْسُ تَكْفُلُ رَاحَتِي ؛
فَإِذَا بَدَتْ لِي حَاجَةٌ فَإِذَا بَدَتْ لِي حَاجَةٌ
أَوْرُمْتُ طَبَخًا أَوْ عَلَا أَوْرُمْتُ طَبَخًا أَوْ عَلَا
سُكْنَى الْقُرَى تَدْعُ السَّفِيهَ سُكْنَى الْقُرَى تَدْعُ السَّفِيهَ
أَيُّ الْمَلَاهِي فِيهِ يَصْ أَيُّ الْمَلَاهِي فِيهِ يَصْ
كُلُّ أَمْرِي تَلْقَاهُ مِنْ كُلُّ أَمْرِي تَلْقَاهُ مِنْ
وَيَرَى الْغَرِيبَ السَّعْرَ أَيْدٍ وَيَرَى الْغَرِيبَ السَّعْرَ أَيْدٍ
يَجِدُ الْحَلِيبَ بِعَيْنِهِ يَجِدُ الْحَلِيبَ بِعَيْنِهِ
عَشْ فِي الْقُرَى رَأْسًا ، وَلَا عَشْ فِي الْقُرَى رَأْسًا ، وَلَا
وَدَعِ الْجَزِيرَةَ وَالْمَهَا وَدَعِ الْجَزِيرَةَ وَالْمَهَا
وَاسْئَلِ الْأَغَانِي وَالْعَوَا وَاسْئَلِ الْأَغَانِي وَالْعَوَا

- (١) استرق الرياح : سرى رقيقاً ناعماً ، الوهن بسكون الهاء : الضعف .
(٢) مستكناً : مخبئاً .
(٣) الظبي الأغن : الذي في صوته غنة بضم الفين وتمديد النون المفتوحة .
(٤) اسل : فعل أمر من سلا بمعنى ترك ونسى ، العواني : جمع غانية وهي الحسنة التي غنيت بجمالها عن غيره . وعدن بسكون الدال : جنة عدن .

ولما أشرف على الإحالة على المعاش ببلوغ الستين ، كتب إلى المرحوم حسين رشدي باشا ، وكان يومئذ رئيساً للوزارة ، يسأله أن يمدّ في أجل خدمته ، في مفاكحة غاية في الظرف والرقّة :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يَا شَيْخَ الوِزَارَةِ حَاجَتِي إِنْ شِئْتَ تُقْضَى بِإِشَارَةِ
نَالَهَا قَبْلِي أَلُوفٌ لَمْ أَكُنْ دُونَهُمْ عِلْمًا وَلَا أَدْنَى إِدَارَةِ
نَاهَزَ السِّتِينَ عُمْرِي إِنَّمَا لَمْ أَزَلْ جَمَّ القُوَى جَمَّ الْجِدَارَةِ (١)
وَإِذَا لَمْ يَشْكُ مِثْلِي عِلَّةٌ هَلْ مِنْ الحِكْمَةِ أَنْ يُلْزَمَ دَارَةَ
إِنْ تَرَكِي خِدْمَةَ الأَوْطَانِ مَعَ طُولِ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَةَ
وَحَيَاتِي كُلُّهَا قَضَيْتَهَا تَارَةً فِي المَدْلِ وَالتَّعْلِيمِ تَارَةً (٢)

وقال يتحسّر على ضياع علمه بموته :

أَتَقْضَى مَعِيَ إِنْ حَانَ حَيَاتِي تِجَارَتِي وَمَا نِلْتُهَا إِلَّا بِطُولِ عَنَاءٍ (٣)
وَأَبْذُلُ جُهْدِي فِي اكْتِسَابِ مَعَارِفِ وَيَفْنِي الَّذِي حَصَلْتُهُ بِفَنَائِي (٤)
وَيَحْزُنِي أَلَّا أَرَى لِي حِيلَةً لِإِعْطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي (٥)
إِذَا وَرَثَ الجُهَالُ أَبْنَاءَهُمْ غِنَى وَجَاهًا ، فَمَا أَشَقَى بَنِي العُلَمَاءِ (٦)

(١) ناهز : قارب ، والجم بتشديد الميم : الكثير . والجدارة : الأهلية والاستحقاق .

(٢) وإن كانت نشأة الشاعر الأولى في الأزهر ، ثم في دار العلوم فقد ولي القضاء في المحاكم الأهلية

مدة ليست بالقصيرة .

(٣) تقضى : تموت وتفنى . وحان حيني : جاء أجلي . والتجارب : ما يستفيده المرء من خبرة في

ممارسته لشؤون الحياة ، مفردها تجربة . والعناء : الجهد والمشقة

(٤) حصلته : جمعته :

(٥) العطاء : ما يجود به المرء على غيره . ويريد أن ما حصله من العلم لا يستطيع أن يهبه لمن

لا يستحقه كما يوهب المال مثلاً

(٦) الجاه : علو المنزلة ، ورفعة القدر

١٥ - ولي الدين يكن^(١)

وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

يُرِيدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا هَنَاءً وَيَأْبَى أَنْ يَجُودَ بِهِ الزَّمَانُ
حَيَاةً حَارَبَتْهُمْ مِنْذُ كَانَتْ وَحَظَّتْ حَارِبُوهُ مِنْذُ كَانُوا
وَأَمَانٌ تَغْرُبُ عَنْهُمْ عِجَافٌ وَأَخْدَاتُ تُكْذِبُهَا سِمَانٌ^(٢)
وَكَمْ مِنْ مُسْتَنْبِلٍ لَيْسَ يُعْطَى وَكَمْ مِنْ مُسْتَعِينٍ لَا يُعَانُ^(٣)
تَكَثَّرَتِ الْهُومُومُ فَلَا يَرَاعُ تَوْفِيهَا الشُّكَاةُ وَلَا لِسَانٌ^(٤)
أَمَانًا أَيُّهَا الْخُضْمُ الْمُعَادِي إِذَا دَانَ الْعِدَا وَجَبَ الْأَمَانُ
إِنْ رَغِبُوا إِلَيْكَ رَغِبْتَ عَنْهُمْ لَقَدْ هَانَتْ رَغَائِبُهُمْ وَهَانُوا
يُمْنَى النَّاسِ بَعْضَهُمْ بِخَيْرٍ أَلَا كَذَبُوا عَلَى بَعْضٍ وَمَانُوا
وَدَاعٍ جَاءَ يَدْعُونِي لِنُصِيحٍ وَقَدْ وَهَنَ النَّهْيُ وَوَهَى الْبِنَانُ^(٥)

(١) ولي الدين بن حسن سري بن إبراهيم باشا يكن ، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلا وتعلم بها ومال إلى الأدب واشتهر به ، ثم سافر إلى الآستانة وعين في مجلس معارفها ، ثم نفاه السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيوارس ، وبعد إعلان الدستور العثماني عاد إلى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته ، وله شعر رقيق وكتابة جيدة ، مات سنة ١٣٣٩ هـ

(٢) عِجَافٌ : جمع عَجْفَاءٍ هزيلة ضامرة . وسِمَانٌ : جمع سَمِينَةٍ

(٣) مُسْتَنْبِلٌ : طالب نوالا أي عطاء . مُسْتَعِينٌ : طالب عوناً .

(٤) الْيَرَاعُ : الأَقْلَامُ ، المفرد يَرَاعَةُ .

(٥) مَانُوا : من المين بسكون الياء وهو السكذب .

(٦) وَهَنَ : ضعف . النَّهْيُ : جمع نَهْيَةٍ يضم التَّوْنُ وسكون الهاء . وَهَى : ضعف . الْبِنَانُ :

أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ جمع بِنَانَةٌ .

تَعِبْتُ مِنَ الْكَلَامِ فَلَيْسَ يُجِدِي - كَمَا أَمَلْتُ - نَظْمٌ أَوْ بَيَانٌ
وَكَانَتْ صَبُورَةٌ وَنَزَعْتُ عَنْهَا فَهَإِنَّا لَا أَدِينُ وَلَا أُدَانُ^(١)
وَمَا أَسْنِي عَلَى عَهْدٍ تَقْضَى وَلَكِنْ صُنْتُ عَهْدًا لَا يُصَانُ
ظَلَمْتُ أَمِينَهُ دَهْرًا طَوِيلًا وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي لَا أُخَانُ

وَدَارَ لَا يَزُولُ الْقَتْلُ عَنْهَا كَأَنَّ الْحَرْبَ فِيهَا مِهْرَجَانُ
أَهَابَ بِهَا الْبِرَاعُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَنَادَاهَا بَجَاوَبَتِ السَّنَانُ^(٢)
تَظَلُّ بِهَا السَّوَاعِدُ غَامِلَاتُ يُصَرِّفُهَا ضِرَابٌ أَوْ طَعَانُ
بَكَتُ عَيْنِي الشَّبَابَ وَحِينَ جَفَّتْ مَدَامِعُهَا عَدَا يَبْكِي الْجِنَانُ^(٣)
لَعَمْرِكَ مَا لِي نُصِجَ مَكَانٌ وَلَا لِلنُّصِجِ فِي الدُّنْيَا مَكَانُ
فَدَعْنِي إِنْ آمَالِي اسْتَكْفَتْ فَلِي شَانٌ وَلِلْآمَالِ شَانُ^(٤)

معارضته قصيدة الحصرى

« يَا لَيْلُ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ »

الْحُسْنُ مَكَانَكَ مَعْبِدُهُ وَاللَّحْظُ فُؤَادِي مَعْمَدُهُ^(٥)
يَا سَيِّدَتِي هَذَا حُرِّي لَمْ يُعْرِفْ قَبْلَكَ سَيِّدُهُ

(٢) السنان : نصل الرمح .

(٤) استكفت : انقطعت وانتهت .

(٥) معمده : مكان عمده شبه اللحظ بالسيف ، والفؤاد بالعمد الذى يحتويه .

(١) صبوة : من صبا بمعنى مال وأحب

(٣) الجنان بفتح الجيم : القلب .

اللَّيْلُ وَطَيْفُكَ يَعْرِفُهُ إِنَّ كَانَ فُؤَادُكَ يَجْحَدُهُ
كَمْ يُوحِي طَرْفُكَ لِي غَزَلاً وَأَنَا فِي شِعْرِي أَنْشِدُهُ
وَتُسَاجِلُنِي الْأَطْيَارُ هَوَى فِي الدَّوْحِ أَيْبَتُ أَرْدَدُهُ (١)
لِلصُّبْحِ سَنَاوُكَ أَيْبُضُهُ لِلَّيْلِ غَرَامِي أَسْوَدُهُ
أَحْبَبْتُ قَلَاكَ فَطَلَقَهُ عِنْدِي عَذْبٌ وَمَقِيدُهُ (٢)
إِنْ ضَلَّ حَنَانُكَ عَنْ قَلْبِي فَأَنَا بَوْلُوعِي أَرْشِدُهُ
قَدْ بَاتَ دَلَالُكَ يَخْذُلُهُ وَجَمَالُكَ كَانَ يُؤَيِّدُهُ
زَيْدِي تَيْهَا أَزْدَدَ كَلْفَا كَفَانِي إِنْ رَثَّ أَجْدَدُهُ (٣)
(شَوْقِي) إِنْ بَدَتْ يُضَاعِفُهُ (صَبْرِي) إِنْ جُرْتُ يُوَكِّدُهُ (٤)
خِلَانِ مُهْمَا شَمْسَا فَلَكَ طَرْفِي مَعَ طَرْفِكَ يَرْصُدُهُ (٥)
فَصَلِّ بِاللَّهِ وَلَوْ حُلْمَا (مُضْنَاكَ جَفَاءَ مَرَقَدُهُ)
وَعَدِيهِ الْيَوْمَ وَلَوْ كَذِبَا الصَّبُّ يُعَاظِلُهُ غَدُهُ (٦)

(١) تساجله : تباريه ، والدوح : الشجر ، واحدته دوحة بسكون الواو .

(٢) قلاك : هجرك .

(٣) كلفاً : ولوعاً وشوقاً ، يقول : كلما زدت تبهياً ودلالاً أزداد بك هياماً وحباً ، رث : تقادم وبلى

(٤) شوقي : من الشوق ، وهو المعنى الظاهر من السياق . والمراد الحقيقي بلفظه المرحوم شوقي بك أمير الشعراء في العصر الحديث ، بنت : بعدت ، صبري : من الصبر ، وهو المعنى الظاهر ، والمراد بلفظه المرحوم (إسماعيل باشا صبري) الشاعر المعروف . جرت : ظلمت ، والجور هنا يراد به الحجر وادعاء النفساني .

(٥) يقول إن « شوقي » و « صبري » الشاعرين صديقان هما كشمسي فلك يرصدهما طرفي وطرفك

لإعلاء إلى سطوع شهرتهما في الشعر وتعلقه بهما .

(٦) يعاطله : يسوقه ويباعده .

١٦ - إسماعيل صبرى باشا^(١)

قال :

إِنْ سَمَّيْتَ الْحَيَاةَ فَارْجِعْ إِلَى الْأَرْزِ ضِ تَنْمَ آمِنًا مِنْ الْأَوْصَابِ^(٢)
تِلْكَ أُمَّ أَحْنَى عَلَيْكَ مِنَ الْأُمِّ مِ الَّتِي خَلَفَتْكَ لِلْأَنْعَابِ^(٣)
لَا تَخَفْ ؛ فَالْمَمَاتِ لَيْسَ بِمَاجٍ مِنْكَ إِلَّا مَا تَشْتَكِي مِنْ عَذَابِ
كُلِّ مَيِّتٍ بَاقٍ ، وَإِنْ خَالَفَ الْعُمْدُ وَإِنْ مَانُصَّ فِي غُضُونِ الْكِتَابِ^(٤)
وَحَيَاةُ الْمَرْءِ اغْتَرَابٌ فَإِنْ مَا تَ فَقَدْ عَادَ سَالِمًا لِلتُّرَابِ^(٥)

وقال يناجى الدواة :

يَا دَوَاةُ اجْعَلِي مَدَادَكَ وَرَدًّا لَوْفُودِ الْأَقْلَامِ حِينًا فَحِينًا^(٦)
وَلَيْكُنْ كَالزَّمَانِ حَالًا وَحَالًا تَارَةً آسِنًا وَأُخْرَى مَعِينًا^(٧)

(١) ولد لإسماعيل صبرى باشا سنة ١٨٥٤ م . وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والإدارة ، ثم أرسل إلى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل في مصر مناصب القضاء ، وجعل يترقى فيها إلى أن صار وكيل الحفانية ؛ وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لرقعة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر في رقة شعره وحسن ابتكاره وجمال نقده ، له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فني ؛ مات سنة ١٩٢٣ م .

(٢) الأوصاب : جمع وصب بفتحين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض . لأنه خالق من ترابها .

(٣) أحنى : أعطف وأرفق ، والأم الأولى : الأرض . والثانية : الأم الحقيقية ذات الولد . والأنعاب

جمع ، تعب .

(٤) في غضون الكتاب : في أثنائه . هذا البيت بمثابة التذليل على البيت الذى قبله ، فإنه قرر في ذلك البيت أن الموت لا يعجو من الإنسان شيئاً ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفي هذا البيت يقول : إن كل ميت هو في الواقع حي ، وإن كان الموت معروفاً بأنه عدم الحياة ، وذلك كسأن العنوان إذا خالف في الواقع ما نص عليه في صلب الكتاب .

(٥) هذا البيت جار مجرى البيت الذى قبله ، وهو من أغر الشعر وأروعه .

(٦) الورد بكسر الواو : الماء الذى يورد .

(٧) الآسن : الراكذ المتغير . والمعين بفتح الميم : الماء الجارى . يطلب إلى المداد أن تكون حاله

كحال الزمان فى سعده ونحسه ، وفى صفوه وكدره .

أَكْرَمِي الْعِلْمَ وَأَمْنَجِي خَادِمِيهِ مَاكَ الْغَالِي النَّفِيسَ الشَّمِينَا
وَابْذُلِي الصَّافِي الْمُطَهَّرَ مِنْهُ لِهُدَاةِ السَّرَائِرِ الْمُرْشِدِينَا
وَإِذَا الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ اسْتَعَانَا يَوْمَ نَحْسٍ بِأَجْهَلِ الْجَاهِلِينَا
وَاسْتَمَدْنَا مِنَ الشُّرُورِ مَدَادَا فَاجْعَلِيهِ مِنْ قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا
وَإِذَا مُهْجَةُ الْحَمَائِمِ أَسَدَتْ نُقْطَةً سِرِّهَا الزَّكِيِّ الْمُصُونَا^(١)
فَاجْعَلِيهَا عَلَى الْمَوَدَّاتِ وَقَفَا وَهَبِيهَا رَسَائِلَ الشَّيْقِينَا^(٢)
فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكَ إِلَّا مَا أَعَدَّ الْإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينَا
فَاجْعَلِيهِ حَظِّي لِأَكْتُبَ مِنْهُ شَرْحَ حَالِي لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَا^(٣)

وقال رحمه الله :

يَا مَوْتُ خُذْ مَا أَبَقْتُ أَلْ أَيَّامُ وَالسَّاعَاتُ مِنِّي
يَدِي وَيَيْنِكَ خَطْوَةٌ إِنَّ تَخَطُّهَا فَرَجَّتْ عَنِّي

وقال :

وَلَمَّا التَّقِينَا قَرَّبَ الشُّوقُ جُهْدَهُ شَجِيئِينَ فَاصًّا لَوَعَةً وَعِتَابًا^(٤)
كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ وَغَابًا

(١) المهجة : دم القلب . والحمام : جمع حمامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللاطف وطهر القلب .

(٢) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جمع مودة . الشيقين : المشتاقين .

(٣) حظي : نصيبي .

(٤) شجيين : حزنين من شدة الشوق . مثني شجى (بتشديد الياء) . اللوعة : حرقة الوجد .

وقال في ساعة التوديع :

أَتُرَى أَنْتَ خَاذِلِي سَاعَةَ التَّوَدِيعِ
وَيْكَ ؛ قُلْ لِي ، مَتَى أَرَاكَ بِجَنْبِي
لَسْتُ بَعْضَ الْخُدَاةِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِي
سَاعَةَ الْبَيْنِ قِطْعَةٌ أَنْتِ قُدَّتِ
لَا تُحْيِي رُوحِي الْفِدَاءَ لِمَا حَيَا
دِيعِ يَا قَلْبُ فِي غَدٍ أَمْ نَصِيرِي ؟
رَاضِيًا عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟
قِفْ قَلِيلًا ؛ فَلَسْتُ بِالْمَاجُورِ (١)
لِلْمُحِبِّينَ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢)
كُ غَدًا مِنْ صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ (٣)

وقال يتغزل :

أَبْشِكِ مَا بِي فَإِنْ تَرَحَّمِي
وَأَشْكُو النَّوَى مَا أَمَرَ النَّوَى
وَأَخْشَى عَلَيْكَ هُبُوبَ النَّسِيمِ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ بَرَهَةٍ
رَحِمْتَ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبًّا (٤)
عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لَبًّا (٥)
وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوْضِ هَبًّا
مِنَ الْعُمُرِ لَمْ تَلْقِنِي فِيكَ صَبًّا (٦)

- (١) الحناة بضم الحاء : جمع حاد ، الذي يسوق الإبل ويفنى لها . يريد من قلبه أن يثبت في مكانه الذي هجره ليسير في ركاب الأحبة ويفنيهم ، وذلك كناية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .
(٢) البين : البعد والفرق . وقدت قطعت .
(٣) حان الشيء يحين : قرب وقته . يقول : لا تقتربي يا ساعة الفراق ، رuchi فداء لمن يحسوك غداً من الزمن .
(٤) اللوعة : حرقة الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .
(٥) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق .
(٦) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . الصب : العاشق الشديد العشق .

تَعَالَى نُجَدُّ زَمَانَ الْهَنَاءِ وَنَهَبَ لِيَالِيَهُ الْغُرَّ نَهَبًا^(١)
تَعَالَى أَذَقَ بِكَ طَعْمَ السَّلَامِ وَحَسْبِي وَحَسْبُكَ مَا كَانَ حَرْبًا^(٢)

وقال يتغزل :

يَا رَاحَةَ الْقَلْبِ يَا شُغْلَ الْفُؤَادِ صِلِي مُتَيْمًا أَنْتِ فِي الْحَالِنِ دُنْيَاهُ^(٣)
زِينِي النَّدَى وَسِيلِي فِي جَوَانِبِهِ لُطْفًا يَعْهُ رَعَايَا اللَّطْفِ رِيَّاهُ^(٤)
رِيْحَانَةٌ أَنْتِ فِي صَحْرَاءِ مُجْدِبَةٍ مِنَ الرِّيَّاحِينَ حَيَّانَا بِهَا لُلهُ
إِنْ غَابَ سَاقِي الْطَّلَاؤُ وَصَدَّ ، لَأَحْرَجُ هَذَا جَمَالَكَ يُغْنِينَا مُحْيَاهُ^(٥)

وقال متغزلاً :

أَقْصِرْ فُؤَادِي فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا^(٦)
سَلَا الْفُؤَادُ الَّذِي شَاطَرَتْهُ زَمَنَا حَمَلَ الصَّبَابَةَ فَأَخْفَقَ وَحَدَكَ الْآنَا^(٧)

(١) القر : جمع غراء بتشديد الراء : يريد الحسان .
(٢) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالهرب البعد والتنافر . وهذا شبيهه بقول العباس بن الأحنف

تعالى نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

(٣) المتيم ، الذي استئذله الحب . وفي الحالين ، أى فى حال الوصل والهجر .

(٤) الندى ، بتشديد الياء . النادى . والريا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .

(٥) الطلا بكسر الطاء : الحمر . والحيا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

(٦) أقصر : كف وأقلم

(٧) سلا : هجر ونسى . يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادله الحب . والصبابة بفتح الصاد : العشق .

هَلَّا أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أَهْبَتَهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانًا (١)
لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتُ الْعُمَرَ مُقْتَحِمًا
فِي الْوَصْلِ نَارًا وَفِي الْهَجْرَانِ نِيرَانًا (٢)

ومن قوله في التَّصَوُّفِ :

يَا رَبِّ : أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمُ
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى
يَا رَبِّ : أَهَّلَنِي لِفَضْلِكَ وَكَفَّنِي
وَمُرِ الْوُجُودَ يَشْفُ عَنْكَ لِكَيْ أَرَى
لِلظَّالِمِينَ غَدَاً وَ لِلْفُجَّارِ ؟
وَالْأَرْضِ شِبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ حَسْبِي مِحْنَةٌ
أَخْلَقَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسْمَعُ الْوَرَى
شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ
غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ (٣)
عَلِمِي بِأَنَّكَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ (٤)
أَلَّا تَضِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ (٥)

وقال يرثي « عمر » ابن المرحوم الشيخ علي يوسف وقد مات صغيراً :

يَا مَالِيَّ الْعَيْنِ نُورًا وَالْفُؤَادِ هَوًى
لَا تُخَلِّ أَفْقَكَ ، يَخْلُفُكَ الظَّلَامُ بِهِ
وَالْبَيْتِ أَنْسَا ، تَهْمَلُ فِيهَا الْقَمَرُ (٦)
وَالزَّمْ مَكَانَكَ ، لَا يَحْلُلُ بِهِ الْكَدْرُ (٧)

(١) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء : العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبتة أي هيأت له أسبابه .
والأشجان : المومم والأحزان ، وأحدها شجن ، يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة
والهجران ، فأعددت له عدته قبل أن تندفع في تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق
هوماً وأحزاناً بما تعاني من القطيعة .

(٢) اقتبحم النار : أي رمى بنفسه فيها ، وهجم عليها .

(٣) شف الشيء : يشف من باب ضرب : رق فظهر ما وراءه . اللطيف : المراد به هنا الذات

الإلهية وكذلك الجبار .

(٤) المحنة : البلية والمصيبة ، يقول : يكفيني مصيبة علمي بأنك تعلم السر وما يخفي ، لأنك مطلع

على آتاهي وأوزاري .

(٥) أخلق به أن يفعل كذا : أي ما أحقه بفعله ؛ الأوزار : جمع وزر بكسر الواو وهو الإثم .

(٦) الهوى : الحب .

(٧) يخلفك : يحل محلك ، ولا يحل : لا يحل ، وقد فك الإقدام لضرورة الشعر .

في الحى قلبان باتا ، يا نعيمهما ، وفيهما ، إذ قضيت النار تستعر^(١)
وأعين أربع تبكى عليك أسي ومن بكاء الشكالى: السيل والمطر^(٢)
قد كنت ريحانة في البيت واحدة يروح فيه ويفدو نفعها العطر^(٣)
ما كان عيشك في الأحياء مختصراً إلا كما طاش في أكمامه الزهر^(٤)
فأرحل تشيعك الأرواح جازعة في ذمة الله بعد القبر يا عمر^(٥)

وله يحمس المصريين على لسان فرعون :

لألقوم قومي ولا الأعوان أعواني إذا ونى يوم تحصيل العلا واني^(٦)
ولست إن لم تؤيدنى فراعنة منكم بفرعون عالي العرش والشان^(٧)

لا تقر بوا النيل إن لم تعملوا عملاً فساوؤه العذب لم يخلق لكسلان

- (١) الحى : منازل القوم ، ويريد به بيت أبيه ، والقلبان : قلب والده وقلب والدته . وبانعيهما : أى فى حال حياة ولدهما ؛ وقضيت : مت ، وتستعر : تلمب .
(٢) الأعين الأربع : عينا أبيه ، وعينا أمه . والأسى : الحزن . والشكالى : جمع ناكل وهو الذى يفقد ولده . والمعنى أن أعين والديك تبكى من الحزن لفقدك ، ودموع الفاقدين أولادهم تشبه السيل والمطر فى تدفقه وانهماره .
(٣) كان ريحانة واحدة ، لأنه لم يكن لوالديه غيره . النفخ : الرائحة . والعطر بفتح العين وكسر الطاء الطيب الرائحة .
(٤) مختصراً أى قصيراً ، والأكمام : جمع كم بكسر الكاف ، وهو الغلاف الذى يحيط بالزهرة ، وهو لا يلبث أن يفشق ، فتخرج الزهرة ، ويضرب بالزهر المثل فى قصر العمر .
(٥) تشيعك : تودعك ، وجازعة : شديدة الحزن .
(٦) الأعوان : جمع عون وهو النصير ، وونى : فتر وضعف ، وتحصيل العلا : نيل محامد الأمور .
(٧) العان : الأمر ، والمراد الذى عظم أمره ، وسمت منزلته .

وقال في مسامحة الصديق :

إِذَا خَانِي خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقْنِي
تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوُدِّ يَنِينُهُ
وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فِي مَقَاتِلِهِ سَهْمِي^(١)
فَكَسَّرَ سَهْمِي فَأَنْثَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ

١٧ - الشيخ محمد عبد المطلب^(٢)

قال في احتفال الأمة المصرية بعيد النيروز سنة ١٩١٩ م ، يفخر بمصر

ويعدُّ ما أثرها من قصيدة طويلة :

لَنَا ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الَّذِي تَحْتَ ظِلِّهِ
لَنَا آيَةُ الْأَهْرَامِ يَتَلَوُ قَدِيمَهَا
تَنَاسَلَتِ الْأَحْقَابُ وَاعْتَمَلَ الدَّهْرُ^(٣)
حَدِيثُ اللَّيَالِي فَهَيَّ فِي فَمِهَا ذِكْرُ
مَلَأْنَا بِهَا لَوْحَ الْوُجُودِ مَنَاقِبًا
إِذَا مَا خَلَا عَصْرٌ تَلَاهُ بِهَا عَصْرُ^(٤)
وَلِلْعَلْمِ مِنْ آثَارِنَا فِي جِبَالِنَا
عَلَى الدَّهْرِ آيَاتٌ بِهَا يَنْطِقُ الصَّخْرُ

(١) عقه : عصاه ولم يبر به ، وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة : جمل الوتر في فوقه عند الرمي والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم ، يريد أنه إذا عصاه ولم يبر به سدد إلى مقاتله السهم ، كناية عن إيذائه والكيده له .

(٢) هو محمد بن عبد المطلب بن واصل ، ولد ببلدة « باصونة » إحدى قرى مديرية جرجا ، وأبواه عربيان ينتميان إلى أسرة تتصل بعشيرة من عشائر جهينة التي هي إحدى بطون قضاة ؛ تعلم في الأزهر ، وتخرج في دار العلوم ، وقد كان مدرسا للعلوم العربية بها كان واسع الاطلاع على المحفوظ من قصائد العرب المطولة ، شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقوادها وعلماؤها وشعرائها ، شديد الغيرة على العربية والإسلام ، وتميز شعره بجزالة الألفاظ ، ومتانة التراكيب ، وقوة القافية . وقد تنفى في شعره بأعلام البادية ومعالها حتى لقب بالشاعر البدوي . على أن شعره قد حوى موضوعات عصرية شتى كوصف الحرب الكبرى وحديث السياسة المصرية وغيرها . ومات سنة ١٩٣١ م . عن ستين عاما . وله ديوان مطبوع .

(٣) اعتمل الدهر : اضطرب .

(٤) مناقب : جمع منقبة أى مفخرة .

وَلِلْمَلِكِ مِثْلُ كُلِّ أَرْوَعٍ نُظِّمَتْ
وَمِنَّا الَّذِي سَاقَ الْأَسَاطِيلَ شُرَعًا
لَنَا كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَدَنِيَّةٍ
لَنَا فِي الْوَرَى حَقُّ الْمَعْلَمِ لَوْ رَعَوْا
إِذَا اعْتَزَّ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ سَمَتْ بِنَا
بِنِينَا عَلَى آدَابِ عَيْسَى وَأَحْمَدِ
كَلَانَا عَلَى دِينِ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ أَنَا تَزَلْزَلْتُ
عَلَى تَاجِهِ الْأَفْلَاكُ وَالْأَنْجُمُ الزُّهُرُ (١)
عَلَى الْبَحْرِ يَسْتَحْيِي لِصَوَلَتِهَا الْبَحْرُ (٢)
بِهَا تَعْمُرُ الْأَمْصَارُ وَالْبِلَادُ الْقَفَرُ (٣)
لَنَا ذِمَّةٌ وَالذَّهْرُ شِيَمَتُهُ الْغَدْرُ
مَكَارِمُ فِي طَى الزَّمَانِ لَهَا نَشْرُ (٤)
مَنَازِلَ عِزٍّ دُونَهَا يَقَعُ النَّسْرُ (٥)
وَلَكِنَّ خِذْلَانَ الْبِلَادِ هُوَ الْكُفْرُ
بِنَا قَدَمٌ أَوْ مَسٌّ وَخَدَتْنَا الضَّرُّ

وقال من قصيدة له في المعلم :

بِنِي مِضْرَ مَا بَالُ الْمَعْلَمِ كَاسِفًا
سَبِيلُ النَّبِيِّينَ الْكِرَامِ سَبِيلُهُ
سَلُّوا عَنْهُ جُنْحَ اللَّيْلِ كَمْ بَاتَ مُتَعَبًا
سَلُّوا عَنْهُ عَيْنًا قَرَّحَ الشَّهْدُ جَفْنَهَا
يُرَى النَّاسُ فِيهَا يَكْبُرُونَ وَيَصْغُرُ (٦)
يَعْمُ بِهِ الدُّنْيَا صَبَاحًا فَتَقْمُرُ (٧)
تَنَامُ حَوَالِيَهُ النُّجُومُ وَيَسْهَرُ (٨)
يَخُطُّ عَلَيْهَا فِي الظَّلَامِ وَيَسْطُرُ

(١) الأروع : السيد الشهم .

(٢) شرعاً : ضاربات بأشروعها في الجو . الصولة : البطش .

(٣) البلد القفر : الحالى من النبات .

(٤) يريد أن لنا تاريخاً مجيداً مطويًا في السنين الحالية تنشر أخباره على الأيام وهو مبعث العزة فينا

كما يعتز غيرنا بالاختراعات الحديثة . (٥) النسرة : طائر جارح لا يقع إلا على القمم العالية .

(٦) كاسفًا : حزيناً .

(٧) النبئين : جمع نبي . مهموز نبي . فتقمر : يريد فتضى .

(٨) جنح الليل : ظلامه . تنام النجوم : يريد تغيب .

سَلُّوا عَنْهُ جَسَمًا بَاتَ بِالسُّقْمِ نَاحِلًا
سَلُّوا عَنْهُ أَسْفَارًا قَضَى اللَّيْلَ بَيْنَهَا
سَلُّوا عَنْهُ قَلْبًا بَاتَ يَخْفِقُ رَحْمَةً
فَإِنْ مَدَّ لِلدُّنْيَا يَدًا يَسْتَمِدُّهَا
فِيَا وَيْحَهُ كَمْ يَشْتَكِي فِي حَيَاتِهِ
وَلَمْ تَحَى إِلَّا بِالْمُعَلِّمِ أُمَّةٌ
فَإِنْ لَمْ يَطْبُ بِالْعَيْشِ نَفْسًا وَلَمْ يَكُنْ
رَأَيْتَ شَبَابًا يُطْفِئُ الْجَهْلُ نُورَهُ
فَلَا الْبُرَّةَ مَا مُوَلِّ وَلَا هُوَ يُعْذَرُ
غَرِيبًا عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلُوهُ حُضْرٌ (١)
عَلَى فِتْيَةٍ مِنْ حَوْلِهِ تَتَضَوَّرُ (٢)
لَهُمْ ، عَنْهُ وَلَّتْ وَهَى غَضْبَى تَشْرُزُ (٣)
وَكَمَّ يَتَلَقَّى مِنْ بَلَاءٍ فَيَصْبِرُ
وَلَا سَادَ إِلَّا بِالْمُعَلِّمِ مَعْشَرُ
لَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ الْمَقَامُ الْمَوْقَرُ
وَنَشْتًا إِذَا هَمُّوا إِلَى الْمَجْدِ قَصَّرُوا (٤)

١٨ - حافظ إبراهيم (٥)

قال يصف الشمس :

لَا حَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ
وَمَحَّتْ آيَتَهَا آيَتَهُ
فَنَسُوا بِاللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَبِينِ (٦)
وَتَبَدَّتْ فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ

- (١) أسفاراً : كتباً ، جمع سفر بكسر السين . حضر : جمع حاضر .
(٢) تتضوّر : تتلوى من الجوع .
(٣) يستمدّها : يطلب منها المدد أى المعونة . تشزر بحذف لإحدى التاءين : تنظر إليه بغضب ووزرابة .
(٤) النش : جمع ناشىء وهو الصغير .
(٥) هو المرحوم حافظ بك إبراهيم ، ولد حوالى سنة ١٨٧٢ م . وتعلم فى المدرسة الحربية ، ثم تخرج ملازماً وسافر إلى السودان ، ثم أحيل إلى المعاش ، ثم عين رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب ، وتوفى سنة ١٩٣٢ م . وكان شاعراً جيد الأسلوب ، قوى اللفظ ، موفقاً فى الاجتماعيات ، ملهماً للشعور الوطنى بما يفشىء من قصائده السياسية .
(٦) وضاح الجبين : القمر .

نَظَرَ اِبْرَاهَامُ فِيهَا نَظْرَةً فَأَرَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينُ^(١)
قَالَ : ذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَتَ قَالَ : (إِنِّي لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ)^(٢)
وَدَمًا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٣)
رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَاسِرِينَ
خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ وَإِلَى الْأَذْقَانِ خَرُّوا سَاجِدِينَ
نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً فَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُرْسَلِينَ
نَظَرُوا بَدَرَ الدُّجَى مِرَاتِهَا تَتَجَلَّى فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ .
هُمْ قَالُوا : كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا هَلْ لَهَا فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ قَرِينٌ ؟
هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينٌ^(٤)
هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَعِينِ^(٥)
هِيَ طَلَعُ الرَّوْضِ نَوْرًا وَجَنَى هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ ، طِيبُ الْيَاسْمِينِ^(٦)
هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةٌ لِلوَرَى وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلْغَابِرِينَ
صَدَقُوا لِكِنَّهُمْ مَا عَلِمُوا أَنَّهَا خَلَقَتْ سَيِّئِي السَّنِينِ

(١) ابراهيم : لغة في إبراهيم ، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في القرآن في سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : « فلما رأى الشمس بازغة الآية : وقوله : « فأرى الشك » ملح ؛ أى أظهر لقومه أنه شك في الإله لكي يهديهم إليه وهو متيقن وجوده .
(٢) أفلت : غابت . (٣) السلطان : الحجية
(٤) يشير بقوله : « هي أم الأرض » ، إلى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت عنها وبرد ظاهرها بتطاول الزمن .
(٥) المعين : النابع من العيون .
(٦) يريد « بالطلع » : ما يبدو من الثمرة في أول ظهورها . ونور النبات بفتح النون : زهره .
والجنى : ما يجنى من الشجر . ونشر الورد : رائحته المنتشرة منه .

أ إِلَهٌ لَمْ يُنَزَّهُ ذَاتَهُ ، عَنْ كَسُوفٍ ، بِئْسَ زَعْمُ الْجَاهِلِينَ
إِنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَاهَا مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
حِكْمَةٌ بِاللُّغَةِ قَدْ مَثَلَتْ قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ غَافِلِينَ

وقال على لسان اللغة العربية تنمى حظها بين أهلها :

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي (١)
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقُمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي (٢)
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِرَأْسِي رِجَالًا وَأَكْفَاءَ وَأَدْتُ بِنَاتِي (٣)
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا صَنَعْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعَظَاتِي (٤)
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءِ لِمُخْتَلَعَاتِي
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَاءَلُوا الْعَوَاصِ عَنْ صَدَفَاتِي
فَيَا وَيْحَكُمْ أَيْلَى وَتَبَلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي (٥)
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي (٦)

(١) رجعت لنفسي : أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتي : عدتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية لى عدت لى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بقدرتى ، وكادت أصدق مارموني به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجد منهم سيماء ، فادخرت حياتى عند الله .

(٢) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتني كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . ويكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها .

(٣) يريد « بالعراس » الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية .

(٤) الآى : جمع آية .

(٥) الأساة : جمع الآسى : وهو الطيب .

(٦) تكلونى : تتركونى . وتحين : تحل .

أَرَى لِرَجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتٍ (١)
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّنًا فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أَيُّطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِأَدَى فِي رَيْعِ حَيَاتِي (٢)
وَلَوْ تَزَجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتٍ (٣)
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَايَ (٤)
حَفَظْنَ وَدَادِي فِي الْبَلِيِّ وَحَفَظْتُهُ لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحُسْرَاتِ
وَفَاخَرَتْ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطْرُقٌ حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ (٥)
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجُرَائِدِ مَزْلَقًا مِنْ الْقَبْرِ يُدْنِي بِنَيْبِ بَغَيْرِ أُنَاةٍ (٦)
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّاحِحِينَ نِعَايَ (٧)
أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ - إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةٍ (٨)
سَرَتْ لُوثةُ الْأَفْرَجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ (٩)

- (١) يقال : هو في منعة ، أي في قوم يمنعونه ويحمونه .
(٢) الناعب : الصوت بما هو مستكره . وريع الحياة : أيام الشباب والقوة .
(٣) زجر الطير : هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك في طيرانه ميامنه تفاعلت به خيراً ، وإن ولاك مياسره تطايرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم مايجر دفتي هليكم من السقوط والانحلال .
(٤) القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » من دفن في الجزيرة من العرب الأولين . (٥) النخرات : البالية المتفتتة .
(٦) المزلق : مكان الانزلاق ، أي السقوط والزلال . والأناة : التأني والإبطاء . ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .
(٧) النعاة : جمع ناع ، وهو الخبز بالموت .
(٨) لم تتصل برواة . أي لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التي تحفظها من الغير كما هو الشأن في العربية . ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة ؛ وكان ذلك في سنة ١٩٠٣ .
(٩) اللوثة بالضم : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعي : سمها . والفرات : الماء العذب .

جَاءَتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشَكَّلَةً الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتٍ
إِلَى مَعْشَرِ الْكُتَّابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٍ بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايِي (١)
فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ الْمَيِّتَ فِي لَبْلَى وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ الرَّؤُوسِ رِفَاتِي (٢)
وَإِمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ مَمَاتٌ لِعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتٍ

ومن قصيدة له دعاها « غادة اليابان » ضمنها غرامه بغادة يابانية ؛ وأشاد

بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا :

لَا تَلَمْ كَفِي إِذَا السَّيْفُ نَبَاً صَحَّ مِنِّي الْعَزْمُ وَالذَّهْرُ أَبِي (٣)
رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلِبَا
مَرْحَبًا بِالْخُطْبِ يَبْلُونِي إِذَا كَانَتِ الْعُلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا (٤)
عَقَّنِي الذَّهْرُ وَلَوْلَا أَنِّي أَوْثِرُ الْحُسْنَى عَقَقْتُ الْأَدْبَا (٥)
إِيهِ يَادُنْيَا أَعْبَسِي أَوْ فَابَسِمِي لَا أَرَى بَرَقَكَ إِلَّا خَابَا (٦)
أَنَا لَوْلَا أَنْ لِي مِنْ أُمَّتِي خَاذِلًا مَا بَتُّ أَشْكُو النَّوْبَا
أُمَّةٌ قَدْ فَتَّ فِي سَاعِدِهَا بَغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّهَا الْغُرْبَا (٧)

(١) الشكاة : الشكوى .

(٢) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر وبلى ، يريد ما بقي من الجسد بعد الموت .

(٣) نبا السيف : كل وارتد . (٤) يبلوني : يخبرني .

(٥) عقه : ترك الإحسان إليه ولم يبر به . يقول إن الدهر لم ينصفني ، والجاني على هو أدبي ، ولولا أنني أوتر الإحسان لهجرت الأدب الذي كان سبباً في شقائي .

(٦) البرق الخلب : الذي يطعم الناس في مطره ويخلفهم .

(٧) فت في ساعدها : عبارة يكنى بها عن الإضعاف وإيهان القوى .

تَعْشَقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعَلَا وَتُقَدِّى بِالنُّفُوسِ الرُّتَبَا
وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا تَعْشَقُ اللَّهُوَ وَتَهْوَى الطَّرَبَا^(١)
لَا تُبَالِي لَعِبِ الْقَوْمِ بِهَا أَمْ بِهَا صَرْفُ اللَّيَالِي لَعِبَا^(٢)
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذَاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثًا عَجَبَا^(٣)
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا^(٤)
ذَاتَ وَجْهِ مَزَجِ الْحُسْنِ بِهِ صُفْرَةً تُنْسِي الْيَهُودَ الذُّهَبَا
حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَا لَا زَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا
وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ فَتَى وَهَلَالُ الْأَفْقِ فِي الْأَفْقِ حَبَا^(٥)
مِمَّ قَالَتْ لِي بِشَعْرِ بِاسِمِ نَظَمَ الدَّرَّ بِهِ وَالْحَبِيبَا^(٦)
نَبْتُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلِ لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا^(٧)
وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أُغْتَدِي عَانِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا^(٨)
نَذْبِحُ الدُّبَّ وَنَفْرِي جِلْدَهُ أَيُّظُنُّ الدُّبَّ إِلَّا يُغْلَبَا^(٩)

- (١) والأحداث تستهدفها : أى أن حوادث الدهر تجعلها هدفاً لها ترميه .
(٢) يريد « بالقوم » : الإنجليز . وصروف الليالي : غيرها ونوائبها ، أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .
(٣) يقال شجاء شجواً ، إذا هيج أحزانه وشوقه .
(٤) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .
(٥) والليل فتى : أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .
(٦) الحب : الفقايع التى تعلق سطح السماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها .
(٧) المنقلب : العودة والرجوع .
(٨) أغتدى : أى أبادر مبكرة للدفاع عنه .
(٩) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالثنين ، وألمانيا بالنسر .
ونفري : نشق ويشير بهذا البيت إلى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م . وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م .

قلتُ وَالْآلَامُ تَفَرِي مُهْجَتِي وَيَاكَ ، مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظُّبَا (١)
مَا عَهْدُنَاهَا لِظُنِّي مَسْرَحًا يَتَغَيُّ مَلْهُي بِهِ أَوْ مَلْعَبًا
لَيْسَتْ الْحَرْبُ نُفُوسًا تُشْتَرَى بِالْتَّمَنِّي أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى (٢)
أَحْسِبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُدَّتْهَا أَمْ ظَنَنْتُ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا (٣)
فَسَلِّبْنِي ، إِنِّي مَارَسْتُهَا وَرَكَبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرَكَبَا (٤)
وَتَقَحَّمتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا (٥)
قَطَّبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطَّبَا (٦)
جَالَ عَزْرَائِيلُ فِي أَمْحَائِهَا تَحْتِ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبَى (٧)
فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا وَأَزِمِي يَا ظَمِيمَةَ الْبَانَ الْخَبَا (٨)
فَأَجَابْتَنِي بِصَوْتٍ رَاعِنِي وَأَرْتَنِي الظُّبَى لَيْثًا أَغْلَبَا (٩)
إِنَّ قَوْمِي اسْتَعَذَبُوا وَرَدَّ الرَّدَى كَيْفَ تَدْعُونِي أَلَّا أَشْرَبَا ؟

- (١) الظبا : الضياء . وقصر لضرورة الشعر .
(٢) تستبي : تؤسر بالحرب .
(٣) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهي حد السنان .
(٤) مارسها : أي اشتركت فيها .
(٥) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .
(٦) التقطيب : العبوس . والضمير فى (قطب) للغارة .
(٧) الهيدبى (بالهمزة والمهمله) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت لى كثرة ما تحطفه عزرائيل فى هذه الحرب .
(٨) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الضياء . والخبأ (بالقصر) : الخباء (بالمد) وقصر لضرورة الشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .
(٩) راعنى : أفرغنى ، والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة وهى علامة القوة . يقول لأنها غضبت من تنقصه لها وأنها لا تصلح للحرب فأجابته بصوت أفرغه لشدته وقسوته واستحالت من ظي وادع لى أسد قوى .

أَنَا يَا بَابِيَّةَ لَا أَنْشَى
عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْعَطْبَا^(١)
أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسِنِ الرَّحْمَى وَلَمْ
تَسْتَطِعْ كَفَّايَ تَقْلِيْبَ الظُّبَا^(٢)
أَخْدُمُ الْجُرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ
وَأُوَاسِي فِي الْوَعَى مِنْ نُكْبَا^(٣)
هُكْدَا (الميكادُ) قَدْ عَامَنَا
أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمَّا وَأَبَا^(٤)
مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ
أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
وَإِذَا مَارَسْتَهُ الْفَيْتَهُ
حُوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلْبَا^(٥)
كَانَ وَالتَّاجُ صَغِيرَيْنِ مَعَا
وَجَلَالُ الْمَلِكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا
فَعَدَا هَذَا سَمَاءَ لِلْعُلَا
وَعَدَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَدَّأَبَا^(٦)
بَعَثَ الْأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدَهَا
وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارَبَا^(٧)
فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْعَى شَاوَهُ

(١) العطب : الهلاك .

(٢) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهي حد السيف أو السنان .

(٣) الوعى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة .

(٤) الميكادو : لقب للملك اليابان .

(٥) الحول : الشديدا الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في أخرى . والقلب : البصير بتقلب

الأمور .

(٦) تدأب : تجدد في طلبها .

(٧) الشأو : الغاية .

١٩ - شوقي^(١)

قال من قصيدة له يصف فيها دمشق :

آمَنْتُ بِاللَّهِ وَاسْتَنْثَيْتُ جَنَّتَهُ دَمَشْقُ رَوْحٍ وَجَنَّاتُ وَرِيحَانُ
قَالَ الرَّفَّاقُ وَقَدْ هَبَّتْ نَحْمَائِلُهَا الأَرْضُ دَارُهَا (الفيجاء) بُسْتَانُ^(٢)
جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقَانَا بِهَا (بَرْدَى) كَمَا تَلْقَاكَ دُونَ الْخُلْدِ رِضْوَانُ^(٣)
دَخَلْتُهَا وَحَوَاشِيهَا زُمُرَةٌ وَالشَّمْسُ فَوْقَ الْجُبْنِ الْمَاءِ عَقِيَانُ^(٤)
وَالْحُورُ فِي (دُمْرٍ) أَوْ حَوْلِ (هَامَتِهَا) حُورٌ كَوَاشِفُ عَن سَاقٍ وَوَلْدَانُ^(٥)
(رَبُوءَةٌ) الْوَادِ فِي جَلْبَابِ رَاقِصَةٍ السَّاقُ كَاسِيَةٌ وَالنَّحْرُ عُرْيَانُ
وَالطَّيْرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ الْعِيُونِ بِهَا وَاللَّعِيُونُ كَمَا لِلطَّيْرِ الْخَانُ
وَأَقْبَلتْ بِالنَّبَاتِ الأَرْضُ مُخْتَلِفًا أَفْوَاهُهُ فَهَوَ أَصْبَاغٌ وَأَلْوَانُ^(٦)

(١) هو أحمد شوقي بك ابن أحمد شوقي بك ولد بالقاهرة ونشأ فيها . على أن أصله ، كما يحدث هو عن نفسه ، عربي تركي يوناني ، جر كسي . وكانت نشأته في كنف بيت الملك ، وقد تقدم في العلم حتى دخل مدرسة الحقوق صغير السن . فلبث فيها سنتين ، ثم أنشئ بها قسم للترجمة فلبث فيه سنتين آخرين وحصل على الإجازة النهائية ، ثم أوفده المرحوم الحديوي توفيق على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب فلما عاد ألحقه بمعينه ، فلبث في المعية الحديوية حتى نشبت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ فترك مصر وعاش في أسبانيا ، ثم عاد إلى مصر .

وهو أشهر شعراء هذا العصر ، ومن أطولهم نفساً ، وأكثرهم تصرفاً في فنون الشعر حتى لقد اصطاح جمهور الأدباء في العالم العربي على تلقيبه « بأمير الشعراء » . توفي إلى رحمة الله في سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الفيجاء : دمشق .

(٣) بردى : نهر دمشق .

(٤) اللجين بضم اللام وفتح الجيم : الفضة . والعقيان : الذهب الخالص .

(٥) دمر : ضاحية دمشق . الحور الأولى : شجر عظيم يشبه السرو . والحور الثانية : جمع حوراء .

وهي المرأة في عينها حور ، أي شدة بياضها مع شدة سوادها ، والمراد بالحور : الحسان .

(٦) أفواهه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب . والمراد هنا الزهر .

وَقَدْ صَفَى (بَرَدَى) لِلرِّيحِ فَابْتَرَدَتْ
لَدَى سُتُورِ حَوَاشِيهِنَّ أَفْنَانٌ^(١)
ثُمَّ انْتَنَتْ لَمْ يَزُلْ عَنْهَا الْبِلَالُ وَلَا
جَفَّتْ مِنَ الْمَاءِ أَذْيَالٌ وَأَرْدَانٌ^(٢)

وقال يتغزل :

تَأْتِي الدَّلَالَ سَجِيَّةً وَتَصَنُّعًا
وَأَرَاكَ فِي حَالِي دَلَالِكَ مُبْدَعًا
تَهْ كَيْفَ شِدَّتَ فَمَا الْجَمَالُ بِحَاكِمٍ
حَتَّى يُطَاعَ عَلَى الدَّلَالِ وَيُسْمَعَا
لَكَ أَنْ يُرَوِّعَكَ الْوَمِشَاةُ مِنَ الْهَوَى
وَعَلَى أَنْ أَهْوَى الْغَزَالَ مُرَوِّعَا
قَالُوا : لَقَدْ سَمِعَ الْغَزَالُ لِمَنْ وَشَى
وَأَقُولُ : مَا سَمِعَ الْغَزَالُ وَلَا وَعَى
أَنَا مَنْ يُحِبُّكَ فِي نِفَارِكَ مُؤَنِّسًا
وَيُحِبُّ تِيهَكَ فِي نِفَارِكَ مُطْمَعًا
قَدِّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ أَيَّامَ الْهَوَى
وَجَعَلْتُهَا أَمَلًا عَلَيْكَ مُضِيْعًا
وَصَدَّقْتُ فِي حَبِيٍّ وَلَسْتُ مُبَالِيَا
أَنْ أُمْنَحَ الدُّنْيَا بِهِ أَوْ أُمْنَعَا

وقال يتغزل أيضا :

رُدَّتْ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكَ
أَحْسَنُ الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَرْجَعُكَ^(٣)
مَرًّا مِنْ بَعْدِكَ مَا رَوَّعَنِي
أَتْرَى يَا حُلُوًّا بَعْدِي رَوَّعَكَ ؟
كَمْ شَكَّوْتُ الْبَيْنَ بِاللَّيْلِ إِلَى
مَطْلَعِ الْفَجْرِ عَسَى أَنْ يُطْلِعَكَ
وَبَعَثْتُ الشُّوقَ فِي رِيحِ الصَّبَا
فَشَكَا الْحُرْقَةَ مِمَّا اسْتَوَدَعَكَ

(١) ابتردت : اغتسلت .

(٢) البلال : أى الببل . أردان : جمع ردن بضم الراء (وسكون الدال) وهو الكم .

(٣) ضنى الرجل على وزن علم : مرض فتمكن منه الضعف والهزال .

يَا نَعِيمِي وَعَذَابِي فِي الْهَوَى بِمَعْدُولِي فِي الْهَوَى مَا جَمَعَكَ ؟
أَنْتَ رُوحِي ، ظَلَمَ الْوَأَشَى الَّذِي زَعَمَ الْقَلْبَ سَلَا أَوْ ضَيَّعَكَ ^(١)
مَوْقِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ آه لَوْ تَعَلَّمَ عِنْدِي مَوْعَكَ
أَرْجَفُوا أَنَّكَ شَالِكٌ مُوجِعٌ لَيْتَ لِي فَوْقَ الضَّنَا مَا أَوْجَعَكَ
نَامَتِ الْأَعْيُنُ إِلَّا مُقَلَّةً تَسْكُبُ الدَّمْعَ وَتَرْغَى مَضْجَعَكَ

وقال يصف الطبيعة في طريقه إلى الأستانة قادماً من أوربا :

تلك الطبيعة قف بنا ياسارى حتى أريك بديع صنع البارى
الأرض حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيات والآثار
من كل ناطقة الجلال كأنها أم الكتاب على لسان القارى ^(٢)
دلت على ملك الملوك فلم تدع لأدلة الفقهاء والأخبار ^(٣)
من شك فيه فنظرة في صنعه تمحو أئيم الشك والإنكار

كُشِفَ الْغَطَاءُ عَلَى الطَّرُولِ وَأَشْرَقَتْ مِنْهُ الطَّبِيعَةُ غَيْرَ ذَاتِ سِتَارٍ
شَبَّهْتُهَا (بِلَقَيْسٍ) فَوْقَ سَرِيرِهَا فِي نَضْرَةٍ وَمَوَاكِبِ وَجَوَارِي

(١) سلا : سلاك أى نسيك .

(٢) أم الكتاب : فاتحته .

(٣) الأخبار : جمع خبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

أَوْ (بَابِن دَاوِدِ) وَوَاسِعٍ مُلْكِهِ وَمَعَالِمٍ لِلعِزِّ فِيهِ كِبَارٍ^(١)
هُوجُ الرِّيحِ خَوَاشِعٌ فِي بَابِهِ وَالطَّيْرُ فِيهِ نَوَاسِكُ المُنْقَارِ^(٢)

قَامَتْ عَلَى ضَاحِي الجِنَانِ كَأَنَّهَا رِضْوَانُ يُرْجَى المُلْكَ للأَبْرَارِ^(٣)
كَمْ فِي الحَمَائِلِ؛ وَهِيَ بَعْضُ إِمَائِهَا مِنْ ذَاتِ خَلْخَالٍ وَذَاتِ سَوَارِ^(٤)
وَخَسِيرَةٍ عَنْهَا الثِّيَابُ وَبِضَّةٍ فِي النَّاعِمَاتِ تَجُرُّ فَضْلَ إِزَارِ^(٥)
وَضُحُوكِ سَنٍّ تَمَلُّ الدُّنْيَا سَنِي وَغَرِيقَةٍ فِي دَمْعِهَا المَدْرَارِ
وَوَحِيدَةٍ بِالنَّجْدِ تَشْكُو وَخَشَةَ وَكَبِيرَةٍ الأَثْرَابِ بِالأَغْوَارِ^(٦)

وَلَقَدْ تَمَرُّ عَلَى الغَدِيرِ تَحَالُهُ وَالنَّبْتُ مَرَاةَ زَهَتْ بِإِطَارِ^(٧)
حُلُوِّ التَّسْلُسُلِ مَوْجُهُ وَخَرِيرُهُ كَأَنَّمَلٍ مَرَّتْ عَلَى أَوْتَارِ
سَدَّتْ سَوَاعِدَ مَائِهِ وَتَأَلَّقَتْ فِيهَا الجَوَاهِرُ مِنْ حَصَى وَجِمَارِ^(٨)
يَنْسَابُ فِي مُخْضَلَّةٍ مُبْتَلَةٍ مَنسُوجَةٍ مِنْ سُنْدُسٍ وَنُضَارِ^(٩)

- (١) المعالم : جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه .
(٢) هوج : جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التي لا تستوى في هبوبها وتقلع البيوت .
(٣) الضاحي : السكان البارز - يرجى : يسوق ويستحث .
(٤) الإماء : الجوارى .
(٥) الإزار : الملحفة وكل ماستر .
(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . الغور : القعر من كل شيء .
(٧) إطار الشيء : كل ما أحاط به والمعنى أن الغدير بما استدار على حافته من الزهر كأنه مرآة لها إطار .
(٨) جمار : جمع جرة وهي الحصى .
(٩) أخضل الشيء : صار نديا بديلا . النضار : الذهب .

زَهْرَاءُ عَوْنِ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْهَوَى
قَامَ الْجَلِيدُ بِهَا وَسَالَ كَدَانَهُ
وَتَرَى السَّمَاءَ ضَحَى وَفِي جُنْحِ الدُّجَى
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ سَلَكَتْ وَمَذْهَبِ
مُخْتَارَةَ الشُّعْرَاءِ فِي آذَارِ
دَمْعِ الصَّبَابَةِ بَلَهَ غَضْنَ عَذَارِ
مُنَشَّقَةً عَنْ أَنْهَرٍ وَبِحَارِ^(١)
جِبَلَانٍ مِنْ صَخْرٍ وَمَاءٍ جَارِي

وقال في وصف الطيارة ، وهذا من أروع الكلام :

نِصْفُهُ طَيْرٌ وَنِصْفٌ بَشَرٌ
حَمَلَ الْفَوْلَاذُ رِيشًا وَجَرَى
وَجَنَاحٌ غَيْرِ ذِي قَادِمَةٍ
وَذَنَابِي ، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا
يَتَرَاءَى كَوْكَبًا ذَا ذَنْبٍ
فَإِذَا جَازَ الثُّرَيَّا لِاتَّرى
يَا لَهَا إِحْدَى أَعَاجِبِ الْقَضَاءِ!
فِي عَنَانِينَ لَهُ : نَارٌ وَمَاءٌ
كَجَنَاحِ النَّحْلِ مَصْقُولِ سَوَاءِ
مَسَّهُ صَاعِقَةٌ مِنْ كَهْرٍ بَاءِ
فَإِذَا جَدَّ فَسَهَمًا ذَا مَضَاءِ
جَرَّ كَالطَّائِرِ وَسِ ذَيْلِ الْخَيْلِ

ومن قصيدة له دعاها : (الأندلس الجديدة) :

يَا أُخْتَ أُنْدَلُسٍ عَلَيْكَ سَلَامٌ
نَزَلَ الْهَلَالُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْتَهَا
أَزْرَى بِهِ وَأَزَالَهُ عَنْ أَوْجِهِ
هَوَتْ الْخِلَافَةُ عَنْكَ وَالْإِسْلَامُ^(٢)
طُوِيَتْ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظُلَامٌ
قَدَرٌ يَحُطُّ الْبَدْرَ وَهُوَ تَمَامُ^(٣)

(١) الدجى : الظلمة أو سواد الليل .

(٢) يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنة وقد كانت من أمهات المدن العثمانية في مقدونية وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها في الحرب سنة ١٩١٣ بعد أن أبلت حاميتها في الدفاع عنها بلاء حسناً .

(٣) أزرى به : وضع من شأنه الأوج : العلو .

جُرْحَانِ تَمْضِي الْأُمَّتَانِ عَلَيْهِمَا : هذا يَسِيلُ وَذَاكَ لَا يَلْتَأَمُ^(١)
بِكَمَا أُصِيبَ الْمَسَامُونَ وَفِيكُمْ لَمْ يُطَوِّ مَا تَمُّهَا ، وَهَذَا مَا تَمُّ
دُفِنَ الْيِرَاعُ وَغُيِّبَ الصَّمْصَامُ^(٢) مَا بَيْنَ مَصْرَعَيْهَا وَمَصْرَعِكَ انْقَضَتْ
لَبِسُوا السَّوَادَ عَلَيْكَ فِيهِ وَقَامُوا^(٣) خَلَّتِ الْقُرْمُونُ كَلَيْلَةَ وَتَصَرَّمَتْ
فِيهَا نُحِبُّ وَنَكْرَهُ الْأَيَّامُ دَوْلُ الْفُتُوحِ كَأَنَّهَا أَخْلَامُ^(٤) وَالذَّهْرُ لَا يَأَلُو الْعَمَالِكَ مُنْذِرًا
فَإِذَا غَفَلْنَا فَمَا عَلَيْهِ مَلَامُ^(٥)

مَقْدُونِيَا ، وَالْمَسَامُونَ ، عَشِيرَةٌ كَيْفَ الْخَوْوَلَةُ فِيكَ وَالْأَعْمَامُ^(٦)
أَتَرَيْنَهُمْ هَانُوا ، وَكَانَ بَعِزُّهُمْ وَعُلُوُّهُمْ يَتَخَايَلُ الْإِسْلَامُ^(٧)
إِذْ أَنْتِ نَابُ اللَّيْثِ ، كُلُّ كَتَيْبَةٍ طَلَعَتْ عَلَيْكَ فَرِيْسَةٌ وَطَعَامُ^(٨)
مَا زَالَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى بُدِّلَتْ وَتَغَيَّرَ السَّقِيُّ ، وَحَالَ الْجَامُ^(٩)

- (١) جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدي المسلمين ، والثاني خروج الأندلس من أيديهم .
الأمتان هم العرب أيام نكبة الأندلس ، والترك أيام ضياع أدرنة .
(٢) اليراع : يريد القلم ، والصمصام : السيف .
(٣) لم يطو ما تمها : أي ما تم الأندلس .
(٤) خلت : مضت . تصرمت : انقضت .
(٥) لا يألو : لا يقصر ولا يبطل .
(٦) مقدونيا : اسم الإقليم الذي تقع فيه أدرنة . العشيرة : قبيلة الرجل . الخوولة : نسبة إلى الحال كالعومة وهي النسبة إلى العم .
(٧) يتخايل : يتبختر .
(٨) إذ أنت ناب الليث : أي مثل الليث في أنه مخوف لا يمكن الوصول إليه . الكتيبة : الجيش ، وقيل القطعة منه . والمعنى أن الإسلام كان يتخايل بعز أبنائه في مقدونيا حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع الليث على من يريده ، وحينما كانت تفتي دونها جيوش الأعداء .
(٩) حال : تحول من حال إلى حال . والجام : إناء من فضة تسقى فيه الخمر .

أَرَأَيْتِ كَيْفَ أُدِيلَ مِنْ أَسَدِ الشَّرِيِّ وَشَهِدَتْ كَيْفَ أُبِيحَتْ الْأَجَامُ^(١)
زَعَمُوكَ هَمًّا لِلْخِلَافَةِ نَاصِبًا وَهَلِ الْمَمَالِكُ رَاحَةٌ وَمَنَامٌ^(٢)
وَيَقُولُ قَوْمٌ : كُنْتُ أَشَامَ مَوْرِدٍ وَأَرَاكِ سَائِغَةً عَلَيْكَ زَحَامٌ
وَيَرَاكِ دَاءَ الْمُلْكِ نَاسُ جَهَالَةٍ بِالْمُلْكِ مِنْهُمْ عِيْلَةٌ وَسَقَامٌ
لَوْ آثَرُوا الْإِصْلَاحَ كُنْتَ لَعَرْشِهِمْ رُكْنًا عَلَى هَامِ الشُّجُومِ يُقَامُ^(٣)
وَهُمْ يُقَيِّدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ وَقَيُودُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَوْهَامُ
صُورُ الْعَمَى شَتَّى ، وَأَقْبَحُهَا إِذَا نَظَرْتَ بِنَعِيرِ عِيُونِنَ الْهَامُ
وَلَقَدْ يُقَامُ مِنَ السُّيُوفِ ، وَلَيْسَ مِنْ عَثَرَاتِ أَخْلَاقِ الشُّعُوبِ قِيَامُ

ومن روائع حكمه ، وما جرى من شعره مجرى الأمثال . قوله :

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَاقْتُمْ عَلَيْهِمْ مَا تَمَّا وَعَوِيلاً

وَمَا السَّلَاحُ لِقَوْمٍ كُلِّ عُدَّتِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي أَهَبِ

(١) أدبيل منها : صارت مغلوبة بعد أن كانت غالبية . والشرى : مكان تكثر فيه الأسود .
الاجام : جمع أجم ، وهو الشجر الملتف تألفه الأسود أيضاً .

(٢) الهم الناصب : المتعب .

(٣) لو آثروا الإصلاح : أى لو اختاروه . الهام : جمع هامة ، وهى رأس كل شىء .

عَلَى الْأَخْلَاقِ خُطُّوا الْمَلِكَ وَابْنُوا فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلْعَزِّ رُكْنٌ

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ مُبْنِيَانُ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَقَهُمْ كَانَتْ خَرَابَا

وَلَا الْمَصَائِبُ إِذْ يُرْمَى الرَّجَالُ بِهَا بِقَاتِلَاتٍ إِذَا الْأَخْلَاقُ لَمْ تُصَبِّ

أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا ؟

وَلَيْسَ بِالْفَاضِلِ فِي نَفْسِهِ مَنْ يُنْكَرُ الْفَضْلَ عَلَى رَبِّهِ

مَا أَضْعَبَ الْفِعْلَ لِمَنْ رَامَهُ وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَ

رَبٌّ إِنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ وَإِذَا شِئْتَ فَالْمَضِيقُ فَضَاءٌ

* وَاسْتَقِيمُوا يَفْتَحُ اللَّهُ لَكُمْ بَابًا فَبَابًا *

وَالْجَهْلُ مَوْتُ فَإِنْ أُوتِيَتْ مُعْجِزَةٌ فَأَبْعَثْ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ فَأَبْعَثْ مِنَ الرَّجِيمِ

صَلِّحْ أَمْرَكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعِ وَخِمِ

* الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحْمِ *

تم بعون الله تعالى طبع هذا الكتاب في يوم السبت ٢٢ ذى الحجة
سنة ١٣٧٣ هـ (الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٤ م) بمطابع
دار الكتاب العربي لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الثاني

للسنة الثانية الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد علي النياوي

فهرس

صفحة	صفحة
	العصر العباسى الثانى
	الأدب فى خراسان والعراق
	(١) الشعر
	الشريف الرضى :
١١	١ قال يتغزل
١١	وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك
١٣	٢ بهاء الدين البويهى
	وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسى
	٣ فى أحد مجالسه
	وقال يفتخر من قصيدة يمدح بها أهل
	٤ البيت
	٥ وقال فى صغره
	مهيار الديلبى :
	٦ قال فى الفخر بقومه فارس وبالإسلام
	٧ وقال من قصيدة فى التشوق
	٧ وقال من قصيدة فى الحكمة والشكوى
	٨ وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له
	وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين
	٩ أبا الحسن ويهنته بالمهرجان
	أبو سعد الكاتب :
	١٠ قال فى الشوق إلى بغداد
	ابن لنكك :
	١١ قال فى الهجاء
	التنوخى :
١١	قال يصف الليل والنجوم
١١	وقال أيضاً فى هذا المعنى
١٣	وقال فى وصف رسالة
	الدينورى :
١٢	قال يشكو ولده
١٣	وقال أيضاً فى شكوى الكبر
	ابن المنجم :
١٣	قال فى الشكوى والتوجع
	الضبي :
١٣	قال يصف الليل والسهر
	أبو الفضل الميكالى :
١٤	قال فى التوجع وشكوى الدهر
١٥	وقال فى وصف الترجس
	الأبيوردى :
١٥	قال فى الشكوى
	وقال أيضاً يستحث على اقتفاء أثر الآباء
١٦	الكرام
	الطغرائى :
١٦	قال يصف الغدير
١٧	وله فى الأعداء والحساد
١٨	ومن لاميته المشهورة فى الحكم

صفحة	صفحة
	١٨ وقال يرثي مؤيد الملك وقد مات مقتولا
٢٥	١٩ وقال يرثي زوجته
٢٥	١٩ وقال في أعدائه
٢٦	السهروردي :
٢٦	٢٠ قال في الفلسفة والتصوف
	الرفاعي :
٢٦	٢٠ قال في معاملة الصديق
	الأبهري :
٢٧	٢٠ قال في الحكم
	صدر :
٢٧	٢١ قال يصف مجلسا
	وقال يصف الروض والجوف في يوم ظهر
	فيه قوس قزح
٢٨	٢٢ وقال يعاتب صديقا أفشى له سرا ...
	الجرجاني :
٢٩	٢٣ قال يمدح الوحدة ويندم مخالطة الناس
	الصائبي :
	٢٣ قال يهجو
	الصاحب بن عباد :
٣٠	٢٣ قال يندم الشماتة
٣١	الخوارزمي :
	٢٤ قال يوصي بتخير الأصدقاء
٣٢	ابن نباتة السعدي :
	٢٤ قال يصف فرسا أدم
٣٣	٢٥ وقال يعزى صمصام الدولة في أبيه ...
	البيهقي :
	٢٥ قال يصف بالكرم
	وقال أيضاً في المداولة بين الراحة والتعب
	وقال في جواب كتاب
	وقال أيضاً في هذا الغرض
	الناشي الأصغر :
	٢٠ قال في معاملة الصديق
	الأبهري :
	٢٠ قال في الحكم
	صدر :
	٢١ قال يصف كتيبة
	وقال يستهذي مداداً ويصف الدواة
	والقرطاس والقلم
	السلامي :
	٢٣ قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان
	(ب) النثر
	أولاً - النثر الفني
	ابن العميد :
	٢٣ من كتاب له في التهديد واللوم ...
	وكتب إلى أبي عبد الله الطبري ...
	الصاحب بن عباد :
	٢٤ رقعة منه إلى القاضي أبي بشر الجرجاني
	وله ؛ فصل من كتاب إلى ابن العميد
	جواباً لكتاب إليه في وصف البحر ...

صفحة

- وقال يذكر قيام شبيب العقيلي وكان
 ٥٦ خارجا على كافور
 وقال يوم عرفة وقد خرج من مصر
 ٥٨ فاراً من كافور إلى الكوفة
 وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند
 ٦٠ إزماعه السفر إلى مصر
 وقال في الحكمة
 ٦٣ وقال من قصيدة يمدح بها كافورا
 ٦٤ وقال في وصف الحياة والناس
 ٦٥ أبو فراس :
 قال في الشكوى والعتاب
 ٦٦ وقال في الحكم
 ٦٧ وقال يشكو حاسديه ويندم فعلهم
 وقال في وصف كتاب ورد عليه من
 صديق له
 ٦٧ وقال من قصيدة ينوه فيها بشجاعته
 ٦٨ وكتب وهو في أسر الروم إلى سيف
 الدولة
 ٦٩ وقال من قصيدة بعث بها إليه من
 الأسر يعاتبه على تباطئه في فكاه
 ٧١ أبو العلاء المعري :
 قال في الفخر
 ٧٢ وقال يصف ديكا
 ٧٥ وقال في وصف ليلة
 ٧٦ وقال يرثي قميها حنيا
 ٧٧ وقال يفتخر
 ٧٨ وقال من قصيدة تتضمن كثيراً من
 خاص آرائه
 ٨٠ وقال يصف الحياة الدنيا
 ٨٢ وقال في هذا المعنى
 ٨٢

صفحة

- الخوارزمي :
 كتب إلى قاضي سجستان حين نكبه
 أميرها
 ٣٤ البديع الهمداني :
 كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه
 ٣٧ المقامة القريضية
 ٣٨ ثانياً — النشر العلمي التأليف
 ابن جنى :
 قطعة من كتابه الخصائص
 ٤٢ الجرجاني :
 فصل من كتابه دلائل الإعجاز
 ٤٣ الحريري :
 فصل من كتابه درة الغواص
 ٤٤ المسعودي :
 قطعة من مقدمة كتابه التنبيه والإشراف
 ٤٥ الماوردي :
 فصل من أدب الوزير
 ٤٧ ابن حمدون :
 فصل من تذكراته في السيادة والآداب
 الملكية
 ٤٨ الأدب في مصر والشام
 (١) الشعر
 المتنبي :
 قال في صباه من قصيدة
 ٥٠ وقال من قصيدة يصف حرباً
 ٥١ وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة
 ويذكر محاربه للروم
 ٥٣

ابن الفارض :	٨٣	قال في الحكمة
قال من قصيدة ٩٢	٨٣	وقال يصف التدين الكاذب
عمار اليميني :	٨٣	وقال في انطباع الناس على الشر
قال من قصيدة يصف فيها داراً ... ٩٣	٨٤	وقال في مرأى الناس وخبرهم
القاضي الفاضل :		كشاجم :
قال من قصيدة خمزية وصف فيها	٨٤	قال يشكو الحظ والزمن
بلاغته ٩٥	٨٤	وقال يهجو عوادة
ابن فلاح :	٨٥	وقال يتغزل
قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال ٩٧		أبو الفرج البغواء
وقال مرتجل وقد خر السقف عليه	٨٥	قال يصف كتيبة وقائدها
من أثر مطر هائل ٩٨		عبد المحسن الصوري
وقال يصف فوارة ٩٩		قال يهجو من ضافه ٨٦
وقال يصف الشمس وهي غاربة	٨٦	وقال في وصف جميل يسبح في ماء
في النيل ٩٩		تميم بن المعز الفاطمي العبيدي :
ابن النبيه المصري :		قال يصف قوارة في بستان ... ٨٧
قال يصف الحياة والموت ٩٩		وقال أيضا في الفخر ٨٧
وقال يتغزل ١٠٠		وقال في الغزل ٨٨
ابن مطروح :		أبو الحسن التهامي :
قال يصف حسناء تسير بليل ... ١٠٠		قال يرثي ابناً له مات صغيراً ... ٨٨
وقال يتغزل ١٠٠		علي بن النعمان :
البهاء زهير :		قال في وصف صديق ٩١
قال في الشكوى ١٠١		أبو الحسن علي بن عبد الرحمن :
وقال في عتاب الحبيب والتشوق إليه ١٠١		قال في الهجاء ٩١
وقال في التغزل ١٠٢		الحسن بن الزبيرى الأسواني :
وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر		قال يشتاقي إلى نهر بردى بالشام ... ٩١
العزيزة ١٠٣		

بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي :

قال في الصباية والتحزن ... ١١٢

وقال في الروض ... ١١٤

الشاب الظريف :

قال من قصيدة في الشكوى والحكمة ١١٤

وقال في الغزل ... ١١٤

وقال في زيارة الحبيب ... ١١٥

وقال في الغزل ... ١١٥

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع ... ١١٥

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر ١١٦

وقال في الغزل ... ١١٦

سراج الدين الوراق المصرى :

قال في شكر الله على نعمائه ... ١١٧

وقال في لوم النفس على المعصية ... ١١٧

وقال في الترفع ... ١١٧

وقال في الحنين الى الأحباب ... ١١٨

نصير الدين الحماي المصرى :

قال بصف شخصا ... ١١٨

وقال في ذم داره ... ١١٨

عمر بن الوردى :

قال في مدح شهاب الدين فضل الله ١١٩

وكتب إلى القاضي جمال الدين يوسف

معاتبا له ... ١٢٠

صفي الدين الحلبي :

من ملحه ... ١٢١

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون

عند كسر الخليج ... ١٢١

وقال يهنيء المؤيد بالقدوم إلى الصيد ١٢٣

(ب) النثر

أولا - النثر الفنى :

أبو الفرج الببغاء :

من كتاب يهنيء فيه بولاية عمل ... ١٠٤

ومن كتاب له في التهنئة بعيد ... ١٠٤

من كتاب في التهنئة بمولودة ... ١٠٤

علي بن خلف :

كتب في الدعوة إلى وليمة ... ١٠٥

القاضي الفاضل :

قال يصف مدينة آمد ... ١٠٦

ابن الصيرفي :

فصل له من كتاب بشارة بالسلامة ١٠٧

ابن قادوس :

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس

بوفاء النيل في الدولة الفاطمية ... ١٠٨

ثانياً - النثر العلمى التأليفى

المعري :

من قوله في مقدمة اللزوميات ... ١٠٩

ابن شداد :

فصل من كتابه : النوادر السلطانية

والمحاسن اليوسفية ... ١١٠

عصر الماليك والعثمانيين

(أ) الشعر

شمس الدين محمود الكوفى :

قال في رثاء بغداد ... ١١٢

صفحة		صفحة	
	ابن دقيق العيد :		وقال يحرص الأمير نور الدين على ملتي
١٣٣	قال يتمنى الجمع بين الشباب والمشيب	١٢٤	المغول وحرهم
١٣٣	وقال في الشكوى	١٢٥	وقال في فرس أدهم محجل
١٣٣	وقال في بعض الوزراء	١٢٥	وقال في وصف عود طرب
	مجير الدين بن تميم :		جمال بن نباتة المصري :
١٣٤	قال يصف روضا	١٢٥	قال يرثي ولداً له مات صغيراً
١٣٤	قال في وكيل بدار القاضي بدمشق		وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه
١٣٤	وقال في روضة	١٢٧	في والده
	وكتب إلى كمال الدين النجار وكيل	١٢٩	وقال في بالناصر حسن
١٣٤	بيت المال بدمشق		صفي الدين بن قرناص الحموي :
١٣٥	وقال في رثاء صديق له اسمه قطب	١٢٩	قال يصف روضا
١٣٥	الدين	١٣٠	وقال يصف نهراً
١٣٥	وقال في التشوق		علي بن محمود المبارك :
١٣٥	وقال في الغزل	١٣٠	قال يذم داره سكناه
١٣٥	وقال في ليلة سكر		ابن سعيد المغربي :
١٣٦	وقال يهجو	١٣١	قال يصف الجزيرة
١٣٦	وقال يمدح الرجس		محمد بن سليم المصري :
١٣٦	وقال في روضة		كتب إلى سراج الوراق في حمار له
	الشهاب الخفاجي العباسي :	١٣١	سقط في بر فمات
١٣٧	قال يتغزل		ابن الجنان :
	السيد عبد الرحيم :	١٣٢	قال يصف روضا على نهر
١٣٨	قال يصف ضعفه		محمد بن الحسين :
١٣٨	وقال يشكو من الأصدقاء	١٣٢	قال في نوح الحمام
١٣٨	وقال يصف الصداقة الحق		محمد بن الحسن الصائغ العروضي :
١٣٨	وقال في لثيم ابتدأه بالتحية	١٣٣	قال يتشوق وهو بمصر إلى دمشق
١٣٩	وقال في الحكمة		
	محمد بن القاسم الحلبي :		
	قال يجيب الشهاب الخفاجي على قصيدته		
١٣٩	التي تقدمت		

صفحة	صفحة
القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :	أحمد بن العلقمي :
١٥٢ من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن	١٤٠ قال يتمدح
الإمام ابن حبيب الحلبي :	عبد الرحمن بن عماد الدين :
١٥٤ من كتاب نسيم العبا	١٤١ قال في الموت وطلب الرحمة
شهاب الدين محمود الخفاجي :	الأمير محمد بن منبجك :
المقامة الساسانية	١٤١ قال متغزلاً
ثانياً - النثر العلمي	ابراهيم بن المباط :
الشيخ كمال الدين الدميري :	١٤٢ قال من قصيدة طويلة في الغزل
١٦١ قطعة من كتابه حياة الحيوان	١٤٣ قال يصف دولاباً
ابن خلدون :	الأستاذ الإمام أبو المواهب البكري :
١٦٣ فصل من مقدمته	١٤٥ قال يصف يوم مرج
المقرئزي :	الشيخ عبد الله الشبراوي :
١٦٥ من خطبة كتابه المواعظ والاعتبار	١٦ قال في السيد عبد القادر نقيب
شمس الدين محمد النواجي :	١٤٦ الأشرف
١٦٦ من كتابه حلبة الكميت	١٤٧ وقال متشوقاً إلى مصر
ابن خلكان :	(ب) النثر
١٦٧ من كتابه وفيات الأعيان	أولاً - النثر الفني
الديار بكري :	الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
١٦٨ فصل من كتاب الخيس في أحوال	الصفدي :
أنفس نفيس	١٤٨ قال يصف بستاناً
الشيخ شهاب الدين الأبيشي :	القلقشندي :
١٧٢ قطعة من كتابه المستطرف	١٥١ من رسالة له عن الملك الناصر برقوق
	إلى صاحب فاس



العصر العباسي الثاني

الأدب في خراسان والعراق

(١) الشعر

١ - الشريف الرضي^(١)

قال يتغزل :

يا ظبيةَ البانِ ترعى في خمائله ليهنك اليومَ أنَّ القلبَ مرعاكِ^(٢)
الماءَ عندكِ مبدولٍ لشاربه وليس يرؤيكِ إلا مدمعى الباكي^(٣)
هبتُ لنا من رياحِ الغورِ رائحةٌ بعد الرقادِ عرفناها برياكِ^(٤)
ثم انثنينا إذا ما هزنا طربٌ على الرِّحالِ تعللنا بذكراكِ
سهمٌ أصابَ وراميه بذي سلمٍ من بالعراقِ ، لقد أهدتِ مرماكِ^(٥)

- (١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضي العلوي نقيب أشرف بغداد وأشعر بني هاشم توفي سنة ٤٠٦ هـ .
- (٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح في الاعتدال واللين .
والخمايل : جمع خميلة وهي الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .
- (٣) المدمع : مجرى الدمع في العين .
- (٤) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وحبال الحجاز . وهي المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة .
- (٥) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

حكمت لحاظك ما في الرِّيم من مُلح يوم اللقاء ، وكان الفضلُ للحَاكي^(١)
كَأَنَّ طَرْفَكَ يَوْمَ الْجِزْعِ يُخْبِرُنِي بِمَا طَوَى عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلِكَ^(٢)
أنت النعيمُ لقلبي والعذابُ له فما أَمَرَكَ في قلبي وأحلاك
عندي رسائلُ شوقٍ لست أذكرها لولا الرقيبُ لقد بلغتُها فاك

وقال من نسب قصيدة يمدح بها الملك بهاء الدولة البُوَيْهِيَّ وأنفذها إليه وهو
في البصرة ، وقد فتحها في آخر سنة ٣٩٤ هـ :

أهالكِ عَنَّا رَبَّةَ الْبُرْقِيعِ مَرَّةً الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِ^(٣)
أنتِ أَعْنَتِ الشَّيْبِ فِي مَفْرَقِي مَعَ اللَّيَالِي ، فَصَلِّي أَوْ دَعِي^(٤)
يَا حَاجَةَ الْقَلْبِ أَلَمْ تَرَجِّحِي جَنَايَةَ الدَّمْعِ عَلَى مَدْمَعِي ؟
لَوْلَا ضَلَالَاتُ الْهَوَى لَمْ يَكُنْ عِنَانُ قَلْبِي لَكَ بِالْأَطْوَعِ^(٥)
كَيْفَ طَوَى دَارَكَ ذُو صَبْوَةٍ عَمْدِي بِهِ بِطَرْبِ الْمَرْبَعِ^(٦)
كَانَ يَرَى نَازِرُهُ سُبَّةً أَنْ مَرَّ بِالْدارِ وَلَمْ يَدْمَعِ^(٧)

(١) الرِّيم : الظبي الخالص البياض .

(٢) الجزع : موضع بالحجاز قرب الطائف .

(٣) أي من العمر : فيكون عمره يومئذ ٣٤

(٤) المفرق : وسط الرأس ، وهو المكان الذي يفرق عنه الشعر . أي أن حبك أهنئي

بجعل الشيب يسرع في رأسي فوق فعل الليالي به .

(٥) العنان بالكسر : سير اللجام ، أي : لولا حبي إياك لم يكن قلبي طوعا لك .

(٦) طوى دارك : مر بها وحاذها . والمربع المكان الذي ينزل به وقت الربيع ، ويراد

به هنا الدار المطلقة . ويطرب هنا : بمعنى يحزن ويشجي .

(٧) السببة هنا : العار . والمراد بالناظر : العين .

يا حَبِذا مِنْكَ خِيالٌ سَرَى فَدَلُهُ الشَّوْقُ عَلَى مُضَجِّى
بَاتَ يُعَاطِفُنِي جَنِي ظَلَمَهُ وَبِتُّ ظَمَانًا وَلَمْ أَنْقَعِ^(١)

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسي في أحد مجالسه :

لله يوم أطلعتك به العِلا عِلْمًا يُزَاوِلُ بِالْعِيُونِ وَيُرَشِّقُ^(٢)
لما سَمِتَ بِكَ غِرَّةً مَرْمُوقَةً كَالشَّمْسِ تَبْهَرُ بِالضِّيَاءِ وَتُومِقُ^(٣)
وَبَرَزْتَ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ ، وَلِلْهُدَى نُورٌ عَلَى أَسْرَارِ وَجْهِكَ مُشْرِقُ^(٤)
وَكَأَنَّ دَارَكَ جَنَّةً حَصْبًا وَهَامًا أَلْجَادِيٌّ أَوْ أُنْمَاطُهَا الْإِسْتَبْرَقُ^(٥)
فِي مَوْقِفٍ تَغْضِي الْعُيُونُ جِلَالَهٗ فِيهِ وَيَعْتَرُّ بِالْكَلَامِ الْمَنْطِقُ^(٦)
وَالنَّاسُ : إِمَّا رَاجِعٌ مَتَهَيِّبٌ مِمَّا أَرَى ، أَوْ طَالِعٌ مُشَوِّقٌ
مَأْلُوا إِلَيْكَ مَحَبَّةً ، فَتَجَمَّعُوا وَرَأَوْا عَلَيْكَ مَهَابَةً ، فَتَفَرَّقُوا

(١) الظلم : تلالؤ أسنان الثغر ، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة . ولم أنقع :
أى لم أروظمئى .

(٢) العلم : الجبل . ويزاول : يطلب .

(٣) الغرة : الوجه : ومرموقة : تتجه الأنظار إليها . وتبهر : تغلب . وتومق :

تحب وتعشق

(٤) الأسرار : خطوط الوجه ، واحدها : سرر .

(٥) الحصباء : الحصى . والجدادى : الزعفران . والأنمط : جمع نمط ، وهو البساط ،

والإستبرق : ثياب حريرية .

(٦) تغضى : تغمض .

وقال يفخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت :

لغير العَلا مَنى القلى والتجشُّبُ ولو لا العَلا ما كنتُ في الحبِّ أرغبُ^(١)
إذا اللهُ لم يَـذركُ فيما ترومُهُ فما الناسُ إلا عاذلٌ وموئِبُّ^(٢)
مَلَكتُ بجملي فُرصةً ما استرقَّها من الدهرِ مَفتولُ الذِّراعينِ أُغلبُ^(٣)
فإن تَكَ سنى ما تطاول باعُها فلى من وراءِ المجدِ قلبٌ مُذرَّبُ^(٤)
فحسبي أنى فى الأعدى مُبغِّضُ وأنى إلى غرِّ الجبالِ مُحبَّبُ^(٥)
وللحمِ أوقاتٌ ، وللجهلِ مثلها ولكن أياحى إلى الحلمِ أقربُ^(٦)
يصولُ على الجاهلون ، وأعتلى ويُعجمُ فى القائلون ، وأُعرِبُ^(٧)
يرون احتمالى غُصَّةً ، ويزيدهم لواعجِ ضغنٍ أننى لستُ أغضبُ^(٨)
وأعرضُ عن كأسِ النديمِ كأنها وميضُ غمامٍ غائرِ المزنِ خُلبُ^(٩)
وقورٌ ، فلا الألمانُ تأسرُ عزمى ولا تمكُرُ الصهباءُ بى حينِ أشربُ^(١٠)
ولا أعرفُ الفخشاءَ إلا بوصفها ولا أنطقُ العوراءَ والقلبُ مُغضبُ^(١١)

-
- (١) القلى : البغض والكراهة والهجر . أى لولا أننى أحب المعالى لما كان لى رغبة فى أى حب
(٢) استرقها : يريد نالها وحصل عليها . والأغلب : يريد القوى الذى يغلب خصمه . أى
أننى أنال بالحلم ما لا يناله القوى الشجاع بقوته وشجاعته .
(٣) المذرب : المحدد الماضى .
(٤) الجهل هنا : الجفاء والغلظة والإسراع إلى المعاقبة والانتقام .
(٥) الجاهلون هنا : الحقى الذين لا عقل لهم ولا رأى . والإعجام ضد الإبانة ، أى أن
أولئك الجاهلين الحقى يعتدون على ولكن قدرى يرتفع ، ويقولون عنى كلاما كأنه لسخفه
معجم غير بين ولكننى أعرب وأبين بقولى الواضح ، وفعلى الصالح .
(٦) لواعج : جمع لاعج ، وهو المحرق . أى أن ترى الغضب يزيدهم أضغانا محرقة فى صدورهم
(٧) الوميض : لمعان البرق . والغمام : السحاب . والمزن الغائر : السحاب النهاب .
والحلب : الخادع وهو صفة للوميض .

تَحَلَّمَ^(١) عن كَرِّ القَوَارِصِ شِيَمَتِي كَأَنَّ مُعِيدَ الذَّمِّ بِالْمَدْحِ مُطِيبٌ^(١)
لِسَانِي حَصَاةً يَقْرَعُ الْجَهْلَ بِالْحِجَا إِذَا نَالَ مِنِّي الْعَاظَةُ الْمُتَوَثِّبُ^(٢)
وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَمَسَّ عِزِّي فَضَالَاتُ مَا يُعْطَى الزَّمَانُ وَيَسْلُبُ^(٣)
غَرَائِبُ آدَابِ حَبَائِي بِحِفْظِهَا زَمَانَ وَصَرَفُ الدَّهْرِ نِعْمَ الْمُؤَدِّبُ^(٤)

وقال في صغره :

سَتَمَلَّوْنَ مَا يَكُونُ مِنِّي إِنْ مَدَّ مِنْ ضَبْعِي طَوْلُ سَنِي^(٥)
أَدْعُ الدُّنْيَا ، وَلَمْ تَدْعُنِي يَلْعَبُ بِي عَنَاوُهَا الْمَعْنَى^(٦)
وَسِعَتْ أَيَّامِي وَلَمْ تَسْعُنِي أَفْضَلُ عَنْهَا ، وَتَضِيقُ عَنِّي^(٧)

(١) تحلم ، أصلها تتعلم ، حذف إحدى التاءين ، والقوارص : الشتائم الشديدة .
والشيمة : السجية والخصلة ، أي أن كريم طبعي يأبى على إلا أن أقابل تكرار ذمي بالحلم ،
حتى كأن مكرر ذمي يطيل في مدحي .

(٢) الحصاة هنا : العقل والجهل : الحمق . والعاضه : الذي يكذب على المرء في وجهه .
أي أنني إذا آذاني متوثب على ذمي بالكذب في وجهي ، لم أقابله بالمثل ، ولم أبسط فيه لساني ،
بل أحلم عليه ، وأجعل لساني عقلا يفكر ولا يتكلم .

(٣) الفضلات في الأصل : البقايا . ويريد بها هنا : الملاذ الدنيوية . أي أنها لا تثنييني
عن معالي الأمور ، فلا يحزنني ما أفقد من هذه الملاذ ، ولا يسرنني ما أنال منها .

(٤) صرف الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٥) الضبع : العضد . أي إن كبرت سني ، واشتد عضدي .

(٦) المعنى : المرهق الشاق أي أترك الدنيا يلعب بي عناؤها وهي لم تتركني .

(٧) وسعت أيامي : اتسعت لها واستنفدتها . وأفضل . أزيد . أي أن همتي تتسع لأيام

حياتي ، حتى تستنفدها ، ثم تزيد عليها ، فالأيام تضيق عن كل ما أريد ، إذ أن همتي أبعد مدى منها .

لم أنا مثلُ العاطنِ المُبِينِ أُسْحَبُ بُرْدِي ضَرَجَ وَأَفْنِ (١)
ولى مضاءً قطُّ لم يُخْنِي : ضميرُ قلبي ، وضميرُ جفني (٢)
راض بما يُضوى الفتي ويُضني أسس آباءى وسوف أبني (٣)
قد عزّ أصلي ويعزُّ غصني غنيتُ بالمجد ولم أستغن

٢ - مهيار الديلمي (٤)

قال في الفخر بقومه فارس وبالإسلام :

أُعجبتُ بي بين نادى قومها أمُّ سعدٍ ، فمضتُ تسألُ بي
سرها ما علمتُ من خلقى فأرادتُ علمها ما حسبي ؟
لا تخالى نسباً يخفُّضني ، أنا من يُرضيك عند النَّسبِ
قومي استولوا على الدهر فتى ، ومشوا فوق رهوسِ الحقبِ
عمموا بالشمسِ هاماتهم ، وبنوا أبياتهم بالشهبِ
وأبي كسرى علاً إيوانه أين في الناس أبٌ مثلُ أبي ؟

(١) العاطن : الجمل المبارك بجانب الماء . والمبين : المقيم ، والكريه الرائحة . والضرع
الدل والضعف . والأفن : سوء الرأي ، أى لم أقيم في دارى مثل الجمل المقيم في المبارك
الكريهه الرائحة ؟ أما آن لى أن أنشط في طلب المجد ولا أجر ثوب استضعاف وثوب
رأى غير سديد ؟

(٢) المضاء : النفوذ والإصابة ؛ أى أن قلبي ونظري ثاقبان في معرفة الأمور .

(٣) يضوى : يجعله نحيفاً هزيل الجسم .

(٤) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي ، كان مجوسياً يتكسب بالكتابة في
الدواوين ، تخرج على الشريف الرضى في الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله ، وأسلم على يده
وتشيع بمذهبه وغلا في التشيع .

قد قَبَسْتُ المجدُ من خيرِ آبٍ ، وقبستُ الدِّينَ من خيرِ نَبِيٍّ
وضممتُ الفخرُ من أطرافه : سوِّدَدُ الفُرْسِ ، ودينُ العربِ

وقال من قصيدة في التشوق :

يَا نَسِيمَ الصُّبْحِ مَنْ كَاظِمَةٌ (١) شَدَّ مَا هَجَّتْ أَلْجَوِيَّ وَالْبُرْحَا (١)
الصَّبَا — إِنْ كَانَ لَابِدَ — الصَّبَا (٢) إِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي أَرْوْحَا (٢)
يَا نَدَامَايَ بَسْلَعِ أ هل أرى ذَلِكِ المَغْبِقِ والمُصْطَبِحَا ؟ (٣)
فَاذْكُرُونَا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ ؛ رَبِّ ذَكْرِي قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا (٤)
وَاذْكُرُوا صَبِيًّا إِذَا غَنَى بِكُمْ شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ القَدْحَا

وقال من قصيدة في الحكمة والشكوى :

خَلِيلُكَ مِنْ صَمَا لَكَ فِي البِعَادِ وَجَارُكَ مِنْ أذَمَّ عَلَى الوِدَادِ (٥)
وَحِظُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ أَنْ تَرَاهُ عَدُوًّا فِي هَوَاكَ لِمَنْ نَعَادِي
وَرُبَّ أَيْحِ قِصَى العَرَقِ ، فِيهِ سُلُوٌّ عَنْ أُخِيكَ مِنَ الوِلَادِ (٦)
فَلَا تَغْرُرْكَ ألسنةُ رطابُ بَطَائِنُهُنَّ أ كِبَادُ صَوَادِي (٧)

(١) كاظمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس . والبرحا : مقصور البرجاء بالمد ، وهي شدة الألم .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وأروح : أجلب للراحة .

(٣) سلع : جبل بالمدينة . والمغبق : مكان الغبوق ، أي الشرب مساء . والمصطبح : مكان الاصطباح أي الشرب صباحا .

(٤) نزح : بعد .

(٥) أذم : أعطى عهداً وذمة على الوداد .

(٦) قصى العرق : أي بعيد النسب . والولاد : الولادة .

(٧) رطاب : رطوبة تنطق بالكلام اللين . وصواد : عطشى ، أي ملتهمبة من الحقد .

وعش إِمَّا قَرِينَ أَخٍ وَفِيٍّ أَمِينِ الْغَيْبِ ، أَوْ عَيْشَ الْوَحَادِ (١)
فإني بَعْدَ تَجْرِبِي لِأَمْرٍ أَنْسْتُ - وَلَا أُغْشِكُ - بَانْفِرَادِي
تُرِيدُ خَلَائِقَ الْأَيَّامِ مَكْرَأً لِتَفْصِيْبِي عَلَى خُلُقِي وَعَادِي (٢)
وَتَعْمِرُنِي الْخُطُوبُ تَظُنُّ أَنِّي أَلَيْنُ عَلَى عَرَائِكِهَا الشَّدَادِ (٣)
وَمَا شِهْلَانُ تُشْرِقُ قُنْيَاهُ بِأَحْمَلٍ لِلنَّوَابِثِ مِنْ فَوَادِي (٤)
تُغْرِبُ فِي تَقَلُّبِهَا اللَّيَالِي عَلَى كُلِّ طَارِقَةٍ نَادٍ (٥)
إِذَا قُلْتُ : أَكْتَفَتْ مِنِّي ، وَكَفَّتْ نَزَتْ بِالذَّاءِ نَائِرَةَ الْعِدَادِ (٦)
رَعَى سَمَنُ الْحَوَادِثِ فِي هُزَالِي كَأَنَّ صَلَاحَهُنَّ عَلَى فَسَادِي
فَيَوْمًا فِي الذَّخِيرَةِ مِنْ صَدِيقِي وَيَوْمًا فِي الذَّخِيرَةِ مِنْ تِلَادِي (٧)
يَذُمُّ النَّوْمَ دُونَ الْحَرِصِ قَوْمٍ وَقُلْتُ لِرَقْدَتِي عَنْهُ : حَمَادِ (٨)
وَمَا كَانَ الْغَنَى إِلَّا يَسِيرًا لَوْ أَنَّ الرِّزْقَ يَبْلُغُهُ أَجْتِهَادِي
وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له من أولاد الرؤساء يستعينه على أبيه في حاجة :
إِلَى وَزَرَ أَحْطُ بِهِ ثِقَالًا مِنْ الْأَمَالِ وَهُوَ لَهَا مَالٌ (٩)
رَضِينَا - وَالْعُدَاةَ لَهَا غَضَابٌ - سَجَايَا (١٠) فِيكَ أَعْطَاكَ الْكَمَالَ (١١)

(١) أمين الغيب : أي لا يقول فيك شرًا حين يغيب عنك . والوحد : أي التوحد والانفراد .

(٢) أي تريد خلائق الأيام أن تغلبني على أخلاقي وعاداتي وتسلبني إياها ، وتقهرنني على تغييرها .

(٣) العرائك : جمع عريكة ، وهي الطبيعة .

(٤) شهلان : جبل ، والقنة : أعلى الجبل ؛ أي أن جبل شهلان لا يتحمل ما يتحملة قلبه

من النواثب . (٥) أي تأتي بالنواثب . والطارقة : الداهية . والنآد : العظيمة .

(٦) نزت : وثبت . ونائرة العداد ، مهتاجة في عودتها ورجوعها .

(٧) أي فيوما تفقدني صديقاً ؛ ويوما تفقدني مالا .

(٨) حماد : كلمة مبغية على الكسر ، أي حمداً وشكراً ، أي أنه يحمد بعده عن الحرص

وزهده في الجشع ، وإن كان ذلك يذمه قوم . (٩) ملجأً ومعتصم .

(١٠) سجايا : أخلاق ، جمع سجية . (١١) أي أعطاك الكمال إياها .

إذا اختلف الجدود فظلت يوماً
من النجباء يرضى السلم منهم
نموك^(١) فأشبهه الضرغام^(٢) شبل^(٣)
وكنت ابناً لوالده معيناً
ولمّا لم تحب فيك الأمانى
وآنس^(٤) منك يوم برقت غيثاً
شمائل^(٥) طاب مغرسها فطابت
تعدّهم ، استوى عمّ وخال
نفوساً ليس يابها القتال
وقايس^(٦) اليد اليمنى الشمال
وبعضهم لوالده عيال^(٧)
رحى بك حيث لم تنب^(٨) النصال^(٩)
دموع سحابه أبدأ سجال^(١٠)
كما هبت على الرّوض الشمال^(١١)

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنئه بالمرجان :

هل عند هذا الطلل الماحل
أصمّ ! بل يسمع ! لكنه
وقفت فيه شبحاً مائلاً
ولا ترى أعجب من ناحل
من جليد يُجدي على سائل^(١٢)
من البلى فى شغل شاغل^(١٣)
مرتفداً من شبح مائل :^(١٤)
يشكو ضمناً الجسم إلى ناحل^(١٥)

-
- (١) رفعوا نسبك إليهم
(٢) الأسد
(٣) ابن الأسد :
(٤) ثقل .
(٥) السيوف ، جمع نصل .
(٦) لمعت ، يريد : ظهرت صغيراً :
(٧) أخلاق .
(٨) الماحل : الجذب المقفر .
(٩) البلى : القدم والرثاثة .
(١٠) مرتفداً : أى طالبا للرفد ، وهو العطاء ، والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته .
(١١) الناحل : السقيم الهزيل .
(١٢) (٢) الأسد
(١٣) (٤) ساوتها .
(١٤) (٦) تتباعد وتتجافى .
(١٥) (٨) أبصر :
(١٦) (١٠) فائضة .
(١٧) (١٢) الريح التي تهب من ناحية القطب .

لَهْفَكَ يَا دَارُ ! وَلَهْفِي عَلَى قَاطِنِكَ الْمُحْتَمِلِ الزَّائِلِ (١)
قَلْبِي لِلأَحْزَانِ بَعْدَ النَّوَى ، وَأَنْتِ لِلسَّافِي وَالنَّاسِخِ (٢)
مِثْلَكَ فِي السُّقْمِ ، وَلِي فَضْلَةٌ بِالْعَقْلِ ، وَالْبَلْوَى عَلَى الْعَاقِلِ
يَا أَهْلَ نَعْمَانَ اسْمَعُوا دَعْوَةَ (٣) إِنْ أَسْمَعْتَكُمْ مِنْ لِيْوَى عَاقِلِ (٤)
هَلْ زَوْرَةٌ تُمْتَعِنَا مِنْكُمْ وَهَنَا بِمِعَادِ الْكُرَى الْبَاطِلِ ؟ (٥)
أَمْ هَلْ لَجْسِمٍ قَاطِنٍ أَنْ يَرَى عَوْدَةَ قَلْبٍ مَعَكُمْ رَاحِلِ

٣ - أبو سعد الكاتب (٥)

قال في الشوق إلى بغداد :

فَدَى لَكَ يَا بَغْدَادُ كُلُّ مَدِينَةٍ مِنْ الأَرْضِ حَتَّى خِطَّتِي وَدِيَارِيَا
فَقَدْ سَرْتُ فِي شَرْقِ البِلَادِ وَغَرْبِهَا وَطَوَّفْتُ خَيْلِي بَيْنَهَا وَرَكَابِيَا
فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ بَغْدَادَ مَنْزِلًا وَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ دَجَلَةَ وَادِيَا
وَلَا مِثْلَ أَهْلِهَا أَرْقَ شَمَانِلًا وَأَعَذِبَ أَلْفَاظًا وَأَحَلَّى مَعَانِيَا
وَكَمْ قَائِلٌ لَوْ كَانَ وَدُّكَ صَادِقًا لِبَغْدَادٍ لَمْ تَرْحَلْ . فَكَانَ جَوَابِيَا :
(يُقِيمُ الرِّجَالُ المَوْسِرُونَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ المَرَامِيَا) (٦)

(١) القطين : أى من كان مقبلاً . والمحتمل : الذى حمل رحله وانتقل .

(٢) يريد بالسافى والناخل : الريح .

(٣) نعمان : مكان . وكذلك : لوى عاقل .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل .

(٥) هو أبو سعد الكاتب على بن محمد أحد كتّاب بنى بويه ، توفى سنة ٤١٤ هـ .

(٦) المقتر : المحتاج . والمرامى المطارح البعيدة . وهذا البيت لشاعر قديم .

٤ - ابن لنكك^(١)

قال في الهجاء :

وَعُصْبَةٌ لَمَّا تَوَسَّطْتَهُمْ صَارَتْ عَلَى الْأَرْضِ كَالنَّخْلِ
كَأَنَّهم من سُوءِ أَفْهَامِهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا بَعْدُ إِلَى الْعَالَمِ
يَضْحَكُ إبليسُ إِذَا رَأَاهُمْ لِأَنَّهم عَارُوا عَلَى آدَمِ^(٢)

٥ - التنوخي^(٣)

قال يصف الليل والنجوم :

رُبَّ آيِلٍ قَطَعْتُهُ كَصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحَشٍ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْنُ ، وَتَأْتِي حَدِيثَهُ الْأَسْمَاعُ
وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دَجَاهُ سُنَنِ لَاحٍ يَبِينُنَّ ابْتِدَاعُ
وَكَأَنَّ السَّمَاءَ خَيْمَةً وَشَى وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ فِيهَا شِرَاعُ
كَأَنَّ لَيْلًا فَصَيَّرْتَهُ نَهَارًا كُتِبُ تَكْبِتُ الْعَدَا وَرِقَاعُ

وقال أيضاً في هذا المعنى :

وليلة مُشْتاقٍ كَأَنَّ نِجْمَومَهَا قَدْ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكُرَى ، وَهِيَ نُومُ
كَأَنَّ عُمُونَ السَّاهِرِينَ لَطُومَهَا إِذَا شَخَصَتْ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ الْأَنْجُمُ
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ - وَالْفَجْرُ مُضَاحِكُ يَلُوحُ وَيَخْفَى - أَسْوَدُ يَتَبَسَّمُ

(١) هو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنكك شاعر البصرة وأهلى أهل زمانه بالملقطات

(٢) راءهم : رآهم .

(٣) هو القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن محمد أحد قضاة بني بويه ونديم الوزير المهلبى

وقال في وصف رسالة :

وَإِنِّي كَتَابُكَ مَثَلًا وَإِنِّي بِمَقْسُودٍ بِشِيرٍ
وَكَأَنَّهُ الْإِقْبَالُ جَاءَ أَوْ الشِّفَاءُ أَوْ النَّشُورُ
وَكَأَنَّهُ شَرَّخٌ ^(١) الشَّبَا بَ وَعَيْشُهُ الْغَضُّ النَّضِيرُ
وَإِنِّي وَعِيرٌ ^(٢) اللَّيْلُ وَالْقَفَّةُ الرِّكَابُ لَا تَسِيرُ
فَأَضَاءُ لِي مِنْ كُلِّ فِجٍّ ^(٣) مِنْهُ فَجْرٌ مُسْتَنِيرُ
وَارْتَدَّ طَرْفُ الدَّهْرِ عَنِّي وَهُوَ مَطْرُوفٌ ^(٤) حَسِيرٌ ^(٥)
وَرَأَيْتُ أَفْلَاكَ السَّرْوِ رَبِّ كُلِّ مَا أَهْوَى تَدُورُ
وَفَضَضْتُهُ فَكَأَنَّهُ أَثْوَابٌ وَشِيٌّ ^(٦) أَوْ حَبِيرٌ ^(٧)
وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ يَلُوحُ خَلَالَهُ صُبْحٌ مُنِيرٌ

٦ - الدينوري ^(٨)

قال يشكو ولده :

رَبَّيْتُهُ وَهُوَ فَرَّخٌ لَا نَهْوِضَ لَهُ وَلَا شَكِيرٌ وَلَا رَيْشٌ يُوَارِيهِ ^(٩)
حَتَّى إِذَا ارْتَأَشَ ، وَاشْتَدَّتْ قَوَادِمُهُ وَقَدْ رَأَى أَنَّهُ آتَتْ خَوَافِيهِ ^(١٠)
مَدَّ الْجَنَاحَيْنِ مَدًّا ، ثُمَّ هَزَّهُمَا وَطَارَ عَنِّي ، فَقَلَّبَنِي فِيهِ مَا فِيهِ

- (١) أول .
(٢) قافلة .
(٣) طريق .
(٤) طرفت العين : أصيبت بشيء ، فهي تدمع .
(٥) كليل .
(٦) نوع من الثياب منقوش .
(٧) ثياب يمنية .
(٨) هو أبو القاسم الدينوري عبد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس الكتاب بخراسان .
(٩) الشكير : الريش أول ما ينبت ، أو الزغب .
(١٠) ارتأش : تمكن من النهوض . والقوادم : كبار الريش في مقدم الجناح .
والخوافي : صغار الريش ، وهي التي تختفي تحت القوادم .

وقال أيضاً في شكوى الكبير :

عشتُ من الدهر ما كَفَانِي ومراً ما مرَّ من زماني
وقد حَنَنْتَنِي وَقَوَّسْتَنِي تسعٌ وتسعون وأثنتان
وقد سُمِّتَ الحَيَاةَ مَمَّا أَلْقَى مِنَ الذُّلِّ وَالْمَوَانِ
وَمِنْ أَخٍ كُنْتُ أُرْتَجِيهِ لحادث الدهر قد قلاني (١)
وَمِنْ غُلَامٍ إِذَا يُنَادِي تَصَامَمَ النَّذْلُ وَهُوَ دَانِي (٢)
مُدْمِدُّمٌ لَا أَرَاهُ إِلَّا مُقَطَّبَ الْوَجْهِ مَا رَأَانِي (٣)

٧ - ابن المنجم (٤)

قال في الشكوى والتوجع :

هو الدهرُ لم تُبدعْ عليَّ صُروفُهُ ولم يأت شيئاً لم أكنُ أنْحِيْلُهُ (٥)
وما رَاعَنِي المَكْرُوهُ إِذْ هُوَ عَادَتِي لَدَيْهِ ، وَلَسَكُنْ رَاعَ قَلْبِي تَعَجَّلُهُ
تَعَجَّلَ حَتَّى كَادَ آخِرُ فَعَلِهِ يَجِيءُ ، وَلَمَّا يَنْقَطِعْ بَعْدُ أَوْلُهُ

٨ - الضَّبِّي (٦)

قال يصف الليل والسهر :

رُبَّ لَيْلٍ سَهْرَتُهُ مُفَكَّرًا فِي امْتِدَادِهِ

-
- (١) قلاني : أبغضني وكرهني .
 - (٢) تصامم : تصنع الصمم ، أى أغلق أذنه عن ندائي .
 - (٣) الدمدمة : التكلم في غضب ، وما رآني : كلما رآني .
 - (٤) هو أبو الحسن بن المنجم من الأدباء في الدولة البويهية .
 - (٥) أبدع : أنشأ وخلق ، أى لم يأت بشيء كان مجهولاً . وصروفه : حوادثه .
 - (٦) هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي أحد وزراء بني بويه .

كَلَّمَا زِدْتُ رَغِيهٗ زَادَنِي مِنْ سَوَادِهِ
فَتَبَيَّنْتُ أَنَّهُ تَائِهٌ فِي رِقَادِهِ
أَوْ تَفَانَتْ نُجُومُهُ فَبَدَأَ فِي حِدَادِهِ

٩ - أبو الفضل الميكالي^(١)

قال في التوجع وفي شكوى الدهر :

يا دهرُ ما أقساك يا دهرُ لم يحظَ فيكِ بطائلٍ حرُّ
أما اللثامُ فأنت صاحبهم ولهمُ عليكِ العطفُ والنصرُ
يبقى اللثيمُ مدى الحياة فلا يرتاعُ منه كحادثِ صدرُ
تصفو له الدنيا بلا كدرٍ ويطيغُه في عيشه اليسرُ
فرائمهُ سهلٌ ، وكوكبهُ سعدٌ ، وغصنُ سروره نصرُ
وعلى الكريمِ يدٌ يسأطها منكِ الجفاءُ المرُّ والقسرُ
إن نابَ خطبٌ فهو عرضته يفرِّيه منه النَّابُ والظفرُ^(٢)
أو ينبغُ معروفًا لديك غدا يُنحى عليه حادثُ نكرٍ^(٣)
مرعاهُ جذبٌ ، والحظوظُ له حربٌ ، وجانبُ عيشه وعرُ

(١) هو أبو الفضل عبيد الله الميكالي بقية آل الميكال أمراء فارس .

(٢) عرضته : هدفه ، ومرمى ضرباته .

(٣) الحادث النكر : الشديد الذي ينكر لفظاً عنه .

وجناه شوك ، والبُحورُ لهُ وشل ، وحشُو فؤاده جمر^(١)
يا دهرُ دَعْ ظمَّ الكرامِ فهمُ عقدٌ لفجرِك لو دَرى النَّحر^(٢)
سالمهمُ واستَبقِ وُدَّهمُ فهمُ نجومُ ظلامِك الزُّهرُ

وقال في وصف النرجس :

أهلاً بنرجسِ رَوْضِ بَرْهَى بِحُسْنِ وَطِيبِ
يرنو بعينِ غزالِ على قَضِيبِ رَطِيبِ
وفيه مَعْنَى خَفِيٌّ زَيْنُهُ فِي الْقُلُوبِ
تصحيفه إن نسقتَ الحُرُوفَ بِرَّ حَبِيبِ^(٣)

١٠ - الأبيوردى^(٤)

قال في الشكوى :

قالوا : هجرتَ الشعرَ قُلْتُ : ضَرُوةُ بابُ البواعثِ والدواعى مُغْلَقُ
خَلَّتِ البلادُ ، فلا كريمٌ بَرْهَجِي منه النوالُ ، ولا مَلِيحٌ يُعَشِّقُ
ومن العجائبُ أنه لا يُشْتَرَى ومع الكسادِ يُخَانُ فيه ويُسْرَقُ

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) النحر : موضع القلادة من الصدر .

(٣) التصحيف : التحريف والغلط في قراءة الحروف ، أى أن لفظ « نرجس » لوقرىء

مصحفاً ولم يكن منقوفاً لكان : بر حبيب : أى عودته وعطفه .

(٤) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور . ولد بأبيورد

من بلاد خراسان ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ .

وقال أيضاً يستحث على اقتفاء الآباء الكرام :

بأبي - وإن عظم الفداء - فَنَ لَّهُمَّ فِي جَنَّبَيْهِ مُنْتَرِكُ
نَبَّهْتُهُ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ (١)
وَمَشَى عَلَى كَسَلٍ ، فَقُلْتُ لَهُ
عَثَرْتُ بِكَ الْوَحَادَةَ الرَّمَكُ (٢)
أَرْضِيَتْ أَمْرًا لَا يَزَالُ بِهِ
فِي الذَّلِّ عَرَضُ أَخِيكَ يُنْتَهِكُ ؟
وَالدَّهْرُ يَرْمِي بِالخَطُوبِ ، وَفِي
غُلُوبِهَا الْأَيَّامُ تَنهَمُكُ (٣)
مَا نَحْنُ مِنْ سُوقٍ فَنَشْبِهِمُ
لَمْ يُنْمَنَا إِلَّا أَبُ مَلِكُ
فَانظُرْ إِلَى الْأَجْدَادِ كَيْفَ سَعَوْا
لِلْمَكْرُمَاتِ وَأَيَّةَ سَلَكُوا (٤)
هَلَّا أَخَذْتَ بِهِدْيِهِمْ ! فَهَمُ
تَرَكَوا الْعُلَاكَ فَارَعَ مَا تَرَكَوا
وَاطْلُبْ مَدَاهِمُ ، إِنَّهُمْ نَفَرُوا
عَاشُوا بِذِكْرِهِمْ ، وَقَدْ هَلَكُوا
وَإِذَا عَجَزْتَ وَلَمْ تَلْمُ بِهِ
فَالعِجْزُ بَعْدَ طِلَابِهِ دَرَكُ (٥)

١١ - الطُّغْرَانِيُّ (٦)

وقال مؤيد الدين الطغراني يصف الغدير :

عُجْنَا إِلَى الْجِزْعِ الَّذِي مَدَّ فِي
أَرْجَائِهِ الْغَيْمُ بِسَاطِ الزَّهَرِ (٧)
حَوْلَ غَدِيرِ مَآوِهِ الْمُنْتَمِي
إِلَى بَنَاتِ الْمُزْنِ يَشْكُو الْخَصْرَ (٨)

(١) اعتكر الليل : اشتد ظلامه .

(٢) الرمك : اسم جمع لرمكة ، وهي الفرس . والوخادة : السريعة الجرى .

(٣) غلواء الخطوب : شدتها وصولتها .

(٤) السوق : جمع سوقة . وهم الرعية ، أى ما دون الملك .

(٥) الدرك : بلوغ القصد . أى أنك إذا بذلت الجهد سعياً إلى شيء فلم تصبه ، فكأنك

أصبتَه لأن على المرء أن يسعى .

(٦) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد نخر الكتاب آخر فحول المشرق في الشعر . ومن

شعره لامية العجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع قتل في فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .

(٧) عجنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادى أو وسطه ذو الأشجار والنبات .

(٨) المزن : السحاب ، والمراد بالبنات مطرها . والخصر : البرودة في الماء .

لولاذت الريحُ سَموماً به لانقلبتُ وهي نَسِيمُ السَّحَرِ^(١)
حَصْبَاوَهُ دُرٌّ وَرَضْرَاضُهُ سُحَالَةٌ العَسْجَدِ حَوْلَ الدَّرَرِ^(٢)
وقد كسَّته الريحُ من نَسِجِهَا درعاً بها يَلْقَى نِبَالَ المَطَرِ^(٣)
وَأَلْبَسْتَهُ الشَّمْسُ من صَبِغِهَا نُوراً به يَخْطِفُ نورَ البَصَرِ
كَأَنَّهُ المِرَاةَ مَجْلُوءَةً على بَسَاطِ أَخْضَرٍ قد نُشِرَ

وله في الأعداء والحساد :

جاملْ عَدُوَّكَ ما اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ بالرِّفْقِ يُطْمَعُ في صلاحِ الفاسِدِ
واحذِرْ حَسودَكَ ما اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهُ إن نَمْتَ عَنْهُ فليسَ عَنْكَ بَرِاقِدُ
إن الحَسودَ وإن أراك تَوَدُّدًا مِنْهُ أضرُّ مِنَ العَدُوِّ الحاقِدِ
ولرُبِّما رَضِيَ العَدُوُّ إذا رأى مِنْكَ الجَمِيلَ فَصارَ غَيْرَ مُعانِدِ
ورضاهُ الحَسودُ زوالُ نِعْمَتِكَ التي أُوتِيَتْها من طارِفٍ أو تالِدِ^(٤)
فاضْبِرْ على غَيْظِ الحَسودِ فَنارُهُ رَمَى حِشاهُ بِالْعَذابِ الخالِدِ
أو ما رأيتَ النارَ تَأْكُلُ نَفْسَها حتى تَعُودَ إلى الرَّمادِ الهامِدِ
تَضْفُو على الحَسودِ نِعْمَةُ رَبِّهِ وَيَذُوبُ من كَمَدِ فُؤادِ الحاسِدِ

(١) لاذت الريح به : التجأت ومالت إليه . أي أنه لنداء وطيب جوه لوجاءته ريح سموم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر .

(٢) الحصباء : الحصى والرضراض : صغار الحصى . والعسجد : الذهب وسحاله : برادته .

(٣) الدرع : قميص من زرد الحديد يلبس وقاية من سلاح العدو . والنبال : جمع نبل :

وهو السهم .

(٤) الطارف : الجديد المستحدث ، والتالِد : القديم المأثور ..

ومن لاميته المشهورة في الحسك :

حُبُّ السلامة يثني هم^(١) صاحبه
عن المعالي ويفرى^(٢) المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً
في الأرض أو سلماً في الجب فاعتزل
ودع غمار^(٣) العلاء المقدمين على
ركوبها واقتنع منهن بالبدل
رضاً للدليل بخفض العيش مسكناً
والعز عند رسم^(٤) الأينق الذليل
إن العلاء حدثني - وهي صديقة
فيما تحدث - أن العز في النقل^(٥)
لو أن في شرف المأوى بلوغ مني
لم تهرح الشمس يوماً دارة الحمل^(٦)

وقال يرثي مؤيد الملك وقد مات مقتولاً وبقى بالعراء عدة أيام بغير دفن :

ما بعد يومك للحزين الموجه
غير العويل^(٧) وأنة^(٨) المتفجع^(٩)
يوم أصيب الدين فيه وعطلت
أحكامه ، فكانها لم تشرع
ومضى الذي كنا نروع^(١٠) بذكره
نوب^(١١) الزمان ، فإله من مرجع
من ذا رأى الأسد المدل^(١٢) بيأسه
شلوأ^(١٣) طريحا بالعراء^(١٤) البلقع^(١٥)
أعزز^(١٦) على بأن أسرح ناظري
في مجمع وسواك صدر المجمع
لطف^(١٧) عليك لمستجير بيتغي
وزراً^(١٨) لديك وماله من مفزع

-
- (١) عزم . (٢) يولع . (٣) جمع غمرة وهو الماء الكثير .
(٤) سير . (٥) جمع نقلة بمعنى الانتقال . (٦) أحد بروج الشمس .
(٧) رفع الصوت بالبكاء . (٨) التأوه من الوجع . (٩) المتوجع للمصيبة .
(١٠) تخيف . (١١) مصائب . (١٢) المنكبر .
(١٣) الشلوهنا : بقية البدن . (١٤) الفضاء . (١٥) الأرض القفر .
(١٦) أعزز : فعل تعجب أتى على صورة الأمر ، أي ما أعزه .
(١٧) حسرتي . (١٨) ملجأ .

جَمَّحَتْ^(١) بك الهمم التي لا تنفنى
ووقفت حيثُ السيفُ يَرَعْدُ مَتْنُهُ
في موقفٍ بين الصوارمِ والفتنَا
ضاحت بك الدنيا فعمت جوارها
كل إلى أمدٍ بصيرٍ ، فَمُقَعَص^(٥)
عما ترومُ من المرامِ الأَمْنَعِ^(٢)
لم ترعدَ فَرَقًا^(٣) ولم تتخشع
ضَنَكِ^(٤) ويومٍ للكريهة أشنع
ونزعت نحو الخلدِ أكرمِ منزع
بالسيفِ أرواح من مريضٍ مَوَجِّع

وقال يرثى زوجته :

ولم أنسها ، والموتُ يقبضُ كفها
وقد دمعتُ أجفانها فوق خدّها
وحلّ من المقدور ما كنت أتقى
وقيلَ : فراقٌ لا تَلَاقى بعده !
فلو أن نفساً قبل محتومٍ يومها
هلالٌ نوى من قبل أن تمَّ نورُهُ
فَواعجبا أنى أحمَّ اجتماعنا ؟
ويبسُّطها ، والعينُ ترنو وتُطرق
جنى ترجسٍ فيه الندى يتزقرقُ
وحمٌّ من المحذور ما كنت أفرق^(٦)
ولا زاد إلا حسرةً وتحرُّقُ
قضتُ حَسراتٍ كانت الروح تزهُق^(٧)
وغصنٌ ذوى فينانهُ وهو مورق^(٨)
ويا حسرتى من أين حلَّ التفرُّقُ؟^(٩)

وله في أعدائه :

نَكَرُوا عَلَيَّ معايبى فحذرتُها
ولربما انتقمَ القَتُّ بعدوّه
ونفيتُ عن أخلاقِ الأعداءِ^(١٠)
والسمُّ أحياناً يكونُ شفاءً

-
- (١) أشرعت . (٢) الصعب على مریده وطالبه . (٣) خوفا . (٤) ضيق .
(٥) المقعص : الليت من ضربة أورمية . (٦) حم الأمر : قضى ووقع وأفرق : أخشى
(٧) المحتوم : الذى لا مفر منه . يريد أنه لو أن امرأ تقضى عليه حسرته قبل انقضاء
أجله زهقت روحه من طول ما يتحسر ويحزن لمصابه . (٨) الفينان هنا : الكثير
الأهداب والورق . (٩) أحم : قدر . يتعجب من اجتماعهما الذى آل إلى فراق ، ويتحسر
لهذه الفرقة التى ليس بعدها لقاء . (١٠) الأعداء : جمع قذى ، وهو ما يقع فى العين
من غبار أو غيره من صغار الأشياء ، فيؤذيها ، يريد ما يشوب الأخلاق من الصغار وما يندم .

١٢ - السهروردي^(١)

قال في الفلسفة والتصوف :

قُلْ لِأَصْحَابِ رَأْيِي مَيِّتًا فَبَكَوْنِي إِذْ رَأُونِي : حَزَبًا
لَا تَظُنُّونِي بِأَنِّي مَيِّتٌ لَيْسَ ذَلِكَ الْمَيِّتُ وَاللَّهِ أَنَا
أَنَا عُصْفُورٌ ، وَهَذَا قَفْصِي طَرْتُ عَنْهُ ، فَتَخَلَّى رَهْنًا^(٢)
فَاخْلَعُوا الْأَنْفُسَ عَنْ أَجْسَادِهَا فَتَرَوْنَ الْحَقَّ حَقًّا بَيْنَنَا
لَا تَرُعْكُمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ فَمَا هِيَ إِلَّا بِانْتِقَالٍ مِنْ هُنَا

١٣ - الرفاعي^(٣)

من قوله في العشق الصوفي :

إِذَا جَنَّ لَيْلِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِكُمْ أَنْوَحُ كَمَا نَاحَ الْجَمَامُ الْمَطْوِقُ
وَفَوْقِي سَحَابٌ يَمْطُرُ الْهَمَّ وَالْأَسَى وَتَحْتِي بِحَارٌ بِالْأَسَى تَتَدَفَّقُ
سَأَلُوا أُمَّ عَمْرٍو كَيْفَ بَاتَ أَسِيرُهَا تَفَكَّ الْأَسَارَى دُونَهُ وَهُوَ مُوثَقٌ ؟
فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ ، فَنِي الْقَتْلِ إِرَاحَةٌ وَلَا هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَيُطْلَقُ

(١) هو شهاب الدين عمر السهروردي ، وهذه الأبيات قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ بقلعة حلب ، قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر .

(٢) الرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك ، أي : خليت القفص نائبا منابي .

(٣) هو أبو العباس أحمد الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية ، المتوفى بقرية

أم عبيدة ببطاح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

١٤ - السرى الرفاء^(١)

قال يصف مجلساً اتخذه الحسن بن محمد المهلبى وزير معز الدولة ذات ليلة على برك
وفوارات ركزت حولها رماح علق عليها شمع فكانون ذلك منظراً حسناً :

فضلت ليالى القصف^(٢) ليلتك التى هى فى المحاسن عادةً حسناء
رقت غياهبها^(٣) فهن غلائل^(٤) وسجت^(٥) جنائبها^(٦) فهن رخاء
بركٌ تحمّت بالكواكب أرضها فارتدّ وجه الأرض وهو سماء
رُفِعَتْ إلى الجوزاء^(٧) فوّاراتها عمداً تصاب بصوبها^(٨) الجوزاء
مثل القنأ^(٩) الخطى^(١٠) قوم مئيله وجرت عليه الفضة البيضاء
حتى إذا انتشرت جلايب الدجى وتكلفت من دونها الظلماء
فرّجنها بصحائحٍ إن تعتتل فلهنّ من ضرب الرقاب شفاء
شمعاً حمّت على الرّماح رماحه فقدودعن^(١١) وما حمّلت سواها

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصاب مدّاح نشأ بالموصل ، وكان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر فأجاهه ، وقصد سيف الدولة بحلب ، فأقام معه حتى مات سيف الدولة ، ثم قصد بغداد ، فمدح رؤساءها ، ومات بها سنة ٣٦٦ هجرية .

(٢) فضلت : امتازت وفاقت . والقصف : الالهو .

(٣) جمع غيب : الظلمة .

(٤) جمع غلالة : شعار يلبس على الجسد تحت الثياب .

(٥) سكنت .

(٦) جمع جنوب ، وهى ريح حارة .

(٧) الصوب : المطر . يريد ما يتصعد من ماء الفوارات .

(٨) الرماح .

(٩) نسبة إلى الخط وهى بلد بالبحرين تصنع بها الرماح .

(١١) قاماتهن .

وقال يصف الروض والجو في يوم ظهر فيه قوس قزح :

وصاحب يقده لي نار السرور بالقدح^(١)
 في روضة قد لبست من لؤلؤ الطلّ سُبْح^(٢)
 يالغنا^(٣) حمامها مُغْتَبَقًا^(٤) ومصطبح^(٥)
 أوقفه بالعزف^(٦) أو بوقظني إذا صدح^(٧)
 والجو في مُمَسِّك^(٨) طرازه^(٩) «قوس قزح»^(١٠)
 يبكي بلا حزن كما يضحك من غير فرح

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سراً :

رأيتك تبدى للصديق نوافذاً عدوك من أمثالها الدهر آمن
 وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً ويارب مزح راح وهو ضفائن
 سأحفظ ما بيني وبينك صائناً عهدك إن الحرّ للعهد صائن
 وألقاك بالبشر الجميل مداهنًا^(١١) فلي منك خلٌّ - ما عرفت - مداهن
 أمم^(١٢) بما استودعته من زجاجة ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

(١) إناء يشرب فيه الخمر .

(٢) جمع سبحة وهي خرزات يسبح بها .

(٣) قوله : يالغنا حمامها ! : يعجب من غناء حمامها وحسن صوته .

(٤) وقت اغتباق الخمر ، أي شربها مساء .

(٥) وقت اصطباح الخمر ، أي شربها صباحاً .

(٧) غنى .

(٦) الغناء .

(٩) وشيه .

(٨) مطيب بالمسك .

(١٠) « قوس قزح » : طرائق منقوشة تبدو في السماء عقب المطر بحمرة وصفرة وخضرة

(١١) المداهن : الذي يظهر خلاف ما يضمّر .

وغيرها من الألوان .

(١٢) أمم : أفعال تفضيل من : نم ، أي أفشى .

١٥ - الجرجاني^(١)

قال يمدح الوحدة ، ويذم مخالطة الناس :

ما تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ العَيْشِ حَتَّى صرْتُ لِلْبَيْتِ وَالكِتَابِ جَلِيصًا
لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزُّ عِنْدِي مِنَ العَدُوِّ ، فَمَا أُبْتَغَى سِوَاهُ أَنْيْسًا
إِنَّمَا الدُّلُّ فِي مُخَالَطَةِ النَّاسِ فَدَعُوهُمْ ، وَعِشْ عَزِيزًا رَئِيسًا

١٦ - الصَّابِي^(٢)

قال يهجو :

يَا جَامِعًا لِحِلَالٍ قَبِيحَةٍ لَيْسَ تُحْصَى
نَقَضَتْ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ فَقَدْ تَكَامَلَتْ نَقْصًا
لَوْ أَنَّ لِلْجَهْلِ شَخْصًا لَكُنْتُ لِلْجَهْلِ شَخْصًا

١٧ - الصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ^(٣)

قال يذم الشماتة :

وَكَمْ شَامَتٍ بَعْدَ مَوْتِي جَاهِلًا يَظَلُّ يُسَلُّ السَّيْفَ بَعْدَ وَفَاتِي
وَلَوْ عَلِمَ الْمَسْكِينُ مَاذَا يَنَالُهُ مِنَ الظُّلْمِ بَعْدِي مَا تَقَبَّلَ مِمَّنِي

(١) هو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ، وهو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبئ وخصومه » .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الحرائي ، كان صابئاً على دين فلاسفة القدماء من اليونان ، وكان جميل العشرة للمسلمين ، وتكسب في الكتابة في دواوين بغداد ؛ وكان رئيس الكتاب بها . وصدرت عنه نقائس الرسائل وله شعر جميل ، ومات سنة ٣٧٤ هـ .

(٣) هو الصاحب إسماعيل بن عباد ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه . توفي سنة ٣٨٥ هـ .

١٨ - الْخَوَارِزْمِيُّ (١)

قال يوصى بتخير الأصدقاء :

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد (٣) سرية والجمز يوضع في الرماد فيخمد

١٩ - ابن نباتة السعدي (٢)

قال يصف فرساً أدهم أغر^٥ محجلاً حمله عليه سيف الدولة :

يأبها الملك الذي أخلاقه من خلقه ورؤاؤه (٤) من رائه (٥)
قد جاءنا الطرف (٦) الذي أهديته هاديه (٧) يعقد أرضه بسمائه
أولايةً ولئمتنا ؟ فبعثته رُمحاً سيب (٨) العرف عقد لوائه (٩)
نختال منه على أغر^٥ محجل ماء الدياجي قطرة من مائه
فكأما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض في أخشائه
متمهلاً ، والبرق من أسمائه متبرقماً ، والحسن من أكتافه
لا تعلق الأخطاف في أعطافه إلا إذا كفكت من غلوائه (١٠)

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوي الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٢) الجليد : القوي ، يريد الهمام .

(٣) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي التيمي أحد فحول الشعراء . توفي سنة ٤٠٥ هـ ببغداد .

(٤) حسن المنظر .

(٥) مصدر راء التي هي مقلوب رأى .

(٦) الكريم من الخيل .

(٧) عنقه . (٨) شعر العرف . (٩) شعر عنق الفرس .

(١٠) كففت : صرف ومنع ، والغلواء : يريد السرعة ، أي لا تراه العين إلا إذا

منعه راكبه من سرعة جريانه ، وخفف من شدة عدوه .

قال يعزى صمصام الدولة في أبيه :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَا صَمَّامَ أَدْنَى فَضَائِلِهِ التَّكْرُمُ وَالْحِمَاءُ
فَخَذَ بِنَصِيْبِكَ الْمَوْفُورَ مِنْهُ وَخَلَّ الْحَزْنَ يَا لِقَهُ النَّسَاءُ
عَلَى عَادَاتِهَا جَرَتْ اللَّيَالِي فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا رِخَاءَ
تَعَزَّ قَقْبَلَ يَوْمِ أَبِيكَ غَالَتْ غَوَائِلُهَا^(١) وَالْمُلُوكَ وَلَا سِوَاهُ^(٢)
وَكَنْتُ إِذَا السِّيَوفُ نَبَتَتْ وَكَلَّتْ مَضَيْتْ ، وَمَنْ سَجِيَّتِكَ الْمَضَاءُ
فَإِنْ يَكُ قَدْ طَوَّتَهُ يَدُ اللَّيَالِي فَإِنَّ الصُّبْحَ يَطْوِيهِ الْمَسَاءُ

٢٠ - البسقي^(٤)

قال يعزى بالكرم :

بَيْنَ مَنْ يُعْطَى وَمَنْ يَأْخُذُ فِي التَّقْدِيرِ عَرَضُ^(٥)
فَيْدُ الْمُعْطَى سَمَاءٌ وَيَدُ الْآخِذِ أَرْضٌ
وَعَلَى الْآخِذِ أَنْ يَشْكُرَ ، إِنَّ الشُّكْرَ فَرَضٌ

وقال أيضاً في المداولة بين الراحة والتعب :

أَفْذُ طَبْعِكَ الْمَسْكُودُ بِالْهَمِّ رَاحَةٌ يَجْمُ^(٦) وَعَلَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتهُ ذَاكَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطَى الطَّعَامَ مِنَ الْمَلْحِ

(١) مصائبها ، والضمير للدنيا .

(٢) السواء : المائلة ، أى ولا أقول إن الملوك يماثلون أباك في الشرف والمجد والمنزلة .

(٣) لم تقطع .

(٤) هو أبو الفتح البسقي على بن محمد الكاتب الشاعر ، أحد المولعين بالتجنيس ، وأحد رؤساء الكتاب في الدولة الغزنوية ، والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٥) يريد بالعرض : البعد والبون .

(٦) يجم : يستريح ، وترجع إليه قوته ونشاطه .

وقال في جواب كتاب :

لما أتاني كتابٌ منك مُبْتَسِمٌ
عن كلِّ برٍّ وفضلٍ غيرِ محدودٍ
حكيتُ معانيه في أثناءِ أسطره
آثارك البيض في أحوالي السودِ

وقال أيضاً في هذا الغرض :

ما إن سمعتُ بنواري لهُ ثمرٌ
في الوقتِ يمتعُ سَمْعَ المرءِ والبصرا^(١)
حتى أتاني كتابٌ منك مَبْتَسِمٌ
عن كلِّ لفظٍ ومعنى يشبه الدررا
وكان لفظُك من لآلئه زهراً ،
وكان معناه في أثناءه آمرا
تسابقاً ، فأصابا القصد في طلق
لله من ثمرٍ قد سبق الزهرا^(٢)

٢١ - الناشيء الأصغر^(٣)

قال في معاملة الصديق :

إني ليهجرني الصديقُ تجنُّياً
فأريه أن لهجره أسباباً
وأخافُ إن عاتبته أغريتهُ
فأرى له ترك العتاب عتاباً
وإذا بليتُ بجاهلٍ مُتعاقلٍ
يدعوا المُحال من الأمور صواباً
أوليتهُ مني السكوت ، وربما
كان السكوتُ عن الجواب جواباً

(١) النوار : الأبيض من الزهر .

(٢) الطلق : الشوط في الجري ، أى في شوط واحد .

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بالناشيء الأصغر ، والشاعر البليغ المتوفى

٢٢ - الأبهري^(١)

قال في الحكم :

متى ترغب إلى الناس تكن للناس مملوكا
وإن أنت تخففت على الناس أحبوكا
وإن ثقلت عافوك وملوك وسبوكا^(٢)
إذا ما شئت أن تُعصى فمر من ليس يزوجوكا
وسل من ليس يخشاك فيدمى عندها فوكا

٢٣ - صردر^(٤)

قال يصف كتيبة^(٥) :

وفوارس يضلون نيران الوغى مما تثير جياذهم بدخان
جنبوا^(٦) إلى الأعداء كل طمرية^(٧) بنيت مفاصلها على شيطان
طلعوا طلوع الشمس بغير ضوءها هام^(٨) الرشا ومغابن^(٩) الغيطان
في كل معترك تجيل كئاتهم قدحاً يفوز إذا التقى الجمعان

-
- (١) هو أبو الحسن علي بن مأمون الأبهري ، أحد شعراء الجبل وطبرستان .
(٢) عافوك : كرهوك ورغبوا عنك .
(٣) يدمى : يسيل دمه . أى يلقاك من رد سؤالك بما يكون لضعفك كالجرح الدامى .
(٤) هو علي بن الحسن ، أحد الشعراء المشهورين ، جمع جودة السبك وحسن المعنى .
توفي سنة ٤٦٥ هـ بطريق خراسان .
(٥) الكتيبة : الجماعة من الخيل ، تكون للاغارة والغزو .
(٦) قادوا .
(٧) الفرس الجواد .
(٨) رءوس .
(٩) ما استتر من الأرض .

فأسأل جبال الرُّوم لما طَوَّقُوا أعناقَهُمْ من جمعهم برعان^(١)
تركوا المعارك كالمناحر^(٢) من منى^(٣) وجاجم^(٤) الأعداء كالتقربان
فكأُما فرش النَّجِيع^(٥) تلاعها^(٦) ووهادها^(٧) بشقائق الثُّعْبان^(٨)

وقال يستهدى مداداً ويصف الدواء والقرطاس والقلم :

إليك أشكو مشياً لاح بارقة^(٩) في فرع دهماء^(٩) تجرى بالأساطير
كانت مفارقها مسكاً مضمخةً^(١٠) فما لها بدلت منه بكافور^(١٠)
ومقلةً عهدت كحلاء مرهها^(١١) طول البكاء على بيض الطوامير^(١٢)
يا حبذا هي والأقلامُ واردة^(١٣) فيها وصادرة^(١٣) سحْم^(١٣) المناقير

(١) جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل ، ويطلق على الجيش الذي له فصول كرعان الجبال ، وهو المراد هنا .

(٢) المذابج .

(٣) منسك من مناسك الحج .

(٤) جمع جمجمة وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

(٥) الدم .

(٦) جمع تلعة : المرتفع والمنخفض معاً من الأرض ، وأراد هنا المرتفع .

(٧) جمع وهدة وهي المنخفض من الأرض .

(٨) نبت أحمر ، واحدها شقيقة ، سميت بذلك لحرمتها على التشبيه بشقيقة البرق ،

وأضيفت إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لأنه حمى أرضاً فكثرت فيها .

(٩) الدهماء : التامة السواد شبه بها الدواء لما فيها من سواد مدادها ، وأن القلم يجرى

منها بالسطور .

(١٠) أى أن هذه الدواء كانت سوداء كالمسك لكثرة مدادها الأسود فأصبحت بيضاء

كالكافور لذهاب مدادها .

(١١) أخلاها من الكحل .

(١٢) جمع طومار وهو الصحيفة .

(١٣) جمع أسحم وهو الأسود .

كأنا كرت^(١) في ناظري رشاً^(٢) أو في سويداء قلب غير مسرور
تحوى القراطيس منها روضة أنفاً^(٣) بها مفاخرة الظماء للنور
فكيف لي بخطاب^(٤) تسترد به من الشيبية لونا غير مهجور
لو أن صبغته فاز الشباب بها لما رمى الدهر فؤديه^(٥) بتغيير

٢٤ - السلامي^(٦)

قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان :

ونهرٍ تمرحُ الأمواج فيه مراح^(٧) الخيل في رهج^(٨) العُبار
إذا اصفرّت عليه الشمسُ خلنا نَمِير^(٩) الماء يُمزج بالعُبار^(١٠)
كأن الماء أرضٌ من جُين^(١١) مُعشاة صفايح^(١٢) من نُضار^(١٣)
وأشجاره مَحْمَلَةٌ ككُوساً تَضاحك^(١٤) في أحمرارٍ واخضرار
إذا أبصرن في نهرٍ سماءٍ وهبنَ له نُجوم الجُلنار^(١٥)

(١) شربت .

(٢) ولد الغزال ، والمراد أنها أخذت من عينيه السواد .

(٣) جديدة ، لم يرعها أحد . (٤) ما يختضب به ، أى يصبغ به الشعر .

(٥) مثنى فود وهو جانب الرأس . يقول : لو أن سواد المداد الذى تبعث به هدية إلى

يظفر بمثله الشاب لعجز الدهر عن أن يصيب الشعر الذى يصبغ به بشيب .

(٦) هو محمد بن عبد الله السلامي من أشهر شعراء العراق ، ولد ببغداد سنة ٣٣٦ هـ .

وقال الشعر في العشرين من عمره . واتصل بالصاحب بن عباد وبعض الدولة فبلغ عندهما

منزلة حسنة . وتوفى سنة ٤٩٤ هـ .

(٧) نشاط .

(٨) الرهج العبار نفسه . فالإضافة بيانية .

(٩) الماء الناجع فى الرى . (١٠) الحمر .

(١١) فضة . (١٢) ألواح . (١٣) ذهب .

(١٤) أصله تتضاحك ، حذف إحدى التاءين تخفيفاً . (١٥) زهر الرمان .

(ب) النثر

أولاً - النثر الفنى

١ - ابن العميد^(١)

من كتاب له فى التهديد واللوم :

كتابى وأنا مُترجِّحٌ بين طمع فيك ويأسٍ منك ، وإقبالٍ عليك ، وإعراضٍ عنك ، فإنك تُدُلُّ^(٢) بسابقِ حُرمة . وَتَمُتُّ^(٣) بسالفِ^(٤) خدمة . أيسرُهما يُوجبُ رعاية ، وَيَقْتَضِي^(٥) محافظةً وعناية . ثم تشفعُهما بحادثِ غُلُولٍ^(٦) وخِيَانَةٍ ، وتُدْبِعُهُمَا بَأَنفٍ^(٧) خلافٍ ومعصية . وأدنى ذلك يُحْبِطُ^(٨) أعمالك ، وَيَسْحَقُ^(٩) كل ما يُرعى لك ، لا جرمَ أنى وقفتُ بين ميلٍ إليك وميلٍ عليك ، أُقَدِّمُ رجلاً لصدِّك ، وأؤخرُ أخرى عن قَصْدِكَ ، وَأَبْسُطُ^(١٠) يداً لاصطلامك^(١١) واجتياحك ، وأثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقَّفُ^(١٢) عن امتهال^(١٣) بعض المأمور فيك . ضنناً بالنعمة عندك ، ومنافسةً فى الصنِيعَةِ^(١٤) لديك ، وتأميلاً لفيئتك^(١٥) وانصرافك ، ورجاءً لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغربُ^(١٦) العقل ثم يؤوب . ويعزبُ^(١٧) اللبُّ

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنشور توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) الإدلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه .

(٣) تمت : تتوسل وتتصل .

(٤) الغلول : الخيانة .

(٥) آنف ، يريد : جديد .

(٦) ويحبط : يبطل .

(٧) الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح .

(٨) الامتهال ، يريد به الطاعة والإنفاذ .

(٩) الصنِيعَةُ : الإحسان والتكرم .

(١٠) لفيئتك : لرجوعك ، أى إلى الطاعة .

(١١) يغرب : يذهب ويغيب . ويعزب : مثل يغرب .

ثم يثوب . ويذهب الحزم ثم يعود . ويفسد العزم ثم يصلح . ويضع الرأي
ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى
رخاء . وكل غمرة^(١) فإلى انجلاء . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحسبه
أولياؤك ، فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك . وكما استمرت
بك الغفلة حتى ركبت مراكبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنقبه انتباهة
تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسى^(٢) في الإبقاء
والمحاولة ما صلح ، وعلى الاستيفاء^(٣) والمطاول ما أمكن ، طمعا في إنايتك^(٤) ،
وتحكما لحسن الظن بك . فلست أعدم فيما أظهره من إعدار^(٥) ، وأرادفه من
إنذار ، احتجاجا عليك ، واستدراجا لك ، فان يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك
إلى حظك ويسدّدك ، فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وكتب إلى أبي عبد الله الطبري :

كتابي وأنا بحال لو لم ينغص منها الشوق إليك ، ولم يرتق^(٦) صفوها النزاع^(٧)
نحوك ، أعدتها من الأحوال الجميلة ، وأعددت حظي منها في النعم الجميلة ،
فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسمي بصلاح ،
وفي سعيي بنجاح ، لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدى عنك ، ويخلو
ذرع^(٨) مع خلوي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك .

(١) الغمرة : التغطية بالماء كموجة البحر تغمر الساج ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا
المرّة من حدوث الشدائد والمحن والمصائب .

(٢) الرسم : أي ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذاته .

(٣) الاستيفاء : التمهّل والانتظار . (٤) الإنابة : الرجوع عما هو عليه .

(٥) من عمل ينفي عذرك في المعصية ويكفل الرضا عنك .

(٦) يرتق : يكدر . (٧) النزاع نحوك : الميل والشوق إليك .

(٨) يقال : فلان خالي الذرع : أي فارغ القلب من الهموم ، ويراد بالذرع : الطاقة

وسعة النفس والخلق .

وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي ، وناظمٌ لشمل أنسى . وقد حرمت
رؤيتك ، وعدمتُ مُشاهدتك . وهل تسكنُ نفسٌ متشعبةٌ ذاتُ انقسام ، وينفعُ
أنسُ بيت بلا نظام . وقد قرأتُ كتابك - جعلني الله تعالى فداءك فامتلاتُ
سروراً بملاحظة خطك ، وتأملُ تصرُّفك في لفظك ، وما أقرَّظهُما ؛ فكل
خصالك مقرَّظ عندي . وما أمدحُهما ؛ فكل أمرك ممدوحٌ في ضميري وعقدي^(١)
وأرجو أن تكون حقيقةُ أمرك موافقةً لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك^(٢) وإلا فقد
غطى هواك وما ألقى على بصرى^(٣) .

٢ - الصاحب بن عباد^(٤)

رقعة منه إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الرى
وافداً عليه :

تحدثت الرِّكابُ بسير أروى إلى بلد حططتُ به خيامي^(٥)
فكدتُ أطيرُ من شوقى إليها بقادمة كقادمة الحمام^(٦)
أفحقُّ ما قيل أمرُ القادم ، أم ظنُّ كأمانى الحالم ؟ لا والله ! بل هو دركُ العيان
وإنه ونيل المنى سيان ، فرحباً أيها القاضي براحتك ورحلك^(٧) ! بل أهلاً بك .

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) في الكلام إيجاز حذف ، والتقدير : فإن كان كذلك فحسن .

(٣) هذا شطر بيت تمثل به الكاتب .

(٤) هو كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكاتبهم ،

وأحد أعلام البلاغة والكتاب من حلبة ابن العميد في كتابة الشعر المنشور ، توفي سنة ٣٧٥ هـ .

(٥) أروى : اسم امرأة .

(٦) القادمة : واحدة القوادم ، وهى كبار الريش التى فى مقدم الجناح .

(٧) الراحلة : ما يصلح من الإبل للرحلة والسفر : والرحل ما يستصحب فى الارتحال

وبكافة أهلاك ، ويا سرعة ما فاح نسيمُ مشراك ، ووجدنا ريح يوسف من رياك .
مُحِتَّ المطى تُوْزَلُ غَلَّتِي بِسُقْيَاكِ ، وتزخ عُلَّتِي بَلْقِيَاكِ ، وانصَّ على يوم الوُصول
لنجمه عيداً مشرفاً ، وتخذُه موسمًا ومُعرفاً^(١) ورَدَّ الغلام ، أسرع من رُجْع
الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر وأن يترك الصِّبا في عقالٍ وأسر^(٢) :

سقى الله دارات مررت بأرضها فأدتك نحوى يا زياد بن عامر
أصائلُ قرب أرتجى أن أئالها بلقياك قد زخزخن حرَّ الهواجر^(٣)

وله فصل من كتاب إلى ابن العميد جواباً لكتابه إليه في وصف البحر :

وصل كتابُ الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من
عجائبه ، وعان من مراكبه ، وما رآه من طاعة آلاتها للرياح كيف أرادتْها ، واستجابة
أدواتها لها متى نادتها ، وركوب الناس أشباحها والخوفُ بمرأى ومسمع ، والمنون
بمِرْقَبٍ ومطلع ، والدهرُ بين أخذ وترك ، والأرواحُ بين نجاةٍ وهلاك ، إذا فكروا
في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غررُ المطالب الكثيرة
حُبب إليهم الغرر^(٤) . وعرفتُ ما قاله من تمنّيه كوني عند ذلك بحضرته ، وحصولي
على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخرُ بالفضل ، وتتلطمُ فيه أمواجُ

(١) المعرف بصيغة اسم المفعول : موقف عرفات ، شبه به قدومه عليه .

(٢) أي يسبق في سرعته ريح الصبا حتى كأنها في جانبه مأسورة . أخذ من قول

امرئ القيس (قيد الأوابد هيكل) .

(٣) الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب . والهواجر : جمع هاجرة ،

وهي وقت القيظ في وسط النهار .

(٤) الغرر : الهلاك ، يكون من تعريض المرء نفسه له .

الأدب والعلم ، لم يعتب على الدهر فيما يُفِيتهُ من منظر البحر . ولا فضيلة له عندي
أعظم من إكبار الأستاذ لأخواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شيء أبلى في مفاخره
وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له ، فإني قرأتُ منه الماء السلسل (١)
لا الزلال ، والسَّحَر الحرام (٢) لا الحلال . وقد علم أنه كتب وما أخطر بفكره ،
سعة صدره (٣) ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً (٤) لا يفضلُ عن التبرُّض (٥) ،
وتمدأ (٦) لا يكثرُ عن الترشف (٧) .

وكم من جبال جئت تشهد أنك الـ جبال ، وبجر شاهد أنك البحر

٣ - الخوارزمي (٨)

كتب إلى قاضي سجستان حين نكبه أميرها :

إذا ما الدهر جرَّ على أناسٍ كلاكه أناخ بأخرينا (٩)
فقلْ للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(١) أي الكلام المتسلسل لا الماء الحقيقي البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به .

(٢) أي الحرام على غيرك ، فلا يستطيع مجاراتك في إنشائه وقوله : (لا السحر الحلال)

يريد به الإنشاء الذي في إمكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأواً ابن العميد .

(٣) أي جعل سعة صدره تخطر بباله وفكره .

(٤) الوشل : الماء القليل .

(٥) التبرُّض : التبليغ بالماء القليل للضرورة .

(٦) التمد : الماء القليل .

(٧) الترشف : الشرب قليلاً قليلاً والامتصاص .

(٨) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوي الأديب المؤلف

الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٩) الكلاكل . جمع كلكل . وهو الصدر ، أي إذا برك الدهر على قوم بصدر أناخ

وبرك أيضاً بعد زمن بأخرين .

أما بعد — أيد الله تعالى القاضي — فإنه لم يُحسن إلى غيره من أساء إلى نفسه ، ولم ينصُرُ أصدقاءه ، من خذل حوَّباءه^(١) ؛ وإنما يُحب المرء أخاه بما فضلَ عن محبته لروحه التي له خيرُها ، وعليه ضيرُها . وكانت محنة القاضي محنةً شملت الأنام^(٢) : وخصت الكرام ؛ ووجب على كلِّ من اشمَّ روائح العقل ؛ وميز بين النقصان والفضل ، أن ينظر لها ألماً ؛ وأن يبكي عندها دماً . وخلص إلى من ذلك ما أضحك منى الأعداء ، وأبكى لى الأصدقاء ، حتى رحمني من كان يحسُدني ، وحتى عجب من جزعي من كان يُصبرُّني ، وحتى غضضت طرفاً طالما رفعته ، وقبضت بناناً طالما بسطته ، وحتى عزيت كما يعزى الشكلا^(٣) وسليت كما يسلي اللهقان .

وأنا بعد ذلك أستصغر فعل نفسي وهي جَزَعَةٌ هَلِعة^(٤) ، وأستقلُّ سعى عيني وهي سخينة دَمعة^(٥) . وكان يجبُ على مُقتضى هذه الجملة ، وأساس هذه البنية ، أن أحضر مجلس القاضي فأصابه نهاراً ، وأساهره ليلاً ؛ وتكون الحنة بيني وبينه أحملها عنه ، ويحملها عني ؛ ولكني علمت أن والينا هذا رجل ينظرُ إلى الذنب الخفي ، ويتغابي عن العذر الجلي . وله أذنان : واحدة يسمعُ بها البلاغات وهي كاذبة ، وأخرى يصمُّ بها عن المعاذير وهي صادقة ؛ وليس بينه وبين العفو نسب ، ولا له إلى التثبت طريق ولا مذهب . ولو تعرضت لسخطه ؛ بعد ما عرفته من شططه^(٦) ؛ لتحملتُ دونه الوزر

(١) الحوَّباء : النفس .

(٢) الحنة : الشدة والمصيبة .

(٣) الشكلا : الفائد ولده .

(٤) جزعة هلعة : شديدة الحزن .

(٥) سخينة دمة : ساخنة من الوجع ، سريعة الدمع .

(٦) شططه : جوره وتعديه الحدود .

في ظلمي ، ولسكنتُ مُقدِّمته إلى ذمِّي . ومن قعد تحت الرّيبة ركبته ، ومن
تعرض للظنّة نالته .

ومن دعا الناس إلى ذمه ذمّوه بالحق وبالباطل

وأقل ما كان ينبعثُ من حُضوري أن يثب هذا الجبارُ وثبةً يصون القاضي
عنها ، ويبتدئني بها ، فأكون قد ضررتُ نفسي ، ولم أنفع غيري ؛ فإذا بالحنّة
قد تضاعفتُ على القاضي ضعفين ، وتكرّرتُ عليه كرّتين ؛ يرى بوليّ من أوليائه
داءً لا يقدرُ على دوائه ، ويرى وقوداً لا يصلُ إلى إطفائه ؛ ويتبين في حالة^(١)
متصلة بحاله ثلثة^(٢) لا يُمكنُ سدّها ؛ ومحنةً لا يستوى له ردّها . فلما ميّلتُ^(٣)
بين تخافي آمناً ، وحضوري خائفاً ؛ عدلتُ بين طرفي الرّزية ، ووزنتُ بين
مقداري الحنّة ، فرأيت أن أميل مع السلامة وأقنّع من العمل بالنيّة ؛ وأغتفر
عهدة التفصيل لصحة الجملة ، فغبت وكلّي غير جسمي شاهد ، وتخيّرتُ^(٤) وما أنا
إلا مشاهد ، وبعدتُ وقلبي قريب ، وباينت وقلبي سهيم^(٥) ، وأغضيت على عين
كلها قذّي^(٦) ، وانطويتُ على صدر كلّ شجاء^(٧) ، وانصرفت بقلب ساخط راض ،
وأغضتُ بجفن ضاحك باك ، وقلت :

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل^(٨)

(١) أي في حالي المتصلة المرتبطة بحاله .

(٢) الثلثة : فرجة المكسور أو الهدوم .

(٣) ميل بين الأمرين : رجح بينهما ووازن .

(٤) تخيّر : انحرفت وملت وتنحيت من جهة إلى جهة ، يريد : غبت .

(٥) السهيم : المقاسم لغيره بالسهم ، أي مبان لك منفصل عنك ، ولكن قلبي مشترك

بينى وبينك .

(٦) القذّي : ما يدخل في العين من جسم غريب عنها .

(٧) الشجاء : ما ينشب ويعلق في الحلق من شوكة ونحوها .

(٨) تمثل بهذا البيت ، وهو مقول في خالد بن عبد الله القسري والى العراق للخليفة

هشام ، ثم غضب عليه الخليفة فسجنه ، وأمر بقتله .

ولقد نسجت في ذم الظالم حُللاً لا يبيلها الماء ، ولا يحففها الهواء ،
ولا تغطي عليها الظلمات . والمغبون من احتقب^(١) الإثم ، والغارم من غرم العرض ،
والراجح من محنته فانية ، ومثوبته باقية . ولو أنصف الظالم لكان يعزى ، ولو أنصف
المظلوم لكان يهتَى .

جعل الله - تعالى - هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد^(٢)
ولا ليومها غد ، وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر ، وخاتمة لقائه لريب
الدهر . ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين ، ولا أخلاه . وفيما بعده من مزيد
للساكرين برحمته .

ع - البديع الهمداني^(٣)

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه :

يعز عليّ أطل الله بقاء الرئيس . أن يفوب في خدمته قلبي ، عن قدمي ،
ويسعد برويته رسولي ، دون وصولي . ويرد مشرع^(٤) الأنس به كتابي ، قبل
ركابي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة ! .

وعليّ أن أسعى وليد س عليّ إدراك النجاح

(١) احتقب الشيء : جعله في حقيقته .

(٢) أى لا يعقبها غيرها .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ، الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع ، صاحب
المقامات المشهورة . نشأ بهمدان ، ونبغ في الأدب ، وتكسب به لدى الملوك والأمراء ، مات
سنة ٣٩٣ هـ .

(٤) المشرع : مكان ورود الماء .

وقد حضرتُ داره . وقبَّلتُ جداره . وما بي حب الجدران ، ولكن شغفاً
بالقطن^(١) . ولا عشقُ الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان . وحين عدت العوادي
عنه أملتُ ضمير الشوق على لسان القلم معترداً إلى الشيخ على الحقيقة - لا عن
تقصير وقع ، أو فتور في الخدمة عرض ، ولكني أقول :

إن يكن تركنا لقصدهك ذنباً فكفانا الأناك عقابا

المقامة القريضية

وللهمذاني مقامات^(٢) معروفة ، وهذه هي المقامة الأولى منها :

حدثنا عيسى بن هشام قال :

طرحتني النوى مطارحها حتى إذا وطمئتُ جرجان الأقصى ، استظهرت
على الأيام بضيايح أجلتُ فيها يد العمارة ، وأموا لٍ وقفتُها على التجارة ، وحنوتِ
جعلته متآبة ، ورفقة اتخذتها صحابة ، وجعلتُ للدار حاشيتي النهار ، وللحنوت
ما بينهما ، فجلسنا يوماً نتذاكرُ القريض وأهله ، وتلقاها شابٌ قد جلس غير بعيد ،
يُنصتُ وكأنه يفهم ، ويسكتُ وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلام بنا

(١) القطن جمع قطن ، وهو الساكن بالمكان ، المقيم به . وهذا المعنى مضمون
قول الشاعر :

أمر على الديار ، ديار ، ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(٢) المقامة . مفعلة من القيام ، يقال : مقام ومقامة . ثم سمي بها المجلس ومكان الاجتماع
ثم اتسع استعمالها حتى سمي بها ما يقال في المجلس من خطبة وموعظة . فقالوا : مقامات الخطباء
ومجالس القصاص . فالمقامة صورة خيالية بين اثنين أو أكثر أو موعظة أو وصف أو بحث
أو غير ذلك من الأغراض الأدبية . وأشهر من صاغوا المقامات : الحريري والهمذاني .

مَيْلَةً ، وجرّ الجدل فينا ذيله ، قال : قد أصبتم عذيقه ، ووافقتم جذيله^(١) ، ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو قلت لأصدرت وأوردت ، ولجلوت الحق في معرض بيان يُسمِعُ الصمَّ ، ويُنزِلُ العُصمَ^(٢) . فقلت : يا فاضل ادن فقد منيت ، وهات فقد أثنت ؛ فدنا وقال : من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وُكُناتها ، ووصف الخيل بصفاتهما . ولم يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجد القول راغباً ؛ ففضل من تفتق للحيلة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه . قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال : ينسب إذا عشق ، ويسلب إذا حنق ، ويمدح إذا رغب ، ويمتذر إذا رهب ، ولا يرى إلا صائبا ، قلنا : فما تقول في زهير ؟ قال : يُذيبُ الشعر والشعرُ يذيبه ، ويدعو القول والسحرُ يُجيبه . قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنزُ القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرارُ دقائه ، ولم تفتح أغلاقُ^(٣) خزائنه . قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جريرٌ أرقُّ شعرا ، وأغزرُ غزرا^(٤) ، والفرزدق أمتنُ صحرا^(٥)

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو كباسة الثمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ، كذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفعه ، لأنهم يرجبون عذق النخلة الكريمة ، أي يربطونه بسعفها لئلا ينقص ، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون في الجبال .

(٣) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكلون) .

(٤) غزرا . مصدر غزر .

(٥) أي أنه متنوع القوافي .

وأكثرُ فخراً ، إذا نسب أشجى^(١) ، وإذا ثلب أردى ، وإذا مدح أسنى^(٢) .
والفرزدق إذا افتخر أجزاء^(٣) ، وإذا احتقر أزرى ، وإذا وصف أوفى . قلنا :
فما تقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرفُ
لفظاً ، وأكثرُ من المعاني حظاً ، والمتأخرون أطفُ صنْماً ، وأرقُ نسجاً . قلنا :
فلو أريت من أشعارك ، ورويت لنا من أخبارك ! قال : خذهما في معرض
واحد . وقال :

إمّا تروني أنعشى طمراً ^(٤)	مُمْتَطِياً في الضَّرِّ أمراً ^(٥)
مُضْطَبِناً على الليالي غمراً	ملاقياً منها صُروفاً حُمراً ^(٦)
أقصى أمانىَّ طلوعُ الشعري	فقد غنينا بالأمانى دهُراً ^(٧)
وكان هذا الحرُّ أعلى قدرًا	وماء هذا الوجه أعلى سَعراً ^(٨)
ضربتُ للسرا قباباً خضراً	في دار دارا وإوان كسرى ^(٩)
فانقلب الدهرُ لبطنٍ ظهراً	وعاد عُرفُ العيش عندى نكراً

(١) لغة في شجاء ، بمعنى : أحزن .

(٢) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .

(٣) مسهل أجزاء بالهمزة : يعنى كفى وأغنى .

(٤) الطمر : الثوب البالى .

(٥) أمراً إمراً : منكراً عجباً .

(٦) الحر : جمع حمراء ، يريد صروفاً شديدة الوقع .

(٧) الشعري : نجم يطالع في الصيف . ولا يحتاج الفقير العارى فيه إلى دثار

(٨) يريد بالحر . نفسه .

(٩) السرا : السراء وهى : الرخاء . ودارا وكسرى من ملوك الفرس . وإوان كسرى :

يهو عظيم فى القصر الأبيض بالمدائن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إوان بحذف يائه

لضرورة الشعر .

لم يبق من وفري إلا ذكرى ثم إلى اليوم هلم جراً^(١)
لولا عجوز لي بسر من را وأفرخ دون جبال بصرى^(٢)
قد جاب الدهر عليهم شراً قتلت ياسادات نفسي صبراً

قال عيسى بن هشام . فأنلته ما تاح^(٣) وأعرض عنا فراح . فجعلت أنفيه
وأثبته ، وأنكره وكأني أعرفه ، ثم دللتني عليه ثناياه ، فقلت : الإسكندري والله !
فقد كان فارقنا خشفاً^(٤) ووافانا جلفاً^(٥) . ونهضت على أثره ، ثم قبضت على
خصره ، وقلت :

أست أبا الفح ؟ « ألم نربك فينا وليداً ، ولبت فينا من عمرك سنين ؟ »
فأى عجوز لك بسر من رأى ؟ فضحك إلى ، وقال :

ويحك ! هذا الزمان زورُ فلا يغرّك الغرور^(٦)
لا تلتزم حالة ولكن در باليالي كما تدور

(١) الوفير : الغنى وكثرة المال . وذكرى الشيء : التحدث عنه بعد زواله .
(٢) سر من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التي بناها المعتصم العباسي . شمال بغداد ،
وبصرى : بلدتان ، واحدة قرب بغداد ، ولعلها هي التي يريد ، والثانية من بلاد حوران
بالشام . يعني أن له أمماً أو زوجاً عجوزاً بسر من رأى ، وأولاداً صغاراً بقرب جبال بصرى ،
ولولا هؤلاء لقتل نفسه .

(٣) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .

(٤) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيراً .

(٥) الجلف الرجل الجافي .

(٦) الغرور : الدنيا . لأنها تغر بظواهرها .

ثانيا - النثر العلي التاليفي

١ - ابن جني^(١)

قطعة من كتابه « الخصائص » :

باب القول على اللغة وما هي ؟

أما حدّها فإنها أصواتٌ يُعبّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم . هذا حدّها : وأما اختلافها فلما سنذكره في باب القول عليها : أمواضعة^(٢) هي ، أم إلهام . وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فُعلةٌ من لغوتُ أي تكلمتُ . وأصلها لغة ككرةٍ وقلة^(٣) وثبّة^(٤) كلّها لاماتها واواتٌ ، لقولهم كروّتُ بالكرة ، وقلوتُ بالقلّة ، ولأنّ ثبّة كأنها من مقلوب ثاب يثوب . وقد دلّلتُ على ذلك وغيره من نحوه في كتابي « سر الصناعة » وقالوا : لها لغاتٌ ولُغونٌ ، ككراتٍ وكرونٌ ، وقيل منها : لغى يلغى إذا هدّى . قال :

ورُبَّ أسرابٍ حجيجٍ كظّمٍ عن اللّغا ورفث التّكلم

وكذلك اللغو ، قال الله سبحانه وتعالى : « وإذا مروا باللغو مرّوا كراما » أي بالباطل . وفي الحديث : « من قال في الجمعة صه فقد لغا » أي تكلم . وفي هذا كاف^(٥) .

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي واحد زمانه في التصريف والبحث في فقه اللغة وخصائصها (وكان أبوه مملوكا روميا) وله تأليفات كثيرة وتوفي سنة ١٩٢ هـ .

(٢) المواضعة : الاتفاق والاصطلاح . يقال : واضعته على كذا ، اتفقت معه عليه .

(٣) القلة : عودان يلعب بهما الصبيان .

(٤) الثبّة : وسط ، يثوب إليه الماء من الجوانب . (٥) أي ما يكفي .

٢ - الجرجاني^(١)

فصل من كتابه « دلائل الإعجاز » :

وإذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها - فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف ، والتأكيدي مع المؤكِّد ، فلا يكون فيها العطف البتة ، لشبهه العطف فيها - لو عطف - بعطف الشيء على نفسه ، وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يُشاركه في حُكم ، ويدخل معه في معنى : مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه ، فيكون حقها العطف ، وجملة ليست في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء ، فلا يكون إتياء ولا مُشاركاً له في معنى ، بل هو شيء إلا إن ذكر لم يُذكر إلا بأمر ينفرد به ، ويكون ذكرُ الذي قبله وتركُ الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً ، وحقُّ هذا تركُ العطف البتة . فتركُ العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية ، أو الانفصال إلى الغاية ، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حالٌ بين حالين ، فاعرفه .

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضح له على النظام الذي نعرفه ، ولم يزد عليه السكاكي إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينها وتوفي سنة ٤٧١ هـ

٣ - الحريري^(١)

والحريري في كتابه « درة الغواص ، في أوهام الخواص » :
ويقولون : هذا بعد اللثيا والتي ، فيضمون اللام الثانية من اللثيا ، وهو لحن فاحش
وغلط شائن ، إذ الصواب فيها اللثيا (بفتح اللام) لأن العرب خصت أذى والتي
عند تصغيرها وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت
ألفاً في آخرها عوضاً عن ضم أوّلها ، فقالوا في تصغير الذي والتي : اللذيا واللثيا ،
وفي تصغير ذاك وذلك ذيبك وذيالك أنشد ثعلب :

بذيالك الوادي أهيم ، ولم أقل بذيالك الوادي وذيالك من زهد

ولكن إذا ما حُبَّ شيءٌ توأعتُ به أحرفُ التصغير من شدة الوجد

أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبة ولطف المنزلة . كما يقال : يا بُنيَّ ، يا أُخِيَّ .

وقوله : إذا ما حُبَّ شيءٌ يعني به أحبُّ لأنه يقال حُبَّ الشيء وأحبَّه بمعنى^(٢) ،

كما جاء في المثل السائر : من حُبَّ طَبَّ^(٣) ، إلا أنهم اختاروا أن بنوا الفاعل

من لفظة أحبَّ ، وبنوا المفعول من لفظة حُبَّ ، فقالوا للفاعل : مُحَبَّبٌ ، والمفعول

محبوب ، ليعادلوا بين اللفظين في الاشتقاق منهما ، والتفريع عليهما . على أنه قد سمع

في المفعول محب ، وعليه قول عنتره :

ولقد نزلت فلا تظني غيرهُ مني بمنزلة المحبِّ المُكْرَمِ

(١) هو أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء .

توفي سنة ٥٢٢ هـ . وأشهر آثاره « المقامات » المعروفة باسمه .

(٢) أي بمعنى واحد .

(٣) طب هنا : تأتي للامور وتلطف . أي من أحب شيئاً استعمل الأناة والرفق .

واستخدم الحيلة رغبة في الحصول عليه .

ويقولون إذا أصبحوا : سهرنا البارحة ، وسرّينا البارحة . والاختيار في كلام العرب
— على ما حكاه ثعلبٌ — أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سرّينا الليلة ،
وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سهرنا البارحة .

ويتفرع على هذا أنهم يقولون من انتصاف الليل إلى وقت الزوال صُبِّحْتَ بخير !
وكيف أُصْبِحْتَ ؟

٤ - المسعودي^(١)

قطعة من مقدمة كتاب « التنبيه والإشراف » :

وقد ذكرنا في كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التي هذا سابعها أخبار العالم
وعجائبه ، ولم نخله من دلائل تعضدها ، وبراهين تؤيدها عقلا وخبرا ، وغير ذلك
عما استفاض واشتهر ، وشاهد من الشعر على حسب الشيء المذكور وحاجته
إلى ذلك . ونحن وإن كان عصرنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين ،
وأيامنا بعيدة عن أيامهم فخرجوا إلا نقصّر عنهم في تصنيف نقصده ، وغرض
نوّمه^(٢) ، وإن كان لهم سبق الابتداء ، فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر ،
وتتفق الضمائر ، وربما كان الآخر أحسن تأليفاً ، وأتقن تصنيفاً لحنكة التجارب ،
وخشية التبع ، والاحتراس من مواقع الخطأ . ومن هنا صارت العلوم نامية

(١) هو العالم المؤرخ الرحالة البجائية أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، سليل
عبد الله بن مسعود الصحابي صاحب كتاب مروج الذهب . والتنبيه والإشراف ، وهما
مطبوعان . وله كثير من الكتب غيرها . توفي سنة ٣٤٦ هـ .

(٢) نوّمه : نقصد إليه .

غير متناهية لوجود الآخر ما لا يجده الأول ، وذلك إلى غير غاية محصورة ،
ولا نهاية محدودة ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك فقال : « وفوق كل ذي علم
عليم » ؛ على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدمين ، وتعظيم كتب
السالفين ، ومدح الماضي ، وذم الباقي . وإن كان في كتب المُخَدَّثين ما هو
أعظمُ فائدةً وأكثرُ عائدةً^(١) . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان
يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم فينسبُهُ إلى نفسه فلا يرى الأسماع
تُصْفى إليه ولا الإرادات تيمُّ نحوه . ثم يؤلف ما هو أنقصُ منه مرتبةً وأقل
فائدةً ، ثم ينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هرون أو غيرها من المتقدمين ،
ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها^(٢) ، ويسارعون إلى نسخها
لا لشيء إلا لنسبتها إلى المتقدمين ، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من
هو في عصرهم ، ومنافسته على المناقب التي يخص بها ويعنى بتشبيدها . وهذه
طائفة لا يعبأ بها كبار الناس . وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين
أعطوا كل شيء حقه من العدل ، ووفوه قسطه من الحق ، فلم يرفعوا المتقدم
إذ كان ناقصاً ، ولم ينقصوا المتأخر إذ كان زائداً . فمثل هؤلاء تُصنَّفُ الكتب
وتدون العلوم ، وسنذكر الآن الأمم السالفة في سابق الدهر ولغاتهم ومواضع
مساكنهم وغير ذلك .

(١) العائدة : المنفعة .

(٢) الكتب : الكتابة .

٥ - الماوردي^(١)

فصل من أدب الوزير :

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث - وهو الإقدام - فهو في السياسة أوفى شرطينها ، وفي لوازرة أكفى نظريها ، لظفر الإقدام ، وخيبة الإحجام . وقد قيل في منشور الحكم : بالإقدام ترتفع الأقدام ، وإنما يجب الإقدام إذا ظهرت أسبابه ، وقصدت أبوابه ، في إبانته ، وعند إمكانه ، كما قال الشاعر :

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتدى

ثم يجمع بعدها بين حزمه وعزمه ، فالحزم تدبير الأمور بموجب الرأي ، والعزم تنفيذها للوقت المقدر لها ، فإذا تكاملت شروط الإقدام من هذه الوجوه الأربعة لم يمنع من الظفر إلا عوائق القدر . وقد قيل في قديم الحكم : إذا طلب أثنان حظاً ظفر به أفضلهما ديناً . فإن استويا في الدين ظفر به أفضلهما مروءةً ، فإن استويا في المروءة ظفر به أكثرهما أعواناً ، فإن استويا في الأعوان ظفر به أسعدهما جداً . فإن انثلم من شروط الإقدام أحدها صار الإقدام تفريراً يمنع من حزم ذي اللب ، ويصد عن الظفر ، ما لم يقلب قدر ، فما الأقدار بقياس معتبر ، وقد قال حكيم الهند : السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي

(١) هو قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ

وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، وكتاب الوزير . وهما مطبوعان ، وله كثير من الكتب غيرها .

يحول بين الحازم وطلبته . وقد قيل ليزرُ جهر : ما أعجبُ الأشياء ؟ قال : نجح الجاهل وإكداء^(١) العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير ! ما الذي لا يُحتَاج فيه إلى عزم ولا حزم ؟ فاستمهله في جوابه ثلاثة أيام فعاد إليه بعدها ، وسأله فقال له ، الدولة^(٢) ، فقال : صدقت . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل في منشور الحكم : الحظ يأتي من لا يأتيه .

٦ — ابن حمدون^(٣)

فصل من تذكرته في السياسة والآداب الملكية ، وهو في سياسة الوزراء

والكتاب وأتباع السلطان

قالوا : من صحب الملوك وقرب منهم ، ينبغي أن يكون جامعاً للخلال الحمودة ؛ فأوَّلها العقل ؛ فإنه رأسُ الفضائل ، والعلمُ فإنه من ثمار العقل ، ولا تليق صحبة الملك بأهل الجهل . والود ، فإنه خلق من أخلاق النفس ، يؤلِّده العدل في الإنسان الذي وده . والنصيحة ؛ وهي تابعة للود ، وهو الذي يبعث عليها . والوفاء ؛ فإنه شيمة لا تتمُّ الصحبة إلا بها . وحفظ السر ، وهو من صدق الوفاء . والعفة عن الشهوات والأموال . والصَّرامة ، وهي شدة القلب ، فإن الملوك

(١) أكدي : لم يظفر بحاجته .

(٢) الدولة يريد بها هنا : الحظ . والدولة ما يتداول فيكون لهذا مرة ولذاك أخرى ، فتطلق في الغلبة والحظ . ودول الأيام : تقلباتها التي تعين الرجل يوماً وتعين عليه يوماً .

(٣) هو كافي الكفاة أبو المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي الكاتب الأديب صاحب التذكرة في الأدب والدياسة توفي سنة ٤٩٥ هـ .

لا يصحبهم أولو النكول ، ولا ينالُ الجسيمَ من الأمور إلا الشجاع النجد .
والصدق ؛ فإنه من لا يصدق يكذب ، ومضرة الكذب لا تتلافى . وحسن الزمى
والهيئة ؛ فإن ذلك يزيد في بهاء الملك . والبشر في اللقاء ؛ فإنه يتألف به قلب
من يلاقيه ، وفي الكلوخ^(١) تنفير عن غير ريبة . والأمانة فيما يستحفظ . ورعاية
الحق فيما يستودع . والعدل والإصاف ؛ فإن العدل يصلح السرائر ، ويجمل
الظواهر ، وبه يخصم الإنسان نفسه إذا دعت إلى أمر لا يحسن رُكوبه . وينبغي
له أن يجانب أصدقاء هذه الخلال ، وألا يكون حسوداً ، فإن الحسد يفسد ما بينه
وبين الناس ، ولتفرق بين الحسد والمنافسة ؛ فإنهما يشتبهان على من لا يعقل .
وأن يخلو من اللجاج والمحك^(٢) ؛ فإن ذلك يضر بالأفعال إذا وقع فيها اشتراك .
وألا يكون بذاخاً^(٣) ولا متكبراً ، فإن البذخ من دلائل سقوط النفس وشدة
الطيش والبعد عن الصبر .

وينبغي ألا يكون قدماً^(٤) وخباً^(٥) ولا ثقيل الروح ؛ فإنها صفة لا تليق
بمن يلقى الملوك ، وأبدأ تكون سبباً للمقت من غير جرم ، وبالجملة فالفضائل
والأخلاق الحمودة كثيرة ، وأولى الناس بطلب غاياتها الملوك ، كما هم الغاية ،
ثم أتباعهم ثم سائر الرعية .

(١) الكلوخ : الإفراط في العبوس والكشر عن الأنياب .

(٢) المحك : التمدى في اللجاجة عند المساومة . والمشارة والمنازعة في الكلام .

(٣) البذخ : للتعظيم المتكبر يظهر التعالي على الناس .

(٤) القدم : العاجز عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٥) الوخم ككتف : الرجل الثقيل .

الأدب في مصر والشام

(١) الشعر

١ - المتنبي (١)

قال في صباه من قصيدة :

أرَّقَ على أرقٍ ومثلي يَارَقُ وجوى يزيدُ وعبرة تترَقُّ
جهدُ الصَّبايةِ أن تكون كما أرى : عينٌ مُسبَّدةٌ ، وقلبٌ يخفقُ
ما لاح برقٌ أو ترمَّ طائرٌ إلا أنثنتُ ، ولى فؤاد شيقُ
جرَّبتُ من نار الهوى ما تنطفي نارُ الغضى ، وتكملُ عما يُحرقُ (٢)
وعذلتُ أهلَ العشق حتى ذقتهُ فمجتُ كيف يموت من لا يعشقُ
وعذرتهم ، وعرفتُ ذنبي أني غيرتهم ، فلقيتُ منه ما لقوا
أبني أبينا نحنُ أهلُ منازل أبداً غرابُ البينِ فيها ينفقُ (٣)

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعاني الدقيقة والمخترة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه ادعى النبوة ، فسجنه والى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام وخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب إلى مصر فمدح كافور الإخشيدى . ثم هجاء ، وفر إلى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بني بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال العظيمة فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفي نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون

أن يتفرقوا ، وكفى عن الفراق بنفق غراب البين فيهم .

نبكى على الدنيا ، وما من معشر
أين الأكسرة الجبارة الالى
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
خرس إذا ن دوا ؛ كأن لم يعلموا
فلموت آت ، والنفوس نفانس
والمرء يأمل ، والحياة شهية ،
ولقد بكت على الشباب ولما تى
حذراً عليه قبل يوم فراقه

جمعهم الدنيا فلم يفرقوا
كنزوا الكنوز ، فابقين ولا بقوا
حتى نوى فحواه لحد ضيق^(١)
أن الكلام لم حلال مطلق
والمستعز بما لديه الأحق
والشيب أوقر ، والشيبة أنزق
مسودة ، ولما وجهى رونق^(٢)
حتى لكدت بماء جفنى أشرق^(٣)

وقال من قصيدة يصف حرباً :

أتوك يجرئون الحديد كأنما
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم
نخيس بشرق الأرض والغرب زحفه

سروا بجياد ما لهن قوائم^(٤)
ثيابهم من مثلها والعمائم^(٥)
وفى أذن الجوزاء منه زمازم^(٦)

- (١) نوى الرجل : هلك .
- (٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . ويريد برونق ماء الوجه : النضارة .
- (٣) قال هذه القصيدة وهو شاب ، ولكنه يبكى الشباب حذراً من زواله .
- (٤) أى لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .
- (٥) البيض : السيوف أى إذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلول تميز السيوف منهم ، لأن ثيابهم من الحديد أيضا ، ولأن عمائمهم من الحديد أيضا : يريد بالثياب الدروع ، والعمائم الخوذ والبيضات .
- (٦) النخيس : الجيش . والجوزاء : برج فى السماء . الزمازم : الأصوات المختلفة التى لا تفهم أى أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته إلى السماء .

- تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ (١) فَمَا تَفْهَمُ الْحَدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ (١)
فَلَلَهُ وَقْتُ ذَوْبِ الْعَشِّ نَارُهُ (٢) فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَّارِمٌ (٢)
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعُ وَالْقَنَا (٣) وَفَرًّا مِنَ الْفُرْسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ (٣)
وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ (٤) كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ (٤)
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلُّمَى هَزِيمَةً (٥) وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتُفْرِكُ بِاسْمِ (٥)
تَجَاوَزْتَ مَقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ (٦) إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ : أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ (٦)
ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً (٧) تَمَوْتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ (٧)
بَضْرِبَ أُنَى الْهَامَاتِ ، وَالنَّصْرَ غَائِبٍ (٨) وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ ، وَالنَّصْرَ قَادِمٌ (٨)
حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا (٨) وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرَّمْحِ شَاتِمٌ (٨)

- (١) اللسان : اللغة . والحداث : الجماعة يتحدثون . أى أنه مؤلف من أمم مختلفة الألسن : كالروم ، والصقلب ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .
(٢) يريد بالعش : الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة ففلت وكسرت ، وأما الرجال فهلكوا أو فروا ، فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .
(٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .
(٤) أى كأن الردى : وهو الموت . مطبق عليك من جميع النواحي انطباق الجفن على العين ، بما لا يجعل للمرء مجالاً للشك فى أن الموت واقع لا محالة ، فكان ينبغى لمن هذه حاله أن يفر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .
(٥) كللى : مجروحة مهزومة ، فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان وجهك وضاحاً وتفرِكُ باسماء تقابل الموت مستبشراً أنفة بنفسك وشجاعة فى جبلتك .
(٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .
(٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة إلى اللبة ، وهى موضع القلادة من الصدر ، فقبل الضرب كان النصر غائباً ، وبعده جاء النصر .
(٨) الردينيات : الرماح . ومن قاتل بها كان بينه وبين عدوه بعد ، والضرب بالسيف شرف . فالشجيمان تقاتل بالسيوف ، لأنها لا تنبألى مقارنة الأعداء

ومن طلب الفتح الجليل فأثما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرهم فوق الأحيدب (١) نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربتة للروم ، وبنائه مرعشاً (٢) :

فدينك من ربع ، وإن زدتنا كربا فإني كنت الشرق للشمس والغربا
وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبناً
نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا (٣)
نذم السحاب الغر في فعلها به ونعرض عنها كلما طلعت عتبا (٤)
ومن صعب الدنيا طويلاً تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وكيف التذاذي بالأصائل والضحا إذا لم يعد ذلك النسيم الذي هبنا (٥)
ذكرت به وصلاً كان لم أفر به وعيشاً كأنني كنت أقطعهُ وثبنا
وفتانة العينين قتالة الهوى إذا نفحت شيخنا روائحها شبنا
لها بشر الدر الذي قلدت به ولم أر بذرًا قبلها قلد الشهبنا (٦)
فيا شوق ما أبقى ويألى من النوى ويا دمع ما أجرى ! ويا قلب ما أصبى
لقد لعب البين المُشيت بها وبى وزودنى في السير ما زود الضبنا (٧)
ومن تكن الأسد الضواري جدوده يكن ليله صبحا ومطعمه غضبا

(١) الأحيدب : جبل بجهة بلدة الحدث .

(٢) بلد بالشام قرب أنطاكية .

(٣) الأكوار : جماعة الإبل .

(٤) أي نذم السحاب لأنها عفت آثاره .

(٥) أي الذي هب قديماً أيام كنا نسكنه مع الحبيب .

(٦) البشر : جمع بشرة . وهي ظاهر الجلد .

(٧) ما زود الضب : أي زودني العدم ، لأن الضب يعيش في البادية بلا ماء أو زودني

الحيرة ، لأنه إذا خرج ضل .

واست أبالي بعد إدراكى العُلا
فربّ غلامٍ علم المجد نفسه
إذا الدولة استكفت به في مُلّة
تُهَابُ سيوفُ الهند ، وهي حدائد
ويُرهبُ نابُ الليث ، والليثُ وحده
ويُخشى عُبابُ البحر ، والبحرُ ساكنٌ
عليمٌ بأسرار الديانات واللغى
فبوركت من غيثٍ كان جلودنا
ومن واهب جزلاً ، ومن زاجرٍ : هلا ،
هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهمُ
وأنتك رُعت الدهر فيها وريبهُ

أكان ترائاً ما تناولت أم كسبا
كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا
كفاها فكان السيف والكف والقلبا
فكيف إذا كانت نزاريةً عُرُبا؟^(١)
فكيف إذا كان الليوثُ له صحبا؟
فكيف بمن يغشى البلاد إذا عبأ؟^(٢)
له خطراتٌ تفضح الناس والكتيبا^(٣)
به تُنبتُ الديباج والوشى والعصبا^(٤)
ومن هاتك درعا ، ومن نائر قُصبا^(٥)
وأنتك حزب الله صرت لهمُ حزبا^(٦)
فإن شكّ فليُحدثُ باحتها خطبا^(٧)

(١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل له ، فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية كسيف الدولة .

(٢) عب : ماج وتحرك .

(٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات ، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم ، لأنهم لم يبلغوا مقداره في العلم .

(٤) العصب . ضرب من البرود . أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .

(٥) هلا : لفظ تزجر به الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل ، وبزجر الخيل للقتال ، وبهتتك الدروع بسيفه وسنانه ، ويشق البطون فينثر أمعاءها

(٦) هنيئاً حال من فعل محذوف ، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .

(٧) ريب الدهر : صروفه وأحداثه . وضمير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام ،

والكلام تحد للدهر .

فيوماً بخيلٍ تطرُدُ الرومَ عنهمُ
سراياك تترى والدمستقُ هارب
أنى مرعشاً يستقربُ البعدَ مُقبلاً
كذا يتركُ الأعداءَ من يكرهُ القنا
وهل ردَّ عنه باللّقانِ وقوفه
مضى بعدَ ما التفَّ الرّماحان ساعةً
ولكنه ولى وللطّغنِ سورةٌ
وخلى العذارى والبطاريق والقرى
أرى كُنّا يَبغى الحياةَ لنفسه
نُحِبُّ الجَبانِ النَّفسَ أوردَه البقا
ويختلفُ الرّزقان ، والفعلُ واحدٌ ،
فأضحت كأنَّ الشور من فوقِ بدنه
تصدُّ الرياحُ الهوجُ عنها مخافةً
وتردى الجيادُ الحردُ فوقَ جبالها

ويوماً بجودٍ تطرُدُ الفقَرَ والجُدبا
وأصحابه قتلى وأمواله نهبي (١)
وأذبرَ إذ أقبلت يستبعد القرباً
ويقفُلُ من كانت غنيمته رُعباً (٢)
صدر العوالى والمطهمة القبا (٣)
كما يتلقَى الهدبُ فى الرقّدة الهدبا (٤)
إذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
وشعث النصارى والقرايين والصلبا (٥)
حريصاً عليها مُستهماً بها صبا
وحبُّ الشجاع النفس أوردَه الحربا
إلى أن ترى إحسانَ هذا لذا ذنبا
إلى الأرض قدشق السكواكب والتزبا (٦)
وتفزع فيها الطيرُ أن تلتقطُ الحبا (٧)
وقد ندَف الصنبرُ فى طرُقها العطباً (٨)

- (١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهبي : منهوبة .
- (٢) يقفل : يرجع :
- (٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .
- (٤) الرماحان : أى رماح هؤلاء ورماح هؤلاء . يريد : الجيشين .
- (٥) البطاريق قواد الروم . وأراد بالشعث : الرهبان . والصلب بضم اللام ، جمع صليب وأسكن اللام لضرورة الوزن .
- (٦) أى من أعلاه إلى أدناه فقد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .
- (٧) تصدّ : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلتقط الحب فيها لصعوبة ارتقاها .
- (٨) وتردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصنبر : السحاب البارد .
والعطب : القطن .

كَفَىٰ عَجَبًا أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَىٰ مَرْعَشًا ؛ تَبًّا لِأَرَائِهِمْ تَبًّا (١)
وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذَرَ الْحَذُورَ وَأَسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا
لَأَمْرٍ أَعَدَّتْ الْخِلَافَةَ لِلْعَدَا وَسَمَّيْتَهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمَ الْعَضْبَا
وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ تَتْرُكِ الشَّامَ الْأَعَادَى لَهُ حُبًّا
وَلَكِنْ نَفَاها عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ النَّشَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا (٢)
وَجَيْشٌ يُبْذَنِي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيقُ رِيَّاحٍ وَاجِهَتْ غُصْنَا رَطْبَا (٣)
كَأَنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مَغَارَهُ فَدَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبَا (٤)
فَمَنْ كَانَ يُرْضَى الْكُفْرَ وَاللُّؤْمَ وَالْكَفْرَ مُلْكُهُ فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى الْمَكَارِمَ وَالرِّيَّا

وقال يذكر قيام شبيب العقيلى : وكان خارجاً على كافر فأتته فجأة وهو
يحاصر دمشق . وقيل : دس عليه كافر من سببه . وقيل : إنه ألقى عليه رحي
من السور ، وهذه القصيدة من المدح المراد به الدم :

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمْرَانِ
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُلَاكَ ؛ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعَدَا ضَرْبٌ مِنَ الْمَهْدِيَّانِ
أَتَلْتَمَسُ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ ؟
رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْغَدْرَ يُدْبِتَلَى بَغْدَرَ حَيَاةٍ أَوْ بَغْدَرَ زَمَانِ
بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفَ كَفَهُ وَكَانَا عَلَى الْعَلَاتِ يَصْطَحِبَانِ (٥)

- (١) أى من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعشا كأنهم لم يعرفوا قدرته .
- (٢) النشا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سوء .
- (٣) يثنى : يميل ، يريد : التغلب عليه . والحريق : الريح الشديدة .
- (٤) مغاره : إغارته . والضمير في عجاجته عائد على الليل ، والعجاجة يريد بها الظلام .
- (٥) العلات هنا : الأحوال . تقول : قبلت هذا الشيء على علاته ، أى على ما فيه ، أو على كل حال .

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لَسَيْفِهِ : رَفِيقُكَ قَيْسِيُّ وَأَنْتَ يَمَانِيُّ (١)
فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لَسَيْبِهِ فَإِنَّ الْمَنَايَا غَايَةَ الْحَيَوَانِ (٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تُشِيرُ غِبَارًا فِي مَكَانِ دُخَانِ
فَمِنَالِ حَيَاةٍ يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يُشْهَى الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ (٣)
نَفَى وَقَعَ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ بِرُوحِهِ وَلَمْ يَخْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالذَّبْرَانَ (٤)
وَلَمْ يَدْرُ أَنْ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحِ مُحْسِنِ الطَّيْرَانَ (٥)
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قَرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانِ
أَنْتَهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقِ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ
وَلَوْ سَأَلْتِ طَرَقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينِ وَأَنْسَاعِ جَنَانِ
تَقْصِّدُهُ الْمَقْدَارُ بَيْنَ صَحَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانِ (٦)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشَ الْكَثِيرَ التَّنْفَاهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانَ

* * *

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوْلَى . وَلا يَسْ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي .
فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقَيْسِيَّ وَإِنَّمَا . عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانَ ؟ (٧)
وَمَا لَكَ تُعْنَى بِالْأَسْنَةِ وَالْقَنَا . وَجَدُّكَ طَعَانٌ بِغَيْرِ سِنَانِ ؟ (٨)

- (١) لما بين قيس واليمن من العصبية في الشام . (٢) الحيوان : الحياة .
(٣) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكته بلا سابق ألم ولا مرض .
(٤) أي أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ما حسب حسابا لرزايا
النحوس السماوية من الكواكب أمثال الدبران وهو كوكب نحس كما زعموا .
(٥) شواته : رأسه . (٦) المقدار القدر . (٧) الثقلان : الإنس والجن .
(٨) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والقنا : جمع قناة ، وهي الرمح .
والجد : الحظ .

وَلَمْ تَحْمَلِ السِّيفَ الطَّوِيلَ نِجَادَهُ وَأَنْتَ غَنَى غَنَاهُ بِالْحَدَثَانِ؟^(١)
أَرِذْلِي جَمِيلًا جُدْتُ أَوْ لَمْ تَجُدْبِهِ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَنَا نِي
لَوْ أَلْفَلَكُ الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعْيِيهِ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوْرَانِ أ

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارًّا من كافور إلى الكوفة يهجوهم وقومه :

عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عَيْدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فَيْكَ تَجْدِيدُ^(٢)
أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدَاءَ دُونَهَا بَيْدُ^(٣)
لَوْلَا الْعُلَا لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا وَجَنَاءَ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءَ قَيْدُودُ^(٤)
وَكَانَ أَطِيبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغَيْدُ الْأَمَالِيدُ^(٥)
لَمْ يَتْرِكِ الْدَهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي شَيْئًا تُتَيْمَّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ
يَا سَاقِيَّ أَخْرَجْ فِي كُثُوسِكَمَا أَمْ فِي كُثُوسِكَا هَمٌّْ وَتَسْهِيدُ؟
أَصْخَرَةٌ أَنَا مَالِي لَا تُحَرِّكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ؟
إِذَا أَرَدْتُ كَمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا ، وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ^(٦)
مَاذَا لَقَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا أَنِي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ أ

(١) النجاد : حمائل السيف .

(٢) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٣) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالكوفة .

(٤) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الحلق الصلبة العضل ، والحرف من النوق : للضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلاء لم تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .

(٥) يريد بالغيث الأماليد : الجوارى الحسان الناعمات . وأشباه رونقه : أى اللواتى

يشبهن السيف فى الرونق . ويروى : معانقة بدل مضاجعة .

(٦) يريد بكيمت اللون : الخمر .

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرَاظَنَا وَيَدًا أَنَا الْغَنِيُّ ، وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ (١)
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمْ عَنِ الْقَرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ (٢)
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ ؛ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ !
مَا يَقْبِضُ الْمَوْتَ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُدُ (٣)
أَكَلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ ؟
صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحَرْ مُسْتَعْبِدٌ ، وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنِ ثَمَالِهَا فَقَدْ سَمَّنَ ، وَمَا تَفَنَّى الْعِنَاقِيدُ (٤)
الْعَبْدُ لَيْسَ لِحَرٍّْ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحَرِّْ مَوْلُودُ
لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنْ الْعَبِيدَ لِأَنْجَاسٍ مَنَاكِيدُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يُسَى بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مُحَمَّدُ
وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَقِدُوا وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ (٥)
وَأَنْ ذَا الْأَسْوَدِ الْمَسْقُوبِ مِشْفَرُهُ تَطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّاعِيدُ (٦)

-
- (١) أروح : من الراحة . وخازنا ويذا : منصوبان على التمييز . أى أصبحت غنيا ، ولكن يدي وخازني في راحة ، إذ كانت أموالى مواعيد كافور ، وهى وهمية .
- (٢) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام . ومحدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .
- (٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فى يده عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تقزرا من مس أبدانهم بيده .
- (٤) النواطير . حافظو الكروم بالطاء والطاء ، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل وبشمن : أكلن فوق الشبع .
- (٥) كناه بأبى البيضاء ، وهى كنية العبيد سخريه منه .
- (٦) العضاريط : جمع عضروط ، وهو اللثيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعاعيد : جمع رعديد وهو الجبان .

جوَّعَانِ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكِنِي لَكِنِّي يُقَالُ : عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودٌ
إِنْ أَمْرًا أُمَّةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ لِمَسْتَضَامٍ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْثُودٌ (١)
وَيَلْمُهَا خَطَاةً وَيَلْمُ قَابِلَهَا لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ (٢)
وَعِنْدَهَا لَذَّةٌ طَعْمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ إِنْ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ فَنَدِيدُ (٣)
مَنْ عَمَّ الْأَسْوَدَ الْخَصِيَّ مَكْرُمَةً ؟ أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ ؟
أَمْ أُذُنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً أَمْ قَدْرُهُ ، وَهُوَ بِالْفَلَسِّينِ مَرْدُودُ
أَوْلَى اللَّثَامِ كَوَيْفِيرٌ بِمَعْدَرَةٍ فِي كُلِّ لَوْيْمٍ ، وَبِهِضُ الْعَذْرِ تَفْنِيدُ (٤)
وَذَاكَ أَنْ الْفَحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الْجَمِيلِ ، فَسَكِيفُ الْخَصِيَّةِ الشُّودُ ؟ (٥)

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر إلى مصر :

وَاحَرَ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شِمٌّ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ (٦)
مَالِي أُنْتُمْ حُبًّا قَد بَرَى جَسْدِي وَتَدَّعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمِّ

(١) مَفْثُودٌ : مَصَابٌ فِي فُؤَادِهِ . أَيْ إِنْ مِنْ يَدْبِرُهُ وَيَسُوسُهُ أَمْثَلُ كَافُورِ الْخَصِيِّ الْعَظِيمِ
الْبَطْنِ الَّذِي يَشْبَهُ الْأُمَّةَ الْحُبْلَى لِسَخِينِ الْعَيْنِ فَاقِدِ الْعَقْلِ .
(٢) وَيَلْمُهَا : أَيْ وَيَلِّ لَأَمْرًا ، فَحَذَفَتْ أَلْفَ أَمْ تَوَسَّعَا ، وَجَعَلَتْ مَعَ الْوَيْلِ كَأَنَّهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ
وَالْأَمُّ وَيَلٌ : إِمَّا مَرْفُوعَةٌ أَوْ مَخْفُوضَةٌ بِنَقْلِ حَرَكَةِ هَمْزَةٍ أَمْ الْمَحذُوفَةُ إِلَيْهَا عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَكْسِرُ هَمْزَةً
أَمْ ، وَهِيَ سَبٌّ لِلْمَكْرُوهِ . وَالْحَطَّةُ هُنَا : الشَّانُ وَالْحَالُ وَالْعَيْشَةُ . وَقَوْلُهُ : لِمِثْلِهَا الْحُجُّ أَيْ لِمِثْلِ
الْحُلَاصِ مِنْهَا . وَالْمَهْرِيَّةُ : النَّوْقُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَى بِلَادِ مَهْرَةَ ، وَهِيَ كَرِيمَةٌ سَرِيعَةُ السَّيْرِ . وَالْقُودُ :
جَمْعُ قُودٍ ، وَهِيَ الطَّوِيلَةُ .

(٣) الْقَنْدِيدُ : الْعَسَلُ مِنْ قَصَبِ السُّكَّرِ .

(٤) كَوَيْفِيرٌ : تَصْغِيرُ كَافُورٍ . وَالتَّفْنِيدُ : اللُّومُ وَالْمُؤَاخَذَةُ .

(٥) جَمْعُ خَصِيٍّ ، وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى خَصِيَّانٍ .

(٦) الْهَاءُ فِي قَلْبَاهُ : لِلسَّكْتِ ، وَاتِّصَالُهَا هُنَا بِمَا قَبْلَهَا مَعَ أَنَّهَا مَوْصُولَةٌ بِمَا بَعْدَهَا ضَعِيفٌ

أَوْ هُوَ مَذْهَبٌ كَوَيْفِيرٌ . وَالشِّمُّ : الْبَارِدُ . أَيْ مَا أَشَدَّ حَرَارَةَ قَلْبِي مِنْ حُبِّ الْقَدْرِ يَرُدُّ قَلْبَهُ .

إن كان يجمعنا حبُّ لغرته
 قد زرتُهُ ، وسيوف الهند مُعمدةٌ
 فكأن أحسنَ خلقِ الله كلمهم
 فَوْتُ العَدُوِّ الذي يَمْتَهُ ظَفَرُ
 قد ناب عنك شديدُ الخوفِ واصطنعت
 ألزمتَ نفسك شيئاً ليس يلزمها
 أكلماً رُمْتَ جيشاً؟ فأنثى هرباً
 عليك هزمهم في كلِّ معتركٍ
 أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفري
 يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملتي
 أعيذها نظراتِ منك صادقةٌ
 وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره
 أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي
 فليتَ أنا بقدرِ الحبِّ نقسم^(١)
 وقد نظرتُ إليه ، والسيوفُ دم^(٢)
 وكان أحسنَ ما في الأحسنِ الشيم^(٣)
 في طيِّه أسفٌ في طيِّه نيم^(٤)
 لك المهابةُ ما لا تصنعُ البهم^(٥)
 ألا توارى بهم أرضٌ ولا علم^(٦)
 تصرّفتُ بك في آثاره الهممُ؟
 وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا
 تصالحتَ فيه بيضُ الهندِ واللحم^(٦)
 فيك الخِصامُ، وأنتَ الخِصمُ والحكمُ
 أن تحسبَ الشخْمَ فيمنَ شحمه ورم^(٧)
 إذا استوتَ عنده الأنوارُ والظلم
 وأسمعتَ كلماتي من به صمم^(٧)

(١) الغرة : الوجه . أى ليته يرعى كلامنا بقدر حبنا إياه .

(٢) أى أن خدمته في حالتي السلم والحرب .

(٣) أى أن فوت العدو وفراره منك ظفر لك في ضغنه أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٤) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٥) العلم : الجبل . أى تريد ألا يستر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم ، بل يكفيك فرارهم . والأبيات الآتية توضح المعنى .

(٦) اللحم : جمع لمة وهى الشعر المجاوز شحمة الأذنين ، يريد الرؤوس .

٨ ؟ ، يريد بكلماته أشعاره .

- أَنَامُ مَلءُ جُفُونٍ عَن شَوَارِدِهَا
وَجَاهِلٍ مَدَّةُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي
إِذَا رَأَيْتَ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً
وَمُهْجَةً مَهْجَتِي مِنْ مَمَّ صَاحِبِهَا
رَجَلَاهُ فِي الرِّكْضِ رَجُلٌ ، وَالْيَدَانِ يَدٌ
وَمُرْهَفٍ سِرَّتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ
فَالخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا
يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتُكْرِمَةٍ
إِنْ كَانَ سِرَّتْكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةً
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا غَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ
- (١) وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ
حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَمِ
فَلَا تَظَنَّ أَنْ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
(٢) أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرَهُ حَرَمٌ
وَفَعَلَهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ
حَتَّى ضَرَبْتُ ، وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرطَاسُ وَالْقَلَمُ
(٣) حَتَّى تَعِجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكَمُ
وَجَدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ
(٤) لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمٌّ
فَمَا لُجْرِحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمٌ
إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ
وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ
(٥)

(١) شوارد الأشعار ، سوارها وذائعاتها : أى أنه ينظمها وينام ، والناس يسهرون لأجلها بحثا ونقدًا واجتلابا وحفظا ورواية .

(٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتي أنا من همه وقصده ، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن .

(٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال : رجلاه رجل واحدة ، ويداه يد . يعنى أنه يرفع رجله معا ويضعهما كذلك . وكذلك يده . وفعله فى الجرى يعنى عن الكف التى تحمل السوط وعن القدم التى يستحته بها .

(٤) القور : جمع قارة . وهى الأكمة فى الأرض الحرة (البركانية) .

(٥) الوجدان : الوجود . أى لما فارقناكم كان كل شىء نجده فى حكم العدم .

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ؛
ليت الغمام الذي عندي صواعقه
أرى النوى يقتضيني كل مرحلة
لئن تركن ضميراً عن مياميننا
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
شر البلاد مكان لا صديق به
وشر ما قنصته راحتي قنص
بأى لفظ تقول الشعر زعنفة
هذا عتابك إلا أنه مقة
وقال في الحكمة :

إذا غمرت في شرف مرؤم
فطعم الموت في أمر جعير
ستبكي شجوها فرسى ومهري
قربن النار ، ثم نشان فيها
وفارقت الصياقل مخلصات
فلا تقنع بما دون النجوم
كطعم الموت في أمر عظيم
صفايح دمعها ماء الجسوم
كما نشأ العذارى في النعيم
وأيديها كثيرات الكلوم

(١) الإبل السريعة المشى القوية عليه .

(٢) ضمير : جبل يكون على يمين الذهاب إلى مصر من حلب .

(٣) البزاة : جمع باز وهو ضرب من الصقور قوى . والرخم طائر من الجوارح .

(٤) الزعنفة : الطائفة ، وأصل الزعانف : أجنحة السمك ، يشبه به الأردال

والأوشاب .

(٥) المقة : الحب والعشق .

(٦) يريد بالصفائح السيوف ، ثم أخذ في وصفها الخ .

(٧) الصياقل : جمع صيقل ، وهو الذي يشحن السيوف . والكلوم جمع كلم ، وهو

الجرح أى وأيدي الصياقل كثيرة الجراح من مضائها .

يرى الجبناه أن العجز عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللثيم
وكل شجاعة في المرء تُغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذُ الأذانُ منه على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا:

أودّ من الأيام مالا تودّه (١)
يباعدن حباً يجتمعن ووصله
أبي خلقٍ لدنيا حبيباً تديمه
وأسرعُ مفعولٍ فعلت تغيراً
رعى الله عيساً فارقتنا وفوقها
بوادٍ به ما باللوب كأنه
إذا سارت الأحداجُ فوق نباته
وأشكو إليها بديننا وهي جنده (١)
فكيف بحبٍ يجتمعن وصدده (٢)
فما طلبى منها حبيباً تردّه ؟
تكلّفُ شيء في طباعك ضده
مهاً كلها يولى يجفنيه خده (٣)
وقد رحلوا جيداً تنائرَ عقده (٤)
تفأوح مسك الغانيات ورنده (٥)

(١) أى أود منها ما لا توده من إنصافى وتنويلى مرادى ، وأشكو إليها فراقنا ، وهي عون من الفراق .

(٢) وصله وصدده : معطوفان على الضمير فى يجتمعن بدون فاصل ، ضرورة . أى يبعدن منها الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الإبل البيض . والمها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية تشبه بها المرأة فى حسن العينين . ويولى : يمطر ، أى ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أى رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكى فيسيل دمعها على خدها .

(٤) أى فارقتنا بوادٍ به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزيننا بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو للنار . أى إذا سارت الإبل حاملة لهن فى الأحداج تفأوح مسكهن ونبات الرند بالوادي .

وحال كإحداهن رُمْتُ بُلُوغَهَا
وأَتَمُّ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ زَادِ هَمِّهِ
فَلَا يَنْجَلِي فِي الْمَجْدِ مَالِكُ كُلِّهِ
وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنَبَيْ مَالِهِ
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرْتُبُهُ
يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ

ومن دُونَهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ (١)
وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُهُ (٢)
فَيَنْجَلِي مَجْدًا كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ ، وَالْمَالُ زَنْدُهُ (٣)
وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَمُرْكُوبُهُ رَجْلَاهُ ، وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ
مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مَرَادِ أَحَدِهِ
فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ (٤)
عَلَيْكَ مَرَاعِيهِ وَزَادِي رُبْدُهُ (٥)

وقال في وصف الحياة والناس :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا
وَتَوَلَّوْا نِغْصَةَ كُلِّهِمْ مِنْهَا
رُبَّمَا تَحْسَنُ الصَّنِيعَ لِأَيَّامِ
وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بَرِيْبُ الدُّ
كَلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَفَاةً
وَعَنَانُهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
ه ، وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا
ه ، وَلَكِنْ تَكَدَّرُ الْإِحْسَانَا
دَهْرٌ ؛ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا
رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سَفَانَا (٦)

(١) الغول : المشقة . أى : ورب حال كإحدى هذه النسوة في الصعوبة والامتناع
وتعذر الوصول إليهن .

(٢) الوجد : المال والمقدرة .

(٣) الزند : موصل الذراع في الكف ، ومن الزند يستمد الكف قوته .

(٤) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق . تربه : تنعمه وتنميته .

(٥) التهجير : السير في الهاجرة وهي نصف النهار . والمهمه المكان الففر . والربد :

جمع أربد يربد بها النعام . أى لا عليك له إلا مرعى البادية . ولا زاد إلا من صيد النعام .

(٦) القناة : الريح . والسنان : رأسه الذى يطعن . وهو النصل .

ومرأد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه ، وأن تتفاني
غير أن الفتى يُبلاقِي المنايا كالحات ، ولا يُبلاقِي الهوانا
ولو أن الحياة تَبْتَقِي لحي أعددنا أضلنا الشُّجعانا
وإذا لم يكن من الموت بُدٌّ فمن العجز أن تكون جباناً
كلُّ ما لم يَكُنْ من الصعب في الأذ نفس سهلٌ فيها إذا هو كانا^(١)

٢ - أبو فراس^(٢)

قال في الشكوى والعتاب :

وإني وقومي فرقنا مذاهبُ وإن جمعنا في الأصول المناسِبُ
فأقصاهم أقصاهم من مساءتي وأقربهم مما كرهت الأقاربُ
غريبٌ وأهلي حيثُ ما كرتُ ناظري وحيدٌ وحولي من رجال عصاب^(٣)
نسيبك من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيته لا المصائب^(٤)
وأعظم أعداء الرجال ثقائها وأهون من عاديته من تُحاربُ
وما الذنبُ إلا العجزير كبه الفتى وما ذنبه إن حاربتَه المطالبُ
ومن كان غيرُ السيف كافل رزقه فلذل منه - لا محالة - جانبُ

(١) أي أن كل شيء صعب لم تصعب به النفس يسهل على النفس أمره إذا أصيبت به .
(٢) هو أبو فراس الحارث بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة أمير حاب وممدوح
المنبجي ، كان شاعراً أديباً فارساً . طالماً قاتل الروم بين يدي سيف الدولة أمير حلب ، وأسر
في إحدى وقائمه معهم ، وطال أسره . وكان يكتب إلى سيف الدولة من الكتب والقصائد
في إنقاذه ، وكان يعسر عليه المفاداة ، ثم فك أسره ، وسكن منبج مولياً عليها . ثم قتل
في ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . ويغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .
(٣) عصاب : جماعات .
(٤) المصائب : الذي داره بجانب دارك .

وقال في الحكم :

أنفق من الصبر الجميل ، فإنه
والمرء ليس ببائع في أرضه
وقال يشكو حاسديه ويذم فعلهم :
ومُضْطَغِنٌ^(١) لم يحمل السرّ قلبه
تردّى رداء الذل لما لقيته
ومن شرفي ألا يزال يعينني
رمتني عيون الناس حتى أظنها
ولست أرى إلاّ عدوًّا محارباً
فهم يُطْفِئُونَ المجد ، والله واقد
وهل يدفع الإنسان ما هو واقع
وهل لقضاء الله في الناس غالب
على طلاب العزّ من مُسْتَقَرِّهِ
إذا الله لم يُحرزك مما تخافه
لم يخش فقراً منفقاً من صبره
كالصقر ليس بصائد في وكره
تلقت ثم اغتابني وهو هائب
كما تتردّى بالغبار العناكب
حسود على الأمر الذي هو عائب
ستحسدني في الحاسدين الكواكب
وأخّر خيراً منه عندى المحارب^(٢)
وهم ينقصون الفضل ، والله واهب
وهل يعلم الإنسان ما هو كاسب
وهل من قضاء الله في الناس هارب
ولا ذنب لي إن حاربتني المطالب^(٣)
فلا الدرعُ مناعٌ ولا السيفُ قاضب^(٤)

وقال في وصف كتاب ورد عليه من صدق له :

ووارِدٍ مُورِدٍ أنساً يؤكدهُ
صُدورهُ عن سليم الورد^(٥) والصدر^(٦)
شُدّت سحائبه منه على نُزهِهِ^(٧)
تقسّمُ الحسن بين السَّمْعِ والبَصَرِ

(١) منطو على الضغن وهو الحقد .

(٢) يريد الحسود المنافق الذي يبطن له العداوة . (٣) الطلاب : الطلب .

(٤) لم يحرزك : لم يوقك . قاضب : قاطع .

(٥) ورد الماء والمكان : وصل إليه .

(٦) صدر عن المكان وعن الماء : رجع عنه إلى المكان الذي صار إليه .

(٧) جمع نزهة : الأرض المزينة بالنبات .

عُدُوْبَةٌ صَدَرَتْ عَنْ مَنْطِقِ جَدِّدٍ (١)
وَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْفِكْرِ دَجَّجَهَا (٢)
كَلِمَاءٌ يَخْرُجُ يَنْبُوعًا مِنَ الْحَجَرِ
صَوْبٌ (٣) الْقَرَائِحُ لَا صَوْبٌ مِنَ الْمَطَرِ
كَأَنَّمَا نَشَرْتَ أَيْدِي الرَّبِيعِ بِهَا
بُرْدًا (٤) مِنَ الْوَشْيِ (٥) أَوْ ثَوْبًا مِنَ الْحَبْرِ (٦)

وقال من قصيدة ينوّه فيها بشجاعته ، وقد أسره الروم وهو يحارب في جيش
ابن عمه سيف الدولة :

أَسْرَتْ وَمَا صَحْبِي بِعَزَلٍ (٧) لَدَى الْوَعْيِ
وَلَكِنْ إِذَا حُمِّمٌ (٩) الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي
وَقَالَ أَصِيحْبَانِي : الْفَرَارُ أَوْ الرَّدَى
وَلَكِنِّي أَمْضَى لِمَا لَا يَعْيُنِي
يَمْنُونُ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوْسُطُ عِنْدَنَا
تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا
وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبَّةٌ مُغْمَرٌ (٨)
فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرٌ
فَقُلْتُ : هُمَا أَمْرَانِ ، أَحْلَاهُمَا مَرٌ
وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ ، خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ
عَلَى ثِيَابٍ مِنْ دِمَائِهِمْ حَمْرٌ
لَنَا الصِّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرُ
وَمَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلَهَا الْمَهْرُ

-
- (١) سهل .
 - (٢) نقشها .
 - (٣) نزول المطر .
 - (٤) ثوب مخطط .
 - (٥) كثير الألوان .
 - (٦) برد يمان .
 - (٧) لا رماح معهم . مفردة : أعزل .
 - (٨) من لم يجرب الأمور .
 - (٩) نزل .

وكتب وهو في أسر الروم إلى سيف الدولة :

أبى غَرْبَ هذا الدَّهرِ إلا تَسرُّعاً ومكثونُ هذا الحُبِّ إلا تَضوُّعاً
فلما استمرَّ الحُبُّ فى غُلُوِّه رَعيتُ مع المضياعة الغةَ تارَعى^(١)
مُحزنى حُزنُ الهامين مُبرِّحاً وسررى سرُّ العاشقين مُضِيعاً
خيلى : لم لا تبكيانى صبايةً أبدأنا بالأجرع الفرد أجراً^(٢)
على لمن ضنَّتْ على جفونهُ غواربُ دمعٍ يشملُ الحىَّ أجمداً^(٣)
وهبتُ شبابى ، والشبابُ مَضَّةُ لألججَ من أبناءِ عمى أروعا^(٤)
أبيتُ معنى من مخافة عتبه وأصبحُ محزوناً ، وأمسى مُروعا
فلما مضى عصرُ الشبيبة كُلهُ وفارقى شرحُ الشباب فودعا
تطلبتُ بين العتبِ والهجرِ فرجةً فحاولتُ أمراً لا يُرامُ مُنمعا
وصرتُ إذا ما رُمْتُ فى الخيرِ لدةً تتبمئتها بين الهمومِ نثيما^(٥)
وهأنا قد حلَّى الزمانُ مفارقى وتوَّحى بالشيبِ تاحاً مُرصما
فلو أننى مُكَّنتُ فيما أريدهُ من العيشِ يوماً لم أجد فى موضعا
أما ليلةٌ تمضى ولا بعضُ ليلةٍ أسرُّ بها هذا الفؤادَ الموحما
أما صاحبُ فردٍ يدومُ وفؤوهُ فيُصنِّى لمن أصفى ، ويرعى لمن رعى
أبى كلَّ دارٍ لى صديقٌ أودهُ إذا ما تفقنا حفظتُ وضيما

(١) الغلواء : الغلو والمضياعة : الكثير الإضاءة والغر : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمتى ورعيت مع الحبيب الغفل ما رعى واتبعته فيما يشاء
(٢) أى هل استبدلتما بالأجرع الفرد مكاناً غيره . يريد هل نسيتمانى واتخذتما بدلى حبيباً آخر ؟

(٣) أى أنى أبكى على من لا يبكى على بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وفى .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع النجدة .

(٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم .

(٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

إذا خفتُ من أخوالى الروم خُطَّةً
وإن أوجعتنى من أعادى شيمَةً
ولو قد رجوت الله لا ربَّ غيره
لقد قنعوا بعدى من القطر بالندى
وما مرَّ إنسانٌ فأخلف مثله
تنكر سيفُ الدين لما عتبتُهُ
فقولاً له ، يا صادق الودِّ إننى
ولو أنى أكننتُهُ فى جوانحى
فلا تغترر بالناس ، ما كلُّ من ترى
ولا تتقلد ما يروقُ جماله
ولا تقبلنَّ القول من كلِّ قائل
ولله إحسانٌ على ونعمة
أرانى طرق المسكرُ مات كما رأى
فإن يكُ بطءُ مرة فلطالما
تخوّفتُ من أعصامى العُرب أربعا
لقيتُ من الأحباب أدمى وأوجعا
رجعتُ إلى أعلى ، وأمّلتُ أوسعاً^(١)
ومن لم يجد إلا القنوع تقنعا^(٢)
ولكن يُرجى الناسُ أمراً موقعا^(٣)
وعرضُ بى تحت الكلام وقرعاً
جعلتُك ممّا رابنى منك مفزعا
لأورق ما بين الضلوع وفرعاً^(٤)
أخوك ، إذا أوضعت فى الأمر أوضاعاً^(٥)
تقلد إذا جرّبت ما كان أقطعا^(٦)
سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمعا
ولله صنْعٌ قد كفانى التصنعا
على وأسماى على كل من سعى^(٧)
تعجلُ بى نحو الجميل فأسرعا

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت إلى أعلى مرتجى وأمّلت أوسع مؤمل .

(٢) أى أن أهلى ونسوتى قنعوا بغيرى ممن لا يفتنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وإنما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عند غيبتى .

(٤) أورق الشجر : ظهر ورقه ، أى أنى لو تركت عتابى لك فيما أخذته عليك ، وكتمت ذلك فى قلبى ، لجلب كتمانها الحقد والعداوة . فالمسارعة بإظهار المؤاخذة أنفى للشر ، وأدل على المودة والمحبة .

(٥) أوضع فى الأمر : أسرع فيه ، أو أجرى دابته إجراءً سريعاً .

(٦) ولا تتقلد ما يروق الخ : أى لا تتقلد شيئاً جميلاً المنظر غير قاطع .

(٧) وصف الدولة وهو اسمه .

وإن يَجْفُ في بعض الأمور فإنني لأشكره النعمى التي كان أودعا
وإن يستجدّ النس بعدى فلم يزلْ بذاك البديل المُستجدّ مُمتعاً^(١)

وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسرىعاتبه على تباطئه في فكاهه :

وأبطأ عني والمنايا سريعة وللموت ظفره قد أطلّ ونابُ
فإن لم يكن وُدُّ قريبٍ نعدّه ولا نسبٌ بين الرجال قراب^(٢)
فأحوط للإسلام ألا يضيعني ولي عنه فيه حوطة ومناب^(٣)
ولكنني راضٍ على كلِّ حالةٍ لعلم أيُّ الحالتين صواب ؟
وما زلتُ أرضى بالقليل محبةً لديه ، وما دون الكثير حجاب
وأطلبُ إبقاءً على الودِّ أرضه وذكري مني في غيرها وطلاب^(٤)
كذلك الودادُ المحض . لا يرتجى له ثوابٌ ، ولا يُخشى عليه عقاب
وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع وفي كلِّ يوم لُقيّةٌ وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملكٌ قيصرٍ وللبحر حولى زخرةٌ وعبابُ
أمنٌ بعد بذل النفس فيما تريده أثابُ بمرِّ العتب حين أثاب ؟
فليتك تملؤ ، والحياةُ سريرةٌ ولتيتك رضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبينى وبين العالمين خراب
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هينٌ وكلُّ الذي فوق التراب تراب

(١) أي وإن يستجد سيف الدولة قائداً ونصيراً آخر بعدى فإنى أدعو له بأن يظل ممتعاً

(٢) القرباب : المقارب .

(٣) أي إذا لم ينقذنى الود والنسب فلا أقل من أن يستنقذنى للإسلام فإنى أحوطه

وأنوب عنه في الدود عنه .

(٤) أي أنى أطلب أرضه إبقاءً على وده . وإلا فإن مجرد ذكرى في أرض غيرها هو

منية أهلها وطلبهم .

٣ - أبو العلاء المعري^(١)

قال في الفخر :

أرى العنقاء تكبرُ أن تُصادا فعانِدُ من تطيقُ له عناداً^(٢)
وما نهَّهتُ عن طلب ، ولكن هي الأيام لا تُعطى قياداً^(٣)
فلا تَنَّمُ السوابق والمطايا إذا غرضُ من الأغراض حاداً^(٤)
لعلك أن تُشنَّ بها مُغارا فتنبجح أو تُجشمها طراداً^(٥)
مُقارعةً أحيَّتها العوالي مُجنَّبةً نواظرها الرقاداً^(٦)
تلومُ على تبلدِّها قلوباً تُكابِدُ من معيشتها جهادا
إذا ما النارُ لم تُطعم ضراماً فأوشكُ أن تُمرَّ بها رَمادا
فظنَّ بسائر الإخوان شراً ولا تأمنُ على سرِّ فؤادا
فلو خبرتهمُ الجوزاءُ خبري لما طلعتُ مخافةً أن تُكادا
تجنَّبتُ الأنامَ ؛ فلا أوأخى وزدتُ عن العدوِّ ؛ فلا أعادى

(١) أبو العلاء : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبياً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار علماً في الاشتهار ، ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له بها العيش ، فرجع إلى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذي روح وما يخرج منه . وتشبت بأراء في الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيراً من الشبه في عقيدته وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعراً كثيراً ومؤلفات عددة ورسائل مختلفة .

(٢) العنقاء : طائر يعرف باسمه ، ولكنه لا يوجد ولا يرى ، وللأولين فيه مزاعم شتى .
(٣) نهَّهت : كفت .

(٤) المعنى لا تلم الخيل والإبل إن لم تدرك غرضك ، فلعلك تطلب بها غرضاً آخر وهو شن الغارة .

(٥) المغار : موضع الغارة وموضع الشن : تفرُّبه في الحمل على الأعداء ومطاردتهم من كل جهة .

(٦) الأحجة : جمع حجاج وهو العظم الذي فوق العين وعليه الحاجب . أي تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

ولما أن تجهمني مرادى جريت مع الزمان كما أرادا^(١)
وهوتت الخطوب على حتى كاني صرت أمنيحها الودادا
أنكرها ومنبتها فوادى وكيف تنكر الأرض القتادا^(٢)
فأي الناس أجعله صديقا وأي الأرض أسلكه أرتيادا ؟
ولو أن النجوم لدى مال نفت كفاي أكثرها أنتقادا
كأني في لسان الدهر لفظ تضمن منه أغراضا بعادا
يكررنني ليفهمي رجال كما كررت معني مستعادا
ولو أني حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد أنفرادا
فلا هطت على ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا^(٣)
وكم من طالب أمدى سيلقى دوين مكاني السبع الشدادا^(٤)
يؤجج في شعاع الشمس نارا ويقدح في تلها زنادا^(٥)
ويطعن في علای ، وإن شئني ليأنف أن يكون له نجادا^(٦)

-
- (١) تجهمه : تنكر له وعبس . والمراد هنا أنه لما استعصى عليه مراده ، ولم يستطع بلوغ ما يريد ، استسلم لما تريده الأيام .
(٢) القتاد : نوع من الشوك .
(٣) تنتظم : تعم .
(٤) دوين : تصغير دون . والسبع الشداد : السموات . أي : سيجد مسافات شامعة قبل أن يجد منزلي .
(٥) أي أن من يسابقي ويباريني في المجد لا يدركني ، بل يكون مثله كمثل من يؤحج نارا يكيد بها الشمس .
(٦) شسع النعل : الزمام بين الأصبع الوسطى والى تليها . والنجاد : حمائل السيف .

ويُظهِرُ لِي مودَتَهُ مَقَالًا وَيُبَغِضُنِي ضَمِيرًا وَأَعْتَقَادًا
فَلَا وَأَبِيكَ مَا أَخْشَى أَنْتَقَاصًا وَلَا وَأَبِيكَ مَا أَرْجُو أَزْدِيَادًا !
لِيَ الشَّرْفُ الَّذِي يَطُّ الثُّرَيَّا مَعَ الْفَضْلِ الَّذِي بَهَرَ الْعِبَادَا
وَكَمْ عَيْنٌ تَوَمَّلُ أَنْ تَرَانِي وَتَنْقَدَّ عِنْدَ رُؤْيِي السَّوَادَا^(١)
وَلَوْ مَلَأَ الشُّهَاءُ عَيْنِيهِ مِنِّي أَبْرٌ عَلَى مَدَى زُحَلٍ وَزَادَا^(٢)
أَفَلَّ نَوَائِبِ الْأَيَّامِ وَحَدَى إِذَا جَمَعَتْ كِتَابَهَا أَحْمَشَادَا^(٣)
وَقَدْ أَثْبَتُ رَجُلِي فِي رِكَابٍ جَعَلْتُ مِنَ الزَّمَاعِ لَهُ بَدَادَا^(٤)
إِذَا أَوْطَأَتْهَا قَدَمِي سُهَيْلٍ فَلَا سُقَيْتُ خُنَاصِرَةَ الْعِهَادَا^(٥)
كَأَنَّ ظِلْمَاءَهُنَّ بَنَاتُ نَعَشٍ يَرْدُنَ إِذَا وَرَدْنَ بِنَا الثَّمَادَا^(٦)

(١) سواد العين : الحدقة منها ، وبها يكون الإبصار . أى أن الرائى تخفى عليه حين يراه حقيقة ، فكأنه ينظر إليه بعين غير مبصرة . وقد يكون المعنى أن الرائى حين يراه يحقد عليه لما يرى من عظمته ، فتحرك فيه نوازع البغض ، فيعرض عنه .

(٢) السها : نجوم خفية في بنات نعش الصغرى . وليس لها أثر في الحظ والتأثير عند المنجمين كما لزحل . وأبر : فاق وزاد .

(٣) أفل النوائب : أهرمها . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الخيل للحرب .

(٤) الزماع : الشجاعة . والبداد : ما على جانب السرج من اللبد المحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب .

(٥) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة : بلدة بالشام . والعهاد : المطر . يقول إذا توجهت مساء اليمن فلا أبالى ما يصيب الشام بعدى .

(٦) بنات نعش : كواكب متفرقة تشاهد جهة القطب الشمالى . والثماد : جمع ثمد ، وهى المياه القليلة تكون تحت الرمل يحفر عنها حفر صغيرة يقرب بعضها من بعض ، أى كأن ركايبى العطاش حين ترد هذه الثماد مثل الكواكب المسماة بنات نعش فى تفرقها .

ستمعجبٌ من تغشُّمِها ليالٍ تُباريها كواكبُها سُهاداً^(١)
كأنَّ فيجَاجِها فقدتْ حبيباً فصيرت الظلامَ لها حدادا
وقد كَتَبَ الضَّريبُ بها سُطوراً فخلتُ الأرضُ لابسَةً بجادا^(٢)
كأنَّ الزُّبرقان بها أسيرٌ يُجَنَّبُ لا يُفكُّ ولا يُفادى^(٣)
وبعضُ الطاعنين كقرنِ شمسٍ يغيبُ فإن أضاءَ الفجرُ عادا
ولكنَّ الشَّباب إذا تولى فجهلٌ أن ترومَ له ارتدادا
وأحسبُ أن قلبي لو عصاني فعاود ما وجدتُ له افتقادا^(٤)

وقال بصف ديكا :

أيا «ديك» عدت من أياديك^(٥) صريحة
«تفتت فقال الناس» «أوس بن مغير»^(٦)
وفيك إذا ما ضيع النَّكس^(٨) غيرة^(٩)
بعثت بها ميث الكرى وهو نائم
أو ابن «رباح»^(٧) بالحملة قائم
نصانُ بها المستصحبات الكرام^(١٠)

(١) التغشمر : التعسف .

(٢) الضريب : الصقيع ، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض ، والبجاد : الكساء المخطط .

(٣) الزبرقان : القمر ، أي كأن القمر أسر في هذه الأرض ، فليس له من فكك ، فتطلع الشمس .

(٤) افتقاد الشيء : أن تطلبه في غيبته ، أي لم أطلبه حين غاب ، فأسر به حين عاود .

(٥) الأيادي النعم .

(٦) كان مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الفتح .

(٧) هو بلال الذي كان يؤذن للنبي عليه السلام سفرا وحضرا ، وهو أول من أذن في الإسلام .

(٨) الضعيف الدنيء . (٩) الغيرة : الحمية والشجاعة .

(١٠) المستصحبات الكرام ، يريد : الدجاج . والديك يدفع الأذى عما حوله من إناث الدجاج .

يُزَانُ لَدَيْكَ الطَّعْنُ فِي حَوْمَةٍ (١) الْوَغَى (٢) إِذَا زِيدَتْ لِلْعَاجِزِينَ الْمِزَامُ
عَلَيْكَ ثِيَابٌ خَاطَهَا اللَّهُ قَادِرٌ بِهَا رَمَيْتِكَ (٣) الْعَاطِفَاتُ الرَّوَامُ
وَتَأْجُكَ مَعْقُودٌ، كَأَنَّكَ «هُرْمُزٌ» (٤) يُبَاهَى (٥) بِهِ أَمْلَاكُهُ (٦) وَيُؤَامُّ (٧)

وقال في وصف ليلة :

لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّنَجِ (٨) عَلَيْهَا قَلَائِدٌ مِنْ جُبَانٍ (٩)
هَرَبَ النَّوْمُ عَنْ جُفُونِي فِيهَا هَرَبَ الْأَمْنُ عَنْ فُؤَادِ الْجِبَانِ
وَكَأَنَّ الْهِلَالَ يَهْوَى الثَّرِيًّا (١٠) فَهَمَّا لِلْوَدَاعِ مُعْتَمِقَانِ
وَسُهَيْلٌ كَوْجِنَةُ الْحَبِّ (١١) فِي اللَّوْ نَ وَقَلْبُ الْمُحِبِّ فِي الْخَفِقَانِ
يَسْرَعُ اللَّحْمُ فِي أَحْمَارٍ كَمَا تُسْرَعُ فِي اللَّحْمِ مُقَلَّةُ الْغَضْبَانِ
ضَرْجَتُهُ (١٢) دِمَاسِيُوفُ الْأَعَادِي فَبِكْتِ رَحْمَةٌ لَهُ الشَّعْرِيَانِ (١٣)
ثُمَّ شَابَ الدُّجَى وَخَافَ مِنَ الْهَجْرِ فَعَطَى الْمَشِيبَ بِالزُّعْفَرَانِ
وَنَضًا (١٤) فَجَرَّهُ عَلَى نَسْرِهِ (١٥) الْوَا قَعَ سَيْفًا فَهَمَّ بِالطَّيْرَانِ

-
- (١) ميدان . (٢) الحرب . (٣) عطففت عليك .
(٤) الكبير من ملوك العجم . (٥) يفاخر . (٦) ملوكه .
(٧) يوافق . أى يماثل الملوك في لبسهم التيجان .
(٨) جبل من السودان . (٩) اللؤلؤ .
(١٠) سهيل : نجم . والحب . والحبيب .
(١١) لطخته .
(١٢) نجمان .
(١٣) جرد .
(١٤) أحد النجوم .

وقال من قصيدة يرثي بها فقيها حنفياً ، وهي في ديوانه « سقط الزند » :

غيرُ مُجَدِّدٍ في مِلَّتِي واعتقادي نَوْحُ بَاكِ ، وَلَا تَرْتَمُ شَادٍ^(١)
وشبيهه صوتُ النعِيِّ إذا قيد سَ بصوت البشير في كل نادٍ
أَبَكَّتْ تَلَكُمُ الحِمَامَةُ أم غَدَّ تَ على فرَع غُصْنِهَا المِيَادِ
صَاح : هذِي قُبُورُنَا تَمَلَا الرِّخ بَ فَايُن القُبُورُ من عَهْدِ عَادِ؟
خَفَّفَ الوَطءَ مَا أَظُنُّ أَدَمَ أَل أَرْضِ إلامن هذِهِ الأَجْسَادِ^(٢)
وقبِيحُ بِنَا وَإِن قَدَّمَ العَهـ دُ هَوَانُ الأَبَاءِ والأَجْدَادِ
سَرَّ إِن اسْتَطَعْتَ فِي الهَوَاءِ رُؤْيَدًا لَا اخْتِيَالًا عَلَيَّ رُفَاتِ العِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا ضاحِكٍ من تَزاحمِ الأَضْدَادِ
وَدَفِينِ عَلَيَّ بِقَايَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الأَزْمَانِ والأَبَادِ
فاسألِ الفَرَقْدَانِ عَمَّنْ أَحْسَا من قَبِيلِ وَأَنسَا من بِلَادِ^(٣)
كَمْ أَقَامَا عَلَيَّ زَوَالِ نَهَارِ وَأَنارَا لِمُدْجِجِ فِي سَوَادِ^(٤)

(١) أي صائح من الطيور .

(٢) أديم الأرض : ظهرها .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحان في بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) . القبيل : الجماعة

وأنس الشيء أبصره .

(٤) المدجج : الساري في الليل . والفرقدان ليس لهما طلوع وأقول ، فهما مضيئان ثابتان

إنما يدوران حول القطب الشمالي وحده .

تَعَبُ كُلِّهَا الْحَيَاةَ فَمَا أَعَى
إِنَّ حُزْنَاً فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا
جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
لِ إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رِشَادِ
جَسْمٍ فِيهَا ، وَالْعَيْشُ مِثْلُ الشَّهَادِ
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ إِلَا

وقال يفتخر :

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ ،
أَعْنَدِي ، وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ
أَقْلُ صُدُودِي أَنْتِي لَكَ مُبْغِضٌ
إِذَا هَبَّتِ النَّكْبَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ
كَأَنِّي إِذَا طَلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ ؛ فَمَنْ لَمْ
يُرْمِ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ
عَقَافٌ ، وَإِقْدَامٌ ، وَحَزْمٌ ، وَنَائِلٌ
يُصَدِّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيِّبُ سَائِلٌ ؟
وَأَيْسَرُ هَجْرِي أَنْتِي عَنْكَ رَاحِلٌ (١)
فَأَهْوَنُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ (٢)
وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْعَمَلُ وَالْفَضَائِلُ
رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ (٣)
بِإِخْفَاءِ شَمْسِ ضَوْؤِهَا مِتْكَامِلٌ ؟
وَيُثْمَلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلٌ (٤)
لَأَتَّ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

(١) يخاطب لأئمه بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النكباء : الريح تهب بين مهبي ريحين . أي إذا بعدت عنكم ، وأصبح بيني وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالي بقول العواذل .

(٣) طلت فقت وسموت . والطوائل : الترات ، أي كأن لهم نأرا عندي يطلبونه .

(٤) رضوى : جبل بين المدينة وينبع ، يضرب الشعراء بعضهم المثل .

وأغدو ولو أن الصباح صوارم^(١) وأسرى ؛ ولو أن الظلام جحافل^(١)
وإني جوادٌ لم يُحَلِّ لِجِامِهِ ونِضْوُ يَمَانٍ اغْفَلْتَهُ الصَّيَاقِلُ^(٢)
وإن كان في نُسِّ الفتي شرفٌ له فما السيفُ إلا غمدهُ والحائلُ
ولي مَنْطِقٌ لم يرضَ لي كُنْهَ منزلي على أننى بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنِ نازلُ^(٣)
لدى مَوْطِنٍ بِشْتَاقِهِ كُلُّ سَيِّدٍ ويقصُرُ عن إدْرَاكِهِ المِقْنَاوُلُ
ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشياً تجاهلتُ حتى قيلَ : إني جَاهِلُ
فواعجباً ! كم يدعى الفضلَ نَقْصُ ووا أسفا ! كم يُظْهِرُ المِقْصَ فاضِلُ
وكيف تنامُ الطيرُ في وُكْنَاتِهَا وقد نُصِبَتْ لِلْفِرْقَدَيْنِ الحِبَائِلُ^(٤)
يُنَافِسُ يَوْمِي فِي أَمْسِي تَشْرُفَاً وتَحْسُدُ أسْحَارِي عَلَى الْأَصَائِلِ
وطال اعترافي بالزمانِ وصَرَفُهُ فلوبانِ عَضْدِي ما تأسفُ مَنزَكِي
إذا وَصَفَ الطائِيَّ بالبخلِ مادراً فلستُ أبالي مَنْ تَقُولُ العَوَائِلُ
وقال السها للشمس : أنتِ خفيةٌ ولومات زدى ما بكته الأناملُ^(٥)
وعَيَّرَ قُسًا بالفهامة باقل^(٦) وقال الدحى : يا صُبْحُ لو بك حائلُ^(٧)

(١) الصوارم : السيوف ، والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش العظيم وغدا : سار في الصباح وسرى : سار في الليل .

(٢) نضويمان : يريد سيف يمنى مهمل ، أنضاه الترك وأصداه .

(٣) السما كان : الرامح والأعزل نجمان في السماء .

(٤) الوكنات : جمع وكنة ، وهي موضع نوم الطير . والحبائل : جمع حباله ، وهي

الشبكة تنصب لصيد الطائر ، يقول : إذا كان مثلي في فضله وعلوه الذي يشبهه بعلو النجوم في السماء . يكيد له الناس ولا يتورعون عن سبه وتنقصه ، فكيف يسلم من المكائد من يقل عنى ، وليس له منعى ومتى نال الناس النجوم بالأذى لم يأمن الطير على نفسه .

(٥) بان : انفصل . والنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والزند : موصل طرف الذراع في الكف .

(٦) يريد بالطائى حاتماً . ومادر : يضرب به المثل في البخل ، وقس بن ساعدة : أحد

خطباء الجاهلية وفصحائها ، وباقل يضرب به المثل في العي .

(٧) السها : نجوم خفية في بنات نعش الصغرى .

وطاوتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرتِ الشَّهْبَ الحصىَ والجنادلُ
فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذميمةٌ ويا نفسُ جدِّي إن دهرَكَ هازل
إذا أنتَ أُعْطيتَ السَّعادةَ لم تُبَلِّ وإن نظرتَ شزراً إليكَ القبائلُ^(١)
فإن كنتَ تبغى العزَّ فالبحُّ توسُّطاً فعندَ التَّنَاهي يقصُرُ المتطاول
توقى البُدورُ النقصَ وهي أهلةٌ ويُدركُها النقصانُ وهي كوامل

وقال في ديوانه « لزوم ما يلزم » ؛ وهي قصيدة تتضمن كثيراً من
خاص آرائه :

غدوتَ مريضَ العَقْلِ والدينِ فالتقني لِتَسْمَعَ أنباءَ الامورِ الصَّحاحِ
فلا تأكلنْ ما أخرجَ الماءَ ظالماً ولا تبغِ قوتاً من غريضِ الذبائحِ^(٢)
وأبيضَ أماتٍ أرادتْ صريحهً لأطفالها دونَ الغواني الصرائحِ^(٣)
ولا تفجعنْ الطيرَ وهي غوافل بما وضعتْ فالظلمُ شرُّ القبائحِ
ودع ضربَ النحلِ الذي بكرتْ له كواسبَ من أزهارِ نبتِ فوائِحِ^(٤)
فما أحرزته كى يكونَ لغيرها ولا جمعةً للندى والمنائحِ^(٥)
مسحتُ يدي من كل هذا فليتني أبهتُ لشأني قبل شيبِ المسائحِ^(٦)

(١) لم تبلى : أى لم تبال : وهذا الفعل قد يشد عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة
الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره . والنظر
الشزر ، نظر بمؤخر العين غضبا .

(٢) الغريض : الطرى من اللحم وغيره . أى لا تأكل السمك ونحوه ولاذبائح الدواب .

(٣) الأبيض : اللبن . والأمات : لغة فى الأمهات ، أو : الأولى خاصة بالحيوان :

والأخرى للناس . والغواني الصرائح : الخالصات الحسن .

(٤) الضرب : العسل

(٥) الندى : الجود والكرم . والمنائح جمع منيحة ، وهى ما تعطى فضلا وتكرما .

(٦) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذرابة الشعر .

بني زمني هل تعلمون سراً ، ولكي بها غير بائع
سريتم على غي ؛ فهلا اهتديتم بما خبرتكم صافيات القرائح
وصاح بكم داعي الضلال ، فما لكم أجبتكم على ما خيلت كل صائح؟^(١)

فإن ترشدوا لا تخضبوا السيف من دم
ويعجبني دأب الذين ترهبوا
وأطيب منهم مطعماً في حياته
فما حبس النفس المسيح تعبدا
يغيبني في التراب من هو كاره
ومن يتوق أن يجاور أعظماً
ومن شر أخلاق الأنيس وفعلهم
وأصفح عن ذنب الصديق وغيره
وأزهد في مدح الفتى عند صدقه

ولا تلتزموا الأميال سبر الجراح^(٢)
سوى أكلهم كد النفوس الشحاح
سعاة حلال بين غاد ورائح
ولكن مشى في الأرض مشية سائح
- إذا لم يغيبني - كرية الروائح^(٣)
كأعظم تلك الهالكات الطرائح
خوار النواعي والتدائم النواع^(٤)
لسكناي بيت الحق بين الصفايح^(٥)
فكيف قبولي كاذبات المدائح

(١) على ما خيلت : أي كما اتفق دون إيمان فكر وتدبر .

(٢) الأميال : جمع ميل ، وهو : المرود يقاس به عمق الجرح . وسبر الشيء : امتحانه واختباره . ينهى على الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح .

(٣) أي إذا لم أصب برائحة كريهة أو غيرها تخنقني فأموت ، فإنني لا بد ميت بانقضاء أجلي المحتوم ، ويومئذ يدفنني من هو كاره ذلك على الرغم منه .

(٤) النواعي : جمع ناعية . والتدائم النواع : ضربهن صدورهن في النياحة . والأنيس يريد به الناس .

(٥) بيت الحق : القبر .

وما زالت النفس اللجوج مطيئةً إلى أن غدت إحدى الرذايا الطلائح^(١)
وما ينفع الإنسان أن غمًا نمتا تسخ عليه تحت إحدى الضرائح^(٢)
ولو كان في قرب من الماء رغبةً لنفاس ناس في قبور البطائح^(٣)

وقال في ديوانه « لزوم ما لا يلزم » يصف الحياة الدنيا :

أصاح : هي الدنيا تُشابه ميتهً ونحن حوالها الكلاب النوايح
فمن ظل منها آكلا فهو خاسرٌ ومن عاد عنها ساعبًا فهو راجع^(٤)
ومن لم تُبيته الخطوب فإنه سيصبحه من حادث الدهر صابح^(٥)

وقال في هذا المعنى :

دنياك دارٌ إن يكن شهادها عقلاء لم يبكوا على غيابها
قد أظهرت نوبًا تزيد على الحصى عددًا وكم في ضئها وعيابها^(٦)
تفريهم بسيفها وتكثهم برماحها وتنالهم بصيابها^(٧)
ما الظافرون بعزها ويسارها إلا قريباو الحال من خيابها

-
- (١) الرذايا . جمع رذية ، وهي الضعيفة الهزيلة من الحيوان ، وكذلك معنى الطلائح .
(٢) ينكر على الناس دعاءهم للدوتى بالسقيا .
(٣) البطائح جمع بطيحة ، وهي المسيل الواسع .
(٤) الساعب : الجائع .
(٥) بيته : فاجأه ليلا ، أمى : إذا تركته المصائب ليلا لم تتركه نهارا ، فلا مفر منها .
(٦) الضين : ما بين الكشح والإبط . والعياب : جمع عيبة ، وهي ما تجمع فيه الثياب يريد أن في أحضانها وطواياها نواب تزيد على ما أظهرت .
(٧) تفريهم : تشقهم وتقطعهم ويريد بالصياب : السهام الصائبة .

وقال أيضاً :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على برآياها وأجناسها
وكلٌ حيٌّ فوقها ظالمٌ وما بها أظلمُ من ناسها

وقال في الحكمة :

نهاني عقلي عن أمورٍ كثيرةٍ وطبعي إليها بالغريرة جاذب
ومما أدام الرزء تكذيبُ صادقٍ على خبرةٍ منّا، وتصديقُ كاذبٍ

وقال أيضاً :

ضحكنا وكان الضحكُ منّا سفاهةً وحقُّ لسكّان البرية أن يبكوا
يخطئنا ريب الزمان كأننا زجاجٌ، ولكن لا يُعاد له سبك

وقال يصف التدين الكاذب :

سبّح ، وصل ، وطف بمكة زائراً سبّعين لا سبّعاً فليست بفاسك
جهل الديانة من إذا عرضت له أطاعه لم يلف بالمماسك^(١)

وقال في انطباع الناس على الشر :

لويفهمُ الناسُ ، لو أبناؤهم جلبوا وبيع بالفلس ألف منهم كسدوا^(٢)
فويحهمُ بئس ما ربوا وما حضنوا فهي الخديعة والأضغان والحسد
وهكذا كان أهل الأرض مذفطروا فلا يظن جهول أنهم فسدوا

(١) أي : ليس كل العبادة أن تصلى وأن تحج ، فهذا جزء منها لا بد أن يتم بإمساك النفس من أن تطمح فيها هو غير حقها .

(٢) يتمنى لو علم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيداً يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

وقال في مرأى الناس ومخبرهم :

يَحْسُنُ مَرَأَى لِبَنِي آدَمَ وَكُلُّهُمْ فِي الذَّوْقِ لَا يَعْذِبُ
مَا فِيهِمْ بَرٌّ وَلَا نَاسِكٌ إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يُجْذِبُ
أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ

٤ - كشاجم^(١)

قال يشكو الحظ والزمن :

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَالَ النَّاسُ حَظَّهُمْ وَاخْطَأْتَنِي مَعَ أَسْتَحْقَاقِهَا الرُّتَبُ
وَعَاقَبَنِي عَنْ طَلَابِهَا أُصَيْبِيَّةٌ يَا أَيُّ فِرَاقِهِمُ الْإِشْفَاقُ وَالْحَدَبُ^(٢)
وَلِي قَوَادِمُ لَوْ أَنِّي حَذَفْتُ بِهَا لِأَهْضَمْتَنِي ، وَلَكِنْ أفرُخِي رُغْبُ^(٣)
وَمَا التَّعْجِبُ لَوْ أَنِّي ظَفَرْتُ بِهَا بَلْ فِي تَنْكِبِهَا اللَّأْوَاءُ ، يَا عَجَبُ !^(٤)
فَإِنْ يَكُنْ أَدَبٌ مِنْ رُبَّةٍ عَوْضًا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

وقال يهجو عواده :

حَاءَتْ بَعُودٍ مِثْلَهَا نَاقِرٍ كَأَنَّهُ نَقْنَقَةٌ الضَّفْدَعُ
مُضْطَرِبُ الْأُوتَارِ مَنْقُوضُهَا مَسْتَقْبِحُ الْمَدْفِعِ وَالْمَقْطَعِ^(٥)
يُودُّ مَنْ يَسْمَعُ أَصْوَاتَهُ لَوْ فَقَدَ السَّمْعَ ؛ فَلَمْ يَسْمَعْ
وَأَقْبَلَتْ تَضْرِبُ غَيْرَ الَّذِي نَسَمِعَ ، وَالنَّفْعَةَ لَمْ تُتْبِعْ^(٦)
كَأَنَّهَا نَسْمَةٌ تَأْلِفُهَا مُثَلَّثٌ مُخْتَلِفٌ الْأَضْلَعُ^(٧)

- (١) هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وصفى الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ .
وكان من خدام سيف الدولة .
(٢) أصيبية : تصغير صبية ، جمع صبي .
(٣) الأفرخ : جمع فرخ ، وهو ولد الطائر . والزغب بسكون الغين : جمع أرغب ،
وحركها الشاعر لضرورة الوزن . والأزغب : الذي ظهر أول شعره أو ريشه ، يريد أبناءه
الصغار .
(٤) الأواء : الشدة .
(٥) أي الضرب في ابتدائه وفي انتهائه .
(٦) أي تخلط نعمة بأخرى .
(٧) أي أن حركة يدها بنقل الأوتار لا تنتج ما تسمعه . وما تسمعه ليس من نعمة واحدة .

وقال يتغزل .

جَعَلْتُ إِلَيْكَ الْهَوَى شَفِيحاً ، فلم تَسْمَعِي
وناديتُ مستطعفاً ، فلم تَسْمَعِي
أتاركِتي مُدْنَفَاً أخا جَسَدٍ مُوجِع
ومغـرِيتِي والدمو عٌ قد أحرقتْ مَدْمَعِي (١)
أحينَ سَلَبتِ الفؤا دَ بالنَّظَرِ المَطْمَع
جَفَوْتُ وأُقْصِيتَنِي فهلاًَّ وَقَلْبِي مَعِي ؟

٥ - أبو الفرج البيهقي (٢)

قال يصف كَتِيبةً وقائدها :

ومَوْشِيَةٌ بِالْبَيْضِ وَالزَّغْفِ وَالقَنَا مُحَيَّرَةٌ الْأَعْطَافَ بِالضَّمْرِ الْقَبِ (٣)
بعيدة ما بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ فِي الشَّرَى قَرِيبَةٌ مَا بَيْنَ الْكَمِيئِينَ فِي الضَّرْبِ
من السَّالِبَاتِ الشَّمْسِ ثُوبَ ضِيَائِهَا بَثُوبٍ تَوَلَّى نَسَجَهُ عَثِيرُ التُّرْبِ (٤)
يُعَاتِبُ نَشْوَانَ أَلْتَقْنَا صَابِي الظُّبَا إِذَا التَّقِيَا فِيهَا ، عَلَى قِلَّةِ الشَّرْبِ (٥)

(١) الدمع : مجرى الدمع من العين .

(٢) هو عبد الواحد بن نصر الخزومي المعروف بالبيهقي الشاعر المشهور والكاظم الجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساج في أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٣) الزغف : جمع زغفة ، وهي الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويقال درع زغف ودرع زغف أيضاً . شبه الكنتية وما في وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى مجر الحوافي . (٤) العشير : الغبار .

(٥) أي تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتها .

أَعَادَتْ عَلَيْنَا اللَّيْلَ بِالنَّقْعِ وَالضُّحَى
وَرَدَّتْ عَلَيْنَا الصُّبْحَ فِي اللَّيْلِ بِالشَّهْبِ
تَبَكَّجُ عَنْ شَمْسِي نِزَارٍ وَيَعْرُبِ
وَتَفْتَرُّ عَرَطُودِي عَلَا تَغْلِبُ الْغُلْبِ (١)
مُوقِرَةً يَقْتَادُ ثِنْيَ زِمَامِهَا
بَصِيرُهُ أَدْوَاءَ الْكَرِيهَةِ فِي الْحَرْبِ
أَصْحَ اعْتِزَامًا مِنْ خَوْنِ عَلِيِّ قَلِيَّ
وَأَنْفَذَ حُكْمًا مِنْ غَرَامٍ عَلَى صَبِّ

٦ عبد المحسن الصوري (٢)

قال يهجو بعض من ضافه (٣) :

وَأَخِ مَسَّهُ نُزُولِي بِقَرَحِ
مِثْلَمَا مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ قَرَحُ
قِيلَ لِي : إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ
وَالْفَقْرَ يَعْتَرِبُهُ بِجُحْلٍ وَشُحِّ
بِتُّ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَمَ اللَّهُ
رُ ، وَفِي حُكْمِهِ عَلَى الْحَرِّ قُبْحِ
قَالَ لِي إِذْ نَزَلْتُ ، وَهُوَ مِنَ السُّكْرِ
رَاةً وَالْهَمُّ طَافِحٌ لَيْسَ يَصْحُو :
لَمْ تَغْرَبْتِ ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -
سَافِرُوا تَغْنَمُوا . فَقَالَ : وَقَدْ قَالِ
لِ تَمَامِ الْحَدِيثِ : صُومُوا نَصْحُوا ؟

وقال في وصف جميل يسبح في ماء :

رَأَيْتُ مَا لَمْ يَرَهُ رَاءِ
مَاءٌ غَدَاً بِسَبْحِ فِي مَاءِ
أَوْمَاتٌ نَالِلِحْظَ إِلَى جَسْمِهِ
فَكَادَ أَنْ يُدْئِيَهُ يِمَائِي

- (١) أي اجتمع فيها النزاريون والقحطانيون من العرب ، وتغلب وهي قبيلة سيف الدولة وتسمى تغلب الغلباء لشجاعها ، ويجمع الغلباء على الغلب .
(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام ، شاعر مجيد وصاف متفضل مات سنة ٤١٩ هـ .
(٣) ضافه : نزل عليه .

٧ - تميم بن المعز الفاطمي العبيدي^(١)

قال يصف قوارة في بستان :

وقاذفة بالماء في وسط بركة
إذا أنبتت بالماء سلمته منضلاً
قد ألتحف ظلا من الأيك سجسجا^(٢)
وعاد عليهما ذلك المنصل هو دجا^(٣)
تُحاول إدراك النجوم بقذفها
كان لها قلباً على الجوِّ مخرجا

وقال أيضاً في الفخر :

أتى الكمي فلا أخاف لقاءه
وأكره في صدر الحميس معانقا
ويزيدني كل الخطوب تعظماً
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق
وكما يمل الدهر من إعطائه
وكما يمر لعشر بسعادة
فإذا رماك بشدة فأصبر لها
وسل الليلي عن نفاذ عزيمة
تخبرك عني أنني لم ألقها
أصبحت لا أشتاق إلا للندي
وإذا السيوف قطعن كل ضريبة
ويقل إقدامي شباً الحدان^(٤)
للموت حين يفر كل جبان^(٥)
وتسلط الأيام عز مكان
ذرعاً بأيامى وغدر زمانى
فكذا ملأته من الحرمان
فكذا يكر لعشر بهوان
فلسوف يأتي بعدها بليان^(٦)
وسل الحوادث عن ثبات جفاني
بين العزائم واهن الأركان
أبدأ ولا أهوى سوى الإحسان
قطع السيوف القاطعات لسانى^(٧)

(١) هو أبو علي الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمي باني القاهرة لم يكن ولي عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان في الفاطميين كابن المعتز في بني العباس توفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) السجسج : الذي لا حرف فيه ولا برد .

(٣) المنصل : السيف كالنصل . الهودج : محل له قبة كانت النساء تركب فيه .

(٤) الكمي : الشجاع المقاتل . والشبا جمع شبابة : وهى : الحد .

(٥) الحميس : الجيش .

(٦) الليان : اللين والرخاء .

(٧) الضريبة : المضروب .

وقال في الغزل :

شبهتها بالبدر فاستضحكتُ وقابلتُ قَوْلِي بالفُكْر
وسمَّهتُ قَوْلِي ؛ وقالت : متى سَمَّجْتُ ؟ حتى صرتُ كالبدرا
والبدرُ لا يرنو بعين كما أرنو ، ولا يبسمُ عن ثغر
ولا يُميطُ المرط عن ناهدٍ ولا يشدُّ العقدَ في نحرٍ (١)
من قاس بالبدر صفاتي فلا زال أسيراً في يدى هجرى !

٨ - أبو الحسن التهامي (٢)

قال يرثى ابناً له مات صغيراً :

حُكْمُ المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار
بيننا يُرَى الإنسان فيها مُخبراً حتى يرى خبراً من الأخبار
طُبعت على كدرٍ ، وأنت تريدها صنفاً من الأقدار والأكدار
ومكلفُ الأيام ضدَّ طباعها مُتطلبٌ في الماء جذوة نار
فإذا رجوتَ المستحيلَ فإنما تَبني الرجاء على شفير هار (٣)

(١) المرط : كساء من صوف ونحوه يتخذ إزاراً .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد التهامي . أصله من بلاد العرب من تهامة . جاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء في الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوساً إلى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليح الشعر بدويه ، وذاعت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهاه .

(٣) الشفير : حافة الشيء وطرفه . وهار : منهار ، أي فإنما تبني الرجاء على حافة كثيب منهار ، فلا يستقر بناء ، أي لا يتحقق رجاء .

فالعيشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَبْقَظَةٌ
وَالنَّفْسُ إِن رَضِيَتْ بِذَلِكَ أَوْ أَبَتْ
فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا
وَتَرَكَضُوا خَيْلَ الشَّبَابِ ، وَحَازِرُوا
فَالدَّهْرُ يَخْدَعُ بِالْمُنَى ، وَيَغُصُّ إِن
لَيْسَ الزَّمَانُ وَإِن حَرَصْتَ مُسَالِمًا
وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خِيَالٌ سَارٌ
مُنْقَادَةٌ بِأَزْمَةِ الْمَقْدَارِ (١)
أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
أَنْ تَسْتَرِدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ (٢)
هَنَى ، وَيَهْدِمُ مَا بَنَى بِيَوَارِ (٣)
خَلَقَ الزَّمَانَ عِدَاوَةً الْأَحْرَارِ

يَا كَوْكَبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عَمْرِهِ
وَهَلَالَ أَيَّامَ مَضَى لَمْ يَسْتَدِرْ
عَجَلَ الْخُسُوفُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ
وَاسْتَلَّ مِنْ أَتْرَابِهِ وَوَلِدَاتِهِ
فَكَأَنَّ قَلْبِي قَبْرُهُ ، وَكَأَنَّهُ
إِن يُحْتَقَرُ صِغَرًا فَرُبَّ مُفْتَحَمٍ
إِنَّ الْكَوْكَبَ فِي عُلُوِّ مَحَلِّهَا
وَكَذَلِكَ عَمْرُ كَوْكَبِ الْأَسْحَارِ (٤)
بَدْرًا ، وَلَمْ يُمَهَلْ لَوْ قَتَّ سِرَارِ (٥)
فَمَحَاهُ قَبْلَ مِظْنَةِ الْإِبْدَارِ
كَالْمَقْلَةِ اسْتَلَّتْ مِنَ الْأَشْفَارِ (٦)
فِي طَيْبِهِ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ
يَبْدُو ضَيْلُ الشَّخْصِ لِلنُّظَارِ
لَتَرَى صَغَارًا وَهِيَ غَيْرُ صَغَارِ

-
- (١) المقدار : ما يقدره الله من شأن .
(٢) وترا كضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فإنه عارية .
(٣) أغصه : أذاقه العصاة ، وهى الهوان والحزن .
(٤) الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة
وكمطارد كذلك قصيرة مدّة الظهور ، لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فينسخها ضوءها .
(٥) استدارة البدر : فى وسط الشهر ، وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة
من الشهر . هى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .
(٦) الأتراب واللغات : من يولدن فى زمن واحد .

وَلَدُ الْمُعَزَّى بَعْضُهُ ؛ فَإِذَا انْقَضَى بَعْضُ النَفَى فَالْكَلِّ فِي الْآثَارِ
أَبْكِيهِ ، ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِرًا لَهُ : وَفَقَّتْ حِينَ تَرَكْتَ الْأُمَّ دَارِ
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي ، وَجَاوَرَ رَبِّي شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي
أَشْكُو بِعَادِكَ لِي ، وَأَنْتَ بِمَوْضِعِ لَوْلَا الرَّدَى لَسَمِعْتَ فِيهِ سِرَارِي (١)
وَالشَّرْقُ نَحْوَ الْغَرْبِ أَقْرَبُ شُقَّةً مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْخُمْسَةِ الْأَشْبَارِ (٢)
هِيَهَاتَ قَدْ عَلِقَتِكَ أَشْرَاكُ الرَّدَى وَاعْتَاقَ عَمْرُكَ عَائِقُ الْأَعْمَارِ
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِمَا فَبَلَّغْتَهَا وَأَبُوكَ فِي الْمَضَارِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي
أُخْفِي مِنَ الْبُرْحَاءِ نَارًا مِثْلَمَا يُخْفِي مِنَ النَّارِ الزَّنَادُ الْوَارِي (٣)
وَأُخْفِضُ الزَّفْرَاتِ ، وَهِيَ صَوَاعِدُ وَأُكْفِكُ الْعَبْرَاتِ ، وَهِيَ جَوَارِ
وَشَهَابُ زَنْدِ الْحُزْنِ إِنْ طَاوَعْتَهُ وَارٍ ، وَإِنْ عَاصَيْتَهُ مَتَوَارِ (٤)
وَأُكْفُ نِيرَانَ الْأَسَى ، وَلرَبَّمَا غَلِبَ التَّصَبُّرُ ، فَارْتَمَتْ بِشَرَارِ
ثُوبُ الرِّيَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا التَّحَفْتُ بِهِ فَإِلَيْكَ عَارِ

(١) السمرار : المسارة ، أى الكلام بهمس . والمعنى أنه لولا الموت لسمع ولده صوته وهو يتكلم خافتاً ، فهو في قبره قريب منه ، ولكن الموت يجعل هذه المسارة القريبة شقة شاسعة ومكاناً نائياً .

(٢) الخمسة الأشبار : مسافة بعد اللحد عن ظاهر الأرض .

(٣) البرحاء : الحزن المبرح . والوارى : المنتقد بالنار .

(٤) الزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار . وورى الزند : خرجت ناره ، فهو وار .

٩ - علي بن النعمان^(١)

قال في وصف صديق :

صديقٌ لي له أدبٌ صداقةٌ مثله نسبٌ
رعى لي فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجبُ
فلو نُقدتْ خلانتهُ كَبُهرجِ عندها الذهبُ

١٠ - أبو الحسن علي بن عبد الرحمن^(٢)

قال في الهجاء :

وذى حُرْصٍ تراه يَلْمُ وَفَرًّا لوارثه ، وَيَدْفَعُ عن حِماه^(٣)
ككلب الصيد: يُمسك وهو طاوٍ فريسته لياكلها سواه^(٤)

١١ - الحسن بن الزبير الأسواني^(٥)

قال يشتاقي إلى نهر بردى بالشام :

بالله ياريح الشما لي إذا اشتملت الرّوح مُبردا^(٦)
وحملت من نشر الخزا حيا فاغتدى للندِّ ندا^(٧)
ونسجت ما بين العُصو ن ، إذا اعتنقن هوى ووُدا

(١) هو القاضي أبو الحسن علي بن النعمان ، قاضي العزيز الفاطمي ، توفي سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) هو الشهير بابن يونس المنجم المصري من فلكيي المصريين زمن الفاطميين ، توفي

سنة ٣٩٩ هـ .

(٣) الوفير : المال الكثير . (٤) طاو : جوعان .

(٥) هو القاضي المهذب الحسن بن الزبير من كبار الأدباء والشعراء في دولة الفواطم

المصريين ، توفي سنة ٥٦١ هـ . (٦) الروح : النسيم .

(٧) الخزامى : نبت عبق الزهر . والنشر : الشذا . والند : نبت طيب الرائحة .

وهزرتِ عند الصُّبحِ من أجيادها للزَّهرِ عقدا
فلأتِ صفحةً وجهه حتى أكتسى آسا ووردا
فكأنما ألقت فيه هـ منها صدغاً وخدا:
مرى على بردى ، عسا هُ يزيد في مسراكِ مُردًا (١)
نهرٌ كَنصلِ السيفِ تكُّ سو مئنه الأزهارُ غمدا
صقلته أنفاسُ النسبِ يم بمرهنَّ ، فليس يصدًا (٢)
أحبابنا ما بالكم فينا من الأعداء أعدى
وحياة حُبِّكم ، بترُّ بة وصلِكم ما خنت عهدًا (٣)

١٢ — ابن الفارض (٤)

قال من قصيدة :

أبق لي مقلةً لعلِّي يوماً قبل موتي أرى بها من رآكا
أين منى مارمتُ؟ هيهات! بل أي ن لعيني باللحظ لثم ثراكا
وبشيري لوجاء منك بعطف ووجودي في قبضتي قلت هاكا

(١) البرد بضم الراء : جمع بريد ، وهى مسافة كل منزلة لحيل البريد ، وسكن الراء للشعر .

(٢) يصدًا : يصدأ . وخفف الهمزة لضرورة القافية .

(٣) أقسم أولاً بحياة حبه لمعشوقه ، ثم أقسم بتربة مواصلة المعشوق له ، أى أنه لما لم

يوصله صار حكم الوصل كالميت المدفون في قبر ، فهو يخلف به إجلالا .

(٤) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم

بالجناس وأنواع البديع . ولد ومات بالقاهرة ، وله ديوان شعر مشروح . وأصل آباءه من

حماة . توفى سنة ٦٣٢ هـ .

قد كفى ما جرى دماً من جفونٍ لى قرحى ا فهل جرى ما كفاكا
فأجرُ من قلاك فيك معنى قبل أن يُعرف الهوى يهواكا
بانكسارى بذاتى بخضوعى بافتقارى بفاقتى لغناكا
لا تكلنى إلى قوى جلدٍ خا ن ؛ فإنى أصبحتُ من ضُففاكا
كنت تجفو ، وكان لى بعضُ صبر أحسن الله فى اصطبارى عنىكا
كم صُدودٍ عساك ترحمُ شكوا ي ، ولو باستماع قولى : عساكا
شنعُ المرُجفونُ عنك بهجرى وأشاعوا أنى سلوتُ هواكا
ما بأحشائهم عشقتُ ، فأسلو عنك يوماً . دع بهجروا ! حاشاكا (١)
كيف أسلو ؟ ومقلتى كما لا ح بريقٌ تلقيتُ للقاكا
كلُّ من فى حماك يهواك لكن أنا وحدى بكل من فى حماكا

١٣ — عمارة اليمنى (٢)

قال من قصيدة يصف فيها داراً :

أنشأت فيها للعيون بدائماً دقت فأذهل حسنها من أبصرا
فمن الرخام : مسيراً ومُسهماً ومُنمنماً ومُدْرهماً ومُدْزرا (٣)

(١) يهجروا : يقولوا باطلاً وقبيحاً من الكلام .
(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة الحكيم ، من أهل اليمن ، دخل مصر مؤدباً رسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفائق الفاطمى ، فأعجبته مصر فأقام بها ، وأكرمه ملوكها ، فلما أباد صلاح الدين الأيوبي ملك الفاطميين فى مصر دبر عمارة مع شيعة الفاطميين المكابذ لإعادة دولتهم ، وعلم بهم صلاح الدين فصلبهم وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ .
(٣) المسير : المخطط . والمنم : المزخرف . والسهم والدرهم والمدز : ما فيه صور السهم والدرهم والدنانير .

وسقيت من ذؤب النضار سقوفها
لم يبق نوع صامت أو ناطق
فيها حدائق لم تجدها ديمة :
لم يبد فيها الروض إلا مزهراً
والطير مذ وقعت على أغصانها
وبها من الحيوان كل مشبه
لا تعدم الأبصار بين مروجها
أنست نوافر وحشها لسباعها
وكان صولتك الخيفة أمنت
وبها زرافات كأن رقابها
نويبة المنشا تريك من المها
جبلت على الإقماء من أعجازها
حتى يكاد نضارها أن يقطراً (١)
إلا غدا فيها الجميع مصوراً
كلا ولا نبتت على وجه الثرى (٢)
والنخل والرمان إلا مشمرا
وثمارها لم تستطع أن تنقرا
ليس الحرير العبقري مصوراً
ليثاً ولا ظمياً بوجرة أعفرا (٣)
فظباؤها لا تنقى أسد الشرى (٤)
أسرابها إلا تخاف فتدعرا
في الطول ألوية تؤم المسكرا
رؤفاً ، ومن بزل المهاري مشفرا (٥)
فتخالها في التيه تمشى القهقري

(١) النضار : خالص الذهب .

(٢) الديمة : المطر يدوم

(٣) وجرة : اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من

الظباء وغيرها .

(٤) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٥) الروق : القرن والمهاري : جمع مهربية وهي الناقة المنسوبة إلى بلاد مهرة شرقي

حضر موت أي أنها أشبهت بقر الوحش في القرون ، وأشبهت الإبل في المشافر .

١٤ - القاضي الفاضل (١)

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغيته وتلاعب فيها بالمعاني مفتخراً :
قضى نَحْبَهُ الصَّوْمُ بعد المطال وأطلق من قيْدِ فِئْرِ الهِلَالِ (٢)
وروض كاتب جنبي اليمين وأنعب كاتب جنبي الشمال (٣)
فدغ ضيقة مثل شد الإسار إلى فُرْجَةٍ مثل حلُّ العقال
وقم هاتهما مثل ذوب النضار وموج البحار وطعم الزلال (٤)
جزى الله عني عروس الدوالي ولا أخطأتها كئوس العزالي (٥)
بما أطعمت من لذيذ الثمار وما ألبست من نسيج الظلال
وما سأسلت من مذاب الشرور وما خفضت من جراح التغالي (٦)
فكم زخرفت جنة للعذاب وكم رفعت قبساً للضلال (٧)

(١) هو عبد الرحيم بن علي البيهقي اللخمي . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث ألم بالعربية والأدب ثم كتب في الاسكندرية في دواوينها ثم ظهر فضله فنقل إلى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له ووزير بعده لابنه العزيز وتوفي سنة ٥٩٦ هـ .

(٢) قضى نخبه : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيداً بإهلال هلال شوال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتي عن يميني ، وأنعب الملك الموكل بكتابة سيثاتي عن يساري لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسيثات شوال وما يليه ستكون في العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أي هات الحجر في لون الذهب مزبدة كهوج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالي : عنب أسود غير حالك ، يدعو لكرمة هذا العنب . والعزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة ونحوها . يريد بها عزالي السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظللهم بعرائشها الخ .

(٦) التغالي : المغلاة .

(٧) يشير إلى آثار الخمر في عقل شاربها وما يصوره له من أفانين التخيلات .

أَغَالِطُ بِالكَاسِ حُكْمَ الزَّمَانِ فَيَوْمٌ عَلِيٌّ وَيَوْمٌ بِمَا لِي (١)
فَجَاءَتْ بِمَا فِي عَيُونِ النِّسَاءِ وَمَرَّتْ بِمَا فِي رُءُوسِ الرِّجَالِ (٢)
وَأَسْأَلُ الْغَزَالَ بِهَا إِذْ أَرَى بِكَاسَاتِهَا دَمَ ذَلِكَ الْغَزَالِ
وَسُكْرَانَ كَرَّرَ مِنْ سُكْرِهِ زَمَانٌ عَلَى كُلِّ عَقْلٍ مُمَالٌ
فَسُكْرُ الشَّبَابِ وَسُكْرُ الشَّرَابِ وَسُكْرُ الصَّدُودِ وَسُكْرُ الْوَصَالِ
فَلَا تَذَكَّرَنَّ عُهُودَ الْوَصَالِ فَهَدَى بِهَا وَاللَّيَالِي لَيْالِي
وَلَمْ أَبْكْ عَهْدًا رَجَاءَ الرَّجُوعِ وَلَكِنْ أَجَدَدُهُ بِالصِّمَالِ (٣)
بَعَثَنَ اللَّيَالِي بِبِئْسَ جَدِيدٍ عَلَيَّ قَدِيمًا فَجَاسَتْ خِلَالِي (٤)
فَمَا جَاءَ عَنِ مَنْطِقِي ذَمُّ جَانٍ وَلَا جَاءَ عَنِ جَوْهَرِي ذَمُّ حَالِي (٥)
وَلَمْ أَسْتَفْتْ تَحْتَ ظِلِّ الْأَخْطُوبِ بِ جَرِّ جَرَّةِ الْبَزْلِ تَحْتَ الرَّحَالِ (٦)
خَشِنْتُ لِحَالِ كَشُوكِ الْقِتَادِ وَلِئِنِّي لِأُخْرَى كَشُوكِ السِّيَالِ (٧)
وَلَسْتُ لِسَانًا لَذُلِّ السُّؤَالِ وَمَا زِلْتُ صَدْرًا لِعَزِّ السُّؤَالِ (٨)
حَدِيثٌ يُنَاجِي فُرُوعَ السَّحَابِ وَأَصْلُ يُنَاجِي أَصُولَ الْجِبَالِ

(١) أي ويوم يأتي بما هو لي أي بفائدة لي .

(٢) فجاءت الكأس بما في عيون النساء من التكسر والفتور . ومرت الخ . أي وذهبت بما في رؤوس الرجال من العقل .

(٣) أي ولم أبك عهداً من هذه العهود رجاء أن يعود كما كان ولكنني أصقله بعد ما قدم بوصفي له وبكائي عليه .

(٤) إما أن يعود ضمير بعثن على العهود المتقدمة ، وإما على رأي من يلحق علامة الجمع بالفعل عند إسناده للجمع الظاهر .

(٥) أي أني لا أذم أحداً جانباً كان أو حالياً بالفضيلة .

(٦) البزل : الجمال المسنة ، أي لا أصبح كجرجرة البزل .

(٧) السبيل : جمع سيالة ، وهو نبات له شوك أبيض طويل ، إذا نزع خرج منه سائل مثل اللبن ، وهو يلين لنازعه على العكس من القناد ، وهو شجر صلب له شوك كالإبر ولا يستطاع نزع شوكه إلا بمشقة واحتمال أذى .

(٨) أي أني لا أسأل الناس ولكنهم يسألوني .

١٥ - ابن قلاقس (١)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافر إذا ما شئت قدرا سار الهلالُ فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى طيباً ، ويحبُّ ما استقرّاً
وبنقله الدرر القم يمة بُدلت بالبحر تحراً
وصلاً إذا امتلأت يدا ك فإن هما خلتما فهجراً (٢)
فالبدر أنفق نوره لما بدا ثم استسراً (٣)
حركات عيسك ما أردت ت مهاد عيشك أن تقرّاً (٤)
فالهد أسكن للصب ي بحيث جاء به ومرّاً
إمّا تريني شاحب ال وجفنت قد ألبست طمراً (٥)

-
- (١) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمي الإسكندري الملقب بالقاضي الأعز . كان شاعراً مجيداً رحالاً مداحاً دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءها كما مدح أعيان دولة الفاطميين ثم ذهب إلى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيناب ، وكان مرسى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم ، الأحمر ، إلى الحجاز ، سنة ٤٨٦ هـ .
- (٢) وصلا : أى صل وصلا ؛ والمعنى أبق في بلدك .
- (٣) أنفق نوره : أى لقي محبة وإعجاباً . وهو من أنفق القوم ، إذا راجت تجارتهم .
- (٤) حركات عيسك . أى عمل حركة لعيسك إذا أردت قراراً لعيشك ، أى أن الغنى بالسعى دائماً ، فسكن الصبي في مهده إذا اهتز وجاء به إلى ناحية ومر إلى أخرى .
- (٥) الطمر : الثوب البالي .

فوقائع الأيام تخـ رجُ أهلها شُعْثًا وغُبرها
مدت إلى الأربعاء ن يداً ، وقد قهقرتُ عشرًا
واستحدثتُ في لمتي نَقَطًا ، فهـلا كُنَّ حِبرًا (١)
ما قلتُ : أُمَّ ! فإنها شرُّ بأفٍّ يعود ججرا
وكفالك أنى إن نظر ت لها نظرتُ النجم ظهرا (٢)
كان الشبابُ الغضُّ لـ لا فاستنار الشيبُ فجرا
ولئن تقلب بي الزما ن كما اشتهى بطننا وظهرا
فبما قتلتُ صروفه وقتلته جلدًا وخبرها
غاض الوفاء ، وفاض ما الغدر أنهاراً وغدرا
فانظر بعينك هل ترى عُرُفا وليس تراه نُكُرا ؟
خلقُ جرى من آدم في نسله ، وهلمَّ جراً
ومروعى بالبحر يَسبُ أننى أرتاعُ بجرا
أو ما درى أنى يتس هيل المصاعب منه أدرى ؟

وقال مرتجلاً وقد خر السقف عليه من أثر مطر هائل :

ولمَّا بدا ركبُ السحاب تسوقه حداةُ الرياح الهوج وهى تُزُجج (٣)
ركنت لبیت أستجنُّ من الحيا به ، وإذا غيث من السقف يقطر (٤)
فلا فرق ما بين السحاب وبينه سوى أن ذا صافٍ ، وذاك مكدر

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن .

(٢) أى إن نظرت إلى الشعرات البيض في لمتى اسودت الدنيا في عيني وكأنى أنظر

النجوم في الظهر ، مأخوذ من المثل العامى « يريه النجوم في الظهر » .

(٣) الهوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها بل تتناوح .

(٤) استجن : استتر . والحيا : المطر .

وقال يصف فوّارة :

وسمهم فوّارة إذا انبعثت ° عاودت الجوّ يجتدى أرضه
كأنها خيّمَةٌ مكلّلة ° عمودها من سبائك الفضة

وقال يصف الشمس وهي غاربة في النيل :

أنظر إلى الشمس فوق النيل غاربة ° واعجب لما بعدها من حُجرة الشفق
غابت ، وأبدت شعاعا منه يخلفها ؛ كأنها احترقت بالماء في الفرق
وللهلال ، فهل وافى لينقذها في إثرها زورقا قد صيغ من ورق ؟ (١)

١٦ - ابن النبية المصري (٢)

قال يصف الحياة والموت :

الناسُ للموت كخَيْلِ الطراد ° فالسابقُ السابقُ منها الجواد
واللهُ لا يدعو إلى داره ° إلا من استصلح من ذى العباد
والموتُ نقادٌ على كفه ° جواهر يختارُ منها الجياد
والمرءُ كالظلِّ ؛ ولا بدّ أن ° يزولَ ذلك الظلُّ بعد امتداد
لا تصلحُ الأرواحُ إلا إذا ° سرى إلى الأجساد هذا الفساد
أرغمتَ يا موتُ أنوفَ القنا ° ودستَ أعناقَ السيوفِ الحداد (٣)

(١) الورق : الفضة .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد الشهير بابن النبية المصري صاحب الشعر الرقيق والغزل البديع . كان من خدام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ . عن نحو ٦٠ سنة .

(٣) القنّاة : جمع قنّاة وهي الرمح .

وقال يتغزل من قصيدة :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيماً
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
ملاك الفؤاد فاعسى أن أصنعاً ؟
حلوا فقد جهل المحبة وادعى (١)
بر الجميل فقد عفا وتضعضاً
ضمت جوانحه فؤاداً موجعاً ؟
هل في فؤادك رحمةً لمتيم
هل من سبيل أن أثبت صبابتي
أو أشتكى بلواي أو أتوجعاً ؟
إني لأستحي كما عودتني
بسوى رضاك إليك أن أنشفعا

١٧ - ابن مطروح (٢)

قال بصف حسناء تسير بليل :

وما أنس لا أنس المليحة إذ بدت
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت
دجى فأضاء الأفق من كل موضع
وأنى قد أوتيت آية يوشع (٣)

وقال يتغزل :

يا من لبت عليه أثواب الضنى
أدرك بقية مهجة لو لم تدب
صفرًا موشعةً بحمر الأدمع (٤)
أسفاً عليك نقيتها عن أضعى

(١) الظلم بالفتح : بريق ثغر الأسنان وحسنه

(٢) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهل صعيد مصر . ولد بأسبوط ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة ، وكان زميلاً للهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٣) يوشع هو صاحب موسى عليه السلام ، وقد وقفت له الشمس في قصة معروفة .

(٤) ثوب موشع : فيه خطوط وطرائق .

وقال أيضاً :

مَلِكُ المَلاحِ تَرى العَيو نَ عَليه دائِرة يَطَقُ (١)
وَمُخَيِّمٌ بَينَ الضَلولِ عَ وفي الفِوَادِ لَهُ سَبَقُ (٢)

١٨ - البهاء زهير (٣)

قال في الشكوى :

لِيتَ شِعْرى هَل زَمَانِي بَعَدَ ذَا البُخْلِ يَجُودُ ؟
مَا أرى الشِدَّةَ إِلا كَمَا مَرَّتْ تَزِيدُ
يَنْقَضِي يَوْمٌ فَيَوْمٌ فِي حَدِيثٍ لا يُفِيدُ
فَمَتَى اليَوْمُ الَّذِي أَبِغِ فِيهِ مَا أُرِيدُ ؟

وقال في عتاب الحبيب والتشوق إليه :

يَعَاهِدُنِي : لا خَانِي اِثْمَ يَنْكُثُ
وَأَحْلَفُ لا كَلِمَتُهُ اِثْمَ أَحْنَتُ
وَذَلِكَ دَأْبِي لا يَزَالُ ودَأْبُهُ
فِيَا مَعْشَرَ النَّاسِ اسْتَمِعُوا وَتَحَدَّثُوا
أَقُولُ لَهُ : صِلْنِي اِيقُولُ : نَعَمْ ، غدا اِ
وَيَكْسِرُ جَفَنًا هَازِنًا بِي وَيَعْبَثُ اِ
وَمَا ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ لو كانَ زَارِنِي اِ
وَكُنَّا خَلُونًا سَاعَةً نَتَحَدَّثُ
أَمْوَالِي ؛ إني في هَوَاكَ مَعْذَبٌ اِ
وَحَتَامَ أَبقى في العَذابِ وَأَمَكْتُ
فَخَذَ مَرَّةً رُوحِي تُرْحَنِي ؛ ولم أكن
أَموتُ مَراراً في النِّهارِ وَأُبْعَثُ (٤)

(١) اليطق : كلمة تركية ، ومعناها : جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه.

(٢) السبق : خيمة الملك .

(٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلب الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، ونشأ

بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدم ذكره فكان عنده رئيس ديوان الإنشاء

(بمنزلة وزير) . وتوفى سنة ٥٦ هـ .

(٤) يقال : أخذ الشيء مرة ، أى دفعة واحدة .

وإني لهذا الضيم منك لحاملٌ
أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا
تردد ظنّ الناس فينا وأكثروا
وقد كرمت في الحب منى شمائلي
ومنتظر لطفاً من الله يحدث !
خلائقك الحسنى أرق وأدمت^(١)
أقويل : منها ما يطيب ؛ ويخبث
ويسأل عنى من أراد ويبعث !

وقال في التفرز ؛ وتلاعب بالتورية والطباق ، ومراعاة النظير :

غيرى على الشلوان قادرٌ
لى فى الغرام سريرةٌ
ومشبهه بالغصن قد
حلوا الحديث ؛ وإنها
أشكو وأشكر فعله
لا تنكروا خفقان قد
ما القلب إلا داره
يا تاركى فى حبه
أبدأ حديثى ليس بأ
يا ليل ما لك آخره
يا ليل طل يا شوق دم ؛
لى فىك أجر مجاهد
طرفى وطرف النجم فى
وسوى فى العشاق غادر
والله أعلم بالسرائر
بى لا يزال عليه طائر
لحلاوة شقت مرائر^(٢)
فأعجب لشاك منه شاكر ؟
بى ، والحبيب لى حاضر
ضربت له فيها البشائر
مثلاً من الأمثال سائر
منسوخ إلا فى الدفاتر
يرجى ولا للشوق آخر
بنى على الحالين صابر
إن صح أن الليل كافر^(٣)
ك كلاهما ساه وساهر

(١) المكان الدمث : اللين السهل . ودمانة الأخلاق : رقتها .

(٢) المرائر : جمع مرارة ، وهى هنة شبه كيس لازقة بالكبد .

(٣) فى كافتورية من الكفر ، أى أن له أجر المجاهد الذى يقتل كافراً ، لأن الشاعر

يقطع الليل كله ساهراً . أو من قولهم : الليل كافر ، أى سائر .

يَهْنِيكَ بَدْرُكَ حَاضِرٌ يَأْلِيَتَ بَدْرِي كَانَ حَاضِرٌ^(١)
حَتَّى يَبِينُ لِنَظَرِي مِنْ مَنَّهُمَا زَاهُ وَزَاهِرُ
بَدْرِي أَرْقُ مَحَاسِنَا وَالْفَرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرٌ^(٢)

وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر العزيزة :

سَقَى وَادِيًا بَيْنَ الْعَرِيْشِ وَبَرْقَةٍ مِنْ الْغَيْثِ هَطَّالُ الشَّأْيِبِ هَيَّانُ^(٣)
وَحَيًّا النَّسِيمُ الرُّطْبُ عِنَّا إِذَا سَرَى هُنَالِكَ أَوْطَانًا إِذَا قَبِيلُ أَوْطَانِ
بِلَادٍ مَتَى مَا جِئْتَهَا جِئْتَ جَنَّةً لَعِينِكَ مَنَّمَا كُلُّ مَا شَدَّتْ رِضْوَانُ^(٤)
تَمَثَّلُ لِي الْأَشْوَاقُ أَنْ تَرَاهَا وَحَصْبَاءُهَا مَسَكٌ يَفْوَحُ وَعَقِيَانُ^(٥)
فِيَا سَاكِنِي مِصْرَ تَرَاكُمْ عَالَمُكُمْ بَأْتِي مَالِي عَنْكُمْ الدَّهْرُ سُلُوَانُ ؟
وَمَا فِي فَوَادِي مَوْضِعٍ لِسِوَاكُمْ وَمَنْ أَيْنَ فِيهِ ؟ وَهَوَّ بِالشُّوقِ مَا لَانَ
عَسَى اللَّهُ يَطْوِي شُقَّةَ الْبُعْدِ بَيْنَنَا قَتَهْدًا أَحْشَاءُ وَتَرْقًا أَجْفَانُ
عَلَى لَذَاكَ الْيَوْمِ صَوْمٌ نَذَرْتُهُ وَعِنْدِي - عَلَى رَأْيِ التَّصَوُّفِ - شُكْرَانُ

-
- (١) بدر العشوق : هو الكوكب المضيء بالليل . وبدر الشاعر : هو المعشوق .
(٢) في الفرق تورية : فرق الشعر ، و فرق ما بين الأمرين .
(٣) الشأيب : جمع شؤبوب ، وهي الدفعة من المطر . الهتان : المنصب المتتابع .
(٤) الرضوان : الرضا .
(٥) العقيان . الذهب الخالص .

(ب) النثر

أولا - النثر الفنى

١ - أبو الفرج البیضاء

من كتاب يهنئ فيه بولاية عمل :

« سيدى - أيدى الله - أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأعظم نبلاً ، وأشهر فضلاً ، من أن نهنته بولاية ، وإن جل خطرها ، وعَظُمَ قدرها ، لأن الواجب تهنئة الأعمال بفائض عدله ، والرعية بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار سياسته ، والولايات بسنات كياسته . فعرفه الله بمن يتولاه ، ورعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانىه ، والتسديد فيما يبرمه ويمضيه . . . » .

ومن كتاب له فى تهنئة بعيد :

« . . . عرفك الله يُمن هذا العيد وبركته ؛ وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحياك لأمثاله فى أسبغ النعم وأكملها ، وأفسح المدد وأطولها ، وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأيفعها . وحرس منحتك من المحذور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور . . . » .

وله من كتاب فى التهنة بمولودة :

« . . . ومولانا - أيدى الله ، مع كمال فضله ، وتناهى عقله ، وحدة فطنته وثاقب معرفته - أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو أن يتسخط مواهبه الصادرة إليه ، فيرمقها بنواظر الفكر ، ويسلك بها غير

مذاهب الشكر ، وقد اتصل بالملوك خير المولودة - كرم الله غرتها ، وأطال مدتها وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أمله فيها - وما كان من تغيره عند انضاح الخبر ، وإنكار ما اختاره له سابق القدر . فعجب للملوك من ذلك واستنكره من مولانا وأنكره ، لضيق العذر في مثله عليه . وقد علم مولانا أنهم أقرب إلى القلوب . وأن الله تعالى بدأ بهم في الترتيب . فقال جل من قائل : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ أَلَدًا كُورًا » . وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى . وَلَكُمْ نَسَبٌ أَفْذَنُ ، وشرف استحدثن ، من طرق الإصهار ، والانصال بالأخيار . والملمتمس من الذكر نجابته ، لا صورته وولادته . وَلَكُمْ ذَكَرُ الْأُنثَى أَكْرَمُ مِنْهُ طَبَعًا ، وأظهر منه نفعًا . فمولانا يصور الحال بصورتها ؛ ويجدد الشكر على ما وهب الله منها ؛ ويستأنف الاعتراف له تعالى بما هوَ الأشبهُ ببصيرته والأولى بمثله إن شاء الله تعالى .

٢ - علي بن خلف^(١)

كتب في الدعوة إلى وليمة :

« رَقَعْتِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيْدِي - وَمَجْلِسِي بِمَنْ حَلَهُ مِنْ خَدَمِهِ ، وَتَرَكَهُ مِنْ صَانِعِ كَرَمِهِ ؛ فَلَاكُ مُزَيْنٌ بِأَنْجُمِهِ . فَإِنْ رَأَى أَنْ يُطْلَعَ فِيهِ بَدْرًا يَطْلُوعُهُ ؛ وَيَنْتَقِلُ قَدَمُهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَيُكَمِّلُ نَقْصَهُمْ بِتَمَامِهِ ، وَيُضِيفُ ذَلِكَ إِلَى تَلِيدِ إِعْنَامِهِ - فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . »

(١) من كتاب الإنشاء في الدولة الفاطمية ، وله في مصطلح الإنشاء كتاب « مواد البيان » وكثيراً ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى .

٣ - القاضي الفاضل

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني رحمه الله يصف مدينة آمد^(١) من رسالة جاء فيها :

وآمدُ ذِكْرُهَا بَيْنَ الْعَالَمِ ، مُتَعَالِمٌ^(٢) ، وَطَلَمَا صَادَمَ جَانِبَهَا مِنْ تَقَادَمِ^(٣) ، فَرَجَعَ
عنها مَقْدُوعًا^(٤) أَنْفُهُ وَإِنْ كَانَ فَحْلًا ؛ وَفَرَّ عَنْهَا فَرِيدًا بِهِمَّةً وَإِنْ اسْتَصْحَبَ خَيْلًا
وَرَجُلًا^(٥) . وَرَأَى حَجْرَهَا فَقَدَّرَ أَنَّهُ لَا يُفَكُّ لَهُ حَجْرٌ^(٦) ؛ وَسَوَادُهَا^(٧) فَظَنَّ أَنَّهُ
لَا يَنْسَخُهُ فَجْرٌ ؛ وَحَمِيَّةٌ أَنْفَ أَنْفَتِهَا ، فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ لَزَجْرٍ : مِنْ مُلُوكٍ كُلِّهِمْ
قَدْ طَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغَلِيلِ^(٨) إِلَى مُوَرِّدِهَا ؛ وَوَقَفَ وَقْفَةَ الْحُبِّ السَّائِلِ فَلَمْ يَفْزَ
بِمَا أَمَّلَ مِنْ سُؤْالٍ مَعْبُودًا .

(١) وهي بلدة قديمة مبنية على مرتفع من الأرض حصينة تعد من أكبر مدن ديار بكر. وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر ، والهضبة : التي بنيت عليها سوداء ولذلك يسميها الترك « قره آمد » أي آمد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أي من تقادم من الفاتحين .

(٤) قُدع أنف الفحل : ضرب أنفه ليكفه عن النوق إذا كان غير كريم خشية أن تلد

منه غير نجائب .

(٥) الخيل هنا : الفرسان . والرجل : الرجالة « البيادة » .

(٦) الحجر : الحبس والحصار .

(٧) وسوادها : أي سواد هضبتها المبنية هي عليها .

(٨) الغليل : العطش ، يريد الرغبة في فتحها .

٤ - ابن الصيرفي (١)

ومن الكتابة السلطانية فصل له من كتاب بشارة بالسلامة في ركوب الخليفة الفاطمي إلى مصلى العيد :

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد الفجر سنة كذا وكذا ؛ وهو يوم أظهر الله فيه قوة الدولة واقتدارها ، وأوجب فيه - رغبة ورهبة - مسارعة النفوس المتخالفة إلى الطاعة وابتدارها ؛ وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجهت إلى قصوره الزاهرة عند انفجار الفجر ، وحافظت على ما تحرز به من كريم الثواب وجزيل الأجر واستنزلت الرحمة بروية إمام الأمة وعدت الإخلاص في خدمته من أوفى الحرمات وأقوى الأذمة (٢) ، وأقامت إلى أن برز أمير المؤمنين والأنوار الساطعة طواعيه ، ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه ، وقصد المصلى في كتاب جلبة (٣) ومواكب للتعظيم مستوجبة ، وعزة تبيين في الشامل والصفحات ، وقوة يشهد بطيب وصفها أرج النفعات ، قد غدت عددها محكمة وخيوها مطهمة (٤) ، وذوابها (٥) إذا ظمئت (٦) كانت مقومة ، وإذا رويت (٧) عادت محطمة . تتقلد صفائح متى انتضيت أنصفت من الجائر الخائف ، ومتى اقتضبت (٨) عملا كان اقتضابها مبيضا للصحائف . وفي ظلها معاقل لللائذين ،

(١) هو أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي كان من شيوخ الكتاب في دواوين الدولة الفاطمية ، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل طبع بمصر . وينقل عنه صاحب صبح الأعشى كثيراً من الكتب الديوانية . مات سنة ٥٤٢ هـ

(٢) الأذمة جمع ذمام ، وهي الحق والحزمة .

(٣) الكتيبة : الجيش ، ولجبة : كثير الجلبة والأصوات لكثرة عددها .

(٤) المطهيم : التام البارح الجمال من كل شيء .

(٥) الذوابل : الرماح الذابلة القنا ، أي الجافة القصب .

(٦) ظمئت هنا : جفت وصلبت .

(٧) وإذا رويت ، أي من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ما طعن بها .

(٨) في اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع ، أو بمعنى الخروج من غرض إلى

آخر في الشعر أو الكتابة .

ومجدها مصارع المنابذين . وهى للدماء هوارق ، وللهامات فوالق ، ولستغاق البلاد
مفتاح ، ولستفتحتها مغالق . ولما انتهى إلى المصلى قضى الصلاة أحسن قضاء ، وأداها
أفضل تأدية ، واستنزل رحمة لم تزل بصلاته متمادية ، وانتهى إلى المنبر فرقيبه ، وخطب
خطبة من استخلفه الله فكان مراقبه ومتيقه ، ووعظ أبلغ وعظ ، وأبان عما للعامل
في نصحه في الدنيا والآخرة من فائدة وحظ ، وعطف على الأضاحى المعدة له ، فنجرها
جاريا في الطاعات على فعلها المتمادى ، وأضحت تتوقع التكميل وإنجاز وعده في الأعادى ،
فالله يقضى بتصديقه ويمنّ بتخيله وتحقيقه . وعاد إلى قصوره المكرومة مشكورا سعيه ،
مضمونا نفعه ، مرضيا فعله ، مشمولاً عبيدته منه بما هو أهله . أعلمك أمير المؤمنين ذلك ،
فاعلم هذا واعمل به وكتب في اليوم المذكور .

ه - ابن قادوس (١)

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل في الدولة الفاطمية :
« النعم وإن كانت شاملة للأمم فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاها بشكرٍ تنشرُ
في الآفاق أعلامه ، واعتداد نُحُكْمُ بإدراك الغايات أحكامه ، نعمة يشترك في النفع
بها العباد ، وتبدو بركتها على الناطق والصامت والجواد ، وتلك النعمة : النيل
المصرى (٢) الذى تبرز به الأرض الجرز (٣) فى أحسن الملابس وتظهر حلال الرياض
على القيعان والبسابس (٤) ، وترى الكنوز ظاهرة للعيان ، متبرجة بالجواهر واللجين
والعقيان فسبحان من جعله سبباً لإنشار الموات ووفر به مواد الأرزاق والأقوات » .

(١) هو القاضى كفى الكفامة محمود بن أسعد قادوس من رؤساء باب الإنشاء فى
الدولة الفاطمية .

(٢) تمييز عن نيل الفرات ، وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ، ولم يصبها مطر ، فلم تنبت ثانية . أوهى الأرض

التى لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الحالية .

ثانياً — النثر العلمي التأليفي

١ — المعرى

من النثر العلمي التأليفي قول أبي العلاء في مقدمة اللزوميات :

« ... وقد كنت قلت في كلام لي قديم : « إني رفضت الشعر رفض السَّقْبِ غرسه (١) ، والرأل تريكته (٢) ، والغرض ما استجيز فيه الكذب ، واستعير على نظامه بالشبهات ، فأما السكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً للمتوسن (٣) ، وأمرأً بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغش والمكر فهو — إن شاء الله مما يلتبس به الثواب . وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك في هذا الأسلوب ضعف ما ينطبق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب الكلمة البرة . ولذلك ضعف كثير من شعر أمية بن أبي الصلت الثقفى ومن أخذ بِضْرِيَّة (٤) من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعي كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضعف . وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح ، وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الحجر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف (٥) الفكر — وهم أهل مقام وخفض — في معنى ما يدعون أنهم يعانفون : من حيث الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس (٦) الشقاء .

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته ، والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ . وقد قال هذه الجملة في مقدمة ديوانه : سفظ الزند .

(٣) المتوسن : النائم .

(٤) أى بطريقته ومذهبه .

(٥) الأخلاف : جمع خلف بكسر الخاء ، وهى حمة ضرع الناقة .

(٦) المراس : الممارسة والمعاناة .

وهذا حين أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلاً ، لكل حرف أربعة فصول ، وهي على حسب حالات الروى من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة ، وربما جئت في الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ، لتكون قضاءً حقاً للتأليف . وبالله التوفيق .

٢ - ابن شداد^(١)

فصل من كتابه « النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية » :

« كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو ، فيسرقون من الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلاً رضيعاً له ثلاثة أشهر ، وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان ، وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ، ويعطيهم ما أخذوه .

« ولما فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور طول الليل ، حتى وصل خبرها إلى ملوكهم ، فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذننا لك بالخروج ، فأخرجني وأطلبه منه ، فإنه يرده عليك . فخرجت تستغيث إلى اليك ، فأخبرتهم بواقعها فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقمته وهو راكب ، وأنا في خدمته ، وفي خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاء شديداً ، ومرَّغت وجهها في التراب . فسأل عن قصتها ، فأخبروه ، فرق لها ودعت عينه ، وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع

(١) هو القاضي بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . وكان من خاصة صلاح الدين ابن أيوب ، وملازمي ركابه .

في السوق ، فارتده ، وأمر بدفع ثمنه إلى المشتري ، وأخذه منه ، ولم يزل واقفاً
حتى أحضر الطفل وسلم إليها ، فأخذته وبكت بكاء شديداً . وضمته إلى صدرها
والناس ينظرون إليها ويبكون ، وأنا واقف في جملتهم ، فأرضعته ساعة .
ثم أمر لها ، فحَمَلت على فرس ، وألحقت بمسكروهم مع طفلها . فانظر إلى
هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر .

عصر المالِك والعتانين

(١) الشعر

١ - شمس الدين محمود الكوفي

قال في رثاء بغداد :

إن لم تقرَّح أدمعي أجفاني من بعدِ بعدِكم - فما أجفاني (١)
إنسان عيني مذ تناءت داركم ما راقه نظرٌ إلى إنسان (٢)
ياليتني قد متُّ قبل فراقكم ولساعة التوديع لا أحياني
ما لي وللأيام شتت خطبها شملي ؟ وخلاي بلا خلان
ما للمنازل أصبحت لأهلها أهلي ، ولا جيرانها جيران
وحياتكم ما حلها من بعدكم غيرُ البلي والهدم والنيران
ولقد قصدتُ الدارَ بعد رحيلكم ووقفتُ فيها وقفة الحيران
وسألتها لكن بغير تكلم فتكلمت لكن بغير لسان
ناديتها يا دارُ ؛ ما صنع الألى كانوا هم الأوطار في الأوطان ؟ (٣)
أين الذين عهدتهم ولعزمهم ذلاً تخرُّ معاقِد التيجان ؟
كانوا نجوم من اقتدى فعليهم يبكي الهدى وشعائر الإيمان

(١) أجفى ، أفعال تفضيل من جفا الرجل يحفو ، أى : غلظ وثقل .

(٢) إنسان العين : سواها .

(٣) الأوطار . جمع وطر ، وهو البقية والغرض .

قالت : غدوا لما تبدد شملهم
كدم أنفصا دبراقُ أرذل موضع
أفتهمُ غيرُ الحوادث مثلما
لما رأيتُ الدار بعد فراقهم
مازلتُ أبكيهم وألثمُ وحثَّةً
حتى رثى لى كلُّ من : ما وجدُهُ
أترى تعود الدارُ تجمعنا كما
إذ نحن نعتنمُ الزمانُ ونجتنى

وتبدلوا من عزم بهوان
أبدأً ويخرجُ من أعزَّ مكانِ
أفنت قديماً صاحب الإيوان (١)
أضحت مُعطَّلةً من السكان
لجأهم مُتهدِّم الأركان
وجدي ، ولا أشجانهُ أشجاني
كفا بكلِّ مسرَّةٍ وتهاني ؟
بيد الأمان قُطوفَ كلِّ أمانِ (٢)

٢ - بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (٣)

قال في الصباية والتحزن :

وتنبهت ذاتُ الجناح بسُخرة
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن
قامت تطارُحني الغرام جهالة
أنى تُباريني جوِّى وصباية
وأنا الذى أُملى الجوى من خاطرى

بالواديَّينِ فنبهت أشواقِ (٤)
يعقوب والألحان عن إسحاق (٦)
من دون صحبى بالحمى ورفاقى
وكآبةً وأسى وفيض مآق
وهى التى تُملئ من الأوراقِ (٦)

(١) صاحب الإيوان : كسرى ، والإيوان قصره المشهور .
(٢) الأمان (الأولى) : الأمن والدعة . والأمانى (الثانية) : جمع أمنية .
(٣) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبة يستخدم المحسنات

البديعية مات سنة ٦٨٠ .

(٤) ذات الجناح : الحمامة . والسخرة : قبيل الفجر .
(٥) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة في القرآن الكريم
عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلى وهو المراد .
(٦) الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة تورية واضحة .

وقال في الروض :

الروض أحسن ما رأيت إذا تكاثرت المهمومُ
تحنو على غصونه ويرق لي فيه النسيمُ

٣ - الشاب الظريف^(١)

قال من قصيدة له في الشكوى والحكمة :

أبت رقتي إلا الذي يقتضى الهوى وعزى إلا ما أقتضى الرأى والعقلُ
فوا عجباً أرى خفيت ، ولم أبنُ وقد راح مملوءاً بى الحزنُ والسَّهْلُ ؟
طريدٌ ولى ماوى ، مُباحٌ ولى حمى وحيدٌ ولى صحب ، غريبٌ ولى أهلُ
سأجهدُ : إماماً للمنايا ، أو المني قصاراي : إماماً للنصر ، أو ماجنى النصلُ^(٢)
فإن لم تصانِي همتي بمطالبي ولم يندسج للشيب فى امتى غزلُ
فلا نظرت عيني ، ولا فاه مقولى ولا بطشت كفى ، ولا سعت الرجلُ
ومن عرف الأمر الذى أنا عارفُ رأى كلَّ صعبٍ كلُّ إدراكه سهلُ
خذ العزَّ من أى الوجوه رأيتَه فلا خير فى عيش يكون به الذلُّ
والمرء من داعى الطبيعة قائدُ إذا لم يذدهُ دونه الحلمُ والنبلُ
من التُّرب هذا الطبع ، والنفس من غللاً فللمرء أن يدنو والمرء أن يعلو

وقال فى النزول :

يا ساكناً قلبى المَعْنَى وليس فيه سِوَاكَ ثانى
لأى معنى كسرت قلبى وما التقي فيه ساكنان^(٣)

(١) هو محمد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ . والتوفى ٦٩٥ هـ . ويمتاز شعره بالرفقة وجمال الصياغة .

(٢) قصاراي : أى غايى ، وبين النصر والنصل جناس غير تام . ويريد بما يجنيه النصل الموت .

(٣) فى قوله كسرت قلبى تورية ، والمقصود : إيذاء القلب بالمجر ، ويورى لذلك بالكسرة المعروفة للتخلص فى التقاء الساكنين : وكذلك فى قوله : ساكنان : يريد محبوبين .

وقال في زيارة الحبيب :

ولقد أتيتُ إلى جنابك قاصياً
وأُتيتُ أقصد زورةً أحيأ بها

باللَّثمِّ للعتباتِ بعضِ الواجبِ (١)
فرُدِّدتُ - يا عيني - هناك بمحاجبِ (٢)

وقال في الغزل :

بدا وجهه من فوق أشمرِ قدّه
فقلتُ عُجيباً كيف لم يذهب الدُّجى

وقد لاح من سُودِ الدوائبِ في جنحِ
وقد طلَّتْ شمسُ النهارِ على رمحِ ؟ (٣)

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع :

لا تُخفِ ما فعلتْ بك الأشواقِ
فعمسى يُعيُنك من شكوتِ له الهوى
لا تجز عنَّ ، فليست أولُ مُغرمِ
واصبر على هجرِ الحبيبِ فر بما
كم ليلة أسهرتُ أحداقِ بها
يا ربِّ قد بعدَ الذين أحببهمُ
واسودَّ حظي عندهم لما سرى
عُربُ رأيتُ أصحَّ ميثاقِ لهم

واشرح هواك فكلنا عُشاقِ
في حمله ، فالعاشقون رفاقِ
فتككت به الوجفات والأحداقِ
عاد الوصالُ وللهوى أخلاقُ (٤)
وجدأ وللأفكارِ بي إحداقِ (٥)
عنى وقد ألف الفراقِ فراقِ
فيه بنارِ صبايتي إحراقِ
ألا يصحَّ لديهم ميثاقِ

(١) الجناب : الناحية والكتف .

(٢) كذلك التورية هنا في كلمة حاجب .

(٣) يقصد بالدُّجى : الشعر الأسود الدوائب . وشمس النهار : الوجه . والرمح : القدر :

(٤) أى من أخلاق كل معشوق أن يهجر دلالاً وتجنياً ، ثم يصل بعد ذلك .

(٥) أحداق به : أحاط . أى أن الأفكار كانت تحيط بى وتساورنى .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

- ومعشر لم تزل للحرب بيضهم
مُحَرَّ الخُدُودِ وما من شأنها الخجل (١)
إذا انتضوها برُوقاً صيرت سحبا
يسيل من جانبيها عارض هطل (٢)
يثنى حديث الوغى أعطافهم طرباً
كأنَّ ذكراً المنايا بينهم غزل (٣)
كم نار حرب بهم شبت وهم سحِب
وأرض قوم بهم فاضت ، وهم شعل (٤)
ضاعت بحسنهم تلك الخيام كما
ضاعت بوجه ابن عبد الظاهر الدؤل
أغرُّ ما أبدت السحب الحيا لسوى
تقصيرها عن مداه حين ينهمل (٥)
أوحى إلى كلِّ قرطاس بلاغته
سحر البيان ، ومن أقلامه الرُّسل
سُمُّ ترُّوقك رأى العين عارية
ومن بديع معانيه لها حلل
من كل معتدل كالميل إن رمدت
عين المعالي ففيها نفسه كحل (٦)
فللعدة لديه كلُّ ما حذروا ؛
وللعفاة عليه كل ما سألوا
أضحت يده لعقد الجود واسطة ،
فليس يدري لجود بعدها عطل (٧)

وقال في الغزل ، وسلك مسلك الرسائل السلطانية في الافتتاح بدعاء خاص :

أعزَّ الله أنصار العيون وخلدَ ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتداراً ، وإن تكَّ أضعفت عقلي ودبني

(١) البيض : السيوف وجعلها حمر الحدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء .
(٢) أنتضى السيف : أسله من غمده . والعارض : السحاب ، ويقصد به إلى كثرة ما يسيل من دماء أعدائهم .

(٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

(٤) وهم سحِب أي في الكرم ، وهم شعل ، أي كالنار في استئصال أعدائهم .

(٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء ، ففي البيت تورية وحسن تعليل .

(٦) الميل : حديدة أو نحوها يكتحل بها . والنقس : المداد . والكحل : مصدر كل .

(٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة في وسطها ، وهي أجود الجواهر . والعطل :

الخلو من الحلية .

وأبقي دولة الأعطاف فينا ، وإن جارت على قلبي الطعين
وأسبغ ظلّ ذاك الشّعْر منه على قدّيه هَيْفُ الغُصُونِ
وصانَ حجاب هاتيك الثنايا وإن ثنّت الفؤاد إلى الشَّجُونِ
حَمَلت نَسْهَدِي والشَّيْب : هذا على رأسي . وذاك على عيوني

٤ - سراج الدين الوراق المصري الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ

قال في شكر الله على نعمائه :

إلهي لقد جاوزتُ سبعين حجة فشُكراً لنعمك التي ليس تُكْفَرُ !
وعُمرتُ في الإسلام فازدتُ بهجة ونوراً لذا قالوا ، السراجُ المُعَمَّرُ (١)
وعمم نورُ الشيبِ رأسي فسرّني وما ساءني أنّ السراجُ مُنَوَّرُ

وقال في لوم النفس على المعصية :

يا خجلتني وصحائف سود غدت وصحائف الأبرار في إشراق
ومؤبّخ لي في القيامة قال لي : أكذا تكونُ صحائفُ الوراقِ ؟ (٢)

وقال في الترفع :

أصون أديم وجهي عن أناس لقاء الموت عندم الأديب (٣)
وربُّ الشعر عندم بغيضٌ ولو وافي به لهم حبيب (٤)

(١) البهجة : الحسن .

(٢) الوراق : موزق الكتب . وهنا تورية ظاهرة .

(٣) الأديم : البشرة .

(٤) حبيب : اسم أبي تمام الشاعر المشهور ، والحبيب : المحبوب ، ففي الكلمة تورية .

وقال في الحنين إلى الأحباب :

وَقَفْتُ بِأَطْلَالِ الْأَحْبَابِ سَائِلًا ودمعي يسقي ثم عهداً ومعهدا (١)
وَمِنْ مَجْبِرٍ أَنِّي أُرَوِّى دِيَارَهُمْ وحظي منها حين أسألها الصدى (٢)

٥ - نصر الدين الجهمي المصري المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رَأَيْتُ شَخْصًا آكِلًا كَرِشَةً وهو أخو ذوقٍ ، وفيه فطن (٣)
وَقَالَ : مَا زِلْتُ مُحِبًّا لَهَا ، قلتُ : من الإيمان حبُّ الوطن !
وقال في ذم داره :

وَدَارٍ خَرَابٍ بِهَا قَدْ نَزَلْتُ ولكن نزلتُ إلى السابعة (٤)
طَرِيقٌ مِنَ الطَّرِيقِ مَسْلُوكَةٌ حَجَّجْتُهَا لِلسُّورِيِّ شَاسِعَةً (٥)
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ أَنِّي أَكُونُ بها ، أو أكونُ على القارعة (٦)
تَسَاوَرُهَا هَفَوَاتُ النَّسِيمِ فتُصْنِي بِلَا أُذُنٍ سَامِعَهُ (٧)
وَأَخْشَى بِهَا أَنْ أُقِيمَ الصَّلَاةَ فتنسجدُ حيطانها الرَّاكِعَهُ
إِذَا مَا قَرَأْتُ : « إِذَا زَلَزَلْتُ » خشيتُ بأن تقرأ : « الواقعه »

-
- (١) العهد والمعهد : المنزل الذي لا يزال القوم إذا اتأوا عنه رجعوا إليه .
(٢) الصدى : الذي يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها ، والصدى أيضا : العطش .
(٣) الفطن : الفطنة .
(٤) نزلت (الأولى) : حلت . ونزلت (الثانية) : هويت وسقطت ، والسابعة ،
أى الأرض السابعة .

- (٥) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .
(٦) قارعة الطريق : أعلاه . وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .
(٧) تساورها : توافيها .

٦ - عمر بن الوردى (١)

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أُقْتَلُ بين جدِّك والمُزاح بِذِيْلِ جَفْوَنِكَ المُرْضَى الصَّحاح (٢)
يَكْدِرُنِي نَوَاكُ ، وَأَنْتَ صَافٍ وَيُسْكِرُنِي هَوَاكُ ، وَأَنْتَ صَاحِي
وَأَبِيكَ لِلغَرَامِ ، وَأَنْتَ لَاهٍ وَأَعْذِرُنِي الأَوَامُ ، وَأَنْتَ لَاحِي (٣)
فَمَا إِسْرَاحِ دَمْعِي مِنْ إِسَارٍ وَمَا إِسْرَاحِ وَجْهِكَ مِنْ إِسَارٍ (٤)
وَمَا لِصَبَاحِ وَجْهِكَ مِنْ مَسَاءٍ وَمَا لِمَسَاءِ شَعْرِكَ مِنْ صَبَاحٍ
رِضَاكَ إِلَى رِضَايِكَ لِي دَلِيلٌ أَلَيْسَ كِلَاهِمَا رُوحِي وَرَاحِي ؟ (٥)
وَلِي لِحْظٌ بِطَيْرٍ إِلَيْكَ شَوْقًا فَهِيَ قَدْ طَارَ مَبْلُولُ الْجَنَاحِ !
وَوَجْهِكَ فَوْقَ قَدِّكَ عَرَفَانِي بِإِثْمَارِ البُيُودِ مِنَ الرَّمَّاحِ (٦)
لَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ سَرِّي وَدَمْعِي لَقِيَ بَيْنَ اسْتِقَارٍ وَأَفْتِضَاحِ (٧)
يَحِقُّ لِمَنْ لِحَانِي فِيكَ ذِمِّي وَحَقٌّ لِكَاتِبِ السَّرِّ أَمْتِدَاحِي (٨)
وَلَسْتُ سِوَى ابْنِ فَضْلِ اللهِ أَعْنِي شَهَابُ الدِّينِ ذِي الغُرْرِ المِلاَحِ

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ . وكان شاعرا نحويا فقيها
وورخا قاضيا .

(٢) المرضى : الفواتر الناعسات والصحاح الجميلات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق

(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أى فما لدمعى ما يوقف سيئه ، وليس ما يخلصنى من الوجد .

(٥) الرضاب : الريق . والراح الحجر .

(٦) الرماح : القدود .

(٧) اللقي : المطروح من الشيء .

(٨) لحنى : عابى ولامنى .

له قلمٌ بفضلِ الله يحيا
فما أدري انقشاً فوق طرس
أشدُّ من القضاء مضاءً أمر
فخذها بنت ليلتها عروساً
وما أنا شاعرٌ حاشا علوي
فلي من أنعم الرحمن مالاً
ولم أقصد بمدحك غير رد
لنا يحيي به بعد أنتزاح
يُطرزُ أم مساءً في صباح؟
وأجري في الخطوب من الرياح
تزف إليك كالحود الرِّداح (١)
ولست أرى التكب بامتداح
يصون عن احتياج وأجتياح
أروضُ به الزمان عن الجراح

وكتب إلى القاضي جمال الدين معاتباً له على قصد الرحلة :

علام أردت تهجرني علاماً
لعلك يا جليد القلب تبغى
فهل لا قيت في حلب هُموماً
فلا تأخذ دمشق لها بديلاً
وإن تك بالفرشق لا تبالي
وإن ترحل لنيل غني فسهل
وإن ترحل تريد تمام جاء
وإن ترحل رجاء لاشتهار
أقم في الأهل في رغد وطيب
وتوقظ بالنوى إبلاً نياماً؟
رحيلاً يورثُ الدمع أنسجاماً (٢)
فتزيمع عن نواحيها أهتماماً؟
أغيظاً ذاك منك أم أنتقاماً؟
فهذا يمنع العين ألمناماً
غناك هنا إذا أمسكت عاماً
فه ؛ إني أحذرُك التماماً
فكم من شهرة توهمي العظاماً
بأمرى ، واغتمم ذاك اغتناماً

(١) الرِّداح : البدينة . والحود : الفتاة الغضة .

(٢) القلب الجليد ، الغليظ الشديد : وانسجام الدمع : انصبابه .

٧ - صفى الدين الحلبي (١)

من مآجه :

إنما الحيزبون والدردبيسُ والطخا والنقاخُ والعلطبيسُ (٢)
لغة تنفير المسمعُ منها حين تروى وتشمئزُ النفوسُ
وقبيحُ أن يُذكرَ النافرُ الوحدُ شئٌ منها وبترك المأنوسُ (٣)
أين قولي : هذا كئيبٌ قديمٌ ومقالى عقنقلٌ قدموسُ (٤)
خل للأصمى جوب الفيافي في نشافٍ تخفٍ فيه الرءوسُ (٥)
إما هذه ألقوبٌ حديدٌ ولذيدُ الألفاظِ مغناطيسُ

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خلع الربيع على غصون ألبانٍ حلاً فواضها على الكئبان (٦)
ونمت فروع الدوح حتى صاحت كفل الكئيب ذوائب الأفضان (٧)

(١) هو عبد العزيز بن علي شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية . وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون . وتوفي ببغداد سنة ٥٧٥ هـ .

- (٢) الحيزبون : العجوز أو التي لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية .
والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافي . العلطبيس : الأملس البراق .
(٣) الوحشى من الألفاظ : الغريب غير المسألوف .
(٤) العقنقل : الكئيب المتراكم . قدموس : قديم .
(٥) الفيافي : مفرداها فيفاء ، وهى المفازة لاءمائها فيها . جوب الفيافي : قطعها .
ونشاف جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة . وهى سود كأنها محترقة .
(٦) الكئبان : جمع كئيب ، وهو التل من الرمل .
(٧) الكفل بفتح الحين : العجز .

وتتوجَّعتْ هَامُ الغُصُونِ ، وضُرَّجَتْ
وتنوّعتْ بَسُطَ الرِّياضِ ، فزَهْرُهَا
من أبيضِ يَبْقَى ، وأصْفَرَ فاقِعَ ،
والظِّلُّ يَسْرِقُ في الخِمالِ خَطْوَهُ
وكأَنَّ الأَغْصانُ سَوْقُ رَواقِصِ
والشَّمْسُ تَنْظُرُ من خِلالِ فروعِها
والطَّلَعُ في خَلَلِ السِّكِّامِ كأنه
والأَرْضُ تُعْجَبُ كيف تَضْحَكُ والحَيَا
فأَصْرَفَ هُمُومَكَ بالرِّبيعِ وفَضْلِهِ ؛
أَيُّ؟ وَقَدْ صَفَّتِ المِياهُ وزَخْرِفَتْ
وأخْضَرَ وادِيها ، وَحَدَّقَ زَهْرُهُ
وبه الجِوارى المُنْشآتُ ، كأنَّها
والماءُ يُسْرِعُ في التَّدْفُقِ كُلمًا
خَدَّ الرِّياضِ شقائقِ النُّعْمانِ
مُتَبَيِّنُ الأشْكالِ والألوانِ :
أو أزرقِ صافٍ ، وأحْمَرَ قاني
والغُصْنُ يَخْطُرُ خَطْرَةَ النِّشْوانِ (١)
قَدْ قَيَّدَتْ بِسَلاسلِ الرِّيحانِ (٢)
نحوَ الحِداثِ نِظْرَةَ الغَيْرانِ (٣)
حَلَلٌ تَفْتَقُ عن نُحُورِ غِوانِي (٤)
يَبْكِي بدمعِ دائِمِ الهَمَلانِ (٥)
إن الرِّبيعَ هو الشَّبابُ الثَّانِي
جَناتُ مِصرَ ، وأشْرَقَ الهَرمانُ ،
والنَّيلُ فِيهِ كَكِوْثِ بَجمانِ
عندَ المَسيرِ تَهْمُّ بالطَّيرانِ
عَجَلَتْ عَلَيْهِ يَدُ النِّسيمِ الوانِي (٦)

-
- (١) الخِمالُ : جمع حَمِيلَةٍ ، وهى رَمْلَةٌ تَنْبَتُ الشَّجَرُ . يَخْطُرُ : يَتَأَيَّلُ . النِّشْوانُ : السِّكرانُ .
(٢) سَوْقُ رَواقِصِ ، مفرد السَّوْقِ : ساقُ ، وهى : ما بَينَ الرِّكْبَةِ والقَدَمِ .
(٣) الغَيْرانُ : شَدِيدُ الغَيْرَةِ .
(٤) الطَّلَعُ : طَلَعُ النِّخْلَةِ . والخِمالُ بفتحِ الخاءِ : الفَرَجَةُ بَينَ الشَّيْثينِ والجمْعِ خِلالُ ،
والسِّكِّامِ : وعاءُ الطَّلَعِ . الغِوانِي : جمْعُ غانِيَةٍ ، وهى التى غَنِيَتْ بِحَسَنِها عن الحَلِيِّ .
(٥) الحَيَا : المَطَرُ . والهَمَلانُ : الجُريانُ .
(٦) الوانِي : الضَّعيفُ .

حتى إذا كُسرَ الخليجُ وقُسمتْ أمواهُ لُجَّتِه على الخُلجانِ
ساوى البلادُ كما تُساوى في الندى بين الأنامِ مواهبَ السلطانِ
ملكٌ إذا اكتحلَ الملوكُ بنوره خَرُّوا لهيبته إلى الأذقانِ (١)
قد عَزَّ دينُ محمدٍ بِسَمِيهِ وسَمَّا بِمُصْرَتِهِ على الأذيانِ
شاهدتهُ فشهدتُ لقمانَ الحجا ونظرتُ كسرى العذلُ في الإيوانِ (٢)
ورأيتُ منه سماحةً وفصاحةً أعدى بفيضها يدي ولساني (٣)
وقال يهني المؤيدُ بالقدوم من الصيد :

مرحباً بالحيا لكلِّ جديب لا عَدَمْنَا نواله وظلاله (٤)
ملكُ الجودِ والثنا والمعالى والسجيات كلها والأصالة
رُقَّتْ حُلَّةُ الرياضِ فحَلْنَا أن رَوْضاً قد أَسْتَعَارَ خِلالَهُ
وأبتغى الأفقَ للعلا فحَسَبْنَا أنه يُنْعَلُ الجِوَادَ هلاله (٥)
جاء من صيده السعيد كيدر مارأى الطَّرْفُ في السَّناء مثاله (٦)
كم غزالٍ رَمَى ؛ فلو أَمَّنَ الشَّمَّ سَ من الخوفِ ما تَسَمَّتْ غزاله (٧)

-
- (١) الأذقان : مفردة ذقن ، وهى فى الإنسان مجمع لحية .
(٢) الحجا : العقل ، يريد لقمان الحكيم .
(٣) أعدى : من العدوى ، يريد أ كسب يده سماحة ولسانه فصاحة مثل سماحة الملك
المدوح وفصاحته .
(٤) الحيا : المطر . النوال : العطاء .
(٥) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلا للجواد .
(٦) السناء : الرفعة .
(٧) الغزالة : اسم من أسماء الشمس ، والمعنى أن الملك كلف صيد الغزلان ، فلو أراد
ألا يجعل الشمس بما يصطاد ، لما كان من أسمائها : الغزالة .

ولعمري لو استجار به ألوح شُئْنٌ - بعدما استقلت - نباله (١)
أيد الله ملكه ووقاه وحمى سرّبه وصان جلاله (٢)
وقال يحرص الأمير نور الدين على ملثقى المغول وحر بهم عند ما أغاروا على ماردين :
أمن حَجَرٍ فؤادك أم حديدُ فَمِيه على الوغى بأسٌ شديدٌ (٣)
وأطوادُ حُلومك أم جبالُ تَمِيدُ الراسياتُ ، ولا تَمِيدُ (٤)
لأنك كلما حاولتَ أمرًا يُصَوِّبُ فَعَلَكِ الرأى السديدُ
طلعتَ على العُداة ، وأنتَ شمسٌ فذابَ بحرٌ موقعها الجليدُ
أغرّتَ على جماهم غيرَ عادٍ ولاقوا منك ما لاقتَ ثمودُ (٥)
بجيشٍ ترجفُ الراياتُ فيه وتحققُ دونَ مقدّمه البنودُ
وتَهْتَزُّ الدوابلُ فيه عَجبا كما اهتزتَ من المرحِ القُدودُ (٦)
عجبتَ إلى قراءهم بعزمٍ به يدنو لك الأمدُ البعيدُ
وكم وانِ يَعُدُّ العجزَ حلماً فيندمُ ؛ والندامة لا تُفِيدُ (٧)
ومن يرَ ما يريدُ وكفَّ جُبناً رأى من بعده ما لا يريدُ

(١) ثنى : أرجع . واستقلت : يريد فارقت القوس .

(٢) حمى الله سرّبه : حفظ نفسه .

(٣) الوغى : الحرب . والبأس : القوة .

(٤) الطود : الجبل . حلوم : مفردة حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تَمِيدُ الراسيات :

تضطرب الجبال الشاخخة الثابتة .

(٥) عاد : معتد ظالم . وفي السكمة إشارة إلى (عاد) المذكورين في القرآن الكريم

وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم

الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

(٦) الدوابل : الرماح الرقيقة . المرح : شدة الفرح مع الإعجاب بالنفس

(٧) وان : ضعيف . حلما : أناة وعقلا .

وقال في فرسٍ أَدَمَ مُحَجَّلٍ :

ولقد أروحُ إلى القنيصِ وأعتدي
رامَ الصبّاحِ من الدجى استنقادهُ
فكأنه صَنِعُ الشَّيْبَةِ هابَهُ
وقال في وصفِ عُودِ طَرَبٍ :

وعُودُ به عادَ السرورُ لأنه
يغرَّبُ في تفريده فكأنه
في متن أَدَمَ كالظلامِ مُحَجَّلٍ
جَسَدًا ، فلم يظفرَ بغيرِ الأرجلِ (١)
وخطُ المشيبِ ، فجاءهُ من أسفلِ

٨ - جمال الدين بن نباتة المصري (٢)

قال يرثي ولداً له مات صغيراً :

اللهُ جارُك إنَّ دَمْعِي جارِي
لما سكنتَ من الترابِ حديقةً
شَيَّانَ ما حالي وحالكَ : أنتَ في
خَفِّ النَّجَا بك يا بُنَيَّ إلى الشَّرِي
يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوطارِ (٣)
فاضتُ عليك العينُ بالأنهارِ
غُرَفِ الجِنانِ ، ومهَجَّتِي في النارِ
فسبقتني ، وثقلتُ بالأوزارِ (٤)

(١) رام الصباح من الدجى استنقاده : أى طلب الصباح أن ينقذه فلم يفز بغير الأرجل ، وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض ، في حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

(٢) هو جمال الدين أبو بكر ولد بمصر وتوفي بها سنة ٧٦٨ هـ . ويظهر في شعره ذوق سليم ورقة ممتازة . وهو في هذه القصيدة يعارض أبا الحسن التهامي في قصيدته التي رثى بها ولدا له مات صغيرا كذلك وهى من البحر والقافية ، وقد تقدمت لك في هذا الجزء

(٣) الأوطار : جمع وطر ، الحاجة تهتم لها وتعنى بها .

(٤) النجا : مقصور النجاء ، وهو السرعة .

ليت الردى إذ لم يدعك أهاب بي ؛
ليت القضا الخاوى تمهل ورده
ما كنت إلا مثل لحة بارق
أبكىك ما بكت الحمام هديلها
أبكي بمحمر الدموع ؛ وإنما
قالوا : صغير ! قلت إن ا وربما
وأحق بالأحزان ماض لم يسىء
نأى اللقا ، وجماه أقرب مطرحا
لهفى لغصن راقى بنباته
لهفى لجوهرة خفت ، فكأننى
لهفى لساى حار فيه تجلدى
سكن الثرى ؛ فكأنه سكن الحشا
أعزز على بأن ضيف مسامعى
أعزز على بأن رحلت ولم تخض
أعزز على بأن نثرت على الثرى

حتى ندوم معاً على مضار (١)
حتى حسبت عواقب الإصدار
ولى . وأغرى الجمن بالإمطار
وأحن ما حنت إلى الأوكار (٢)
تبكى العيون نظيرها بنضار
كانت به الحسرات غير صغار (٣)
بيد ولا لسن ولا إضمار (٤)
يا بعد مجتمع وقرب مزار !
لو أمهلت الترب للإثمار
حجبتها من أدمى ببحار
واحترى بالكوكب السيار !
من قرط ما شغلت به أفكارى
لم يحظ من ذاك اللسان بقارى ! (٥)
أقدام فكرك أنجر الأشعار
وعليك من دمى كدر نثار (٦)

(١) أهاب بي : دعانى .

(٢) الهديل هنا : أب للحمام زعموا أنه هلك فى القدم فهى تكيه .

(٣) إن : أى نعم .

(٤) اللسن بكسر اللام : اللسان .

(٥) أعزز على : أى ما أعز ذلك وما أصعبه . وقارى : من القرى وهو ما يقدم للضيف

الطعام ، أو من القراءة فى الكلمة تورية .

(٦) نثار : أى منشور .

أُبْنَى ، إنْ تُكْسَ التُّرابَ فَإِنَّهُ
ما في زَمَانِكَ ما يَسْرُ مؤمِّلاً
لو أنْ أَخْبَارِي لَدَيْكَ توصلتْ
أحزانُ مَدَّ كِرٍ ، وسلوةُ مُفْرَدٍ ،
أُبْنَى ، إني قد كَنزْتُكَ في التُّرى
أُبْنَى ، قد وقفتُ على حِوَاثِ
وَمَضَى البِياضُ من الحِياةِ وطِيبِها
نَمْ وادِعاً ، فلقد تَقَرَّحَ ناظِرِي
أرعى الدُّجى وكانَ ذيلَ ظلامِهِ
خَلَعَ الصِّباحُ على المَجْرَةِ سَجْفَهُ
تَباً لِعادِيَةِ الزمانِ على الفَتى ؛
وحويتُ ديناراً بوجْهِكَ فانتَحى
غَاياتُ أَجمَعنا ، وليس بَعار
فاذهبْ كما ذهبَ الخِمالُ السارى
لبكيتَ في الجَنَّاتِ من أَخْبَارِي
ومُقامُ مَضِيعةٍ ، وذُلُّ جِوارِ
فانفعَ أباكَ بساعةِ الإقْتارِ (١)
فوقفَنَ من طَلَلِ على آثارِ
لكنها أَبَقَتْه فوقَ عِذارِي (٢)
سَهراً ، ونامتْ أَعينُ الشَّمارِ
مُتَشَبِّهَةٌ بالنَّجْمِ في مِسمارِ
أم قِسمتْ شمسُ النِّهارِ دَرارِي ؟ (٣)
فلقد حِذرتُ وما أفادَ حِذارِي
صَرَفُ الزمانِ ، فراحَ بالدينارِ (٤)

وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه في والده المؤيد :

هَناكَ مَحَا ذاكَ العِزَّاءَ المَقْدَمَا
ثُغورُ ابْتِسامِ في ثُغورِ مِدامِ
فما عَبَسَ الحِزُونَ حَتى تَبَسَما
شِيبانِ لا يَمْتازُ ذو السَبقِ مِهما

(١) لعله يريد بساعة الإقتار يوم الحساب ، أى الاقترار من الحسنات ، وأن طفله سيكون له في ذلك اليوم ذخراً .

(٢) يشير إلى مشيبه . والعذار : الشعر المحاذى للأذن .

(٣) المجرة : منطقة في السماء ذات نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، فترى كرقعة بيضاء . والسجف : الستر . والدراري : النجوم . والمعنى : هل خلع الصباح بياضه على المجرة ، فهو ما تراه من بياضها ، ولا صباح بعد ذلك ، أم أن الشمس تنانرت نجوما ، هى التى أراها ، وعلى ذلك لا تطلع الشمس ؟

(٤) يشبه وجه ابنه بالدينار بهجة وصفاء .

تفيضُ مجارىِ الدمعِ والبشرُ واضحٌ
سقى الغيثُ عنا تربةَ الملكِ الذى
مليكان : هذا قد هوى لضريحه
ودوحه ملك شاذوى تكافات
فقدنا لأعناق البرية مالكا
إذا الأفضل الملكُ اعتبرتَ مقامه
أعاد معانى البيتِ حتى حسبته
وناداهُ ملكٌ قد تقادمَ إرثه
تقابلِ منه مقلةَ الدهرِ سوءِ ددا
ويقسم فينا كل سهم من الندى
كأنَّ ديارَ الملكِ غابٌ إذا انقضى
كأن عماد البيتِ غيرُ مقوض
نهضتَ فما قلنا : سيادةً معشرِ
أما والذى أعطاك ما أنتَ أهلهُ
وقد أنشَرَ الإسلامَ بالخلفِ الذى
فإن يكُ منَ أيوبِ بحمٍ قد انقضى
وإن تكُ أوقاتُ المؤيدِ قد خلت
عليه سلامُ الله ما ذرَّ شارق

كوابل غيثٍ في ضحا الشمسِ قد هوى
تدانتُ له الدنيا وعزَّ به الحمى
برغمى ، وهذا للأسرةِ قد سما
ففنصنُ ذوى منها ، وآخرُ قد نما (١)
وشمنا لأنواع الجيـلِ متمماً
وجدتَ زمانَ الملكِ قد عاد مثلما
بوزن الثنا والحمد بيتاً منظماً (٢)
فقام كما ترضى العلاء وتقدماً
صمياً ، وتنضو الرأى عضباً مُصمماً
ويبعث الأعداءِ فى الروحِ أسهما (٣)
به ضيفم أنشا به الدهرِ ضيفاً (٤)
وقد قت يا أزكى الأنامِ وأحزما
تداعتُ ، ولا بُدَيانُ قومِ تهذماً
لقد شاد من عليكِ ركناً معظماً
تمكَّن فى عليائه وتحكما
فقد أطلعت أوصافك الغرُّ أنجما
فقد جددت عليكِ وقتاً وموسماً
(ورحمتهُ ما شاء أن يترجما) (٥)

(١) شاذوى : نسبة إلى يوسف بن أيوب بن شاذى ، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبي .

(٢) البيت : أى بيت الملك .

(٣) سهم من الندى : أى نصيب .

(٤) الضيفم : الأسد .

(٥) ذر : طلع ، والشارق الشمس .

وقال في الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابنا دَارُكُمْ والعيشُ نَعْمَانُ والسَّفْحُ دَمْعِي ، ودارُ القَلْبِ حَرَّانُ (١)
أشكو أشتياقًا ، وما بالوصل من قدمٍ كَأَنَّ وَصْلِي لَفَرَطِ الحُبِّ هَجْرَانُ
ورُبَّمَا رُمْتُ أَنْ أَشْكُو الشَّهَادَ إِلَى عدلُ المَنَامِ ، وقلتُ : النَوْمُ سُلْطَانُ
يأبها الناصرُ السلطانُ لا غَمَضْتُ عينٌ لها عن سَنِي مُرَّآكَ سُلوَانُ (٢)
كم في ملوكِ الوريِّ فضلٌ ومعرفةٌ كانوا ، ومثلَكَ في ذا النجومِ كانوا
إن يمض كسرى فكم إيوان مَعْدَلَةٍ لديكَ قد زاهِ يُمْنٌ وإيْمَانُ
أمرت شعري يا خيرَ الملوكِ على أشعارِ قومٍ ، فلي أمرٌ وديوانُ

٩ - محي الدين بن قرناص الحموي

قال بصف روضا :

سَقِيَا لَهُ رَوْضًا قُدُودٌ غُصُونُهُ تَحْتَمَلُ فِي الأَبْرَادِ مِنْ أَوْرَاقِهَا (٣)
جَنَّتْ بِهِ وُرُقُ الحِمَامِ صَبَابَةٌ أَوْ مَا تَرَى الأَغْلالَ فِي أعْمَاقِهَا ؟ (٤)

(١) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضا : صفة مشبهة من الفعل نعم أي سار ناعما لينا . حران : بلد بشمال الشام .

(٢) السني : ضوء البرق .

(٣) قدود غصونه : قامات فروعها : تحتال : تعجب بنفسها مرحاً ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٤) ورق الحمام : جمع أوراق وورقاء . والحمامة الورقاء : التي لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الأغلال : مفردة غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق لأن المجنون كان يوضع في أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال أيضاً :

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ لَمَّا تَجَلَّتْ وَتَحَلَّتْ مِنْ النَّدى يُجْمَانُ (١)
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا سَقَطَتْ مِنْ أُنَامِلِ الأَغْصَانِ

وقال يصف نهرا :

وَرَبَّ نَهْرٍ لَهُ عَيْونٌ تَحَارُّ فِي وَصْفِهِ العَيْونِ
لَمَّا غَدَا الرِّيقُ مِنْهُ عَذْبًا مَالَتْ إِلَى رَشْفِهِ الغُصُونِ (٢)

١٠ - علي بن محمود المبارك (٣)

قال يذم دار سكناه :

دار سكنتُ بها أقلُّ صفاتها أن تكثُرَ الحشراتُ في جَنباتها
الخيرُ عنها نازِحٌ متباعدٌ والشرُّ دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوضُ عدمته كم أعدمَ الأَجفانَ طيبُ سباتها
وتبيتُ تُسَعِدُها براغيثُ متى غنت لها رَقَصَتْ على نغماتها (٤)
رقص بتنفيسٍ ولكن قافه قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذبابٌ كالضَّبَابِ يسدُّ عَيْنِي نَ الشَّمْسِ ما طَرَبِي سوى غفَّاتها
أين الصوارمُ والقننا من فَتِكها فينا وأين الأسدُ من وثباتها ؟

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة اللآلئ.

(٢) الرشف : المص .

(٣) هو علي بن محمود المبارك كمال الدين بن الأعمى الشاعر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٤) تسعدها : تعاونها .

وبها خفافيشٌ تطيرُ نهارَها مع ليلها ليست على عاداتها
شوكاتها فاقت على سُمرِ القنَا فاعجب لِشِدَّةِ فتكها وثباتها
وبها من الجُرذَانِ ما قد قصَّرت عنه العِتاقُ الجُرْدُ في حَمَلاتها^(١)
ولها زنابيرٌ تُظنُّ عقاربا لا براء للمسموم من لدغاتها
ولها عقاربٌ كالأقارب رُتِعُ فينا حمانا الله لدغ حَمَلاتها^(٢)

١١ - ابن سعيد المغربي^(٣)

قال بصف الجيزة :

إن للجيزة في قلبي هوى لم يكن عندي للوجه الجميل
يرقصُ الماءُ بها من طربٍ ويميل العنن للظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها فلذا تصفر في وقت الأصيل

١٢ - محمد بن سليم المصري^(٤)

كتب إلى السراج الوراق في حماره سقط في بئر فمات :

يفديك جَحْشُكَ إذ مضى مُتَرَدِّياً وبتالِدٍ يُفدى الأديبُ وطارف
عدم الشعير فلم يجده ولا رأى تبنا وراح من الظما كالتائف
ورأى البؤيرة غير خافٍ ماؤها فرمى حشاشة نفسه لمخاوف
قوم يموت حمارهم عطشاً لقد أزرؤا بحاتم في الزمان السالف

(١) العتاق : الخيل . والجرد : جمع أجرد وهو السباق منها .

(٢) الحَمَات : جمع حمة ، وهي إبرة العقرب التي تضرب بها .

(٣) توفي سنة ٦٧٣ هـ .

(٤) هو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري المتوفى سنة ٧٠٧ هـ .

١٣ - ابن الجنان^(١)

قال يصف روضاً على نهر:

ودوِّج بدت معجزاتٌ له تبينُ عليه وتدعو إليه
جرى النهرُ حتى سقى غصنَه فما ل يقبَّلُ شُكراً يدَيْه
وكفُّ الصِّبَا صنعت حَلِيه فأضحى الحمامُ ينادي عليه
كساه الأصيلُ ثيابَ الضَّني فحلَّ طيبُ الدياجي لديه
وجاء النسيمُ له عائداً فقام له لاثماً معطفيه

١٤ - محمد بن الحسين^(٢)

قال في نوح الحمام:

ولقد رأيت الأراك حمامةً تبكي فتُسعِدُنِي على أحزاني^(٣)
تبكي على غُصْنٍ وأندبُ قامةً فجميعنا يبكي على الأغصان
صرَعَ الزمانُ وحيدَها فتعلَّتْ من بعده بالنوح والأحزان
تخشى من الأوتارِ وهي مُروعةٌ فلِمَ غنَّتْ على العيدان؟

(١) توفي سنة ٦٧٥ هـ .

(٢) هو الشاعر النديم ، صاحب الموصل ، توفي سنة ٦٥٨ هـ .

(٣) الأراك : شجر يستاك به .

١٥ - محمد بن الحسن الصائغ العروضي (١)

قال يتشوق - وهو بمصر - إلى دمشق :

لى نحو ربك دائماً يا جلقُ شوقٌ أكادُ به جوّى أتمزقُ
وهولُ دمع من جوّى بأضالعِ ذا مُعرقٌ عيني وهذا محرقُ (٢)
أشفاقُ منك منازلٍ لم أنسها أنى؟! وقلبي في ربوعك موثقُ

١٦ - ابن دقيق العيد (٣)

قال يتمنى الجمع بين الشباب والشيب :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى وقرب منى في صباى مزاره
فأخذ من عصرِ الشَّبَابِ نشاطه وأخذ من عصرِ المشيبِ وقاره

وقال في الشكوى :

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدّةً وقعتُ بها في حيرةٍ وشتاتٍ
فإن بُحْتُ بالشكوى هتكتُ مروءةً وإن لم أبح بالصبر خفتُ مماتى
وأعظمُ به من نازلٍ بملمّةٍ يزيل حياى أو يزيل حياى

وقال في بعض الوزراء :

مقبِلٌ مدبرٌ بعيدٌ قريبٌ محسنٌ مذنبٌ عدوٌّ حبيبٌ
عجبٌ من عجائب البرِّ والبحرِ ونوع فرْدٌ وشكلٌ غريبٌ

(١) توفى سنة ٧٢٢ هـ . (٢) الجوى : شدة الوجد .

(٣) هو محمد بن علي بن وهب الإمام أبو الفتح بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ .

١٧ - محير الدين بن تميم

قال يصف روضاً :

بعثَ النسيمُ رسالةً بقدومه للروضِ فهوَ بقُربِهِ فَرَحَانُ
ولطيب ما قرأَ الهزارُ بشدوه مضمونها مالت له الأغصانُ^(١)

وقال في وكيل بدار القاضى بدمشق :

لا تَقْرَبِ الشَّرْعَ إِذَا لَمْ تَكُنْ تَحْبِرُهُ فَهُوَ دَقِيقٌ جَلِيلُ^(٢)
وَوَكَّلِ الْعِزَّ الَّذِي وَجْهُهُ عَلَى جَنَاحِ الْأَمْرِ أَقْوَى دَلِيلُ
وَلَا تَمَلْ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

وقال في روضة :

أَرْضٌ كَسَاها الْقَطْرُ حَلَّةً سُنْدُسٍ رُقِمَتْ لَهَا طُرٌّ مِنَ الْغُدْرَانِ^(٣)
وَفَدُّ النَّسِيمِ أَضَاعَ نَشْرَ رِياضِهَا فَالْوُرْقُ تَنْشُدُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ^(٤)

وكتب إلى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق :

كَمالَ الدِّينِ يَا مَوْلَايَ يَا مَنْ يُعْزُّ الْبَحْرَ فِي بَدَلِ النِّوَالِ^(٥)
أَتَيْتَ لِحَاجَةٍ ؛ فَاغْنِمْ ثَمَانِي عَلَيْكَ بِهَا وَشُكْرِي وَابْتِهَالِي

-
- (١) الهزار بفتح الهاء : طائر . (٢) تحبیره : تعلمه . دقيق : أمر غامض .
(٣) القطر : المطر . والمعنى أن القطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات ، رسمت لهذه
الحلة طرراً ، أى جوانب من الغدران ، أى المياه التى غادرها المطر .
(٤) أضاع : إما ضيعه أو أفقده ، وإما بثه فى الجو ، وضاع الطيب : انتشرت رائحته .
والنشر : الريح الطيبة . والورق : جمع ورقاء وهى الحمامة .
(٥) يعزه : يفوقه ويزيد عليه .

ولا نجعلُ سواكَ لها ؛ فإني عليكَ بنُجُجِها وَقَعَ اتسكالي
أيجملُ أن يقولَ الناسُ : إني أتيتُ حاجةً لم تقضها لي ؟
وأُضِيحُ بينهم مَثَلًا لأنني أتاني النقصُ من جهةِ الكمالِ

وقال في رثاء صديق له اسمه قطب الدين :

نأيتُم فلاقبني عن الحزن مُقصرٌ عليكم ولا جفني يَجِفُّ له غَرَبٌ (١)
وأفلاكُ لذاتي تعطلَّ سَيرُها وهل فلكٌ يسرى إذا عدمَ القُطْبُ (٢)

وقال في التشوق :

لا تبعثوا غيرَ الصَّبا بتحيةة من أرضكم ! فلها على جميل : (٣)
خاضت دموعَ العاشقين وعَرَّجت عنهم إلى وثوبها مَبْلُول

وقال في الغزل :

وعيرني بالشيب قوم أحبهم فقلت وشأن العاشقين التجمُّلُ :
بعثتم إلى رأسي المشيبَ بهجرِكم ومهما أتى منكم على الرأس يُحمل

وقال في ليلة سكر :

وليلةً بت أسقى في غياهبها راحاً تسل شبابي من يدِ الهرَمِ (٤)
مازلت أشربُها حتى نظرتُ إلى غزاة الصُّبْحِ ترعى نرجسَ الظلمِ (٥)

(١) مقصر : مقلع وكاف عن الحزن عليكم . والجفن : يريد العين . الغرب : انهلال الدمع من العين .

(٢) الفلك : واحد أفلاك النجوم . والقطب : كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك .

(٣) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس . وهي ندية بليلة .

(٤) الغياهب ، الظلمات . الراح : الخمر .

(٥) غزاة الصبح : الشمس . ونرجس الظلم : النجوم .

وقال يهجو :

لَمَّا جَسَسْتُكَ بِالْمَدِيحِ وَلَمْ أَكُنْ
أَدْرِي بِأَنَّكَ خَامِلٌ فِي النَّاسِ (١)
نَادَيْتُ لَمَّا أَنْ جَسَسْتُكَ بِالْهَجَا :
أَكْلِبِ خِذْهَا مِنْ يَدَيِ جَسَّاسِ !

وقال يمدح النرجس :

مُذْ لَا حِظَّ الْمَشُورُ طَرْفَ النَّرْجِسِ الْ
مُزُورِّ قَالَ ، وَقَوْلُهُ لَا يُدْفَعُ : (٢)
فَتَّحْ عُيُونَكَ فِي سِوَايَ ؛ فَإِنِّي
عِنْدِي قُبَالَةٌ كُلُّ عَيْنٍ إِصْبَعُ

وقال في روضة :

أَيَا حُسْنَهَا مِنْ رَوْضَةِ ضَاعَ نَشْرُهَا
فَنَادَتْ عَلَيْهِ فِي الرِّيَاضِ طَيُورُ (٣)
وَدُولَابُهَا كَانَتْ تَعُدُّ ضَلُوعَهُ
لِكثْرَةِ مَا يَبْكِي لَهَا وَيَدُورُ

وقال أيضاً :

لِمَ لَا أَمِيلُ إِلَى الرِّيَاضِ وَحُسْنِهَا
وَأَعِيشُ مِنْهَا تَحْتَ ظِلِّ صَافِي (٤)
وَالزَّهْرُ يَلْقَانِي بِشَفْرِ بِاسْمِ
وَالْمَاءُ يَلْقَانِي بِقَلْبِ صَافِي

(١) الجسس بالشيء : المس به ، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جساس ابن مرة . سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضاً صيغة مبالغة من جس ففي كل من كليب وجساس تورية .

(٢) المشور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزور : المنحرف . لا يدفع : لا يرد ، قبالة الشيء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعني انتشرت راعحتها الطيبة . الدولاب . المنجنون التي تديره الدابة :

(٤) الظل الصافي : المتسع .

١٨ - الشهاب الخفاجي (١)

قال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبي (٢) :

حَتَّامٌ يَغْزُونِي صُدُودُهُ وَالصَّبْرُ قَدْ كَثُرَتْ جُنُودُهُ (٣)
لَمْ أَدْرُ : فَاتَرُ جَفْنِيهِ وَالْخَصْرُ أُسْقِمُ أُمَّ عُهُودُهُ (٤)
نَشْوَانٌ يَعْثُ بِبِي كَمَا عَيْثُ بَأْمَالِي وَعُودُهُ (٥)
لَوْلَا مِيَاهُ الْحُسْنِ جَا لَتَ فِيهِ لَأَحْتَرَقَتْ خُدُودُهُ
كَالْصَّبِّ لَوْلَا دَمْعُهُ يَهْمِي لِأَحْرَقَهُ وَقُودُهُ (٦)
يُخْفِي الْهَوَى وَعَيْونُهُ بَغْرَامَهُ الْمُضْنِي شُهُودُهُ
فَسَقَى رِيَاضَ الْحُسْنِ مِنْ دَمْعِي حَيًّا يَهْمِي مَدِيدُهُ (٧)
زَمَنٌ بِجِيدِ اللَّهِوِ قَدْ نُظِمْتُ عَلَى نَسْقِي عَقُودُهُ (٨)
إِذْ دُوْحٌ أَنْسَى يَانِعٌ بَكْتُوسِنَا انْفَتَحَتْ وَرُودُهُ (٩)
وَالسَّكَّاسُ نَجْمٌ لَاحٌ فِي فَلِكِ الْمَسْرَةِ لِي سَعُودُهُ

(١) ولد في سرياقوس وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فالأستانة ، وكان من رجال اللغة والأدب توفي سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) أجابه محمد علي هذه القصيدة بقصيدة تأتي في ص ١٣٩ .

(٣) حتام أصلها : حتى ما . فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزوني : يسير

إلى قتالي وانتهابي . والصدود : الإعراض .

(٤) جفن فاتر : غير حاد النظر . والخصر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٥) النشوان : السكران . ويعث بي : يلعب بي .

(٦) الصب : المشتاق الذي يكابد حرارة الشوق . يهمي : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله

(٧) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٨) نسق : نظام واحد .

(٩) الدوح : الأشجار العظيمة . الورود : جمع ورد .

يَصِفُو فَيُحَلِي ذَكَرَ مَنْ قَدْ زَيْنَ الدُّنْيَا وَجُودَهُ
ذَاكَ ابْنُ قَاسِمٍ الَّذِي مَا زَالَ فِي نَعَبِ حَسُودِهِ

١٩ - السيد عبد الرحيم العباسي

قال يصف ضعفه :

أُرْعَشَنِي أَلْهَرُ أَيَّ رَعَشٍ وَكُنْتُ ذَا قُوَّةٍ وَبَطْشٍ
قَدْ كُنْتُ أَمْشِي وَاسْتُ أَعْيَا فَصِرْتُ أَعْيَا وَاسْتُ أَمْشِي

وقال يشكو من الأصدقاء :

مَالِي أَرَى أَحْبَابَنَا فِي النَّاسِ صَارُوا كَمَثَلِ حَبَابِنَا فِي الْكَاسِ (١)
بَيْنَا يَرُوقُكَ عِنْدَ أَوَّلِ نَظْرَةٍ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُتَنَاسِقِ الْأَجْنَسِ
فَإِذَا أَعَدَّتْ الطَّرْفَ فِيهِمْ لَمْ تَجِدْ شَيْئًا ؛ وَصَارَ رَجَاؤُهُمْ كَالْيَاسِ

وقال يصف الصداقة الحق :

لَسْتُ عَنْ وَدِّ صَدِيقِي سَائِلًا غَيْرَ قَلْبِي فَهَوَ يَدْرِي وَدَّهُ
فَكَمَا أَعْلَمَ مَا عِنْدِي لَهُ فَكَذَا أَعْلَمَ مَالِي عِنْدَهُ

وقال في لثيم ابتداءه بالتحية :

رَأَيْتُ لَثِيمَ قَوْمٍ فِي مَمَرٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَشْخَاصٌ لِثَامٌ
فَسَلَّمْتُ مِنْ جِهَاتِهِ ابْتِدَاءً فَقُلْتُ لَهُ : مَتَى كَسَدَ السَّلَامُ ؟ (٢)

(١) الحباب : ما يرى على الماء من الفقاقيع ولا يلبث أن يفنى .

(٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج ، يريد : متى امتنع ؟

وقال في الحكمة :

حالُ المقلِّ ناطقٌ عمّا خَفَى منْ عَيْبِهِ
فإنْ رأيتَ عارياً فلا تَسَلْ عنْ ثوبِهِ

٢٠ - محمد بن القاسم الحلبي

قال يجيب الشهاب الخفاجي على قصيدته التي تقدمت (١) :

للظبي لفتته وجيده والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذي في ثغره منه نضيده (٢)
وبوجهه شرك العقول ؛ فأى عقل لا يصيده !؟ (٣)
في كل يوم للهوى من حسنه معنى يزيد
يستوقف الأبصار حتى لا يسوغ لها وروده
ملك تحكم في الجبال فقال منه ما يريد
ما زال يسطو في الوري من فعل مقاته جنوده
حتى ظننا أنه بالأجر آثره شهيده
بيدي الصدود وكلما صانعه عنه يعيده (٤)
أتراه يجحد ما لقيت به وهل يغني ججوده
وهو النهار إذا بدا من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا « شها ب » الفضل إذ طلعت سعوده
ما زال يسمو في سماء المجد زينها وجوده ؟

(٢) النضيد : المتسق المرصع .

(١) انظر ص ١٣٧ .

(٣) الشرك : المصيدة .

(٤) صانعه عنه : أي حاولت أن أردده عنه ، وأغريه بالوصل .

حتى تقطعت المطا مع عنه واستعفى حسوده
وقاد فكر ؛ أى خط ب ليس يُطْفئه وقوده (١)
كرمت له هم إلى غير الملا ليست تقوده
يزهو على جيد الزما ن بما ينمقه فريده (٢)
من كل سجع من مزا يا الحسن قد نظمت عقوده
وإذا ذكرت الشعر فهو وكما سمعت به لبيده (٣)
قد كنت أجهد في ابتغا ء لقاء أيام تفيده
حتى وقت لي بالذي قد كان في أملي وعوده
فلقيته البحر الخضم يفيض للعافين جوده
متدفقا بالفضل تخشى أن يفرقها وفوده
مولاي ؛ غذراً إنها من خاطر قد جف عوده
بعدت بقول الشعر في عهد الصبا حيناً عهوده
لبي دُعاك ؛ وأى مو لى لا تلبيه عبيده ؟
ما ضره عيد نأى مادام من لقياك عيده

٢١ - أحمد بن علي العلقمي

قال يتمدح :

يا بصارنا وجهك المذهب يكاد سنى برقه يذهب
وأشواقنا فيك لا تنقضى وشمسُ جمالك لا تغرب

(١) وقوده : اتقاده .

(٢) الفريد : صغار الأؤلؤ تفصل بين العقد المنظوم والذهب ، ويريد الشاعر أن ما يكتبه

المدوح من نثر وشعر يكون كالعقد المفصل في جيد الزمن .

(٣) لبيد : شاعر جاهلي وأحد أصحاب المعلقات .

وحبك في الماء مستودع وأشربه كل من يشرب
وفي كل عين وقلب به مشيراً لك المنزل الأرحب
وذاتك جنة أهل النهى ونفسك عنصرها أطيب
فمن غير نطقك لا نشتفي ومن غير ذاتك لا نظرب
وكم لك من رتب في العلا تعالى العلا إذ لها ينسب^(١)

٢٢ - عبد الرحمن بن عماد الدين

قال في الموت وطلب الرحمة :

قد شاب فودي حين شاب فؤادي فكأثما كانا عل ميعاد^(٢)
حسن الخوانم أرتجى من محسن قد من لي قدماً بحسن مبادي
وعمادي التوحيد فهو وسيلتي في نيل ما أرجوه عند معادي^(٣)
إن قيل : أي سفينة تجرى بلا ماء وليس لأهلها من زاد
قل : رحمة الرحمن من أنا عبده تسع العباد ، فمن هو ابن عماد

٢٣ - الأمير محمد بن منجك

قال متغزلاً :

تناهى عنده الأمل وقصر دونه العذل^(٤)
رشاً يفتر عن برد تكاد تذيبه القبل^(٥)

(١) أي أن العلا يشرف ويسمو إذا حصلت على رتبة عالية .

(٢) الفود : الشعر على جانب الرأس مما يلي الأذن .

(٣) المعاد : الحياة الأخرى .

(٤) تناهى : انتهى ، والعذل : اللوم والعتاب .

(٥) رشا : أصله رشا فسهلت همزته وهو الظبي إذا قوى ومشى مع أمه ، يفتر : يضحك

ضحكاً حسناً . البرد : حب الغمام يشبه به الأسنان ، القبل : جمع قبلة .

يخامسُ عطفه ثمَّلَ يميلُ به ويعتدلُ^(١)
يُمثِّلُ ما يروقُ لنا بصفحةٍ خدِّه الخجلُ
فليتَ به كما اتَّصلتْ حشايَ الطرفِ يتصلُ^(٢)
إذا ما الخدرُ أبرزهُ تنَاهَبُ حسنهُ المقلُ^(٣)
لقد أغراهُ في تلقى شبابٌ ناضِرٌ خضيلُ^(٤)
وقدَّ حشوهُ هيفٌ وطرفٌ ملوهُ كحلُ^(٥)

٢٤ — إبراهيم بن المبلط

قال من قصيدة طويلة في الغزل :

حدَّثتُ بآنةِ الحمى عن صباها عن ثنِيَّاتِ مَكَّةَ عَنْ صَفَاها^(٦)
أَنَّ عَصْرَ اللَّقَاءِ آنَ وَوَأفَى ، وزَمَانَ النَّوَى انْقَضَى وَتَنَاهَى^(٧)
وَنَسِيمِ الصَّبَا يُؤَدِّي الأمانا تِ إلى أهلها كما قد رَوَاهَا
كَمْ نَسِيمٍ سَرَى فَسَرَّ قُلُوبًا شَفَهَا البُعْدُ والنَّوَى فَشَفَاهَا^(٨)

- (١) يخامر : يخالط . والعطف : الجانب . والثمل : السكر .
(٢) أى فليت عيني تراه وتتصل به ، كما اتصل به قلبي عشقاً ومحبة .
(٣) الخدر : ستر يمد للمرأة من ناحية البيت . وتناهب أصلها ، تناهب ، حذف إحدى التاميين تخفيفاً ، ويجوز أن تكون فعلاً ماضياً . أى نهبت .
(٤) الخضيل ، الندى المتبل ، يريد النعومة واللين .
(٥) القد : القامة . الهيف : ضمور البطن والخصر .
(٦) البانة : واحدة البان ، شجر معروف . الحمى : ما يحمى ويحفظ من كل شيء .
(٧) آن : حان وقرب . وافى : أتى . تناهى : انتهى .
(٨) شفاها البعد : هزلها .

تَعْرِفُ الْعَاشِقِينَ مِنْهَا نَسِيًّا تٌ ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهَا بِشَدَّاهَا (١)
إِنَّ أَيْدِيَ الْفِرَاقِ جَارَتْ عَلَيْنَا فِي قَضَاءٍ فَحَسَبُهَا وَكَفَاهَا
أَهْ وَأَوْخَشَتْ لِأَخْشَاءِ قَلْبِي وَقَلِيلٌ قَوْلِي عَلَى الْبُعْدِ : آهَاهَا

٢٥ - نور الدين العسيلي

قال يصف دولاباً (٢) :

ودولابٍ مررت به سَحِيرًا يَنْ كَأَنَّهُ الصَّبُّ الْمَرْوَعُ (٣)
غدت أضلأعه تنهد سُقْمًا وَيَفْنِي جِسْمَهُ صَبُّ الدُّمُوعِ (٤)
بدور كمن أضلَّ الإلفَ منه وذاق تشنت الشملَ الجميع (٥)
فقلت له : فديتُك من كئيب كساه لهم أثوابَ الخشوع
علام أراك تبكي كلَّ وقتٍ وتهتِفُ في المنازل والرُّبُوعِ (٦)
فقنتُ قرّبت لي حُزناً بعيداً ونحاني نواحك عن هُجُوعِ (٧)
فقال : أما علمت بأن مثلي خليق بالصَّباية والوَلُوعِ ؟ (٨)
فإني كنت في روض رفيهاً آييتُ من الأزاهر في جُوعِ (٩)

- (١) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .
- (٢) الدولاب بضم الدال وفتحها : الساقية ، وهي كلمة دخيلة عربيها العرب .
- (٣) سحيرا : تصغير سحر ، وهو قبيل الصبح . والمروع من راعه الهم وأفرعه .
- (٤) صب الدموع : انسكابها .
- (٥) أضل الإلف : فقده . تشنت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .
- (٦) تهتف : تصيح . والرُبوع : جمع ربع وهو الدار .
- (٧) نحاني : أبعثنني . المهجوع : النوم ليلا .
- (٨) الصباية . رقة الشوق وحرارته .
- (٩) الرفيه : المستريح المنتعم .

- ولى فى المُنتمى أغراقُ صِدْقِ (١)
 إِذَا مَا الْوَرْدُ قَابَلَنِى وَحَيًّا
 تَضْرَجُ وَجَنَّتَاهُ بِالنَّجِيعِ (٢)
 وَيَصْفَرُّ الْبَهَارُ لَدَى خَوْفًا
 كَصُفْرَةِ عَاشِقٍ صَبَّ مَرُوعِ (٣)
 وَإِنْ قَصَدَتْ بَنُو الْآدَابِ رَبْعِي
 أَجُودُ مِنَ النَّشَارِ عَلَى الْجَمِيعِ (٤)
 فَقَبِضْنِي الشَّقَاءَ إِلَى غَيْبِي
 شَدِيدِ الْبَطْشِ جَبَّارِ قَطُوعِ (٥)
 فَأَقْتَانِي عَلَى رَأْسِي صَرِيهًا
 وَأَنْتَ مَشَاهِدُ حَالِ الصَّرِيعِ
 وَقَطَّعَ لُطْفَ أَوْصَالِي بَعْنَفِ (٦)
 فَصَرْتُ أَرَى الَّذِي قَدْ كَانَ دُونِي
 عَلَى قَلْبِي أَدُورُ عَنِّي وَأُبْكِي
 فَكَيْفَ الْأَمُّ إِنْ أَدْمَنْتُ نَوْحِي
 وَحَالِي نَاصِحُ أَبْنَاءِ جِنْسِي ؛
 فَإِنَّ الدَّهْرَ كَالصِّيَادِ كَيْدًا
 وَأَسْبَابُ الْقَضَا شَرَكُ الْوُقُوعِ (١١)

- (١) المُنتمى : النسب والأصل .
 (٢) النَّجِيع : الدم الضارب إلى السواد .
 (٣) الْبَهَار : نوع من النباتات يسمى العرار .
 (٤) رَبْعِي : دارى . النَّشَار : المَشُور ، يريد نثار الأزهار .
 (٥) قَبِضْنِي حَيًّا .
 (٦) لُطْفَ أَوْصَالِي : دقة مفاصلى .
 (٧) أَنْفَ : ارتفع . الشَّوْ : الغاية . والرفيع : العالى .
 (٨) الْعِنَا : أى العناء ، وهو هنا الخضوع والدلة . وَالْمَقْلَاة : ناقة تلد واحدا ، ثم لا تحمل بعده ، وامرأة لا يعيش لها ولد ، الهلوع كثير الجزع .
 (٩) أَدْمَنْتُ نَوْحِي : أدمته . الطرف الهموع . العين الكثيرة سيل الدموع .
 (١٠) الْجُدْع : ساق النخلة . والنبيع . القوى الحصين الذى يمتنع على من رام اقتلاعه .
 (١١) الشَّرَك : حبال الصائد ، الواحد شَرَكَةٌ .

٢٦ - الأستاذ الإمام أبو المواهب البكري

قال يصف يوم مرح وأنس :

يا يَوْمَ بُولَاقٍ وَأُنْسِي بِهِ حَكَكَ مِنْ شَوَّالٍ يَوْمُ الْهَلَالِ
وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ جَنُوبًا ، وَمَا مِنْ عَارِضٍ إِلَّا نَسِيمُ الشَّمَالِ^(١)
يَا عَارِضًا أَوْجِبَ لِلنَّيْلِ مَا سَأَسَلُهُ ، وَهُوَ طَلِيقُ الْمَجَالِ^(٢)
وَقَهْوَةٌ تَنْضَحُ مَسْكًَا ، وَلَا بَدْعَ ، فِي الْفَنْجَانِ شَكْلُ الْغَزَالِ^(٣)
حَبَابُهَا مِنْ فَوْقِهَا مَانِعٌ نِفَارُهُ ؛ فَهُوَ شَبَابُكَ الْكَلَالِ^(٤)
تُدِيرُهَا هَيْفَاءَ مَمْشُوقَةٍ خَوْدٌ تَثَنَّتْ فِي بُرُودِ الدَّلَالِ^(٥)
كَأَدَّ حِجَابًا مَنْ أَقْبَلَتْ نَحْوَهُ يَذْهَبُ مِنْ رَنَاتِ تِلْكَ الْحِجَالِ^(٦)
بِغُرَّةٍ أَوْ طُرَّةٍ وَزَعَتْ أَفْكَارَنَا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ^(٧)
تَقُولُ لِلشَّمْسِ ، وَقَدْ أَقْبَلْتُ : تَلْتَمِي مَا أَنْتَ إِلَّا خِيَالَ

(١) عارض : مانع يمنع من المضي .

(٢) سلسله : أجراءه في حدود . طليق المجال : غير مقيد في جولاته وسيره .

(٣) القهوة : من أسماء الحجر . لا بدع : معناه لا عجب . والمسك : من دم دابة كالظبي يقال لها غزال المسك . والمعنى : أن هذه الخمر يفوح منها طيب كالمسك ، ولا عجب ، فإن صورة غزال على الفنجان الندي فيه الخمر .

(٤) الحباب : نفاخات الماء التي تعلوه . والللال : اللالي .

(٥) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الحصر . ممشوقة : حسنة القوام . الخود : الحسنة

الخلق الشابة . تثنت : تمايلت . البرود : الثياب . الدلال : هو جرأة المرأة في تكسر ؛ كأنها

مخالفة ليس بها خلاف

(٦) الحجال : الخلاخيل .

(٧) الغرة : الوجه . والطررة : الناصية

٢٧ — الشيخ عبد الله الشبراوى^(١)

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الرومية ؛ وبعد
أن بات ليلة وجد مذبوحة :

أيها القوم وياكم ! قد هدتم
وذبحتم هذا المهذب غدرًا
ثم نحي عليه زورًا : ولكن
أيها النائحون مهلا ! فمن ذا
لا تطيلوا على النقيب نجيبًا
كم نبي وصالح وولى
هذه سنة الأماجد قدما
حاز هذا الشريف لطفًا من الـ
لوفور الاجور والرتبة العـ
يا خليلي لا تأسفن وأرخ
بنيّة الله ، واتهمتم عباده^(٢)
وقطعتم بغلظة أوراده^(٣)
ذاك أمر قضى الإله نفاذه^(٤)
نال من دهره الخيون مراده
فهو بالذبح نال أعلى سعادته^(٥)
مات قتلا ، ونال أجر الشهادة
كحسين وسعد بن عباده
و ساوى فى حوزة أجداده
يا وحسنى من ربنا وزيادة
قدّر الله قتله وأراده

(١) توفى سنة ١١٧٣ هـ .

(٢) بنية الله : ما بناه الله .

(٣) الغدر : ترك الوفاء ، الوريدان . عرقان فى العنق والجمع : أوردة وورود لا أوراد .

كما جمع الشاعر .

(٤) نفاذه : فناءه ، يريد وقوعه .

(٥) أى أنه مات مقتولا مظلوما . فكان جزاؤه الجنة . ونال سعادة الدار الأخرى .

وهى الباقية الخالدة .

وقال في بعض أسفاره متشوقاً إلى مصر :

أعدّ ذِكْرَ مصرٍ ؛ إنَّ قلبي مُولعٌ
بمصرَ ، ومَنْ لي أنْ تَرَى مُقلتي مِصرًا؟^(١)
وكرّر على سمعي أحاديثَ نيلها ؛
فقد ردتِ الأمواجُ سائله نَهْرًا
بلادُ بها مدّ السباحُ جَنَاحَه
وأظَهَرَ فيها المجدُ آيته الكُبرى^(٢)
رُويْدًا إذا حدّثتني عن رُبوعها
فتطويلُ أخبارِ الهوى لذةٌ أُخرى
إذا صاحَ شُجُورٌ على عُصنِ بانهٍ
تذكّرتُ فيها اللحظَ والصَّعدةَ السَّمرًا^(٣)
عسى نحوها يُلوي الزمانُ مطيبي
وأشهدُ بعد الكسر من نيلها جَبْرًا
لقد كان لي فيها معاهدُ لذة
تقضتُ وأبقتُ بعدها أنفُسًا حَسْرَى

(١) مولع : مغرم . اللقطة : شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها .

(٢) السباح : الجود والكرم كالسباحة .

(٣) الشجور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قدّ القناة .

(ب) النثر

أولاً - النثر الفنى

١ - الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى^(١)

قال يصف بستانا :

« فوصلنا إلى بستان قد أخذ زخرفه وتزين ، وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلون ، تنساب جداولُ جوانبه كالأرقام^(٢) ، ويصفقُ النهر لرقص الغصون على غناء الحمام ، ويهبّ النسيم فينقّطها من الزهر بدنانيرَ ودرهم ، قد تطاولَ فيه من ألبان كلِّ قِدِّ مخطوف ، وخجل فيه من الورد كلِّ خِدِّ موصوف ، فأجلسنا النرجس على عينيه وأحداقه ، وظللنا الغصنُ بستائرَ أوراقه ، وحيّا منشوره الأبيض والأزرق بالأصابع ، وفتح كفوفه الصفّر وهو منا غيران فاقع^(٣) ، وجرى النهر بين أيدينا متواضعاً بسجوده ، وشبَّ الشحرور بمنقاره لما تغنى الهزار على عوده ، قد رق نسيمه وراق ، وجذب الحمام إلى الغناء بالأطواق :

أظن نسيم الروض للزهر قد روى حديثاً فطابت من شذاه المسالك

وقال :

إذا مادنا فصل الربيع ؛ فكله ثغورٌ لما قال النسيم ضواحك

(١) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلقى العلم بدمشق عن ابن نباتة وعن أبي حيان اللغوى وغيرها ، وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب ، وهو كاتب شاعر مؤرخ . توفي سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) الأرقام : جمع أرقم ، وهو الحية .

(٣) غيران : من الغيرة والتحسر . وفاقع الصفرة شديدها .

قد شاب ذلك الزهرُ قبل شبابه ، وغناه الطيرُ فتساقطَ من طربه وإعجابه ،
ومرَّ عليه النسيمُ بذيله البليل ، فشب حتى عجبتنا من حصول الشفاء من العليل .
فيالها روضة صدحت أطيارها فأطربت الأشجار وألبستنا ثوبَ الخلاعة عند
خلع العذار :

انظر إلى الروض النضير كأنما نُشِرت عليه ملاءةٌ خضراء
أنى سرحت بلحظ عينك لا ترى إلا غديراً جال فيه الماء
وترى بنفسك عزّةً في دوحه إذ فوق رأسك حيث سرت لواء^(١)

والماء قد رق وراق ، وتسلسل وهو في الإطلاق ، وجرى فتكسّر ، وصفا
ولم يتغيّر ، وصاحب الذمات وحالفها ، وقاطع الأغصان وخاتمها ؛ وأنته الرياحُ
للزيارة من شعابها وهضابها ، وسرق حُلَى الأغصان فضّمها في صدره وجرى بها ،
والعيونُ ترمقه في جريه ومسيره ، وهو لا يفتُر عن تصفيقه وخريه ؛ حتى خشينا
عليه التكسير من التمدادى ، ورجونا من ماء عينيه رى كل صادى^(٢) .

يا حسنه من جدول متدقٍ يلهو بروق حسنه من أبصرا
مازلتُ أذره عيوناً حوله خوفاً عليه أن يصاب فيعثرأ
فأبى وزاد تمادياً في جريه حتى هوى من شاهق فتكسراً^(٣)

ولم يزل الطير يسمى بين النهر والغصن في الاتفاق ، ويكرّر الخانه ويراسل
في الأوراق ، ويجتهد في الصلح ويدعو إليه ، ويحرص على الوفاء ويحرص عليه .

(١) أى تشعر كأنك قائد جيش ، لما يظلك من شجر عظيم كالألوية في مقدمة الجيش .

(٢) الصادى : العطشان .

(٣) الشاهق : المكان العالى .

وقام الشحرور بينهما واعظا وخطيبا ؛ فأجدت مواعظه وكان قلبُ النهر صافيا
وقريبا . وقام النسرين^(١) من السرور على ساق ، وجذب كلَّ صدوح للغناء
بالأطواق ، وتبسمت من الأقبوان^(٢) الثغور ، ونسمت نفحات المسك والكافور
واعتلَّ النسيمُ غيرةً وتغير ، فتولَّى وهو بذيله يتعثر ، وجعل يجرُّ من الحياء ذيولا
على الأغصان فتمتنق اعتناق المواصل الغضبان :

في روضةٍ علمُ أغصانها أهلَ الهوى العذرى كيفَ العناق
هبتَ بها ريحُ الصبا سُخْرَةً فالتفت الأغصان ساقاً بساق

وبكى النهرُ على مواصلة الغصون ، وخرَّ لديها وفاضت منه العيون ، ومثلها في قلبه
شغفاً وحباً ، وصار بها من دون الصبا صبا :

والنهر قد عشق الغصون فلم يزل أبداً يمثّل شخصها في قلبه
حتى إذا فطن النسيم فجاءه من غيرة فأزالها من قربه
وغدا عليه مهينماً بعبابه سراً فجعد وجهه من عتبه^(٣)

فلم يزجر النهر عن حبِّ الغصون زاجرٌ ولا عاذل ، ولم يجب العذل إلا بدمعه
السائل — وصار يردُّ برْدَ الهوى بجزَّ هواه العذرى ، وغدا ساعياً بسعادة الأغصان
يَجْرِي ، ففنع منها بأدنى وصال ، وربما اقتصر منها في الحب على الخيال :

(١) النسرين : بكسر النون وقيل بفتحها : ورد أبيض طيب الرائحة .

(٢) الأقبوان : نبات أوراق زهرة الفلجة صغيرة ، تشبه بها الأسنان .

(٣) المهينة : الصوت الخفي .

ونهر بحبّ الدوح أصبح مغرمًا يروح ويغدو دائمًا بوصالها
إذا أبعدت عنه شكا بخريه جفاها ، وأضحى قانعا بخيالها

٢ - القلقشندى^(١)

من رسالة للقلقشندى عن الملك الناصر فرج بن برقوق إلى صاحب فاس
في ذكر وقعة تيمورلنك :

وتحركنا من الديار المصرية في جيوش لا يأخذها حصر ؛ ولا يلحقها هصر^(٢)
ولا يظن بها على كثرة الأعداد كسر ، ولم نزل نحث السير ونسرع الحركة للقاء
العدو إسراع الطير ، حتى وافينا دمشق المحروسة فنزلنا بظاهرها^(٣) ، مستمطرين
النصرة في أوائل حركتنا وأواخرها ، وانضم من عساكر الشام وعربانها ، وتركناها
الزائد على العدّ وعشرانها ، ما لا ينقطع له مدد ، ولا يدخل تحت حصر ولا عدد ،
وأقبل القوم في لفي^(٤) كالجراد المنتشر ، وأمواج البحر التي لا تنحصر : من
أجناس مختلفة ، وجموع على تباين الأنواع مؤتلفة . وتراءى الجمعان ، في أفسح
مكان ، ورأى كل قبيل الآخر رأى العين وليس الخبر كالعيان . واعتد الفريقان

(١) هو أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى ، صاحب كتاب « صبح الأعشى في
كتابة الإنشا » ولد في قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ . من بيت
عربي ، وقد تأدب في القاهرة وألف مؤلفات عدة أشهرها ما ذكرنا ، وعاش فاضلا مبيجلا
حتى توفي سنة ٨٢١ هـ .

(٢) الهصر : الكسر . أي لا تلحقها هزيمة ولا انكسار .

(٣) ظاهرها : ضواحيها .

(٤) اللفي : أي جماعة في جيش .

للنزال ، واحتفروا خنادق للاحتراس ، وتبوأنا مقاعد للقتال ، ولم يبق إلا المبارزة والنقاء الصفوف والمناجزة^(١) إذ ورد ورد من جهتهم يطلب الصلح والموادعة ؛ والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة ، وأجبناهم بالإجابة ، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأي إصابة ؛ وكتبنا إليهم في ضمن الجواب :

لما أتانا منكم قاصد يسأل في الصلح وكف القتال
قلنا له : نعم الذي قلته والصلح خير ، وأجبنا السؤال

٣ — القاضي محي الدين بن عبد الظاهر^(٢)

من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرا
بفتح صافيتا :

فمن ذلك حصن الأكراد الذي تاه بعطفه على الممالك والحصون ، وشمخ
بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون^(٣) ، وغدا جاذبا بضبع^(٤) الشام ،
وآخذا بمخائق بلاد الإسلام ؛ وشللا في يد البلاد ، وشجأ في صدى العباد ، تنقض ؛
من عشه صقور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ،
وتربض بأرضه^(٥) آساد تحمي تلك الآجام^(٦) وتُفوق من قسيه^(٧) سهام تصمي
مفوقات السهام ، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام

(١) المناجزة : المدافعة .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الحذامي المصري أحد المتعصبين لطريقة
القاضي الفاضل في اتباع البدع ، وخاصة التورية في الشعر والنثر ، وكان من رؤساء ديوان
الإنشاء في دولة المماليك البحرية . توفي سنة ٦٩٢ هـ .

(٣) الحرب الزبون : التي يدفع المتحاربون فيها بعضهم بعضاً من الكثرة .

(٤) الضبع : العضد .

(٥) الأرباض : جمع ربض ، وهو المأوى ، والمراد هنا بالأرباض : النواحي والجهات .

(٦) الآجام : جمع أجمة ، وهي بيت الأسد .

(٧) القسي ، جمع قوس . وتفوق : أي تصيب وتسدد .

أموالهم وهم صابرون لا مُصابِرون . كم شككت منه حماة^(١) قلة الإنصاف ، ومخافته مَعْرَةٌ وما من مَعْرَةٌ خاف . ما زالت أيدي الممالك تمتدُّ إلى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جواره تلك الحصون والصياصي^(٢) ، وتبكي بمدمع نهرها^(٣) من تأثير آثاره مع عصياتها وناهيك بمدمع العاصي ؛ حتى تبه الله الحظ سيفوف الإسلام من جفونها ، ووفى النضرة ما وجب من ديونها . وذلك بأننا قصدنا فسيح ربه ، ونزلنا ونازلنا محي صُتْعِه^(٤) ، وخيمنا بفضالنا على قلبه وسمعه ، وله مدن حوله خمس هو كالراحة وهي كالأنامل ، وتكاد برُوجه تُرى كالمطايا المقطرة^(٥) وهي منها بمنزلة الزوامل^(٦) ؛ ما خيمنا به حتى استبحنا محي تلك المدائن المكني عنها بالأرباض ، وأسحنا بساحتها بحراً من الحديد ما اندفع حتى فاض ؛ وأخذنا الثقوب في أسوار لا تُنقَضُ ولا يَنْقَضُ بُنيانها المرصوص ، ولا تقرأ المعاول ما إخواتم أبراجها من نقوش الفصوص ؛ ونصبتنا عليها عدّة مجانيق^(٧) حملت في شواقي الجبال ، على رؤوس الأبطال فتغيّظت السّمهرية^(٨) أن الذي تقوم به هذه تلك به لا تقوم ، وأن ما منها إلا له من الأيدي والرؤوس مقام معلوم ؛ وصار يرعى بها كل كمي مختلس وأزوع منتس^(٩) ، وكل ليث غابة يحميها وتحميه ؛ فشكراً للأسود

(١) حماة اسم بلد ، وكذلك المعرة .

(٢) الصياصي : الحصون الرفيعة .

(٣) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماة .

(٤) الصقع : الناحية والجهة .

(٥) المقطرة : المصفوفة واحدا خلفه واحد . فهي قطار .

(٦) جمع زاملة وهي الدابة التي يحمل عليها من الإبل وغيرها .

(٧) المنجنيق : آلة كانت تستعمل في الحروب ترمى بها الحجارة .

(٨) السّمهرية : الرماح وهي صفة لها .

(٩) النهي : النهش ، والنهي مشتق منه . المختلس : اليقظ المتحين للفرصة ليتمكن من القتل

حتى غاباتها تفترس ؛ إلى أن جَثَّتْ أسوارها على الركب وكانت سهامُ مجانيقها
تميلُ من العجب^(١) فصارت تميد من العجب^(٢) ، وكانت تطلبُ فصارت تهرب
من الطلب الخ .

٤ — الإمام ابن حبيب الحلبي^(٣)

قطعة من كتابه نسيم الصبا ، الفصل السادس في البحر والنهر :

هزنتي رياح الأمل البسيط^(٤) ، إلى امتطاء ثبج^(٥) البحر المحيط ، فأتيتُ سفينة
يطيب للسفر مئواها ، وركبت فيها بسم الله مجراها ومرساها ، موقنا بأن المقدور
صائر ، معرضا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخشى علىَّ منه لعاطب^(٦)

طين أنا ، وهو ماء ، والطين في الماء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دُسر^(٧) وألواح ، تجري مع الرياح
وتطير بغير جناح ، وتعتاض عن الحادي^(٨) بالملاح ، تخوض وتلعب ؛ وتردُ
ولا تشرب ، لها قلاع كالقلاع^(٩) وشراع يحجب الشعاع ، وسكينة وسُكَّان^(١٠) .
ومكانة وإمكان ، وجوؤجؤ^(١١) وفقار ، وأضلاع محكمة بالقار^(١٢) ، وجسم عار

(١) تمهل من العجب : تهتز من الزهو والحيلاء .

(٢) تميد من العجب : تضطرب وتترززل من الدهشة والتجير .

(٣) المتوفى سنة ٧٧٩ هـ . (٤) البسيط : المبسوط الفسيح .

(٥) الثبج : وسط الشيء ومعظمه .

(٦) المعاطب : جمع معطب وهو موضع العطب والهلاك .

(٧) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة .

(٨) من يسوق الإبل ويعنى لها .

(٩) جمع قلعة . (١٠) سكان السفينة : دفتها .

(١١) الجؤجؤ : الصدر . (١٢) القار : الزفت .

عن الفؤاد ، وهو في عين الماء بمنزلة السواد ؛ بعيدة ما بين السحر^(١) والنحر ،
من أحسن الجوارى المنشآت في البحر ، معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تملُّ^٢
من سير النهار ولا من سُرى الليل .

مارأى الناس من قصور الماء ، سواها يسير سير القداح^(٢)

كأنها وعِلُّ^(٣) ينحط من شاقق ، أو عرباض^(٤) سابق يحثه سائق ، أو عقرب^٥
شائلة^(٥) ، أو عُقاب صائلة ، أو غراب أعصم ، أو تمساح أو أرقم ؛ أو ظليم^(٦)
نفر في الظلام ، أو جواد فرّ مستنكفاً من صحبة الأنام . حاكمها عادل في حكمه ،
عارف بنقض أمرها وبرمه ؛ يهتدى بالنجوم ، ويبتدى^٧ باسم الحى القيوم^(٧) ،
يبرز من نواتبها^(٨) في جنود ، ويشمل إحسانهم أهلها أيقاظاً وهم رقود ، يتأنقون
فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون :

يُكثرون الصياح حتى كأن الشُّنَّ نَ تجرى من خوف ذلك الصياح

(١) السحر : الرئة .

(٢) جمع قدح وهو السهم ، أى تنطلق مسرعة .

(٣) الوعل : تيس الجبل .

(٤) العرباض : الغليظ من الإبل .

(٥) شائلة : أى رافعة إبرتها التى تلسع بها

(٦) الظليم : ذكر النعام .

(٧) القيوم : من أسماءه تعالى ، ومعناه : الذى لا ندله ، أو القائم بذاته .

(٨) جمع نوتى : وهو الملاح في البحر .

٥ - شهاب الدين محمود الخفاجي (١)

« المقامة الساسانية »

حدثنا مالك بن دينار ، عن مسافر بن يسار ، قال : كنت والشباب غرابه
لا يطار ؛ وثمراته الجنية تُجنى من رياض الأخبار ، أهوى السياحة والناس ناس
والديار ديار ؛ والدهر غر لم يفتن لتلون الليل والنهار :

ولم أر يوماً في ظلام مَمَارِقِي شهاب مشيب لاح في الإبر منقِصاً

فَسِرْتِ فِي الْأَرْضِ لِأَنْظَرِ آثَارِ رَحْمَتِهِ ، وَأَرَى مَآثِرَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ فِي أَعْلَامِ
حَلَّتِهِ ؛ فَإِنْ مِنْ جَدٍّ وَجَدَ ؛ وَمَنْ تَوَانَى فَقَدْ فَقَدَ ؛ رَافِعاً عَصَا التَّسْيَارِ ؛ عَلَى كَاهِلِ
الاعتبار ؛ رَافِضاً الاستراحة في مهد الدعة ؛ مشيعاً قلباً فارق حبيباً ودَّعه ، فاطماً
أَمَلَا عَنْ دَرِّ أَنْسِ ارْتَضَعَهُ . أَضْرَبَ كُرَةَ الْأَرْضِ بِصَوْلْجَانِ الْهَمَةِ ؛ لِأَعْبَاءِ بِقَامَةِ
غَيْرِ قَائِمَةٍ وَهَمَةِ هَمَةٍ (٢) أَنْدَرَعَ بُرْدُ اللَّيْلِ ؛ لِأَنَّهُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، وَأَشَقَّ أَدِيمَ النَّهَارِ لِلسَّيْرِ
وَلَمْ أَقُلْ لَيْسَ لِلْعَصَا سَيْرٌ ، كَهَشِيمِ تَرْفَعُهُ أَعَاصِيرُ رِيحٍ تَدُورُ ، وَوَرِقِ جَفِّ فَأَلُوتَ بِهِ (٣)

(١) ولد في سرياقوس ، وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فالاستانة وكان من رجال
اللغة والأدب ، وله نوايف معروفة ، وهو ممن كتبوا المقامات . توفي سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) الهم والهمة بالكسر : الشيخ الفاني . أي همة ضعيفة .

(٣) ألوت به : أي طارت به . والصبا والدبور : ريحان .

الصَّبَا والدَّبُور . كَانَتِي عَلَى غُصْنِ بَانَةٍ خَضَلٌ ^(١) تَنْثِيهِ رِيحُ الصَّبَا هُنَا وَهُنَا أَوْ قَدَى
فِي عَيُونِ الْبِلَادِ ؛ أَوْ عَيْرٌ شَرُودٌ تَرْمِيهِ الرَّوَابِي لِلْوَهَادِ ^(٢) :

كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي مَتْنٍ مُوَجَّةٍ رَمْتَنِي بِحَارٍ مَا لَهْنٌ سَوَاحِلُ ^(٣)
حَتَّى أَتَيْتُ كُورَةَ خِرَاسَانَ ^(٤) ، فَإِذَا بِهَا قَيْلٌ ^(٥) نَصَبَ عَرْضَهُ لِيَسْهَمَ الْمَهْوَانَ ،
مَقْلِدًا فِي تَرْجِيحِ الْبِخْلِ مَذْهَبَ سَهْلِ بْنِ مَارُونَ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى (وَمَنْ
يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) فَطَوَيْتُ حَدِيثَهُ عَلَى عَرِّهِ ^(٦) ، وَأَتَيْتُهُ لِأَقْفِ
عَلَى جَلِيَّةٍ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا جُسْتُ خِلَالَ إِيوَانِهِ ، قَرَأْتُ عُنْوَانَ حَالِهِ عَلَى وُجُوهِ غُلَامَانِهِ
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَنْ أَمْتَرَى أَخْلَافَ دَرَّتِهِ ^(٧) ، وَشَبِيعَ مِنْ خُلَّتِهِ وَحَمَضَهُ ^(٨) بِرُؤْيَا
جَرَّتِهِ : يَا هَذَا صِنَاعَتُنَا وَاحِدَةٌ ، لَوْ لَمْ تَدْرُجْ مِنْ عُسْكَ كَانَتْ الرَّاحَةُ فَائِدَةً !

ثُمَّ قَالَ لِي : أَيُّ الْبِلَادِ تُهْدِي سَلَامَهَا ، وَأَيُّ زَهْرَةٍ تَحِيَّةٌ فَتَمَحَّتْ لَكَ النَّسِمَاتُ
أَكَامَهَا ؟ قُلْتُ : الْكِنَانَةُ الْمُعْزِيَّةُ ، وَالخَطَّةُ الَّتِي هِيَ فِي حَضَانَةِ نِيَاهَا مَحْمِيَّةٌ ، رِيَاضُهَا
تَحِيًّا بِأَنْهَارِهِ ، وَأَصَابِعُهُ ^(٩) تُشِيرُ لِكُنُوزِ خَضْبِ تَسْتَخْرِجُ مِنْ مَعَادِنِ أَقْطَارِهِ ، إِلَّا
أَنَّ أَصَابِعَ النَّاسِ فِي الرَّاحَةِ ^(١٠) وَالْأَيْدَى ، وَفِي أَصَابِعِهِ أَيْدٍ ^(١١) وَرَاحَةٌ لِكُلِّ

(١) الخضل : الندى المبتل .

(٢) العير : الحمار . والروابي : الأمكنة العالية . والوهاد : الأمكنة الواطية .

(٣) الوجناء : الناقة الشديدة .

(٤) الكورة : الناحية ، وتطلق على المدينة .

(٥) القيل : الأمير المتولى أمور الكورة .

(٦) العر : العيب والشر .

(٧) امترى : جذب الضرع للحلب . والأخلاف : جمع خلف ، وهو حلة ضرع الناقة

والدرة : اللبن أو سيلانه وكثرته .

(٨) الخلة : ما فيه حلاوة من النبات ، والحمض ما فيه ملوحة .

(٩) في الأصابع تورية ، لأنها تطلق على الأصابع المعروفة ، وعلى أجزاء يقاس بها النيل .

(١٠) الراحة : الكف .

(١١) الأيدى هنا : النعم والآلاء .

حاضر وباد . فإن سألت عن حالى فقؤادى بها فؤادُ أم موسى فارغٌ من آمالى .
وما حالُ ورْدَة فارقت نَسَمَاتِ القَبُولِ^(١) ؟ فحداها السَّمُومُ وقادها الذبول :

فتأمل كيف يَفْشَى مَقَلَّةُ المجدِ نَعَاسُ ؟

فأما حالُ سَكَّانِها وَمَن ألقى جرانه بأعطانها^(٢) ، فقد ذهب أربابُ الهممِ العاليةِ
ولم يبق إلا مَن يفتخر بالرَّمِّ الباليةِ ، رُوحُ الشومِ ، ونتيجة اللومِ ، وخليفة اليومِ ،
وبعينِ الله ما يصنع الليلُ والنهارُ — ويستُرُ الثوبُ والجِدارُ ، وما يستترُ فى ضمائرِ
البيوتِ ، وإن طال التحمُّلُ والسكوتُ . فكم بكت السماءُ أرضاً فقدت حبيباً ،
وساعدتها سحبُ أنتحبت بها نحيباً :

ولطَمَّتِ الخدودَ بها بروقٌ وشققت الرعودُ بها جُيوباً

فقل لمن أفتخر بالعظامِ ، ما وراءك يا عظام ؟

ولنعطفُ على هذا النسقِ ، لبيان من بَقِيَ منهم طَبَقاً على طبق^(٣) ، من أصنافِ
لا تَعُدُّ ، وأجناسِ لا تُرَمِّمُ ولا تُمَحِّدُّ : من كل سائلٍ بالإلحاحِ التَحَفِّ ، أو دارِ
بمزمارةٍ ودُفٍّ ، أو تغنى بأنكرِ الأصواتِ ، فتهق إذ رأى شيطاناً يدعى الكراماتِ
يُقيمُ بها المعتزلى دلائلَ إنكارِ الكرامةِ ؛ ويقول : هل علىَّ بعد هذا ملامة ؟ أو حاملِ
رايةٍ وعَلَمٍ ، جعل القناعةَ علماً لسقوطِ الهممِ . ومنهم من كبر وتكسرت قواريره^(٤)
وخبا نُوره حين هبتِ أعاصيره ، وهو أعظمهم جرماً ، وأقلهم ديناً وحزماً ، حُرٌّ

(١) القبول : ريح العصبا ، وهى تهب فى بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

(٤) يقال للشيخ الكبير : كبرت وتكسرت قواريره ، وهو من ألقاظ أهل بغداد ،

كانهم يصون لرفعة الظهر .

مُسْتَنْفَرَةٌ ، يقرءون القرآن في بقاع مُسْتَقْدَرَةٍ ، بين رَهْطٍ لا يتدبرون ولا يستمعون ولا يمثلون قول الله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .
وَتُجَارُ رَأْسُ مَا لَمْ يَفْلَسْ ، يضربون الأخماس للأسداس^(١) ، يَزْكَونُ كَذِبَهُمْ
بِالْإِيمَانِ الْفَاجِرَةِ ، فيربحون خسارة الدنيا والآخرة ، إن خاشنت أحدهم في تقاضيه ،
بأدر بالحليف على دينه فيقضيه .

يقول : أَسْتَمِعُ حَلْفَتِي كاذباً إذا ما اضطررتُ ، وفي الحال ضيقُ
وهل من جناح على مسلم يدافعُ بالله ما لا يطيق^(٢)
وقد فقد العلمُ لولا نفحةُ أنس من نفرِ بقايا ، ففتح الله بهم خزائن كنوز
هي خبايا في الزوايا : من كل نقيِّ العَرَضِ أبيضِ السجايا ، إذا تدانست الأعراض
فأعراضهم من العار عرايا :

أبدت ما أثرهم نقصَ الزمانِ في خدِّ الربيعِ طلوعُ الوردِ من خجل
سحت شوكتهم رياضاً في ربا الدين العوالي ، وأحيا الله بأنفاسهم العيسوية
مَوَاتَ المعالي . ولما شرح اللهُ بهم صدرَ الدين ، وفتح ببصائرهم عينَ اليقين ،
أيدهم بأبناء الأعيان من أمرائها فقالت^(٣) الخلافة تحت أفياء لوائها ، حتى حوهم
من نواب الختوف ، وزهت جنة متوهم تحت ظلال السيوف ؛ فصارت بهم
الأطراف ، من منازل الأشراف . ولهذا يشير البديع^(٤) ، بقوله في معنى بديع :
قيل لي : لمُ حِلست في طرفِ القومِ ، وأنت البديعُ رب القوافي

(١) يضرب أخماساً لأسداس : أي يسعى في المكر والخديعة ، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .

(٢) البيهتان لابن الرومي ، ورويان ببعض اختلاف في اللفظ .

(٣) قال يعقيل : نام وقت القائلة ؟ الظهر .

(٤) هو البديع الهمداني .

قلتُ : آثرتهُ ، لأن المفايدَ لَ يَ يرى طرُزُها على الأطراف
وكفاني من المفاخرِ أُنِي نازلٌ في منازلِ الأشرافِ
فَأَوَّوا من ذلك الظل لركن مُعْتَمَد ، ونزلوا فيه بين العلياء والسند . متّعنا
الله بهذه الدولة وجعلها أطولَ الدولِ عُمرًا ، وأرفعها منارًا وأعظمها قدرًا ، سماء
مجدهم مُكَلِّمة بنجوم تهتدي بها الأمانى ، ويستقر رجاء كل قلب عانى ^(١) ،
والدهر لسعدهم من الخدم ، وفيضُ أياديهم يُغني عن الدِّيم ^(٢) ، وسحبهم مُغْدِقَةٌ
على الراجين بالكرم :

قلتُ للبرق إذ تالق فيها : يا زنادَ السماء من أوراكا
إن تشبَّهت بالكرام وما قد كان من جودهم فلست هناكا
ومذ كَلَّتْ دُهُم ^(٣) الأفلام من المشى في الكتابة شكرتُ مشيها على الرؤوس ،
وقلتُ لا عِطَرَ بعد عروس ، فقد جف القلم ، وكل شيء بلغ الحدَّ أنتهى وتم .

(١) العانى . الذى تغلبت عليه الهموم فصار أسيرها .

(٢) الدِّيم : جمع ديمة ، وهى المطر يتتابع .

(٣) جمع أدهم ، وهو الفرس الأسود ، وقد حسن تشبيهه القلم بالأدهم ، لأن الكتابة

غالبًا تكون بالمداد الأسود .

ثانياً - النشر العلمي

١ - الشيخ كمال الدين الدميري^(١)

قطعة من كتابه « حياة الحيوان » :

(الْحَمَامُ^(٢)) قال الجوهري هو عند العرب ذوات الأطواق ، نحو الفواخت^(٣) والقُمَارِي^(٤) وساق حُرٌّ والقَطَا والوَرَّاشِين^(٥) وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ، لأن الماء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للأنثى ، وعند العامة أنها الدواجن فقط ، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامةً دعت ساقَ حُرٍّ بُرْهَةً فترنماً

والحمامة هنا : القُمرية . وقال الأَصْمَعِيُّ في قول النابغة :

واحكمُ كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شرع وارد التمد^(٦)
قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فأنقوه كما زعمت : تسعاً وتسعين لم ينقص ولم يزد

(١) توفي سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) جمع فاخنة . وهي الحمامة ذات الطوق

(٣) جمع قمرية بضم القاف .

(٤) ذكر القمارى .

(٥) مفردة ورشان بالتحريك ، وهو طائر من نوع الحمام .

(٦) التمد الماء القليل .

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد في مضيق الجبل ، فقالت : ياليت
هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطة أهلنا ، فيكمل لنا مائة قطة ؛ فأتبعت
وعُدت على الماء فإذا هي ست وستون ، قال أبو عبيدة : رأته عن مسيرة ثلاثة
أيام ، وأرادت بالحمام القطا ، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأموي : الدواجن التي
تستفرخ في البيوت تسمى حماماً أيضاً . وأنشد للعجاج :

إني وربّ البلد المحرّم والقاطنات البيت عند زمزم

* قواطنا مكة من ورق اللحم *

يريد الحمام : جمع الحمامة حمام وحمامات وحمامات . وربما قالوا حمام المفرد .
قال جرّان العود :

وذكرني الصبأ بعد ألتناني حمامة أيكّة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير الكبير : إن اليمام هو الحمام البرّي ،
الواحدة يمامة ؛ وهو ضروب . والفروق بين الحمام الذي عندنا واليمام أن أسفل ذنب
الحمامة مما يلي ظهرها فيه بياض ، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه ، انتهى . ونقل
النوّوي في التحرير عن الأصمعي : أن كل ذات طوق فهي حمام . والمراد بالطوق
الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة في طوقها . وكان الكسائي يقول :
الحمام هو البرّي ، واليمام الذي يأنف البيوت ؛ والصواب ما قاله الأصمعي . ونقل
الأزهري عن الشافعي : كل ما عبّ وهدر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام ، والعبّ
بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفّس ؛ قال ابن سيده : يقال في الطائر :
عبّ ، ولا يقال : شرب ، والهدير : ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له ؛

قال الرافعي : والأشبه أن ما عب هدر ، قال : فلو اقتصروا في تفسير الحمام على اللعب
لكفاهم ؛ ويدل عليه أن الإمام الشافعي قال في عيون المسائل : وما عب من الماء عباً
فهو حمام ، وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام .

٢ - ابن خلدون^(١)

فصل من مقدمته في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته :

اعلم أن تلقين العلوم للتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً ،
وقليلاً قليلاً ، يُلقى^(٢) عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك
الباب ، ويُقَرَّبُ له في شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله
واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي إلى آخر الفن . وعند ذلك يحصل له
مَلَكة في ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتها أنها هيئاته لفهم الفن ، وتحصيل
مسائله . ثم يَرْجِعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ،
ويستوفي الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر ما هنالك من الخلاف
ووجهه ، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن ؛ فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا^(٣) ، فلا يترك
عويصاً ولا مبهماً ولا مُعَلِّقاً إلا وضحجه ، وفتح له مُعَلِّقَه فيخاص من الفن وقد استولى
على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد ، وهو — كما رأيت — إنما يحصل في ثلاث تكرارات ،

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه
ومقدمته التي نقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ . وتعلم هناك وترقى في مناصب
عدة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) أي المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتي : وعليه أي على المتعلم .

(٣) شدا : أخذ طرفاً من الأدب .

وقد يحصل البعض في أقل من ذلك بحسب ما يُخَلَق له ويتيسر عليه . وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويُحَضِّرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المُقَفَّلة من العلم ، وبطالبنونه بإحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفونه وَعَى ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعدَّ لفهمها ، فإنَّ قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجياً ؛ ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرَّج قليلاً قليلاً بمخالفة^(١) مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ؛ والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه ، حتى تتم الملكة في الاستعداد ، ثم في التحصيل ؛ ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا أُلقيت عليه الغايات في البدايات ، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى ، وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه ، وانحرف عن قبوله ، وتمادى في هجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

٣ - المقرئى^(٢)

من خطبة كتابه : « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » :
وبعد ، فإن علم التاريخ من أجلّ العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانة
وخطراً ، لما يحويه من المواعظ والإنذار ، بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار ،

(١) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

(٢) هو تقي الدين المقرئى المولود سنة ٧٦٦ هـ . وكان شاعراً كاتباً مؤرخاً توفى

والاطلاع على مكارم الأخلاق لِيُقْتَدَى بِهَا ، واستعلام مَدَامَ الفعالم لِيَرْغَبَ عنها
أولو الهوى . لا جَرَمَ أن كانت الأنفس الفاضلة به وامقة^(١) ، والهيمُ العالية إليه
مائلة وله عاشقة . وقد صنف الأئمة فيه كثيراً وضمن الأجلة كتبهم منه شيئاً كبيراً .

وكانت مصر هي مسقط رأسي ، وملعب أترابي ، ومجمع ناسي ، ومغنى عشيرتي
وحامتي^(٢) ، وموطن خاصتي ، وعامتي ، وجوِّي الذي رآني جناحي في وكره ، وعش
ماربي فلا تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت مذشودت العلم ، وآتاني ربي الفطانة
والفهم ، أرغب في معرفة أخبارها ، وأحب الإشراف على الكثير من آثارها ،
وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ؛ فقيدتُ بخطي في الأعوام الكثيرة
من ذلك فوائد قلما يجمعها كتاب ، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب ؛ إلا أنها
ليست بمرتبة على منوال ، ولا مهذبة بطريقة واحدة ومثال . فأردتُ أن أخلص
منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية ، عن الأمم الماضية والقرون الخالية ؛
وما بقي بفسطاط مصر من معاهد غيرها - أو كاد - البلى والقدم ، ولم يبق إلا أن
يحورسها الفناء والعدم ؛ وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار العصور الزاهرة ، وما اشتملت
عليه من الخطط والأصقاع ، وحوته من المباني البديعة والأوضاع ؛ مع التعريف
بمال من أسس ذلك من أعيان الأمثال ، والتنويه بذكرى الذي شادها من سراة
الأعظم الأفاضل ؛ وأثر خلال ذلك نكتاً لطيفة ، وحكماً بديعة شريفة ، من غير
إطالة ولا إكثار ، ولا إحجاف يُخل بالعرض ولا اختصار ، بل وسط بين الطرفين ،
وطريق بين بين . . . الخ .

(١) وامقة : محببة .

(٢) الحامة . خاصة الرجل من أهله وولده .

٤ - شمس الدين محمد النواجي^(١)

قطعة من كتابه « حلبة الحكيم » في أنواع الرياح وخصائصها :

والنسيم هي الريح الطيبة ، ونسيم الريح أولها حين تُقبل بلين قبل اشتدادها ،
وفي الحديث : « بُعِثَتْ فِي نَسِيمِ السَّاعَةِ » أي حين ابتدأت وأقبلت ، وما أحسن
قول بعضهم : نَسِيمُ الرِّيحِ نَسِيمُ الرُّوحِ ، والرياح المعروفة أربع ، الصبا وتسمى
القبول وهي تنفّس عن المكروب ، والجنوب وهي تجمع السحاب ، والشمال وهي
تمرّقه ، والدبور وهي تهدم البنيان ، وتقلع الشجر ، وهي القاصف والصرصر .
وكل ما في القرآن من لفظ الريح ، فالمراد به الدبور ، ولازمها العقوبة ، وكل
ما فيه من لفظ الرياح فهي راجعة إلى الثلاثة الأولى ، ويراد بها الرحمة . ومن
الحديث : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادَ بِالدَّبُورِ » . وقيل الرياح ثمانية : أربع
في الجهات الأربع ، وأربع تسمى النكباء ليلها ونكبتها عن الجهات الأربع ،
والشمال من ناحية الشام ، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق ، فهبوبها
من تحت بنات نعش ، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر ،
تشد الأعضاء ، وتسد المسام ، وتحصر الحرارة في الباطن ، فينهضم الغذاء وتصفو
بها كدورة الروح الحيواني ، الذي في القلب من الأبخرة الدخانية وتديم الصحة ،
وتقوى حواس الدماغ ، وذلك إذا وصلت إلى الجسم باعتدال ، وهي قليلة الهبوب
ليلا ، وكان الصاحب بن عباد يترنم بقول أبي فراس :

هَبَّتْ لَنَا رِيحٌ شَمَالِيَّةٌ مَتَّتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابِ

(١) ينسب إلى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع في الأدب

والشعر وله عدة مؤلفات وتوفي سنة ٨٥٩ هـ .

أدت رسالات الهوى بيننا عرفتها من بين أصحابي

قلت : والله إن صاحب بن عبّاد لمعذور ، فإن هذا مما يريح الجواد ،
وتجمع الشمال على شمائل ، ولذلك يحسن فيه التورية . ومنه قول الشيخ تقي الدين
ابن حجة :

جاد النسيمُ على الرُّبَا بِنْدَى يديه وقال لي :
أنا ما أقصّر عن نَدَى وكما علمت شمائلي

والصَّبَا تَهَبُّ من مطلع الشمس وتُسمى القبول ، ويقابلها الدَّبور وهي معتدلة
ولا سيما إن هَبَّت قبل طلوع الشمس في زمن الربيع ، وهي لطيفة صافية ، تذكى
الأذهان ، وتنفع الأبدان ، وتبسُّط الأخلاق ، لا سيما إن مرت بمُرُوج الأزهار
فإنها تحمل قواها إلى القلب والدماغ . . الخ .

٥ - ابن خلكان^(١)

قطعة من كتابه « وفيات الأعيان » :

كتب يترجم لأبي طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي قاسم بن زيادة
الشييباني البغدادي المتوفى سنة ٥٨٣ هـ :

كان من الأعيان الأمائل^(٢) ، والصدور الأفاضل ، أنتهت إليه المعرفة بأمر

(١) هو قاضي القضاة شمس الدين الأربلي . ولد سنة ٦٠٨ هـ . ثم تنقل في البلاد حتى
نزله دمشق سنة ٦٣٣ هـ . وتولى قضاء الشام ودرس في عدة مدارس . وتوفى سنة ٦٨١ هـ .
اشتهر بكتابه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » وهو كتاب مفيد في تاريخ الأشخاص .
(٢) الأمائل : جمع أمثل أي أفضل .

الكتابة والإنشاء والحساب ، مع مشاركته في النقش وعلم الكلام^(١) والأصول وغير ذلك . وله النظم الجيد . جالسَ أبا منصور بن الجواليقي ، وقرأ عليه وعلى من بعده ، وسمع الحديث من جماعة . وخدم الديوان — من صباح إلى أن تُوُفِّيَ عدّة خدمات . وكان مليح العبارة في الإنشاء ، جيد الفكرة حلو التصنيع ، لطيف الإشارة . وكان الغالب في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب السجع . وله رسائل بليغة ، وشعر رائق ، وفضله أكثر من أن يذكر . وتولى النظرَ بديوان البصرة وواسط والحلة ، ولم يزل على ذلك إلى المحرم سنة ٥٧٥ هـ . ورُتّبَ حاجباً بباب المتولى ، وقُدِّدَ النظرَ في المظالم ثم عُزل عن ذلك .

٦ — الديار بكرى^(٢)

وصف استيلاء التتار على بغداد ، من كتابه : « الخميس ، في أحوال أنفس نفيس » .

وفي سنة أربع وخمسين وستائة خرج الطاغية العنيد مبيد الأمم هولاءكو ، فأخذ قلعة الموت من الإسماعيلية ، وقتلهم وأخرب نواحي الري ، وبذلت السيوف على عوائدهم ، فتوجه الكامل محمد ، صاحب مَيّافارقين ، إلى خدمة هولاءكو : فأعطاه الفرمان ، ثم نزل هولاءكو بأذربيجان وأخذها .

وفي أول سنة خمس وخمسين وستائة ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنية

(١) علم الكلام : علم التوحيد .

(٢) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، نسبة إلى ديار بكر ، تولى قضاء مكة ،

وتوفي بها سنة ٩٨٢ هـ .

والرافضة أدت إلى نهبٍ عظيمٍ وخرابٍ ، وقتلِ عِدَّةٍ من الرافضة ، فغضب لها وتنمر ابن العلقمي الوزير ، وجسّر التتارَ على العراق ليشتفي من السنيّة .

وفي أول سنة ست وخمسين وستائنه وصل الطاغية هولاءكو ، ابن تولى ابن جنكيزخان المغولي ، بغدادَ بجيوشه وبالكراجه وبمسكر الموصل ، فخرج اللويدار بالمسكر ، فالتقى بطلائع هولاءكو وعليهم ياجنوس ، فانكسر المسلمون لقتلهم ، ثم أقبل ياجنوس فنزل على بغداد من غربيها ، ونزل هولاءكو من شرقيها . فقال الوزير ابن العلقمي خليفة المستعصم بالله : إني أخرج إلى القاءان الأعظم في تقرير الصلح . فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال : إن القاءان قد رغب في أن يزوج بنته بابنك . وأن تكون الطاعة له كالمملك السلاجوقية ويرحل عنك ، فخرج المستعصم في أعيان دولته وأكابر الوقت ليحضروا العقد ، فضربت رقاب الجميع وقتلوا الخليفة : ورفسوه حتى مات . ودخلت التتار بغداد واقتسموها ، وأخذ كل ناحية وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوماً ، وقلّ من سلم ، فبلغت القتلى ألف ألفٍ وتمائة ألفٍ وزيادة . فعند ذلك نادوا بالأمان ، ثم أمر هولاءكو بضرب عنق ياجنوس ، لكونه كاتب الخليفة ، وأرسل إلى صاحب الشام يهدده إن لم يخرب أسوار بلاده .

أكذا في « دول الإسلام » .

وفي تاريخ الجمالي يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لما ولي الخلافة لم يتوثق أمره ؛ لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازل المهمة ، مهملاً للأمر المهمة ، محباً لجمع المال . أهل أمر هولاءكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمي ، حتى كان في ذلك هلاكه وهلاك الرعية ، فإن وزيره ابن العلقمي الراضى كان

كتب كتاباً إلى هولاءكو ملك التتار في الدشت : إنك تحضر إلى بغداد وأنا
أسلمها لك ، وكان قد داخل قلب اللعين الكفر . فكتب هولاءكو : إن عساكر
بغداد كثيرة ، فإن كنت صادقاً فيما قلت ، وداخلاً في طاعتنا ، فرق عساكر
بغداد ونحن نحضر ، فلما وصل كتابه إلى الوزير ، دخل إلى المستعصم وقال :
إن جنودك كثيرة وعليك كلفة كبيرة ، والعدو قد رجع من بلاد العجم ، والصواب
أنك تعطى دستوراً لخمس عشرة ألفاً من عساكرك ، وتوفر معلومهم ، فأجابته
المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ، ثم نفاهم
من بغداد ومنعهم من الإقامة بها . ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم
عشرين ألفاً من الديوان ، ثم كتب إلى هولاءكو بما فعل . وكان قصد الوزير
بمجيء التتار أشياء منها : أنه كان رافضياً خبيثاً ، وأراد أن ينقل الخلافة من
بنى العباس إلى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم ،
فأفكر أن هولاءكو إذا قدم يقتل المستعصم وأتباعه ثم يعود إلى حال سبيله ،
وقد زالت شوكة بنى العباس ، وقد بقي هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر
وتدبير المملوكة ، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الراضية من غير ممانع لضعف
العساكر ولقوته ، ثم يضع السيف في أهل السنة .

فهذا كان قصده لعنه الله .

ولما بلغ هولاءكو ما فعل الوزير ببغداد ركب وقصدها إلى أن نزل عليها ،
وصار المستعصم يستدعى العساكر ويتجهز لحرب هولاءكو ، وقد اجتمع أهل
بغداد وتحالفوا على قتال هولاءكو ، وخرجوا إلى ظاهر بغداد ، ومشى عليهم
هولاءكو بعساكره فقاتلوه قتالاً شديداً ، وصبر كل من الطائفتين صبراً عظيماً ،
وكثر الجرحى والقتلى في الفريقين ، إلى أن نصر الله تعالى عساكر بغداد وانكسر

هولاكو أقبح كسرة ، وانساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة ، وعادوا بالأسرى وروعس القتلى إلى ظاهر بغداد ، ونزلوا بخيامهم مطمئنين بهروب العدو ، فأرسل الوزير ابن العلقمي في تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا شطر الدجلة . فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون ، ففرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم ، وصار السعيد منهم من لقي فرساً يركبها . وكان الوزير قد أرسل إلى هولاكو يعرفه بما فعل ، وأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعت عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من يردم ، فلما أصبحوا استولوا على بغداد ، وبذلوا فيها السيف ووقع منهم ما يطول شرحه .

والمقصود أن هولاكو استولى على بغداد وأخذ المستعصم أسيراً ، ثم بذل السيف في المسلمين ، فلم يرحم شيخاً كبيراً لكبره ولا صغيراً لصغره .

ولما أخذ الخليفة أسيراً هو وولده أحضر بين يديه ، وأمر به هولاكو ، فأخرج من بغداد وأنزله بمخيم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم في عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده في عدلين^(١) وأمر التتار برفسهما إلى أن ماتا في الحرم سنة ست وخمسين وستائة ، ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ما قل ولا ما جل . ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها ، حتى قيل إن عدة من قتل في نوبة هولاكو يزيد على ألف ألف وثلاثين ألف إنسان . وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا ، وبقيت الدنيا بلا خلافة سنين إلى أن أقام الملك الظاهر بيبرس البندقداري بعض بني العباس في الخلافة حسبما يأتي ذكره على سبيل الاختصار .

(١) العدل بكسر العين : الجواق : الشوال .

وكانت خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وتقدير عمره سبع وأربعون سنة . وزالت الخلافة من بغداد .

قال الشاعر :

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهمُ حتى الممات سلام

أما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف في أهل السنة ، فجاءوا بخلاف ما أراد ، وبذلوا السيف في أهل السنة والرافضة كلهم وهو في منصبه مع الذل والهوان ، وهو يظهر قوة النفس والفرح وأنه بلغ مراده فلم يلبث أن أمسكه هولاء كوا بعد قتل المستعصم بأيام ووجهه بالفاظ شنيعة معناها : أنه لم يكن له خير في مخدمه ولا في دينه ، فكيف يكون له خير في هولاء كوا ؟ ثم إنه قتله شر قتلة ، في أوائل سنة سبع وخمسين وستائة . إلى سقر ، لا دنيا ولا آخرة !

٧ - الشيخ شهاب الدين الأبهسي^(١)

قطعة من كتابه « المستطرف ، من كل فن مستظرف » في علو الهمة

وشرف النفس :

أما علو الهمة فهو أصل الرياسة ، فمن علت همته ، وشرفت نفسه فحارة بن حمزة قيل إنه دخل يوماً على المنصور وقعد في مجلسه ، فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبتني ضيعتني ! فقال المنصور : يا عمارة قم فاقعد مع خصمك ، فقال : ما هو لي بخصم ، إن كانت

(١) من أدباء النصف الأول من القرن التاسع .

الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ورفعني ، وأقعد أدنى منه ، لأجل ضيعة !

وتحدث السفاحُ هو وأم سامة يوماً في نزاهة نفس عمارة وكبره ، فقالت له : ادع به وأنا أهبُ له سُبْحَتِي هذه ، فإن تمها خمسون ألف دينار ، فإن هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس . فوجه إليه الدعوة فحضر فحادثته ساعة ثم رمت إليه بالسبحة وقالت هي من الطرف ، وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ، ثم قام وتركها فقالت : لعله نسيها . فبعثت بها إليه مع خادم ، فقال للخادم : هي لك . فرجع الخادم ، فقال : قد وهبها لي ، فأعطت أم سامة للخادم ألف دينار ، واستعادتها منه .

وأهدى عبيد الله بن السري إلى عبد الله بن طاهر لما ولي مصر مائة وصيف ، مع كل وصيف ألف دينار ، ووجه إليه بذلك ليلاً ، فرده وكتب إليه : لو قبلت هديتك ليلاً لقبلتها نهاراً ، فما آتاني الله خيراً مما آتاكم ، بل أنتم هديتكم تفرحون .

(وكان) سببُ فتح المعتصم عموريةً أن امرأةً من الثغر سببت فنادت : واحمداه ! وامعتصماه ! فبلغه الخبر . فركب لوقته ، وتبعه الجيش . فلما فتحها قال : لبيك أيتها المنادية !

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة^(١) وهمة ، قيل له في مرضه : إن المريض يستريح إلى الأنين ، وإلى شرح مابه إلى الطبيب . فقال : أما الأنين فهو جزع وعار ، والله لا يسمع الله مني أنينا ، فأكون عنده جزوعاً . وأما وصف ما بي إلى الطبيب فوالله لا يحكم غيرُ الله في نفسي ، إن شاء أمسكها ، وإن شاء قبضها .

(١) النخوة : الافتخار والتعظم ، يريد هنا : شجاعة النفس .

ومن كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة ، فكان يأكل الحنظل حتى قتله ، ولم يخبر أحداً بحاجته .

ومن الشرف والرياسة : حفظ الجوار وحمى الدمار^(١) . وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو إليه ، وحقا واجبا تحافظ عليه . وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا إنك اخترتني حارا ، واخترت داري دارا ، فجنابة يدك علىّ دونك ، وإن جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبي على أهله^(٢) .

وكان الفرزدق يُجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة ، فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بني جعفر بن كلاب ، خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر أن يُسميها وينسبها ، فعادت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال : عجوزٌ تصلى الخمس عادت بغالب فلا والذي عادت به لا أضيرها وقال مروان بن أبي حفصة :
هُمُ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَمَّا لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاكِينِ^(٣) مَنْزِلُ

(١) الدمار : كل ما يلزمك حمايته من أهل الوطن .

(٢) أي اقض بما شئت ، فجن نازلون على حكمك .

(٣) السماكان : كوكبان نيران ، يقان لأحدهما السماك الرامح والآخر السماك الأعزل .

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الثالث

للسنة الثالثة الثانوية

جمعه وشرحه

على الجارم

أحمد أمين

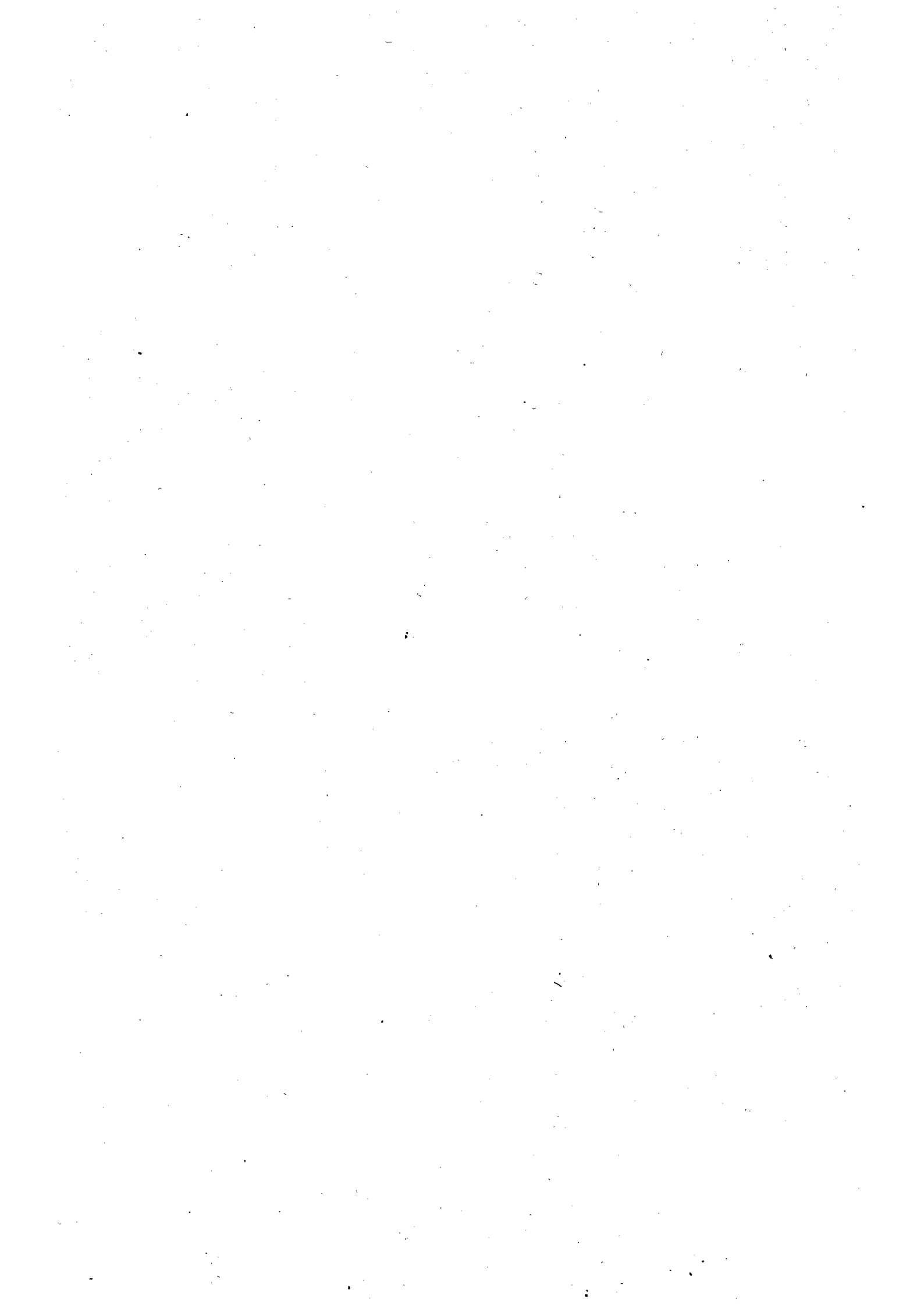
أحمد الإسكندري

الدكتور أحمد ضيف

عبد العزيز البشري

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي النياوي



(أ) النثر :

	أولاً - النثر الفنى ...
	تعزية لابن المقفع ...
	وله من الأدب الصغير
٢	أحمد بن يوسف...
٣	كتب يهنيء بمولود
٣	وكتب أيضاً تهنية بظفر
٤	وكتب فى الذم ...
٥	ومن توقيعاته ما وجهه إلى عالم ظالم
٥	الحسن بن سهل ...
٥	ما كتبه إلى محمد بن سماعة القاضى
٦	محمد بن عبد الرحمن الهاشمى
٩	الصولى ...
٩	من رسائله فى تعزية على لسان المنتصر بالله
١٠	ومن رسائله القصار على لسان المتوكل لأهل حصص الخارجين عليه ...
١١	وكتب إلى ابن الزيات يستعطفه
١٢	ثانياً - النثر العلمى
١٢	أبو يوسف ...
١٢	قال فى كتاب الحراج
١٣	من كتاب التاج المنسوب للإجاحظ
١٤	من كتاب الكامل للمبرد
١٦	من تاريخ الأمم والملوك للطبرى (خلافة الأمين)
١٧	من كتاب ألف ليلة وليلة (حكاية خالد بن عبد الله القسرى مع الشاب السارق)

(ب) الشعر :

٢٢	بشار بن برد ...
٢٢	قال يهجو العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقد استمنحه فلم يمنعه
٢٣	وقال يتغزل وقد نهاه الخليفة المهدي عن الغزل
٢٤	قال يروى ولدأ له
٢٤	ومن قوله يصف جيشاً من قصيدة يمدح بها عمر بن هبيرة حين وفد عليه بالعراق ...

٢٦
٢٦	الأمر لبني العباس
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣٠	باس
٣٢	ة لابنه الهادي
٣٣
٣٣	برشيد إلى خراسان وطال مقامه بها
٣٥	أبو نواس
٣٥	قال يصف الخمر
٣٦	وقال أيضاً في الخمر
٣٧	قال يمدح الخليفة محمد الأمين
٣٩	قال يصف ناقة
٤٠	وقال في الطرد ينعت كلب صيد
٤١	وقال يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور
٤٥	أبان اللاحق
٤٥	من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بني العباس على حقهم في الخلافة
٤٦	ما بعث به إلى الفضل بن يحيى
٤٧	مسلم بن الوليد
٤٨	قال يهجو دعبل بن علي الخزاعي الشاعر
٤٨	من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلب
٥٠	وقال من وزن مولد
٥٧	أبو العتاهية
٥٩	ما قاله لما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة
٦٠	وقال في الغزل
٦١	جملة من أمثاله
٦٢	أبو تمام
٦٢	وقال يمدح المعتصم بالله ويذكر فتح عمورية
٦٩	وقال يمدح عبد الله بن طاهر بن الحسين
٧٠	وقال يمدح أحمد بن المعتصم
٧١	وقال يمدح الحسن بن رجاء
٧٢	وقال في وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات
٧٣	وقال يرثي محمد بن حميد الطوسي

صفحة										
١٤٥	ابن وهبون
١٤٦	قال يصف النيلوفر
١٤٦	ابن خفاجة الأندلسي
١٤٦	قال في الاعتبار ويصف ليلا وجيلا
١٤٩	وقال في طول الليل
١٤٩	ابن سهل الأندلسي
١٤٩	من قصيدة
١٥٠	وقال في توشيح له
١٥٢	معارضة أبي عبد الله الخطيب توشيح ابن سهل

المغرب وممالك البربر

النثر :

١٥٤	(أ) النثر الفني
١٥٤	التلمساني
١٥٤	قال في الفراق
١٥٦	(ب) النثر العلمي
١٥٦	ابن شرف القيرواني
١٥٦	فصل من كتابه أعلام الكلام
										(ح) الشعر :
١٥٨	علي بن محمد الأيادي
١٥٨	قال يصف أسطول القائم الفاطمي
١٦٠	إبراهيم الرقيق بن القاسم القيرواني
١٦٠	قال يتشوق إلى مصر ومعاينه بها
١٦١	أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز
١٦١	قال يتغزل
١٦٢	إبراهيم بن علي الحصري
١٦٢	ابن رشيق القيرواني
١٦٤	ابن شرف القيرواني
١٦٤	قوله في العود
١٦٥	عبد الجبار بن حمديس
١٦٥	قال يصف بركة يجرى إليها الماء
١٦١	قال يصف داراً بناها المعتمد بن عباد



(١) النثر

أولاً - النثر الفنى

(١) تعزية لابن المقفع (١) :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمْرَ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا بِيَدِ اللَّهِ ، هُوَ يُدَبِّرُهُمَا وَيَقْضِي فِيهِمَا مَا يَشَاءُ ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلَا مُعَقِّبَ (٢) لِحُكْمِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ بَعْدَ الْحَيَاةِ لئَلَّا يَطْمَعَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي خُلْدِ الدُّنْيَا ، وَوَقَّتَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِيقَاتَ أَجَلٍ ، لَا يَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَيَقِّنٌ بِالْمَوْتِ ، لَا يَرْجُو أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ ، نَسَأَلُ اللَّهَ خَيْرَ الْمُنْقَلَبِ (٣) ، وَبَلَّغْنِي وَفَاةً فَلَانَ فَكَانَتْ وَفَاتَهُ مِنَ الْمَصَائِبِ الْعِظَامِ الَّتِي يُحْتَسَبُ (٤) ثَوَابُهَا مِنْ رَبِّنَا الَّذِي إِلَيْهِ مُنْقَلِبُنَا وَمَعَادُنَا ، وَعَلَيْهِ ثَوَابُنَا . فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ لِأَهْلِ الصَّبْرِ صَلَوَاتٍ (٥) مِنْهُ وَرَحْمَةً وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ .

(١) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب ولد سنة ١٠٦ هـ. ونشأ بالبصرة. وكان أبوه مجوسياً يجمع خراج بلاد فارس للحجاج بن يوسف الثقفى. وبقى ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية ثم أسلم فى آخر عمره وتعلم صناعة الكتابة وبرع فى ذلك وكتب لكثير من الأمراء. وكان غاية فى الذكاء واشتهر ابن المقفع ببلاغته ورشاقته عبارته وأسلوبه السهل المتنوع وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين وقد اشتهر بكتابه (كليلة ودمنة) ومات مقتولاً سنة ١٤٢ هـ.

(٢) عقب الحاكم على حكم سلفه حكم بعده بغير حكمه. يريد هنا أن حكم الله لا ينقض.

(٣) المنقلب: المرجع، يقال: كل امرئ يصير إلى منقلبه.

(٤) احتسب أجره عند الله: قدمه.

(٥) المراد بالصلاة هنا الرحمة. يشير إلى قوله تعالى: «وبشر الصابرين» الآية.

وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ الصَّغِيرِ :

مِنْ أَشَدِّ عِيُوبِ الْإِنْسَانِ خَفَاءَ عِيُوبِهِ عَلَيْهِ . فَإِنْ مِنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ
خَفِيَتْ عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ ، فَلَنْ يُقْلَعَ (١) عَنْ عَيْبِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ وَلَنْ يَنَالَ
مَحَاسِنَ غَيْرِهِ .

لَا يُؤْمِنَنَّكَ شَرَّ الْجَاهِلِ قَرَابَةٌ وَلَا جَوَارٌ وَلَا إِلْفٌ (٢) فَإِنْ أَخُوفَ مَا يَكُونُ
الْإِنْسَانِ لِحْرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا (٣) . وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ إِنْ جَاوَرَكَ
أَنْصَبَكَ (٤) ، وَإِنْ نَاسَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ . وَإِنْ أَلْفَكَ سَمَلٌ عَلَيْكَ مَا لَا تُطِيقُ ،
وَإِنْ عَاشَرَكَ آذَاكَ وَأَخَافَكَ . مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الْجُوعِ سَبْعٌ ضَارٌّ (٥) ، وَعِنْدَ
الشَّبَعِ مَلِكٌ فَظٌ ، وَعِنْدَ الْمُوَافَقَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ إِلَى جَهَنَّمَ . فَأَنْتَ بِالْهَرْبِ
مِنْهُ أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرْبِ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ (٦) وَالْحْرِيقِ الْمَخُوفِ وَالِدِّينِ الْفَادِحِ (٧)
وَالدَّاءِ الْعِيَاءِ (٨) . . .

(١) أقلع عن عيبه : كفا عنه وتركه .

(٢) الالف بكسر الهمزة وسكون اللام . والالفة : بضم الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء : الصداقة

(٣) أى يشتد خوف الانسان من النار حين يشتد قربه منها فكذلك الجاهل تخافه اذا كان ذاصلة

قوية بك . وهذا تمثيل .

(٤) أنصبه : أتعبه وأعياه .

(٥) الضارى من الحيوانات كالأسد والنمر : ما تعود أكل الصيد وأولع به .

(٦) الأساود : مفردة أسود ، وهو الحية العظيمة السوداء .

(٧) فدحه الحمل أو الدين : أثقله وبهظه . والفادح : الصعب المثل . يقال نزل به أمر فادح ،

وركبه دين فادح .

(٨) داء عياء بفتح العين : لا يبرأ منه المريض .

(٢) أحمد بن يوسف^(١)

كتب يهنئ بمولود :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَيْسَ مِنْ أَمْرٍ يَجْعَلُ اللَّهُ لَكَ فِيهِ سُرُورًا إِلَّا كُنْتُ بِهِ بِهِجًا
أَعْتَدُ^(٢) فِيهِ بِالنِّعْمَةِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ ؛ وَعَرَّفَنِي مِنْ جَمِيلِ
رَأْيِكَ . فَزَادَكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَأَدَامَ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ . وَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ
لَكَ غَلَامًا سَرِيًّا^(٣) أَجْمَلَ صُورَتَهُ ، وَأَتَمَّ خَلْقَهُ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ الْبَلَاءَ^(٤) عِنْدَكَ
فَأَشْتَدُّ سُرُورِي بِذَلِكَ . وَأَكْثَرْتُ حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ . فَبَارَكَ اللَّهُ فِيهِ وَجَمَلَهُ
بَارًا^(٥) تَقِيًّا يَشُدُّ^(٦) عَضْدَكَ ، وَيُكْثِرُ عَدَدَكَ ، وَيُقِرُّ^(٧) عَيْنَكَ .

وكتب أيضاً تهنئة بظفر :

بَلَّغَنِي — فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ — خُرُوجَ ابْنِ السَّرِيِّ إِلَيْكَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاصِرِ
لِدِينِهِ ، الْمُعَزِّزِ لَوْلِيِّهِ وَخَلِيفَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، الْمُدِلِّ لِمَنْ صَدَّ^(٨) عَنْ حَقِّهِ وَرَغِبَ^(٩)

(١) هو أحمد بن يوسف كاتب دولة بنى العباس ويقولون : أن أصل آبائه من قبض مصر وكانوا كتابا لبنى العباس فنشأ أحمد بن يوسف في بيت علم وأدب وشب على الكتابة . وكان من أبلغ الكتاب والشعراء واشتهر في زمن المأمون فله كتب بليغة وكثير من الرسائل الديوانية والاخوانية . وكانت طريقته في الكتابة تميل الى التوسع في المعاني والأساليب والمبارات وجزالة الالفاظ وتطويل الرسائل السلطانية ، وكان يتولى ديوان الرسائل لمأمون حتى غضب عليه غضبة مات منها . سنة ٢١٣ هـ .

(٢) أي أعد ذلك نعمة من الله .

(٣) السرى : الظريف .

(٤) البلاء هنا : الاختبار .

(٥) باراً : صالحاً مطيعاً .

(٦) العصد : يفتح العين وضم الضاد ما بين المرفق الى الكنف يريد بذلك أن يكون قوة له .

(٧) قربت عينه : بردت سرورا . وجف دمعها : يريد بذلك أن يكون من وسائل السعادة والسرور له .

(٨) صدّه عن كذا : صرفه ومنعه . يريد أن الله يدل من وقف في سبيل الحق .

(٩) رغب عنه : أعرض عنه وتمركه .

عَنْ طَاعَتِهِ وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُظَاهِرَ (١) النَّعْمَ ، وَيَفْتَحَ بُلْدَانَ الشَّرِكِ (٢) بِكَ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَالَاكَ (٣) مُنْذُ ظَعَنْتَ (٤) لَوَجْهِكَ ، فَإِنَّا نَمْتَدَا كُرْ سِيرَتَكَ
فِي حَرْبِكَ وَسِلْمِكَ ، وَنُكَاكِرُ التَّعَجُّبَ لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ مِنْ وَضْعِ الشَّدَةِ وَاللِّيَانِ (٥)
بِمَوْضِعِهِمَا ، وَلَا نَعْلَمُ (٦) سَائِرَ جُنْدٍ وَلَا رَعِيَّةٍ عُدِلَ بَيْنَهُمْ عَدْلَكَ وَلَا مَنْ عَفَا
بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَمَّنْ آسَفَهُ (٧) وَأَضْعَنَهُ (٨) عَفْوِكَ .

وكتب في الذم :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَا أَعْلَمُ لِلْمَعْرُوفِ (٩) طَرِيقًا أَحْزَنَ (١٠) وَلَا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ
إِلَيْكَ ، وَلَا مُسْتَوْدَعًا (١١) أَقَلَّ زَكَاءً (١٢) ، وَلَا أَبْعَدَ ثَمَرَةً خَيْرٍ مِنْ مَكَانِهِ عِنْدَكَ ؛
لأنَّهُ يَحْصُلُ مِنْكَ فِي حَسَبِ دَيْ (١٣) ، وَلِسَانِ بَدِي (١٤) ، وَنَسَبِ قِصِي (١٥) ،
وَجَهْلٍ (١٦) قَدْ مَلَكَ طِبَاعَكَ ؛ فَاَلْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ ،
وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ أَنْ تُحْرِزَهُ ، وَفِي وِلْيَتِهِ أَنْ تَكْفُرَ (١٧) بِهِ .

(١) ظاهره مظاهره : عاونه . يسأل الله أن يكثر من النعم على يديه .

(٢) يريد بلدان الأعداء .

(٣) وإلى الشيء : تابعه يريد على ما أعطاه من النصر المتتابع المتوالى .

(٤) الظن : الرحيل . ويريد بقوله لوجهك لغرضك .

(٥) الليان : بفتح اللام المشددة مصدر لأن يلين وهو ضد الشدة . والليان : بالكسر الاسم من لان .

(٦) سائر الشيء : باقيه يريد أنه لا يوجد قوم يسود فيهم عدل مثل عدلك في قومك .

(٧) آسفه آسافا : أفضبه وأحزنه .

(٨) أضغنه : حمله على الضفينة . ويريد أنه لم ير أحدا مثله عفا بعد القدرة على الانتقام عن

قوم أساءوا إليه وحملوه على أن يحقد عليهم .

(٩) المعروف هنا : الخير والإحسان . (١٠) الطريق الحزن : ضد السهل .

(١١) المستودع : المكان يحفظ فيه الشيء . (١٢) الزكاء : النمو والزيادة .

(١٣) الدنى مخفف الهمزة هنا : الضعيف الدليل .

(١٤) البدى بتخفيف الهمزة أيضا : المحقر السفيه .

(١٥) القصي : البعيد . (١٦) الجهل : الحمق .

(١٧) كفر بالنعمة : جحدها وتناساها وكفر بالمنعم جحد فضله .

ومن توقيعاته ما وجهه إلى عامل ظالم :

« الحق طريق واضح لمن طلبه ، تهديده محجته^(١) ، ولا تخاف عثرته^(٢) ،
وتؤمن في السر مغيبته^(٣) فلا تقلن^(٤) منه ، ولا تعدلن عنه ، فقد بلغت
في مناصحتك ، فلا تحوجني إلى معاودتك^(٥) ، فليس بعد التقدمة^(٦) إليك
إلا سطوة الإنكار عليك » .

(٣) الحسن بن سهل^(٧)

كتب إلى محمد بن سماعه^(٨) القاضي يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض مهامه :
أما بعد ، فإنني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ،
ذی عفة ونزاهة طعمة^(٩) ، قد هدبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، ليس
بظنين^(١٠) في رأيه ، ولا بمطعون في حسبه . إن أوتمن على الأسرار قام بها ،
وإن قلد مهما من الأمور أجزاء^(١١) فيه ، له سن^(١٢) مع أدب ولسان ،
تقده الرزاة ويسكنه الحلم ، قد فر^(١٣) عن ذكاء وفطنة ، وعض

-
- (١) المحجة : جادة الطريق .
(٢) العثرة : السقطة والزللة .
(٣) المغبة : عاقبة الشيء .
(٤) أقل الشيء : أتى بالقليل منه .
(٥) عاود الرجل : رجع إلى الأمر الأول يقال عاوده بالمسألة أي سأله مرة بعد أخرى وعاودته الحمى رجعت إليه .
(٦) التقدمة مصدر قدم الشيء تقدمه . يريد أن ليس له عنده بعد أن قدم له النصيحة إلا أن يعاقبه
(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) توفي سنة ٣٣٦ هـ .
(٨) محمد بن سماعه القاضي : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . توفي سنة ٢٢٣ هـ
(٩) الطعمة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب ، يريد أنه لا يبتغى المال من طريق الحرام ولا من خسيس السبل .
(١٠) الظنين بفتح الظاء : المتهم : يريد أنه لا يصدر الرأي عن الميل والهوى .
(١١) أجزاء في الأمر كان له كفتا وقام به على خير وجوهه .
(١٢) السن هنا : التقدم في العمر .
(١٣) يقال : فر الدابة يفرها (من باب نصر) . كشف عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين : يريد أن الاختبار والتجربة كشفت عما فيه من الذكاء .

على قَارِحَةٍ (١) من الكَمَالِ . تَكْفِيهِ اللَّحْظَةُ ، وَتُرْشِدُهُ السَّكْتَةُ . قَدْ أَبْصَرَ
خِدْمَةَ الْمُلُوكِ وَأَحْكَمَهَا ، وَقَامَ فِي أُمُورِهِمْ فَحَمِدَ فِيهَا . لَهُ أُنَاةٌ (٢) الْوُزَرَاءِ ،
وَصَوْلَةٌ (٣) الْأَمْرَاءِ ، وَتَوَاضَعُ الْعُلَمَاءِ ، وَفَهْمُ الْفُقَهَاءِ ، وَجَوَابُ الْحُكَمَاءِ . لَا يَبِيعُ
نَصِيبَ يَوْمِهِ بِحِرْمَانِ غَدِهِ . يَكَادُ يَسْتَرِيقُ (٤) قُلُوبَ الرِّجَالِ بِحَلَاوَةِ لِسَانِهِ ،
وَحُسْنِ بَيَانِهِ . دَلَالِيلُ الْفَضْلِ عَلَيْهِ لِأَمْحَةٍ (٥) ؛ وَأَمَارَاتُ الْعِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ ،
مُضْطَلَعًا (٦) بِمَا اسْتَنْهَضَ (٧) ، مُسْتَقِلًّا (٨) بِمَا حَمَلَ ، وَقَدْ آثَرْتُكَ (٩) بِطَلْبِهِ ،
وَحَبَوْتُكَ بِارْتِيَادِهِ (١٠) ، ثِقَّةً بِفَضْلِ اخْتِيَارِكَ ، وَمَعْرِفَةً بِحُسْنِ تَأْتِيِكَ .

(٤) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْهَاشِمِيُّ

قال : كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى تَزُورُ أُمَّي . وَكَانَتْ لَبِيبَةً مِنَ النِّسَاءِ ، حَازِمَةً
فَصِيحَةً بَرَزَةً (١١) . يُعْجِبُنِي أَنْ أَجِدَهَا عِنْدَ أُمَّي فَأَسْتَكْرِ مِنْ حَدِيثِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا
يَوْمًا : يَا أُمَّ جَعْفَرٍ : إِنْ بَعْضَ النَّاسِ يُفْضِلُ جَعْفَرًا عَلَى الْفَضْلِ ، وَبَعْضُهُمْ
يُفْضِلُ الْفَضْلَ عَلَى جَعْفَرٍ ، فَأَخْبِرِينِي . فَقَالَتْ : مَا زِلْنَا نَعْرِفُ الْفَضْلَ

- (١) قرح الفرس فهو قارح : خرج نابيه ، ولا يكون له ذلك الا اذا استكمل السن والقوة ، يريد بالجملة انه استوفى أسباب الكمال .
- (٢) الأناة : الوقار والحلم والتمهل .
- (٣) الصولة : القدرة والسطوة .
- (٤) استرق القلوب : استعبدها .
- (٥) لائحة : بادية ظاهرة .
- (٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به نهض به وقوى عليه .
- (٧) استنهض بالبناء للمجهول طلب منه النهوض .
- (٨) استقل بالشيء : حمله ورفع ، فهو مستقل به .
- (٩) آثره بالشيء : اختصه به وفضله على غيره .
- (١٠) ارتاد الشيء ارتيادا طلبه وبحث عنه .
- (١١) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهي عفيفة .

لِلْفَضْلِ . فَقُلْتُ : إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى خِلَافٍ هَذَا . فَقَالَتْ : هَإِنَّا أُحَدِّثُكَ
وَاقْضِ أَنْتَ . وَذَلِكَ الَّذِي أَرَدْتُ مِنْهَا . فَقَالَتْ : كَانَا يَوْمًا يَلْعَبَانِ فِي دَارِي ،
فَدَخَلَ أَبُوهُمَا فَدَعَا بِالغَدَاءِ وَأَحْضَرَهُمَا ، فَطَعِمَا مَعَهُ ثُمَّ آتَاهُمَا بِحَدِيثِهِ ، ثُمَّ قَالَ
لَهُمَا : أَتَلْعَبَانِ بِالشُّطْرَنْجِ ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ ، وَكَانَ أَجْرًا لَهُمَا : نَعَمْ ! قَالَ : فَهَلْ
لَا عِبْتَ أَخَاكَ بِهَا ؟ قَالَ جَعْفَرٌ : لَا ! قَالَ : فَالْعَبَا بِهَا بَيْنَ يَدَيَّ لِأَرَى لِمَنِ الْغَلَبُ .
فَقَالَ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ! وَكَانَ الْفَضْلُ أَبْصَرَ مِنْهُ بِهَا . فَجِئْتُ بِالشُّطْرَنْجِ فَصُفْتُ
بَيْنَهُمَا ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا جَعْفَرٌ وَأَعْرَضَ عَنْهَا الْفَضْلُ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَا لَكَ
لَا تُلَاعِبُ أَخَاكَ ؟ فَقَالَ : لَا أُحِبُّ ذَلِكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّهُ يَرَى أَنَّكَ أَعْلَمُ بِهَا
مِنِي فَيَأْتِيَنِي مِنْ مَلَاعِبَتِي ، وَأَنَا أَلَا عَيْبُهُ مُخَاطَرَةٌ (١) . فَقَالَ الْفَضْلُ : لَا أَفْعَلُ .
فَقَالَ أَبُوهُ : لَا عَيْبُهُ وَأَنَا مَعَكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : رَضِيتُ . وَأَبَى الْفَضْلُ وَاسْتَعْفَى (٢)
أَبَاهُ فَأَعْفَاهُ . ثُمَّ قَالَتْ لِي : قَدْ حَدَّثْتُكَ فَاقْضِ . فَقُلْتُ : قَدْ قَضَيْتُ بِالْفَضْلِ
لِلْفَضْلِ عَلَى أَخِيهِ . فَقَالَتْ : لَوْ عَايَمْتُ أَنْكَ لَا تُحْسِنُ الْقَضَاءَ لَمَا حَكَمْتُكَ .
أَفَلَا تَرَى أَنَّ جَعْفَرَ قَدْ سَقَطَ أَرْبَعُ سَقَطَاتٍ تَنْزَهُ الْفَضْلُ عَنْهُنَّ : فَسَقَطَ
حِينَ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَلْعَبُ بِالشُّطْرَنْجِ ، وَكَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ جِدٍّ (٣) .
وَسَقَطَ فِي التَّرَامِ مَلَاعِبَةَ أَخِيهِ ، وَإِظْهَارِ الشَّهْوَةِ لِغَلْبِهِ ، وَالتَّعَرُّضِ لِغَضَبِهِ .
وَسَقَطَ فِي طَلَبِ الْمُقَامَرَةِ وَإِظْهَارِ الْحِرْصِ عَلَى مَالِ أَخِيهِ . وَالرَّابِعَةُ قَاصِمَةُ
الظَّهْرِ حِينَ قَالَ أَبُوهُ لِأَخِيهِ : لَا عَيْبُهُ وَأَنَا مَعَكَ . فَقَالَ أَخُوهُ لَا ، وَقَالَ هُوَ نَعَمْ ،

(١) المخاطرة المراهنة ، يقال : لاعبه على خطر بفتحين أى على رهان .

(٢) استعفاه من كذا : طلب منه ألا يكلفه به .

(٣) الجد بكسر الميم : ضد الهزل .

فَنَاصَبَ (١) صَفًّا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ . فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ وَاللَّهِ ! وَإِنَّكَ
لَأَقْضِي مِنَ الشَّعْبِيِّ (٢) ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ (٣) عَلَيْكَ أَخْبِرِينِي :
هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هَذَا عَلَى جَعْفَرٍ وَقَدْ فَطَنَ لَهُ أَخُوهُ ؟ فَقَالَتْ : لَوْلَا
الْعَزْمَةُ لَمَا أَخْبَرْتُكَ ، إِنَّ أَيَّاهُمَا لَمَا خَرَجَ قُلْتُ لِلْفَضْلِ خَالِيَةً بِهِ :
مَا مَنَعَكَ مِنْ إِدْخَالِ الشُّرُورِ عَلَى أَبِيكَ بِمُلَاعَبَةِ أَخِيكَ ؟ قَالَ :
أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ أَنِّي لَاعَبْتُهُ لَغَلَبْتُهُ فَأَخْجَلْتُهُ ، وَالثَّانِي قَوْلُ أَبِي
لَاعِبِهِ وَأَنَا مَعَكَ ، فَمَا يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ أَبِي مَعِيَ عَلَى أَخِي . ثُمَّ خَلَوْتُ
بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَسْأَلُ أَبُوكَ عَنِ اللَّعِبِ يَالشُّطْرَنْجِ فَيَصْمُتُ أَخُوكَ
وَتَعْتَرِفُ ، وَأَبُوكَ صَاحِبُ جِدِّ . فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَعِمَ
لَهُوَ الْبَالُ الْكَدُودِ (٤) . وَقَدْ عَلِمَ مَا نَلَقَاهُ مِنْ كَدِّ التَّعَلُّمِ وَالتَّادِبِ ؛
وَلَمْ أَمْنِ أَنْ يَكُونَ بَلَّغَهُ أَنَا نَلَعَبُ بِهَا ، وَلَا أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكَرَ ؛
فَبَادَرْتُ بِالْإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وَعَايِيهِ ، وَقُلْتُ : إِنْ كَانَ تَوْبِيخُ
فَدَيْتُهُ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا بَنِيَّ : فَلِمَ تَقُولُ الْأَعِيبُ
مُخَاطَرَةً ؟ كَأَنَّكَ تُقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ . فَقَالَ : كَلَّا وَلَكِنَّهُ
يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاةَ الَّتِي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ فَأَبَى قَبُولَهَا ،
وَطَمِعْتُ أَنْ يُبَالِعِبَنِي فَأَخَاطِرُهُ عَلَيْهَا وَهُوَ يَغْلِبُنِي فَتَطِيبُ نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا . فَقُلْتُ
لَهَا : يَا أُمَّاهُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّوَاةُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ جَعْفَرَ دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاةً مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ مُحَلَّلَةً بِالْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ وَالْأَصْفَرِ فَرَأَاهُ يَنْظُرُ

(١) ناصبه : عاداه وقاومه . وناصبه العداوة : أظهرها له .

(٢) الشعبي بفتح الشين وسكون العين أحد رجال الحديث والقضاء .

(٣) عزم عليه : أقسم عليه . والاسم منه العزيمة والعزيمة بفتح العين فيهما .

(٤) كده الشيء فهو مكدود : أتعبه وأجهده .

إِلَيْهَا فَوَهَبَهَا لَهُ . فَقُلْتَ إِيَّاهُ . فَقَالَتْ : ثُمَّ قُلْتُ لَجَعْفَرٍ هَبْكَ^(١) اعْتَدَرْتُ بِمَا
سَمِعْتُ فَمَا عُدْرُكَ مِنَ الرِّضَا بِمُنَاصَبَةِ أَبِيكَ حِينَ قَالَ لِأَعْبِهِ وَأَنَا مَعَكَ ؟ فَقُلْتَ
أَنْتَ : نَعَمْ ، وَقَالَ هُوَ : لَا . فَقَالَ : عَرَفْتُ أَنَّهُ غَالِي ، وَلَوْ فَتَرَ لَعِبُهُ لَتَغَالَبْتُ^(٢)
لَهُ ، مَعَ مَالِهِ مِنَ الشَّرَفِ وَالسَّرُورِ بِتَحْيِيزِ أَبِيهِ إِلَيْهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فَقُلْتُ : بَخِ بَخِ^(٣) ، هَذِهِ وَاللَّهِ السِّيَادَةُ . ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ : أَمَا كَانَ مِنْهُمَا
مَنْ بَلَغَ الْحُلْمَ ؟ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ : أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ ؟ أَخْبِرُكَ عَنْ صَبِيَّيْنِ يَلْعَبَانِ
فَتَقُولُ : أَمَا كَانَ مِنْهُمَا مَنْ بَلَغَ الْحُلْمَ ، لَقَدْ كُنَّا نَنْهَى الصَّبِيَّ إِذَا بَلَغَ الْعَشْرَ
وَحَضَرَ مَنْ يُسْتَحَى مِنْهُ أَنْ يَبْتَسِمَ .

(٥) الصُّوْلَى^(٤)

من رسائله في تعزية على لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبد الله مولى
أمير المؤمنين :

أَمَّا بَعْدُ ، تَوَلَّى اللَّهُ تَوْفِيقَكَ وَحَيَاطَتَكَ ، وَمَا يَرْتَضِيهِ مِنْكَ وَيَرْضَاهُ عَنْكَ !
إِنَّ أَفْضَلَ النِّعَمِ نِعْمَةٌ تُتْلَقُ^(٥) بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الشُّكْرِ وَأَوْفَرَ حَادِثَةٍ ثَوَابًا حَادِثَةٍ

(١) يقال : هبك صنعت كذا أى افرض أنك صنعت . وهى كلمة ملازمة للأمر لا تنصرف لغيره
من الأفعال . (٢) فتر يفتر من باب نصر ومن باب ضرب : ضعف .
(٣) يخ بفتح الباء وسكون الخاء : اسم فعل للمدح واظهار السرور بالشىء . ويكرر للمبالغة
فيقال : بخ بخ بالكسر والتنوين .
(٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد ابن عم عمرو بن مسعدة . نشأ ببغداد وأخذ
العلم عن علماء زمانه واشتغل بالشعر ونبغ فيه ومدح كثيرا من الأمراء ، وتولى في خلافة المتوكل
ديوان النفقات . وكان من أكبر الكتاب ومن أفذاذهم المعروفين في زمانه حتى لقب بكتاب العراق
وله رسائل كثيرة أشهرها ما كتبه في التعازى . توفى بسر من رأى سنة ٢٤٢ هـ .
(٥) تلقى الشىء : بمعنى لقيه .

أَدَّى حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا مِنَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ ، وَمِثْلَكَ مِنْ قَدَمٍ مَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِي نِعْمَةٍ فَشَكَرَهَا ، وَفِي مُصِيبَةٍ فَاطَاعَهُ فِيهَا . وَقَدْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) قِضَاءَهُ السَّابِقَ وَالْمَوْقَعَ (١) . وَفِي ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ) وَتَقْدِيمِ مَا يُقَدَّمُ مِثْلَهُ أَهْلُ الْحِجَا (٢) وَالْفَهْمِ مَا اعْتَاضَهُ (٣) مُعْتَاضٌ وَقَدَمَهُ مَوْفَقٌ . فَلْيَكُنْ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَمَا أَطَعْتَهُ بِهِ وَقَدَّمْتَ حَقَّهُ فِيهِ أَوْلَى بِكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فِي الْمَكْرُوهِ بِطَاعَتِهِ . يُحَسِّنُ وِلَايَتَكَ فِي تَوْفِيقِكَ لَشُكْرِ نِعْمِهِ عِنْدَكَ .

ومن رسائله القصارِ على لسان المتوكل لأهل حمص الخارجين دليه ، وهي من الرسائل التي أغنت عن الجيوش :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ مِمَّا قَوْمٌ بِهِ مِنْ أَوْدٍ (٤) ، وَعَدَلَّ بِهِ مِنْ زَيْغٍ (٥) ، وَلَمْ بِهِ مِنْ مُنْتَشِرٍ ، اسْتِعْمَالَ ثَلَاثٍ يُقَدَّمُ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ : أَوْلَاهُنَّ مَا يَتَقَدَّمُ بِهِ مِنْ تَنْبِيهِ وَتَوْقِيفٍ (٦) ، ثُمَّ مَا يَسْتَنْظَرُ (٧) بِهِ مِنْ تَحْذِيرٍ وَتَخْوِيفٍ ، ثُمَّ الَّتِي لَا يَقَعُ بِحَسْمِ الدَّاءِ غَيْرُهَا :

(١) الموقع : المقدر .

(٢) الحجا : العقل .

(٣) اعتاض منه : أخذ العوض واعتاض واستعاض فلانا سأله العوض .

(٤) الأود هنا : الاعوجاج .

(٥) الزيغ : الميل عن الحق .

(٦) وقفه على الشيء : أفهمه .

(٧) استنظر به : استعاذ .

(٨) حسمه : قطعه مستأصلا إياه .

أَنَاة^(١) ، فَإِن لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا وَعَيْدًا ، فَإِن لَمْ يُغْنِ أَعْنَتَ عَزَائِمَهُ

وكتب إلى ابن الزيات^(٢) يستعطفه :

كَتَبْتُ وَقَدْ بَلَغَتِ الْمُدِيَّةُ^(٣) الْحَزَّ^(٤) ، وَعَدَّتِ^(٥) الْأَيَّامُ بِكَ عَلَيَّ بَعْدَ
عَدْوَايَ^(٦) بِكَ عَلَيْهَا وَكَانَ أَسْوَأَ الظَّنِّ وَأَكْثَرَ خَوْفِي أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا
وَتَكْفُفَ عِنْدَ أَذَاتِهَا^(٧) ، فَصِرْتَ أَضْرَّ عَلَيَّ مِنْهَا ؛ فَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنِّي نَصْرَتِي^(٨)
خَوْفًا مِنْكَ ، وَبَادَرَ^(٩) إِلَى الْعَدُوِّ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ :

وَكَتَبَ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخُ بَيْتِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ بِرِ صَاحِبِ أَيْنَا غَلْبًا^(١٠)

(١) الأناة : الحلم والانتظار والتمهل .

(٢) ابن الزيات : أحد الوزراء والكتاب .

(٣) المدينة مثلثة الميم : السكين .

(٤) الحز بفتح الميم : موضع الحز أى القطع . يقال : قطع فأصاب الحز . والحز بكسر الميم :
آلة الحز . يريد أن الأمر وصل إلى غايته من الشدة .

(٥) عدت الأيام : اعتلت .

(٦) العدوى هنا : اسم مصدر أعدى فلانا على فلان : نصره وأعانه . يريد بعد أن استعنت بك
على الأيام .

(٧) الأداة : الأذى . يريد من قوله (وكان أسوأ الظن الخ . .) أنه كان يظن أن أسوأ ظنه في
ابن الزيات إلا يعين الأيام عليه إذا أصابته بأذى فإذا هو أضر عليه منها وأشدى أذى له .

(٨) النصرة : النصر وحسن المعونة .

(٩) بادر إلى الشيء : أسرع .

(١٠) يصف الصديق الذى أشار إليه بأن يكون معه حينما يكون الزمان معه ويكون عليه حينما
يخونه الدهر .

صَدِيقِي مَا اسْتَقَامَ وَإِنْ نَبَا دَهْرٌ عَلَيَّ نَبَا (١)
وَوَثَبْتُ عَلَيَّ الزَّمَانَ بِهِ فَمَادَ بِهِ وَقَدْ وَثَبَا (٢)
وَلَوْ عَادَ الزَّمَانُ لَنَا لَعَادَ بِهِ أَخَا حَدِيبًا (٣)

ثانياً - النثر العلمى

(١) أبو يوسف (٤)

قال فى كتاب « الخراج » :

وأنا أرى أن تبعت قوما من أهل الصّلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته يسألون عن سيرة العمّال وما عملوا به فى البلاد ، وكيف جبوا الخراج على ما أمرُوا به ، وعلى ما وظّف على أهل الخراج واستقر ؛ فإذا ثبت ذلك عندك وصحّ ، أخذوا بما استفضّلوا من ذلك أشدّ الأخذ حتى يؤدّوه بعد العقوبة الموجبة والتكال ، حتى لا يتعدّوا ما أمرُوا به ، وما عهد إليهم فيه ، فإنّ كلّ ما عمل به وإلى الخراج من الظلم والمسّف فإنّما يُحمّل على أنّه قد أمر به ، وقد أمر بغيره ، وإنّ أحلتّ بواحد منهم العقوبة الموجبة انتهى غيره واتقى وخاف ، وإنّ لم تفعل هذا بهم تعدّوا على أهل الخراج واجترأوا على ظلمهم وتعسفهم وأخذهم بما لم يجب عليهم . وإذا صحّ عندك من العامل والوالى تعدّ بظلم وعسف وخيانة لك فى رعيتك واحتجبان

(١) نبا بصره : تجافى وتباعد . ونبا عليه الدهر : جفاه وتباعد عنه . وهذا توضيح لمعنى البيت

الأول .

(٢) وثب : قفز ونهض . يقول هجمت على الزمان به فرجع عن معاونتى وهجم على مع الزمان

(٣) حذب عليه : تمطف . وأخ حذب بفتح الحاء وكسر الدال : شفيق . يريد أنه إذا صادقه

الزمان عاد ذلك النابى عليه صديقا له .

(٤) أبو يوسف هو القاضى يعقوب بن ابراهيم الأنصارى الكوفى أخذ الفقه عن الامام أبى حنيفة

وكان نابها مقدما وضع كتاب (الخراج) للرشيدي .

شيء من الفء ، أو خُبث طُعْمَتِهِ أو سُوءِ سِيرَتِهِ فحرامٌ عليك استعماله والاستعانةُ
به ، وَأَنْ تَقْلُدَهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ رِعْيَتِكَ أو تُشْرِكَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ ، بَلْ عَاقِبُهُ
عَلَى ذَلِكَ عَقُوبَةً تَرُدُّهُ غَيْرَهُ مِنْ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِمِثْلِ مَا تَعَرَّضَ لَهُ . وإياك ودعوة
المظلومِ فَإِنَّ دَعْوَتَهُ مُجَابَةٌ .

(٢) من كتاب التاج المنسوب للجاحظ^(١)

كان أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِكٍ أَوَّلَ مَنْ رَتَّبَ النُّدَمَاءَ^(٢) وَأَخَذَ بِزِمَامِ سِيَاسَتِهِمْ ،
فَجَعَلَهُمْ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ :

فَكَانَتِ الْأَسَاوِرَةُ^(٣) وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ فِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى ، وَكَانَ مَجْلِسُ هَذِهِ الطَّبَقَةِ
مِنَ الْمَلِكِ عَلَى عَشْرَةِ أَذْرَعٍ مِنَ السُّتَارَةِ .

ثُمَّ الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ كَانَتْ مَجْلِسُهَا مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ عَلَى عَشْرَةِ أَذْرَعٍ (وَهِيَ بَطَانَةُ
الْمَلِكِ وَنَدَمَاؤُهُ وَمَحْدُثُوهُ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ وَالْعِلْمِ) .

ثُمَّ الطَّبَقَةُ الثَّلَاثَةُ كَانَتْ مَجْلِسُهُمْ عَلَى عَشْرَةِ أَذْرَعٍ مِنَ الثَّانِيَةِ وَهُمْ الْمُضْحِكُونَ
وَأَهْلُ الْمَهْزَلِ وَالْبَطَالَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ الثَّلَاثَةِ خَسِيسُ الْأَصْلِ

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى. ولد بمدينة البصرة وتربى
بها ودرس هناك كل ما كان ذائعا من العلوم والفنون في أيامه ولازم إبراهيم بن سيار النظام المتكلم
المعتزلى وأخذ عنه حتى صار زعيم فرقة تنسب اليه وعرف كثيرا من كبار الكتاب والمترجمين
والفرس وغيرهم وقرأ كل ما ترجم في زمانه ووقع عليه نظره فكان من كبار العلماء والكتاب ومات
بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) نادمه على الشراب منادمة : جالسه عليه . والنديم : المنادم على الشراب . والنديم أيضا
الرفيق والصاحب .

(٣) أساور الفرس : هم الفرسان .

ولا وَضِيعُهُ ، ولا نَاقِصُ الجَوَارِحِ (١) ، ولا فَاحِشُ الطُّولِ والقِصْرِ ،
ولا مَوْوُفٌ (٢) ، ولا مَرِيٌّ بِأَبْنَةِ ، ولا مَجْهُولُ الأَبْوِينِ ، ولا ابْنُ صِنَاعَةِ
دَنِيئَةٍ كَأَبْنِ حَائِكٍ أو حَجَّامٍ ولو كان يَعْلَمُ الغَيْبَ مثلاً .

وكان أَرْدَشِيرُ يَقولُ : « ماشىءُ أَسْرَعَ في انْتِقَالِ الدُّوَلِ وَخَرَابِ المَمْلَكَةِ
من انْتِقَالِ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ عن مَرَاتِبِها ، حتى يُرْفَعَ الوَضِيعُ إلى مَرْتَبَةِ الشَّرِيفِ ،
ويُحَطَّ الشَّرِيفُ إلى مَرْتَبَةِ الوَضِيعِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الأولى من
الأساورَةِ وأبْناءِ المُلُوكِ أَهْلُ الحِذَاقَةِ بالمُوسِيقِيَّاتِ والأَغْنَانِي . فَكانوا يَأْزِاءُ
هُؤُلَاءِ نُصَبَ خَطَ الاستِواءِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثانيةَ من نُدَماءِ المَلِكِ
وِبِطَانَتِهِ الطَّبَقَةَ الثانيةَ من أَصْحابِ المُوسِيقِيَّاتِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ
الثَّالِثَةَ من أَصْحابِ الفُكَاهَاتِ والمُضْحِكِينَ أَصْحابُ الوَجْجِ (٣) والمعَازِفِ
والطَّنابِيرِ (٤) ، وكان لا يَزِمُرُ الحَازِقُ من الزَّامِرِينَ إلا على الحَازِقِ من المَغْنِينِ .
وإن أَمَرَه المَلِكُ بِذلك رَاجِعَهُ واحْتِجَّ عَلَيْهِ . »

(٣) من كتاب الكامل المبرد (٥)

قال أبو العباسِ مِنْ أَمْثالِ العَرَبِ : « لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ ما وَعَظَكَ » يَقُولُ :
إِذا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ شَيْءٌ فَحَدَّرَكَ أَنْ يَحْلُبَّ بِكَ مِثْلَهُ فَتَأْدِيبُهُ إِيَّاكَ عِوَضٌ مِنْ ذَهَابِهِ .

(١) الجوارح جمع جارحة وهي العضو من الانسان .

(٢) أى مصاب بأفة . الابنة : العيب .

(٣) كلمة فارسية معربة والعرب تقول الون بتشديد النون وهي الصنج آلة من آلات الطرب .

(٤) الطنبور والطنبار : من الآلات الموسيقية التي أخذها العرب عن الفرس .

(٥) المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي . ولد في البصرة وانتقل الى بغداد وكان قوى

الذاكرة سريع الحفظ يعد من شيوخ النحو والأدب له جملة مصنفات منها كتاب الكامل الذى

يمزج الادب باللغة والتاريخ ويعد من أمهات الكتب الادبية . وقد مات المبرد سنة ٢٨٦ هـ .

ومن أمثالهم : « رَبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا » وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَلَا يُحْكِمُهُ لِلإِسْتِعْجَالِ بِهِ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعُودَ فَيَنْقِضَهُ ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ .
وَالرَّيْثُ : الإِبْطَاءُ ، وَرِاثَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ : إِذَا تَأَخَّرَ . وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « عَشٌّ وَلَا تَغْتَرَّ » وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ يَمْرُؤًا صَاحِبُ الإِبِلِ بِالْأَرْضِ الْمُسْكِنَةِ (١) فَيَقُولُ :
أَدْعُ أَنْ أَعْشَى إِلَى مِنْهَا حَتَّى أَرِدَ عَلَى أُخْرَى ، وَلَا يَدْرِي مَا الَّذِي يَرِدُ عَلَيْهِ .
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : « أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءٍ (٢) أَوْ كَيْسٌ » وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ يَمْرُؤًا الرَّجُلَ بِالْمَاءِ فَلَا يَحْمِلُ مِنْهُ اتِّكَالًا عَلَى مَاءٍ آخَرَ يَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ فَيُقَالُ لَهُ : أَنْ تَحْمِلَ مَعَكَ مَاءً أَحْزَمَ لَكَ ، فَإِنْ أَصَبْتَ مَاءً آخَرَ لَمْ يَضُرَّكَ ، فَإِنْ لَمْ تَحْمِلْ نَخَفْتَ مِنَ الْمَاءِ عَطِبْتَ (٣) . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « قَدْ أَحْزَمُ لَوْ أَعَزَمُ » يَقُولُ : أَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ فَإِنْ عَزَمْتُ فَأَمْضَيْتُ الرَّأْيَ فَأَنَا حَازِمٌ ، وَإِنْ تَرَكَتُ الصَّوَابَ وَأَنَا أَرَاهُ وَضِيعَتُ الْعَزْمِ لَمْ يَنْفَعْنِي حَزْمِي . وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِي :

أَبِي لِي الْبَلَاءُ وَأَنْبَى أَمْرُؤُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أُرْتَبِ

وَقَالَ أَعْرَابِي يَمْدَحُ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ :

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيًا (٤)

فَالَّذِي يُحْمَدُ إِمْضَاءً مَا تَبَيَّنَ رُشْدُهُ ، فَأَمَّا الإِقْدَامُ عَلَى (٥) الْغَرَرِ ، وَرُكُوبِ الْأَمْرِ عَلَى الْخَطَرِ ، فَلَيْسَ بِمَحْمُودٍ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ .

(١) آكلات الأرض : كلؤها الكلاً : العشب رطبا ويابسا .

(٢) بماء أى مع ماء . والكياسة : الفطنة . ورجل كيس : فطن . والأكيس : اسم تفضيل منه .

(٣) عطبت : هلكت .

(٤) أوقف اسم تفضيل من (الوقوف) ووضح الأمر (بضح) : انكشف وبان . مضى على الأمر : أتمه . يقول انه أشد تحرجا من المضاء في الأمر اذا ما يتبين له وجه الصواب فيه ؛ على أن له من الفطنة والألمعية ما يبعثه على المضاء راشدا في حين يمضى غيره .

(٥) الفرر بفتح الفين والراء : التعريض للهلاك .

(٤) من تاريخ الأمم والملوك للطبرى^(١)

« خلافة الأمين »

وفي هذه السنة (١٩٣ هـ) بُويعَ لِحَمَدِ الأَمِينِ بْنِ هَارُونَ بِالْخِلاَفَةِ
فِي عَسْكَرِ الرَّشِيدِ ، وَعَبَدُ اللهُ بْنُ هَارُونَ المَأْمُونُ يَوْمَئِذٍ بِمَرَوْ ؛ وَكَانَ فِيمَا
ذَكَرَ قَدْ كَتَبَ خَمَوِيهِ مَوْلى المَهْدِيِّ صَاحِبُ البَرِيدِ بِطُوسٍ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ سَلامِ
مَوْلَاهُ وَخَلِيفَتِهِ بِبَغْدَادٍ عَلَى البَرِيدِ والأَخْبَارِ يُعَلِّمُهُ وَفَاةَ الرَّشِيدِ . فَدَخَلَ
عَلَى مُحَمَّدٍ فَعَزَّاهُ وَهَنَّاهُ بِالْخِلاَفَةِ . وَكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ فَعَلَ ذَلِكَ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ
رَجَاءُ الخُلاَمِ يَوْمَ الأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ ؛
كَانَ صَالِحُ بْنُ الرَّشِيدِ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ بِالْخَبَرِ بِذَلِكَ ، وَقِيلَ لَيْلَةَ الخَمِيسِ
لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ ، فَأَظْهَرَهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَسَتَرَ خَبْرَهُ بِقِيَّةِ يَوْمِهِ
وَلَيْلَتَهُ ، وَخَاضَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمَّا قَدِمَ كَتَابُ صَالِحٍ عَلَى مُحَمَّدِ الأَمِينِ
مَعَ رَجَاءِ الخُلاَمِ بِوفاةِ الرَّشِيدِ . وَكَانَ نَازِلًا فِي قَصْرِهِ بِأُلْحُدِ ، فَتَحَوَّلَ
إِلَى قَصْرِ أَبِي جَعْفَرٍ بِالمَدِينَةِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالحُضُورِ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ فَحَضَرُوا
وَصَلَّى بِهِمْ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ صَعِدَ المنْبَرَ فَحَمَدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَنَعَى
الرَّشِيدَ إِلَى النَّاسِ وَعَزَّى نَفْسَهُ وَالنَّاسَ ، وَوَعَدَهُمْ خَيْرًا وَبَسَطَ الأَمَالَ ، وَأَمَّنَ
الأَسْوَدَ والأَبْيَضَ ، وَبَايَعَهُ جِلَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَاصَّتُهُ وَمَوَالِيهِ وَقَوَّادِهِ ،
ثُمَّ دَخَلَ وَوَكَلَ بِبَيْعَتِهِ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَمَّ أَيْبَهُ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ فَبَايَعَهُمْ

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . ولد في طبرستان ، ورحل الى بغداد وغيرها في طلب العلم حتى صار من علماء الدين وأئمة البلاغة . له مؤلفات أشهرها تفسير القرآن وكتاب التاريخ الذي اقتبسنا منه هذه العبدة . وقد توفي سنة ٣٢٠ هـ .

وأمر السندي بمبايعة جميع الناس من القواد وسائر الجند ، وأمر للجند ممن بمدينة السلام برزق أربعة وعشرين شهراً ، وبحواصل من كانت له خاصة لهذه الشهور .

(٥) من كتاب ألف ليلة وليلة

وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها

له أصل فارسي يعد نواة له يسمى (هزار افسانه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسري مع الشاب السارق

ومما يحكى أن خالد بن عبد الله القسري كان أمير البصرة . فجاء إليه جماعة متعلقون بشاب ذى جمال باهر ، وأدب ظاهر ، وعقل وافر ، وهو حسن الصورة وليب الرائحة ، وعليه سكينه ووقار ، فقدموه إلى خالد فسألهم عن قصته ، فقالوا هذا لص أصبناه^(١) البارحة في منزلنا ، فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته . فقال : خلوا عنه^(٢) . ثم دنا منه ، وسأله عن قصته فقال : إن القوم صادقون فيما قالوه والأمر على ما ذكروا . فقال له خالد : ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة ؟ قال : حملنى على ذلك الطمع فى الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى . فقال له خالد : تكلمت أمك^(٣) ! أما كان لك فى جمال وجهك وكمال عقلك وحسن أدبك زاجرٌ يزجرك عن السرقة . قال : دع عنك هذا أيها الأمير ! وامض^(٤) إلى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبت يدأى ، وما الله بظلام للعبيد . فسكت خالد ساعة

(١) أصبناه : أدركناه .

(٢) خلّى عن الأمر بتشديد اللام المفتوحة : تركه .

(٣) تكلمت المرأة ابنها : فقدته ، وهى تكلى كلمة للدعاء على الانسان ، وقد تستعمل للاعجاب

بالرجل . .

(٤) أى نفذه .

يفكر في أمر الفتى ، ثم أدناه منه وقال له : إن اعترافك على رءوس الأشهاد
قد رابني وأنا ما أظنك سارقاً ، ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرني بها . قال
أيها الأمير : لا يقع في نفسك شيء سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة أشرحها
إلا أنني دخلت دار هؤلاء فسرقته ما أمكنني ، فأدر كوني ، وأخذوه مني وحملوني
إليك . فأمر خالد بحبسه ، وأمر منادياً ينادى بالبصرة : ألامن أحب أن ينظر
إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغداة إلى المحل الفلاني . فلما استقر
الفتى في الحبس ووضعوا في رجله الحديد تنفس^(١) الصعداء وأفاض العبرات .
وأنشد هذه الأبيات :

هَدَدَنِي خَالِدٌ بِقَطْعِ يَدِي إِذْ لَمْ أُبِحْ عِنْدَهُ بِقِصَّتِهَا
فَقُلْتُ هَيْهَاتَ أَنْ أُبُوحَ بِمَا تَضْمَنَ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّتِهَا !
قَطَعُ يَدِي بِالَّذِي اعْتَرَفْتُ بِهِ أَهْوَنُ لِلْقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فَسَمِعَ ذَلِكَ الْمُؤَكَّلُونَ بِهِ ، فَاتُوا خَالِدًا وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ مِنْهُ . فَلَمَّا جَنَّ^(٢)
الليلُ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ اسْتَنْطَقَهُ فَرَأَهُ عَاقِلًا أَدِيبًا فَطَنًا ظَرِيفًا^(٣)
لَبِيبًا . فَأَمَرَ لَهُ بِطَعَامٍ ، فَأَكَلَ وَتَمَحَّدَتْ مَعَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ خَالِدٌ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ
لَكَ قِصَّةَ غَيْرِ السَّرْقَةِ فَإِذَا كَانَ الصَّبَاحُ وَحَضَرَ النَّاسُ وَحَضَرَ الْقَاضِي وَسَأَلَكَ عَنِ
السَّرْقَةِ فَأَنْكَرَهَا ، وَإِذْ كُرُّ مَا يَدْرَأُ^(٤) عَنْكَ حَدَّ الْقَطْعِ ، فَقَدَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) جن الليل : أظلم .

(٣) فطن للأمر : أدركه وحقق فيه فهو فطن : الظرف : الكياسة والحدق والبراعة . ورجل

(ظريف) : بارع كيس .

(٤) يدرأ عنك : يدفع عنك .

صلى الله عليه وسلم : « اذروا الحدود بالشبهات » ثم أمر به إلى السجن .
(وأدركه زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح) .

(وفي ليلة اثنتين وأربعين وثلاثمائة) قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن خالدًا بعد أن تحدث مع الشاب أمر به إلى السجن فمكث فيه ليلته ، فلما أصبح الصباح حضر الناس ينظرون قطع يد الشاب ، ولم يبق أحد في البصرة . ثم استدعى بالقضاة وأمر بإحضار الفتى ، فأقبل يحجل^(١) في قيوده ولم يره أحد من الناس إلا بكى عليه ، وارتفعت أصوات النساء بالنحيب ، فأمر القاضي بتسكين النساء . ثم قال : إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت مالهم فلعلك سرقت دون النصاب^(٢) ؟ قال : بل سرقت نصابًا كاملاً . قال : لعلك شريك القوم في شيء منه ؟ قال : بل هو جميعه لهم لاحق لي فيه . فغضب خالد ؛ وقام إليه بنفسه ، وضربه على وجهه بالسوط وقال متملاً بهذا البيت :

يُرِيدُ المرءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَإِيَابَ اللَّهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين ، فبادرت جارية من وسط النساء عليها أطمار^(٣) وسخة^٤ فصرخت ورمت نفسها عليه ، ثم أسفرت عن وجهه كأنه القمر ، وارتفع

(١) حجل (يحجل) : رفع رجلا ومشى مترشًا على الأخرى .

(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .

(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالي والجمع أطمار .

في الناس ضجة عظيمة ، وكاد أن يقع بسبب ذلك فتنة طائفة الشرير ،
ثم نادَتْ تلك الجارية بأعلى صوتها ناشدتك^(١) الله أيها الأمير ! لا تمجّل
بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة^(٢) ، ثم دفعت إليه رقعة ففتحتها خالد
وقراها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات :

أخالدُ هذا مُستَهامٌ^(٣) مُتَمِّمٌ رَمْتَهُ لِحَاظِي عَنِ قِسِيِّ الْحَمَالِقِ^(٤)

فَأَصْمَاهُ^(٥) سَهْمُ اللَّحْظِ مِنْي لِأَنَّهُ حَلِيفُ جَوَى^(٦) مِنْ دَائِهِ غَيْرُ فَائِقِ

أَقْرَبَ بِمَا لَمْ يَقْتَرِفْهُ كَأَنَّهُ رَأَى ذَاكَ خَيْرًا مِنْ هَتِيكَةِ^(٧) عَاشِقِ

فَمَهْلًا عَنِ الصَّبِّ الْكَثِيبِ ؛ فَإِنَّهُ كَرِيمُ السَّجَايَا فِي الْوَرَى غَيْرُ سَارِقِ

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى ، وأنفرد عن الناس ، وأحضر المرأة
ثم سألها عن القصة فأخبرته بأن هذا الفتى عاشق لها ؛
وهي عاشقة له . وإنما أراد زيارتها فتوجه إلى دار أهلها ورعى حجراً
في الدار ليعلمها بمجيئه فسمع أبوها وإخوتها صوت الحجر
فصعدوا إليه . فلما أحس بهم جمع قماش^(٨) البيت كله وأراهم أنه سارق

(١) ناشده الله : استحلفه وأقسم عليه بالله .

(٢) الرقعة هنا : القطعة من الورق التي يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حمالق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحلقتها بكسر الحاء باطن أجنانها ، والجمع حمالق

وحماليق والمراد نفس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : الملازم . يقال فلان حليف جود آي

ملازم للجود .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : أمتعته .

سْتَرَأَ عَلَى مَعْشُوقَتِهِ . فَلَمَّا رَأَوْهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ أَخَذُوهُ . وَقَالُوا : هَذَا سَارِقٌ .
وَأَتَوْا بِهِ إِلَيْكَ فَاعْتَرَفَ بِالسَّرْقَةِ وَأَصْرَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَفْضَحَنِي ، وَقَدْ ارْتَكَبَ
هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْ رَمَى نَفْسِهِ بِالسَّرْقَةِ لِفِرْطِ مُرُوءَتِهِ ، وَكَرِيمِ نَفْسِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ :
إِنَّهُ لَخَلِيقٌ بَأَنَّ يُسَمَفَ بِمُرَادِهِ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى الْفَتَى إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ،
وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي الْجَارِيَةِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ ، إِنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إِنْفَازِ
الْحُكْمِ فِي هَذَا الْفَتَى بِالْقَطْعِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ .
وَقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِبَدَلِهِ يَدُهُ حِفْظًا لِعَرْضِكَ وَعِرْضِ بِنْتِكَ
وَصِيَانَتِكُمَا مِنَ الْعَارِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَا بِنْتِكَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ حَيْثُ أَخْبَرْتَنِي
بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذِنَ لِي فِي تَزْوِيجِهَا مِنْهُ ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ ! فَحَمِدَ اللَّهُ خَالِدًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَخَطَبَ
خُطْبَةً حَسَنَةً ، (وَأَدْرَكَ شَهْرَ زَادِ الصَّبَاحِ فَسَكَتَتْ عَنِ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ) .

(ب) الشعر

(١) بشار بن برد^(١)

قال بشار بن برد يهجو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وقد

استمنحه فلم يمنحه :

ظِلُّ اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً بالبخل مَمْعُود^(٢)
إِنَّ الكَرِيمَ ليخفي عنك عُسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود^(٣)
وَللبخيل على أمواله عِللٌ زُرُقُ العيون عليها أوجهٌ سود^(٤)

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد ، أصل آبائه من بلاد الفرس ، وقع عليهم سبى قال ملك أبي بشار لبني عقيل وفيهم ولد بشار . ولما كبر صار يختلف الى أعراب البصرة حتى أخذ منهم العربية وتعلم الشعر ونبغ فيه ، وقد ولد أعمى ثم أصابه الجدرى فصار قبيح المنظر ، ولكنه كان شديد الذكاء واسع الخيال ذا ملكة في الشعر قوية ، يعد من أكبر شعراء عصره وفي مقدمة المحدثين وأهل الافتنان ، ومن أصحاب المعاني المخترعة في الشعر العربي ، وكان كثير الهجاء للناس ماجناً ، متهما في دينه بالزندقة ، لايبالي ما يقول ولا ما يفعل ، ولا ما يرتكب من التهتك والكلام في أعراض الناس . وقد تصرف بشار في فنون الشعر ومعانيه ، وذاع شعره في زمانه ، وصار اماماً بين الشعراء ، وكان لأسلوبه قوة معروفة وجمال ممتاز ، وقد مات مقتولاً سنة ١٦٧ هـ .

(٢) اليسار : الفى . مَمْعُود بالبخل : مجتمع عليه ملازم له .

(٣) العسرة : الفقر . المجهود : المتعب من قلة المال .

(٤) عِلل جمع علة بالكسر أى حجة وعلل بمنعه الكرم . ويريد بالشرط الثانى أنها حجج

بفيضة كريمة .

إذا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعْطَى الْقَلِيلَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرِ الْجُودُ (١)
أُورِقُ بِخَيْرِ تُرْجِي لِلنَّوَالِ ؛ فَمَا تُرْجِي الثَّمَارَ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ (٢)
بُثَّ النَّوَالُ ، وَلَا تَمْنَعُكَ قَلَّتُهُ ؛ فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودٌ

وقال يتغزل وقد نهاه الخليفة المهدي عن الغزل :

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
بَعَثْتُ إِلَى تَسْوَمُنِي ثَوْبَ الشَّبَابِ ، وَقَدْ طَوَيْتُهُ (٣)
وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ ، وَلَا نَوَيْتُهُ (٤)
أَمَسَكْتُ عَنْكَ ، وَرَبِّمَا عَرَضَ الْبَلَاءُ ، وَمَا ابْتَغَيْتُهُ
إِنْ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبِي وَإِذَا أَبِي شَيْئًا أَبَيْتُهُ
وَمُخَضَّبٍ رَخِصِ الْبِنَا نِ بَكِي عَلَيَّ ؛ وَمَا بَكَيْتُهُ (٥)
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَبِيبِ إِذَا إِذْكُرْتُ ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ (٦)
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ ؛ فَصَبَرْتُ عَنْهُ ، وَمَا قَلَيْتُهُ (٧)
وَهَنَانِي الْمَلِكُ الْهَمِيَا مُ عَنِ النَّسَاءِ ، وَمَا عَصَيْتُهُ (٨)

(١) تكرهت الشيء : تسخطه وفعلته على كره . السعة هنا : العطاء الكثير ، أى اذا تأخرت عن بذل القليل ، ولست قادرا على بذل الكثير فلا يظهر لك عطاء .

(٢) أورق الشجر : ظهر ورقه . النوال : العطاء ، يسأله اظهار العطاء ولو قليلا ، فانه اذا لم يعط القليل لا يرجى منه الكثير .

(٣) تسومنى ثوب الشباب : ترغب أن اغازلها .

(٤) نويته : أى الغدر .

(٥) المخضب : الملون بالخصاب . رخص : لين ناعم . البنان : أطراف الأصابع ، جمع بنانة .

(٦) يشوقنى : يهيجنى : اذكرت : تذكرت .

(٧) قليتته : أبغضته .

(٨) الهماني : الملك العظيم الهمة .

لا بل وفيتُ ، فلم أضع عهداً ، ولا رأياً رأيتُهُ (١)
وأنا المِطْلُ على العِدَا وإذا غَلَا الحمدُ اشتريتهُ (٢)
أصفى الخليل إذا دنا وإذا نأى عنى نأيتُهُ (٣)
وأميلُ في أنسِ النديم من الحياء ، وما اشتهيتُهُ (٤)
قال يرثى ولدأ له :

جَارَتَنَا لَا تَجْزَعِي وَأَنْبِي أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمِطْلُ نَصِينِي (٥)
بُنَى عَلَى رَغْمِي وَسُخْطِي رُزْنَتُهُ وَبُدِّلَ أَحْجَاراً وَجَالَ قَلِيبِ (٦)
وكان كريحانِ الغصونِ تخاله ذوى بعد إشراقِ يسرٍ وطيبِ (٧)
أصيبَ بُنَى حِينَ أَوْرَقَ غُصْنُهُ وَأَلْقَى عَلَى الْهَمِّ كُلُّ قَرِيبِ
عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَّةِ نَحْوَهُ وَمَا كَانَ لَوْ مُلِيَّتُهُ بَعَجِيبِ (٨)
ومن قوله يصف جيشاً من قصيدة بها يمدحُ عمرَ بنِ هُبَيْرَةَ حين
وفد عليه بالعراق :

جَيْشٌ كَجَنْحِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بِالْحَصَى وَبِالشَّوْكِ وَالْخَطَى مُهْمَرٌ ثَعَالِبُهُ (٩)

(١) التأى : البعد .

(٢) المِطْلُ على العدا : المستمر في ايدائهم . الحمد : الثناء . يقول : اتنى مع خضوعي لأمر الخليفة لازلت قويا على العدو كريما أشتري الثناء ببذل المال .

(٣) أصفى الخليل : أخلص له الود . دنا : قرب . نأيتُهُ : بعدت عنه .

(٤) يميل في أنس النديم : يقوم بمؤانسته . النديم : الرفيق والمصاحب . وهو أيضا المشارك في الشراب . اشتهيتُهُ : رغبت فيه ؛ يصف نفسه بكرم الخلق وحسن المجاملة .

(٥) أنبى : أرجى الى هداك . المِطْلُ : المؤذى . يقول لجارته لتكن في مصيبتى أسوة لك وعزاء

(٦) رزنته : فقدته : الجال : الجانب . القليب : البئر . والمراد هنا القبر .

(٧) ذوى الفصن : يبس . الاشراق هنا : النضارة .

(٨) مليته : نعمت بقائه .

(٩) جنح الليل : قسم منه . الخطى : الرمح نسبة الى الخط مكان تباع فيه الرماح . ثعالب :

جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان . وهى حمر من دماء الأعداء .

غَدُونَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمَّهَا تَطَالِعْنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَا ثُبِّهِ (١)
بَضْرَبُ يَذُوقُ الْمَوْتَ مِنْ ذَا قِ طَعْمِهِ وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارَ مُثَالِبُهُ (٢)
كَأَنَّ مُشَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (٣)
بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ ، إِنَّا بَنُو الْمَوْتِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ (٤)
فَرَّاحُوا فَرِيقٌ فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَازٍ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ (٥)
إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نَعَاتِبُهُ (٦)

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ (٧)
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ (٨)
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ (٩)

- (١) غدونا : خرجنا أول النهار . الخدر الستر أو المنزل . تطالعنا : تطلع علينا حين شروقها .
والطل هنا : الندى .
- (٢) بضرب متعلق بغدونا في البيت قبله . مثالب جمع مثلبة : العيب وهي فاعل تدرك . ونجى
نجاه بحذف العائد يقول : ان عدونا بين رجلين ميت من ضربنا ، وفار لحقه العار والمسبة .
- (٣) النقع : الغبار ثيره الحروب . تهاوى : تتساقط . يشبه حركات السيوف وسط الغبار
بالليل تتساقط نجومه وهو تشبيهه جيد .
- (٤) الفجاءة : البغطة . السبائب : جمع سببية وهي الشقة الرقيقة من الكتان . والمراد هنا أعلام
الجيش المحارب ، كناية عن أنهم رجال حرب شجعان .
- (٥) الاسار : الأسر . يريد أن جيش العدو توزع بين الأسر والقتل والهرب .
- (٦) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس كبرا عليهم وزواية بهم . نعاتبه بالسيوف : نقاتله .
- (٧) اذا حاسبت الناس على جميع هفواتهم فانك لن تستصفي في الناس صديقا اذ لا يسلم
أحد من الهفوات .
- (٨) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .
- (٩) القدى : ما يقع في العين أو الشراب من تبين ونحوه . أى اذا لم تتحمل الحياة على ما بها
من نقص تعبت وليس في الدنيا انسان كامل الخلال .

(٢) قال السَّيِّدُ الحُمَيْرِيُّ^(١) يخاطبُ أبا عبد الله السفّاح

لما استقام الأمر لبني العباس

دُونَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَجَدِّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَارِيسَا^(٢)

دُونَكُمْوَهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَابِيسَا^(٣)

لَوْ خَيْرَ الْمَنْرِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِيسَا^(٤)

قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِيسَا^(٥)

وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلَى مَهِيْطِ عَيْسَى فَيَكُمُ آيسَا^(٦)

(١) هو اسماعيل بن محمد اليمنى ، علوى المذهب مخلص له ، غالى فيه ، ظل حياته يمدح عليا وآله ، ويسب الصحابة حتى توفى سنة ١٧٠ هـ .

(٢) درس : بلى وانمحي .

(٣) البيت : دعاء لبني العباس بدوام الخلافة فيهم .

(٤) فرسان المنبر : من يعتلونه من الخلفاء .

(٥) ساس الأمور يسوسها : تولاها وتدبرها ، فهو سائس والجمع ساسة . ولم يتركوا رطبا ولا يابسا ، أى أنهم تركوا البلاد خرابا بسوء سياستهم وقبح رأيهم ، وهو يريد بنى أمية .

(٦) آيس فهو (آيس) : قنط وقطع الرجاء ، يريد أنه ليس يائسا من بقاء الخلافة فيهم الى

أن يهبط عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

وقال :

ما جَرَّتْ خَطْرَةٌ عَلَى الْقَلْبِ مِنِّي فِيكَ إِلَّا اسْتَرَّتْ عَنْ أَصْحَابِي
مِنْ دُمُوعٍ تَجْرِي فَإِنْ كُنْتُ وَحْدِي خَالِيًا ، أَسْعَدَتْ دُمُوعِي انْتِحَابِي (١)
إِنَّ حُبِّي إِيَّاكَ قَدْ سَلَّ جِسْمِي وَرَمَانِي بِالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبَابِ (٢)
لَوْ مَنَحْتِ اللِّقْمَا ! كَفَى بِكَ صَبًّا هَائِمَ الْقَلْبِ قَدْ ثَوَى فِي التُّرَابِ (٣)

وقال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

سَائِلٌ قُرَيْشًا إِذَا مَا كُنْتَ ذَا عَمِّهِ مَنْ كَانَ أَثْبَتَهَا فِي الدِّينِ أَوْ تَادَا (٤)
مَنْ كَانَ أَعْلَمَهَا عِلْمًا وَأَحْلَمَهَا حِلْمًا وَأَصْدَقَهَا قَوْلًا وَمِيْعَادَا
إِنْ يَصْدَقُوكَ فَلَنْ يَعْدُوا أَبَا حَسَنِ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلَقَ لِلْأَبْرَارِ حُسَادَا (٥)

(١) أسعده على الأمر : عاونه . والانتحاب : البكاء الشديد .

(٢) سله : أهزله وأضعفه .

(٣) الصب : العاشق ذو الوله الشديد ، وثوى بالمكان يثوى بكسر او او وثواء : أقام . والثاوى

في التراب : الميت ؛ يريد بالصب الهائم الميت نفسه مبالغة فيما أضناه من الحب .

(٤) العمه ، بفتح العين والميم : عمى البصيرة ، والأوتاد : جمع وتد وهو مادق في الحائط أو الأرض

من خشب ونحوه ليربط به غيره وهو أيضا الجبل .

(٥) يصدقوك بضم الدال : يقولون لك الصدق . ويعدوا يتجاوزوا . هو أبو الحسن على بن

أبي طالب رضي الله عنه . الأبرار : جمع بر بفتح الباء : الصالح ونحوه .

وكتب إلى يزيد بن مذعور مولى أبي بجير أمير الأهواز :

قِفْ بِالْدِيَارِ وَحَيْثُهَا يَا مَرْبِعُ (١) وَأَسْأَلُ وَكَيْفَ يُجِيبُ مَنْ لَا يَسْمَعُ (١)
إِنَّ الدِّيَارَ خَلَّتْ وَلَيْسَ بِجَوْهَا (٢) إِلَّا الضَّوَابِحُ وَالْحَمَامُ الْوُقَعُ (٢)
وَلَقَدْ تَكُونُ بِهَا أُوَانِسُ كَالدُمَى (٣) جَمَلٌ وَعَزَّةٌ وَالرَّبَابُ وَبَوَزَعُ (٣)
حُورٌ نَوَاعِمُ لَا تَرَى فِي مِثْلِهَا (٤) أَمْثَالَهُنَّ مِنَ الصِّيَانَةِ أَرْبَعُ (٤)

فَأَسْلَمَ فَإِنَّكَ قَدْ نَزَلْتَ بِمَنْزِلِ (٥) عِنْدَ الْأَمِيرِ تَضَرُّ فِيهِ وَتَنْفَعُ (٥)
تَوْتَى هَوَاكَ إِذَا نَطَقْتَ بِحَاجَةٍ (٦) فِيهِ وَتَشْفَعُ عِنْدَهُ فَتَشْفَعُ (٦)

(١) مربع : اسم شخص . بعد أن سأل صاحبه الوقوف بالديار ، وتحيتها ، وسؤالها عن أهلها السابقين . عاد فأكرر ذلك السؤال إذ لا سبيل إلى اجابة الديار التي ليس من شأنها السمع .

(٢) ضبحت الأرانب والثعالب : صوتت . الضوايح : المصوتة . الوقع : بضم الواو وتشديد القاف المفتوحة الساقطة على الشجر أو الأرض . يريد أن الديار خلت إلا من الحيوان المصوت والحمام النازل بالأرض .

(٣) أوانس : جمع آنسة وهي الفتاة الطيبة النفس أو التي تؤنس صاحبها . والدمى : جمع دمية بضم الدال وسكون الميم وهي التمثال . والعرب يسهبون المرأة الجميلة بالدمية . وجمل بضم الجيم وما بعدها أسماء أعلام .

(٤) حور : جمع حوراء ، وهي لشديدة بياض العين والشديدة سوادها . ونواعم : جمع ناعمة ، يريد أن أربعتهن ليس لهن شبيهه في عفتهن .

(٥) المراد بالمنزل المكان . فاسلم : جملة دعائية يرجو للمدوح السلامة من الشر .

(٦) هواك : سؤالك ومطلبك . تشفع بضم التاء : تقبل شفاعتك .

قُلْ لِلأَمِيرِ إِذَا ظَفِرَتْ بِمَخْلُوتٍ مِنْهُ وَلَمْ يَكُ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمَعُ
هَبْ لِي الَّذِي أَحْبَبْتُهُ فِي أَحْمَدِ وَبَنِيهِ إِنَّكَ حَاصِدٌ مَا تَزْرَعُ (١)
يَخْتَصُّ آلُ مُحَمَّدٍ بِمَحَبَّةٍ فِي القَلْبِ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْهَا الأَضْعُ

جلس المهدي يوما يعطى قريشاً صلوات لهم وهو ولي عهد ، فبدأ بنى هاشم
ثم بسائر قريش ، فجاء السيد الحميري فرفع إلى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة
للأمير فأوصلها فإذا فيها .

قُلْ لَابْنِ عَبَّاسٍ سَمِيَّ مُحَمَّدٍ لَا تُعْطِينَ بَنِي عَدِيٍّ دِرْهَمًا (٢)
أَحْرِمُ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرَّةٍ إِيَّاهُمْ شَرُّ البَلِيَّةِ آخِرًا وَمُقَدَّمًا
إِنْ تُعْطِيَهُمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً وَيُكَافئُوكَ بَأَن تَذُمَّ وَتُسَمَّا
وَإِنْ أَيْتَمَّنْتَهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ خَانُوكَ وَاتَّخَذُوا خَرَاجَكَ مَغْنَمًا (٣)
وَلَنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَأُوكُمْ بِالْمَنَعِ إِذْ مَلَكَوْا وَكَانُوا أَظْلَمًا
مَنْعُوا تَرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ وَبَنِيهِ وَابْنَتَهُ عَدِيلَةَ مَرِيَمًا (٤)
وَتَأَمَّرُوا مِنْ ذِيرٍ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هُنَالِكَ مَأْتَمًا (٥)
لَمْ يَشْكُرُوا لِحَمْدِ إِعْمَاءِهِ أَفِيَشْكُرُونَ لِغَيْرِهِ إِنْ أَنْعَمَا

(١) هب لي فلانا : أي أطلقه .

(٢) يريد بابن عباس الخليفة المهدي .

(٣) استعملهم : اتخذهم عمالا ، أي ولاهم المناصب . والخراج : الضريبة على الأرض والجزية .

(٤) التراث : ما يخلفه الميت لورثته . وعديلة مريم نظيرتها .

(٥) تأمروا : تسلطوا وتحكموا . ويستخلفوا : أي يكونوا خلفاء .

والله منَّ عليهمُ بِمُحَمَّدٍ وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمَا (١)
ثُمَّ انْبَرَوْا لِوَصِيهِ وَوَلِيِّهِ بِالْمُنْكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلْقَمَا (٢)

(٣) مروان بن أبي حفصة (٣)

قال يمدح المهدي ويحتج لبني العباس :

طَرَقْتِكَ زَائِرَةً فحَى خِيَالَهَا بِيضَاءِ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا (٤)
قَادَتْ فَوَادِكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالَهَا (٥)
فَكَأَنَّمَا طَرَقْتُ بِنَفْحَةِ رَوْضَةٍ سَحَّتْ بِهَا دِيمُ الرَّبِيعِ طِلَالَهَا (٦)
بَاتَتْ تَسَائِلُ فِي الْمَنَامِ مُعْرَسَا بِالْبَيْدِ أَشْعَثَ لَا يَمَلُّ سُؤَالَهَا (٧)
فِي فَتْيَةٍ هَجَعُوا غِرَارًا بَعْدَمَا سَمُّوا مُرَاعِشَةَ الشَّرِيِّ وَمَطَالَهَا (٨)

(١) كسا الجنوب : أى كساهم من اطلاق الجزء واردة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، ويريد بوضيه ووليه على بن أبى طالب . جرعه العلقم : سقوه المر .

(٣) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة . كان جده فارسيا ومولى لعثمان بن عفان ثم وهبه عثمان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبى حفصة فى آخر دولة بنى أمية ولكنه لم يشتهر الا فى دولة بنى العباس بمدحه المهدي ومعن بن زائدة الشيباني وهارون الرشيد . وقد برع مروان فى المدح براعة عظيمة ويحسبونه فى ذلك من طبقة بشار ويعدونه من فحول الشعراء وقد توفى سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا .

(٥) استقاد : انقاد . والصبأ بكسر الصاد : الشوق .

(٦) سح الغمام المطر : صبه صبا متتابعاً غزيراً . والديم جمع ديمة : وهى المطر الذى يدوم بلا رعد . ولعل المراد هنا بديم الربيع سحبه . والطلال : جمع ظل وهو المطر الضعيف . يريد أنها عند زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل ما يفوح من الروضة رواها المطر فى الربيع .

(٧) المعرس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة . يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة

والبيد جمع بيداء وهى الفلاة . والأشعث : المفبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام غرارا أى نوما قليلا . والسرى : السير فى الليل . ويقال للناقة التى تنهتز

فى السير لرعشها : رعشاء ومطالها : مطلقها وتسويها فى الوصول الى المقصد لطول الطريق . يقول انهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

- فَكَانَ حَشْوًا ثِيَابِهِمْ هنديةً نَجَلَتْ وَأَغْفَلَتْ الْقِيُونَ صِقَالَهَا (١)
- طَلَبَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلَتْ بَعْدَ السَّرَى بَعْدُ وَهَا آصَالَهَا (٢)
- نَزَعَتْ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفَتْ تَطْوَى الْفَلَاةَ : حُزُونَهَا وَرِمَالَهَا (٣)
- أَحْيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ سُنَنَ النَّبِيِّ حَرَامَهَا وَحَلَالَهَا (٤)
- مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبْعَةً مِنْ هَاشِمٍ مَدَّ إِلَهُ عَلَى الْأَنَامِ ظِلَالَهَا (٥)
- ثَبَّتْ عَلَى زَلَلِ الْحَوَادِثِ رَاكِبٌ مِنْ صَرْفِينٍ لِكُلِّ حَالٍ حَالَهَا (٦)
- كَلَّمْنَا يَدَيْكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالِهَا لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْعَدُوِّ وَبَالَهَا (٧)
- هَلْ تَطْمُسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجُومَهَا بِأَكْفِّكُمْ أُمَّ تَحْجُبُونَ هَالِهَا (٨)

- (١) الهندية : السيوف المصنوعة في الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونجلت من باب علم : هزلت ورقته . والقيون : جمع قين وهو الحداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلاه وكشف صدأه يريد أنهم أمسوا من شدة التعب وطول السفر ناحلين مهزولين حتى كانوا في رقة أجسامهم واغبرارها كالسيوف الهندية التي لم تجل ولم يكشف عنها صدؤها .
- (٢) طلبته : قصدت إليه . والغدو أول النهار . والأصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول انها بعد سير الليل كانت تسير النهار بطوله .
- (٣) الصوادى : الشديدة الظمأ . يقال : صدى يصدى من باب علم أى عطش عطشا شديدا والحزون : جمع حزن بفتح الحاء ، والحزن ضد السهل .
- (٤) يريد باحيائه حلال السنن وحرامها ابانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .
- (٥) النبعة : واحدة شجر النبع . ويقال : هو من نبعة كريمة أى من أصل كريم . وتفرع فلان القوم : علاهم .
- (٦) الثبت بفتح الثاء وسكون الباء : هنا الثابت . وزلل الحوادث . انحرفها وصرف الدهر : نوازله . يقول : انه مهما تضطرب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل ، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله : (ركب لكل حال حالها) .
- (٧) النوال : العطاء . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .
- (٨) التفت في هذا البيت الى خطاب العلويين ليبطل دعواهم استحقاق الخلافة دون بنى العباس .

أَمْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةَ عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيْلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا (١)
شَهَدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرُ آيَةٍ بَتَرَأْتَهُمْ فَأَرَدْتُمْ إِبْطَالَهَا (٢)
وقال يمدح المهدي — عندما عقد البيعة لابنه الهادي — ويحتج للعباسيين
على الطالبين :

يا بنَ الذِي ورثَ النبيَّ مُحَمَّدًا . دونَ الأقاربِ من ذوى الأرحامِ (٣)
الوحيُّ بينَ بنِي البناتِ وبينكم قطعَ الخِصامِ فلاتَ حينَ خِصامِ (٤)
مَا للنِّساءِ معَ الرجالِ فَرِيضَةٌ . نَزَلَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الأَنْعَامِ (٥)
خَلُّوا الطَّرِيقَ لِعَشْرِ عَادَاتِهِمْ . حَطَّمُ المَنَاكِبِ كُلِّ يَوْمٍ زَحَامِ (٦)
إِرْضُوا بِمَا قَسَمَ الإِلهُ لَكُمْ بِهِ . وَدَعُوا وَرَاثَةَ كُلِّ أَصِيدِ حَامِ (٧)
أَنِّي يَكُونُ وَليسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ . لَبَنِي البناتِ وَرَاثَةَ الأَعْمَامِ (٨)

(١) تجحدون ، الجحود : الإنكار مع العلم .

(٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويعنى بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » .

(٣) الأرحام : جمع رحم : القرابة . ويريد وراثة أمر المسلمين .

(٤) الوحي : القرآن أو جبريل . وبنو البنات : أولاد علي بن أبي طالب من نسل فاطمة بنت الرسول عليه السلام وهم العلويون .

(٥) الفريضة : القسمة في الميراث .

(٦) حطم المناكب : كسرهما . ويوم زحام : يوم تنافس في مجد ، ويريد بالمعشر العباسيين .

(٧) الأصميد : الملك أو السيد . والحامي من يحمي ذويه ومن يلوذ به .

(٨) بنو البنات : هم أولاد علي من فاطمة رضي الله عنهما . والأعمام : العباسيون لأن أباهم

العباس عم الرسول ، والعم أولى بوراثة ابن أخيه ، وذلك حكم فقهي في الميراث .

أَلْفَى سِهَامَهُمُ الْكِتَابَ فحَاوَلُوا أَنْ يَشْرَعُوا فِيهَا بِغَيْرِ سِهَامٍ^(١)
ظَفِرَتِ بَنُو سَاقِي الْحَجِيجِ بِحَقِّهِمْ وَغُرِرْتُمْ بِتَوَهُّمِ الْأَخْلَامِ^(٢)
عُقِدَتْ لِمُوسَى بِالرُّصَافَةِ بَيْعَةٌ شَدَّ الْإِلَهُ بِهَا عُرَا الْإِسْلَامِ^(٣)
مُوسَى الَّذِي عَرَفَتْ قُرَيْشٌ فَضْلَهُ وَلَهَا فَضِيلَتُهَا عَلَى الْأَقْوَامِ

(٤) العباس بن الأحنف^(٤)

قال :

عَدَلْتُ مِنْ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأَوْضَحَكَمَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلٌ كُلُّ مَا صَنَعَا
الْيَوْمَ أَبْكَى عَلَى قَلْبِي وَأَنْدَبُهُ قَلْبُ الْحَّ عَلَيْهِ الْحُبُّ فَانْصَدَعَا^(٥)

وقال : وقد اصطحبه الرشيد إلى خراسان وطلال مقامه بها ثم خرج

إلى أرمينية :

قَالُوا . خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا^(٦)

(١) يشرعوا فيها : ينالوا منها ، بغير سهام ، بغير حق .

(٢) ساقى الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كانت عليه سقاية الحاج حين يردون مكة ، وذلك في الجاهلية .

(٣) الرصافة : محلة ببغداد ، شدت بها الخ : قوى بها شأن الدين .

(٤) كان العباس بن الأحنف شاعرا ظريفا . نشأ في بغداد في حال يسر ورخاء ، لم يصطنع المدح والتكسب بالشعر ، بل توفّر على الغزل في محبوبته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيدا موفقا حتى مات سنة ١٩٢ هـ .

ويمتاز شعره بالسهولة ، وحسن التصرف ، وجمال المعاني ، فهو من شعراء الغزل العذريين وأن لم يحكمهم تماما .

(٥) ألح في السؤال : واطب عليه . والالحاح هنا : بمعنى الاسراف . وانصدع : انشق .

(٦) القفول : الرجوع . يقول أنهم قالوا ان أقصى رحلتنا خراسان ثم الرجوع وها نحن أولاء قد بلغناها فلماذا لا نعود .

مَا أَقْدَرَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ سُكَّانَ دِجْلَةَ مِنْ سُكَّانِ جِيحَانَا (١)
يَا لَيْتَ مَنْ نَتَمَنَّى عِنْدَ خَلْوَتِنَا إِذَا خَلَا خَلْوَةً يَوْمًا تَمَنَّانَا (٢)

وقال :

سَلَبْتَنِي مِنَ السُّرُورِ ثِيَابَا وَكَسْتَنِي مِنَ الِهُمُومِ ثِيَابَا
كَلَّمَا أَغْلَقْتَ مِنَ الْوَصْلِ بَابًا فَتَحْتُ لِي إِلَى الْمَنِيَّةِ بَابَا
عَذَّبْنِي بِكُلِّ شَيْءٍ سِوَى الصِّدِّ مَدًّا فَمَا ذُقْتُ كَالصَّدُودِ عَذَابَا (٣)

وقال :

إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سِيلَ لَمْ يَبْدُلْ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبَ (٤)
صَبُّ بَعْضِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ (٥)
إِلَيْكَ أَشْكُو رَبًّا مَا حَلَّ بِي مِنْ صَدِّ هَذَا الْمَذْنِبِ الْمُغْضَبِ

وقال :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّ بِي دَاعٍ يَكْثُرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتَرَّاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي (٦)

-
- (١) الشحط : البعد . ويريد بسكان دجلة : سكان بغداد . ودجلة : نهر تقع عليه هذه المدينة وجيحان نهر بين الشام وبلاد الروم .
(٢) نتمنى : نتمناه .
(٣) الصد والصدود : الاعراض .
(٤) سِيل : سئل . يعتب بضم الياء وكسر التاء : يرضى ، يقال استعتبت فلانا فأعتبني استرضينه فرضي .
(٥) صب : مفرم . وسكان جزيرة العرب شديدو الولع بشرب الماء البارد لشدة الحر في بلادهم ومثل هذا قول الشاعر :

غضبي ولا والله يا أهله لا أشرب البارد أو ترضى !

(٦) عدوه الذي بين أضلاعه : قلبه . لأنه هو الذي يفرم بها فيكثر من أوجاعه وأسقامه .

وقال :

قالت ظَلُومٌ سَمِيَّةُ الظُّلْمِ مالى رَأَيْتُكَ نَاحِلَ الجِسمِ (١)
يا مَنْ رَمَى قَلْبِي فأَقْصَدَهُ أَنْتَ العَلِيمُ بمَوْضِعِ السَّهمِ (٢)

(٥) أبو نُوَاسٍ

قال يصف الخمر :

دَعُ عَنْكَ لَوْمَى فَإِنَّ اللَّوَمَ إِغْرَاءٌ وَدَاوِنِي بِأَلَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ (٤)
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الأَحْزَانَ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتَهُ سِرَّاءُ (٥)

(١) ظلوم : اسم من يتغزل فيها . والجسم الناحل الهزيل .

(٢) وأقصده السهم : لم يخطئه .

(٣) أبو نواس واسمه الحسن بن هانىء. نشأ نشأته الأولى فى البصرة ، وكان يكلف بن يجيدون قرض الشعر . ثم تحول الى الكوفة ليأخذ على والبة بن الحباب وكان والبة شاعرا ماجنا مشتهرا بالشراب وصافا للخمر ثم انتقل الى بغداد .

وبرع أبو نواس فى الشعر حتى بد أهل عصره ، ولم يجد شاعر قبله ولا بعده وصف الخمر كما أجادها ، وكان ماجنا مستهترا . توفر عمله على تحصيل اللذائذ ما يبالى فى ذلك شيئا . وقرض الشعر فى أبواب المجون ، غير متأتم ولا متحرج .

ولقد أجاد فى كل فنون الشعر ، وأوفى على الغاية . واتصل بمحمد الأمين الخليفة العباسى ، ومدحه بأجل القصيد ، وثبت على الولاء له — حتى بعد أن قتل — ودالت الدولة لأخيه المأمون . وأبو نواس يعظم افتائه ، وقوة تصرفه فى الشعر ، وممتانة أسلوبه ؛ وجزالة لفظه ، وسلامة نظمه ، لا يعد من أعظم الشعراء العباسيين فحسب ، بل يعد من أعظم شعراء العربية على الإطلاق . وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ .

(٤) دع : اترك ويقال (أغراه بالشئ يغريه اغراء) حظه عليه . يقول الشاعر لصاحبه : لاتلمنى

فان لومك يحضنى على طلب ما تنهانى عنه ويريد (بالتى كانت هى الداء) الخمر .

(٥) يريد بالصفراء الخمر . والساحة : الناحية . يريد أن الأحزان والهموم لا تحل بشرابها ، وترقى فى هذا المعنى الى المبالغة الشديدة فزعم أن الحجر الأصم لو أصاب منها لدخل عليه السرور!

رَقَّتْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى مَا يُبْلِغُهُمَا لَطَافَةً ، وَجَفَاً عَنِ شِكْلِهَا الْمَاءِ (١)
فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا لِمَزَجَهَا حَتَّى تَوَلَّدَ أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءٌ (٢)
دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا (٣)
لِتِلْكَ أَبْكَى وَلَا أَبْكَى لَمَنْزِلَةٍ كَانَتْ تَحْمِلُ بِهَا هِنْدٌ وَأَسْمَاءٌ (٤)

وقال أيضاً في الخمر :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلَوْهَا ، وَأُدَلِّجُوا بِهَا أَرْثَمَهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسٌ (٥)
مَسَاحِبٌ مِنْ جَرِّ الزُّقَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَاثُ رِيْحَانٍ جَنِىٌّ وَيَابِسٌ (٦)

(١) يلائمها : يوافقها . وجفا هنا : بمعنى قلق ولم يطمئن . يريد أن تلك الخمر بلغت من اللطف والرفقة ما لم يبلغ الماء .

(٢) تولد بحذف احدى التائين : أى تتولد أى أن النور هو الذى يصلح لمزاجها ولو كان ذلك لتولدت منها أنوار وأضواء .

(٣) دان : ذل وأطاع . التفت الشاعر فى هذا البيت الى أصحابه الذين يشاربهم ، فوصفهم بالعزة وارتفاع الأقدار الى حد أن الزمان يذل لهم ؛ فهو لا يستطيع أن يصيبهم بشيء الا ما يريدونه هم وما يبتغونه ! .

(٤) المنزلة هنا هى الدار . يريد أن شوقه انما هو الى الخمر ، فهو اذا بكى بكى لها ، لاللمنازل التى كانت تسكنها العشوقات . كما يصنع غيره من الشعراء .

(٥) الندامى : جمع ندمان ، وندامى الرجل من يجالسونه على الشراب . عطلوها : أخلوها . أدلج القوم ادلاجا : سبأوا الليل كله أو فى آخره . والدارس : البالى . يذكر الشاعر فى هذا البيت دارا كان يجتمع فيها الصحب ويتعاقرون الخمر . فهجروها ومضوا ، وتركوا فيها آثارا لهم جديدة ، وأخرى قديمة بالية .

(٦) الزقاق جمع زق ، وهو وعاء من الجلد يحمل فيه الماء ونحوه . الثرى التراب الندى ، ويريد هنا الأرض ، والأضغاث جمع ضغث وهو القبضة من العشب الفص . وجنى أى جنى لساعته بين الشاعر فى هذا البيت ذلك الأثر الذى أشار اليه فى البيت السابق . فاذا هو ما خط على الأرض بسحب زقاق الخمر وما تركوا هناك من أضغاث الريحان ، بين قديم مقطوف لوقته ويابس لطول العهد على قطافه .

حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي وَجَدَدْتُ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَابِسٍ^(١)
تَدُورُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجِدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسٍ^(٢)
قَرَارَتَهَا كِسْرَى ، وَفِي جَنَابَتِهَا مَهًا تَدْرِيهَا بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسِ^(٣)
فَلِلْخَمْرِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهُمْ وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسِ^(٤)

وقال يمدح الخليفة محمدا الأمين :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامٌ^(٥)
قَرَّبْنَاكَ مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ^(٦)
رَفَعَ الْحِجَابُ لَنَا فَلَاحَ لِنَاظِرٍ قَمْرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ^(٧)

(١) يريد أنه ألزم صحبه هذه الدار حيث توفروا على لهوهم وشرابهم وأعادوا العهد على مثل هذا العبت . اذ هو نفسه شديد الاهتمام بذلك .

(٢) الراح : الخمر . والمسجدية : نسبة الى المسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأسا مذهبة لا من ذهب وحباه بكذا يجبوه : أعطاه ومنحه . وفارس : الأمة المعروفة .

(٣) قرارتها : أسفلها ، وهي هنا : ظرف مكان . والمها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية يضرب بها المثل في حسن العيون . ادري الصيد : ختله وادري غفلته بمعنى تحينها . والقسي : جمع قوس . والفوارس والفرسان : جمع فارس وهو راكب الفرس . يريد أن الكأس محلاة من أسفلها بصورة كسرى ، وهو لقب لملك الفرس . أما جوانبها فمحلاة بصور فرسان يتحينون غفلة لها ليرموها بسهام أقواسهم .

(٤) الجيب : وجمعه جيوب ، طوق الثوب . والقلانس : جمع قلنسوة ، وهي أشبه (بالبرنيطة) التي يلبسها الفرنجة وكانت من لباس الفرس . يقول : انهم كانوا يصبون الخمر في تلك الكأس حتى تحاذى أطواق صور الفوارس ثم يمزجونها بالماء حتى تحاذى رءوسهم .

(٥) المطى : جمع مطية ، وهي الدابة التي تتركب . وهنا يراد بها النوق ، لأنها كانت مراكب القوم وخاصة في أسفارهم الطويلة ، يريد أن المطايا التي تحملهم حتى تبلغهم أمير المؤمنين ينبغي ألا يركبها أحد اكراما لها بما فعلت وتشريفا .

(٦) الحرمة والذمام بمعنى واحد ، وهو ما يجب القيام به وعدم التفريط فيه .

(٧) يريد بالقمر وجه ممدوحه الأمين . وتقطع بحذف احدى التاءين . يقول الشاعر انه حين بدا الأمين . فاذا هو قمر لاتستطع الأوهام أن تقدر مبلغ حسنه وبها عطلعته .

- مَلِكٌ إِذَا عَلَقَتْ يَدَاكَ بِجَبَلِهِ لَا يَعْتَرِيكَ الْبُؤْسُ وَالْإِعْدَامُ (١)
- فَالْبَهُوُ مُشْتَمَلٌ بِيَدُورِ خِلَافَةٍ لَيْسَ الشَّبَابَ بِنُورِهِ الْإِسْلَامُ (٢)
- سَبَطُ الْبِنَانِ إِذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ فَرَعَ الْجَمَاجِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ (٣)
- إِنِ الَّذِي يُرْضَى الْإِلَهَ بِهَدْيِهِ مَلِكٌ تَرَدَّى الْمَلِكَ وَهُوَ غُلَامٌ (٤)
- مَلِكٌ إِذَا اعْتَسَرَ الْأُمُورُ مَضَى بِهِ رَأَى يُفْلُ السَّيْفَ وَهُوَ حُسَامٌ (٥)
- دَاوَى بِهِ اللَّهُ الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى حَتَّى أَفْقَنَ وَمَا بَيْنَ سَقَامٍ (٦)
- أَصْبَحَتْ يَا بِنَ زُبَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ أَمَلًا لِعَقْدِ حَبَالِهِ اسْتِحْكَامُ (٧)
- فَسَلِمْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي تُرْجَى لَهُ وَتَقَاعَسْتَ عَنْ يَوْمِكَ الْأَيَّامُ (٨)

(١) علقت : تعلقت واتصلت . والبهو : الفقر والاعدام كذلك . يصف كرم المدوح بأن من يلوذ به لا تناله شدة ولا يلحقه فقر .

(٢) يريد بالبهو هنا البيت . ومشتمل : مزدان . ومعنى الشطر الثاني أنه أعاد للدين سلطانه .

(٣) السبط : السهل الذي لا خشونة فيه . والبنان : أطراف الأصابع . واحدها بنانة . وسبط البنان : الكريم . والنجاد : حائل السيف التي يتعلق بها . احتبى بنجاده : لبسه . وفرع الجماجم : علاها . ساط القوم : صفهم .

(٤) تردى : لبس الرداء . والمراد أنه ولي الخلافة فتى .

(٥) اعتسرت الأمور : اشتدت والتوت . يفل السيف : يثلمه . والحسام : السيف القاطع . يريد أن الأمور إذا صعب حلها كان له فيها رأى نافذ سديد .

(٦) عمى القلوب : زيفها وضلالتها . السقام بفتح السين : المرض .

(٧) وزبيدة أم الأمين جاءت به من هارون الرشيد ، وهى بنت جعفر بن المنصور . الأمل هنا المقصود والمأمول . استحكام : قوة . يقول صرت أملا يعلق الناس حاجتهم بك فلا يخيب رجاؤهم . وقوله (لعقد) الى آخر الجملة صفة لقوله (أملا) .

(٨) تقاعسى : تأخر . يقول : ان أيامك خير الأيام .

وقال يصف ناقة :

ولقد تجوبُ بيَ الفلاةَ إذا صامَ النَّهارُ وقالت العُفْرُ (١)
شَدْنِيَّةٌ رَعَتِ الحِمَى فَاتَتْ مِلءَ الحِبالِ كأنها قَصْرُ (٢)
تَثْنِي على الحاذِئِ ذَا خُصَلٍ تَعْمَالِه الشَّرَّانِ وَالخَطْرُ (٣)
أَمَّا إِذَا رَفَعْتَهُ شامِدَةً فَتَقُولُ رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْرُ (٤)
أَمَّا إِذَا وَضَعْتَهُ عَارِضَةً فَتَقُولُ ارْخِي فَوْقَهَا سِترُ (٥)
وَتُسِفُ أَحْيَانًا فَتَحْسِبُهَا مُتْرَسِمًا يَقْتَادُهُ أَثرُ (٦)
فَإِذَا قَصَرَتْ لَهَا الزَّمَامَ سَمَا فَوْقَ المَقَادِمِ مَلَطْمٌ حُرُ (٧)

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . وتجوبها : تقطعها . ويقال : صام النهار اذا توسطت الشمس السماء . والعفر : نوع من الطباء واحدها أعفر . والقائلة : نصف النهار ، ويقال : «قال الرجل يقيل» اذا نام وقت القائلة . يصف ناقته بالقوة والصبر حتى انها لتجوب به الصحراء في الوقت الذي ينتصف فيه النهار ، وتقبل الطباء فرارا من شدة الحر ، وهى من بنات الصحراء .

(٢) شدنية : فاعل تجوب في البيت السابق . والناقة الشدنية : القوية . ورعت الماشية الكلا اكلته . وحى الرجل المكان الذى لا يقرب و(ملء الحبال) كناية عن الضخامة والبدونة . يريد أن ناقته كانت مرفهة مدللة تصيب من المرعى ما يمنع على غيرها : فتقويت وسمنت حتى أصبحت كالقصر .

(٣) الخلدان : وأحدهما حد ، هما موقعا الذنب من الفخذين . والخصال : جمع خصلة . وخصل الشعر ، وخصل الشجر ما تدلى من أطرافه . والشاعر يعنى بذي الخصل ذنب الناقة . تعماله : عمله . والراد بالشزران تحريك الذنب يمينا ويسارا . وخطر الجمل بذنبه خطرا وخطارانا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخديه .

(٤) شامدة : شائلة بذنبها الى أعلى . رنق النسر : خفق بجناحيه ورفرف .

(٥) عارضة : سائرة بنشاط .

(٦) تسف : تمر على وجه الأرض برأسها . مترسم : متتبع آثارا يتبينها .

(٧) سما : علا . المقادم : الأعالي الأمامية . الملطم : الحد . حر أصيل .

وقال :

أُثْنِ عَلَى الْحَمْرِ بِأَلْسِنِهَا وَسَمِّهَا أَحْسَنَ أَسْمَائِهَا (١)
لَا تَجْعَلِ الْمَاءَ لَهَا قَاهِرًا وَلَا تَسَلِّطْهَا عَلَى مَائِهَا (٢)
كَرْخِيَّةٌ قَدْ عُنَّتْ حَقْبَةً حَتَّى مَضَى أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا (٣)
فَلَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ خَمَّارُهَا مِنْهَا سِوَى آخِرِ حَوْبَائِهَا (٤)
دَارَتْ فَأَحْيَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ نَفُوسَ حَرَّاهَا وَأَنْضَائِهَا (٥)
وَالْحَمْرُ قَدْ يَشْرِبُهَا مَعْشَرٌ لَيْسُوا إِذَا عُدُّوا بِأَكْفَائِهَا

وقال في الطرد ينعت كلب الصيد :

لَمَّا تَبَدَّى الصَّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطَلْعَةِ الْأَشْمِطِ مِنْ جِلْبَابِهِ (٦)
وَأَعْدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَائِهِ كَالْحَبَشِيِّ أَفْتَرَ عَنْ أُنْيَابِهِ (٧)
هَجْنَا بِكَلْبٍ طَالَمَا هَجْنَا بِهِ يَنْتَسِفُ الْمَقُودَ مِنْ كَلَابِهِ (٨)

(١) الآلاء : النعم والمحاسن .

(٢) أى لا تمزجها بل هاتها صرفة .

(٣) كرخية : نسبة الى الكرخ : محله ببغداد وغيرها، وعنت : تركت مدة (حقبة) لتقدم وتحسن، ومعنى الشطر الثانى أنها لطفت جدا كأنها لا مادة فيها .

(٤) الحوباء : النفس ، فكأنها من لطفها فنيت الا رمقا أدركه الخمار .

(٥) حراها : النفوس العطشى اليها، والانضاء : جمع نضو : وهو المهزول المتعب ، أى المهزولون

لبعد عهدهم بها .

(٦) الأشمط : من يخالط سواد رأسه بياض . والجلباب : الثوب الواسع أو القميص (وهو

الأسود هنا) .

(٧) أفتر : كشف وأظهر ، يشبه انكشاف الليل عن الصباح بانكشاف شفتى الحبشى (الأسود)

عن أسنانه مبتسما مثلا .

(٨) ينتسف : يقتلع ويجتذب . والكلاب : صاحب الكلب .

- كَأَنَّ مَتْنِيهِ لَدَى انْسِلَابِهِ مَتَنَا شُجَاعِ لَجٍّ فِي انْسِيَابِهِ (١)
كَأَنَّ الْأَظْفُورُ فِي قِنَابِهِ مُوسَى صَنَاعِ رُدٍّ فِي نِصَابِهِ (٢)
تَرَاهُ فِي الْحَضْرِ إِذَا هَاهِي بِهِ يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ (٣)

وقال يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور :

- أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عُفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ (٤)
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِهِ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ مَمَرِهِ (٥)
قَدْ لَبِستُ الدَّهْرَ لِبَسَ فَتَى أَخَذَ الْأَدَابَ عَنْ غَيْرِهِ (٦)
فَاتَّصِلْ إِنْ كُنْتَ مُتَّصِلًا بِقُوى مَنْ أَنْتَ مِنْ وَطَرِهِ (٧)
خَفْتُ مَأْتُورَ الْحَدِيثِ غَدًا وَغَدَّ أَدْنَى لِمَنْتَظَرِهِ (٨)

- (١) انسلابه : اسرعه الشديد . والشجاع : ضرب من الحيات ، يشبه الكلب في مروقه بالحية المناسبة سرعة وتلويًا .
(٢) القناب : المخلب . والصناع : الماهر . والنصاب : مقبض الموسى (اليد) ؛ فالظفر في أصل المخلب ، كحديدة الموسى في النصاب .
(٣) هاهى به : زجره . والاهاب : الجلد ، أى يكاد الكلب لسرعته الشديدة ، يخرج من جلده ليثب الى الغابة في أقرب فرصة .
(٤) المنتاب لك : القاصدك المتردد عليك ، والعفر بضم فسكون وبضميتين : طول العهد ، ولست من ليلي الخ : لست من سمارى ليلا .
(٥) لا أدفع عن نالنى شره .
(٦) أى صاحبت الدهر حتى تعلمت من حوادثه التبصر والسداد فلست أغتر .
(٧) الوطر : الحاجة . والقوى : الأسباب (الحوال) والصلات ، أى اتصلى بمن يجب الاتصال بك دونى .
(٨) مأثور الحديث : السمعة السيئة هنا .

- خاب من أسرى إلى بلدٍ غير معلومٍ مدى سفره (١)
وسدته ثمنى ساعده سنة حلت إلى سفره (٢)
فامض لا تمنن على يدًا ، منك المعروف من كدره (٣)
رُبَّ فتیانٍ ربّأتهم مسقط العيوق من سحره (٤)
فاتقوا بي ما يريهم إن تقوى الشر من حدره (٥)
وابن عم لا يكاشفنا قد لبسناه على عمره (٦)
كمن الشنان فيه لنا ككمن النار في حجره (٧)
ورضاب بيت أرشفه ينقع الظمان من خصره (٨)
علنيه خوط أسحلة لان متناه لمهصره (٩)

(١) أي خاب من لم ينظر في العواقب .

(٢) السفر : منبت الشعر من الجفن . والسنة : النوم الخفيف ، وهذا تكميل لما قبله ، يصف المسافر حين يحمله النوم على اتخاذ ساعده وسادة له .

(٣) خطاب لصاحبه ، ومعنى الشطر الثاني أن المن يفسد الصنيعة .

(٤) ربأتهم : حرستهم فكنت لهم ربيثة مخافة النوازل . ومسقط : ظرف زمان . والعيوق : نجم أحر مضى يتلو الشريا ، يظهر سحرا ، يقول : ربأتهم في الشدائد ، وهنا أخذ الشاعر يتحدث عن نفسه .

(٥) يريهم : يفزعهم .

(٦) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، لبسناه على عمره : عاشرناه على ما به من حقد .

(٧) الشنان : البغض . وكمن : استتر ، فالبغض كامن في نفسه مثل كمن النار في الحجر الذي يوريه ويقدمه .

(٨) الرضاب : الريق . ينقع : يبرد ويسقى . والحصر : البرد والضمير للرضاب .

(٩) علنية : سقانية مرات ، والخطوط : الفصن الناعم تشبه به المرأة . والاسحلة مفرد أسحل : شجر عظيم ينبت بأعالي نجد . والمهصر : الذي يجذب الفصن (مثلا) ويميله .

- ذَا ، وَمُغْبَرٌّ مَخَارِمَهُ تَحْسِرُ الْأَبْصَارُ عَن قَطْرِهِ (١)
- لَا تَرَى عَيْنُ الْبَصِيرِ بِهِ مَا خَلَا الْأَجَالَ مِنْ بَقْرِهِ (٢)
- خَاضَ بِي لُجْيِهِ ذُو جَرَزٍ مُقْفِرُ الصُّقْلَيْنِ مِنْ ضَمْرِهِ (٣)
- يَكْتَسِي عُثْنُونَهُ زَبْدًا فَنَصَّيْلَاهُ إِلَى نُخْرِهِ (٤)
- ثُمَّ يِعْتَمُّ الْحِجَابُ بِهِ كَاعْتِمَامِ الْفُوفِ فِي عُسْرِهِ (٥)
- ثُمَّ تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ كَمَا طَارَ قَطْنُ النَّدْفِ عَن وَتْرِهِ (٦)
- ذُلَّلَتْ تِلْكَ الْفَجْجَاجُ لَهُ فَهُوَ مُجْتَازٌ عَلَى بَصْرِهِ (٧)
- كُلُّ حَاجَاتِي تَنَاوَلَهَا وَهُوَ لَمْ تَنْقُضْ قُوَى أَشْرِهِ (٨)
- ثُمَّ أَدْنَانِي إِلَى مَلِكٍ يَأْمَنُ الْجَانِي إِلَى حُجْرِهِ (٩)

(١) ذَا ، أى فعلت هذا الذى ذكر ، ثم أخذ يصف الطريق . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق فى جبل أو رمل . تحصر الأبصار : تضعف العيون . وعن قطره : عن رؤية نواحيه .

(٢) البصير به : من يعرفه . والآجال : جمع اجل بكسر فسكون وهو : القطيع من بقر الوحش أو الظباء .

(٣) ذو الجزز : الحصان القوى . الصقلان : الجنبان فالفرس قليل اللحم ضامر .

(٤) العثنون : شعرات تحت حنك الفرس . والزبد : لغام أبيض تتلطح به مشافر الفرس . ونصيلاان : مثنى نصيل : حجر مستطيل يندق به يشبه لحي الفرس ، والنخر جمع نخرة : خرق الأنف أى أن الزبد يغطى لحيه ويحيط بخرقى أنفه .

(٥) اعتم : لبس العمامة . والحجاب : عظم الحاجب ، والفوف هنا : الزهر . والمشر : شجر ذو نور ، فالزبد فوق الحجاج يشبه زهر المشر لونا وشكلا وهو أبيض .

(٦) تذرؤه الرياح : تذهب به وتفرقه .

(٧) الفججاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين . ومجتاز على بصره : سائر يهدى بصيرته .

(٨) الأشر : النشاط والمرح ، أى سار فنون السير التى أرجوها منه مع بقاء قوته تامة . والقوى : طاقات الحيل . ونقضها : فكها .

(٩) أى ملك يحمى اللاجئ إليه . والحجر : حزن الانسان .

تَأْخُذُ الْأَيْدِي مَظَالِمَهَا ثُمَّ تَسْتَدْرِي إِلَى عَصْرِهِ (١)
كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ (٢)
فَأَسْأَلُ عَنْ نَوْءٍ تُؤَمِّلُهُ حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطَرِهِ (٣)
مَلِكٌ قَلَّ الشَّبِيهُ لَهُ لَمْ تَقْعُ عَيْنٌ عَلَى خَطَرِهِ (٤)
لَا تَغَطِّي عَنْهُ مَكْرَمَةٌ بَرُّبًا وَإِدِ وَلَا خَمْرَهُ (٥)
سَبَقَ التَّفْرِيطَ رَائِدُهُ وَكَفَاهُ الْعَيْنِ مِنْ أَثَرِهِ (٦)
وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَلَقًا وَتَرَاءَى الْمَوْتُ فِي صُورِهِ (٧)
رَاحَ فِي ثَنِيي مُفَاضَتِهِ أَسَدٌ يَدْعَى شَبَابًا ظُفْرَهُ (٨)

- (١) تستدري : تلتجىء . والعصر : الملجأ ، تأخذ الأيدي مظالمها الخ : يحمل الناس مظالمهم ويقصدون اليه شاكين فيخلصهم لعدله وانصافه .
- (٢) النفر : الجماعة ، وكان الأنسب أن يقول : من هو من نفر رسول الله ، فيضاف الملك الى الرسول تشريفا لا العكس كما هنا .
- (٣) النوء : النجم يمطر الناس ابان ظهوره وهو كناية عن المطر ذاته .
- (٤) خطره : مثله ، يقال : هذا خطير لهذا وخطر له أى مثله وقل هنا : فقد وعدم .
- (٥) لا تغطي : لا تخفى . والربا جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . والخمر : ما يترك من شجر وغيره أى لا يترك مكرمة الا فعلها .
- (٦) التفريط : مصدر فرط رسوله قدمه وأرسله . والرائد : الرجل يرسله أهله يلتمس لهم منزلا خصبا ، يقول : ان العباس (رائده أى الرائد منه) يسبق الرسل ويعرف ببصيرته المستور ومعنى الشطر الثانى أنه لقوة بصيرته يعرف الأمور بداتها فلا يحتاج الى آثارها التى تعينه فى المعرفة .
- (٧) مج : لفظ ورمى . والقنا الرماح المفرد : قناة . والعلق : الدم ، وتراءى الموت فى صورته : ظهر الموت فى أشكاله المتباينة ، فطعن بالرمح ومضروب بالسيف . وصريع .
- (٨) الثنيان : مثنى ثنى بكسر فسكون وهو : ماكف فى طرف الثوب . والمفاضة : الدرع الواسعة والشبا : جمع شبابة ، وهى حدر السيف أو السنان فى طرفه ، يقول : انه يعود من الحرب مدرعا كالأسيد وقد احريت شبابه من دمائه الإعياء .

- تَتَابَى الطَيْرُ غَدَوَتَهُ ثِقَةً بِالشَّبَعِ مِنْ جَزَرِهِ (١)
وَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً لَسَكِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرِهِ (٢)
وَكَرِيمِ الْخَالِ مِنْ يَمَنِ وَكَرِيمِ الْعَمِّ مِنْ مُضَرِّهِ (٣)
فَهُمْ شَتَى ظُنُوبِهِمْ حَذَرِ الْمَكْنُونِ مِنْ فِكْرِهِ (٤)

(٦) أَبَانُ اللَّاحِقِيِّ (٥)

من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بنى العباس على حقهم في الخلافة دون بنى علي رضي الله عنهما .

- نَشَدْتُ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا أَعْمٌ بِمَا قَدْ قَلَّتُهُ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ (٦)
أَعْمٌ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً لَدَيْهِ أُمَّ ابْنِ الْعَمِّ فِي رُتْبَةِ النَّسَبِ (٧)

(١) تتابى : تتعمد وتنتظر . والجزر : قطع اللحم .

(٢) سليل : وليد ، والمعنى المولود من أمه التي هي كالشمس عن أبيه الذي هو كالقمر ، وضمير قمره للمدوح أو لوالده .

(٣) المدوح خاله يمنى وعمه مضرى .

(٤) شتى : متفرقة منوعة يقول : ان السادات متنوعو الأفكار عما يضمره هو بالنسبة لهم وما يقضى في شئونهم مخافة منه واجلالا له .

(٥) أبان ابن عبد الحميد اللاحقي من الشعراء السياسيين الموالي المنتصر للفرس على العرب في مدرارة . وكان عابثا محبا للمال ، هجاء مغرورا ملحدا . تردد بين البرامكة والخلفاء ولا سيما الرشيد يمدحهم ويزاحم على بابهم أبا نواس ومروان بن أبي حفصة وسواهما توفي سنة ٢٠٠هـ . ويمتاز شعره بالسهولة وان لم يكن ممتاز الفن والروعة ، وله شعر تعليمي ينظم فيه الحكم ومسائل الدين وسواها كنظمه كتاب كليله ودمنة .

(٦) نشدت الله فلانا : استحلفته به .

(٧) الزلفة بضم الزاى : القرية . يستخلف كل مسلم عربيا كان أو أعجميا أعم الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب اليه في درجة النسب أم ابن عمه . ويريد بالعم العباس . وبابن العم على بن أبي طالب رضي الله عنهما .

وَأَيُّهُمَا أَوْلَىٰ بِهِ وَبِعَهْدِهِ وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبَ (١)
فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقَّ بِتِلْكَمُ وَكَانَ عَلِيٌّ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ سَبَبٍ
فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمْ يَرِثُونَهُ كَمَا لَعَنَ لِابْنِ الْعَمِّ فِي الْإِرْثِ قَدْ حَجَبَ (٢)

وبعث بهذه الأبيات للفضل بن يحيى :

يَا عَزِيزَ النَّدَىٰ وَيَا جَوْهَرَ الْجَوْ هَرٍ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِالْبِطَاحِ (٣)
إِنَّ ظَنِّي ، وَلَيْسَ يُخْلَفُ ظَنِّي ، بِكَ فِي حَاجَتِي سَبِيلُ النَّجَاحِ
إِنَّ مِنْ دُونِهَا لَمْصَمَتَ بَابِ أَنْتَ مِنْ دُونِ قِفْلِهِ مِفْتَاحِي (٤)
تَأَقَّتْ النَّفْسُ يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ نَحْوَ بَحْرِ النَّدَىٰ مُجَارِي الرِّيَّاحِ (٥)
تَمَّ فِكْرَتُ كَيْفَ لِي وَاسْتَخَرْتُ أَلَّهُ عِنْدَ الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ (٦)
وَأَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ هُ بِشَعْرِ مُشَهَّرِ الْأَوْضَاحِ (٧)

(١) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويريد به هنا الحق في الخلافة .

(٢) يقول في البيتين : انه اذا كان العباس أحق بالارث باعتباره العم ، وعلى مؤخر عنه في الرتبة لأنه ابن العم ، فالواجب أن ينتقل ماورثه العباس الى ابنائه ، والعم يحجب ابن العم ، أى يمنعه من الارث .

(٣) عزيز هنا : بمعنى أنه منقطع النظر . والسدى : العطاء . والبطاح : جمع بطحاء . وهى مسيل واسع فيه الرمل ودقاق الحصى وملكة بطحاء .

(٤) المصمت : المفلق . والضمير فى دونها يعود على حاجتى فى البيت السابق . يريد أن حاجته عسيرة ولكن قضاءها على المدوح يسير .

(٥) تأقت : اشتاقت . والسماح : الجود . ويقال فلان فى الكرم يجاوى الريح أى أنه سريع الى العطاء .

(٦) كيف لى : أى ما ذا أصنع .

(٧) مشهر ذائع : الأوضاح : جمع وضع اسم للفرقة أو الحلى من الفضة . والمراد شعر رائع .

فلما قرأها قال له هات مديحك فقال :

أَنَا مِنْ بُغْيَةِ الْأَمِيرِ وَكَزْمِهِ مِنْ كُنُوزِ الْأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحٍ (١)
كَاتِبٌ حَاسِبٌ خَطِيبٌ أَدِيبٌ نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النَّصَاحِ
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخْفٌ مِنَ الرَّيِّ شَيْءٌ أَوْ مَا يَكُونُ تَحْتَ الْجَنَاحِ (٢)

إِنْ دَعَانِي الْأَمِيرُ عَائِنَ مِنِّي شَمْرِيًّا كَالْبُلْبُلِ الصَّيَّاحِ (٣)

(٧) مسلم ابن الوليد (٤)

قال :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْذُلْ مِنَ الْوُدِّ مِثْلَ مَا بَدَلْتُ لَهُ فَاعْلَمْ بِأَنِّي مُفَارِقُهُ
فَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَكَارِهِ عَلَيْكَ ، وَلَا فِي صَاحِبٍ لَا تَوَافِقُهُ

وقال :

دَلَّتْ عَلَى نَفْسِهَا الدُّنْيَا ، وَصَدَّقَهَا مَا اسْتَرَجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أُعْطَانِي (٥)
مَا كُنْتُ أَدْخِرُ الشُّكْوَى لِحَادِثَةٍ حَتَّى ابْتَلَى الدَّهْرُ أُسْرَارِي فَأَشْكَانِي (٦)

-
- (١) من بغيته : من مطالبه . يريد أن الأمير لو اصطنعه واصطفاه لرأى فيه خيرا كثيرا . وقد عدد مزايا نفسه في البيتين بعده .
- (٢) الشاعر المفلق : المبدع . وأخف الريش وأدقه ما يكون عند الجناح . ويريد بالخفة خفة الروح .
- (٣) الشمري بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة وكسر الراء : المجد الماضي في الأمور . والبلبل طائر صغير الجسم حسن الصوت يشبه طلق اللسان .
- (٤) نشأ صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري في الكوفة وفيها درس وتأدب وعالج الشعر منذ صباه يمدح به الأمراء ويثري من ذلك ولكنه سخي متلاف . وكان مسلم من أكبر شعراء عصره ومن تكلفوا البديع في شعرهم حتى رمى بافساده . ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين القديم والحديث مع رقة واضحة وقد مات بجرجان سنة ٣٠٨ هـ .
- (٥) يقول : قد ظهر غدر الحياة بدليل شبابي الذي استرجعته مني الأيام .
- (٦) ما اعتدت الشكوى من الحوادث فلما هجم الدهر على شبابي شكوت . والأسرار هنا : ما يضمن به ويريد بها الشباب وأشكاه بعثه على الشكوى .

وقال يهجو دِعْبِلَ بنَ عَلِيٍّ الخَزَاعِيَّ الشاعرَ :

أما الهِجَاءُ فَدَقَّ عَرَضُكَ دُونَهُ والمدحُ عَنْكَ كما عَلِمْتَ جَلِيلُ^(١)
فَازْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عَرَضِكَ إِنَّهُ عَرِضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ^(٢)

وقال من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلبى :

لا تَدْعُ بِي الشُّوقَ إِنْى غَيْرَ مَعْمُودٍ نَهَى النَّهْيَ عَنِ هَوَاىِ البَيْضِ الرَّعَادِيدِ^(٣)

مُوَحَّدُ الرَّأْيِ تَنْشَقُّ الظُّنُونُ لَهُ عَنِ كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودِ^(٤)
كَاللَيْثِ بِلِ مِثْلُهُ اللَّيْثُ الْمَهْصُورُ إِذَا غَنَّى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَفْرِيدِ^(٥)
يَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِي أَمْثَالِ عُدَّتْهَا كَالسَّيْلِ يَقْدِفُ جُلُودًا بِجُلُودِ^(٦)
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدُ إِذْ عَلِقْتُ أَيَدِي الرَّدَى بِنَوَاصِي الضَّمْرِ الْقُودِ^(٧)
يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

(١) دق : صغر فلا تحتل مدحا ولا هجاء لصفرك عن الهجاء وحقارتك عن المدح .

(٢) طليق عرضك : أى صبانك عرضك الحقيق عن الهجو وبذلك كنت كالعزيز الذى لا يصح هجوه والواقع أنه ذليل .

(٣) لاتدع بى الشوق : لا تنسبني اليه . المعمود : من هذه العشق . النهى : جمع نهيية بضم النون وهى العقل . الرعاديد : جمع رعديدة المرأة الرخصة الناعمة .

(٤) موحد الرأى لا يتردد فيه . لأن ظنه كاف لادراك العميات والدقائق .

(٥) الليث الهصور : الأسد الذى يكسر فريسته كسرا . غناء الحديد : صوت السلاح فى الحرب التفريد للطائر : رفع الصوت بلغناء .

(٦) المنية : الموت . فى أمثال عدتها أى بجيوش وعدد تدافع الموت وتغالبه . الجلمود : الصخر يشبه الممدوح بالسيل يرمى الموت بمثله كالسيل فى تدفقه يضرب الصخرة بالصخرة .

(٧) علقت : تعلقت . الردى : الموت . الضمر : جمع ضمير : الفرس الخفيف اللحم . القود جمع أقود : وهو الطويل الظهر . يظهر اعجابه بالممدوح والموت معقود بنواصي الخيل وقت القتال حتى قال له أفديك بنفسى .

وقال :

- وما ابقتِ الأيامُ مني ولا الصببا
وسوى كبدٍ حرّى وقلبٍ مقتلٍ (١)
ويومٍ من اللذاتِ خالستُ عيشه
رقيقاً على اللذاتِ غيرَ مغفلٍ (٢)
فكنتُ نديمَ الكأسِ حتى إذا انقضت
تعوّضتُ منها ريقَ حوراءٍ عيطلٍ (٣)
نهاني عنها حبا أن أريها
بسوءٍ ؛ فلم أفتك ولم أتبدلٍ (٤)
سقتني بعينها الهوى وسقيتها ،
فدبّ ديب الرّاح في كلِّ مفصلٍ (٥)
فلما استمرت من دجى الليلِ دولةٌ
وكاد عمودُ الصبحِ بالصبحِ ينجلي (٦)
ترأى الهوى بالشوقِ ، فاستحدث البكا
وقال للذاتِ اللّقاء : ترحلى (٧)
فلم تر إلا عبرةً بعد عبرةٍ
مرقرقةً أو نظرةً بتأملٍ (٨)

وقال :

- ياربّ خدنٍ قد قرعتُ جبينه
بالبّاسِ والإبريقِ حتّى مالا (٩)
أنهضته من بعد ما أسكرته
فمشى كأنّ برجله عقّالا (١٠)

- (١) الكبدى الحرى : هى التى ألهبها العشق . الصبا : ملاهى الشباب . مقتل . قتل العشق
(٢) خالست الرقيب : تحينت غفلته . ويريد بالرقيب غير المغفل هموم الدهر وأكداره .
(٣) الحوراء : المرأة ذات العين بياضها وسوادها شديداً . العيطل : الطويلة العنق فى حسن
(٤) أفتك : أتبدل . أمتنع متحرّجا . يقول : ان حبى لها أكرم موضعها عندى فلم
أسرف ولم أتخرج وانما كان لهو معتدل .
(٥) يصف سحر عيونها . الرّاح : الخمر .
(٦) الدولة هنا : الجانب . عمود الصبح : ضوءه .
(٧) ترأى الهوى بالشوق : ظهرت حرارة الحب .
(٨) العبّرة : الدمعة قبل أن تفيض . مرقرقة : تدور فى باطن العين .
(٩) الخدن : الحبيب . البّاس : الاناء يشرب فيه . يريد ساقيته الخمر .
(١٠) العقّال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها . أى لا يستطيع المشى لشدة السكر .

فإذا نظرت رأيت قوماً سادةً ونجاةً ومهابةً وجمالاً
ولديهم كرخية شمسية^(١) قد خلّيت في دهرها أحوالاً^(١)
حتى إذا بلغت وحنّ خطابها ساومت صاحبها البياع فعلاً^(٢)
وكأنما الساقى لدى إبريقه بدر أنار ضياؤه فتلالاً^(٣)
يسقيك بالعينين كأس صباية^(٤) ويعيدها من كفّه جريالاً^(٤)
أصبحت كالثوب اللبّيس قد أخلقت جداته منه فعاد مذالاً^(٥)
وبقيت كالرجل المدله عقله أشكو الزمان وأضرب الأمثالاً^(٦)
سألت عذالي فأبوا بالرّضا مني ، وكنت أحارب العذالاً^(٧)
ولقد علمت بأنه ما من فتى إلا سيبدل بعد حال حلالاً

وقال من وزن مؤلّد :

يأيها العمود قد شفك الصدود^(٨)
فأنت مستهم^(٩) حالفك السهود^(٩)

- (١) كرخية : خمر منسوبة الى الكرخ وهى محلة ببغداد شمسية . خمر الدن : وعاء كبير تخزن فيه الخمر . يريد أنها خمر معتقة . الأحوال : جمع حول . وهو العام .
(٢) خطابها من الخطبة بكسر الخاء : وهى دعوة المرأة للزواج . ساوم المشتري السلعة : طلب بيعها . غالى : تشدد فى المثل وزاد .
(٣) تلالا : تلالاً وأضاء
(٤) الصباية : الشوق . الجريال : الخمر . يسقيك كأسين احدهما من العين (سحرها) والثانية من اليد .
(٥) اللبّيس : الذى أخلقته كثرة اللبس . جدة الثوب : كونه جديداً . مذالاً : مهينا مبتذلاً .
(٦) المدله : الذاهب عقله من العشق وذلك شأن الرجل اذا أسن وخرف .
(٧) العذال : اللائمون . أبوا : رجعوا
(٨) العمود : الشديد الوجد أو الحزن . وشفك : أوهنك وأنحك . والصدود هنا : اعراض الحبيب ، يتحدث الشاعر عن نفسه .
(٩) المستهم : الذاهب الفؤاد من الحب . والسهود جمع سهد : الأرق .

تَبَيْتُ سَاهِرًا قَدْ وَدَّعَكَ الْمَجُودُ^(١)
وَفِي الْفُؤَادِ نَارٌ لَيْسَ لَهَا مَخْمُودُ
تَشْبُهًا نِيرَانٌ مِنْ الْمَوَى وَقُودُ^(٢)
إِذَا أَقْبَلُ يَوْمًا قَدْ أُطْفِئَتْ تَزِيدُ
يَا عَاذِلِي كَفَا فَإِنِّي مَعْمُودُ
أَكْرَهُنَّ مَا تَفْنِيْدِي لَوْ يَنْفَعُ التَّفْنِيْدُ^(٣)
قَدْ أَقْصَدْتُ فُؤَادِي خَمَصَانَةً خَرِيْدُ^(٤)
هَجْرَانَهَا قَرِيْبٌ وَوَصَلَهَا بَعِيْدُ

مَنْ لَامَ فِي هَوَاهَا فَنَصَحَهُ مَرْدُودُ
يَا سِحْرُ وَاصِلِيْنِي فَإِنِّي عَمِيْدُ^(٥)
إِنِّي لِمَا أَلَاقِي مِنْ جُبْكُمُ مَجْهُودُ
جُودِي لِمُسْتَهَامٍ عَذْبَهُ التَّسْهِيدُ
نَسَهْرُ مِنْ هَوَاكُمُ وَأَنْتُمْ رُقُودُ
حَتَّى مَتَى مَنَايَ لَا يَنْجِزُ الْمَوْعُودُ
صَارَ الْمَوَى بَقْلِي يُبْدِي كَمَا يُعِيْدُ

- (١) الهجود : النوم .
(٢) تشبها : توقدها وتزيدها . وقود : توقد لها .
(٣) التفنيد : اللوم .
(٤) أقصدت فؤادي : طمنته . خمصانة : ضامرة الحشا . الخريد : البكر والحبية .
(٥) العميد كالمعمود : الشديد الوجد أو الحزن .

وَسَادَةٌ	سَرَاةٍ	مَا فِيهِمْ	مَسُودٌ (١)		
كُلُّهُمْ	جَلِيدٌ	مَا فِيهِمْ	حَرِيدٌ (٢)		
بَانَ	السَّفَاهُ	فَرَأَيْهِمْ	سَدِيدٌ (٣)		
يُسْقَوْنَ	صَفْوِ	رَاحٍ	لَذِيذُهَا	مَوْجُودٌ	
كَانَتْ	بِعَهْدِ	نُوحٍ	وَهُمْ	لَهَا	جُنُودٌ (٤)
حَتَّى	إِذَا	أَبِيدُوا	أُورِثَهَا	ثَمُودٌ (٥)	
شَمْسِيَّةٌ	شَمُولٌ	شَيْطَانُهَا	مَرِيدٌ (٦)		
مُدَامَةٌ	لَهَا	فِي	خُدُودِنَا	تَوْرِيدٌ	
كَأَنَّ	شَارِبِيهَا	فِي	سُوقِهِمْ	قِيُودٌ (٧)	
حَتَّى	اَثْنَتَ	عَيْونَ	وَاحْمَرَّتْ	أَخْدُودٌ	
فِي	مَجْلِسِ	نَضِيرٍ	يَزِينُهُ	الشُّهُودُ (٨)	

(١) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الجليد : الجلد القوي الصلب . والحريد : المنفرد الضعيف .

(٣) السفاه : السفه وذهاب الحكمة والسداد .

(٤) أى هى عتيقة قديمة ، وهم : القدامى .

(٥) أى فلما هلك قوم نوح ورثها قوم ثمود فتنقلت فى الأحقاب حتى وصلت الينا .

(٦) شمسية : من صنع الشمس وحرارة الطبيعة ولم تطبخ . شمول : خمرا وباردها . المرید :

التمرد الخبيث ، أى خمر قوية الأثر .

(٧) السوق : جمع ساق : ما بين الركبة والقدم ، يقول : ان شاربها أقدمهم السكر فكانهم

مقيدون لا يستطيعون حراكا .

(٨) النضير : الحسن . والشهود : الحضور .

غَطَارِفٌ كَرَامٌ بِيضُ الْوَجُوهِ صَيْدٌ^(١)
مِنْ فَوْقِهِمْ أَطْيَارٌ صِيَاحُهَا تَغْرِيدٌ
وَتَحْتَهُمْ جِنَانٌ نَبَاتُهَا نَضِيدٌ^(٢)
وَعِنْدَهُمْ دِفَافٌ وَزَامِرٌ وَعُودٌ^(٣)
خَاصُوا بِحَرِّ قَصْفٍ تَجْرِي لَهُ مُدُودٌ^(٤)
حَتَّى أَنْتَشُوا وَقَامُوا مَجْلِسُهُمْ مَحْمُودٌ
مَنْ نَالَ مِثْلَ هَذَا فَإِنَّهُ سَعِيدٌ
هَذَا الْخُلُودِ عِنْدِي لَوْ دَامَ لِي الْخُلُودُ

وقال :

أَدِيرِي عَلَى الرَّاحِ سَاقِيَةَ الْخَمْرِ وَلَا تَسْأَلِينِي وَأَسْأَلِي الْكَأْسَ عَنْ أَمْرِي^(٥)
كَأَنَّكَ بِي قَدْ أَظْهَرْتَ مُضْمَرَ الْحَشَا لَكَ الْكَأْسُ حَتَّى أَطْلَعْتَكَ عَلَى سِرِّي^(٦)
وَقَدْ كُنْتُ أَقْلِي الرَّاحَ أَنْ يَسْتَفْزِنِي فَتَنْطِقَ كَأْسٌ عَن لِسَانِي وَلَا أَدْرِي^(٧)

(١) غطارف : جمع غطرف وهو السيد أو الكريم أو الشاب الظريف . والصيد : جمع أصيد وهو الملك أو الشريف العزيز .

(٢) نضيد : منضد أى منسق .

(٣) دفاف جمع دف : من آلات الطرب .

(٤) القصف : الإقامة فى الأكل والشرب واللهو . والمدود : الزيادات .

(٥) الراح : الخمر . يقول : الكأس تكشف لك أمرى إذا سكرت منها كما يوضحه البيت التالى .

(٦) أى كأنك تريننى وقد أطلعتك الكأس على سرى الذى أضمره فى نفسى . والحشا هنا : القلب

أو الصدر مما هو مكان السر ، والسكران لا يعى شيئاً فلا جرم أن يبوح بما فى نفسه .

(٧) أقلى : أبغض . يستفزنى : يستخفى لذهاب وعي ، أى كنت أكره الخمر خوف ذهاب عقلى

فيظهر سرى دون أن أشعر .

وَلَكِنِّي أُعْطِيتُ مِقْوَدِي الصَّبَا فَقَادَ بَنَاتِ اللّهُوَ مَخْلُوعَةَ العُدْرِ (١)
إِذَا شِئْتُ غَادَانِي صَبُوحٌ مِنَ الهوى وَإِنْ شِئْتُ مَاسَانِي غَبُوقٌ مِنَ الخَمْرِ (٢)
ذَهَبْتُ وَلَمْ أَحْدِدْ بَعِيْنِي نَظْرَةً وَأَيَّقَنْتُ أَنْ العَيْنَ هَاتِكَةً سِئْرِي (٣)
جَعَلْنَا عِلَامَاتِ المودَّةِ بَيْنَنَا مَصَايِدَ لِحَظٍ ، هُنَّ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ (٤)
فَاعْرِفُ مِنْهَا الوصلَ فِي لِينِ طَرْفِهَا وَأَعْرِفُ مِنْهَا المَجْرَ بالنَّظَرِ الشَّرِّ (٥)
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَشْيَةٌ مِنْ صُدُودِهَا أَيْتُ عَلَى ذَنْبٍ ، وَأَعْدُو عَلَى عُدْرِ (٦)
وَمُلْتَطِمِ الأمْوَاجِ يَرَى عُبَابَهُ بِمَجْرَجَةِ الآذِيِّ لِلْعَبْرِ فَالْعَبْرِ (٧)
مُطْعَمَةً حَيْثَانَهُ مَا يُغِيْبُهَا مَا كُلُّ زَادٍ مِنْ غَرِيْقٍ وَمِنْ كَسْرِ (٨)

(١) العذر : جمع عذار : الحياء ، وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك في الغى . يقول : ولكنني عدلت عن بغض الراح ، واتبعت دواعي الصبا ، فقادني مخلوع العذار الى اللذات . وأوقع الفعل على بنات اللهو وهو واقع عليه هو فهو المقود بيد الصبا .

(٢) الصبوح : الشرب صباحا ، وضده الغبوق . وغاداني : باكرني . وصبوح من الهوى : اتصال بالفرام ومراسلة النساء ، فهو بين الهوى والخمر .

(٣) أهدد : أنظر بحدة . اليها : الى المحبوبة ، وذلك خوف ظهور شأنى .

(٤) مصايد لحظ : غمزات العين ، وهن أخفى من السحر لأنه لا يظن لها أحد .

(٥) النظر الشزر : يكون بجانب العين اعراضا .

(٦) أبيت على ذنب : أى ترمينى بذنب لم أفعله . وأعدو على عذر : أسرع بالاعتذار اليها .

(٧) وهنا انتقل الشاعر الى وصف نهر الفرات والسفينة التى ركبها الى ممدوحه . وملتطم الأمواج : ورب بحر الخ . والمتلاطم : المتناطح . وعباب البحر أو النهر : موجه . وجرجرة الآذى : صوت الموج . والعبير : حافة النهر .

(٨) مطعمة : شبعة . ما يغيبها : ما ينقطع عنها . وكسر : كسر سعيئة ، فحيتان النهر موفورة

الطعام من كثرة ما تصيب من الفرقى والأمتعة ، يصف النهر بالهول .

- إِذَا اعْتَنَقَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ تَكْفَأَتْ جَوَارِيهِ أَوْ قَامَتْ مَعَ الرَّيْحِ لَا تَجْرِي (١)
- كَأَنَّ مَدَبَّ الْمَوْجِ فِي جَنْبَاتِهَا مَدَبُّ الصَّبَا بَيْنَ الْوَعَاثِ مِنَ الْعُفْرِ (٢)
- كَشَفَتْ أَهَاوِيلَ الدُّجَى عَنْ مَهُولِهِ بَجَارِيَةِ مَحْمُولَةٍ حَامِلٍ بَكْرٍ (٣)
- لَطَمْتُ بِخَدَّيْهَا الْحَبَابَ فَأَصْبَحْتُ مُوَفَّقَةً الدَّايَاتِ مَرْتُومَةَ النَّحْرِ (٤)
- إِذَا أَقْبَلَتْ رَاعَتْ بِقُنَّةٍ قَرَهَبٍ وَإِنْ أَدْبَرَتْ رَاقَتْ بِقَادِمَتِي نَسْرٍ (٥)
- تَجَانَى بِهَا النَّوْتِيُّ حَتَّى كَأَنَّهَا يَسِيرُ مِنَ الْإِشْفَاقِ فِي جَبَلٍ وَعُرٍ (٦)
- تَخَلَّجُ عَنْ وَجْهِ الْحَبَابِ كَمَا انْتَهَتْ مُخْبَأَةً مِنْ كِسْرٍ سِتْرٍ إِلَى سِتْرٍ (٧)
- أَطَلَّتْ بِمَجْدَافَيْنِ يَعْتَوِرَانِهَا وَقَوْمَهَا كَبِجِ اللَّجَامِ مِنَ الدُّبْرِ (٨)

(١) اعتنقت : اضطربت واستدارت . والجنوب : ريح تهب من الناحية الجنوبية . تكفأت : انقلبت . والجواري : السفن مع تلك الريح تنكفء أو تقف لا تسير لهول الحال .

(٢) جنباتها : جنبات السفينة . والصبأ : ريح شرقية . الوعاث : الرمال اللينة . والعفر : جمع أعفر وهو الكثيب الأحمر ، يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة ، بتحريك الريح بين الرمال فتحمل أجزاءها متقلبة .

(٣) عاد إلى النهر يصفه . أهاويل : أهوال ، ومهوله . هول النهر . محمولة يحملها الماء . حامل : تحمل الناس . بكر : لم تركب قبل هذه المرة . يقول : قطعت النهر المهول ، والليل المخوف بتلك السفينة .

(٤) الحباب : الموج ، موقفه لابسة الوقف : سوار من عاج . الدايات : أضلاع الكنف أو غضاريف الصدر . مرتومة : بها صبغ من حمرة أو بياض في مقدمها أو ودع أبيض . يقول : قد أحدث الموج في جانبي السفينة خطوطا خضرا أو حرا . وهي مرتومة المقدم مصبوغته أو به ودع أبيض .

(٥) راعت : أفزعت . قنة قرهب : رأس ثور وحشى مسن ، شبه به مقعد النوتي في صدر المركب . راق : أعجبت . بقادمتي نسر : بمجدافين كأنهما جناحا نسر .

(٦) تجانى : تنحى عن الحشف وهو حجارة تحت الماء تقرب من أعلاه . والاشفاق : الخوف يقول : ان النوتي تحاشى موطن الخطر فكانه يسير في جبل وعر .

(٧) تخلج : تنحى . الحباب : الموج ، والمراد الأماكن التي تضطرب فيها الأمواج ، يشبه تنقل السفينة بين المواضع خشية الأخطار بالجارية تنقل في نواحي البيت وأستاره مستترة .

- فَحَامَتْ قَلِيلًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ هَوَاءٍ عَلَى وَكْرٍ^(١)
- أَنَافَ بِهَادِيهَا وَمَدَّ زِمَامَهَا شَدِيدُ عِلَاجِ الْكَفِّ مُعْتَمِلُ الظَّهْرِ^(٢)
- إِذَا مَا عَصَتْ أَرْخَى الْجَرِيرَ لِرَأْسِهَا فَمَلَّكَهَا عَصِيَانَهَا وَهَى لَا تَدْرِي^(٣)
- كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَاجَهَتْ نَسِيمَ الصَّبَا مَشَى العَرُوسِ إِلَى الخَدِيرِ^(٤)
- يَمَمْنَا بِهَا لَيْلَ التَّمَامِ لِالرَّبْعِ فِجَاءَتْ لِسِتِّ قَدْ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ^(٥)
- فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى الطَّلَاحُ خَفِيرُهَا وَحَتَّى أَتَتْ لَوْنَ اللِّحَاءِ مِنَ القِشْرِ^(٦)
- وَحَتَّى عَلَاهَا المَوْجُ فِي جَنَابَاتِهَا بِأُرْدِيَةٍ مِنْ نَسَجِ طُحْلِبِهِ خُضْرُ^(٧)
- رَمَتْ بِالكَرَى أَهْوَالَهَا عَنِ عُيُونِهِمْ فَبَاتَتْ أَهْوَالُ الشَّرَى بِهِمْ تَسْرَى^(٨)

(١) حامت : استدارت . والعقاب : طائر من الجوارح . والوكر : العش ، يشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب الى وكره .

(٢) أناف بهاديا : أشرف بعنق السفينة . والمعتمل : العامل . يقول : يعالج السفينة نوتى قوى .

(٣) الجرير : الحبل . عصيانها : تماديا في الجرى . أى ترك لها العنان لتسير كما تهوى فكانه حلها على العصيان ، ... ولكنها لا تعقل ذلك .

(٤) يقول : حين تواجه الصبا سفينة تترفق في مشيها فتشبه في ذلك مشى العروس الى خدرها ، وهو ما تستتربه من بيت أو نحوه .

(٥) أى قصدت بها المدوخ لتمام الليلة الرابعة عشرة من الشهر فوصلت وقد بقى من الشهر ست ليال .

(٦) الطلاح : الكلال والاعياء وفساد الحال . أى فما بلغت الغاية حتى صار الطلاح كأنه هو الحافظ لها من الهلاك ، وذلك عجيب . وحتى أتت : حتى صارت . لون اللحاء : مثل لونه ، واللحاء : قشر الشجرة الرقيق الذى دون القشر الغليظ ، فالسفينة تغير لونها بما ذهب من قشرها .

(٧) الطحلب : طبقة نباتية خضراء تعلق الماء ، يذكر تعلق الطحلب بجوانب السفينة من تأثير الموج . وخضر : صفة أردية .

(٨) الكرى : النوم ، يقول : ان أهوال السفينة منعت ركايبها النوم ، فباتوا يسيرهن في أهوال ، والأهويل : جمع أهوال ، وهذه جمع هول .

تَوَّمُّمٌ مَحَلَّ الرَّاعِبِينَ وَحَيْثُ لَا تُوَادُّ إِذَا حَلَّتْ بِهِ أَرْحَلُ السَّفَرِ (١)
رَكِبْنَا إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مَوْخِرَاتِهِ فَأَوْفَتْ بِنَا مِنْ بَعْدِ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ (٢)

(٨) أَبُو الْعَتَاهِيَةِ (٣)

قال :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ (٤)
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَاللَّهِ رٌ دُنُوٌّ وَنَزُوحٌ (٥)
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحٌ (٦)
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحٌ (٧)
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمَسْتُورُ مِنْهَا بَيْنَ ثَوْبِيهِ فَضُوحٌ (٨)

(١) تَوَّمُّمٌ : تقصد أى السفينة . تُوَادُّ : تمنع . السفر : المسافرون ، والمعنى أن السفينة تقصد بنا منزلا يقصده الراغبون في الكرم حيث يرحب بهم .

(٢) في مؤخراته : أى في أواخر ركوبه . يقول ان السفينة انتقلت بنا من بحر (الفرات) الى من يشبه البحر كرما .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم يكنى أبا اسحق نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيا خليعا ثم ألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهدا . وكان بخيلا شديد البخل : غلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هجرية ببغداد . ويمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى وتناول الخواطر العامة فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة ويكاد شعره من السهولة يكون نثرا

(٤) الطرف العين . الطموح : الطامع يجعلك تتعلق بأمر كثيرة . جموح : نافر لا يقنع .

(٥) نزوح : بعد . ودنو : قرب .

(٦) المطلوب بذنب : العاصي الآثم . نصوح : صادقة ، والاستفهام للنفي .

(٧) قروح : جمع قرح ، وهو الجرح (الآثم) .

(٨) فضوح : مفتضح . مكشوف المساويء .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طَوَّيْتَ عَنْهُ الْكُشُوحَ^(١)
صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَاحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحِ^(٢)
سَيَصِيرُ المرءُ يوماً جَسَداً ما فِيهِ رُوحُ
بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ عَلمُ المَوْتِ يَلُوحُ^(٣)
كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْمَوْتُ يَغْدُو وَيَرُوحُ^(٤)
نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْ كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عَمَّ رَتَّ مَا عَمَّرَ نُوحُ^(٥)

ومن قوله :

أَلَمْ تَرَ رَبَّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ المَنِيَّةُ تَلَمَّعُ^(٦)
أَيَا بَابِ الدُّنْيَا لغيرِكَ تَبَنَّى وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لغيرِكَ تَجَمَّعُ
أَرَى المرءَ وَثاباً عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَللمرءِ يوماً لا مَحَالَةَ مَصْرَعُ
تَبَارِكُ مَنْ لا يَمْلِكُ المَلِكُ غَيْرُهُ متى تَنقِضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ^(٧)
وَأَيُّ امْرِئٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطَلَّعُ

(١) الكشوح : جمع كشح . وهو ما بين السرة والظهر . طوى كشحه : أعرض . يقول كم من عزيز صار ذليلاً منبوذاً .

(٢) الصدوح : مرتفع الصوت . رحيل : موت . يقول : مات .

(٣) علم الموت : مظاهره وآثاره .

(٤) يغدو ويروح : أى يحصد النفوس دائماً يقظان .

(٥) سيدنا نوح عاش طويلاً .

(٦) ريب الدهر : نوائبه . العارض : السحاب . والمنية : الموت ، يشبهها بالبرق يكون في السحاب استعارة مكنية .

(٧) في الشطر الثاني استفهام تعجيبى من طمع الانسان فيما ليس يملكه .

ولما عقد الرشيد العهد لابنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤمن قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عَنْ الرَّبِيعِ الْمُحِيلِ قَعُودِي إِلَى ذِي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وَجُنُودِي^(١)
وَرَاعٍ يُرَاعِي اللَّيْلَ فِي حِفْظِ أُمَّةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرَ رَقُودٍ
بِأَلْوِيَةِ ، جَبْرِيلُ يَقْدُمُ أَهْلِهَا وَرَايَاتٍ نَصَرَ حَوْلَهُ وَبُنُودِي^(٢)
تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيَّانَ أَنَّهَا مَفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودٍ
وَشَدَّ عُرَا الإِسْلَامِ مِنْهُ بِفَتِيَةٍ ثَلَاثَةَ أَمْلَاقٍ وَوَلَاةٍ عَهُودٍ
هُمُ خَيْرُ أَوْلَادٍ ، لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودٍ
تَقَلَّبُ الْحَاظَ الْمَهَابَةَ بَيْنَهُمْ عَيُونُ ظِبْيَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسْوَدِ^(٣)
خُدُودُهُمْ شَمْسٌ أَتَتْ فِي أَهْلَةٍ تَبَدَّتْ لِرَاءٍ فِي نَجُومِ سَعُودِ^(٤)

وقال :

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبِي وَجَدِّ وَنَسَبِ يُعْلِيكَ سُورَ الْمَجْدِ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا فِي التَّقَى وَالزُّهْدِ وَطَاعَةِ تُعْطِي جِنَانَ الْخُلْدِ
لَا بَدَّ مِنْ وَرْدٍ لِأَهْلِ الْوَرْدِ إِمَّا إِلَى ضَحْلِ وَإِمَّا عِدِّ^(٥)

(١) القعود : الجمل الفتى يقتمده الراعى فى كل جاجة ورحلته ركبته . المحيل : الدارس .
الزحوف جمع زحف : الجيش الكثير يزحف الى العدو . وذو الزحوف هنا : الرشيد .

(٢) يقدم أهلها : يتقدمهم . البنود جمع بند : العلم .

(٣) يقول ان لهم عيونا كعيون الظباء جمالا ، وقلوبا كقلوب الأسد جرأة ، ولعيونهم الحافظ تبعث

الهيبة والروعة فى النفوس .

(٤) الأهلة : الوجوه مجازا . ونجوم السعود : أفراد البيت المالك ، ويجوز أن يراد بها أوقات

سعادة .

(٥) الضحل : الماء القليل لا عمق له . والعد : الماء الذى له مدد لا ينقطع .

وقال :

أى عيشٍ يكون أبلغَ من عيدِ عيشِ كفافٍ قوتٍ بقدرِ البلاغِ^(١)
صاحبُ البغى لئسَ يسلمَ منه وعلى نفسه بغى كلُّ باغِي
ربّ ذى نعمةٍ تعرّضَ ونها حائلٌ بينه وبينَ المساغِ
أبلغَ الدهرُ في مواعِظه ، بل زادَ فيهنَّ لي على الإبلاغِ
غبتننى الأيامُ عقليَ ومالي وشبابي وصحتي وفراغِي

وقال :

لِدُوا لِمَوْتٍ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى تَبَابِ^(٢)
ألا يا موت لم أر منك بُدأ أتيتَ وما تحيفُ وما تُحَابِي
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

وقال في الغزل :

قال لي أحمدٌ ولم يدِرِ ما بي أُتِجِبُّ الْعِدَاةَ عُتْبَةً حَقًّا ؟
فَتَنَفَسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُبِّ أَسْجَرِي فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا
لو تَجُسِّينَ يَا عُتْبِيَّةُ قَلْبِي لَوَجَدْتِ الْفَوَادِ قَرْحًا تَفَقًّا^(٣)
قد لَعَمْرِي مَلَّ الطَّبِيبُ وَمَلَّ الـ أَهْلُ مَنِي مِمَّا أُقَاسِي وَأَلْقَى
لَيْتَنِي مِتُّ فَاسْتَرَحْتُ فَإِنِّي أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ مِنْهُ مُلْقَى^(٤)

(١) قوت البلاغ : ما كان على قدر الكفاية .

(٢) التباب : الهلاك .

(٣) تفقًا الجرح : انفتح وسال .

(٤) ملقى : ملاق شره .

جملة من أمثاله :

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوَّةُ مَا أَكْثَرَ الْقُوَّةَ لِمَنْ يَمُوتُ

الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَةَ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا

هِيَ الْقَادِرُ فَلَمُنِي أَوْ فَذَرُ إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ

مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حَسَنُ فِعْلِهِ

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجِدَةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى مَمْرُوجَةَ الصَّفْوَةِ بِالْوَانِ الْقَدَى

الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ

مَنْ لَكَ بِالْحَضِّ وَلَيْسَ مَحْضُ يُحِبُّ بَعْضُ وَيُطِيبُ بَعْضُ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَمَشِقُ الشَّحِيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنْ شَيْءٌ رِيحَا

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَّا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدَا

(٩) أبو تمام^(١)

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، ويذكر

فتح عمورية :

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنْ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ^(٢)
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَأَسْوَدُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(٣)
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَأَمِعَةٌ بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَأَفِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ^(٤)
أَيْنَ الرَّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ؟
تَخْرُصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِبَنَعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ^(٥)

(١) هو حبيب بن أوس الطائي نسبه الى قبيلة طيء . ولد في قرية جاسم من بلاد حوران بالشام ، ثم انحدر الى مصر صبيا فتروى الادب : وأكثر من حفظ الشعر ، قصيده وأراجيزه ، وعالج القريض حتى أجاده وبرع فيه ثم صار الى بغداد فمدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع وأوفى على الغاية حتى تقدم على سائر شعراء عصره . ويمتاز في شعره بتخير اللفظ . وتجويد الصياغة وهو من أوائل من عنوا بتحرى فنون البديع ، وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هجرية .

(٢) الأنباء: جمع نبا ، وهو الخبر يقول : ان السيف اصدق مما تضمنته الكتب وقد حكوا أن النجمين كانوا حذروا المعتصم فتحها في هذا الأوان ، وقالوا انا نجد في الكتب أنها لا تفتح الا في وقت نضج التين والعنب ، فلم يسمع المعتصم لقولهم وسار بجيشه ففتحها .

(٣) الصفائح جمع صفيحة : السيف العريض . والصحائف جمع صحيفة : القرطاس المكتوب ، يقول : ان السيوف البيضاء هي التي تجلو الشك وتزيل الريب لا الصحائف المكتوبة .

(٤) شهب الرماح : أى الرماح التى هى كالشهب . والخميس : الجيش . والسبعة الشهبى : الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وزهرة وعطارد ، يقول : ان العلم الحق انما هو فى السيوف وليس فى النجوم .

(٥) التخرص : الكذب . والتبع : شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال . والغرب : نبات رخو منهت على الأنهار ، أى أن أحاديث النجمين كذب لا أصل له .

عَجَابِيَا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفَلَةً عَنْهُنَّ فِي صَفْرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ (١)
 وَخَوْفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْبَاءِ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيَّ ذُو الذَّنَبِ
 وَصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ (٢)
 يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكَ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ (٣)
 لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ
 فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ
 فَتَحَ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُسْبِ
 يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ انصَرَفَتْ عَنْكَ الْمُنَى حُفْلًا مَعْسُولَةَ الْحَلْبِ (٤)
 أَبَقِيَتْ حَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدِ وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشُّرْكِ فِي صَبَبِ (٥)
 أُمَّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلَّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَبِ (٦)
 وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتَهَا كَسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرْبِ (٧)

(١) يقول : أنهم اختلقوا عجائب فزعموا أن صفرا ورجبا شهرا شؤم لا يأتيان بخير .

(٢) كانوا يقسمون بروج السماء ثلاثة أقسام - أربعة منقلبة - وهي الحمل والسرطان والميزان والجدى ، وأربعة ثابتة ، وأربعة ذوات جسدين . ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع فان كان الحادث سيقع في برج ثابت فعلوه وان كان في منقلب لم يفعلوه .

(٣) يقول : ان النجوم نفسها غافلة عما يتحدثون به ويأفكون .

(٤) لمنى : ما يتمناه الانسان . وحفل : جمع حافل ، وهي الناقة التي امتلأ ضرعها . والحلب : الحلبة من اللبن ، ومعسولة : حلوة . يقول : ان امانينا عادت وهي حافلة بالسرور لتحقيق ما أملت

(٥) الصبيب : الانحدار .

(٦) يقول : ان عمورية كانت عزيزة عليهم كأهمهم ، وانها كانت ركنا عظيما من أركانهم .

(٧) البرزة : الحسنه الوجه : الفائقة في الجمال . وكسرى : ملك فارس . وأبو كرب : ملك من

ملوك التبابعة باليمن . يقول : ان عمورية جميلة فائقة الجمال قد أعيا فتحتها كسرى وأبا كرب .

مِنْ عَهْدِ إِسْكَانْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبْ
 بِكُرْمٍ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ الثُّوبِ
 حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا مَخْضُ الْبَخِيلَةِ كَأَنْتَ زُبْدَةُ الْحَقِيبِ (١)
 أَتَتْهُمْ الْكَرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةٌ مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةُ الْكَرْبِ (٢)
 جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقَرَةَ إِذْ غُودِرَتْ وَخَشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحْبِ (٣)
 لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ (٤)
 كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ قَانِي الدَّوَابِّ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ (٥)
 بِسِنَّةِ السَّيْفِ وَالنَّخْطَى مِنْ دَمِهِ لَا سِنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ (٦)
 لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ (٧)
 غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُضْحَى يَشْلُهُ وَسَطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ (٨)

(١) مخض اللبن . خلطه ماء ثم رجه ليستخرج زبدته . ومخض البخيلة أشد لأنها تريد أن تستوفي ما في اللبن من زبدة . يقول : ان الله حفظ عمورية وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة حتى استخلصها المعتصم فكانت زبدة الدهور .

(٢) الكربة السوداء : المصيبة العظمى . سادرة متحيرة والضمير في منها واسمها يرجع على عمورية : يقول : نأ الكارثة العظمى أصابتهم بفتحها وكانت عندهم فراجة الكرب لتعويلهم عليها في حروبهم .

(٣) كان المعتصم قد فتح أنقرة قبل فتح عمورية . يقول : لما فتحت أنقرة كان فتحها شؤماً على عمورية وأهلها فكان خراب أنقرة أعدى من الجرب إذ سقطت بعدها عمورية .

(٥) قاني الدواب : أحر الضفائر : والآنى الحار جدا . وسرب : سائل . يقول : كم بين حيطان عمورية وقلعتها من جنود خضبت بالدماء الحارة .

(٦) كان بعض المسلمين يرون من السنة أن يخضب الشعر بالحناء . فهو يقول : ان هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء وليس خضابهم - كالسنة - بالحناء .

(٧) يقول لقد تركت الصخر والخشب ذليلين لكثرة ما أعملت فيهما النار .

(٨) يشله : يطرده . يقول : ان الليل المظلم صار نهاراً باشتعال النيران التي كانت تطارد الظلام .

حَتَّىٰ كَانَ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبِ
ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحَى شَحْبِ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ (١)
تَصْرَحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا عَنْ يَوْمٍ هَيَّجَاءٍ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنْبِ (٢)
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى بَانَ بِأَهْلِ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ (٣)
مَا رُبِعُ مِيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًّا مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ (٤)
وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أَدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرَبِ (٥)
سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَ الْعَيُونِ بِهَا عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ (٦)
وَحُسْنٌ مُنْقَلَبٌ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ جَاءَتْ بِشَاشَتِهِ عَنْ سُوءٍ مُنْقَلَبِ
لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصَرٍ كُنْتُ لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ
تَدْبِيرٌ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ لِلَّهِ مُرْتَعِبٌ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبِ

(١) وجبت الشمس : غربت . يقول ، ان النار كانت قد ملأت القلعة حتى لتظن أن الشمس طالعة وهي لم تطلع ، وتظن من دخانها الكثيف المظلم أنها غربت ولم تغرب بدليل ما ترى من ضياء .

(٢) تصرح : تكشف . يقول : انكشف الدهر كما ينكشف الغمام عن يوم شديد وكان يوما طاهرا جنبا . ويعنى بطهره ما كان فيه من جهاد العدو . وهو مطلب ديني ، ويعنى بجنابته ما كان فيه من سبى وما اليه .

(٣) لم تطلع الشمس على متزوج من العدو لأنه قتل ، ولم تغرب على عزب من المسلمين لأنه قد ناله من السبايا ما بنى بها .

(٤) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور . ومية : محبوبته التي أكثر من التشبيب بها .

(٥) الخد الترب : المعفر في التراب .

(٦) يقول : ان منظر عمورية وما فيه من خراب وتهدم وسماجة أجمل في العيون من منظر جميل .

- وَمُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسْنَتُهُ (١)
 لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ
 يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبٍ (١)
 إِلَّا تَقَدَّمَ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ (٢)
 لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا
 مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجَبٍ
 رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا
 وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ تُصِبِ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبُوها وَاثْقَيْنَ بِهَا (٣)
 وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدُ
 اللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ (٣)
 لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثْبِ (٤)
 ظُبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافِ الْقَنَا السُّلْبِ
 إِنَّ الْحَمَامِينَ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمْرٍ (٥)
 لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبْطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
 كَأْسَ الْكَرْمِيِّ وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ (٦)
 بَرْدَ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ (٧)
 عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ

(١) يعنى بمطعم النصر الخليفة المعتصم : ومعنى مطعم النصر أن الله يطعمه النصر كما يطعمه الرزق . وكهت أسنته : كلت .

(٢) نهد الرجل : نهض .

(٣) أشبوها : حصنوها . والمعقل الأشب : الحصن المنيع .

(٤) ذو أمرهم : قائدهم ، أى قال قائدهم اثبتوا للعدو فأنتم بآمن اذ ليس مكان قريب تحل به جنود العدو ثم لا يمكن أن تنال من قرب .

(٥) الحمام : الموت . والبيض : السيوف . والسمر : القنا . يقول : ان السيوف والقنا وهما أسباب الموت هما كذلك أسباب الحياة من نيل الماء والعشب .

(٦) زبطريا : نسبة الى زبطرة : بلدة كان قد فتحها الروم فلما أرادوا أن يسبوا امرأة مسلمة فيها نادى وامعتصماه فبلغ ذلك المعتصم وكان فى يده كأس فلم يشربها وأمر بتجنيد الجيش وغزو عمورية . والرضاب : الريق . والخرد : الحسان . والعرب جمع عروب : وهى المرأة المتحبة لزوجها

(٧) عداك : صرفك . والثغور الأولى : البلاد المتاخمة للعدو . والثغور الثانية : أسنان الحسان . وسلسالها : ريقها . الحصب : العذب .

- أَجَبْتَهُ مُعَلِّناً بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا وَلَوْ أَجَبْتَهُ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ (١)
حَتَّى تَرَكَتَ عَمُودَ الشَّرْكِ مُنْقَعِرًا وَلَمْ تَعْرِجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ
لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنِ تَوْفَلِسُ وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ (٢)
غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ جَرِيَّتَهَا فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْحَدَبِ (٣)
هَيْهَاتَ زُعْزَعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ عَنْ غَزْوٍ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوٍ مَكْتَسِبِ
لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرْبَى لِكَثْرَتِهِ عَلَى الْحَصَى وَبِهِ قَقْرُهُ إِلَى الذَّهَبِ (٤)
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدُ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْيَةِ فِي الْمَسْئُوبِ لَا السَّلْبِ
وَلَى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئُ مَنْطِقَهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ (٥)
أَخَذَى قَرَابِينَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْمَرْبِ (٦)
مُوكَلًّا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَأَمِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ (٧)
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ أَوْسَعَتْ جَاوِحَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ (٨)

(١) الضمير في أجبته يعود على الصوت الزببرى . وهو صوت المرأة المستغيثة .

(٢) توفلس : ملك الروم : والحرب بالفتح : سلب الأموال .

(٣) يقول ان توفلس أخذ يرشى بالمال ليدفع عنه تيار الجيوش فغلبه البحر ذو التيار والحدب . ويعنى بالبحر الجيش العظيم وذو الحدب : ذو الموج المتلاطم .

(٤) الضمير في ينفق : يعود على المعتصم .

(٥) الضمير في ولى : يعود على توفلس . وألجم الخطى منطقه ، أى أخرسه السيف .

(٦) أخذى : أعطى . وقرابينه : أى المقربين له . يقول : ان توفلس قدم المقربين اليه هدية لصروف الموت وفر هو على أحسن مطاياها وأنجبها .

(٧) اليفاع : الأرض المرتفعة . ويشرفه : يعلوه .

(٨) يقول : ان فر توفلس من حر النار فرار النعام فذلك لانك أضمرت نارا لا عهد له بها .

- تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
 جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ (١)
- يَارُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتَثَّ دَابِرُهُمْ
 طَابَتْ وَلَوْ ضُمَّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطْبِ (٢)
- وَمُعْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
 حَى الرِّضَا مِنْ رَدَائِهِمْ مَيَّتِ الْغَضَبِ
- وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقِ لِحْجِ
 تَجْمُؤُ الْكِمَاةِ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرَّكْبِ (٣)
- كَمْ نَيْلٍ تَحْتِ سَنَاهَا مِنْ سَنَى قَمَرٍ
 وَتَحْتِ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَنِبِ (٤)
- كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْنَابِ الرَّقَابِ بِهَا
 إِلَى الْخَدْرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ (٥)
- كَمْ أَحْرَزَتْ قَضِبُ الْهِنْدِيِّ مُصَلَّتَةً
 تَهْتَرُ ، مِنْ قَضِبِ تَهْتَرُ فِي كُثْبِ (٦)
- بِيضٌ إِذَا انْتَضَيْتُ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ
 أَحَقُّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنْ الْحُجْبِ (٧)
- خَلِيفَةَ اللَّهِ ! جَازَى اللَّهُ سَعِيكَ عَنْ
 جُرْثُومَةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
- بَصَرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا
 تَنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرِ مِنَ التَّعَبِ
- إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمِ
 مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ (٨)

(١) يقول : ان جيش العدو كان تسعين ألفا حل أجلهم قبل أن ينضج التين والعنب ، وفي هذا تهكم بقول المنجمين الذي ذكر في أول القصيدة .

(٢) الحوباء : النفس ويعنى نفوس المسلمين وقد طابت بقطع دابر العدو بأكثر مما تطيب بالمسك .

(٣) المأزق : موضع الحرب . ولحج : ضيق . والكماة : الأبطال . وصغرا : أذلاء .

(٤) العارض الأول : السحاب . والثاني ما يعرض من الأسنان ، وشنب : رقيق لطيف .

(٥) يعنى بالمخدره العذراء عمورية لأنها لم تفتح قبل . يقول : ان قطع الرقاب كان سببا في فتح عمورية والضمير في بها للحرب .

(٦) القضب : السيوف . ومصلته : مشهورة . والقضب الثانية : الفصون . أى كم أحرزت هذه السيوف قدودا كالأغصان .

(٧) انتضيت : سلت . والحجب : الأعماد . يقول : ان هذه السيوف أحق أن تغمد في صدور الأعداء الأبيض أبدانا من أن تغمد في جرابها .

(٨) الذمام : الحرمة . ومنقضب : منقطع .

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نَصَرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامٍ «بَدْرٍ» أَقْرَبُ النَّسَبِ
أَبْتَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَرَاضِ كَأَسْمِهِمْ صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ (١)

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُوا غِيَاهِبُهُ (٢)
لَأْمُرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ عَوَاقِبُهُ (٣)
عَلَى كُلِّ مَوَارٍ الْمِلَاطِ تَهَدَّمَتْ عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ وَأَنْضَمَّ حَالِبُهُ (٤)
رَعْتَهُ الْفِيَّافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءَ الرَّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ (٥)
إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الْمُلْكِ كَلَّمَا هَبْطْنَا مَلَّاصَتْ عَلَيْكَ سَبَاسِبُهُ (٦)
إِلَى سَالِبِ الْجَبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ وَأَمَلُهُ غَادَ عَلَيْهِ فَسَالِبُهُ (٧)

(١) بنو الأصفر : الروم . والمراض : الكثير المرض .

(٢) اطراف الأسنة : أسنة الرماح . عرسوا : نزلوا ليلا . يقول : ان هؤلاء الركب ركبوا على مثل أسنة الرماح وهي كور الجمال التي تشبه الأسنة في الصلابة والمضاء . وغياهب الليل : ظلمته

(٣) لأمر : متعلق بعرسوا : أي أن هؤلاء الركب ركبوا لأمر وهو نيل العطاء من المدوح ولكن عليهم أوله وهو السفر وتحمل التعب ليس عليهم تمامه وهو أن يفوزوا بمطلبهم .

(٤) على كل : متعلق بفعل محذوف وهو ساروا . والملاط : عضد البعير . والموار : المتحرك . والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن وهو كنية عن الضمور .

(٥) الفيافي : فلوات لاماء بها ، والواو للحال : أي أن هذه الأبل كانت ترعى الفيافي أيام نضارتها وهي الآن ترعاها الفيافي فتضعفها وتهزلها .

(٦) جزعنا الأرض : قطعناها عرضا . ومغرب الملك : الشام . وكان أبو تمام بها وكان ممدوحه بخراسان . والملا : الصحراء . وصلت عليه : أتت عليه . والسباسب : جمع سباسب . الأرض المستوية .

(٧) بيضة الملك : حوزته وأصله . وأمله : طالب العطاء منه : يقول : أنا مهرنا الى من يسلب . الجبار ملكه ، وطالب العطاء منه يسلبه ماله ، فهو سالب ملك الجبار ومسلوب المال من الطالبين .

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الْأَرْضَ الْعِزَّازَ كِتَابُهُ
سَمَا لِلْعُلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ (١)
فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهُ
وَأَيْنَ بُوْجِهَ الْحَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا مَرَأَى الْأُمُورَ الْمُشْكَلاتِ تَجَارِبُهُ (٢)
أَرَى النَّاسَ مِنْهَا جِ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ مَهَا يِعُهُ الْمُثَلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُهُ (٣)
فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرِ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهِيَ مَوَاهِبُهُ (٤)
إِذَا مَا أَمْرُؤُ الْقَى بِرَبْعِكَ رَحَلَهُ فَقَدَّ طَالِبَتَهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهُ (٥)

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِتَصْرُفِ الْأَحْرَاسِ (٦)
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ (٧)
الْقَوْمُ ظِلُّ اللَّهِ أَسْكَنَ دِينَهُ فِيهِمْ وَهُمْ جِبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِي
فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرْنَدُ مُشْرِقٍ وَهُمْ الْفِرْنَدُ لَهُؤَلَاءِ النَّاسِ (٨)

(١) يريد بجانبى العلاء الشجاعة في الحرب والكرم . والعباب : معظم الماء . وجاشت : زخرت . وغواربه : أعلى أمواجه .

(٢) أين بوجه الحزم : أى كيف يشكل عليه الحزم . وتجاربه مرآة للمشكلات . ومرانى : جمع مرآة .

(٣) أرى الناس : بين لهم وأوضح . المهايح واللواحب : الطرق الواضحة . وعفت : ومحت : درست .

(٤) لما علم الناس الكرم كانت هباتهم ليست منه وهى فى الحقيقة منه لأنه هو الذى علمهم .

(٥) أى من نزل عندك وألقى رحله بربعك ضمن نجح مطلبه .

(٦) الاحراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدأ ومعرّوف مبتدأ ثان . وقرى خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر المبتدأ الأول ومعرّوف السماء المطر . يقول ان الأرض قوتها المطر . وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم مارجوا .

(٨) الفرند : رونق الشيء .

هَدَّاتُ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هِمَّتِي وَأَطَافَ تَقْلِيدِي بِهِ وَقِيَّاسِي^(١)
وَالْحَمْدُ بُرْدُ جَمَالِ أُخْتَالَتَ بِهِ غَرَّرُ الْفِعَالِ وَلَيْسَ بُرْدُ لِبَاسِ
أَبْلَيْتَ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةَ فِيهِ وَكَرَمَ شِيْمَةَ وَنَحَاسِ^(٢)
إِقْدَامُ عَمْرُو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمِ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ^(٣)
لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ^(٤)
غَلَبَ الشُّرُورُ عَلَى مُهُمِّي بِالَّذِي أَظْهَرْتَ مِنْ بَرِّي وَمِنْ إِيْنَاسِي
عَدَلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كِبَرَةٍ لَسِكَتَهُ مِنْ يَاسِ^(٥)
أَثْرُ الْمَطَالِبِ فِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا أَثْرُ السِّنِّينَ وَوَسْمُهَا فِي الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجا :

لَمَّا وَرَدْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى عَنَا تَعَجْرُفُ دَوْلَةِ الْإِمْحَالِ^(٦)
أَحْيَا الرَّجَاءَ لَنَا بَرِغْمِ نَوَائِبِ كَثُرَتْ بَيْنَ مَصَارِعِ الْآمَالِ^(٧)

(١) يقول : ان همتى استقرت بعد أن أملت أحد بن المعتصم ، وتقليدي للناس في السعى اليه وتجاربي حققت أمالي .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها اليه . ونحاس : الشيمة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب ، وحاتم الطائي المشهور بالكرم ، وإياس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ، والأحنف بن قيس سيد بني تميم .

(٤) اشارة الى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : ان مشيبي تحول الى شباب ولم يكن مشيبي من كبر ولكنه من ياس ، فلما قصدتك

زال همى ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الإمحال : الجذب .

(٧) مصارع : جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

أَغْلَى عَذَارَى الشُّعْرِ أَنْ مُهُورَهَا عِنْدَ الْكِرَامِ - وَإِنْ رَخُصْنَ - غَوَالِي (١)
تَرْدُ الظُّنُونُ بِنَا عَلِيٍّ تَصْدِيقِهَا وَيُحَكِّمُ الْأَمَالَ فِي الْأُمُوالِ (٢)
وَرَأَيْتَنِي فَسَأَلْتَ نَفْسَكَ سَبَبَهَا لِي ثُمَّ جُدْتَ وَمَا انتَظَرْتَ سُؤَالِي (٣)
كَالغَيْثِ لَيْسَ لَهُ - أُرِيدَ نَوَالَهُ أَوْ لَمْ يُرَدَّ - بُدُّهُ مِنَ التَّهْطَالِ (٤)

وقال في وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَفَاصِلِ (٥)
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلِ (٦)
لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ (٧)
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ (٨)

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة ، والمراد بدائع الشعر التي لم تبتذل .

(٢) يقول : ان ما نظنه ونخاله من الخيرات يدفعا اليه فنجده حقا ، ثم يعطينا من أمواله ما أملنا فيه .

(٣) السيب : العطاء . يريد أنك رأيتني فافتضيت نفسك اعطائي دون أن أسألك ذلك .

(٤) الغيث : المطر . التهطال : المطر المتتابع ، وهذا البيت دليل ما قبله ومثال له .

(٥) الشبابة : سن الرمح ، استعارها الشاعر لسن القلم وهو أسلته ، لأن الشبابة أشكل بالمعنى الذي أرادته . الكلى جمع كلية ، يريد أنه موفق الى الحكمة والاصابة حتى لا يقع رأيه في تدبير الأمور الا في الصميم .

(٦) الأرى : غسل النحل . واشتارته : استخرجته من شمعته . واللعباب : الريق . يريد أنه اذا غضب كان قوله كسم الأفاعى ، واذا رضى كان في حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه .

(٧) الريق : الريق . والطلل المطر الخفيف . والوابل والوبل المطر الغزير ، يريد أنه وأن لم يصب من المداد الا يسيرا فان أثره في شرق الأرض وغربها جليل عظيم .

(٨) يريد به راكبا حين تحمله الأنامل للكتابة . وراجلا : حين يلقى . والراجل : ضد الراكب ، لأنه انما يعتمد على رجليه .

إذا ما امتطى الخمس اللطافَ وأفرغتْ عليه شِعَابُ الفِكرِ وهي حَوافلٌ^(١)
أطاعته أطرافُ القنا ، وتموّضتْ لنجواه تقويضَ الحِيامِ الجحافلِ^(٢)
إذا استغزَرَ الذهنُ الجليُّ وأقبلتْ أعالیه فی القرطاسِ ، وهي أسافلٌ^(٣)
وقد رَفَدَتْهُ الخِنَصْرانِ ، وسَدَّدَتْ ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأناملِ^(٤)
رأيتَ جليلاً شأنه وهو مرهفٌ ضنّی وسمیناً خطبُه وهو ناحِلٌ^(٥)

وقال يرثى محمد بن محمد الطوسي :

كذّاً فليجِلَّ الخطبُ ، وليفدَحِ الأمرُ فليس لعينٍ لم يفيضْ ماؤها عُذْرٌ^(٦)
توفيتُ الآمالُ بعدَ محمدٍ وأصبح في شُغْلِ عن السفرِ السَّفْرُ^(٧)
وما كانَ إلاّ مالٌ من قلِّ ماله وذُخْرًا لمن أَمسى ، وليس له ذُخْرٌ^(٨)
وما كانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جودِ كَفِّهِ إذا ما استهلَّتْ أنهُ خُلِقَ العُسرُ^(٩)

- (١) يريد بالخمس اللطاف الأنامل . واللطاف : الدقاق . والشعاب : جمع شعبة وهي هنا
مناحي التفكير . وحوافل : جمع حافلة أى ممتلئة زاخرة .
(٢) القنا : جمع قناة وهي الرمح . وأطراف أسنانها . والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش
الكثير العدد .
(٣) القرطاس : ويجمع على قرطيس الورق . ويريد بأعلى القلم أسلته (سنه) .
(٤) رَفَدَتْهُ : أعانته وأمدته . ويريد بالخنصرين : الخنصر والبنصر من باب التغليب كما يطلق
العمران على أبي بكر وعمر ، والقمران على الشمس والقمر .
(٥) المرهف : المرفق الحاد . الضنى المرض . الخطب الشأن والقدر . الناحل : النحيف .
(٦) فدح الأمر يفدح صعب وثقل . والفوادح : النوازل .
(٧) السفر : المسافر . يقول : انه بموته انقطعت الآمال لأن الناس لم يكونوا يؤملوه الا فيه .
وشغلت الناس الرزية فيه عن أسفارهم وقضاء حاجاتهم .
(٨) الذخر والذخيرة : ما يحفظ لوقت الحاجة .
(٩) اجتدى يجتدى : سأل العطية والمراد بـ (استهلّت) كفه : حتى ان سألته ماكانوا يدرون
أن العسر قد خلق .

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ فَجَاحُ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَانْتَشَرَ الثَّغْرُ^(١)
 فَتَى كُلَّمَا فَاضَتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا - ضَحِكْتَ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ^(٢)
 فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانَ فِيمَا يَنْوِبُهُ فَفِي بَأْسِهِ شَطْرٌ ، وَفِي جُودِهِ شَطْرُ^(٣)
 فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَيِّتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ^(٤)
 وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مُضْرَبُ سَيْفِهِ مِنَ الضَّرْبِ ، وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمْرُ^(٥)
 وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمُرُّ وَالخَلْقُ الْوَعْرُ^(٦)
 وَنَفْسُهُ تَعَاثُرَ الْعَارَ حَتَّى كَأَنَّهَا هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ^(٧)
 فَأَثْبَتَ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا : مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ !^(٨)
 غَدَاً غُدُوَّةً ، وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ^(٩)

(١) فجاح : جمع فح وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والمراد بها هنا مجرد الطريق .
 وانتشر الثغر : أى اجتيزت الحدود .

(٢) يقول : انه مامن قبيلة دحرت في الحرب حتى فاض الدم من عيونها الا ذكره الناس بالفخر
 لانه هازمها .

(٣) ينوبه : يلم به ويشغله . والبأس : الشجاعة والقوة .

(٤) يقول : انه قتل قتلة بطل شجاع حتى أضحت لكرمها وعزتها تعادل النصر حين فاته النصر

(٥) مضرب السيف : حده . واعتلت : اعتدلت وتناقلت . والقنا : جمع قناة وهى الرمح وتنتع
 بالسمره كما تنتع السيوف بالبياض . يقول : انه لم يقتل حتى تثلم حد سيفه من شدة ما ضرب
 به وحتى تقصفت الرماح في يديه فلم تعد تفنى في الطعان .

(٦) الحفاظ : الحمية والفضب عند حفظ الحرمة ، والوعر ضد السهل والمراد به هنا الشديد
 الانفة يقول : انه كان يستطيع أن يدفع الموت عن نفسه بالهرب ونحوه ، ولكنه آثر الموت أنفة
 من العار .

(٧) الروع هنا الحرب ، ويجوز أن يراد به الشدة بوجه عام .

(٨) جعل للموت مستنقعا كمستنقع الماء وهو مجتمع في بطن الوادى . وأخمص القدم ما لا يصيب
 الأرض من بلاطنها . يريد أنه قد ثبت للموت فلا تتحول رجلاه الى أن يموت حتى كان الحشر
 من تحتها .

(٩) غدا : خرج في أول النهار . يريد أنه عاش محمودا مشكورا ، ومات مثوبا مأجورا .

- ردى ثياب الموت مُحْرًا ، فما دَجَا ، لها الليلُ إلهي من سُندس خضر^(١)
كَانَ بَنِي نَهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجْمٌ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ^(٢)
يُعَزَّوْنَ عَنْ نَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعَلَا وَيِيكِي عَلَيْهِ الْبَأْسُ وَالْجُودُ وَالشِّعْرُ^(٣)
وَأَنَّى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتَشْهَدَا هُوَ وَالصَّبْرُ^(٤)
فَتَّى كَانَ عَذَابَ الرُّوحِ لِأَمِنْ غَضَاضَةٍ وَلَكِنَّ كَبْرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كَبْرٌ^(٥)
فَتَّى سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ وَهُوَ حَمَّى لَهَا وَبَزَّتَهُ نَارُ الْحَرْبِ وَهُوَ لَهَا جَمْرٌ^(٦)
وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْمَأْثِيرُ فِي الْوَعْيِ بَوَاتِرٌ ؛ فَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرٌ^(٧)
أَمِنْ بَعْدَ طَىِّ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا يَكُونُ لِأَثْوَابِ النَّدَى أَبَدًا نَشْرٌ^(٨)
إِذَا شَجَرَاتِ الْعُرْفِ جَذَّتْ أَصُولُهَا فِي أَيِّ فَرْعٍ يُوجَدُ الْوَرَقُ النَّضْرُ ؟^(٩)
لَنْ أَبْغِضَ الدَّهْرُ الْخُثُونَ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِي بِهِ مِمَّنْ يُحِبُّ لَهُ الدَّهْرُ^(١٠)

- (١) تردى الثوب : لبسه . ودجا الليل : أظلم . والسندس : نسيج الحرير .
(٢) بنو نهان : قوم الربى . بطن من طيء .
(٣) ناو : ثوى بالمكان يشوى فهو ناو أى مقيم به . والميت ناو لأنه مقيم في قبره ما يبرحه .
(٤) استشهد الرجل بالبناء للمجهول : مات شهيدا يقول الشاعر : كيف لأهل القتل بالصبر عليه وقد مات وماتت معه غريزة الصبر في قومه واللائدين به .
(٥) الغضاضة هنا بمعنى الدلة . يقول : انه كان كريم النفس لين الجانب لامن ذلة ولا استكانة بل أنفة من أن يقال ان فيه تكبرا .
(٦) بزته : يقال بزّه ثوبه وأبتره : سلبه .
(٧) المآثر : جمع مآثور . والسيف المآثور : القديم المتوارث . والوعى : الحرب . وبواتر : جمع باتر وهو القاطع . وبتر : جمع أبتّر ؛ أى مقطوعة يريد أن السيوف كانت في حياته حادة قاطعة فلما مات تثلّمت . والمراد أنه حين كان يحمل جيشه السيوف كانت تبلغ من الأعداء كل مبلغ ولما مات لم يبق لها قوة على النضال .
(٨) يقال : طوى الردى فلانا يطويه طيا أى مات . والندى : الجود .
(٩) جذت : قطعت ، والنضر يقال : نضر الوجه واللون والشجر نضارة : فهو نضر أى حسن ونعم .
(١٠) يريد أن الدهر اذاكره لموته فان الدهر كان يحب لأجله بما سجل له من عظام ومفاخر في الحياة .

- لئن غدرتُ في الزرع أيامه به فما زالتِ الأيامُ شيمتها الغدر (١)
لئن ألبست فيه المصيبة طيِّباً فما عرَّيت منها تميمٌ ولا بكر (٢)
كذلك ما ننفكُ نفقهُ هالكا يُشاركنا في فقده البدو والحضر
سقى الغيثُ غيثاً وارتِ الأرضُ شخصه وإن لم يكن فيه سحابٌ ولا قطر
وكيفَ احتمالى للغيوثِ صنيعةً بإسقامها قبراً ، وفي لحده البحر (٣)
مضى طاهرَ الأثواب لم تبق روضةٌ غداة ثوى إلا اشتَهت أنها قبر
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمرُ صرفَ الدهرِ نائله الغمر (٤)
عليك سلامُ الله وقفا فإنني رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليس له عمر (٥)

(١٠) دَعْبِلُ (٥)

قال :

- أينَ الشبابُ ؟ وأيةً سلكا ؟ لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلَّ ، بل هلكا (٦)
لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسه فبكي (٧)

(١) الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٢) يريد أن المصيبة فيه لم تقتصر على طيِّبٍ وحدها بل لقد (عمت لجلالة محله) تميماً وبكراً .

(٣) كيف احتمال للمطر جميلاً هو سقيه هذا القبر مع أن فيه بحراً . ينكر الشاعر على نفسه

دعوته للقبر بالسقيا . يعلل ذلك بأن فيه بحراً .

(٤) الثرى : التراب . والنائل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٥) دعبيل بن علي بن رزين يمني من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصباً لقومه على العدنانية ، هجاء

خبيث اللسان ، لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء ؛ فعاش مكروهاً مرهوباً حتى توفي

سنة ٢٤٦ هـ . وشعره من النوع المطبوع ذي الأسلوب القوي لتأثره بنزعته الجريئة في وجه

الدولة ، وبتعصبه للطالبيين ، وبميله إلى الارهاب والتخويف ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

(٦) أية : أي سبيل .

(٧) ضحك المشيب : ظهر الشيب ، وبين ضحك وبكى طباق .

يأليت شعري كيف يومئذ يا صاحبي إذا دمي سُفِكَ
لا تأخذنا بظلامتي أحداً ؛ قلبي وطرفي في دمي اشتراكاً (١)
ومن قوله يرثي ابن عم له من خزاعة :
كَانَتْ خُزَاعَةٌ مِثْلَ الْأَرْضِ مَا اتَّسَعَتْ فَكَصَّ مَرُّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيهَا (٢)
هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الثَّوَالِي بِبَلْقَعَةٍ تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا (٣)
هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنْ لَا هُبُوبَ بِهِ وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يُبَارِيهَا (٤)
اضْحَى قَرَى لِمَنَايَا إِذْ نَزَلْنَا بِهِ وَكَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ يَقْرِئُهَا (٥)
وَقَدْ سَافَرَ مَرَّةً فَطَالَ عَلَيْهِ السَّفَرُ فَقَالَ :
أَلَمْ يَأْنِ لِلسَّفَرِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا إِلَى وَطَنٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ رُجُوعاً (٦)
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقِ عَبْرَةٍ نَطَقْنَ بِمَا ضُمْتُ عَلَيْهِ ضُلُوعاً (٧)

(١) الظلامه بضم الظاء : ما احتملته من الظلم ، والمراد هنا موته عشقا من أثر النظر بعينه والحب بقلبه .

(٢) الحواشي : الجوانب ، والمفرد حاشية .

(٣) الثاوي : المقيم . والبلقعة : الأرض القفر جمعها بلاقع . وسفت الريح التراب : حلته . ويريد أنه مدفون بأرض مقفرة تسفى بها الرياح على قبره .

(٤) الحسير : الضعيف الكليل . والمعنى : أن الريح هبت لما علمت بموته ، ولكنها في حياته كانت تعجز عن مسابرتة حين يسرع هو الى المكارم .

(٥) القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والمعنى أنه أصبح طعمة الموت بعد ما كان وهو حي يقدم الى الموت ضحاياه من قتلاه في الحروب ، يصفه بالشجاعة .

(٦) يأتي : يقرب ويحضر ، والسفر : المسافرون ورجوع فاعل (يأن) والى وطن متعلق بـ رجوع ، والاستفهام للانكار .

(٧) العبرة بفتح العين : الدمعة . وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق الى الوطن والاهل .

تَبَيَّنَ ! فكم دارٍ تَفَرَّقَ شملُها ! وشملٍ شتيتٍ عادٍ وهوَ جميعٌ^(١)

كذلكَ الليالى صرْفهنَّ كما ترى ؛ لكلِّ أناسٍ جدبةٌ^(٢) وربيعٌ^(٣)

وكانت مودَّةً بينِ دِعبِلٍ ومسلمِ بنِ الوليدِ أعقبها جفوةٌ ، فكتب إليه دعبِلُ :

أبا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدِي مَوَدَّةٍ هَوَانَا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا مَعًا^(٣)

أحوطُكَ بِالغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حَاطِي وَأَجْزَعُ إِشْفَاقًا مِنْ أَنْ تَتَوَجَّعًا^(٤)

فصيرتني بعدَ أَتْكَائِكَ مُتَمِّمًا لِنَفْسِي ، عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقَ أَجْمَعًا^(٥)

غَشَّشْتُ الْهُوسَى حَتَّى تَدَاعَتْ أُصُولُهُ بِنَا ، وَابْتَدَلْتَ الْوَصَلَ حَتَّى تَقَطَّعًا^(٦)

وَأَنْزَلْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا ذَخِيرَةَ وُدِّ طَالِمَا قَدْ تَمَنَّيَا^(٧)

فَلَا تَلْحَيْنِي ؛ لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لَكَ مَرَقَمًا^(٨)

فَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَأْكَتْ فَقَطَعْتُهَا وَجَشَّمْتُ قَلْبِي صَبْرَةً فَتَشَجَّعًا^(٩)

- (١) الشمل : ما اجتمع من الامر أو ماتفرق منه . والشتيت : المتفرق . والجميع : المجتمع .
(٢) صرف الليالى : أحداثها . ومعنى جدبة وربيع : حالنا خير وشر .
(٣) العقيد : المعاهد والمعاهد ، والمعنى أننا كنا متعاهدين على الود متحدى الرغبات لانتخالف .
(٤) أحوطك بالغيب الخ : أحفظ عهدك غائباً فأدفع عنك كما تدفع عنى كذلك ، وأخشى أن تتألم لشيء ما .

(٥) انتكائك : انصرافك عنى ، ومعنى متهم لنفسى الخ : أننى أتهمها لشدة الخوف عليها من الناس جميعاً بعد ما خنتنى وكنت مظنة الوفاء التام .

(٦) تداعت : تساقطت . وابتدلت الوصل : امتهنته .

(٧) الجوانح : الجوانب . والحشا : ما دون الحجاب من الكبد والطحال وغيرهما ، والمراد بما بينهما (القلب) . وتمنع : كان قويا لا يهن .

(٨) لحاه يلحاه ويلحوه : سبه وعابه . والمرقع : مكان ترقيع الثوب ، أى لا أمل فى اصلاحك .

(٩) يمينى : يدي اليمنى . استأكلت : أصابتها الأكلة وهى داء فى العضو يأكل منه . ومعنى

الشرط الثانى : صبرت قلبى على قطعتك فصبر .

- ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :
- وَلَيْسَ حَيٌّ مِنَ الْأَحْيَاءِ نَعْلُهُ مِنْ ذِي يَمَانٍ ، وَمِنْ بَكْرٍ ، وَمِنْ مُضَرَ (١)
- إِلَّا وَهُمْ شُرَكَاءُ فِي دِمَائِهِمْ كَمَا تَشَارَكَ الْأَيْسَارُ عَلَى جُزُرٍ (٢)
- قَتْلُهُ ، وَأَسْرُهُ ، وَتَحْرِيقُهُ ، وَمَنْهَبَتُهُ فَعَلَ الْغَزَاةَ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْخَزَرَ (٣)
- أَرَى أُمِيَّةَ مَعْدُورِينَ إِنْ قَتَلُوا وَلَا أَرَى لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عُدْرِ (٤)
- أَرْبَعُ بَطُوسٍ عَلَى قَبْرِ الزَّكِيِّ إِذَا مَا كُنْتَ تَرْبَعُ مِنْ دِينٍ عَلَى وَطْرِ (٥)
- قَبْرَانِ فِي طُوسٍ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَقَبْرُ شَرِّهِمْ ؛ هَذَا مِنَ الْعَبْرِ
- مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ وَلَا عَلَى الزَّكِيِّ بَقْرُبِ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرٍ (٦)
- هِيَّاتِ ! كُلُّ أَمْرٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبَتْ لَهُ يَدَاہُ ؛ نَخُذْ مَا شِئْتَ أَوْ فَذَرِ (٧)

-
- (١) الأحياء : البطون والعشائر ، مفردتها : حي ، والشطر الثاني : بيان للأحياء .
- (٢) الأيسار : المقامرون . المفرد يسر ، والجزر : النوق تدبج وتقسيم أقساما للمقامرة عليها .
يقول اشترك الأحياء في قتل آل البيت كاشترك المقامرين في نحر الجزر .
- (٣) الخزر : جيل من الناس يسكن سواحل بحر الخزر (طبرستان) .
- (٤) يقول : ان الامويين معدورون في قتل الشيعة من آل البيت لأن أمية ليسوا كالعباسيين قرابة ، وهم بعد طلاب ملك يخافون عليه أصحابه .
- (٥) طوس : عاصمة خراسان قديما ، بها قبر الرشيد وقبر على الرضا من آل على بن أبي طالب الذي مات أيام المأمون . واربع : أقم . والوطر : الحاجة والبغية أى اذا كنت محتاجا الى أداء حق ديني فخرج على ذلك القبر (قبر على الرضا) .
- (٦) الرجس : القبيح والقلدر .
- (٧) هيات : بعد وفاعله محذوف ، أى بعد جدا تأثر أحد بعد الموت بعمل الآخر . . فكل امرئ محاسب على ما عمل .

وقال في آل بيت الرسول :

- مدارس آياتٍ خلّت من تلاوةٍ ومنزلٍ وحىٍ مقفّرٍ العرصاتِ (١)
لآلِ رسولِ اللهٍ بالخيفِ من منى وبالرُّكنِ والتعريفِ والجرّاتِ (٢)
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرِ وحمةٍ والسجّادِ ذى الثفّناتِ (٣)
ديارُ عفاها كلُّ جَوْنٍ مُبادِرٍ ولم تَعْفُ للأيامِ والسّنواتِ (٤)
قفاً نسالِ الدارَ التي خَفَّ أهلُها : متى عَهدُها بالصّومِ والصلواتِ
وأينَ الألى شَطَّتْ بهم غرْبَةُ النوى أفانينَ فى الآفاقِ مفترقاتِ (٥)
وما الناسُ إلا حاسدٌ ومُكذّبٌ ومُضطّفينَ ذو إحنةٍ وتِراتِ (٦)
إذا ذَكَرُوا قَتَلَى بيدرٍ وخيبرِ ويومِ حُنينٍ أسبلوا العِبراتِ (٧)

(١) المقفّر : الخالى من الناس . والعرصات : ساحات الدار ، المفرد عرصة . يقول : خلّت ديار آل البيت وتشتت أهلها بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن ، ومهبط وحى الرسول عليه السلام

(٢) أسماء موضع بمكة لا تزال قائمة لأداء الشعائر الدينية .

(٣) على بن أبى طالب ، ومن بعده من نسله وشيعته الذين نالهم الحكم بالتشتيت والقتل . والثفنة : الركبة ومجتمع الساق والفخذ ، والسجاد ذو الثفّنات : على بن الحسين ، لأن طول السجود أثر في ثفّناته .

(٤) عفاها : محابها . والجون المبادر : السحاب الماطر .

(٥) شطت : بعدت وأفرطت . والنوى : البعد . والأفانين : الأنواع والأحوال ، جمع فنون ، مفردة فن . والمعنى أن النون ذهب بهم مذاهب شتى .

(٦) مضطّفين : حاقد والاحنة : العداوة والحقْد . والتراث جمع ترة : الثأر .

(٧) بدر وخيبر وحنين : أسماء مواقع كانت بين الرسول وأعدائه ابان الدعوة الى الاسلام . وأسبلوا العبرات : أذرفوا الدموع ، وذلك لمجدهم الضائع .

لَمْ كُلَّ حِينَ نَوْمَةً بِمَضَاجِعِ لَهْمٍ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مُخْتَلَفَاتٍ
وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَهْلِهَا مِغَاوِيرٌ يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ (١)
مَلَامِكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ أَحِبَّائِي مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي (٢)
تَخَيَّرْتَهُمْ رُشْدًا لِأَمْرِي فَإِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرَةُ الْخَيْرَاتِ (٣)
فِيَارِبُّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي
بِنَفْسِي أَنْتُمْ مِنْ كُهُولٍ وَفِتْيَةٍ لَفَكُّ عُنَاةٍ أَوْ لِحْمِ دِيَاتِ (٤)
أَحِبُّ قِصِي الرَّحْمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ وَأَهْرُ فِيكُمْ أُسْرَتِي وَبَنَاتِي (٥)
وَأَكْتُمُ حُبِّيكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ عَنِيدٍ ، لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُوَاتٍ (٦)
لَقَدْ حُفَّتِ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي
أَلَمْ تَرَ أَنِّي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أَرْوَحُ وَأَعْدُو دَائِمَ الْحِسْرَاتِ
أَرَى فِيئَهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فِيئِهِمْ صَفِرَاتِ (٧)

(١) المِغَاوِيرُ : جمع مغوار ، وهو كثير الغارات . وَالسَّرَوَاتُ : السادات ، المفرد : سِراة .

(٢) ملامك : أى دع لومك اياى ، فى أهل النبى أى فى مدحهم والتعصب لهم .

(٣) الخيرات : جمع خيرة وهى من الشئ أو القوم الأفضل .

(٤) ينفسى أنتم : أفديكم بنفسى . والعناة : جمع عان وهو الأسير . والدايات : جمع دية

وهى ما يدفع من المال فى دم القتيل ، يريد أنهم يفكون الأسرى ويحملون الديات عن تلمزه .

(٥) الرحم بكسر الراء وسكون الحاء : القرابة كالرحم . والقصى : البعيد ، يقول : أحبكم وأن

كانت صلتى بكم بعيدة فهو يمنى وهم مضرية .

(٦) الكاشح : من يضمر العداوة . المواتى : الموافق والمناصر .

(٧) الفئء : الخراج والغنيمة . وصفرات : خاليات ، يريد أن مال الخراج لا يصل اليهم مع

أن لهم فيه حقا .

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نَحَفَ جَسُومَهُمْ وَأَلُّ زِيَادٍ حُفْلُ الْقَصْرَاتِ (١)
بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقَصُورِ مَصُونَةٌ وَأَلُّ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ (٢)
إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرَهُمْ أَكْفًا مِنَ الْأُوتَارِ مُنْقَبِضَاتِ (٣)
فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ لَقَطَعْتُ قَلْبِي إِيْرَهُمْ حَسْرَاتِ (٤)
(١١) عَلِيٌّ بْنُ الْجَهْمِ (٥)

قال في الفراق :

- يَا رَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ بِالْبَلَدِ النَّالِ زِحَ مَاذَا بِنَفْسِي صَنَعَا (٦)
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا أَنْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا أَنْتَفَعَا (٧)

(١) حفل القصرات : ضخام الأعناق ، كناية عن سمنهم .

(٢) الفلوات : الصحارى ، المفرد : فلاة .

(٣) وتروا : ظلموا . والوتر : الظلم والانتقام . والأوتار ، جمع وتر (كسبب) : معلق القوس ، أى لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم .

(٤) أى لولا ما أرجوه لهم من حسن الحال أو المثوبة لتمزق قلبى من الحسرة والحزن عليهم .

(٥) هو أبو الحسن على بن الجهم . ولد بخراسان ثم انتقل الى بغداد وأقام بها واختص بالخليفة المتوكل وكان من خاصته . وأحبه المتوكل ثم ظهر له شيء من سوء أخلاقه لأنه كان واشيا ناما فنفاه الى خراسان سنة ٢٣٢ هـ . وأسلمه الى عامله طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ليصلبه نهارا كاملا فصلبه . ولما أنزله قال قصيدة جيدة فى ذلك . ولما اتهم فى أخلاقه وكراهة آل على وجفاه الناس ذهب الى الشام فى قافلة فخرج عليها جماعة من الأعراب فتقاتلوا فأصابته طعنة مات بسببها سنة ٢٤٩ هـ .

وكان ابن الجهم شاعرا مشهورا جيد الشعر وصافا قوى الأسلوب رائع المعانى حسن التعليل .

(٦) يارحمتا : دعاء بالرحمة . والبلد النازح . البعيد النائى .

(٧) العيش : الحياة .

وقال :

نَطَقَ الْهَوَىٰ بِجَوَىٰ هُوَ الْحَقُّ وَمَلَكَتْنِي فَلَيْهِنِكَ الرَّقُّ (١)
رِفْقًا بِقَلْبِي يَا مُعَذِّبُهُ رِفْقًا وَلَيْسَ لظالمٍ رِفْقُ
وَإِذَا رَأَيْتَكَ لَا تُكَلِّمُنِي ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ (٢)

وقال :

اعلمي يَا أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّ أَنْ شَوْقِي إِلَيْكَ قَاضٍ عَلَيَّ
إِنْ قَضَى اللَّهُ لِي رُجُوعًا إِلَيْكُمْ لِأَذْكَرْتُ الْفِرَاقَ مَا دُمْتُ حَيًّا
إِنَّ حَرَّ الْفِرَاقِ أَنْحَلَ جِسْمِي وَكَوَى الْقَلْبَ مِنِّي الشَّوْقُ كَيًّا

وقال :

لَأَكْتُمَنَّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرْقٍ حَتَّى أَمُوتَ وَلَمْ يَمْلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يُقَالُ شَكَا مَنْ كَانَ يَعِشُهُ إِنَّ الشَّكَاةَ لِمَنْ تَهَوَّى هِيَ الْيَاسُ (٣)
وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ أَلْكَاسُ (٤)

وقال :

النَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَى حَسَنِ وَالنَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَسْكُنْ إِلَى سَكَنِ (٥)
كَأَنَّ نَفْسِي إِذَا مَا غَبَّتْ غَائِبَةٌ حَتَّى إِذَا عُدَّتْ لِي عَادَتْ إِلَى بَدَنِي (٦)

(١) الجوى : شدة الحرقة من العشق . فليهنك : فليسرك . والرق : العبودية ، ومنه الرقيق وهو العبد . فالشاعر يهنيء معشوقه على أنه ملكه فأصبح هو له عبدا .

(٢) الأفق : ما يرى من جانب السماء ماسا الأرض .

(٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) الجلوس : جمع جالس . يقول : انه لا يبوح بمكنون سره وما صنع به الهوى لجلسه اذا شربوا الخمر بزعم أن الخمر تحل عقد اللسان ، وتستخرج دفين الأسرار .

(٥) السكن بفتح السين والكاف البيت . والمراد أنها لا تستقر على حال .

(٦) البدن بفتح الباء والبدال : الجسم .

وكتب من حبسه إلى الخليفة المتوكل يستغيث به ويسأله العفو :

- أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى (١)
وَيَعْدُوكَ بِالنَّعْمِ السَّابِقَا تِ وَلِيدًا وَذَا مَيْعَةٍ أَمْرَدًا (٢)
وَتَجْرِي مَقَادِيرُهُ بِالذِي تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى (٣)
وَيُعْلِيكَ حَتَّى لَوْ أَنَّ السَّمَاءَ تَنَالَتْ لَجَاوَزَتْهَا مُصْعَدًا (٤)
فَشُكْرًا لِأَنْعَمِهِ إِنَّهُ إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَدًا (٥)
وَعَفْوِكَ عَنِ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ قَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُعْتَدَا (٦)
إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى بِهِ إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقَدَا (٧)
عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً تَعُوذُ بِفَضْلِكَ أَنْ أُبْعَدَا (٨)

(١) أقاله : صفح عنه . والردى الهلاك .

(٢) غذا الرجل يغذوه بالطعام : أعطاه إياه . والمراد هنا يمدك . والسابقفات : الواسعات .
وليدا : حديث عهد بالولادة . وميعة الشباب : أوله . والأمرد : الشاب الذي لم تنبت لحيته .
يريد أن الله تعالى أفاض عليه نعمه من يوم ولد إلى أن صار فتى .

(٣) المدى : الغاية . وفي هذا البيت يتم معنى البيت السابق فيقول : إن المقادير ما زالت
تجري بكل ما يحب حتى وصل إلى الغاية وهي الخلافة .

(٤) تنال بالبناء للمجهول يوصل إليها . ويقال أصد في الأرض فهو مصعد ذهب من أرض إلى
أعلى منها . والمراد هنا مجرد الارتفاع .

(٥) الأنعم : جمع نعمة بسكون العين . والشاعر في عجز البيت يلمح إلى قول الله تعالى :
« لئن شكرتم لأزيدنكم » .

(٦) المقيم المقعد : الهم الذي يوجب القلق والاضطراب .

(٧) أدرع بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء : لبس ، والمراد بادراع الليل الدخول فيه .
وأفصى به أوصله وانتهى به . يريد أنه لم يذق النوم قط .

(٨) الحرمة : الذمة والحق . وعاد به يعوذ عيادا ومعادا بفتح الميم : لجأ إليه .

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْ لَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا (١)
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى (٢)
وَمُفْسِدًا أَمْرٌ تَلَا فَيْتَهُ فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا (٣)
فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمْرٌ تِ حَتَّى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدًا (٤)
وَإِلَّا فَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى (٥)

وقال يذم مغنياً :

كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ مُغْنِيٌّ أَلَمْ
فَذَرَعْتُ الْبَسَاطَ مِنِّي إِلَيْهِ قُلْتُ هَذَا الْمَقْدَارُ قَبْلَ الْغِنَاءِ (٦)
فَإِذَا مَا عَزَمْتَ أَنْ تَتَغَنَى أَذْنَ الْحَرْثِ كُلَّهُ بَانْقِضَاءِ (٧)

(١) لم أعتد : لم أعتده ، أى لم أقصده . واليد المعروف .

(٢) الطور : القدر والحد . وعدا طوره : تجاوز حده . والمولى : السيد ، وهو من الأضداد .

(٣) تلاقى الأمر : تداركه .

(٤) الثرى : التراب . والملحد بضم الميم وفتح الحاء : الذى أدخل فى اللحد وهو القبر . يريد

أنه سيقوم على طاعته حتى الممات .

(٥) عاف الشيء يعافه : كرهه فتركه . يقول : انه بعد هذا العهد اذا خرج عن طاعة الخليفة

فقد عصى الله وخان الصديق وبرىء من الفضل .

(٦) ذرع البساط يذره من باب فتح يفتح : قاسه بالذراع . يريد بالشتاء نفس المغنى

لباردة طبعه .

(٧) آذنه بالأمر : أعلمه . وآذنه بالحرب أنذره بها . يقول : انه اذا غنى فقد ولى الصيف

وحل الشتاء .

(١٢) الحسين بن الضحاک^(١)

قال :

أَيُّ دِيْبَاجَةٍ حُسْنٍ هَيَّجَتْ لَوْعَةً حُزْنِي^(٢)
إِذْ رَمَانِي الْقَمَرُ الزَّارِ هَرُّهُ عَنِ فِتْرَةٍ جَفْنِي^(٣)
بِأَبِي شَمْسُ نَهَارٍ بَرَزْتُ فِي يَوْمٍ دَجْنِي^(٤)
قَرَّبْتَنِي بِالْمُنَى حَتَّى إِذَا مَا أَخْلَفْتَنِي^(٥)
تَرَكَتَنِي بَيْنَ مَيْعَا دِ وَخَلْفٍ وَتَجَنَّنِي^(٦)
مَا أَرَى فِي مِنَ الصَّبِّ وَةٍ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّي^(٧)
إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدِّ رِ لِمَا تَعْرِفُ مِنِّي^(٨)
أَسْتَعِيدُ اللَّهَ مِنْ إِيءِ رَاضٍ مَنْ أَعْرَضَ عَنِّي^(٩)

(١) نشأ بالبصرة خليعا ماجنا ظريفا ثم انتقل الى بغداد واتصل بالخلفاء اتصلا قويا ولا سيما الامين ، ثم عاد الى البصرة ايام المأمون لسخطه عليه ، ولكنه اتصل بالمعتصم وخلفائه بعده حتى توفي سنة ٢٥٠ هـ وقد استلزمت حياته الخاصة اجادة الخمريات والمديح في أسلوب موسيقى متين ينم عن خلق متين ووفاء جميل مع عبث وفكهة .

(٢) ديباجة الوجه : حسن بشرته . واللوعة : حرقة الوجد .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف ، وهي صفة تستحب في عيون الملاح . ويقال رمى عن القوس أى جعل القوس ترمى بالسهم . وقد شبه الجفن الفاتر بذلك . ويريد بالقمر الزاهر محبوبته .

(٤) يقال بأبى أنت : أى أفديك بأبى . والدجن بفتح الدال وسكون الجيم : الظلمة .

(٥) المنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون ، وهي هنا بمعنى ادخال الامل على نفسه .

(٦) التجنى على المرء : اتهمه بما يفعله في دلال .

(٧) الصبوة : بفتح الصاد جهلة الشباب والنزوع الى اللهو . يريد أنه لم يبق من أسباب

المتاع في الشباب الا رجاء في حبيبته .

(٨) لما تعرف منى : أى من الفناء في هواها والثبات عليه كيفما صنعت .

(٩) يقال : استعاذ الله واستعاذ به وعاذ به : لجأ اليه ، واستجار به من المكروه .

ومن قوله :

وَصَفَ الْبَدْرُ حُسْنَ وَجْهِكَ حَتَّى خَلْتُ أَنِي ، وَمَا أَرَاكَ ، أَرَاكَ (١)
وَإِذَا مَا تَنْفَسَ الرَّجْسُ الْفَدَّ ضُ تَوَهَّمْتُهُ نَسِيمَ شَدَاكَ (٢)
خُدَعُ لِلْمَنَى تَعَلَّنِي فِيكَ بِأَشْرَاقِ ذَا وَنَفْحَةِ ذَاكَ (٣)
لَأَدُومَنَّ يَا حَبِيبِي عَلَى الْعَهْدِ بِدِ لِهَذَا وَذَلِكَ إِذْ حَكِيَاكَ (٤)

وقال :

إِذَا خُنِمَ بِالْغَيْبِ وَدَّى فَمَا لَكُمْ تُدِلُونَ إِدْلَالَ الْمُقِيمِ عَلَى الْعَهْدِ (٥)
وَلِي مِنْكَ بَدٌّ فَأَجْتَنَّبَنِي مُذَمَّمًا وَإِنْ خِلْتُ أَنِي لَيْسَ لِي مِنْكَ مِنْ بَدٍّ (٦)

وقال وقد غضب عليه المعتصم وحجبه :

غَضَبُ الْإِمَامِ أَشَدُّ مِنْ أَدْبِهِ وَقَدْ اسْتَجَرْتُ وَعُدْتُ مِنْ غَضَبِهِ (٧)
أَصْبَحْتُ مُعْتَصِمًا بِمُعْتَصِمٍ أَتَنَى الْإِلَهَ عَلَيْهِ فِي كُتْبِهِ (٨)

- (١) يقول : ان البدر ليشبهك حتى اننى اذ رأيتك حسبت اننى رأيتك مع اننى لم أراك .
- (٢) الغض : النضير . والشدا : قوة الرائحة .
- (٣) الخدع بضم الخاء وفتح الدال : جمع خدعة وهى ما يخدع به . والمنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون وهى ما يتمنى . وتعلنى : تصبرنى . وذا : اشارة الى البدر فى البيت الاول . وذاك اشارة الى النرجس فى البيت الثانى .
- (٤) حكياءك : شابهاك .
- (٥) بالغيب : من حيث لا أدرى . يقول : ان الثابت على العهد قد يكون له الحق فى أن يدل ويتيه . ولكن خائن العهد بغير سبب ليس له الحق فى ذلك .
- (٦) لى منك بد : أى مخلص . والملمم : المدموم . يقول : اننى مستطيع أن أتخلص من حبك فاجتنبنى مذموما وان حسبت اننى لا أستطيع الخلاص من هواك .
- (٧) أدبه : تأديبه . والامام : الخليفة . يقول : ان من غضب الخليفة أشد عليه ألما من تأديبه ولو بالجلد أو السجن أو النفى أو غير هذا من ألوان التعذيب .
- (٨) اعتصم من الشيء : امتنع والتجأ . يريد أنه لا يلجأ من غضب الخليفة الا اليه ولا يعوذ منه الا به . وفى هذا مافيه من لطف الجناس . ولعل الشاعر يريد بثناء الله على الخليفة المعتصم فى كتبه المنزلة ثناءه على آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

لَا وَالَّذِي لَمْ يُبْقَ لِي سَبَبًا أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبَبِهِ (١)
مَالِي شَفِيعٌ غَيْرُ حُرْمَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ أَشْفَى عَلَيَّ عَطْبِهِ (٢)

(١٣) ابن الرومي (٣)

قال يهجو خالدًا الزحطبي :

أَخْلَدُ مَا أَغْرَاكَ بِي مِنْ عِدَاوَةٍ وَلَا تِرَةً لَوْلَا الشَّقَاءُ الْمُقَدَّرُ (٤)
حَدَاكَ إِلَى الْحَيْنِ حَتَّى اسْتَمْتَرْتُنِي عَلَيْكَ ، وَإِنِّي فِي عَرَبِي لَمُخْدِرُ (٥)
فَدُونِكَ مَا حَاوَلْتَهُ فَبَلَغْتَهُ وَرَدَّتْ ، وَلَكِنْ لَا إِخْلَاكَ تَصْدُرُ (٦)
فَقَدْ كُنْتَ نَسِيًّا لَا تُمْسُّ وَلَا تُرَى زَمَنًا طَوِيلًا ، فَاصْبِرِ الْآنَ تُذَكَّرُ (٧)

(١) يحلف بالله تعالى على أنه لا سبيل إلى النجاة من غضب الخليفة سوى عفو الخليفة نفسه .

(٢) الحرمة : ما وجب القيام به من الحقوق وأشفي : أشرف . ويقال أشفى المريض على الموت قاربه . والعطب : التلف . يحلف على أنه لا شفيع له عند الخليفة إلا حقه عليه بحكم الولاء له . وكذلك الشأن في كل من أشرف على مثل هذا الهلاك .

(٣) ولد أبو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد وعاش فيها متأثرا بمزاجه اليوناني وبالثقافة العربية كذلك فكان شعره صورة طريفة في الأدب العربي من حيث الابتكار والتنسيق المنطقي والاستقصاء في أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر ؛ وخاصة - الوصف والهجاء - مات سنة ٢٨٣ هـ .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) حداك : ساقك . والحين : المحنة أو الهلاك . العرين : مأوى الأسد . ومخدير : مقيم يشبهه نفسه بالأسد .

(٦) لا إخالك : لا أظنك . تصدر : أى تخرج من هذا المأزق الذى وقعت فيه .

(٧) أى اصبر على مر الهجاء فسوف تذكر بهذا الشعر .

سَتَرِي رُؤَاةَ الشَّعْرِ فِيكَ قِصَائِدَا يُغَيِّبُهَا ، هَاهُنُو دِي : اللهُ أَكْبَرُ (١)
سَدَاهَا مَخَازِيكَ الَّتِي قَدْ عَلِمَهَا وَلُحْمَهَا مِنِّي السَّكَّامُ الْحَبْرُ (٢)
وَإِنْ كُنْتُ لَا أَهْجُوكَ إِلَّا كَالْم يَرَى مَا يَرَاهُ النَّامُونُ فِيهِجْرُ (٣)
وقال :

أَيَّامَ لَهْوِي هَلْ مَوَاضِيكَ عُوْدُ وَهَلْ لِشَبَابٍ ضَلَّ بِالْأَمْسِ مَنَشْدُ (٤)
أَقُولُ وَقَدْ شَابَتْ شَوَاتِي ، وَقُوْسَتْ قَنَاتِي ، وَأَضْحَتْ كِدْنَتِي تَتَمَدَّدُ (٥)
وَلذَّتْ أَحَادِيثِي الرِّجَالِ ، وَأَعْرَضَتْ سُلَيْمِي وَرِيًّا عَنِ حَدِيثِي وَمَهْدُ (٦)
وَبُدِّلَ إِعْجَابُ الْغَوَانِي تَعَجُّبًا ، فَهَنْ رَوَانٍ يَعْتَبِرُنَ وَصُدُّ (٧)
لِمَا تُؤْزِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُوَلِّدُ (٨)
وَإِلَّا فَمَا يُسْكِيهِ مِنْهَا ، وَإِنِهَا لِأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرِغْدُ (٩)

(١) ما نودي الخ : أي دائما ما دام الناس .

(٢) السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : مانسج عرضا . الكلام المحير : المحسن .

(٣) يقول : أنى لا أكاد أشعر بك في الصحو الا كحالهم لا وجود لك . يهجر يهذى .

(٤) منشد : مكان أنشده فيه وأطلبه .

(٥) الشوأة : جلدة الرأس ، والمراد شباب شعرها والقناة هنا صلبه . الكدنة : الشحم واللحم يريد أن سمنته أضحت تهزل .

(٦) أي أصبحت أحاديثي تلذ الرجال بعد ما أعرض عنى الغوانى لشيبى وكان حديثى لذيدا لديهن .

(٧) الاعجاب بالشيء : السرور منه . والتعجب : الاستغراب والانكار . روان دائمات النظر بسكون الطرف . صدد معرضات . يقول : بعد ما كنت أسر الغانيات أصبحت منكرا لديهن فهن ينظرن الى متعجبات .

(٨) يعلل بكاء الطفل ساعة الولادة بما تعلمه به الدنيا من مصائبها .

(٩) أرغد : أطيّب .

إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه بما سوف يلقى من أذاها يهدد^(١)
وللنفس أحوال تظلُّ كأنها تُشاهدُ فيها كلَّ غيبٍ سيشهد^(٢)
وقال يرثي ابنه محمداً .

بُكَأَوْ كَمَا يَشْفِي وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي فَجُودًا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُ كَمَا عِنْدِي^(٣)
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْمَنَايَا وَرَمَيْهَا مِنَ الْقَوْمِ حَبَاتِ الْقُلُوبِ عَلَى عَمْدٍ
تَوَخَّى سَهَامُ الْمَوْتَ أَوْسَطَ صِيبَتِي فَلَلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ^(٤)
عَلَى حِينَ شِمْتُ الْخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ وَأَنْسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ^(٥)
طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي فَأَضْحَى مَزَارُهُ بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ قَرِيبًا عَلَى بُعْدِ^(٦)
لَقَدْ أَنْجَزْتُ فِيهِ الْمَنَايَا وَعَيْدَهَا وَأَخْلَفْتُ الْأَمَالَ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ
لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لَبِثُهُ فَلَمْ يَنْسَ عَهْدُ الْمَهْدِ إِذْ ضُمَّ فِي اللَّحْدِ
أَلْحَ عَلَيْهِ النَّزْفُ حَتَّى أَحَالَهُ إِلَى صُفْرَةِ الْجَادِيَّ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ^(٧)
وِظَلَّ عَلَى الْأَيْدِي تَسَاقَطُ نَفْسُهُ وَيَذْوِي كَمَا يَذْوِي الْقَضِيبُ مِنَ الرَّندِ^(٨)

(١) استهل الصبى : رفع صوته بالبكاء .

(٢) يورد هذا البيت تأكيداً لحسن تعليقه إذ يقول ان النفس قد تشعر بما سيحدث فكذلك شأن الطفل . وتجد ابن الرومي في شعره كأنه يعرض أقيسة منطقية .

(٣) بكأوكما : الخطاب لعينيه . ولا يجدي : لا ينفع . وأودى : هلك .

(٤) توخى : تحرى .

(٥) شمت الخير : توقعته .

(٦) يريد بالقرب قرب المكان . وبالبعء بعد اللقاء .

(٧) الجادى : الزعفران . وهو أصفر . يقول : ان النزيف أحاله من حمرة الورد الى صفرة الزعفران .

(٨) الرند : الغار . وقد يسمى به الاس وهو نوع من الرياح .

فِيَاكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقَطُ أَنْفُسًا تَسَاقَطَ دُرٍّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عِقْدٍ
عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وَأَسْرَنِي أَنْ بَعْتَهُ بِثَوَابِهِ وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَلَا بَعْتَهُ طَوْعًا وَلَكِنْ غُصِبْتُهُ وَلَيْسَ عَلَيَّ ظُلْمَ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعَدٍ (١)
وَإِنِّي وَإِنْ مُتَّعْتُ بِأَبْنَى بَعْدَهُ لَذَا كَرُهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي نَجْدٍ (٢)
وَأَوْلَادُنَا مِثْلُ الْجَوَارِحِ أَيُّهَا فَقَدْنَا هُ كَانَ الْفَاجِعُ الْبَيْنَ الْفَقْدِ (٣)
لِكُلِّ مَكَانٍ لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ مَكَانُ أَخِيهِ مِنْ جَزُوعٍ وَلَا جَدِّ
هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي
لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِي الْحَالُ بَعْدَهُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي
ثَكَلْتُ سُورِي كُلَّهُ إِذْ ثَكَلْتُهُ وَأَصْبَحْتُ فِي لَدَاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدِ
أَرِيحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلِ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
سَأَسْتَقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ وَإِنْ كَانَتْ السُّقْيَا مِنَ الدَّمْعِ لَا نُجْدِي (٤)
أَعْيَنِي جُودًا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى بَأَنْفَسٍ مِمَّا تُسَأَلَانِ مِنَ الرَّفْدِ (٥)
كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَّةٍ وَلَا شَمَّةٍ فِي مَلْعَبِ لَكَ أَوْ مَهْدِ
أَلَا لِمَا أَبْدَى عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى وَإِنِّي لِأَخْفِي مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أَبْدَى
مُحَمَّدُ مَا شَىءُ تُوهُمَ سَلْوَةٌ لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ

(١) معد من أعدى بمعنى نصر وأغان . يقول ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المسنة .

(٣) الجوارح : أعضاء الانسان .

(٤) أسعدت العين بالبكاء : أعانت .

(٥) الرفد : العطاء والصلة .

أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كَلَيْهِمَا يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزَّنْدِ
 إِذَا لِعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَدَعَا فُوَادِي بِمَثَلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ
 فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ ، بَلْ حَزَاوَةٌ يَهِيْجَانِيهَا ، وَنِي وَأَشْقَى بِهَا وَحْدِي
 وَأَنْتَ وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارٍ وَحْشَةٍ فَأَنِّي بَدَارِ الْأُنْسِ فِي وَحْشَةِ الْفَرْدِ
 عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مَنِي تَحِيَّةٌ وَمَنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّدْدِ

قال يعاتب أبا القاسم التوزي الشطر نجى ويمدحه :

يَا أَخِي أَنْ عَهْدُ ذَاكَ الْإِخَاءِ أَنْ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ ؟
 كَشَفْتَ مِنْكَ حَاجَتِي هَنَوَاتٍ غَطَّيْتُ بُرْهَةً بِحُسْنِ اللَّقَاءِ (١)
 تَرَ كُنْتِي وَلَمْ أَكُنْ سَيِّئِ الظَّنِّ أَسِيءُ الظُّنُونِ بِالْأَصْدِقَاءِ
 يَا أَخِي هَبْكَ لَمْ تَهَبْ لِي مِنْ سَعَةٍ يِيكَ حَظًّا كَسَائِرِ الْبُخَلَاءِ
 أَوْلَا كَانَ مِنْكَ رَدٌّ جَمِيلٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ رَاحَةٌ مِنْ عَنَاءِ
 أَجْزَاءِ الصَّدِيقِ إِيطَاؤُهُ الْعُشَّةُ وَهَ حَتَّى يَظَلَّ كَالْعَشْوَاءِ (٢)
 تَارِكًا سَعِيَهُ أَتْكَالًا عَلَى سَعَةٍ يِيكَ دُونَ الصُّحَابِ وَالشُّفَعَاءِ
 كَالَّذِي غَرَّهُ السَّرَابُ بِمَا خِيَّ لَ حَتَّى هَرَّاقَ مَا فِي السَّقَاءِ
 يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو هُ لِدَهْرِي قَطَعْتَ مَتْنِ الرَّجَاءِ
 لَا أَجَازِيكَ عَنْ غُرُورِكَ إِيَّا يَ غُرُورًا وَقُوتِ سَوْءِ الْجَزَاءِ

(١) الهنوات : جمع هنة ، وهي من الشيء الصغير . يقول ان طلبى منك أشياء صغيرة كشف لى
 عن حقيقتك التي كنت تغطيها بحسن لفتاك اياى .

(٢) العشوة : النار . وأوطاه العشوة : كناية عن أنه أضله ولم يهده . والعشواء : الناقة
 لا تبصر أمامها .

بَلْ أَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَاذَا
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَنْتَ مِنَ الْأُمَّةِ
بِذَلِكَ الْوَعْدِ لِلْإِخْلَاءِ سَمِيحًا
فَعَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْدِ
لَيْسَ يَرْضَى الصَّدِيقُ مِنْكَ بِيَشْرِ
كَ لُبْخُلٍ عَلَيْكَ بِالْإِعْضَاءِ
غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَقْدَاءِ
رِيحُ الْفَتَى ذُرًّا الْعُلَيَاءِ
وَأَبْنَى عَدُوِّكَ بَدَلُ الْعَطَاءِ
مِنْ وَيَأْتِي الْأَيْمَارَ كُلَّ الْأَيْبَاءِ (١)
تَحْتَ مَخْبُورِهِ دَفِينُ جَفَاءِ

رُبَّمَا هَالَنِي وَحَيَّرَ عَقْلِي
وَرِضَاهُمْ هُنَاكَ بِالنِّصْفِ وَالرُّبِّ
وَاحْتِرَاسُ الدُّهَاهِ مِنْكَ وَإِعْصَا
عَنْ تَدَايِيرِكَ اللَّطَافِ اللَّوَاتِي
بَلْ مِنْ السَّرِّ فِي ضَمِيرِ مُحِبِّ
فَإِخَالُ الَّذِي تُدِيرُ عَلَى أَقْوَمِ
وَأَظُنُّ أَفْتِرَاسَكَ الْقِرْنَ فُلْقِرُ
وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ الْأَدَمِ الْأَحَدِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبُ بِالشُّطِّ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِي الْقَوْمِ أَخْفَى
أَخَذَكَ اللَّاعِبِينَ بِالْبَأْسَاءِ (٢)
مِ وَأَذْنِي رِضَاكَ فِي الْإِرْبَاءِ
فُكَّ بِالْأَقْوِيَاءِ وَالضُّعْفَاءِ
هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسْرِّ الْهَبَاءِ
أَدَبْتَهُ عُقُوبَةُ الْإِفْشَاءِ
مِ حُرُوبًا دَوَائِرَ الْأَرْحَاءِ
نَ مَنَابِيَا وَشِيكَةَ الْإِرْدَاءِ
مَرِ أَرْضًا عَلَّتْهَا بِدِمَاءِ
رَنَجٍ لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللُّعْبَاءِ
مِنْ دَرِيْبِ الْغِنَاءِ فِي الْأَعْضَاءِ

(١) الخلاف : شجر من الصفصاف يحسن مرأى ولا يثر شئنا يؤكل .

(٢) انتقل الى وصف أبي القاسم في اجادة لعب الشطرنج وقد قيل انه كان يجيد اللعب ويفلب

ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر الى تحريك القطع كما سيدكره في القصيدة .

أَوْ مَسِيرِ الْقَضَاءِ فِي ظِلْمِ الْغِيَةِ ب إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِالتَّوَاءِ (١)
تَقْتُلُ الشَّاهَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الرَّقْدِ عَةَ طِبًّا بِالْقِتْلَةَ النَّكْرَاءِ (٢)
غَيْرَ مَا نَاطِرٍ بِعَيْنَيْكَ فِي الدَّسِّ تِ وَلَا مُقْبِلٍ عَلَى الرَّسْلَاءِ (٣)
بَلْ تَرَاهَا وَأَنْتَ مُسْتَدْبِرُ الظَّهِ رِ بِقَدْبٍ مُصَوَّرٍ مِنْ ذَكَاءِ
مَا رَأَيْنَا سِوَاكَ قِرْنَا يُولَى وَهُوَ يُرْدِي فَوَارِسَ الْهَيْجَاءِ
وَالْفُؤَادُ الذَّكِيُّ لِلْمَطْرِيقِ الْمَعِ رِضِ عَيْنٍ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
تَقْرَأُ الدَّسْتَ ظَاهِرًا فَتُودِيهِ هِ جَمِيعًا كَأَحْفَظِ الْقُرَاءِ
وَتَلْقَى الصَّوَابَ فِيهَا سِوَى ذَا كَ إِذَا جَارَ جَائِرُ الْآرَاءِ (٤)
فَتَرَى أَنْ بُلْغَةً مَعَهَا الرَّاءُ حَةُ خَيْرٍ مِنْ ثَرْوَةٍ فِي شَقَاءِ
وَقَدِيمًا رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَصْحُوبِ بِ مِنْ الْمُتْرَفِينَ وَالْأَمْرَاءِ
وَرَفَضْتَ التُّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرَّبِّ حِ وَمَا فِي مِرَاسِهَا مِنْ جَدَاءِ (٥)
لَمْ تَبِعْ طِيبَ عَيْشَةٍ بِنُضُولِ دُونَهُ خُبْتُ عَيْشَةَ كَدْرَاءِ
تَعَبُ النَّفْسِ وَالْمَهَانَةُ وَالذَّلُّ هُ وَالْخَوْفُ وَاطَّرَاحُ الْحَيَاءِ (٦)

(١) التواء : الهلاك .

(٢) طبيا : علما .

(٣) الدست : رقعة الشطرنج . والرسلاء : جمع رسيلا ، وهو الموافق لك في النضال .

(٤) انتقل من الكلام على مهارته في لعب الشطرنج الى شرح صفاته العامة فهو يريد بما سوى

ذلك ما سوى اللعب .

(٥) مافي مراسها من جداء : أي مافي مزاولتها من غنى وثراء .

(٦) تعب النفس : بدل من خبت عيشة في البيت قبله .

بل أطمت النهى ففرت بحظ
راحة النفس والسيانة والعف
ة والأمن في حياء رواء (١)
عالمًا بالذي أخذت وأعطيت
ت حكيمًا في الأخذ والإعطاء
جهيد العقل لا يقوتك شيء
مثله فات أعين البصراء
قائلًا للمشير بالكدح مهلاً
ما اجتهد اللبيب بعد اكتفاء
قرب الحرص مركباً لشقى
إنما الحرص مركب الأشقياء
مرحبا بالكفاف يأتي هنيئاً
وعلى المتعبات ذيل العفاء
ضلة لامرئ يشمر في الجم
مع لعيش مشمر للفناء
دائباً يكثر القناطير للوا
رث والعمر دائب في انقضاء
حبذا كثرة القناطير لو كا
ن رب الكنوز كنز بقاء
يحبس الحظ كله في يديه
ليس في آجل النعم له ح
ذلك الخائب الشقي وإن كا
حسب ذى إربة ورأى جلي
ن يرى أنه من السعداء
نظرت عينه بلا غلواء (٢)
صحة الدين والجوارح والعرو
ض وإحراز مسكة الحوباء (٣)
تلك خير لعارف الخير مما
يجمع الناس من فضول الثراء

(١) راحة النفس : بدل من حظ في البيت قبله . وحياء رواء أى جميل .

(٢) الاربة : العقل .

(٣) الحوباء : النفس ومسكة الحوباء ما يحفظ حياتها : وصحة الدين مبتدأ خبره حسب

في البيت قبله .

لَيْسَ لِلْمُكْرَبِ الْمَنْعَصِ عَيْشٌ إِنَّمَا عَيْشُ عَائِشٍ بِالْهِنَاءِ
 يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةٍ عَوْجَاءِ
 أَتَرَى كُلَّ مَا ذَكَرْتُ جَلِيًّا وَسِوَاهُ مِنْ غَامِضِ الْأَشْيَاءِ
 ثُمَّ يَخْفَى عَلَيْكَ أَنِّي صَدِيقٌ رُبَّمَا عَزَّ مِثْلُهُ بِالْمَسَاءِ
 لَا لَعَمْرُؤُ الْإِلَهَ لَكِنْ تَعَاشِيهِ تَبَصِيرًا فِي لَيْلَةٍ قَمَرَاءِ (١)
 ظَالِمًا لِي مَعَ الزَّمَانِ الَّذِي ابْتَدَأَ زَرَ حُقُوقَ الْكِرَامِ لِلْوَمَاءِ
 ثَقُلْتُ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَأَضْحَتُ وَهِيَ عِبٌّ مِنْ فَادِحِ الْأَعْبَاءِ
 فَتَوَانَيْتَ وَالتَّوَانِي وَطِيءُ الظِّدِّ نَهْرٍ لَكِنَّهُ زَنِيمُ الْوِطَاءِ (٢)
 كُنْتُ مِمَّنْ يَرَى التَّشِيْعَ لَكِنْ مِلْتُ فِي حَاجَتِي إِلَى الْأَرْجَاءِ (٣)
 ظَلِمْتُ حَاجَتِي فَلَاذَتْ بِحَقْوَيْدِ كَ فَأَسْلَمْتُهَا لِكَفِّ الْقَضَاءِ (٤)
 وَقَضَاءِ الْإِلَهِ أَحْوَطُ لِلنَّاسِ سِ مِنْ الْأَمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ
 غَيْرَ أَنْ الْيَقِينَ أَضْحَى مَرِيضًا مَرَضًا بَاطِنًا شَدِيدَ الْخَفَاءِ
 مَا وَجَدْتُ أَمْرًا يَرَى أَنَّهُ يُؤْ قِنُ إِلَّا وَفِيهِ شَوْبُ امْتِرَاءِ
 لَوْ بَصَحُ الْيَقِينُ مَا رَغِبَ الرَّأْيُ غِبُّ إِلَّا إِلَى مَلِيكَ السَّمَاءِ
 وَعَسِيرٌ بُلُوغُ هَاتِيكَ جَدًّا تَلِكُ عَلِيَا مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ

(١) ادعيت عدم الابصار .

(٢) الزنيم : الدعى واللثيم . وزييم الوطاء : لثيم الموطىء .

(٣) التشيع : مذهب دينى يرى تفضيل على على سائر الصحابة والارجاء مذهب آخر يرى الوقوف على الحياد بالنسبة للفرق المتقاتلة لا يحكمون على أحد بشيء فى الدنيا بل يرجئون الحكم الى يوم القيامة فالشاعر يورى ويقول كنت متشيعا لى ثم طلبت منك مطلباً وفتت على الحياد وأرجأت الحكم على مطلبى .

(٤) الحقوا : الكشح . ولاذت بحقويه : التجأت اليه .

وعزيرٌ عليك عَضُّكَ بِاللَّوِّ
أَنْتَ أَدْوَيْتَ صَدْرَ خَلِّكَ فَاعْذِرْ
قَدْ قَضَيْنَا لُبَانَةً مِنْ عِتَابِ
وَالَّذِي أَطْلَقَ اللِّسَانَ فَعَاتَبَ
وَأَنَا الْمَرْءُ لَا أَسُومُ عِتَابِي
ذَا الْحِجَامَةِ مِنْهُمْ وَذَا الْحِلْمِ وَالْعِدْ
إِنَّ مَنْ لَامَ جَاهِلًا لَطِيبُ
م وَلَكِنَّ أَصَبْتَ صَدْرِي بِدَاءِ
هُ عَلَى النَّفْثِ إِنَّهُ كَالدَّوَاءِ
وَجَمِيلٌ تَعَاتَبُ الْأَكْفَاءِ
تُكَّ عَدِّكَ أَوَّلَ الْفُهْمَاءِ
صَاحِبًا غَيْرَ صَفْوَةٍ الْأَصْفِيَاءِ
م وَجَهْلٌ مَلَامَةٌ الْجَهْلَاءِ
يَتَعَاطَى عِلَاجَ دَاءِ عِيَاءِ

وقال يصف العنب الرّازقي (١) :

وَرَازِقِي مُخْطَفِ الْخُصُورِ
قَدْ ضُمَّتْ مِسْكًَا إِلَى الشُّطُورِ
لَمْ يُبْقِ مِنْهُ وَهَجُ الْحُرُورِ
لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الدُّهُورِ
لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ
بَاكَرْتُهُ وَالطَّيْرُ فِي الْوُكُورِ
بِفِتْيَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ
كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبَلُورِ (٢)
وَفِي الْأَعَالِي مَاءٌ وَرِدِّ جُورِي (٣)
إِلَّا ضِيَاءٌ فِي ظُرُوفِ نُورِ (٤)
قَرَّطَ آذَانَ الْحُسَّانِ الْحُورِ
وَنَكْهَةٌ الْمَسْكِ مَعَ الْكَافُورِ
وَعَذْرُ اللَّذَاتِ فِي الْبُكُورِ (٥)
أَمْلَأَ لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُدُورِ

(١) العنب الرّازقي : نوع من العنب أبيض طويل الحب .

(٢) مخطف الخصر : هزبله .

(٣) الجورى : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد ويعمل فيها ماؤه .

(٤) الحرور : حر الشمس .

(٥) أصل عذرة الفرس ناصيته وأراد بعذرة اللذات بوادرها وأول ما يظهر منها .

حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ أَرْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ (١)
نَمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ الْمَحْبُورِ عَلَى حِفَافِي جَدُولِ مَسْجُورِ (٢)
أَيُّضَ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ أَوْ مِثْلَ مَنِّ الْمُنْصَلِ الْمَشْهُورِ (٣)
يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ بَيْنَ سِمَاطِي شَجَرِ مَسْطُورِ (٤)
فَنَيْلَتِ الْأَوْطَارُ مِنْ سُرُورِ تَعِيَلَّةٍ عَنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
وَمُتَعَةً مِنْ مُتَعِ الْغُرُورِ

(١٤) الْبُهْرِيُّ (٥)

قال يصف خروج التوكل لصلاة عيد الفطر من قصيدة :

بِالْبِرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ وَبِسَنَّةِ اللَّهِ الرُّضِيَّةِ تَفْطِرُ
فَانْعَمَ بِيَوْمِ الْفِطْرِ عِيدًا إِنَّهُ يَوْمٌ أَغْرُ مِنْ الزَّمَانِ مُشَهَّرُ
أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمَلِكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ لَجِبَ! يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ (٦)

(١) الناطور : حارس الغناب . والذرور : مصدر ذوت الشمس طلعت .

(٢) حفافا النهر أو الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء .

(٣) المهرق : الصحيفة : والمنصل : السيف .

(٤) السماطان : مثنى سباط وهو الشيء المصطف . يقال علل نفسه بتعلة أى شغل نفسه بشيء .

(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ . وتنقل في قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربيين في شواطئ الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان محترما حتى قتلا ، وقد مات سنة ٢٨٤ هـ . ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال واجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح .

(٦) الجحفل : الجيش الكثير . لجب : ذو لجب أى صياح وجلبة .

خَلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرَ فِيهِ وَقَدْ غَدَّتْ عُدَدًا يَسِيرَ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ
فَالخَيْلُ تَصْهَلُ ، وَالْفَوَارِسُ تَدْعِي ، وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ ، وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ (١)
وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا ، وَالْجَوُّ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ (٢)
وَالشَّمْسُ مَاتِعَةٌ تَوَقَّدُ بِالضُّحَا طَوْرًا ، وَيُظْفِئُهَا الْعِجَاجُ الْأَكْدَرُ (٣)
حَتَّى طَلَعَتْ بِضَوْءِ وَجْهِكَ فَانْجَلَتْ تِلْكَ الدُّجَى وَأَنْجَابَ ذَاكَ الْعِثِيرِ (٤)
وَأَفْتَنَّا فِيكَ النَّاطِرُونَ : فَأَصْبَحُ يُؤَمِّي إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
يَجِدُونَ رُؤْيَيْكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيَّ ، فَهَلَّلُوا لِمَا طَلَعَتْ مِنَ الصَّفُوفِ ، وَكَبَّرُوا
حَتَّى أَنْتَهَيْتَ إِلَى الْمَصَلَّى لِابْسَا نُورَ الْهُدَى ، يَبْدُو عَلَيْكَ وَيَظْهَرُ
وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعَةً مُتَوَاضِعَ لِلَّهِ لَا يُزْهَى ، وَلَا يَتَكَبَّرُ
فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبِرُ

وَمِنْ قَوْلِهِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا مِنَ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
وَقَدْ نَبَّهَ النِّيْرُوزُ فِي غَسَقِ الدُّجَى أَوَائِلَ وَرَدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نَوْمًا (٥)

(١) البِيضُ : السِّيَوفُ . وَالْأَسِنَّةُ : جَمْعُ سِنَانٍ : نَصْلُ الرَّمْحِ . تَزْهَرُ : تَضِيءُ وَتَلْمَعُ .

(٢) تَمِيدُ : تَتَحَرَّكُ وَتَتَضَرَّبُ . وَالْجَوُّ مُعْتَكِرٌ أَيُّ مِنَ ضَخَامَةِ الْجَيْشِ أَوْ مِنْ غِبَارِهِ .

(٣) مَاتِعَةٌ : مَرْتَفَعَةٌ . وَالْعِجَاجُ : الْغِبَارُ . وَالْأَكْدَرُ : الشَّدِيدُ الْكُدْرَةُ وَهِيَ ضِدُّ الصَّفَاءِ .

(٤) الدُّجَى : جَمْعُ دَجِيَّةٍ : الظُّلْمَةُ . وَيُقْصَدُ ظُلْمَةُ الْعِثِيرِ الَّتِي هِيَ الْغِبَارُ .

(٥) النِّيْرُوزُ عِنْدَ الْفَرَسِ أَوَّلُ أَيَّامِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ . غَسَقُ الدُّجَى : ظُلْمَةُ اللَّيْلِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ

مَقْدَمُ الرَّبِيعِ بِصُحْبِهِ تَفْتَحُ الْوَرْدَ .

يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَبُثُّ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مُكْتَمًا (١)
فَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ كَمَا نَشَرَّتْ وَشْيًا مُنَمَّمًا (٢)
أَحَلَّ فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بِشَاشَةً وَكَانَ قَدَى لِلْعَيْنِ إِذَا كَانَ مُحْرِمًا (٣)
وَرَقَّ نَسِيمُ الرِّيحِ حَتَّى حَسَبْتُهُ يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحِبَّةِ نَعْمًا

وقال يمدح محمد بن علي بن عيسى القمي :

ذَلِكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ صَبَابَةٍ أَوْ مُطِيلًا (٤)
قِفْ مَشُوقًا ، أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَازِرًا ، أَوْ عَدُولًا (٥)
إِنَّ بَيْنَ الْكَثِيبِ فَالْجَزْعِ فَالْأَمَامِ رَامٌ ، رَبْعًا لِآلِ هِنْدٍ مُجِيلًا (٦)
أَبَلَّتْ الرِّيحُ وَالرَّوَايحُ وَالْأَيَّامُ أُمٌّ مِنْهُ مَعَالِمًا وَطُؤُلًا (٧)
وَخَلَافُ الْجَمِيلِ قَوْلِكَ لِلذَّاكِرِ عَهْدَ الْأَحْبَابِ : صَبْرًا جَمِيلًا

(١) يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوما فأذيع .

(٢) الوشي : نقش الثوب . منمم : محسن . يشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .

(٣) أحل هنا بمعنى لبس الثياب ، والاحرام التجرد من الخيط . والقذى : ما يقع في العين فيؤلمها ويسيل دمعها من تبين ونحوه .

(٤) وادي الأراك : واد قرب مكة وقيل موضع بعرفة . واحبس : قف راحلتك أو نفسك مثلا . والضبابة : الشوق والولع الشديد ، يطلب الى صاحبه الوقوف بديار الأحبة وفاء لأهلها الزاجلين عنها .

(٥) مشوقا : مولعا يقال شاقه الحب اذا هاجه . ومسعدا : معينا ، أى على حرارة الشوق ، ومعينا أى على الحزن . يقول له قف معى مهما يكن شأنك اذ لا مفر لى من ذلك .

(٦) الكثيب : قرية بالبحرين لبنى محارب . والجزع : موضع بنجد وآخر بأرض طيء وواد باليمامة . والآرام : دارة . والربع المحيل : الدار الخالية .

(٧) الروائح : جمع رائحة وهى من السحابة التى تجيء عشيا أو الماطرة . والمعالم : ما يستدل بها على الطريق أو هى المعاهد . المفرد : معلم . والظلول : جمع ظل وهو الشاخص من الآثار .

لا تَلْمُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمِّ ع ، وَلَوْمْ لَوْمُ الخليلِ الخليل
علَّ ماءَ الدُّموعِ يُخَمِّدُ نارًا مِنْ جَوَى الحُبِّ أَوْ يُبِيلُ غَلِيلًا (١)
وَبكاءِ الدِّيَارِ مِمَّا يَرُدُّ الـ شَوْقَ ذِكْرًا وَالْحُبَّ نِضْوًا ضَّئِيلًا (٢)
لَمْ يَكُنْ يَوْمَنَا طَوِيلًا بِنَعْمَا نَ ، وَلَكِنْ كَانَ البُكاءُ طَوِيلًا
قَدْ وَجَدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ غَايَةَ المَجْدِ قَائِلًا وَفَعُولًا
وَلَقِينَا شَمَائِلًا تَنْثُرُ المِسْ كَ سَحِيقًا كَمَا لَقِينَا الشَّمُولًا (٣)
وَرَأَيْنَا سِيَمًا نَدَى وَسَمَاحَ لَمْ نُرِدْ بَعْدَهَا عَلَيْهِ دَلِيلًا
أَشْعَرِيًّا ، كِفَاهُ عِيسَى بْنِ مُوسَى شَرَفًا بَاتَ لِلسَّمَاءِ رَسِيلًا (٤)
خَلَفَ البُهِرَ للجِيَادِ ، وَأَلْقَى فِي مَدَى المَجْدِ ، غُرَّةً ، وَحُجُولًا (٥)
وَبَنُو الأَشْعَرِ الذِي مَلَأَ الأَرَضِينَ وَبَنُو الأَشْعَرِ الذِي مَلَأَ الأَرَضِينَ
شَوْكَةً مَا أَصَابَتِ الدَّهْرَ إِلَّا تَرَكْتُ فِي الفِرَارِ مِنْهُ فُلُولًا (٦)

(١) الفليل : شدة العطش ، والمراد هنا حرقه الشوق .

(٢) يرد الشوق ذكرا : يجعله ذكريات للماضي فقط . والنضو : التليل المنعب ، يريد أن بكاء
الديار يشفى النفس من آلام الحب ويخفف نوبته .

(٣) الشمول : الحمر أو البرودة منها والمراد الأخلاق الحميدة . والمسك السحيق : المسحوق ،
يشبه به آثار الخلق الطيب .

(٤) أشعري : منسوب إلى الأشعر جده . والسماك : اسم لكل من كوكبين نيرين : أحدهما السماك
الأعزل ، والغادي الراح . ورسيل : قرينا ، أى كفاه شرف آبائه السامى .

(٥) البهر : انقطاع النفس من الأعياء . والجياذ : الخيل . والمدى : الغاية والمنتهى ، والغرة :
بياض في جبهة الفرس ، ومن كل شيء أوله ومعظمه . وغرة القوم : سيدهم . والحجول : جمع حجل
وهو البيض في رجل الفرس ، يريد أنه لا يكل ولكنه وصل إلى غاية المجد بكرام أفعاله التي تشبه
غرة الخيل السابقة وحجولها .

(٦) الشوكة هنا : العزة والسلطان . وغرار السيف : حده . والفلول : جمع فل وهو الثلمة
في حد السيف . يقول : ان صولتهم قوية حتى على صروف الدهر .

بَلَغَ الْمَكْرَمَاتِ طُولًا وَعَرَضًا وَتَنَاهَتْ إِلَيْهِ عَرْضًا وَطُولًا^(١)
رَادَةُ الْحَمْدِ أَوْلًا وَأَخِيرًا وَأُولُو الْمَجْدِ وَاحِدًا وَقَبِيلاً^(٢)
وَكَأَنَّ الْأَصُولَ كَانَتْ فُرُوعًا وَكَأَنَّ الْفُرُوعَ كَانَتْ أَصُولًا^(٣)
وَنُجُومٌ إِذَا تَوَقَّدْنَ فِي الْخَطِّ ب تَوَهَّمَتْ فِي النُّجُومِ أَفُولًا^(٤)
وَمُحِبُّونَ لِلنَّبِيِّ وَأَهْلِ الْا سَبَّحُوا الْبَيْضَ بَزَّهَا وَأَقَامُوا
تَحَسَّبُ الشَّيْبَ فِي الْوَقِيعةِ شُبًّا نَا إِذَا صَافَحُوا الصَّفِيحَ الصَّقِيلَا^(٥)
فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيزًا وَإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّوا ذَلِيلًا^(٦)
وَإِذَا عَزُّ مَعْشَرٍ زَالَ يَوْمًا مَنَعَ السَّيْفُ عِزَّهُمْ أَنْ يَزُولَا
يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، لَقَدْ رَاحَ إِفْضَا لُكَ خَطْبًا عَلَى الْكِرَامِ جَلِيلًا^(٧)
رَدَّ مَعْرُوفَكَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا وَأَرَى جُودَكَ الْجَوَادَ بَخِيلًا

(١) تناهت اليه : بلغت غايتها عنده .

(٢) رادة الحمد : سابقون اليه .

(٣) يقول : انهم متساوون في المجد لا تكاد تفرق بين طبقاتهم فيه ، فكان الأبناء هم بانوه وكان البنين من الآباء هم الأبناء .

(٤) نجوم الأولى : رجال كالنجوم سماوا ونفاذا ونباهة . ونجوم الثانية : نجوم السماء . يقول : يظهرون في الشدائد فيخفون من عداهم حتى كان نجوم السماء غائبة أيضا .

(٥) البيض : السيوف . والبز : الثياب من الكتان أو القطن ، والمراد أغمادها أو بهاؤها ومضاؤها . والظبي : جمع ظبة : حد السيف أو السنان . والتأويل : التفسير (يريد تفسير مسائل الدين) . والتنزيل : القرآن الكريم ، والمراد انهم خدموا الدين بسيوفهم .

(٦) أي هم في الحروب ليوث وفي السلم يحمون الذليل ويكرمونه .

(٧) يقول : ان كرمك يضر الكرام لأن كرثة عطايك العظيمة تزرى بما يعطون فلا يظهر لهم فضل .

لَا أَظُنُّ الْبُخَالَ يُؤْفُونَكَ الشُّكْرَ رَ لَوْ كَانَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
جَعَلْتَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ دَفَعُ مِنْدُكَ أَفَادَتْ حَمْدًا وَأَعْطَتْ جَزِيلًا (١)
كَمْ لِيَجِدُواكَ مِنْ مَقَامٍ ، لَعَمْرِي كَانَ مِنْ رَيْقِ السَّحَابِ بَدِيلًا ! (٢)
عِنْدَ وَجْهِ طَلَّقَ إِذَا مَا تَبَدَّى لِحُزُونِ الْخُطُوبِ عَادَتْ سُهُولًا
يَيْسَ الْحَاسِدُونَ مِنْكَ وَكَانُوا أَسْفًا يَنْظُرُونَ نَحْوَكَ حَوْلًا (٣)
وَرَأَوْا أَنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا تَدُّكَ الْمَسَاعِي بِالْفِكْرِ ذَابُوا مُجُولًا (٤)
فَتَنَوْا عَنْكَ أَعْيُنًا وَقُلُوبًا لَمْ يَرُدُّوا إِلَّا حَسِيرًا كَلِيلًا (٥)
وَكَفَانِي عَلَى الَّذِي يُوْجَدُ الْفَضْلُ لِي لَدَيْهِ بِالْحَاسِدِينَ دَلِيلًا (٦)

(١) أى أن عطايك جعلت البخال كغيرهم ممن كانوا يوصفون بالكرم ، لأنها نزلت بهؤلاء انى درجة البخلاء .

(٢) الجدوى : العطاء . وريق السحاب : افضله وأوله ، أى أن عطايك لها أثر فى النعمة والخير كآثر السحاب الماطر .

(٣) حولاً : ذوى عيون حولاء . والحول : ميل احدى الحدقتين الى الأنف والأخرى الى الصداع ، وهذه الحال تدل على الحسرة والأسف .

(٤) يقول : رأوا أنهم لا يستطيعون الوصول الى محامدك حتى بمجرد تفكيرهم فيها ولو حاولوا ذلك ذابت جسومهم ضعفاً دون الغاية .

(٥) وكانت نتيجة ذلك أن انصرفوا عنك لا يمكنهم النظر الى محامدك السامية ولا التفكير فى ادراكها لان أبصارهم ضعيفة ، وقلوبهم معيبة .

(٦) أى يكفينى الحاسدون فى الدلالة على صاحب الفضل أين هو ، لكثرة حديثهم عنه وذلك قول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وقال يمدح المتوكل :

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ جِدًّا وَأَعَادَ الصَّدُودَ مِنْهُ وَأَبْدَى^(١)
ذُو فُنُونٍ يُرِيكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خُلُقًا مِنْ جَفَائِهِ مُسْتَجِدًّا
يَتَأَبَى مِنْعًا ، وَيُنْعِمُ إِسْعَا فَأَ ، وَيَدْنُو وَصَلًا ، وَيَبْعُدُ صَدًّا^(٢)
أَغْتَدِي رَاضِيًا وَقَدْ بَتُّ غَضْبَا نَ ، وَأُمْسِي مَوْلَى ، وَأَصْبِحُ عَبْدًا^(٣)
وَبِنَفْسِي أَفْدِي عَلَى كُلِّ حَالٍ شَادِنًا ، لَوْ يُمَسُّ بِالْحُسْنِ أَعْدَى^(٤)
مَرَّ بِي خَالِيًا فَاطْمَعُ فِي الْوَصِّ لَ وَعَرَّضْتُ بِالسَّلَامِ فَرْدًا
وَتَنَى خَدَّهُ إِلَيَّ عَلَى خَوْ فِي فَقَبَّلْتُ جُلْنَارًا وَوَرْدًا^(٥)
سَيِّدِي أَنْتَ ، مَا تَعَرَّضْتُ ظُلْمًا فَأَجَازِي بِهِ ، وَلَا خُنْتُ عَهْدًا
رِقِّ لِي مِنْ مَدَامِعِ لَيْسَ تَرَقًا وَأُرِثُ لِي مِنْ جَوَانِحِ لَيْسَ تَهْدًا
أَتْرَانِي مُسْتَبَدِلًا بِكَ مَا عِشُّ تُ بَدِيلًا ، أَوْ وَاجِدًا مِنْكَ نِدًّا^(٦)
حَاشَ لِلَّهِ ؛ أَنْتَ أَقْتَنُ الْحَا ظًا وَأَحْلَى شَكْلًا ، وَأَحْسَنُ قَدًّا^(٧)
خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قِيمَ الدُّنَى يَا سَدَادًا ، وَقِيمَ الدِّينِ رُشْدًا^(٨)

(١) لج في الهجرة: تمادى فيه ولزمه .

(٢) يتأبى : يأبى ويمتنع . وينعم : يرفه . والاسعاف المساعدة ، أى يرفه عنى قليلا فى بعض الاحيان .

(٣) المولى : السيد أو الصاحب ، يذكر تجنى المحبوب واختلاف أحواله معه .

(٤) الشادن : ولد الطيبة تشبه به الفتاة الطريفة ، ثم يقول: لو مسه أحدنالتة منه عدوى الحسن

(٥) الجنار : زهر الرمان يشبه به الحد فى الحمرة .

(٦) الند : المثل والنظير .

(٧) حاش لله : تنزه الله ، ويريد بها هنا نفى استبدال غير حبيبه به أو وجود نظيره .

(٨) القيم : المستقيم ، يريد أنه حسن الدنيا والأخرى لسداده وهدايته .

أَكْرَمَ النَّاسِ شِيْمَةً وَأَتْمَّ النَّاسِ خُلُقًا ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ رِفْدًا (١)
 مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمَتُهُ الْمُلْكَ ؛ فَأُضْحَتْ لَهُ مُغَاثًا وَرِدًّا (٢)
 أَظْهَرَ الْعَدْلَ ، فَاسْتَنَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَعَمَّ الْبِلَادَ غَوْرًا وَنَجْدًا (٣)
 وَحَكَمَى الْقَطْرَ بِلِ الْأَبْرِ عَلَى الْقَطْرِ مِنْهُ قُرْبًا تَزِدُّ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدًا (٤)
 يَأْتِمَالُ الدُّنْيَا عَطَاءً وَبَدَلًا ، وَجَمَالَ الدُّنْيَا ثَمَاءً وَمَجْدًا (٥)
 وَشَبِيهَ النَّبِيِّ خُلُقًا وَخَلْقًا ، وَنَسِيبَ النَّبِيِّ جَدًّا فَجْدًا
 بِكَ نَسْتَعْتِبُ اللَّيَالِيَّ وَنَسْتَعْتَبُ دِيَّ عَلَى دَهْرِنَا الْمَسِيءِ فَنَعْدِي (٦)
 فَابْقَ عُمَرَ الزَّمَانَ حَتَّى نُؤَدِّيَ شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي

وَقَالَ يَصِفُ الذُّبَّ حِينَ لَقِيهِ :

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، لَا وِفَاءَ ، وَلَا عَهْدَ أَمَّا لَكُمْ مِنْ هَجْرٍ أَحْبَابِكُمْ بُدُّ ؟
 الْأَحْبَابِنَا قَدْ أَنْجَزَ الْبَيْنُ وَعَدَّهُ وَشِيكًا ، وَلَمْ يُنْجِزْ لَنَا مِنْكُمْ وَعْدُهُ (٧)

(١) أكرم : أفضل . الشيمة : الخلق والطبيعة . والرغد : العطاء .

(٢) مغاثا : ملجأ . وردا : عمادا .

(٣) الغور : ما انحدر وأطمأن من الأرض وضده النجد ، يريد أن عدله شمل جميع البلاد .

(٤) القطر : المطر ، أى يشبه بكرمه المطر . وأبر : زاد . تندى : تعطى كثيرا .

(٥) الشمال : الملجأ والمعتمد . وثمان القوم : الذى يقوم بأمرهم .

(٦) نستعتب الليالى : نطلب منها العتبي (الرضا) أو نعطيهها العتبي ونسترضيهها (ضد) والأول هو الظاهر هنا أى نطلب من الليالى أن تكون وفق آمالنا . ونستعدى على الدهر : نستعين بك عليه . فنعدى : فنعمان ونغلب .

(٧) وشيكا : سريعا . وأنجز البين وعده : فرقنا البعد ووعدهم . هو القرب .

أَطْلَالَ دَارِ الْعَامِرِيَّةِ بِاللَّوَى سَقَتَ رَيْعَكَ الْأَنْوَاءُ! مَا فَعَلْتَ هِنْدُ؟^(١)
أَدَارَ اللَّوَى بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فَالْحِمَى أَمَا لِلنَّوَى إِلَّا رَسِيسَ الْهُوَى قَصْدُ؟^(٢)
بِنَفْسِي مَنْ عَدَّيْتُ نَفْسِي بِحُبِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ وَصَالٌ وَلَا وُدُّ
حَبِيبٌ، عَنِ الْأَحْبَابِ شَطَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَيُّ حَبِيبٍ مَا آتَى دُونَهُ الْبُعْدُ؟
إِذَا جُرْتُ صَحْرَاءَ الْغَوَيْرِ مُغْرَبًا وَجَارَتِكَ بِطِحَاءِ السَّوَا حِيرِ يَأْسَعُدُ^(٣)
فَقُلْ لِبَنِي الضَّحَّاكِ مَهَلًا ؛ فَإِنِّي أَنَا الْأَفْعَوَانُ الصَّلُّ، وَالضَّيْغَمُ الْوَرْدُ^(٤)
بَنِي نَاهِلِ مَهَلًا ؛ فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِكُمْ لَهُ عَزَمَاتٌ هَزَلُ آرَائِهَا جِدُّ^(٥)
مَتَى هَجْتُمُوهُ لَا تَهَيِّجُوا سِوَى الرَّدَى وَإِنْ كَانَ خَرَقًا مَا يُحَلُّ لَهُ عَقْدُ^(٦)
مَهَيْبٌ كَنَصْلِ السِّيفِ لَوْ ضُرِبَتْ بِهِ ذُرَا أَجَا ظَلَّتْ وَأَعْلَامُهَا وَهْدُ^(٧)
يَوَدُّ رِجَالٌ أَنِّي كُنْتُ بَعْضَ مَنْ طَوْتُهُ اللَّيَالِي لَا أُرُوحُ وَلَا أَعْدُو^(٨)
وَلَوْلَا أُحْتَمَى ثِقَلِ كُلِّ مُلِمَّةٍ تَسُوهُ الْأَعَادِي ، لَمْ يَوَدُّوا الَّذِي وَدُّوا

(١) اللوى : ما التوى من الرمل أو مستترقه . والربع : الموضع . والأنواء : الأمطار .

(٢) الشقيقة والحمى : موضعان . ورسيس الهوى : حرقته وثباته .

(٣) الغوير : ماء لبني كلب .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى (الحية الجبيثة) . والصل : الداهية من الحيات . الضيغم : الأسد
والورد : الشجاع الجريء من الأسود .

(٥) أضعف هممه قوية نافذة .

(٦) الردى : الهلاك . الخرق : الكريم ، ما يحل الخ أى لا يرجع عما اعتزمه .

(٧) أجأ وسلمى : هما جبلان في الشمال من جزيرة العرب . وذراه : أعاليه وأعلامها
أعاليها . وهد : منخفضة جمع وهدة .

(٨) طوته الليالي : هلك .

- ذَرِينِي وَإِيَّاهُمْ فَحَسْبِي صِرَامَتِي إِذَا الْحَرْبُ لَمْ يُقَدِّحْ لِمُحَمَّدٍهَا زَنْدٌ (١)
- وَلِي صَاحِبٌ عَضْبُ الْمَضَارِبِ صَارِمٌ طَوِيلٌ نِجَادٍ ، مَا يَفْلُ لَهُ حَدٌ (٢)
- وَبَا كَيْتَةٍ تَشْكُو الْفِرَاقَ بِأَدْمَعٍ يُبَادِرُهَا سَحًّا كَمَا انْتَثَرَ الْعِقْدُ
- رَشَادِكَ ، لَا يُحْزِنُكَ بَيْنَ ابْنِ هَمَّةٍ يَتَوَقُّ إِلَى الْعَلْيَاءِ لَيْسَ لَهُ نِدٌ (٣)
- فَمَنْ كَانَ حُرًّا فَهُوَ لِلْعَزْمِ وَالسَّرَى وَاللَّيْلِ مِنْ أَفْعَالِهِ وَالكَرَى عَبْدٌ (٤)
- وَلَيْلٍ كَأَنَّ الصَّبْحَ فِي أُخْرِيَاتِهِ حُشَّاشَةٌ نَصَلٍ ضَمَّ إِفْرِنْدَهُ غَمْدٌ (٥)
- تَسْرِبَلْتَهُ وَالذَّنْبُ وَسَنْانٌ هَاجِعٌ بَعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ ، مَا لَهُ بِالكَرَى عَهْدٌ (٦)
- أَثِيرُ الْقَطَا الْكُدْرِيَّ عَنْ جَثَمَاتِهِ وَتَأَلَّفَنِي فِيهِ الشَّعَالُ وَالرُّبْدُ (٧)
- وَأَطْلَسَ مِلءَ الْعَيْنِ يَحْمِلُ زَوْرَهُ وَأَضْلَاعَهُ مِنْ جَانِبِيهِ شَوَى نَهْدٌ (٨)
- لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرِّشَاءِ يَجْرُهُ وَمَتْنٌ كَمَتْنِ الْقَوْسِ أَعْوَجُ مُنَادٌ (٩)

- (١) الصرامة : قوة العزيمة والمضاء ، ولم يقدح الخ ، أى لم ينجح أحد في اخمادها .
- (٢) الصاحب هو السيف ، عضب : قاطع . والنجاد : حائل السيف ، كناية عن طول فامته .
- (٣) رشادك قلت لها : الزمى رشادك . والبند : المثل والنظير .
- (٤) عبد خبير فهو .
- (٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وافرنده السيف : جوهره ووشيه . يشبه الصبح حين يبدو خطا رفيعا عند الأفق المظلم بقية سيف أغمد الا نصلا .
- (٦) تسربلته : صاحبتة وسرت فيه . ابن ليل : دائم السهر . والكرى : النوم الخفيف .
- (٧) الكدر : المائل الى السواد والغبرة . وجثماته جمع جثمة كضربة ، أى أثير القطا عن مجامته . ومراقده بسيرى فيه . والربد : جمع أربد الأسد .
- (٨) وأطلس : ورب ذنب أطلس أى أغبر الى سواد . ملء العين : طويل مهيب . والزور : العزم . والشوى : الأطراف مفرد في لفظه جمع في معناه . ونهد : بارز .
- (٩) الرشاء : الجبل أو حبل الدلو خاصة . والمتن : الظهر . ومناد : معوج .

طَوَاهُ الطَّوَى حَتَّى اسْتَمَرَ مَرِيرُهُ فَمَا فِيهِ إِلَّا الْعَظْمُ وَالرُّوحُ وَالْجِلْدُ^(١)
يَقْضِقُضُ عَصَلًا فِي أُسْرِهَا الرَّدَى كَقَضْقَضَةِ الْمَقْرُورِ أُرْعَدَهُ الْبَرْدُ^(٢)
سَمَّالِي وَبِي مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَا بِهِ بَيْدَاءٌ لَمْ تُعْرَفْ بِهَا عَيْشَةٌ رَغْدُ^(٣)
كَلَانًا بِهَا ذَنْبٌ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِصَاحِبِهِ ، وَالْجِدُّ يُتَعَسُّهُ الْجِدُّ
عَوَى ثُمَّ أَقَمَى فَارْتَجَزَتْ فَهَجَّتُهُ فَأَقْبَلَ مِثْلَ الْبَرَقِ يَتَّبِعُهُ الرَّعْدُ^(٤)
فَأَوْجَرَتْهُ خَزَقَاءُ تَحْسَبُ رِيشَهَا عَلَى كَوْكَبٍ يَنْقُضُ وَاللَّيْلُ مُسَوِّدُ^(٥)
فَمَا أَزْدَادَ إِلَّا جُرْأَةً وَصَرَامَةً وَأَيَقِنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْهُ هُوَ الْجِدُّ
فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصَلَهَا بَحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ ، وَالرُّعْبُ ، وَالْحَقْدُ^(٦)
وَفَرَخًا وَقَدْ أَوْرَدَتْهُ مِنْهَلِ الرَّدَى عَلَى ظَمًا لَوْ أَنَّهُ عَذَبَ الْوَرْدُ
وَقُمْتُ فَجَمَعْتُ الْحَصَى فَاشْتَوَيْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلِلرَّمْضَاءِ مِنْ تَحْتِهِ وَقَدْ^(٧)
وَنَلْتُ خَسِيصًا مِنْهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ وَأَقَلْتُ عَنْهُ وَهُوَ مُنْعَفِرٌ فَرْدُ^(٨)

(١) الطوى : الجوع . واستمر مريره : استحكم عليه .

(٢) يقضقض عصلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . وأسرتها : أوساطها . والردي : الهلاك .
والمقرور : من أصابه القراى البرد .

(٣) سمالي : ظهر لى وقصدنى . والبيداء : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب المتسع .

(٤) أقمى : جلس على مؤخره • ارتجزت : رفعت صوتى أو قلت رجزا .

(٥) أوجرتة : طعنته ، والخزقاء : الرماة أو السنان . ثم شبهها بالكوكب المنقض إذ يقول :
تحسب ريشها على كوكب .

(٦) أضللت نصلها : أدخلته ، بحيث النخ ... أى فى القلب .

(٧) الرمضاء : الأرض الحامية ، وقد : نار .

(٨) منعفر : ممرغ فى التراب .

لَقَدْ حَكَمْتُ فِينَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَحُكْمُ بَنَاتِ الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ قَصْدٌ^(١)
أَفَى الْعَدْلِ أَنْ يَشْقَى الْكَرِيمُ بِجَوْرِهَا وَيَأْخُذَ مِنْهَا صَفْوَهَا الْقَعْدُ الْوَعْدُ^(٢)
ذَرَيْتِي مِنْ ضَرْبِ الْقِدَاحِ عَلَى السُّرَى فَعَزَمِي لَا يَثْنِيهِ نَحْسٌ وَلَا سَعْدُ^(٣)
سَاحِلُ نَفْسِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ عَلَى مِثْلِ حَدِّ السِّيفِ أَخْلَصَهُ الْهِنْدُ^(٤)
لِيَعْلَمَ مِنْ هَابِ السُّرَى خَشْيَةَ الرَّدَى بِأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ رُدٌّ
فَإِنْ عِشْتُ مَحْمُودًا فَمِثْلِي بَغَى الْغِنَى لِيَكْسِبَ مَا لَا أَوْ يَنْتَ لَهُ حَمْدُ^(٥)
وَإِنْ مِتُّ لَمْ أَظْفَرُ ، فَلَيْسَ عَلَى أَمْرِي غَدَا طَالِبًا إِلَّا تَقْصِيهِ وَالْجُهْدُ^(٦)

وَقَالَ يَمْدَحُ أَبَا نَهْشَلٍ :

هَاهُوَ الشَّيْبُ لَا يَمَّا فَأَفِيقِي وَاتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ^(٧)
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى وَتَلَاقَى مِنْ أَشْتِيَاقِ الْمَشُوقِ^(٨)
عَدَلْتَنَا فِي عِشْقِهَا أُمَّ عَمْرُو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَشُوقِ

(١) بنات الدهر : نوازله ، والقصد : الاعتدال .

(٢) القعد : الجبان أو اللئيم ، والوعد : الأحق الدنيء .

(٣) ضرب القداح على السرى : استخبار القداح أسير أم أقعد ، وكان للعرب قداح يجيلونها في كيس ثم يخرجون أحدها فان كان مكتوبا عليه صيغة الأمر مضى صاحبه فيما يعتزم ، وان كان النهى قعد ، فالشاعر يقول : لا يعنيني هذا لقوة عزمي الذي لا يبالي سعدا ولا نحسا .

(٤) أخلصه الهند : سيف أجادت الهند صنعه وطبعه ، يقول : ساحل نفسي على الشدائد اذا حزبت الأمور .

(٥) ينت : يذاع ويفشى .

(٦) التقصى : بلوغ الغاية في البحث ، ومعنى البيت أنى اذا لم أظفر بما أبغى من الغنى أو الحمد فلا لوم على مادمت قد سعيت الى الخير جهدى .

(٧) لاثما : يلوم العاشق على التماذى في العشق مع شبيهه . والمفيق : الصاحي من سكرة العشق ، والمراد نفسه هو .

(٨) كف : منع وخفف ، وفاعله يعود على الشيب .

- وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَّ بِهَا الشَّيْبُ بُ فَرِيَعَتٌ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ (١)
- وَلَعَمْرَى لَوْلَا الْأَقَاحِيُّ لِأَبْصَرُ تَ الْأُنَيْقُ الرِّيَاضَ غَيْرَ الْأُنَيْقِ (٢)
- وَسَوَادُ الْعَيُونِ لَوْ لَمْ يُحَجَّرْ بِيَيَاضٍ ، مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ (٣)
- وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أَمَلَى بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسِنٍ وَغَبُوقِ (٤)
- أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نَجُومٍ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَ بِغَيْرِ بَرُوقِ (٥)
- وَقَفَّةٌ فِي الْعَقِيقِ أَطْرَحُ ثَقَلًا مِنْ دُمُوعِي بَوَقْفَةٍ فِي الْعَقِيقِ (٦)
- مَائِلٌ بَيْنَ أَرْبَعِ مَائِلَاتٍ يَنْزِعُ الشُّوقَ مِنْ فَوَادٍ عُلُوقِ (٧)
- أَزْجَرُ الْعَيْنَ عَنِ بُكَاهُنَّ وَالْعِيدِ سٌ إِلَى الْمَبْتَغَى بِكُلِّ طَرِيقِ (٨)
- وَأَسْتَشَفَّتْ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ مَا سَحِيقٌ مِنَ الْغِنَى بِسَحِيقِ (٩)

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ريعت : فزعت . ظلمة في شروق : سواد شعر الشباب في بياض المشيب .

(٢) الأقاحي : جمع أقحوان : نبات زهره أبيض ، أي لولا الأتحوان لذهبت بهجة الرياض وكذلك الشيب زينة الرأس .

(٣) يحجر : يحاط . والموموق : المحبوب .

(٤) الصهباء : الخمر . وأملى : أمتع . والصبوح : شراب الغداة وعكسه الغبوق ، فالشيب في الرأس كالماء للخمر .

(٥) كذلك يزدان الليل بالنجوم ، وتمطر السحب البارقة ، فالشيب بهاء الشباب . . . كل تلك الصور لقصد تحسين المشيب .

(٦) العقيق : اسم لمواضع عدة في بلاد الحجاز ونجد وغيرهما ، وقفه مفعول لفعل محذوف . تقديره أتمنى أوقف .

(٧) مائل : قائم . يعني نفسه . وأربع جمع ربع : الدار . وفواد علوق : شديد التعلق بأحبته .

(٨) العيس : النوق . والمبتغى : المقصود .

(٩) استشفته : نظرت ما وراءه أي قصدته ، ومعنى الشطر الثاني أن الغنى مهما يبعد مكانه فلا يعد بعيدا لحب السعى إليه .

- سَابِقُ النِّفْعِ يَسْتَقِي جُهْدَ نَفْسٍ تُسْتَرَادُ أُسْتِرَادَةً المَسْبُوقِ (١)
 قَلْبَتَهُ الأَيْدِي قَدِيمًا وَلِلْحَدِّ بِنَةِ تَنْضَى الجِيَادُ بالتَّعْرِيقِ (٢)
 كَلَّمَا أُجْرَتِ الخَلَائِقُ أَوْفَى رَادِعًا فِي خَلَائِقِ كَالخَلُوقِ (٣)
 صَافِيَاتٍ عَلَى قُلُوبِ المُصَافِيَةِ ن ، رِقَاقٍ فِي فَهْمِهِنَّ الرَّقِيقِ (٤)
 لَوْ تَصَفَّحَتْهَا لِأَخْرَجَتْ مِنْهَا أَلْفَ مَعْنَى مِنْ حَاتِمِ مَسْرُوقِ (٥)
 لَيْسَ يَخْلُو مِنْ فِكْرَةٍ فِي جَلِيلٍ مِنْ أَقَانِينِ مَجْدِهِ أَوْ دَقِيقِ (٦)
 يَنْظِمُ المَجْدَ مِثْلَ مَا تَنْظِمُ العِقْفُ يَدُ الصَّانِعِ الصَّنَاعِ الرَّفِيقِ (٧)

وقال يرثي المتوكل على الله عاشر خلفاء بني العباس وكان حاضراً مقتله :

- مَحَلٌّ عَلَى القَاطُولِ أَخْلَقَ دَائِرُهُ وَعَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشًا تَغَاوَرُهُ (٨)
 كَأَنَّ الصَّبَاتُ فِي نُدُورًا إِذَا أُنْبِرَتْ تَرَاوِحُهُ أَذْيَالُهُمَا ، وَتَبَاكِرُهُ (٩)

- (١) سابق النفع : يسبق الى المحامد ، وان رويت بالقاف كان المعنى سابقا الى الحروب ، ويستقى الخ أى يستخرج من جهد كلما أراد كأنه مسبوق يضاعف جهده ليلحق بغيره أو يسبقه
 (٢) قلبته الأيدي : أحكمته التجارب كالسيف يقلب لمعرفة جودته . والحلبة : ميدان السباق ، تنضى الجياد : تتعب وتمرن . والتعريق : التضمير .
 (٣) أجزت : فوضت . الخلائق : المخلوقات والثانية بمعنى الطبائع . والخلق : ضرب من الطيب فيه زعفران . رادعا : مضمخا .
 (٤) المصافون : المخلصون . وصف لأخلاقه الحميدة .
 (٥) حاتم : هو حاتم الطائي المشهور بالكرم ، يصفه بالكرم المضاعف .
 (٦) الأقانين جمع فنون جمع فن : النوع ، يريد أنه دائما فى عمل مجيد مهما تكن درجته .
 (٧) الصانع : الماهر الحاذق .
 (٨) القاطول : موضع على دجلة حيث قصر جعفر المتوكل المسمى القصر الجعفرى . واخلق : بلى والدائر ، الماحى البالى . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .
 (٩) الصبا : ريح شرقية . تراوحوه : تتنابه فى الرواح (عشيا) . وتباكره : تهب عليه بكرة (صباحا) .
 أى كان ذلك نذر عليها لهذا القصر .

وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ مَّ عَهْدُهُ تَرِقُّ حَوَاشِيهِ ، وَيُورِقُ نَاضِرُهُ (١)
 تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأَنَسُهُ وَقَوْضَ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ (٢)
 تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةً فَعَادَتْ سَوَاءٌ دُورُهُ وَمَقَابِرُهُ (٣)
 إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الْأَسَى وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ (٤)
 وَلَمْ أُنْسُ وَحْشَ الْقَصْرِ إِذْ رِيحَ سَرْبِهِ وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَادِرُهُ (٥)
 وَإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَّكَتْ عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وَسَتَائِرُهُ
 وَوَحْشَتَهُ حَتَّى كَانَ لَمْ يَقُمْ بِهِ أُنَيْسٌ ، وَلَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَنَاظِرُهُ
 كَانَ لَمْ تَبَتْ فِيهِ الْخِلَافَةُ طَلْقَةً بِشَاشَتِهَا ، وَالْمَلِكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ (٦)
 وَلَمْ تَجْمَعْ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بِهَاءَهَا وَبِهَجَّتَهَا وَالْعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُهُ (٧)
 فَأَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمَنَعْتُ بِهَيْبَتِهَا أَبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُهُ (٨)

(١) زمان ناعم : ناعم أهله . حواشيه : جوانبه . وترق حواشيه : تسعد أوقاته . والشجر الناضر : الحسن ، والمراد أنه عهد جميل .

(٢) الجعفرى : قصر المتوكل . وقوض : تهدم . وباديه : ظاهره . وحاضره : داخله .

(٣) سواء : متساوية في أقطارها وخلوها من الأحياء .

(٤) أجدلنا الأسى : جدد لنا الحزن .

(٥) وحش القصر : نساؤه الشبيهات بالبقرة الوحشى فى جمال العيون . ريع : أفزع . والسرب : القطيع . والاطلاء : الطباء . المفرد طلا وطلو . والجادر : أولاد البقرة الوحشية . المفرد جؤدر ، يشبه بها أبناء القصر لما فزعوا وشتمتوا لمصرع الخليفة .

(٦) طلقة : بهية ضاحكة . والزاهر : الحسن والمشرق من الألوان أى تزوع مظاهره .

(٧) مكاسره جمع مكسر : جذع الشجرة حيث تكسر الأغصان أو هو المخبر . يقال : فلان طيب المكسر أى محمود عند الخبرة .

(٨) المقاصر جمع مقصورة : الحجرة أو الدار الواسعة المحصنة .

وَأَيْنَ عَمِيدِ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ تَنْوِبُ وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ (١)
تَخَفَى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ وَأُولَى لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يُجَاهِرُهُ (٢)
فَمَا قَاتَلَتْ عَنْهُ الْمَنَايَا جُنُودَهُ وَلَا دَافَعَتْ أُمَّلَاكُهُ وَذَخَائِرَهُ
وَلَا نَصَرَ الْمُعْتَزَّ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى لَهُ ، وَعَزَّزِ الْقَوْمَ مَنْ عَزَّ نَاصِرُهُ (٣)
تَعَرَّضَ نَصْلُ السَّيْفِ مِنْ دُونِ فَتْحِهِ وَغَيْبَ عَنْهُ فِي خُرَّاسَانَ طَاهِرُهُ (٤)
وَلَوْ عَاشَ مَيِّتٌ أَوْ تَقَرَّبَ نَازِحٌ لِدَارَتٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ ثُمَّ دَوَّارُهُ (٥)
وَلَوْ لِعَبِيدِ اللَّهِ عَوْنٌ عَلَيْهِمْ لَضَاقَتْ عَلَى وَرَادٍ أَمْرٌ مَصَادِرُهُ (٦)
حُلُومٌ أَضَلَّتْهَا الْأَمَانِيُّ ، وَمُدَّةٌ تَنَاهَتْ ، وَحَتْفٌ أَوْشَكَتُهُ مَقَادِرُهُ (٧)
وَمُعْتَصِبٌ لِلْقَتْلِ لَمْ يُخْشَ رَهْطُهُ وَلَمْ تُحْتَشِمِ أَسْبَابُهُ وَأَوَاصِرُهُ (٨)

(١) عميد الناس : سيدهم ، أى الخليفة . والنوبة : النازلة . وناهى الدهر الخ أى المتصرف النافذ الحكم كأنه يملأ على الدهر ارادته .

(٢) مغتاله : قاتله غيلة ، وكان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم والدم المتوكل ، والغرة : الغفلة .

(٣) المعتز : العزيز أو من يعد نفسه عزيزا بسواه فيكون معتزاً به ، ومعنى عز ناصره : قوى معينه .

(٤) فتحه : الفتح بن خاقان نديم المتوكل الذى قتل معه أيضا . وطاهره : عبيد الله بن طاهر والى خراسان ذلك الحين .

(٥) أى لو عاش هذا النديم أو كان ذلك الغريب حاضرا لحدثت أمور عظيمة وانقم للمقتول .

(٦) أى لو بعان على قتله لأخذهم فلا يفلتون من عقابه . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمر . وضائق مصادره عز الخلاص منه .

(٧) حلوم : عقول ، يشير الى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تأمروا على قتل الخليفة رغبة من المنتصر فى الخلافة . والحنف : الموت . وأوشكته : قربته .

(٨) الرهط : القبيل والجماعة . وتحتشم : يستحى منها (الأسباب والأواصر) التى هى الصلات بينه وبين قاتله .

صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ السَّيْفُ حُشَّاشَةً (١) يَجُودُ بِهَا ، وَالمَوْتُ مُحَرَّمٌ أَظْفِرُهُ (١)
أَدَافِعُ عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ ، وَلمَ يَكُنْ لَيْثِنِي الأَعَادِي أَعَزَلَ اللَّيْلَ حَاسِرُهُ (٢)
وَلَوْ كَانَ سَيْفِي سَاعَةَ الفَتكِ فِي يَدِي دَرَى الفَاتِكِ العَجَلَانُ كَيْفَ أَسَاوِرُهُ (٣)
حَرَامٌ عَلَيَّ الرَّاحُ بَعْدَكَ أَوْ أَرَى دَمًا بَدَمَ يَجْرِي عَلَى الأَرْضِ مَآثِرُهُ (٤)
وَهَلْ أُرْتَجِي أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ وَآثِرُهُ بَدَ الدَّهْرِ ، وَالمَوْتُورُ بِالدَّمِ وَآثِرُهُ (٥)
أَكَانَ وَلِيَّ العَهْدِ أَعْضَرَ غَدْرُهُ فَمِنْ عَجَبٍ أَنْ وَلِيَّ العَهْدِ غَادِرُهُ (٦)
فَلَا مَلِيَّ البَاقِي تُرَاثَ الذِي مَضَى وَلَا حَمَلَتُ ذَاكَ الدُّعَاءَ مَنَابِرُهُ (٧)
وَلَا وَأَلِ الشُّكُوكُ فِيهِ وَلَا نَجَا مِنَ السَّيْفِ نَاضِي السَّيْفِ غَدْرًا وَشَاهِرُهُ (٨)
لنَعَمَ الدَّمُ المَسْفُوحُ لَيْلَةً جَعْفَرُ هَرَ قُمْ وَجَنَحُ اللَّيْلِ سُودٌ دِيَابِرُهُ (٩)

(١) تقاضاه السيوف : تأخذ منه ، يقال : تقاضاه الدين إذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : البقية من الروح .

(٢) أعزل الليل : أعزل في الليل . والأعزل : من لا سلاح معه ، يعني نفسه . وحاسرة : لادرع معه في هذه الليلة .

(٣) العجلان : المسرع ، وأساوره : أوائبه وأدافعه .

(٤) أو أرى : أرى أن أرى ، ومآثره جاريه ومار الدم على الأرض جرى فتردد عرضا واضطرب في جريانه .

(٥) الوائر : الظالم . والموتور : من قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه أحد . يقول : كيف أرتجى الثأر للخليفة . مع أن صاحب الثأر هو ابنه المنتصر الذي قتله فهو وائر وموتور معا ؟ استفهام للنفي .

(٦) ولي العهد : المنتصر الذي خاف أن يفوز أخوه المعتز بالخلافة دونه .

(٧) ملى التراث : تمتع به طويلا ، يدعو على المنتصر ألا يتعم بميراث أبيه . ثم دعا عليه ألا ييخلفه ويدعى له على المنابر .

(٨) وال : نجا . ناضى السيف : استلته من غمده .

(٩) الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام .

كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَنْ وَوَلِيُّهُ وَبَاغِيهِ تَحْتَ الْمَرْهَفَاتِ وَثَائِرِهِ (١)
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَرَدَّ أُمُورُكُمْ إِلَى خَلْفٍ مِنْ شَخْصِهِ لَا يُفَادِرُهُ (٢)
مُقَلَّبُ آرَاءٍ تَخَافُ أَنَاتَهُ إِذَا الْأَخْرُقُ الْعَجَلَانَ خِيفَتْ بَوَادِرُهُ (٣)

وقال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويرثى دولة الفرس :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدْنُسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبِيسٍ (٤)
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ رُمُ التَّمَّاسَا مِنْهُ لِتَعْسِي وَنَكْسِي (٥)
بُلُغٌ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفًا بِخَمْسٍ (٦)
وَبَعِيدٌ مَا بَيْنَ وَارِدِ رَفِهِ عَلَلٍ شُرْبُهُ ، وَوَارِدِ خَمْسٍ (٧)
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُومًا لَا هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسِ الْأَخْسِ (٨)

(١) وليه : صاحبه المطالب به . وباغيه : سافكه . والمرهفات : السيوف المرققة . وثائره : باعته .

(٢) أى أرجو : أن يبقى الحكم فى خلفه لا يخرج منه .

(٣) مقلب آراء : ينظر فى وجوه المسائل ويتغير أحكامها . والأناة : التأنى . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى أناته . والأخرق : ضعيف الراى : خيفت بوادره : يخشى من عجلته التى تكون خطرا على الأمور .

(٤) الجدا : العطاء . والجبىس : الجبان اللئيم .

(٥) تماسكت : ثبت واعتصمت . زعزعنى : حركنى بعنف أى حين نالنى خطوبه . التماسا منه : طلبا منه ومحاوله . التعسى : الهلاك أو الشر . والنكس : أن ينقلب الرجل على رأسه ، أى الهزيمة والسقوط .

(٦) بلغ : جمع بلغة وهى ما يكفى من العيش ولا يفضل . والصبابة : البقية . طففتها : نقصتها . والخمس : الغبن والظلم .

(٧) الرفه من العيش : الطيب اللين . والعلل : الشرب تباعا . والخمس بالكسر من أظماء الأبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، يمثل بها الشاعر حال عيشه البئيس القانع .

(٨) يقول : كأن الزمان ينصف الأندال ، ويجور على الأخيار .

- (١) واشترأني العراق خُطَّةً غُبنٍ بعدَ بيعةِ الشامِ بيعةً وكسٍ
(٢) لا ترزني مزاولاً لاختباري عندَ هذي البلوى فتنكر مسي
(٣) وقديماً عهدتني ذاهنات آياتِ على الدنّياتِ شمسٍ
(٤) ولتد رابني نبوؤ ابن عمي بعدَ لينٍ منْ جانبهِ وأنسٍ
(٥) وإذا ما جفيتُ كنتُ حريباً أنْ أرى غيرَ مُصبحِ حيثُ أمسي
(٦) حضرتُ رجليَ الهمومَ فوجههُ تُ إلى أبيضِ المدائنِ عنسي
(٧) أتسلى عن الحظوظِ وآسي محلٍ منْ آلِ ساسانَ دريسٍ
(٨) ذكرتنيهمُ الخطوبُ التّوالي ولقد تُذكرُ الخطوبُ وتُنسي

(١) اشتراى العراق : اقامتى بها . وبيعة الشام : رحلتى عنها مع أنها موطنى الاصلى .

(٢) رازه : جربه وقدره . فتنكر مسي : تجدىني أيبا عنيفا منكر الجانب .

(٣) الهنات : خصال (شر) . شمس : عنيدة لا تذلل ، وآيات على الدنّيات : لا ترضى بالخسيس
الدون فتأنف منه .

(٤) رابني : أوقعتني في الريب (الشك) أو أرانى ماكره . والنبؤ : النفور والجفوة . وابن عمه ،
هو الخليفة المنتصر ، فالبحتري قطحاني والخليفة عدناني كأنهما أخوان لأنهما أبوا شعبي العرب ،
وهذا يدل على أن البحتري قال هذه القصيدة بعد مقتل المتوكل واعراض المنتصر عنه لهجائه اياه
في رثاء أبيه كما مضى .

(٥) حريبا خليقا . يقول اذا جفيت تنقلت فلا أصبح في مكان حتى أمسي في سواه ، وهذا تمهيد
لذكر رحلته الى المدائن حيث القصر الأبيض (قصر الأكاصرة) .

(٦) حضرت رجلي الهموم : طرأت على الأحزان من هذه الحال السيئة . والعنس : الناقة القوية .
(٧) آسي : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الاسلامي دولتهم زمن عمر
ابن الخطاب . درس : دارس .

(٨) التوالي : المتتالية . ولعله يريد الخطوب التي ألت بالدولة العباسية في خلفائها من تحكم
العناصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتنكيل بهم .

- وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ مُشْرِفٍ يُحْسِرُ الْعِيُونَ وَيُحْضِي (١)
مُغْلَقٍ بَابُهُ عَلَى جَبَلِ الْقَبْرِ قَى إِلَى دَارَتِي خِلَاطٍ وَمُكْسٍ (٢)
حِلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالِ سَعْدَى فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَائِسِ مُلْسٍ (٣)
وَمَسَاعٍ لَوْلَا الْمُحَابَاةُ مِنِّي لَمْ تُطَقِّهَا مَسْعَاةٌ عَنَسٍ وَعَبَسٍ (٤)
نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِدِّ عَ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسٍ (٥)
فَكَانَ الْجُرْمَازَ مِنْ عَدَمِ الْأَزْسِ وَإِخْلَالَهِ بَنِيَّةٌ رَمْسٍ (٦)
لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِيَّ جَعَلَتْ فِيهِ مَاتَمًا بَعْدَ عُرْسٍ
وَهُوَ يُنْبِئُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ لَا يُشَابُ الْبَيَانَ فِيهِمْ بِلْبَسٍ (٧)
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَّةَ ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ (٨)

- (١) هم : آل ساسان ، خافضون : رغيدو العيش في ظل عال : في قصر مرتفع (القصر الأبيض) يحسر العيون : يضعفها اذا نظرت تبيين ارتفاعه . يحضى : يؤلم .
- (٢) القبق : جبل هو المسمى الآن (جبال القوقاز) فيه أمم مختلفة ولغات متعددة . ويسمى أيضا جبل القبيج والقبيجان . وخلاط ومكس من مدن أرمينية الوسطى . يريد أن هذا القصر لاتساعه وكثرة ما فيه من الجوارى والخدام والأتباع المختلفى اللغات كأنه مغلق على جبال وبلاد اشتهرت بتعداد أممها .
- (٣) هنا يذكر فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة وهى المكان ينزل فيه الناس ويقيمون . والبسائس : القفار . ملس : خالية . يقول : آثار هى خير مما فى جزيرة العرب من الأطلال والقفار .
- (٤) مساع : مكارم جمع مسعاة ، لم تطقها : لا تقدر عليها وتساميتها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة عنتره العبسى من مضر .
- (٥) انضاء جمع نضو : المهزول من الحيوان أو الثوب البالى ، ولبس : استعمال ، أى أبلها الدهر بعد الجدة .
- (٦) الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره . وكان عظيما بجوار القصر . والرمس : القبر .
- (٧) البيان : المنطق الفصيح . واللبس : عدم الوضوح .
- (٨) أنطاكية : بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت فى الايوان ، وارتعت : فوجت .

- (١) والنأيَا مَوَائِلُ وَأَنُو شِرُّ وَأَن يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفْسِ
(٢) فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْ فَرَ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةٍ وَرَسِ
(٣) وَعِرَاكُ الرَّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي خَفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضِ جَرَسِ
(٤) مِنْ مُشِيحٍ يَهْوَى بِحَامِلِ رُمَحٍ وَمُلِيحٍ مِنَ السَّنَانِ بِتَرَسِ
(٥) تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خَرَسِ
(٦) يَفْتَلِي فِيهِمْ أَرْتِيَابِي حَتَّى تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايَ بِأَمْسِ

- (٧) كَأَنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنِّ عَةِ جَوْبٌ فِي جَنْبِ أَرَعْنَ جَلَسِ
(٨) يُتَظَنَّى مِنَ الْكَاتِبَةِ أَنْ يَبْدُو لِعَيْنِي مُصْبِحٌ أَوْ مُمَسِّي
مُزْعَجًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أُنْسِ الْإِلْفِ عَزَّ ، أَوْ مُرْهَقًا بِتَطْلِقِ عَرَسِ

(١) موائل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . وأنو شروان : أحد الأكاسرة . يزجي يسوقه والدرفس : العلم الكبير .

(٢) الورس : نبات ذو صبغة حمراء .

(٣) خفوت : سكون صوت . والجرس : الصوت .

(٤) المشيح : الحذر . والمليح : الذي يخاف ويحذر أيضا . والترس المجن .

(٥) تصف العين : يخيل اليها .

(٦) يفتلي الخ : يزيد ارتيابي : شكى في حياتهم ؛ تتقراهم : تتبعهم : أى حتى المسهم في الصورة

بيدي لأتبين : أهم أحياء حقا كما يخيل الى .

(٧) الجوب : الحرق . والأرعن : الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل . المجلس : الجبل العالى ،

فكان الايوان بالنسبة الى القصر الأبيض العظيم الذى يشمل الايوان وغيره من الغرف والمقاصير -

حرق فى جانب جبل ارعن وجعل الجبل ارعن لما فيه من الأجنحة والطنف والأبيات الآتية توضح

هذا التشبيه .

(٨) يتظنى : يظن . ومفعوله الثانى مصدر أن يبدو ، ومزعجا حال من فاعل يبدو ، أى أن

كأبته تجعله يبدو للعين كأنه مزعج بفراقه أليفاً أو عروسا .

- (١) عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِيَّ وَبَابَ الْمَشْرِ تَرَى فِيهِ وَهُوَ كَوَكْبُ نَحْسِ
(٢) فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّدًا وَعَلَيْهِ كَلْكَلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مَرْسِي
(٣) لَمْ يَبْهَهُ أَنْ يُزَّ مِنْ بَسْطِ الدَّيِّ سَبَاحٍ وَاسْتَلَّ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ
(٤) مَشْمُخْرِيٌّ تَعَلَوْ لَهُ شُرْفَابٌ رُفِعَتْ فِي رُءُوسِ رَضْوَى وَقَدْسِ
(٥) لَا سَبَابٌ مِنَ الْبَيَاضِ فَمَا تَبُّ صِرٌّ مِنْهَا إِلَّا غَلَائِلَ بَرَسِ
لَيْسَ يُدْرَى أَصْنَعُ إِنْسٍ لَجِينٌ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسٍ
(٦) غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَانِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنِكْسِ

- عُمِرَتْ لِلشُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَّعَزَّى رَبَاعُهُمْ وَالتَّأْسَى
فَلَهَا أَنْ أُعِينَهَا بَدْمُوعٌ مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ
ذَاكَ عِنْدِي وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي بِاقْتِرَابٍ مِنْهَا ، وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي
غَيْرَ نَعْمَى لِأَهْلِيهَا عِنْدَ أَهْلِي غَرَسُوا مِنْ زَكَاةِهَا خَيْرَ غَرَسِ
(٨) أَيْدُوا مُلْكَنَا ، وَشَدُّوا قَوَاهُ بِحُمَاةٍ تَحْتَ السَّنُورِ مَحْسِ

- (١) المشتري : كوكب سعد ، ولكنه تحول نحسا في هذا القصر بتأثير القصر فيه .
(٢) التجلد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر : أى نازلة .
(٣) يز : سلب . واستل : أخرج وانتزع . والديباح : الثوب سداه ولحمته حرير . والدمقس : الحرير الأبيض .
(٤) مشمخر : عال . شرفات القصر : ما أشرف من بنائه . ورضوى : جبل . وقدس : جبل عظيم بنجد ، يشبه القصر في ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين .
(٥) الغلائل جمع غلالة : وهى شعار يلبس تحت الثوب . والبرس : القطن أو ما يشبهه .
(٦) النكس : الضعيف الدنىء .
(٧) زكاتها : نماتها .
(٨) السنور : كل سلاح من حديد . وحس : شجعان . يشير الى بلاد فارس .

وأعانوا على كتائب أريا طَ بطعنٍ على النُّحور ودعس (١)

وأراني من بعد أكلف بالأش رافٍ طرامن كل سنخ وجنس (٢)

(١٥) ابن المعتز (٣)

قال يصفُ الروض :

وعلى الأرض اصفرارٌ وأخضرارٌ وأحمرارٌ

فكان الروضَ وشمى بالغتٍ فيه التجار (٤)

نقشه أسٌ ونسريدٌ بنٌ وووردٌ وبهار (٥)

وقال في سرٍّ من رأى بعد تهدها :

قد أقفرت سرٍّ من را فما لشيءٍ دوام (٦)

فالنقضُ يُحملُ منها كأنها الآجام (٧)

(١) أرباط . قائد حبشى فتح اليمن قديما ، ثم خلفه القائد أبرهة صاحب الفيل وأبناؤه ، ثم طرد سيف بن زى بزى الإحباش بمعرفة الفرس . والدعس . الذود والطمع .

(٢) أكلف بالاشراف . أولع بهم . والسنخ . الأصل والمنبت .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ولد سنة ٢٤٩ هـ . وقد نشأ وتربى تربية الخلفاء وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره وأولع بالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويغ عبد الله هذا بالخلافة . ولكن جند المقتدر الأتراك حملوا على دار ابن المعتز وقتلوا أصحابه حتى هزموهم وقبضوا على هذا الخليفة الجديد وقتلوه أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وقد برع في الشعر ولا سيما الأوصاف . ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة الأسلوب مع تكلف للبديع فهو ثالث أبى تمام ومسلم بن لوليد في ذلك .

(٤) الوشى : الثوب المحسن بالألوان . التجار : جمع تاجر .

(٥) أسماء أزهار مختلفة الألوان .

(٦) سر من رأى : مدينة قديمة كانت تسمى سامرا جدها المعتصم وأقام بها . أقفرت : تخربت وخلت من مظاهر الحياة .

(٧) النقض : البناء المهدم . الآجام جمع أجمة : الشجر الكثير الملتف . يريد أن الناس يحملون أنقضها كما يحتطبون فروع الشجر من الغابات .

مَاتَتْ كَمَا مَاتَ فَيْلٌ تُسَلُّ مِنْهُ الْعِظَامُ^(١)

وقال يصف هلال شوال :

أَهْلًا بِفَطْرٍ قَدْ أَنْفَ هِلَالُهُ فَلَانَ فَاغْدُ عَلَى الْمَدَامِ وَبَكْرٍ^(٢)
وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ كَزُورِقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ^(٣)

وقال يصف سحابة :

وَسَارِيَةٌ لَا تَمَلُّ الْبُكَاءَ جَرَى دَمْعُهَا فِي خُدُودِ الثَّرَى^(٤)
سَرَتْ تَقْدَحُ الصُّبْحَ فِي لَيْلِهَا بِبَرْقٍ كِهِنْدِيَّةٍ تُنْتَضَى^(٥)
فَلَمَّا دَنَتْ جَلَجَلَتْ فِي السَّمَاءِ رَعْدًا أَجَشَّ كَجَرَسِ الرَّحَا^(٦)
ضَمَانٌ عَلَيْهَا ارْتِدَاعُ الْيَفَاعِ بِأَنْوَارِهَا وَاعْتِجَارُ الرَّبَا^(٧)
فَمَا زَالَ مَدْمَعُهَا بَاكِيًّا عَلَى التُّرْبِ حَتَّى اكْتَسَى مَا اكْتَسَى^(٨)
فَأُضْحَتْ سَوَاءً وَجْوهُ الْبِلَادِ وَجُنَّ النَّبَاتُ بِهَا وَالتَّقَى^(٩)

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للارتفاع بها .

(٢) أناف : أطل وأشرف . غدا بكر . المدام : الخمر . يدعو الى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الظلمة بزورق فضي حولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . ويريد بالبكاء . الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول اخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة الى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنتضى : تستل . يقول ان برقها يلعب في الليل كأنه صباح ، والبرق يشبه السيوف المصلتة شكلا وبريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع ربوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون . الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض بالأزهار .

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى رداء جميلا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : زكا وطال .

وقال يصف سيفه :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ الْمَنِيَا كَوَامِنٌ^(١) مَا يُنْتَضَى إِلَّا لِسِفِكِ دِمَاءِ^(٢)
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنِدَ كَأَنَّهُ^(٣) بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ^(٤)

وقال يصف غديرا :

غَدِيرٌ تُرْجِرُ أَمْوَاجَهُ هُبُوبُ الرِّيحِ وَمَرُّ الصَّبَا^(٥)
إِذَا الشَّمْسُ مِنْ فَوْقِهِ أَشْرَقَتْ^(٦) تَوَهَّمَتْهُ جَوْشَنًا مَذْهَبًا^(٧)

وقال يحذر الطالبين من طلب الخلافة ويتوعدهم .

أَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا تَرَوْنَ فَمَا لَكُمْ^(٨) عِتَابٌ عَلَى الْأَقْدَارِ يَا آلَ طَالِبٍ^(٩)
تَرْكَنَّاكُمْ حِينًا فَهَلَّا أَخَذْتُمْ^(١٠) تَرَاثَ النَّبِيِّ بِالْقَنَا وَالْقَوَاضِبِ^(١١)
زَمَانَ بَنِي حَرْبٍ وَمُرْوَانَ مُمْسِكُو^(١٢) أَعْنَةَ مُلْكٍ جَائِرِ الْحُكْمِ غَاصِبِ^(١٣)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ كَسَوْكُمْ عَمَامًا^(١٤) مِنَ الضَّرْبِ فِي الْهَامَاتِ مُحْرَ الذَّوَابِ^(١٥)
فَلَمَّا أَرَاقُوا بِالسُّيُوفِ دِمَاءَكُمْ^(١٦) أَبَيْنَا وَلَمْ نَمْلِكْ حَنِينَ الْأَقَارِبِ^(١٧)
فَإِنِ أَخَذْنَا ثَارَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ^(١٨) قَعَدْتُمْ لَنَا تَوْرُونَ نَارَ الْحُبَابِ^(١٩)

(١) الصارم : السيف القاطع ، المنيا جمع منية : الموت . كوامن : ساكنة .

(٢) فرند السيف : وشيه وجوهره . دون : أسفل . فالفرند للسيف : كالغيم للسماء .

(٣) الصبا : ربح شرقية .

(٤) الجوشن : الدرع . مذهب : مموه بالذهب . فأشعة الشمس فوق صفحة الماء كماء الذهب فوق الدرع .

(٥) يريد أن الله أبى عليكم أن يوليكم أمر المسلمين ويجعل الخلافة فيكم .

(٦) التراث : الميراث . والقنا : الرماح . والقواضب : السيوف .

(٧) زمان : مضاف إلى الجملة الاسمية بعده . ويريد بنى حرب ومروان دولة بنى أمية .

(٨) الهامات : الرعوس . والذوئاب : ضفائر الشعر . يقول : ان بنى أمية كانوا يضربون رءوسكم بالسيوف فتحمر من دمائكم .

(٩) الحباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة ونحوها ، وأورى نار

الحباب كناية عن الفتن التي لا تفيد شيئا .

وحزنا التي أعميتكم قد علمتم
عظية ملك قد حباننا بفصله
وليس يريد الناس أن تملكوهم
وإياكم وإياكم وحذار من
إلا إنها الحرب التي قد علمتم
فما ذنبنا؟ هل قاتل مثل سأل؟
وقدره رب جزيل المواهب
فلا تثبوا فيهم وثوب الجنادب (١)
ضراغمة في الغاب حمر الخالب (٢)
وجرهم والعلم عند التجارب

وقال في الطرد (٣):

لما تعرى الأفق بالضياء
وشمطت ذوائب الظلماء
قدنا لعين الوحش والظباء
شائلة كالعقرب السمراء
كمدة من قليم سوداء
تحملها أجنحة الهواء
مثل ابتسام الشفة اللمياء (٤)
وهم نجم الليل بالإغفاء (٥)
داهية محذورة اللقاء (٦)
مرهفة مطلقه الأحشاء (٧)
أوهدة من طرف الرداء (٨)
تستلب الخطو بلا إبطاء

(١) الجنادب : جمع جندب : حيوان كالجراد كثير القفز .

(٢) الضراغمة : الأسود . والغاب مأوى الأسد . والمخالب : الأظفار . ويريد بالضراغمة العباسيين وجنودهم .

(٣) الطرد بفتحين : مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من الشعراء كأبي نواس وابن الرومي وابن المعتز .

(٤) تعرى : تكشف . يريد لما استهل الصباح ، والشفة اللمياء المشربة سمرة في حسن .

(٥) شمطت : اختلط سوادها ببياضها .

(٦) العين : جمع أعين وهو ثور بقر الوحش ، ويريد بالداهية كلبة الصيد يقول : لما أصبح الصباح خرجنا للصيد ومعنا كلبة تخشى الحيوانات لقاءها .

(٧) شائلة : مرتفعة الذنب . مرهفة : مدببة .

(٨) المدة : الخط الممتد والهدبة الطرف .

- وَمُخْطَفًا مُوْتَقَّ الْأَعْضَاءِ خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بَيْضَاءِ (١)
كَأَثَرِ الشَّهَابِ فِي السَّمَاءِ وَيَعْرِفُ الزَّجْرَ مِنَ الدُّعَاءِ
بُأَذْنِ سَاقِطَةِ الْأَرْجَاءِ كَوْرَدَةِ السَّوْسَنَةِ الشَّهْلَاءِ (٢)
ذَا بُرْثِنٍ كَثِيبِ الْحِذَاءِ وَمُقْلَةٍ قَلِيلَةَ الْأَقْدَاءِ (٣)
صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ يَنْسَابُ بَيْنَ أَكْمِ الصَّحْرَاءِ
مِثْلَ أَنْسِيَابِ حَيَّةِ رَقَطَاءِ أَنْسَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالْفَضَاءِ (٤)
سِرْبَ ظِبْيَاءِ رُتَّعِ الْأَطْلَاءِ فِي عَازِبٍ مُنَوَّرٍ خَلَاءِ (٥)
أَحْوَى كَبْطُنِ الْحَيَّةِ الْخَضْرَاءِ فِيهِ كَنْقَشُ الْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ (٦)
كَأَنَّهُ ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ يَصْطَادُ قَبْلَ الْأَيْنِ وَالْعِنَاءِ (٧)

* خَمْسِينَ لَا تَنْقُصُ فِي الْأَحْصَاءِ *

(١) المخطف: الضامر، وهو عطف على داهية السابقة: يريد أنه يخرج إلى الصيد بكلبة وصفها وكلب شرع يصفه فقال: أنه موثق الأعضاء أي شديدا محكما، وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كأثر الشهاب في السماء.

(٢) الأرجاء: الانحاء. والسوسن: الزنبق.

(٣) البرثن: الناب. والحذاء: الاسكاف.

(٤) السفح: عرض الجبل. وأنس: أبصر. والفاعل: ضمير يعود على المخطف. وسرب ظبء في البيت بعده مفعوله: أي أن هذا الكلب أبصر سرب غزلان. ترتع أطلاؤها: أي أولادها في عازب: أي مرعى خصيب مزهر.

(٦) الأحوى: شديد الخضرة في سواد وهو وصف للعازب قبله.

(٧) الأين: التعب. يقول: إن هذا الكلب يصيد مالا يقل عن خمسين قبل أن يدركه التعب.

الأندلس

(١) النثر

النثر الفنى

١ - نبذة من الرسالة الجديدة لابن زيدون^(١)

وهى التى كتبها لأبى الحزم بن جهور أمير قرطبة

وهو فى سجنه يستعطفه

« يا مولاي وسيدي الذى ودادى له ، واعتمدى عليه ، واعتدأى به وامتدأى
منه ، ومن أبقاه الله تعالى ماضى حدِّ العزم ، وارى زندِ الأمل ، ثابتَ عهدِ
النعمة . إن سلبتني - أعزك الله - لباسَ إنعامك ، وعظمتني من حلى إيناسك ،
وأظمأتني إلى برود^(٢) إسعافك ، ونفضت بي كفَّ حياطتك ؟ وغضضت عني
طرفَ حمايتك ، بعد أن نظرت الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع الأصمُّ ثنائى عليك ،
وأحسَّ الجهاد باستجدادى لك ، فلا غرو وقد يغص^(٣) بالماء شاربه ، ويقتل الدواء
المستشفى به ، ويؤت الحذر من مأمينه ، وتكون منيّة التمني في أمنيته
والحين^(٤) قد يسبقُ جهد الحريص :

كلُّ المصائب قد تمرُّ على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

(١) هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحد بن عبد الله بن زيدون القرطبي وزير آل جهور بقرطبة
ثم آل عباد بأشبيلية وصاحب الرسالتين الجديدة والهزلية توفى سنة ٤٦٣ هـ .

(٢) البرود : الماء البارد ، أى اسعافك الذى هو كالماء البارد فى اروائه للغليل .

(٣) يغص : يشرق .

(٤) الحين : الهلاك .

وإني لأتجلدُ ، وأرى الشامتين أني لريب الدهر لا أتضعع ؛ فأقول : هل
أنا إلا يد أدمأها سوارها ، وجبين عَضَّ به إكليه ، ومَشْرِفِي^(١) الصَّقَه بالأرض
صَاقِلُهُ ، وَسَمَهْرِي^(٢) عَرَضَه على النار مَثْقَفُهُ ، وَعَبْدٌ ذَهَبَ به سيده مذهب
الذي يقول :

فَقَسَا لِي رَدَجْرُوا ؛ وَمَنْ يَكْ حَازِمًا فليَقْسُ أحيانًا على مَنْ يَرَحْمُ

هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة^(٣) غَمْرَةٌ ثم تنجلي ، وهذه النكبة
سَحَابَةٌ صَيْفٌ عن قليل تَقَشَّعُ^(٤) وَلَنْ يَرِينِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ أَبْطَأَ سَيِّبُهُ^(٥) ، أو تأخر
غير ضنين غناؤه ، فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشيا أحفلها ،
وأفنع الحيا ما صدَفَ جدبا ، وألذُّ الشَّرَابِ ما أَصَابَ غليلا . ومع اليوم غد ،
ولكلِّ أجل كتاب . له الحمد على أهتباله^(٦) ، ولا عتب عليه في إغفاله .

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا فأفعاله اللأى سَرَرْنَ أوف

(١) المشرقي : السيف ينسب الى مشارف الشام .

(٢) السمهرى : الرمح ينسب الى سمهر وهو صانع للرمح وزوجه ردينة كانت تعمل معه السلاح

واليهما تنسب الرماح .

(٣) النبوة : الجفوة .

(٤) تقشع : تتكشف وتزول .

(٥) السيب : العطاء .

(٦) الاهتبال : الاغتنام ، أى اغتنام معروفة .

وأعودُ فأقول : ما هذا الذنبُ الذي لم يسعهُ عفوك ، والجهلُ الذي لم يأت
من ورائه حِلْمك ؟ والتطاؤل الذي لم يستغرقه تطوُّك^(١) ، والتحامل الذي لم
يف به احتمالك ؟ ولا أخلو من أن أكون بريئاً ، فأين العدل ؟ أو مسيئاً ،
فأين الفضل ؟

إلا يكن ذنبٌ فعدلك واسعٌ أو كان لي ذنبٌ ففضلك أوسع

ومنها :

وهل لبس الصباح إلا برداً طرزته بفضائك^(٢) ؟ وتقلدت الجوزاء إلا
عقداً فصلته بما ترك ؟ واستملي الربيع إلا ثناءً ملأته بمحاسنك ؟ وبث المسك
إلا حديثاً أذعته في محامدك ؟ ما يومٌ حليلة^(٣) بسرٍ ! وإن كنت لم أكسك
سليماً ، ولا خلقتك عطلاً ، وسمتك غفلاً ، بل وجدت آجراً وجصافينيت ، ومكان
القول ذا سعةٍ فقلت .

(٢) الفتح بن خاقان

قال في كتابه قلائد العقيان في ترجمة أبي الفضل بن حسداى^(٤) :
ولما أعرس المستعين بالله بنت الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز احتفل
أبوه المؤمن بالله في ذلك احتفالاً شهراً ، وأبدع فيه إبداعاً راقٍ من حضره وبهره ،

(١) التطول : التكرم .

(٢) يبالغ في أن بياض الصبح مستعار من مشهور ثنائه عليه وكذلك العبارات الآتية .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر المتعالم المشهور . وحليمة هذه : هي بنت الحارس بن أبي شمر
الفسانى وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء فضمختهم بالطيب جميعاً فقيل : ما يوم . الخ

(٤) ابن حسداى : كان وزيراً للمؤمن والمستعين من ملوك الطوائف . وكان يهودياً وأسلم وله
كتابة بليغة موجزة تظهر عليها مسحة الفلسفة .

فإنه أحضر فيه من الآلات المتدعة ، والأدوات المخترعة ، ما بهر الألبات ، وقطع
دون معرفتها الأسباب ، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس من دآنٍ وقاص ،
ومطيع وعاص ، فأتوه مسرعين ، ولبوه متبرعين ، وكان مدير تلك الإراغة^(١)
ومدبرها ، ومُنشئ مخاطباتها ومُحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل ، وصدرت
عنه في ذلك الوقت كتبٌ ظهرَ إعجازها ، وبهر اقتضاؤها وإيجازها . فمن ذلك :
ماخاطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر :

« مَحَلُّكَ أَعَزَّكَ اللهُ فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتْ أَلْدَارُ ، وَعِيَانُكَ
فِي أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارُ ، فَالْنَفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّيلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ
الْحِظِّ ، وَالْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَتَمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفْرِ اللَّحْظِ ، فَلَا عَائِدَةَ أَسْبَغُ
بُرْدًا ، وَلَا مَوْهَبَةَ أَسْوَعُ وَرِدًا ، مِنْ تَفْضُلِكَ بِاللُّحُوقِ إِلَى مَأْنَسٍ يَمُّ بِمَشَاهِدَتِكَ
التَّئَامُهُ ، وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضِرَتِكَ انْتِظَامُهُ . وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ ، بِالْإِمْتِنَاعِ عَنْ ذَلِكَ
بِأَعْظَمِ الْأَمَالِ . وَأَنَا (أَعَزَّكَ اللهُ) عَلَى شَرَفِ سُودِدِكَ حَاكِمٌ ، وَعَلَى مَشْرِعِ سِنَائِكَ
حَائِمٌ . وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقَهُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي ، وَتَتَيَّقَهُ مِنْ تَطَلُّعِي وَتَتَوَّقِي .
وَقَدْ تَمَكَّنَ الْأُرْتِيَاخُ بِاسْتِحْكَامِ الثِّقَةِ ، وَأَعْتَرَضَ الْإِقْتِرَاحُ ، بَارْتِقَابِ الصَّلَةِ .
وَأَنْتَ وَصَلَ اللهُ سَعْدَكَ بِسِمَاةِ شَيْمِكَ ، وَبَارَعَ كَرَمِكَ ، تَنْشِئُ لِلْمَوَاسِمَةِ عَهْدًا ،
وَتُورِي بِالْمُكَارِمَةِ زَنْدًا ، وَتَقْتَضِي بِالْمِشَارِكَةِ شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا . لَا زِلْتُ مُهَنَّأً
بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ ، مُسَوِّغًا اجْتِلَاءَ غُررِ الْأَمَانِيِّ التَّهْلِيلَةِ بِمَنِّهِ .

(٣) الوزير الكاتب أبو عمرو الباجي^(١)

كتب رحمه الله تعالى يصف مطرا نزل بعد قحط قال :

إن لله تعالى قضايا واقعة بالعدل ، وعطايا جامعة للفضل ، ومنحاً يبسطها
إذا شاء ترفيها وإنعاما ، ويقبضها إذا أراد تنبئها وإلهاما ، ويجعلها صلاحاً وخيراً ،
وعلي آخري فساداً وضيئاً : (وهو الذي يُنزلُ الغيثَ من بعد ما قنطوا وينشرُ
رحمته وهو الوليُّ الحميد) . وإنه بعد ما كان من امتسك الحيا^(٢) ، وتوقف السقيا
الذي ريع^(٣) به الآمن ، واستطير له الساكن ، ورجفت الأكبَاد فزَعاً ، وزهلت
الألبابُ جزَعاً وأذكتُ ذكاء^(٤) حرَّها ، ومنعتِ السماءَ درَّها ، واكتست الأرضُ
غُبْرَةً بعد خُضرة ، ولبستُ شُحوباً بعد نُضرة ، وكادت بُرود^(٥) الأرض تُطوى ،
وَمُدود^(٦) نِعَمِ الله تُزوى^(٧) - نشرَ اللهُ تعالى رحمته ، وبسطَ نِعَمته ، وأتاح^(٨)
مِنته ، وأزاحِ مِحنته ، فبعثَ الرياحَ لواقِحَ ، وأرسلَ الغمامَ سَوافِحَ ، بماءٍ دَفَقَ ،
وَرَوَاءَ غَدَق^(٩) مِنْ سماءِ طَبَق^(١٠) ، استَهَلَّ جفْهًا فدَمَعَ ، وسَحَّ دَمْعُهَا فَهَمَّعَ ،

(١) هو أحد كتاب الأندلس البلغاء ، خدم بالكتابة في عدة دول من ملوك الطوائف وأخصهم
المفتنر ابن هود صاحب سرقسطة .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) ريع : خوف .

(٤) ذكاء : اسم للشمس .

(٥) البرود : الثياب ، يريد بها ما يكسو الأرض من الخضرة .

(٦) المدود : جمع مدد بمعنى المعونة .

(٧) تزوى : تمنع وتطوى .

(٨) أتاح : هيا وقدر .

(٩) الرواء : المطر الذي يروى . وغدق : كثير شامل .

(١٠) السماء هنا : المطر . والطبق : المطر العام .

وصابَ وبلها فنقع ، فاستوفت الأرض ريباً ، واستكملت من نباتها أثاثاً ورثياً^(١)
فزينة الأرض مشهورة ، وحلة الروض منشورة ، ومنة الرب موفورة ، والقلوب
ناعمة بعد بوسها ، والوجوه ضاحكة بعد عبوسها ، وآثار الجزع ممحوّة ،
وسور الحمد متلوّة ، ونحن نستزيد الوهاب نعمة التوفيق ، ونستهديه في قضاء
الحقوق إلى سواء الطريق ، ونستعيد به من المنّة أن تصير فتنة ، ومن المنحة أن
تعود محنة . وهو حسبنا ونعم الوكيل !

(٤) ابن خفاجة^(٢)

فصل من رسالة في وصف رياض غب مطر :

ولما أكبّ الغمام إكباباً ، لم أجد منه إغباباً^(٣) ، وأتصل المطر اتصالاً ،
لم ألف منه انفصلاً ، أذن الله تعالى للصحو أن يطلع صفحته ، وينشر صحيفته ،
فقسعت الرياح السحاب ، كما طوى السجل الكتاب ، وطافت السماء تخلع
جلبابها ، والشمس تميظ نقابها ، وطلعت الدنيا تبتهج كأنها عروس تجلت ،
وقد تحلت ، فذهبت في لمة من الإخوان نستبق إلى الراحة ركضاً ، ونطوى
للتفرج أرضاً ؛ فلا أندفع إلا إلى غدير نيم ، قد أسدأت منه في كل قرارة ماء ،
سحابة غماء^(٤) ، وأنساب ، في تلعت حباب . فترددنا بتلك الأباطح نهادي
تهادي أغصانها ، ونتضاحك تضاحك أقحوانها ، وللنسيم ، أثناء ذلك

(١) الرئي : الثوب ، جمال المنظر .

(٢) هو أبو اسحق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة شاعر شرقي الأندلس وأشهر وصافي الطبيعة
بالأندلس ، وكان قليل التكسب بشعره ، توفي سنة ٥٣٣ هـ .

(٣) الاغياب : أن يجيء المرء القوم يوماً ويفيب يوماً . والمعنى أن الغمام لم يغب يوماً بل
بقي هاطلاً .

(٤) الغماء : السحابة لافرجة فيها أي اشبهت الأرض السماء فقرارات الغدران أشبهت سحب
السماء المتئمة .

الْمَنْظَرِ الْوَسِيمِ تَرَسَّلُ^(١) مَشَى ، عَلَى بَسَاطِ وَشَى ؛ فَإِذَا مَرَّ بِغَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرْعًا ،
وَأَحْكَمَهُ صُنْعًا^(٢) ، وَإِنْ عَثَرَ بِجَدُولٍ شَطَبَ^(٣) مِنْهُ نَصْلًا ، وَأَخْلَصَهُ صَقْلًا ؛
فَلَا تَرَى إِلَّا بَطَاحًا ، مَمْلُوءَةً سِلَاحًا ؛ كَأَنَّمَا أُنْهَزِمَتْ هُنَالِكَ كِتَابٌ ، فَأَلْقَتْ بِمَا لَبَسَتْهُ
مِنْ دِرْعٍ مَصْقُولٍ وَسَيْفٍ مَسْلُولٍ .

(٥) وهذا فصل للأديب أبي عامر بن عقيل^(٤)

كتب به عن الأمير إبراهيم يصف اجتياز أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة
وخمسمائة ، وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه (أيده الله تعالى) من مرسى
جزيرة طريف على بحرٍ ساكنٍ قد ذلَّ بعد استصعابه ، وسهل بعد أن رأى الشامخ
من هضابه ، وصار حيه ميئًا ، وهدره صمًا ، وجباله لا ترى فيها عوجًا ولا أمًا ،
وضعف تعاطيه ، وعقد السلم بين موجه وشاطئه ، فعبر آمنة من سطواته ،
متملكًا لسهواته ، على جوادٍ يقطع الجروفَ لمحًا ويكادُ يسبقُ الريحَ سبْحًا ،
لم يحمل لجاما ولا سرجا ، ولا عهدَ غير اللجة الخضراء مرجا ، عناه في رجليه^(٥) .
وهذب العين يحكي بعض شكله ، فله دره من جواد ، له جسم وليس له فؤاد ،
يخرق الهواء ولا يرهبه ، ويركب الماء ولا يشربه .

(١) الترسل : المشى على مهل وهوادة .

(٢) أى نأ النسيم يجعله صفحة الماء فيجعلها كنسج حلق الدرع المجلوة .

(٣) شطب الحداد السيف : جعل فيه جزوزا غائرة على طوله . وفيه تشبيه الجدول في صفائه وانحنائه بالسيف العربى .

(٤) كان أديبا شاعرا كاتباً من كتاب بنى قاسم من ملوك الطوائف . ثم لما ملك المرابطون الأندلس وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين فكان كاتب انشائه .

(٥) رجل السفينة : سكانها (دفتها) أى لأن له مجاديف متراصة متغاربة من الجانبين كأنها الأهداب .

(ب) النثر العلمي

باب ما يهمز فيكون له معنى ، فإذا لم يهمز كان له معنى آخر

من كتاب « المخصص »

يقال : قد رَوَّأْتُ في الأمر . وقد رَوَّيْتُ رَأْسِي بالدهن . وقد تَمَلَّأْتُ من الطعام
والشَّراب ، وقد تَمَلَّيْتُ العيش : إذا عشتُ ملياً أي طويلاً . وتقول : قد تَخَطَّأْتُ
له في هذه المسألة ، وقد تَخَطَّيْتُ القَدَمَ ؛ لأنه من الخطوة . وقد قرأتُ القرآن
وما قرأتِ الناقةُ سَلَا قَطُّ ، أي لم تُلقِ وَلَدًا أراد أنها لم تحمل . وقد قرَّيْتُ الضيف ،
وقد سَوَّأْتُ عليه ما صنع ، إذا قلتُ له : أسأتَ ، وقد سَوَّيْتُ الشَّيْءَ . والعرب
تقول : إن أصبتُ فَصَوَّيْتُ ، وإن أخطأتُ نَحَطَّيْتُ ، وإن أسأتُ فَسَوَّيْتُ عليّ .
وقد خَبَأَ الشَّيْءَ يَخْبِئُهُ خَبْنًا — وقد خَبَتِ النارُ خُبُونًا — إذا ذهبَ لَهَبُهَا ، وقد
برأتُ مِنَ المرضِ أبرا بُرءًا ، وقد برَّيْتُ القلمَ . وقد بارأتُ شريكِي — إذا
فارقتَه — وقد بارأ الرجلُ امرأته ، وباريتُ فلانا إذا كنتَ تفعلُ ما يفعلُ ؛ وفلان
يُباري الريحَ سخاءً .

(١) ابن هانيء الأندلسي^(١)

قال من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويصف أسطوله وكان يومئذ أقوى أسطول

في البحر الأبيض المتوسط :

أما والجواري المنشآت التي سرتُ لقد ظاهرتها غداةً وعديداً
قِيَابٌ كما تزجى القِيَابُ على المَها ولكنَّ منْ مُضَمَّتْ عليه أُسود^(٢)
ولله - مِمَّا لَا يَرُونَ - كَتَائِبٌ مُسَوِّمَةٌ تَحْدُو بها وجُنود^(٣)
أطاعَ لها أن الملائكَ خلفها كما وَقَفَتْ خَلْفَ الصُّفوفِ رُدود^(٤)
وَأَنَّ الرِّيَّاحَ الذارياتِ كَتَائِبٌ وَأَنَّ النُّجُومَ الطالعاتِ سُعود

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانيء الأندلسي الأزدي. ولد بأشبيلية بالاندلس ، ونشأ بها فمال الشعر وفاق كل أدباء المغرب في عصره . ولازم وهو شاب أمير أشبيلية ، فمدحه بمدائح تغالي فيها ، حتى اتهموه بالكفر ، فخرج الى عدوة المغرب . وهناك الدولة الفاطمية مستولية عليه ، فاتصل بالمعز ومدحه وأعجب به . ولما فتح القائد جوهر مصر وبنى القاهرة انتقل اليها المعز ، وبعد مدة لحق به شاعرنا ، فمات في الطريق ولم يبلغ الأربعين سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) أي على الحسان اللاتي يشبهن المَها .

(٣) والله كَتَائِبٌ مسومة : أي من الملائكة تحدوها .

(٤) أطاعَ لها : أي دان لها وتهايا وانقاد . وأن الملائكَ وما عطف عليه فاعل أطاع . والردود :

جمع رد بالكسر وهو ما يعتمد عليه ويرجع اليه .

وما راعَ ملكَ الرُّومِ إلا اطلَّعُها تَدَشَّرُ أَعْلَامُهَا وَبُنُودِ
عليها غمامٌ مُكْفَهَرٌ صَبِيرُهُ له بَارِقَاتٌ جَمَّةٌ وَرُعُودٌ^(١)
مواخِرُ في طامِي العُبابِ كأنها
أنافتُ بها أعلامُها ، وسما لها
وليس بأعلى شاهِقٍ ، وهو كوكبٌ ،
من الراسياتِ الشَّمِّ لولا اُتَّقَالُها
من الطيرِ إلا أَنهن جوارِحُ
من القادحاتِ النارِ تُضْرَمُ للصِّلَى
إذا زَفَرَتْ غَيْظًا ترامتِ بِمَارِجِ
فأفواهُنَّ الحامياتُ صواعقُ
يُشَبُّ لالِ الجائليقِ سَعِيرُها
لها شُعَلٌ فوقِ الغمارِ كأنها
تُعانِقُ مَوْجَ البحرِ حتى كأنه
ترى الماءَ فيها ، وهو قانٍ عُبابُهُ
فليس لها إلا الرِّياحَ أَعْنَةُ^(٢)
فليس لها إلا الحَبابَ كديدُ^(٣)
فليس لها إلا الحَبابَ كديدُ^(٤)

(١) الصبير: السحابة فوق أخرى ، أو السحاب المتراكم . يريد به دخان مقدوفاتها ونيرانها وأصواتها .

(٢) الريود: جمع ريد وهو القطعة من الجبل . والقنان: جمع قنة .

(٣) الردع: الزعفران أو أثر الطيب في الجسد . والخلوق: ضرب من الطيب .

(٤) الحباب: يراد به الموج . والكديد: الأرض الصلبة .

- وغير المذاكي نجرها غير أنها (١)
تري كل قوداء التليل إذا انتنت (٢)
رحبية مدّ الباع وهي نضيحة (٣)
تكبرن عن نفع يثار ، كأنها
لها من شُفوفِ العبقريّ ملابس (٤)
كما اشتملت فوق الأرائك خرد (٥)
ليوث تكف الموج ، وهو غظامط
فمنه دروع فوقها وجواشن (٦)
ألا في سبيل الله تبذل كنه ما
فلا غرو إن أعزّت دين محمد
تحت الفوارس قود (١)
سوالف غيد بالمها وقود (٢)
بغير شوى ، عذراء وهي ولود (٣)
موال ، وجرد الصافات عبيد
مفوفة فيها النضار جسيد (٤)
أو التفتت فوق المنابر صيد (٥)
وتدراً بأس اليم ، وهو شديد (٦)
ومنه خفّاتين لها وبرود
تضن به الأنواء وهي جمود
فأنت له دون الملوك عقيد

(١) المذاكى : الخيل . والنجر والنجار: واحد وهو الأصل . والقود : جمع أقواد أو قوداء وهو الذلول المنقاد : أى تنسب لغير الخيل مع أن ركبها فرسان .

(٢) قوداء التليل : طويلة العنق : أى إذا انتنت شعور سوالف الغيد الحسان الشبيهات بالمها على أعناقهن ، أو تمايلت قدودهن كانت السفينة من هذه السفن تشبهها بانثناء عنقها على صدرها وكانوا يجعلون فى مقدم السفينة صورة رأس ثور أو كبش أو نعامة .

(٣) يريد بالباع المجاديف ؛ فهي تمد باعها ، وليس لها شوى أى أطراف . وقوله وهي ولود أى أنه يتبعها أو يكون لها زوارق صغار .

(٤) أى لها من النقوش الجميلة الألوان ما يشبه الثياب العبقرية المفوفة أى المخططة بالبياض المذهبة .

(٥) أى أنها تشتمل بهذه النقوش كما تشتمل الجوارى الخرد الثياب، وهن جالسات على الأرائك، أو يلتفت الخطباء الصيد وهم فوق المنابر .

(٦) بحر غظامط وموج غظامط : عظيم هائج .

وقال من قصيدة يمدح بها القائد جوهرًا ويذكر توديعه عند خروجه من
القيروان إلى مصر ويصف الجيش وخروجه للتشيع وكان الزحام قد أفاته مقابلة
القائد جوهر حتى لحقه ليلا :

رَأَيْتُ بَعَيْنِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ وَقَدْ رَاعَنِي يَوْمٌ مِنَ الْحَشْرِ أَرْوَعُ
غَدَاةَ كَأَنَّ الْأَفْقَ سُدَّ بِمِثْلِهِ فَعَادَ غُرُوبُ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَطَلَّعُ
فَلَمْ أُدْرِ إِذْ سَلَّمْتُ كَيْفَ أَشِيْعُ وَلَمْ أُدْرِ إِذْ شِيَعْتُ كَيْفَ أُوَدِّعُ
وَكَيْفَ أَخُوضُ الْجَيْشَ وَالْجَيْشَ لُجَّةً وَإِنِّي بَمَنْ قَادَ الْجَيْشَ لِمَوْلَعُ
وَأَيْنَ؟ وَمَالِي بَيْنَ ذَا الْجَمْعِ مَسَلَكُ وَلَا لِحِوَادِي فِي الْبَسِيطَةِ مَوْضِعُ
أَلَا إِنَّ هَذَا حَشْدٌ مَنْ لَمْ يَذُقْ لَهُ غِرَارَ الْكِرَامِيِّ جَفْنٍ، وَلَا بَاتَ يَهْجَعُ
نَصِيحَتَهُ لِلْمَلِكِ سَدَّتْ مَذَاهِبِي فَمَا بَيْنَ قَيْدِ الرَّمْحِ وَالرَّمْحِ إِصْبَعُ
فَقَدْ ضَرَعَتْ حَتَّى الرَّوَّاسِي لِمَارَاتُ فَكَيْفَ قُلُوبُ الْإِنْسِ؟ وَالْإِنْسُ أُضْرَعُ
فَلَا عَسْكَرٌ مِنْ قَبْلِ عَسْكَرِ جَوْهَرٍ تَخُبُ الْمَطَايَا فِيهِ عَشْرًا، وَتُوضَعُ (١)
تَسِيرُ الْجِبَالُ الْجَامِدَاتُ لَسِيرِهِ وَتَسْجُدُ مَنْ أَدْنَى الْحَفِيفِ وَتَرَ كَعُ
إِذَا حَلَّ فِي أَرْضٍ بَنَاهَا مَدَائِنَا وَإِنْ سَارَ عَنْ أَرْضِ ثَوْتٍ وَهِيَ بَلْقَعُ (٢)
سَمَوْتُ لَهُ بَعْدَ الرَّحِيلِ، وَفَاتَنِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا لَأُيَلَأِمَّ مَضْجَعُ
فَلَمَّا تَدَارَكْتُ السُّرَادِقَ فِي الدُّجَى عَشَوْتُ إِلَيْهِ، وَالْمَشَاعِلُ تَرْفَعُ

(١) الحُبب والايضاع : نوعان من السير . أى أن المطايا تسير في امتداده عشر ليال ، مبالغة في

طوله .

(٢) إذا حل أى جوهر ، أو نفس الجيش يحتاج الى بناء مدينة . وكذلك كانت القاهرة في أول

فَبَيْتٌ ؛ وَبَاتَ الْجَيْشُ جَمًّا سَمِيرُهُ يُورِّقُنِي ، وَالْجُنُّ فِي الْبَيْدِ مُجَعٌ
فَتَخْرِقُ جَيْبَ الْمَزْنِ وَالْمَزْنُ دَاخِعٌ وَنُوقِدُ مَوْجَ الْيَمِّ ، وَالْيَمُّ أَصْقَعٌ (١)
وَهُمَّهَمَ رَعْدُهُ آخِرَ اللَّيْلِ قَاصِفٌ وَلَا حَ مَعَ الْفَجْرِ الْبُورِقُ تَلْمَعٌ
وَأَوْحَتْ إِلَيْنَا الْوَحْشُ : مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِنَاؤِ بَكْمٍ مِنْ هَوْلٍ مَا تَسْمَعُ ؟
وَلَمْ تَعْلَمْ الطَّيْرُ الْحَوَائِمُ فَوْقَنَا إِلَى أَيْنَ نَسْتَذِرِي وَلَا أَيْنَ تَفْرَعُ (٢)
إِلَى أَنْ تَبْدَى سَيْفُ دَوْلَةِ هَاشِمٍ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مِنْ اللَّهِ يَسْطَعُ

وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي :

فَتَكَاتُ طَرْفِكَ ، أَمْ سَيْفُ أَبِيكَ وَكُثُوسُ خَمْرِي ، أَمْ مَرَّاشِفُ فَيْكِ
أَجْلَادُ مَرْهَفَةٍ وَفَتَكُ مَحَاجِرٍ ؟ مَا أَنْتِ رَاحِمَةٌ وَلَا أَهْلُوكِ !
يَا بِنْتَ ذِي الْبُرْدِ الطَّوِيلِ نَجَادُهُ أَكْذًا يَجُوزُ الْحَكْمُ فِي نَادِيكَ ؟ (٣)
قَدْ كَانَ يَدْعُونِي خِيَالِكَ طَارِقًا حَتَّى دَعَانِي بِالْقَنَا دَاعِيكَ
عَيْنَاكِ أَمْ مَغْنَاكِ مَوْعِدُنَا ؟ وَفِي وَادِي الْكُرَى أَلْقَاكِ أَمْ وَادِيكَ ؟
مَنْعُوكِ مِنْ سِنَةِ الْكُرَى ، وَسُرُوعِ فُلُوقِ عَثُرُوا بِطَيْفِ طَارِقِ ظَنُوكِ
وَدَعْوِكَ نَشْوَى ، مَا سَقُوكِ مُدَامَةً ! لَمَّا تَمَّائِلَ عِطْفُكَ أُتْهِمُوكِ
حَسِبُوا التَّكْحُلَ فِي جُفُونِكَ جَلِيَةً تَاللَّهِ مَا بَأَ كَفِّهِمْ كَحَلُوكِ !

(١) فتخرق أى المشاعل المتقدمة : أى ضوء المشاعل يخترق السحاب الدائح أى المتسع العظيم ويمتد الى البحر فيجمله كأنه متقد مع أن البحر بارد . أصقع أى كأنه مغطى بالصقيع .

(٢) تستدري : تطلب ذرا تلتجىء اليه أى كنفنا .

(٣) يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

وَجَلَوِكَ لِي إِذْ نَحْنُ غُصْنَا بَانَةً حَتَّى إِذَا أُحْتَفَلَ الْهَوَى حَجْبُوكِ !
وَلَوَى مُقْبَلِكِ اللَّثَامُ ، وَمَا دَرَوْا أَنْ قَدْ لُثِمْتَ بِهِ ، وَقَبْلَ فُوكِ
فَضَعِي الْقِنَاعَ فَقَبَلَ خَدَّكَ مُجْرَّتْ رَايَاتُ يَحْيَى بِالِدِّمِ الْمَسْفُوكِ

وقال يرثى والده يحيى وجعفر ابني علي :

إِنَّا ، وَفِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طُولٌ ، وَفِي أَعْمَارِنَا قِصَرٌ
لَنَرَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعَنَا لَوْ كَانَتْ الْأَلْبَابُ تَعْتَبِرُ !
مِمَّا دَهَانَا أَنْ حَاضِرَنَا أَجْفَانُنَا ، وَالغَائِبُ الْفِكْرُ
وَإِذَا تَدَبَّرْنَا جَوَارِحَنَا فَأَكَلَّهِنَّ الْعَيْنُ وَالنَّظَرُ
لَوْ كَانَ لِلْأَلْبَابِ مُمْتَحِنٌ مَا عُدَّ مِنْهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ (١)
أَيُّ الْحَيَاةِ الَّتِي عَيْشَتَهَا مِنْ بَعْدِ عِلْمِي أَنَا بَشَرٌ ؟
خَرِسَتْ لِعَمْرِ اللَّهِ السُّنَنَاتُ لَمَّا تَكَلَّمْنَا فَوْقَنَا الْقَدَرُ

(٢) ابن بُرْدِ الْأَصْفَرِ مِنْ شِعْرَاءِ الْأَنْدَالِيسِ

قال يصف السحب والبرق :

وَمَا زِلْتُ أَحْسَبُ فِيهِ السَّحَابَ وَنَارُ بَوَارِقِهَا تَلْهَبُ
بِنَحَاتِي تَوْضِعُ فِي سَيْرِهَا وَقَدْ قُرِعَتْ بِسَيَاطِ الذَّهَبِ

(١) أي ماعد من الالباب : السمع والبصر ، لأن السمع يسمع المواعظ فلا يتعظ ، والبصر يبصر

(٣) أحمد بن عبد ربه الأندلسي (١)

قال في الوصف ؛ يصف حماما :

وما عُنَيْتُ بِشَيْءٍ ظَلَّ يَعْنِيهِ
وَنَاحٍ فِي غُصُونِ الدَّوْحِ أَرْقَنِي
مُطَوَّقٍ بِعُقُودٍ مَا تَزَايَلُهُ
حَتَّى تَزَايِلَهُ إِحْدَى تَرَاقِيهِ (٢)
قَدَّ بَاتَ يَبْكِي بِشَجْوٍ مَا دَرَيْتُ بِهِ
وَبَتْ أَبْكِي بِشَجْوٍ لَيْسَ يَدْرِيهِ

وقال في المدح :

كريمٌ عَلَى الْعِلَّاتِ جَزَلٌ عَطَاؤُهُ
مُنِيلٌ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدَ لِنَوَالِ
وَمَا الْجُودُ مَنْ يُعْطَى إِذَا مَا سَأَلْتَهُ
وَلَكِنَّ مَنْ يُعْطَى بِغَيْرِ سُؤَالِ

وقال يصف سيفا :

وَذِي شُطْبٍ تَقْضِي الْمَنَايَا بِحُكْمِهِ
وَلَيْسَ لِمَا تَقْضِي الْمَنِيَّةُ دَافِعٌ (٣)
فِرْنْدٌ إِذَا مَا أَعْتَنَ لِلْعَيْنِ رَاكِدٌ
وَبَرَقٌ إِذَا مَا أَهْتَرَ بِالْكَفِّ لَامِعٌ (٤)
يُسَلِّلُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ أَنْسَلَاهُ
وَيَرْتَاعُ مِنْهُ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ رَائِعٌ
إِذَا مَا أُلْتَقَتْ أَمْثَالُهُ فِي وَقِيعةٍ
هُنَالِكَ ظَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَاقِعٌ (٥)

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر الوشاح المؤلف أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد

الذي يعد من أركان الأدب العربي توفي سنة ٣٢٨ هـ . .

(٢) يريد بالعقود ما يرى من الألوان في عنقه .

(٣) الشطب : الحزوز في جانبي السيف طولا .

(٤) اعتن : ظهر وبدا .

(٥) أى ماتظنه النفس من الهلاك واقع لا محالة .

وقال أيضاً :

بكلِّ مأثورٍ على مَتنه مثلُ مدبِّ النملِ في القاع^(١)
يرتدُّ طرفُ العينِ عن حدِّه عن كوكبِ الموتِ لماعٍ

(٤) ابن زيدون^(٢)

قال :

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لُقيانا تجافينا
بنتم وبنّا ؛ فما ابتلت جواحننا شوقاً إليكم ، ولا جفت مآقينا^(٣)
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الأسي لولا تأسينا^(٤)
حالت لفقدكم أيامنا ، فغدت سوداً ، وكانت بكم بيضاً ليالينا^(٥)
إذ جانب العيش طلق من تالفنا وموردُ اللهو صافٍ من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأنس دانيةً قُطوفها ؛ فجنينا منه ماشينا^(٦)
ليسق عهدكم عهد السرور ؛ فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

(١) أى يلوح ويتراءى لمن ينظر اليه أمثال مداب النمل من انعكاس الضوء وانكساره على صفحته ، وذلك يبين في السلاح المجلو من الفولاذ الذكر .

(٢) مرت ترجمته عند نشره .

الجوانح : جمع جانحة : وهى الضلع . والمراد بالجوانح : ما تجنه من القلب والحشا الملتهب بالحب . وقوله : (ولا جفت مآقينا) أى ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم .

(٤) التأسى : التصبر .

(٥) حالت : استحالت من بيض الى سود .

(٦) هصرنا : أملنا الى ناحيتنا .

مَنْ مُبْلِغُ الْمُدْبِسِينَا بِاتِّزَاحِهِمْ حُزْنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى ، وَيُبْلِينَا (١)
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَا زَالَ يُضْحِكُنَا أَنْسًا بِقَرْبِكُمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا
مَا حَقَّقْنَا أَنْ تُقَرُّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ بِنَا ، وَلَا أَنْ تَسْرُوا كَاشِحًا فِينَا (٢)
غِيظَ الْعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا الْهُوَى فَدَعَوْا بِأَنْ نَعُصَّ ، فَقَالَ الدَّهْرُ : آمِينَا !
فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا وَأُنْبَتَّ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا
وَقَدْ نَكُونُ ، وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا فَالْيَوْمَ نَحْنُ ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا
لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ رَأْيًا ، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَا يُغَيِّرُنَا إِنَّ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا
وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ ، وَلَا أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
وَلَا اسْتَفَدْنَا خَلِيلًا عِنكَ يَشْغَلُنَا وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلًا مِنْكَ يُسَلِّينَا
يَسَارَى الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ فَاسِقٍ بِهِ مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهُوَى وَالْوُدِّ يَسْقِينَا
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتِنَا مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
يَا رَوْضَةَ طَالَمَا أُجْنَتْ لَوَاحِظُنَا وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًّا وَنِسْرِينَا (٣)
وَيَا حَيَاةَ تَمَلِّينَا بِزَهْرَتِهَا مَنَى ضُرُوبًا وَلذَاتِ أَفَانِينَا (٤)

(١) الانتزاح : الافتراق .

(٢) أقر الله عينه بالسلامة : ضد أسخنتها بالوجع والمراد أن تسروا الحاسد . والكاشح : المضمحل للعداوة . والواشى : المبغض .

(٣) النسرين : نوع من الورود أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة .

(٤) تملينا : استمعنا ، والمنى جمع منية . والضروب هنا : الأنواع . والأفانين هنا جمع أفنون وهو النوع والضرب أى لذات مختلفة الشكول .

ويا نعيماً خطرنا من غضارته
لسنا نسميك إجلالاً وتكرمةً
إذا انفردت وما شوركت في صفةٍ
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها
كأننا لم نبب والوصل ثلثنا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي
لاغر وفي أن ذكرنا بالحزن حين نهت
إنا قرأنا الأسي يوم النوى سوراً
أمّا هواك فلم نعدل بمنهله
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه
ولا اختياراً تجنّبناك عن كذب
نأسي عليك إذا حمت مشعشةً
لأكؤس الرّاح تبدى من شمائلنا
في وشى نعى سحبتنا ذيلها حيناً^(١)
وقدرك المعتلى عن ذلك يغنيننا
فحسبنا الوصف إيضاحاً وتبيننا
والكوثر العذب زقوماً وغسلينا^(٢)
والسعد قد غص من أجفان واشينا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
مواقف الحشر نلقاكم ويكفيننا
عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
مكتوبةً ، وأخذنا الصبر تلقينا
شرباً ، وإن كان يروينا فيظميننا
سالين عنه ، ولم نهجره قالينا
لكن عدتنا على كره عوادينا^(٣)
فينا الشمول وغننا مغنيننا^(٤)
سيما أرتياح ، ولا الأوتار تلهينا

(١) خطر الرجل في مشيته رفع يديه ووضعها عجا وتيها . والغضارة : النعمة والسعة
والخصب . والوشى نوع من الشياح الحريرية المنقوشة .

(٢) السلسل : الماء العذب المبرد . والكوثر : الكثير من كل شيء ، والنهر ، ونهر في الجنة .
والزقوم المذكور في القرآن الكريم ، يراد به ضرب من العذاب في النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة
تكون في أصل الجحيم هذا اسمها . والغسلين : ما ينفسل من الشياح ونحوها . وغسلين النار :
ما ينفسل من جلود الكفار فيها .

(٣) عن كذب : عن قرب . وعدتنا العوادى : صرفتنا الصوارف . وهى شواغل الدهر وصروفه .

(٤) الشمول : من أسماء الخمر والمشعشة المزوجة بالماء .

دُومِي عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا مُحَافِظَةً فَأَلْحُرُّ مَن دَانَ إِنصَافًا كَمَا دِينَا
فَمَا أُبْتَغِينَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا وَلَا اسْتَفَدْنَا حَبِيبًا عَنكَ يُغْنِينَا
وَلَوْ صَبَأَ نَحْوَنَا مِنْ عُلوِّ مَطْلَعِهِ بَدْرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ - حَاشَاكَ - يُصْبِينَا
أَوْلَى وَفَاءً ، وَإِنْ لَمْ تَبْدُلِي صِلَةً فَالذِّكْرُ يُقْنِعُنَا ، وَالطَّيْفُ يَكْفِينَا
وَفِي الْجَوَابِ اقْتِنَاعٌ لَوْ شَفَعَتْ بِهِ بِيضَ الْأَيْدِي الَّتِي مَازَلَتْ تُؤَلِّينَا
عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ صِبَابَةٌ مِنْكَ تُخَفِّئُهَا فَتَخَفِينَا
وَقَالَ فِي الذِّكْرِ مَتَوَجِّعًا :

وَدَعَّ الصَّبْرَ مُحِبُّهُ وَدَعَّكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوَدَعَكَ
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطَا إِذْ شَيَّعَكَ
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءٌ وَسِنَى حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَعَكَ
إِنْ يَطُلُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَيْتٌ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

(٥) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عِمَارٍ (١)

قَالَ :

وَهَوِيَّتُهُ يَسِقِي الْمَدَامَ كَأَنَّهُ قَرْمٌ يَطُوفُ بِكُوكَبٍ فِي حِنْدِسٍ
مُتَأَرِّجِ الْحَرِّ كَاتٍ تَنْدَى رِيحُهُ كَالْفُصْنِ هَزَّتَهُ الصَّبَا بِنَفْسٍ
يَسْعَى بِكَأْسٍ فِي أَنْامِلِ سَوْسِنٍ وَيُدِيرُ أُخْرَى فِي مَحَاجِرِ نَرَجِسٍ (٢)

(١) هو أبو بكر محمد بن عمار وزير المعتضد بن عباد ملك أشبيلية ، ثم وزير ابنه المعتضد ، وبني المعتضد قتل بعد خيانة له في الملك والسياسة سنة ٤٧٧ هـ . وكان شاعرا بليغا يتشبه بالمتنبي

في مقامه في الملك والدولة .

(٢) السوسن والنرجس : زهران أبيضان من الفصيلة البصلية .

ومن قوله في الاستعطاف :

سَجَايَاكَ إِن عَافَيْتَ أُنْدَى وَأَسْمَحُ
وإن كان بين الخطتين مزية^١
حنانيك في أخذى برأيك لا تطع
وماذا عسى الأعداء أن يزيّدوا
نعم لي ذنب ! غير أن لحلمكم
وإن رجأت أن عندك غير ما
ولم لا ؟ وقد أسلفت وداً وخدمة^٢
وهبني قد أعقت أعمال مفسد
أقلني بما بيني وبينك من رضا
وعف على آثار جرّم جنيته
ولا تلتفت رأى الوشاة وقولهم ؛
سياتيك في أمرى حديث^٣ ، وقد أتى
ما ذاك إلا ما علمت ؛ فإنني

وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح
فأنت إلى الأذن من الله أجنح
عداتي ، وإن أثنوا علىّ وأفصحوا
سوى أن ذنبي واضح متصحح^٤
صفة يزل الذنب عنها فيسبح^(١)
يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
يكرآن في ليل الخطايا فيصبح
أما تفسد الأعمال تمت تصلح^(٢)
له نحو روح الله باب مفتح !
بهبة رحمتي منك تمحو وتصفح
فكل إناء بالذي فيه يرشح^(٣)
بزور بني عبد العزيز موشح^(٤)
إذا ثبت لا أنفك آسو وأجرح^(٥)

(١) أى أن حلمه كالصخرة الملساء يزل وينزل عنها الذنب .

(٢) تمت : هى (تم) العاطفة لحقتها تاء التانيث كما تلحق (رب) فيقال : (ربت) . وأصلها أن تكون ساكنة ، ولكنها تفتح معهما كثيرا .

(٣) تلتفت مضمن معنى فعل متعد ، تقديره : (تعتبر أو تقبل) .

(٤) كانوا من موالى المنصور بن أبى عامر ، وورثوا أبناءه وأحفاده في شرقى الأندلس ، وكانت لهم به دويلة دامت ردحا من الزمان .

(٥) إذا ثبت : إذا رجعت الى ما كنت عليه من وزارتك . وآسو : من أسأل الجرح أى دواه وعالجه . والمراد لأنفك أنفع وأضر ؛ فينالهم منى شر .

نَخِيلُهُمْ ، لَادَرَّ لِلَّهِ دَرُّهُمْ ؛ أَشَارُوا تِجَاهِي بِالشَّمَاتِ ، وَصَرَحوَا^(١)
وقالوا : سيجزيه فلانُ بفعله ! فقلتُ : وقد يعفو فلانُ ، ويصفح !
ألا إن بطشاً للمؤيدِ يتقَى ولكن حِلماً للمؤيدِ أرجح
وبين ضلوعي من هواهُ تَمِيمَةٌ ستَنفَعُ لو أنَّ الحِمَامَ مُجَلِّحٌ^(٢)
سلامٌ عليه كيف دارَ به الهوى : إلى فيدنو ، أو على فينرح^(٣)
ويهنيه إن متَّ السُّؤُ ؛ فإنني أموت ، ولي شوقٌ إليه مبرحُ

(٦) ابن وهبون في الوصف

قال الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى الأندلسي من شعراء شرق
الأندلس ، وكان خدام المعتمد بن عباد من ملوك الطوائف بعامه وشعره يصف
النيلوفر^(٤) :

وَبِرْكَهٍ تَرَهُو بَنِيْلُوفَرَ نَسِيمُهُ يُشْبِهُ رَوْحَ الْحَبِيبِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقْتُهُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ لِعَيْنِ الْمَغِيبِ
أَطْبَقَ جَفْنِيَهُ عَلَى الْفِهِ وَغَاصَ فِي الْمَاءِ حَذَارَ الرَّقِيبِ

(١) نخيلتهم : أى هذه نخيلتهم . والنخيلة : الطبيعة والنصيحة . وكلا المعنيين لائق . ودر
هنا نعل ماضٍ من در اللبن : ودرهم فاعله على نحو جد جده وجل جلاله . والجملة : دعاء عليهم .
أى لا كان درهم لله بمعنى لا وفقهم الله للخير .

(٢) التميمية : خروزة رقطاء كان الأعراب يعلقونها في أعناق أطفالهم لتقيهم شر العين والشياطين .
والمجلح : الأكلول . والمعنى في قلبه حب سينفعنى ويشفع عنده إذا أراد الموت أكلى .

(٣) ينزح : يبعد .

(٤) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة .

(٧) ابن خفاجة الأندلسي^(١)

قال في الاعتبار ويصف ليلا وجيلا :

بِعَيْشِكَ هَلْ تَدْرِي أَهْوَجُ الْجَنَائِبِ تَخُبُّ بِرَحْلِي أَمْ ظَهورُ النَّجَائِبِ؟^(٢)
فَمَا لُحْتُ فِي أَوْلَى الْمَشَارِقِ كَوَكْبًا فَأَشْرَقْتُ حَتَّى جِئْتُ أُخْرَى الْمَغَارِبِ
وَحِيدًا تَهَادَانِي الْفِيَا فِي فَأَجْتَلِي وَجُوهَ الْمَنَايَا فِي قِنَاعِ الْغِيَاهِبِ
وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَمَّمٍ وَلَا دَارَ إِلَّا فِي قُتُودِ الرِّكَائِبِ^(٣)
وَلَا أُنْسَ إِلَّا أَنْ أَضَاحِكَ سَاعَةً تُغُورَ الْأَمَانِي فِي وَجُوهِ الْمَطَالِبِ
وَلَيْلٍ إِذَا مَا قُلْتُ : قَدْ يَادَ فَا نَقَضَى ، تَكشَفَ عَنِ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَازِبِ
سَحَبَتْ الدِّيَاجِي فِيهِ سُودَ ذَوَائِبِ لِأَعْتَقِ الْأَمَالَ بِيضَ تَرَائِبِ
فَخَرَّقَتْ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنِ شَخْصِ أَطْلَسِ تَطَلَّعَ وَضَاحَ الْمَضَاحِكِ قَاطِبِ^(٤)
رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ الْفَجْرِ أَغْبَشًا تَأَمَّلَ عَنِ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبِ^(٥)
وَأُرْعَنَ طَمَاحَ الذُّؤَابَةِ بِادِخِ يُطَاوِلُ أَعْنَافَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ^(٦)

(١) مرت ترجمته عند نشره .

(٢) هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوجاء . والنجائب : جمع نجيبة : الناقة الكريمة .

(٣) القتود : أخشاب الرحال .

(٤) أطلس : أى شخص أفق أطلس ، والأطلس : الذى فى لونه غبرة الى سواد ، وهو وضاح المضحك من جهة أنه تتراعى فى خلاله أشعة الفجر ، وقاطب من غبش الليل بقية .

(٥) أى رأيت به قطعاً من الفجر لا يزال يبدو فيه نجم متوقد ثاقب ، وهو الزهرة أو عطارد لأنهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الأفق عند طلوع الفجر .

(٦) أرعن : ورب جبل أرعن طويل القمم يطاول السماء بكامله .

يَسُدُّ مَهَبَ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَيَزْحَمُ لَيْلًا شَهْبَهُ بِالْمَنَّاكِبِ
 وَقُورٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ طَوَالَ اللَّيَالِي مُفَكِّرٌ فِي الْعَوَاقِبِ
 يَلُوثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ سُودَ عَمَائِمٍ لَهَا مِنْ وَمِيضِ الْبَرْقِ مُحْمَرٌ ذَوَائِبِ^(١)
 أَصَحَّتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ آخِرُ صَامِتٍ ! فَخَدَّثَنِي لَيْلَ السَّرَى بِالْعَجَائِبِ
 وَقَالَ : إِلَى كَمْ كُنْتُ مَلْجَأً قَاتِلٍ وَمَوْطِنَ أَوَّاهٍ تَبَتَّلَ تَائِبِ^(٢)
 وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوَّبٍ وَقَالَ بِظِلِّي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ
 وَلَا طَمَّ مِنْ نُكْبِ الرِّيَّاحِ مَعَاطِفِي وَزَاخَمَ مِنْ خُضْرِ الْبِحَارِ غَوَارِبِي^(٣)
 فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّهْتَهُمْ يَدُ الرَّدَى وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالنَّوَابِ
 فَمَا خَفَقُ أَيُّكِي غَيْرُ رُجْفَةٍ أَضْلَعُ وَلَا نَوْحَ وَرُوقٍ غَيْرُ صَرْخَةِ نَادِبِ^(٤)
 وَمَا غِيَّضَ السَّلْوَانَ دَمْعِي ، وَإِنَّمَا نَزَفْتُ دَمُوعِي فِي فِرَاقِ الصَّوَابِ
 فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى ؟ وَيَظُنُّ صَاحِبُ أَوْدَعٍ مِنْهُ رَاحِلًا غَيْرَ آئِبِ
 وَحَتَّى مَتَى أَرَعَى الْكَوَاكِبَ سَاهِرًا ؟ فَمِنْ طَالَعِ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ
 فَرُحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ دَعْوَةَ ضَارِعِ يَمُدُّ إِلَى نَعْمَاكَ رَاحَةً رَاغِبِ !
 فَأَسْمَعْنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ يُتَرَجِّمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ

(١) يلوث : يلف ويعمم على رأسه من الغيم عمائم سوداء لها بروق حمر .

(٢) يريد بالأواه التائب : الراهب الذي يبني صومعته في رعوس الجبال .

(٣) النكب : جمع نكباء ، وهي الريح تهب بين مهبي ريحين . ومعاطفي وغواربي : يريد بهما جوانبي وأظهري .

(٤) أي خفق غصون أيكي . والأيك : اسم جمع لأيكة ، وهي الأشجار المتكاثفة . والوروق : جمع ورقاء وهي : الحمامة .

فسلّى بما أبكى وسرّى بما شجبا وكان على عهد السرى خير صاحب
وقلت ، وقد نكبت عنه لطية : سلام ! فإننا من مقيم وذاهب (١)

وقال :

أحس المدامة والنسيم عليل والظل خفاق الرواق ظليل (٢)
والنور طرف قد تنبه دمع والماء مبتسم يروق صقيل
وتطلعت من برق كل غمامة في كل أفق راية ورعيل (٣)
حتى تهادى كل خوطة أيككة ريبا وغصب تلعة ومسيل (٤)
عطف الأراكة فانشئت شكرا له طربا ورجع في العصون هدليل (٥)
فالروض مهتز المعاطف نعمة نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان فضنه الندى ثم أنجلي عنه فذهب صفحتيه أصيل
وارتد ينظر في نقاب غمامة طرف يمضه النعاس كليل (٦)
ساج كما يرنو إلى عواده شاك ويلتمح العزيز ذليل

(١) نكبت عليه : ملت عنه وانصرفت. والطفية : الحاجة والقصد ووجهة المسافر . ومن في (من مقيم) زائدة أو بيانية . أى فانا من بين مقيم ، وهو أنت ، وذاهب ، وهو نحن .

(٢) الرواق : مقدم البيت . وقد شبه الظل ببيت مضروب يخفق هواء رواقه .

(٣) الرعيل : الجماعة من الخيل ، شبه السحب بجماعات الخيل وكتائبها في الحرب وشبه البروق المنبعثة منها بالرايات المنشرة الحمر فوق رؤوسهم .

(٤) كل خوطة : أى كل غصن . والأيككة : الشجر الملتف . والتلعة : مجرى الماء من الجبل الى الوادى .

(٥) عطف : أى عطف النسيم العليل الأراكة . والهدليل : ذكر الحمام .

(٦) طرف : أى طرف كل شارب منا أى أن الشرب الذين كانوا يشربون قضوا النهار وجاء الأصيل ثم دخل الليل فبعد أن كان طرف الناظر منهم ينظر الى أزهار الروض ارتد ينظر في غمامة كأنها النقاب ، وهذا الطرف كليل من السكر ، يفالبه النعاس ساج فاتر كأنه طرف المريض يرنو الى أعواده ، أو طرف الذليل يلتمح العزيز .

وقال :

رُبَّمَا اسْتَضْحَكَ الْجَبَابِحِيْبُ
كَلَّمَامَرَّ قَاصِرًا مِنْ خُطَاهُ
تَفَضَّتْ ثَوْبَهَا عَلَيْهِ الْمَدَامُ
يَتَهَادَى كَمَا يَمُرُّ الْغَمَامُ
سَلَّمَ الْغُضْنَ وَالْكَثِيْبُ عَلَيْنَا
فَعَلَى الْغُضْنِ وَالْكَثِيْبِ السَّلَامُ

وقال في طول الليل :

بَالِيْلَ وَجِدٍ بِنَجْدٍ
وَمَا لِدَمْعِي طَلِيْقًا
أَمَّا لِطَيْفِكَ مَسْرَى
وَأَنْجُمُ الْجَوِّ أُسْرَى
وَقَدْ طَمَى بِحَمْرِ لَيْلٍ
لَمْ يُعْقِبْ الْمَدَّ جَزْرًا
لَا يَعْبُرُ الطَّرْفُ فِيْهِ
غَيْرَ الْمَجْرَّةِ جَسْرًا

(٨) ابن سهل الأندلسي (١)

قال :

سَلِّ فِي الظَّلَامِ اخَاكَ الْبَدْرَ عَنْ سَهْرِي
أَبِيْتُ أَهْتَفُ بِالشَّكْوَى وَأَشْرَبُ مِنْ
تَدْرِي النُّجُومُ كَمَا يَدْرِي الْوَرَى خَبْرِي
حَتَّى أُخِيْلَ أَنِي شَارِبٌ ثَمْلٍ
دَمْعِي وَأَنْشَقُ رِيًّا ذَكَرَكَ الْعَطْرِ
مَنْ لِي بِهِ ؟ أَخْتَلَفْتُ فِيهِ الْمَلَاْحَةُ إِذْ
بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتْرِ
أُوْمَتٌ إِلَى غَيْرِهِ إِيمَاءٌ مُحْتَضِرٌ (٢)

(١) هو للشاعر الرقيق الوشاح ابراهيم بن سهل الأشبيلي الأندلسي وكان يلقب قبل اسلامه بالاسرائيلي . كان يهوديا وأسلم ومات غرقا سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) أي تفاوتت فيه الملاحه عن نفسها عند الناس فهي فيه كاملة وفي غيره بمنزلة اشارة ضيعة كاشارة المحتضر عند الموت .

مَعَطَّلٌ فَالْحَلَى مِنْهُ مُحَلَّلَةٌ تَغْنَى الدَّرَارِي عَنِ التَّقْلِيدِ بِالذَّرَرِ (١)
بِخَدِّهِ لِفَوَادِي نِسْبَةٍ عَجَبٌ كَلَامُهَا أِبْدَاءً يَدْمِي مِنَ النَّظَرِ (٢)

وقال ابن سهل في توشيح له :

هَلْ دَرَى ظَنِّي الْجُمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّاهُ عَنِ مَكْنَسِ
فَهُوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقَ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

يَا بَدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النَّوَى غُرُّرًا تَسْلُكُ بِي نَهْجَ الْغُرَّرِ (٣)
مَا لِنَفْسِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنْكُمْ الْحُسْنَى وَمِنْ عَيْنِي الْقَطْرَ
أَجْتَنِي اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الْجَوَى وَالْتِذَاذِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفِكْرِ (٤)

كَلَّمَا أَشْكُوهُ وَجِدِي بَسْمًا كَالرُّبَا بِالْعَارِضِ الْمُنْبَجِسِ (٥)
إِذ يُقِيمُ الْقَطْرَ فِيهَا مَأْتَمًا وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسِ (٦)

(١) محلاة : ممنوعة .

(٢) أى أن فوادي يدمى من نظرات المحبوب الرامية بسهام التأثير ، وخده كان يدمى من حمرة الحجل عند نظرى اليه .

(٣) الغرر : التفرير والخطر .

(٤) أى وانما التذاذى من حبيب بالتفكر فيه .

(٥) أى كابتسام الربا المشرقة بالأزهار بعد أن سقاها العارض المنبجس : أى السحاب الهاطل .

(٦) أى أن نزول القطر الشبيه بقطرات الدمع يقيم في الربا مأتما ومناحة ببيكانه على حين أن الربا في أعراس من بهجتها .

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ الْمَذْنِبُ
أَخَذْتُ شَمْسَ الضُّحَا مِنْ وَجْنَتَيْهِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبٌ (١)
ذَهَبَ الدَّمْعُ بِأَشْوَاقِي إِلَيْهِ وَهُ خَدٌّ بِلِحْظِي مُذْهَبٌ (٢)

يَنْبُتُ الْوَرْدُ بَعْرَسِي كَلَّمَا لَاحِظْتَهُ مُقَلَّتِي فِي الْخَلْسِ
لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ حَرَمًا ذَلِكَ الْوَرْدَ عَلَى الْمُغْتَرَسِ

كَلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حَرَقِي غَادَرْتَنِي مُقَلَّتَاهُ دَنِفَا
تَرَكْتُ الْخَاظَةَ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صُمِّ الصَّفَا (٣)
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِيَ لَسْتُ الْخَاهُ عَلَى مَا أُتْلَفَا

فَهُوَ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نَطْقُهُ كَالْخَرَسِ
لَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حُكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلَّ النَّفْسِ

مِنْهُ لِلنَّارِ بِأَحْشَانِي ضِرَامٌ تَتَلَطَّى كُلَّ حِينٍ مَا تَشَا
هِيَ فِي خَدْيِهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ وَهِيَ حَرٌّ وَحَرِيقٌ فِي الْحِشَا
أَتَقَى مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ أَسَدًا وَرَدًا وَأَهْوَاهُ رَشَا

(١) أى أن حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الأفق وحمرة شفقتها بعيد الغروب مستعارة من وجنتيه الحمراءين .

(٢) أى مذهب من الخجل . وهذا المعنى مكرر جره إليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) فى أول البيت و (مذهب) فى آخره .

(٣) أى أنرا ضعيفا لأن النمل لا يؤثر مشيه فى الصخرة المساء .

قلتُ — لما أن تبدي مُعلماً وهو من الحَاظِه في حرس
أبها الآخذُ قلبي مغنَّ اجعلِ الوصلَ مكانَ الخمسِ (١)

(٩) وقد عارضه في هذا التوشيح الوزير (٢)

أبو عبد الله بن الخطيب فقال :

جادك الغيث إذا الغيثُ همي يا زمان الوصل بالأندلسِ
لم يكن وصلك إلا حلماً في الكرى أو خلسة المختلس

إذ يقودُ الدهرُ أشتاتِ المنى تنقلُ الخطو على ما يرسمُ
زمرّاً بين فرادى وثنى مثلاً يدعو الوفودَ المورسِ
والحياً قد جللَ الرّوضَ سننى فثغور الزهر منه تبسم

وروى النعمانُ عن ماء السماء كيف يروى مالكٌ عن أنس (٣)

(١) أى أن الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة بل يكون خمسها للدولة تنفقه في مصالح الناس وصدقاتهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد المرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيراً لأبى الحجاج يوسف من عظماء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم بالخيانة فى السياسة وبالزندقة ، ففر إلى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ٦٩٠ هـ وكان شاعراً كاتباً مؤرخاً فقيهاً متفلسفاً . وله عدة كتب وشعر رقيق وكتابة يروى صاحب نفع الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيراً .

(٣) فى النعمان وماء السماء تورية ؛ إذ النعمان أما شقائق النعمان لزهراً حمر ، وهو المراد هنا وماء السماء هو هنا المطر، وأما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخمين والثانى جد الأول وهما غير مرادين هنا . ومالك هو الامام مالك بن أنس امام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة ما بين مالك وأبيه أنس من أن الأول فى كلا الجانبين ابن للثانى وناشئ عنه .

فكساه الحسنُ ثوباً معلماً يزدهي منه بأبهي ملبس

في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى بالدجى لولا شمسُ الغرر
مالَ نجمُ الكأسِ فيها وهوى مستقيمَ السيرِ سعدَ الأثرِ
وطرء ما فيه من عيبِ سوى أنه مرَّ كالمح البصر

حينَ لذَّ الأنسُ شيئاً أو كما هجمَ الصبحُ هجوماً الحاس
غارَت الشهبُ بنا أو ربَّما أثرتَ فينا عيونُ النرجس

المغرب وهما ليك البربر

النثر

(١) النثر الفنى

(١) التلمسانى^(١)

قال فى الفراق .

الدهرُ ذو غيرَ ، وَمَنْ ذا يحكمُ على القدرِ ؟ وما ضرَّه لو غفلَ قليلا ، وشفى
بلقاء الأحيّةِ غليلا ، وسمحَ لنا بساعةِ اجتماع ، ووصلَ ذلكَ الأملَ القصيرَ بياع ،
وزوى^(٢) ؛ مسافةَ أيام ، كما طوى مراحلَ أعوام . يا مؤيسى^(٣) ، أفلا أشفقتَ
من عذابى ، وسمحتَ ولو بسلام أحببى ، أسلمتني إلى ذرع^(٤) البيد ،
ومخالفةِ الذمىل والوخيد^(٥) ، والتنقلِّ فى المشارق والمغارب ، والتمطى فى

(١) هو أبو اسحق بن بكر الأنصارى العلامة الأديب الكاتب الشاعر الرحالة من أهل سبتة .
دخل الأندلس وبلاد التكرور ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن . وتوفى سنة ٦٩٠ هـ بستة
عن سن عالية .

(٢) زوى : طوى .

(٣) يخاطب الدهر .

(٤) مصدر ذرع : بمعنى قاس بالذراع .

(٥) ضربان : من سير الابل وغيرها .

الصَّهَوَاتِ^(١) والغوارب . يَسَائِقُ البَيْنَ دَعَّ مَحْمِلَهُ ، فَمَا بَقِيَ فِي الجِسْمِ لَنْ يَحْمِلَهُ ،
ويا بناتِ جَدِيلِ^(٢) ، مَا لَكُنَّ وَلِلذَّمِّيلِ ؟ ثُمَّ مَا لِلزَّاجِرِ الكَاذِبِ ، وَلِلغَرَابِ
النَّاعِبِ ؟ يَجْعَلُهُ نَذِيرَ الجِلا ، وَرائدَ الخِلا ، مَا أَبْعَدَ ابنَ زَاجِرِ^(٣) ، عَنِ دَارِ الزَّاجِرِ ؛
إِنَّمَا فَعَلَ مَا تَرَى ، ذَاتُ الغَارِبِ والقَرَا^(٤) ، المَخْتَالَةُ فِي الأَزْمَةِ والبُرَى^(٥) ،
والمُتَرَدِّدَةُ بَيْنَ التَّأوِيبِ والشَّرَى^(٦) ؛ طَالَمَا بَاكَرَتِ النَّوَى^(٧) ، وَصَدَعَتِ صَدْعَ
المَوْسَى ، وَتَرَكْتَ ألهَامَ بَيْنَ رَبْعِ مُحِيلِ^(٨) ، وَرَسَمِ مُسْتَحِيلِ^(٩) ، يَقْفُو الأَثَرَ
بِجَدِهِ ، وَيَسْأَلُ الطَّلَلَ عَنِ عَهْدِهِ . وَإِنْ أَنْصَفْتَ فَمَا لِعَيْرِ^(١٠) مَقُودَةٍ ، وَإِبِلِ مَطْرُودَةٍ ،
غَلَّتْ^(١١) عَنِ الحَوْضِ والشَّوْطِ^(١٢) ، وَأُسْلِمَتْ إِلَى الحَبْلِ والعِصَا والسَّوْطِ .
وَلَوْ خَيْرَ البَازِي لِأَقَامَ ، وَلَوْ تَرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَ ؛ لَكِنَّ الدَّهْرَ أَبُو بَرَاقِشِ^(١٣) ،
وَسَهْمٌ بَيْنَهُ بَيْنَ بَنِيهِ غَيْرُ طَائِشِ ، فَهُوَ الذِي شَتَّتَ الشَّمْلَ وَصَدَعَهُ ، وَمَا رُفِعَ
سَقْفٌ بِعِمَادِهِ إِلَّا وَضَعَهُ ، وَلَا بَلٌّ غَلِيلاً أَحْرَقَهُ بِنَارِ وَجَدِهِ وَلَا نَقَعَهُ .

(١) الصهوة : ظهر الفرس . والغارب : كاهل الجمل .

(٢) بنات جديل : النوق الكريمة تنسب الى أبيها جديل وهو جبل كريم كان للنعمان بن المنذر .

(٣) يريد بابن زاجر : الغراب .

(٤) القرا : الظهر . يريد الناقة .

(٥) البرى : جمع برة ، وهى حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير لربط الحطام أحيانا .

(٦) التأويب : السير جميع النهار . والشرى : السير بالليل .

(٧) النوى : الفراق .

(٨) مضى عليه حول .

(٩) متغير .

(١٠) ابل الميرة .

(١١) شربت ولم ترو .

(١٢) مجرى الماء بين جبلين .

(١٣) أبو براقش : طائر ذو ألوان .

(ب) النثر العلمى

لابن شرف القيروانى^(١) فى كتابه أعلام الكلام

قال أبو عبد الله بن شرف القيروانى :

هذه أحاديثٌ صَغَتْهَا مَخْتَلِفَةٌ الْأَنْوَاعِ ، مُؤْتَلَفَةٌ فِي الْأَسْمَاعِ ، عَرِيَّاتِ الْمَوَاشِمِ ،
عَرِيَّاتِ التَّرَاجِمِ ، وَاخْتَلَقَتْ فِيهَا أَخْبَارًا فَصِيحَاتِ الْكَلَامِ ، بَدِيعَاتِ النِّظَامِ ، لَهَا
مَقَاصِدُ ظُرَافٍ ، وَأَسَانِيدُ طِرَافٍ ، يَرُوقُ الصَّغِيرَ مَعْنَاهَا ، وَالْكَبِيرَ مَغْزَاهَا ،
وَعَزَّوَتْهَا إِلَى أَبِي دَيَّانِ الصَّلْتِ بْنِ السَّكَنِ مِنْ سَلَامَانَ^(٢) ، وَكَانَ شَيْخًا هِمًّا^(٣)
فِي اللِّسَانِ ، وَبَدْرًا تَمَّ فِي الْبَيَانِ . قَدْ بَقِيَ أَحْقَابًا . وَلَقِيَ أَعْقَابًا ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ إِلَيْنَا مِنْ
بَادِيَةِ الْأَزْمَاتِ ، وَأُورِدَتْهُ عَلَيْنَا الْعَزَمَاتِ . فَاُمْتَحَنَّا^(٤) مِنْ عِلْمِهِ بِحِرًّا جَارِيًّا ،
وَقَدَحْنَا مِنْ فَهْمِهِ زَنْدًا وَارِيًّا ، وَأَدْرْنَا مِنْ بَرِّهِ طَرْفًا ، وَاجْتَنَيْنَا مِنْ ثَمَرِهِ طُرْفًا .
وَنَحْنُ إِذْ ذَاكَ وَالشَّبَابُ مُقْتَبِلٍ . وَغَفْلَةُ الزَّمَانِ تَهْتَبِلُ^(٥) : وَاحْتَدَيْتُ فِيمَا ذَهَبَتْ
إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ تَعْرِيفِي عَلَيْهِ ، مِنْ بَثِّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَا رَأَيْتُ الْأَوَائِلَ قَدْ
وَضَعْتُهُ فِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةَ ، فَأَضَافُوا قَوْلَ الْحِكْمَةِ إِلَى الطَّيْرِ الْحَوَائِمِ ، وَنَطَقُوا
بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْوَحْشِ وَالْبِهَائِمِ لِتَتَعَلَّقَ بِهِ شَهَوَاتُ الْأَحْدَاثِ ، وَتُسْتَعْدَبُ بِسَمَرِهِ

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد شرف الجدامى القيروانى .
كان قرين ابن رشيقي في خدمة المعز بن باديس ومنادمته . وكانت بينهما منافسة شديدة زالت
بعد موت المعز . فارتحل ابن شرف الى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها . وتوفى سنة ٥٤٦ هـ
ولابن شرف شعر رقيق وهجاء موجه ومدح بليغ ووصف بديع ، ويشوب شعره مزاج من البديع
وخاصة الجناس .

(٢) سلامان : بطن من طيء وهم سلامان بن ثعل بن القوث بن طيء .

(٣) الهم : الشيخ الكبير الفانى ، يريد كبيراً في فصاحة اللسان .

(٤) امتتح الماء : نزعه من بشر ونحوه .

(٥) تهتبيل : تفتنم .

ألفاظُ الحُدَّاثِ . وقد نحا هذا النحوَ سهلُ بنُ هارونَ الكاتبِ في تأليفه كتابَ النمرِ والثعلبِ ، وهو مشهورُ الحكاياتِ بديعُ المراسلاتِ ، مليحُ المكاتباتِ . وزوَّراً أيضاً بديعُ الزمانِ ، الحافظُ الهمدانيُّ . وهو الأستاذُ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ الحسينِ ، مقاماتُ كان يُنشئُها بديهاً في أواخرِ مجالسه ، وينسبُها إلى راويةٍ رواها له يُسميه عيسى ابنُ هشامٍ . وزعمُ أنه حدَّثه بها عن بليغٍ يُسميه أبا الفتحِ الإسكندريِّ . وعددها فيما يزعمُ رواها أربعمائةُ مقامةٍ ؛ إلا أنها لم تصلْ هذه العِدَّةُ إلينا . وهي متضمنةٌ معانيَ مختلفةً ، ومبنيَّةٌ على مبانيِ شتى غيرِ مؤتلفةٍ ، لينتفعَ بها من الكتابِ والمحاضرينِ مَنْ صرَفها مِنْ هَزَلٍ إلى جدِّ . ومِنْ نَدٍّ إلى ضِدِّ . فأقتت من هذا النحوِ عشرينَ حديثاً ، أرجو أن تُبينَ فضلها ، ولا تقصرَ عما قبلها . ولعمري ما أشكرُ مَنْ نفسى ولا أثنى على شيءٍ من حسي ، إلا ظفري بالأقلِّ مما حاولته ، على ما أضرمته نيرانُ الغربةِ من قلبي ، وثلمته صعقاتُ الفِتنةِ من لُبي . وقطعت أهوالُ البرِّ والبحرِ من خواطري ، وأضعفت الوحشةُ والوحدةُ من غرائزي وبصائري ، لكنَّ نيةَ القاصدِ وسعةَ المقصودِ . أعانا ذا الوُدِّ على إتخافِ المودودِ . واللهُ أسألُ توفيقاً . ينهَجُ لنا إلى الرشدِ طريقاً .

(ج) الشعر

(١) علي بن محمد الإيادي

من شعراء الفاطميين وهم بالمغرب يصف أسطول القائم الفاطمي قال :

اعجَبَ لِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَعْرَبِ
لَبِسَتْ بِهِ الْأَمْوَالُ أَحْسَنَ مَنَظَرٍ يَبْدُو لِعَيْنِ النَّازِرِ الْمُسْتَعْجِبِ
مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمَتَنَصِّبِ (١)
دِهَاءٌ قَدْ لَبِسَتْ رِثَابَ تَصْنَعٍ تَسْبِي الْعُقُولَ عَلَى ثِيَابِ تَرَهُّبِ (٢)
مِنْ كُلِّ أَيْضٍ فِي الْهَوَاءِ مُنْشَرٍّ مِنْهَا . وَأَسْحَمَ فِي الْخَلِيجِ مُغَيِّبِ (٣)
مُخْفَوَةٌ بِمَجَادِفٍ مَصْفُوفَةٍ فِي الْجَانِبَيْنِ دُوَيْنَ صُلبِ صُلبِ (٤)
كَقَوَادِمِ النَّسْرِ الْمُرْفَرِفِ عُرِّيَتْ مِنْ كَاسِيَاتِ رِيَاشِهِ الْمُتَهَدَّبِ (٥)
وَتَحْمُهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَنَتْ بِمُصْعَدٍ مِنْهَا بُعِيدَ مُصَوِّبِ

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) ثياب تصنع : هي النقوش المصطنعة ، وثياب الترهيب هي طلاء القار الأسود عليها من أسفل .
لان الرهبان يلبسون سود الثياب .

(٣) يريد بالأبيض المنشر : القلع .

(٤) الصلب : الظهر والتمن . والصلب بتشديد اللام كسكر : القوى الشديد .

(٥) شبه المجاديف المرصوفة بقوادم النسار .

خَرَقَاهُ تَذَهَبُ إِنْ يَدُهُ لَمْ تَهْدِهَا فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرِّيَّاحِ وَمَذَهَبُ
جَوْفَاءُ تَحْمِلُ كَوْكَبًا فِي جَوْفِهَا يَوْمَ الرَّهَانِ ، وَتَسْتَقِلُّ بِمَوْكَبِ
وَلَهَا جَنَاحٌ يَسْتَعَارُ لِطَيْرِهَا طَوَعَ الرِّيَّاحِ وَرَاحَةَ الْمُتَطَرِّبِ
يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الْعُبَابِ مُطَارَةً فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلَوْلِبِ
تَسْمُو بِأَجْرَدٍ فِي الْهَوَاءِ مُتَوَجِّجِ عُرْيَانَ مَسْجُوجِ الذُّوَابِ شَوْذِبِ (١)
يَتَرَكُّبُ الْمَلَّاحُ مِنْهُ ذُبَابَةً لَوْ رَامَ يَرْكَبُهَا الْقَطَا لَمْ يَرْكَبِ
فَكَأَنَّمَا رَامَ اسْتِرَاقَةَ مَقْعِدِ لِلسَّمْعِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُشْهَبِ
وَكَأَنَّمَا جَنَّ ابْنُ دَاوُدَ مِنْهُمْ رَكِبُوا جَوَانِبَهَا بِأَعْنَفِ مَرْكَبِ
سَجَرُوا جَوَانِبَ نَارِهَا ، فَتَقَاذَفُوا مِنْهَا بِاللُّسُنِ مَارِجٍ مُتَلَهَّبِ
مِنْ كُلِّ مَسْجُونِ الْحَرِيقِ إِذَا أَنْزَرَى مِنْ سِجْنِهِ أَنْصَلَتْ أَنْصَلَاتِ الْكَوْكَبِ (٢)
عُرْيَانَ يَقْدُمُهُ الدُّخَانُ كَأَنَّهُ صَبْحٌ يَكْرَهُ عَلَى الظَّلَامِ الْغَيْبِ
وَلَوَاحِقٍ مِثْلَ الْأَهْلَةِ جُنْحِ لَحِقَ الْمُطَالِبِ فَائِتَاتِ الْمَهْرَبِ
يَذْهَبْنَ فِيهَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةٌ وَيَجْنُ فِعْلَ الطَّائِرِ الْمُتَغَلَّبِ
كَمَضَائِضِ الْحَيَّاتِ رُحْنٍ لَوَاعِبًا حَتَّى يَقَعْنَ بِبِرْكِ مَاءِ الْمِيزَبِ
شَرَجُوا جَوَانِبَهَا مَجَادِفَ أَتَعَبَتْ شَاؤَ الرِّيَّاحِ لَهَا ، وَلَمَّا تَتَعَبِ
تَنْصَاعُ مِنْ كَتَبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا طَوْرًا ، وَتَجْتَمِعُ اجْتِمَاعَ الرُّبْرِبِ

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق أو الصنع : يريد به الصارى والدقل في أعلاه برج صغير

يجلس فيه ملاح يرقب البحر من أعلى المركب .

(٢) كانوا يرمون بقدرور وقناني من الزجاج والفخار بها سائل من نفض ومواد ملتهبة يقذفون بها

مراكب العدو وهي النار الاغريقية التي جهل الآن تركيبها .

وَالْبَحْرُ يَجْمَعُ بَيْنَهَا فَكَأَنَّهُ لَيْلٌ يُقَرِّبُ عَقْرَبًا مِنْ عَقْرَبٍ
وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أَسْوَدٌ خِلَافَةٌ تَحْتَالُ فِي عُدَدِ السِّلَاحِ الْمُرْهَبِ
فَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ اسْتَعَارَ بَزِيَّتَهُمْ ثَوْبَ الْجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ الْمَذْهَبِ

(٢) إبراهيم الرقيق بن القاسم القيرواني^(١)

قال يتشوق إلى مصر ومعاهده بها . وكان رحل إليها بهدية من باديس بن زيري إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي :

هَلِ الرِّيحُ إِنْ سَارَتْ مُشْرِقَةً تَسْرِي تُوَدِّي تَحِيَّاتٍ إِلَى سَاكِنِي مِصْرَ
فَمَا خَطَرَتْ إِلَّا بَكَتُ صَبَابَةً وَحَمَلَتْهَا مَاضِقَ عَنْ حَمَلِهِ صَدْرِي
تَرَانِي إِذَا هَبَّتْ قَبُولًا بِشَرِّهِمْ شَمِمْتُ نَسِيمَ الْمِسْكِ فِي ذَلِكَ النَّشْرِ
وَإِنْ أُنْسَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى الْعَهْدِ دُونِهِ فَلَيْسَ بِخَالٍ مِنْ ضَمِيرِي وَمِنْ فِكْرِي
لَيْالٍ أَنْسَنَاهَا عَلَى غِرَّةِ الصَّبَا فَطَابَتْ لَنَا إِذْ وَافَقَتْ غِرَّةَ الدَّهْرِ
لَعَمْرِي لَيْنٌ كَانَتْ قِصَارًا أَعْدُّهَا فَلَسْتُ بِمُعْتَدٍّ سِوَاهَا مِنْ الْعُمَرِ
أَخَادِعُ دَهْرِي أَنْ يُعُودَ بِفُرْصَةٍ فَيُنْقِذَ رُوحَ الْوَصْلِ مِنْ رَاحَةِ الْمَجْرَى
وَتَرْجِعُ أَيَّامٌ خَلَّتْ بِمَعَاهِدِي مِنْ الْهَوَى لَا تَنْفَكُ مِنِّي عَلَى ذِكْرِ
فَكَمْ لِي بِالْأَهْرَامِ أَوْ دَيْرِ نَهْيَةٍ مَصَايِدُ غِزْلَانَ الْمَكَائِدِ وَالْقَفْرِ^(٢)

(١) هو إبراهيم بن القاسم الملقب بالرقيق شاعر رقيق الشعر أديب مؤرخ . وكان يتكسب بالكتابة في دواوين القيروان . وله كتب منها تاريخ افريقية اثنى عليه ياقوت وتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) دير نهية كان على مقربة من بولاق التكرور ، وليس بها دير الآن . ويريد بغزلان المكاييد

إلى الجزيرة الدنيا وما قد تضمنت
وبالقيس والبستان للعين منظره
جزيرتها ذات النوايع والجسر
أنيق إلى شاطئ الخليج إلى القصر^(١)
وفي سردوس مستراد وملعب
إلى دير مرحنا إلى ساحل البحر^(٢)
وكم بين بستان الأمير وقصره
إلى البركة الزهراء من زهر نصر
تراها كمرآة بدت في رفاف
من السندس الموشى ينشر للتجر

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى^(٣)

قال يتغزل :

أما ومحل حبك من فؤادى
لو أنبسطت لي الآمال حتى
وقدر مكانه فيه المكين
تصير من عنانك في يميني
لصنتك في مكان سواد عيني
وخطت عليك من حذر جفوني
فأبلغ منك غايات الأمانى
وآمن فيك آفات الظنون
فلي نفس تجرع كل حين
عليك بهن كآسات المنون^(٤)
إذا أمنت قلوب الناس خافت
عليك خفي الحاظ العيون

(١) القيس موضعه الآن : مسجد أولاد عنان . ويريد بالبستان : البستان الكافورى كان على الخليج غربى القاهرة . ويريد بالقصر القصر الكبير . وموضعه الآن المسجد الحسينى وخان الخليلى وخان جعفر وبيت القاضى الى جهة قصر الشوق .

(٢) سردوس : خليج من خلجان سبعة كانت فى الوجه البحرى . وكان يتفرع من النيل شمالى القاهرة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى امام العربية والادب بالقيروان وصاحب المعجم العظيم المسمى بالجامع فى اللغة . رتبه على حروف المعجم : وكان أدبياً كاتباً شاعراً رقيق الشعر . مات بالقيروان سنة ٤١٢ هـ . وقد قارب التسعين .

(٤) بهن أى بآفات الظنون .

وقال :

أَضْمِرُوا لِي وُدًّا وَلَا تَظْهَرُوهُ
يُهْدِيهِ مِنْكُمْ إِلَى الضَّمِيرِ
مَا أَبَالِي إِذَا بَلَغَتْ رِضَاكُمْ
فِي هَوَاكُمْ لِأَيِّ حَالٍ أَصِيرُ

(٤) إبراهيم بن علي الحصري القيرواني^(١)

قال :

يَا هَلْ بَكَيْتُ كَمَا بَكَتْ
وَرُقُّ الْحَمَامِ فِي الْغُصُونِ
هَتَفَتْ سَحَابًا وَالرُّبَا
لِلْقَطْرِ رَافِعَةً الْجُفُونِ
فَكُنَّا صَاغِتْ عَلَيَّ
شَجْوَى شَجَا تِلْكَ اللَّحُونِ

وقال :

كَتَمْتُ هَوَاكَ حَتَّى عَيْلَ صَبْرِي
وَأَدْنَتَنِي مُكَاتَمَتِي لِرَمْسِي
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيَّ إِخْفَاءَ حَالِي
يُحُولُ بِهَا الْأَسَى دُونَ النَّاسِي
وَحَبِّكَ مَالِكٌ لِحَظِّي وَلَفْظِي
وَإِظْهَارِي وَإِضْمَارِي وَحِسِّي
فَإِنْ أَنْطَقَ فَفَيْكَ جَمِيعُ نَطْقِي
وَإِنْ أَسْكُتَ فَفَيْكَ حَدِيثُ نَفْسِي

(٥) ابن رشيق القيرواني^(٢)

قال :

أَحِبُّ أَخِي وَإِنْ أَعْرَضَتْ عَنْهُ
وَقَلَّ عَلَيَّ مَسَامِعِهِ كَلَامِي
وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبٌ رَاضٍ
كَأَنَّ قَطَّبَتْ فِي وَجْهِهِ الْمُدَامِ

(١) صاحب كتاب زهر الآداب وغيره المتوفى سنة ٤٥٣ هـ .

(٢) هو الحسن بن رشيق من موالى الأزد . كان أبوه مملوكا روميا صائغا ، فتعلم ابنه الأدب والكتابة والشعر وعلومه ، وألف فيه كتاب العمدة الذي لم يؤلف المتقدمون مثله في نقد الشعر وكان من كتاب المعز ابن باديس الصنهاجي خليفة الفاطميين على أفريقية ومن خيرة شعرائه وينافسه في كل صناعته ابن شرف . توفى ابن رشيق بجزيرة صقلية سنة ٤٥٥ هـ . بمدينة مازر آخر مدن المسلمين بها .

وَرُبَّ تَجَهُمٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ وَضِعْنِ كَامِنٍ تَحْتَ ابْتِسَامٍ
وله أيضا :

مَنْ جَفَانِي فَإِنِّي غَيْرُ جَافٍ صَلَةٌ أَوْ قَطِيعَةٌ فِي عَفَافٍ
رُبَّمَا هَاجَرَ الْفَتَى مَنْ يُصَافِيهِ هِـ وَوَلَّاقٍ بِالْبَشْرِ مَنْ لَا يُصَافِيهِ
وقال :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ مِنْ الْعُمُرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبًا
خَلَوْنَا بِهَا نَنْفِي الْقَدَى عَنْ عُيُونِنَا بِلَوْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكَبًا (١)
وله أيضا :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ إِلَّا إِذَا مَسَّ بِأَضْرَارِ
كَالْعُودِ لَا تَطْمَعُ فِي طِيبِهِ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَمْسَسْهُ بِالنَّارِ
وقال :

وَلَوْ غَيْرُكَ الْمَرْسُومُ عِنْدِي بِرِيَّةٍ لِأَعْطَيْتُ فِيهِ مُدْعَى الْقَوْمِ مَا ادَّعَى
فَلَا تَتَخَالَجَكَ الظُّنُونُ فَإِنَّهَا مَا مِمُّ وَاتْرُكْ لِلصَّنَائِعِ مَوْضِعًا
فَوَاللَّهِ مَا طَوَّلْتُ بِاللَّوْمِ فِيكُمْ لِسَانًا وَلَا عَرَّضْتُ لِلذَّمِّ مَسْمَعًا
وَلَا مِلْتُ عَنْكُمْ بِالْوَدَادِ وَلَا انْطَوْتُ حِبَالِي وَلَا وَلَّى ثَنَائِي مُودِّعًا
بَلَى رُبَّمَا أَكْرَمْتُ نَفْسِي فَلَمْ تَهِنْ وَأَجَلَلْتُهَا عَنْ أَنْ تَذِلَّ وَتُخَضَّعًا
فَبَايَنْتُ لَا أَنْ الْعَدَاوَةَ بَايَنْتُ وَقَاطَعْتُ لَا أَنْ الْوَفَاءَ تَقَطَّعًا

(١) بلؤلؤة النخ يريد بكأس مملوءة خمرًا .

(٦) ابن شرف القيرواني^(١)

من قوله :

إِنْ تَدْعُكَ الْغُرْبَةُ فِي مَعْتَرٍ قَدْ جَبَلَ الطَّبَعُ عَلَى بُغْضِهِمْ
فِدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ

وقوله :

احْذَرِ مُحَاسِنَ أَوْجُهٍ فَقَدَتْ حَمَا سِنَ أَنْفُسٍ، وَلَوْ أَنَّهَا أَقْمَارُ
سُرُجٍ تُلُوحٌ إِذَا نَظَرْتَ فِيهَا نُورٌ يُضِيءُ وَإِنْ مَسَسْتَ فَنَارُ

وقوله في العود :

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا أَنْبَتَ عودَكَ الَّذِي زَكَتْ مِنْهُ أَغْصَانٌ، وَطَابَتْ مَغَارِسُ
تَفْنَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَالْعُودُ أَخْضَرُ وَغَنَّتْ عَلَيْهِ الْغَيْدُ، وَالْعُودُ يَابَسُ

وقوله :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْأَيَّامَ عَنْ خَبْرٍ هُمَا يَبْثَانِكَ الْأَخْبَارَ تَطْفِيلًا
وَلَا تُعَاتِبْ عَلَى نَقْصِ الطَّبَاعِ أَخَا فَإِنْ بَدَرَ السَّمَاءَ لَمْ يُعْطَ تَكْمِيلًا
لَا يُؤَيِّسَنَّكَ مِنْ أَمْرٍ تَصَعَّبَهُ فَاللَّهُ قَدْ يُعَقِّبُ التَّصْعِيبَ تَسْهِيلًا
بِعْ مِنْ جَفَاكَ وَلَا تَبْخُلْ بِسَلْمَتِهِ وَاطْلُبْ بِهِ بَدَلًا إِنْ رَامَ تَبْدِيلًا
وَصِيرِ الْأَرْضَ دَارًا وَالْوَرَى رَجُلًا حَتَّى تَرَى مُقْبَلًا فِي النَّاسِ مَقْبُولًا

وقوله :

يا ثاويًا في معشرٍ قد أصطلى بنارهم
إن تبك من شرارهم على يدى شرارهم
أو ترّم من أحجارهم وأنت في أحجارهم
فما بقيت جارهم ففى هواهم جارهم
وأرضهم فى أرضهم ودارهم فى دارهم

(٧) عبد الجبار بن حمديس

قال يصف بركة يجرى إليها الماء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود من صفر ، منها ما يقذف الماء صعدا ، ومنها ما يحدره إلى أسفل ، ومنها ما يقطعه كرات وبنادق :

والماء منه سبائكٌ من فضةٍ ذابت على دُولابٍ شاذروانٍ (٢)
فكأنما سيفٌ هناك مشطبٌ ألقته يوم الروغ كف جبانٍ (٣)
كم شاخص فيه يُطيلُ تعجباً من دوحةٍ نمتت من العقبانِ (٤)
عجباً لها تسقى هناك ينائعاً ينعت من الثمرات والأغصانِ (٥)

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي أحدوصافي الطبيعة والمصانع البديعة . نشأ بمدينة سرقوسة من صقلية فى أواخر دولة العرب بها ولما ملكها رجار النرماندى هاجر منها الى الأندلس وغيرها حتى مات بجزيرة ميورقة سنة ٢٥٧ هـ .

(٢) الشاذروان : كلمة معربة ومعناه كل ما خرج قليلا من جدار أو نصب عما فوقه من بقية البناء أو النصب أو ما كان كمصاطب الفوارات أو قصاعها كالرفرف وهو المراد هنا .

(٣) شبه الماء النازل من الثقوب منحنيا بالسيوف .

(٤) العقيان : الذهب .

(٥) الينائع : جمع ينيعة .

خُصَّتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى فَنَنِ لَهَا حَسُنْتَ فَأَفْرِدَ حَسْنَهَا مِنْ ثَنَانِي
قَسُّ الطُّيُورِ السَّاجِعَاتِ بِلَاغَةٍ وَفَصَاحَةٍ مِنْ مَنطِقٍ وَبَيَانٍ^(١)
فَإِذَا أُتِيحَ لَهَا الْكَلَامُ تَكَلَّمَتْ بِمُخْرِيرِ مَاءٍ دَائِمِ الْهَمْلَانِ
وَكَأَنَّ صَانِعَهَا أُسْتَبَدَّ بِصُنْعَةٍ فَخَرَّ الْجَمَادُ بِهَا عَلَى الْحَيَوَانِ
أَوْفَتَ عَلَى حَوْضٍ لَهَا فَكَأَنَّهَا مِنْهَا إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ رَوَانِي
وَكَأَنَّهَا ظَنَّتْ حَلَاوَةَ مَائِهَا شَهْدًا فَذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَانِ
وَزَرَّافَةٍ فِي الْجَوِّ مِنْ أَنْبُوبِهَا مَاءٌ يُرِيكَ الْجَرَى فِي الطُّيْرَانِ
مَرَّ كُوزَةٍ كَالرُّمْحِ حَيْثُ تَرَى لَهُ مِنْ طَعْنِهِ الْخَلْقَ انْعِطَافِ سِنَانِ^(٢)
وَكَأَنَّمَا تَرَى السَّمَاءَ يَبْنُدُقُ مُسْتَنْبِطٍ مِنْ لَوْلُؤٍ وَجَمَانِ
لَوْ عَادَ ذَلِكَ الْمَاءُ نَفْطًا أُحْرِقَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهُ قَمِيصَ كُلِّ عَنَانِ
فِي بَرَكَةٍ قَامَتْ عَلَى حَافَتِهَا أَسَدٌ تَذِلُّ لِعِزَّةِ السُّلْطَانِ
نَزَعَتْ إِلَى ظُلْمِ النُّفُوسِ نَفُوسُهَا فَلِذَلِكَ انزَعَتْ مِنَ الْأَبْدَانِ
وَكَأَنَّمَا الْحَيَّاتُ مِنْ أَفْوَاهِهَا يَطْرَحْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي غُدْرَانِ
وَكَأَنَّمَا الْحَيْتَانُ إِذْ لَمْ تَخْشِهَا أَخَذَتْ مِنَ الْمَنْصُورِ عَهْدَ أَمَانِ^(٣)

وقال يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

ويا حبذا دار قضي الله أنها يُجَدِّدُ فِيهَا كُلُّ عَزٍّ وَلَا يَبْلَى
وما هي إلا خِطَّةُ الْمَلِكِ التي يَحُطُّ إِلَيْهَا كُلُّ ذِي أَمَلٍ رَحْلًا

(١) كان الماء اذا خرج من فيها ظهرت لها أصوات كهديل الحمام .

(٢) الخلق : الدروع .

(٣) الحيتان : سمك البركة .

إذا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا خِلَتْ أَنَّهُا تقول بترحيب لداخلها : أهلاً !
وقد نَقَلَتْ صُنَاعَهَا مِنْ صِفَاتِهِ إليها أفانيناً ، فأحسنت النُّقْلَ
فَمِنْ صَدْرِهِ رُحْبًا ، وَمِنْ نوره سَنَى ومن صيته فرعاً ، ومن حلمه أصلاً
فَأَعَلَتْ بِهِ فِي رُتْبَةِ الْمَلِكِ نَادِيًا وقل له فوق السماكين أن يعلى
نَسِيتُ بِهِ إِيوَانَ كَسْرَى لِأَنِّي أراه أه مولى من الحسن لا مثلاً
تَرَى الشَّمْسَ فِيهِ لِيَقَّةً تَسْتَمِدُّهَا أ كفُّ أقامت من تصاويرها شكاراً^(١)
لَهَا حَرَكَاتٌ أُودِعَتْ فِي سُكُونِهَا فما تبعت من نقلهن يد رجلاً
وَلَمَّا عَشِينَا مِنْ تَوَقُّدِ نُورِهَا تخذنا سناه في نواظرنا كحلاً

(١) الليقة : القطنة ونحوها توضع في الدواة •

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا الكتاب في ١٦ صفر سنة ١٣٧٣ هـ
(الموافق ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣) بمطابع دار الكتاب العربي بمصر
لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى

وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين بك علي الجارم بك

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

الجزء الرابع

للسنة الرابعة الثانوية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٤

فهرس

العصر الجاهلى

الشعر

صفحة

امرؤ القيس :

- ١ من معلقته التى مطلعها : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
٨ من قصيدته التى مطلعها : ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالى
١١ من مأثور قوله

زهير بن أبى سلمي :

- ١٢ من معلقته التى مطلعها : أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

عمرو بن كاثوم :

- ١٧ من معلقته التى مطلعها : ألا هي بصحنك فاصبحينا
٢١ ومنها يفتخر بقومه

عنتر بن عمرو بن شداد العبسى :

- ٢٢ من معلقته التى مطلعها : هل غادر الشعراء من متردم

ليبيد بن ربيعة :

- ٢٨ من معلقته التى مطلعها : عفت الديار محلها فقامها

النابغة الذبياني :

- ٣٤ من قصيدته التى مطلعها : كائى لهم يا أمية ناصب
٣٨ قال يمدح النعان ويعتذر اليه

أعشى قيس :

- ٤١ قصيدته التى مطلعها : ودع هريرة إن الركب مرتحل

طرفة بن العبد :

- ٤٨ قصيدته التي مطلعها : لخولة أطلال بركة محمد
٥٥ ومن قصيدة يقول فيها : سائلوا عنا الذي يعرفنا

الحارث بن حلزة :

- ٥٨ من معلقته التي مطلعها : آذتنا بيننا أسماء
٦١ وقال أيضا من قصيدة يفخر

دريد بن الصنمة :

- ٦٢ قال في رثاء أخيه : أرتّ جديد الحبل من أم معبد

علقمة بن عبدة التيمي :

- ٦٦ من قصيدته التي مطلعها : طحا بك قلب في الحسان طروب

سلامة بن جندل السعدي التيمي :

- ٦٨ قال : أوردى الشباب حمدا ذوالتناجيب

عبد يغوث الحارثي :

- ٧١ من قصيدته : ألا لا تلومان كفى اللوم ما بيا

ذوالإصبع العدواني :

- ٧٣ من قصيدته : لي ابن عم على ما كان من خلق

عبيد بن الأبرص :

- ٧٥ قال من بآيته المشهورة التي أولها : أقصر من أهله ملحوب

الأفوه الأودي

عصر صدر الإسلام وبني أمية

- ٧٧ (١) آيات من القرآن الكريم

- ٨٦ آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

- (ب) الشعر :
- كعب بن زهير :
- ٩١ قال من قصيدته : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
- قتيلة بنت النضر :
- ٩٢ قالت تبكي أختها : يارا كجا إن الأثيل مظنة
- أمية بن أبي الصلت .
- ٩٣ قال يعتب على ابن له
- كعب بن مالك :
- ٩٤ من قصيدته : عجيب لأمر الله والله قادر
- مالك بن الريب التميمي :
- ٩٦ من قصيدة يذكر مرضه وغر بته : ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
- أعشى باهله :
- ١٠٠ رائيته التي يرثي بها أخاه
- الخنساء :
- ١٠٤ قالت ترثي أختها صحرا
- حسان بن ثابت :
- ١٠٧ قال يذكر الحارث بن هشام وهزيمته يوم بدر
- ١٠٩ وقال يمدح عمراً بن الحارث الغساني وقومه
- ١١١ وقال يوم فتح مكة
- الخطيئة :
- ١١٣ قال : وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل
- ١١٥ وقال يمدح بغيض بن عامر
- ١١٧ وقال يهجو الزبرقان بن بدر
- الأخطل :
- ١١٩ قال يمدح عبد الملك بن مروان : خف القطين
- ١٢٣ وقال يفضل الفرزدق على جرير

الفرزدق :

- قال يذكر تفضيل الأخطل إياه على الشعراء ويمدح بني تغلب ويهجو جريرا ... ١٢٦
وقال يمدح سعيد بن العاص ... ١٢٩
وقال يهجو جريرا : ان الذي سمك السماء بنى لنا ... ١٣٢
وقال يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده ... ١٣٧

بحرير :

- قال يرثي زوجته خالدة بنت سعد ... ١٣٩
وقال يجيب الفرزدق عن قصيدته التي مطلعها : إن الذي سمك السماء ... ١٤١
وقال يمدح عبد الملك بن مروان : أتصحو أم فؤادك غير صاح ... ١٤٥

عميد الله بن قيس الرقيات :

- قال يمدح عبد العزيز بن مروان : لم يصح هذا الفؤاد من طربه ... ١٤٧
وقال من قصيدة يمدح مصعب بن الزبير : حبذا العيش حين قومي جميع ... ١٥٠
وقال يمدح عبد الملك بن مروان : عادله من كثيرة الطرب ... ١٥٢

قطري بن الفجاءة :

- قال في الحماسة : لا يركن أحد الى الأجمام ... ١٥٣
وقال من قصيدته : أقول لها وقد طارت شعاعا ... ١٥٤

عمران بن حطان (أحد شعراء الخوارج) :

- قال يخاطب روح بن زنباع لما دعاه لمقاتلة عبد الملك بن مروان ... ١٥٥
قال يخاطب زفر بن الحارث السكلابي ... ١٥٦
وقال يرثي أبا بلال مرداس بن أدية من الخوارج ... ١٥٧

الطرماح بن حكيم (من الخوارج) :

- قال من قصيدته : وإني لقتاد نجواذي وقاذف ... ١٥٨

الكثير :

- قال في بني هاشم : طربت وما شوفا الى البيض أطرب ... ١٥٩

جميل بن معمر :

- قال : ألا ليت أيام الصفاء جديد ... ١٦٢

عمر بن أبي ربيعة :

- قال من قصيدة : قال لى صاحبي ليعلم ما بنى
 ١٦٥
 وقال « : ألم تسأل الأطلال والمتربعا
 ١٦٦
 وقال « : ليت هذا أنجزتنا ما تعد
 ١٦٩

كثير عزة :

- من قصيدته : خليلي هذا ربع عزة فاعقلا
 ١٧١

(ج) النثر :

من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- كتب إلى هرقل ملك الروم
 ١٧٤
 وكتب في صلح الحديبية بينه وبين قريش
 ١٧٤
 خطبته يوم فتح مكة
 ١٧٥
 ومن خطبته في حجة الوداع
 ١٧٦
 ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام
 ١٧٨

نموذج من كلام أبي بكر الصديق :

- خطبته لما توفي الرسول عليه الصلاة والسلام واضطرب الناس
 ١٨١
 خطبة له أخرى
 ١٨٢
 خطبته يوم السقيفة
 ١٨٢
 وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب
 ١٨٣
 ما قاله في علته التي مات فيها
 ١٨٤

نبذة من كلام عائشة :

- قالت على قبر أبيها
 ١٨٥

من آثار عمر بن الخطاب :

- رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري
 ١٨٥
 وكتب إلى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما إليه
 ١٨٧

عثمان بن عفان :

- من خطبة له
 ١٨٨
 كتابه إلى علي يستنجد به حين أحيط به
 ١٨٩

علي بن أبي طالب :

- خطبته لما وردت خيل معاوية الانبار ١٨٩
 خطبته في استنصار الناس إلى أهل الشام ١٩٢
 وكتب إلى معاوية جواباً عن كتاب منه ١٩٣

معاوية :

- خطبته حين قدم المدينة عام الجماعة ١٩٤

زياد :

- خطبته البتراء ١٩٥

عبد الله بن الزبير :

- خطبته بعد أن قتل أخوه مصعب ١٩٨

قطري بن الفجاعة :

- خطبة له ١٩٩

المججاج :

- من خطبة له حين ولي العراق ٢٠١

عبد الحميد بن يحيى :

- من رسالته التي أوصى بها الكتاب ٢٠٢

(د) طائفة من أمثال العرب في جاهليتها وإسلامها ٢٠٦

أبيات تجرى مجرى الأمثال ٢٠٩

العصر الجاهلي

الشعر

(١) لامرئ القيس من معلقته : (١)

قفا نبيك من ذكري حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحويل (٢)

* * *

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليلتي (٣)

فقلت له لما تمطى بصلبيه وأردف أعجازا وناء بكل كل : (٤)

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل (٥)

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي أشهر شعراء الجاهلية ، وأحد الأربعة المقدمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الإسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع ، منه هذه القصيدة اللامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) قفا : فعل أمر للآتين ، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء في مخاطبة الآتين ، ولو كان المراد واحدا . وسقط اللوى والدخول وحويل مواضع بنجد وفي سقط اللوى كان منزل محبوبته — يقول (عند ما مر بالمنزل الذي كانت حبيبته نازلة به قديما) : يا صاحبي قفا معي هنا وأسعداني بالبكاء ، لتذكرى العيش الذي قضيته مع حبيب عزيز على كان ينزل في هذا المكان الذي بين الدخول وحويل الخ .

(٣) السدول : السطور جمع سدل ، وبتلى : يختبر ، أى ورب ليل كموج البحر في كثافته وظلمته شملنى بأنواع الهموم ليختبرنى أصبر أم أجزع .

(٤) تمطى بصلبه : تمدد بوسطه . والأعجاز : جمع عجز ، وهى الأطراف . ومعنى أردف أعجازا : باعد أطرافه عن صلبه فطال من آخره . والكلكل : الصدر . ومعنى ناء بكل كل : بعد بصدرة الى الأمام ، أى أن الليل طال عليه لفاقه وأرقه في جميع أجزائه : أوله ووسطه وآخره ؛ فلم ينعم في جزء منه .

(٥) أنجلي بصبح : أى انكشف عن صبح . والياء للبد مثل الألف في قوله تعالى ” سنقرئك فلا تنسى “ ثم راجع نفسه متحسرا فقال : وما الإصباح بأمثل منك ، أى وإذا جاء الصباح فليس بأفضل منك ، ولا يفرج من همومى ، فهومى دائماً ليلا ونهارا .

- (١) يَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مَغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَدْبُلُ
(٢) كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَنَّانٍ إِلَى صَمِّ جَنَدَلٍ

*
* *

- (٣) وَقَدْ أَغْتَدَيْتُ ، وَالطَّيْرُ فِي وُكَاثِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَايِدِ هَيْكَلِي
(٤) مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا بِكُأْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِي

(١) ثم تعجب من طولها فقال (يا لك من ليل) أى يا عجبا لك من ليل ، ومعنى قوله (بكل مغار الفتل) أى بكل جبل محكم الفتل متين . ويذبل جبل من جبال نجد . يعنى كأن نجوم هذا الليل لطوله ربطت بجبال مئنة بالخبيل المسمى يذبل ؛ فلا تترشح من مكانها .

(٢) الثريا : مجموع من كواكب صغيرة القدر متصاف بعضها إلى بعض ، كأنها كفف إنسان أو عقود عنب . والمصام : الموقف . والأمراس : الجبال . (المعنى) وكان الثريا من نجومك — أيها الليل — قد علقت أيضا بجبال كنان مئنة الى جنادل وصخور صماء ؛ فهي لا تنتقل أيضا من مكانها .

(٣) أغتدى : أبكر وأذهب غدوة ، أى قبيل طلوع الشمس . والوكاث : جمع وكثة وهى الموضع الذى يبيض فيه الطائر أو بيت فيه . والمنجرد : الأجرد الشعراى القصيره ، وذلك من محاسن الخيسل . والأوايد : جمع أيد وهو الوحش النافر ، والهيكل : الطويل المرتفع (المعنى) يقول : وقد أخرج مبكرا قبل أن تنهض الطير من أوكارها راجبا فرسا أجرد ضخما كأنه فى سرعته قيد للوحوش لأنها لا تفلت ، لأنها واقفة مقيدة ، فيسهل على راحته صيدها . وهذا التشبيه من أحسن تشبيهات امرئ القيس وقد أخذته عنه شعراء كثيرون .

(٤) مكر مفر : صفتان لهذا الفرس ، وهما بمعنى مقبل ومدبر . وقوله (معا) أى أن هاتين الصفتين اجتمعا له معا ؛ فهو يصلح للإقبال كما يصلح للإدبار ، فعنده هذا وهذا ، لأن الكر والفر يقعان منه فى وقت واحد ؛ لأن ذلك محال عقلا ؛ ثم أنه شبه فى سرعته أيضا بجلمود من الصخر أسقطه السيل من مكان عال وفيه إشارة إلى صلابته .

- كَيْتٍ يَزُلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَتَنِّ (١)
- عَلَى الذَّبْلِ جَيْشٍ ، كَأَن أَهْتَرَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَهُ غَلِيٌّ مِرْجَلِ (٢)
- مَسَحٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَتَى أَثْرَنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ (٣)
- يَزُلُّ الْغَلَامُ الْخُفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ (٤)
- دِرِيرٍ نَخْذِرُوفٍ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ تَتَابَعُ كَفَيْهِ بِنَحِيظِ مُوَصَّلِ (٥)

(١) الكميت : الفرس الأحمر الذي تميل حمرة إلى السواد . وحال متنه : وسط ظهره . والصفواء : الصخرة الملساء . والمنزل بصيغة اسم الفاعل : السبيل أو المطر الذي ينزل الصخور ويجرّها إلى أسفل (المعنى) أنه فرس مكتمل اللحم أهلس الظهر ، ولملاسته يزل اللبد الذي يوضع على ظهره تحت السرج عن ظهره كما تزل الصخرة الملساء إذا أنزلها السيل .

(٢) الذبل : الضمور . والجياش : الذي يجيش في عدوه كما تجيش القدر في غلبانها . والاهترام : شدة الصوت المتقطع ، يريد به صوت جوفه . وحميه : غلبه وارتفاع حرارته . والمرجل : القدر الكبيرة (المعنى) أن هذا الفرس على ضموره متوقد النشاط ؛ كأنه في استرسال عدوه ، وتردد صهيله في صدره ، قدر تغلى ويجيش .

(٣) المسح : الذي يسح العدو ممحا كالمطر . والسابحات : الخيل التي تسبح في عدوها وتبسط أيديها كالسباح في الماء . والوني : الفتور . والكديد : الأرض اليابسة . والمركل : الذي تركه الخيل بأرجلها (المعنى) أن هذا الفرس عند ما تفتت الخيل السابحات ، ويبطؤ سعيها حتى تثير الغبار - لا يفتت هو ؛ بل يصب العدو صبا ، ولا يثير الغبار ؛ لأنه لنشاطه لا يلمس الأرض إلا بأطراف حوافره .

(٤) المعنى أن هذا الفرس إذا ركب الغلام الخفيف الجسم زل عن ظهره ، وإذا ركب العنيف الثقيل الجسم أطار ثيابه ؛ فلم يمالك أن يصلحها ؛ فلا يستطيع ركوبه إلا فارس ماهر لشدة قوته .

(٥) دَرَّ الفرس : عدا عدوا شديدا سهلا فهو درير . والخذروف : لعبة تلعب بها الصبيان ، وهي شظية من خشب ونحوه يثقب وسطها ، ويدخل فيه نخيط ، فيجر الصبي الخيط بيديه فتدور الشظية دورانا شديدا يسمع له حفيف . وأمر الخيط : أحكم فتله . شبه الفرس في شدة عدوه بسرعة الخذروف في دورانه . ووصف الخيط بأنه موصل إشارة إلى أن اللاعب صبي كثير اللعب بالخذروف حتى أن الخيط يتقطع فيصـله

- له أَيْطَلَا ظُهْيٍ ، وساقا نَعَامَةٍ ، وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ ، وتَقْرِيْبٌ تُنْفَلُ (١)
 ضَايِعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بضَافٍ فَوَيْقِ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْرَبِ (٢)
 كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينَ مِنْهُ إِذَا آتَى مَدَاكَ عُرُوسٍ ، أَوْ صَلَايَةَ حَنْظَلِ (٣)
 كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ يَنْحَرُهُ عَصَارَةُ حِنَاءٍ يَسْبِي مَرْجَلِ (٤)
 فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ عَدَارِي دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذِيلِ (٥)
 فَأَدْبَرْنَ كَالْحَزْعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مُعِمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخْوِلِ (٦)

(١) أَيْطَلَا الظُّهْيِ ونَحْوُهُ : خَاصَرْتَاهُ ، وَخَصَّ الظُّهْيَ لَضَمُورِ أَيْطَلِيهِ . وَالْإِرْخَاءُ : الْجُرْيُ الَّذِي فِيهِ مَهْوُولَةٌ . وَالسَّرْحَانُ : الذَّنْبُ . وَالتَّنْفَلُ : وُلْدُ التَّلْبِ . وَتَقْرِيْبُ الْفَرَسِ فِي الْعَدُوِّ : رَفَعُ يَدَيْهِ مَعًا وَوَضَعَهُمَا مَعًا (الْمَعْنَى) أَنَّ هَذَا الْفَرَسَ فِيهِ عِدَّةٌ مَحَاسِنَ ، فَخَاصَرْتَاهُ ضَامِرَتَانِ ، وَسَاقَاهُ طَوِيلَتَانِ صَلِيَتَانِ . وَهُوَ فِي جَرِيهِ الْخَفِيفِ يَشْبَهُ الذَّنْبَ ، وَفِي الشَّدِيدِ يَشْبَهُ التَّلْبَ .

(٢) يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْفَرَسَ عَظِيمُ الصَّدْرِ ، وَاسِعُ الأَضْلَاعِ ، سَابِغُ الذَّنْبِ بِحَيْثُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ رَأَيْتَ ذَنْبَهُ يَسُدُّ الْإِنْفِرَاجَ الَّذِي بَيْنَ نَحْيَيْهِ ، وَذَنْبُهُ فَوْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِقَصِيرٍ وَلَا طَوِيلٌ طَوِيلًا فَاحْشَا فَيْطَأُ الْفَرَسَ بِرِجْلَيْهِ ، وَلَيْسَ هَذَا الذَّنْبُ بِمَعْوَجٍ إِلَى جَانِبٍ .

(٣) الْمَتْنُ : الظَّهْرُ — وَالْمُرَادُ بِالْمُتَنِينَ هُنَا جَانِبَا ظَهْرِهِ — وَالنَّحْيُ : وَقَفَ فِي نَاحِيَةِ مَنْ الْبَيْتِ . وَالْمَسْدَاكُ : الْمَجْرُ الَّذِي يَدَاكَ بِهِ الطَّيْبُ أَيْ يَسْحَقُ . وَالصَّلَايَةُ : الصَّخْرَةُ الْمَلْسَاءُ . يَدُقُّ بِهَا لِبِ الْحَنْظَلِ (الْمَعْنَى) أَنَّ هَذَا الْفَرَسَ إِذَا وَقَفَ بِجَانِبِ الْبَيْتِ غَيْرِ مَسْرُوحٍ رَأَيْتَ ظَهْرَهُ بِرَاقَا أَمْلَسَ كَأَنَّهُ مَدَاكَ الْعُرُوسِ أَوْ صَلَايَةَ الْحَنْظَلِ ، وَخَصَّ الْعُرُوسَ لِأَهْمَايَاهَا بِأَمْرِ الطَّيْبِ .

(٤) الْهَادِيَاتُ : جَمْعُ هَادِيَةٍ . وَهِنَّ الأَوَائِلُ وَالْمُتَقَدِّمَاتُ فِي السَّرِّ مِنْ سَرَبِ الْوَحْشِ . وَالْمَرْجَلُ : الْمَسْرُوحُ . (الْمَعْنَى) أَنَّ هَذَا الْفَرَسَ يَأْتِي أَوَائِلَ الْوَحْشِ بَلَّهُ أَوَاطِرَهَا ، فَعِنْدَ مَا يَطْعُمُهَا أَوْ يَضْرِبُهَا رَاكِبُهُ بِصَيْبِ رَشَاشٍ دِمَائِهَا نَحْرَ هَذَا الْفَرَسِ ، فَيَصْبِغُهُ بِالْحَجْرَةِ ؛ فَكَأَنَّ عَصَارَةَ حِنَاءٍ صَبِغَتْ مِنْهُ شَعْرًا شَائِبًا مَسْرُوحًا . وَفِيهِمْ مِنْ هَذَا أَنَّ لَبَةَ هَذَا الْفَرَسِ الْكَمِيْتُ بِيضَاءً .

(٥) عَنَّ : ظَهَرَ . وَدَوَارٌ (بَفَتْحِ الدَّالِ) : اسْمٌ صَنَمٌ كَانَ بِالْجَاهِلِيَّةِ . وَالْمَلَاءُ : جَمْعُ مَلَاءَةٍ . وَالْمُذِيلُ الَّذِي لَوْنُ ذَيْلِهِ أَسْوَدٌ (الْمَعْنَى) ظَهَرَ لَنَا سَرِبٌ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ كَأَنَّ نَعَاجَهُ بَنَاتُ أَبْكَارٍ يَطْفَنُ حَوْلَ دَوَارٍ لِابْنَاتِ مَلَاءَاتِ سَوْدِ الذَّيْبُولِ : وَذَلِكَ لِأَنَّ بَقَرَ الْوَحْشِ يَبْرُضُ الظُّهُورَ سَوْدَ الْقَوَائِمِ .

(٦) الْحَزْعُ : خَرَزَ فِيهِ بِيَاضٌ وَسَوَادٌ ، وَالبِيَاضُ فِي الوَسْطِ ، وَكَذَلِكَ بَقَرُ الْوَحْشِ فَإِنَّ قُرُونَهَا وَقَوَائِمَهَا سَوْدٌ . وَالجِيدُ : الْعُنُقُ . وَالْمَعْمُ الْمُخْوِلُ : الصَّبِيُّ الَّذِي لَهُ أَعْمَامٌ وَأَخْوَالٌ كَرَامٌ ؛ فَهُوَ عَنِيزٌ عَلَى أَهْلِهِ =

- فَأَلْحَقْنَا بِالْمَهَادِيَاتِ ، وَدُونَهُ
جَوَاحِرَهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلَ (١)
فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَمِجَةٍ
دِرَاكًا ، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلَ (٢)
فَطَبَّلَ طُهَاءَ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مَنْضِجٍ
صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ (٣)
وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ ،
مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْفَلُ (٤)
فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَجَلَامُهُ
وَبَاتَ بَعِينِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلٍ (٥)

= يقصدونه فلأند الجزع (المعنى) أن هذا الفرس سبق سرب البقر، فردّها على أعقابها، فدارت حيرة، وكانت أشبه بقلادة جرع مختلفة الألوان فرق بين رزاتها بجزرات أخرى، وكانت هذه القلادة في عنق صبي كريم على أهله؛ فبذلك تكون رزاتها أجود وأصفي.

(١) الجواهر: المتخلفات. والصرّة: الجماعة. وتزيل: أصله تزيل، أي لم تتفرّق (المعنى) فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش، وبقيت أواخرها لم تتفرّق، يصفه بشدة العدو.

(٢) عادى: والى. والمعنى ثم لما تفرقت البقر بعد ذلك عادى هذا الفرس عداً متواصلاً بين ثور ونمجة، فأدرجهما في طلق واحد ولم يعرق عرقاً يعم جسده؛ حتى يصير كأنه غسل بماء. أي أنه دركهما وصادهما من غير مشقة.

(٣) الطهارة: جمع طاه وهو الطباخ. والصفيف من الشواء: ما صفف مرققا على الحجر. والقدير: ما طبخ في القدر (المعنى) فظل الطباخون يعالجون لحم الصيد، فمنهم من يشوى، ومنهم من يطبخ في القدر متعجلاً. ورجح لفظ (قدير) على المجاورة أو على العطف على منضج؛ أي من بين منضج صفيف شواء. أو منضج قدير بالإضافة. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه؛ فخر مثله.

(٤) الطرف: البصر. ورحنا: من الرواح أي الرجوع عشية. ويقصر: يتخير دون إدراك محاسنه. (المعنى) أننا بعد ما أدركنا العشى بقينا ننظر بأبصارنا إلى محاسن هذا الفرس؛ فلا يدرك البصر كل محاسنه جملة؛ فبينما ينجم النظر إلى محاسن أعلى جسمه، إذا بحاسن أسفله تجذب النظر إليها؛ فلا يمكننا حصر النظر في شيء واحد من محاسنه.

(٥) المعنى فبت وقد بات عليه سرجه وجلامه، وبات برأى عيني قائماً غير مطلق؛ لأننا على سفر، فنحن على استعداد لركوبه في أي وقت وعند أي خطر. يصفه بالنشاط وعدم التعب ووصول اليوم بالغد في احتمال الركوب والعدو.

- أصاح ترى برقاً أريك وميضه
كلمع اليدين في حبي مكل (١)
- يضيء سناه، أو مصابيح راهب
أمال السليط بالذبال المفتل (٢)
- فعدت له، وصحبتى بين ضارج
وبين العذيب، بعد ما متاملي (٣)
- على قطن بالشيم أيمن صويه،
وأيسره على الستار فيذبل (٤)
- فأضحى يسح الماء حول كثيفة
يكب على الأدقان دوح الكنهيل (٥)
- ومر على القنان من نفيانه
فأنزل منه العصم من كل منزل (٦)

(١) بعد أن فرغ من وصف الصيد والفرس أخذ في وصف الغيث وما يتعلق به فقال : (أصاح الخ) و(صاح) : ترخم صاحبي ، والوميض : لمع البرق ونحوه . والحبي من السحاب : المتراكم بعضه على بعض كأنه يجبولثقله . والمكل : الذي صار أعلاه كالإكليل وهو التاج . (المعنى) يا صاحبي أنت ترى البرق الذي أريك لمعه كلمع اليدين وحركتهما السريعة . وهذا البرق يلمع في سحاب متراكم مكل .

(٢) المعنى كأن هذا البرق - حال كونه يضيء - لمع اليدين ، أو كأنه مصابيح راهب أمال السليط ، وهو الزيت يذبال المصابيح المفتل ، وهي الفتيلة ، وفي الكلام قلب . أي أمال الذبال بصب السليط . أو أن الباء بمعنى مع ، أي أمال السليط مع الفتيلة إلى جانب فتكون متغذية دائماً بالزيت ، فتكون أشد إضاءة .

(٣) صحبتى : أصحابي . وضارج والعذيب مكانان . (المعنى) قعسدت لذلك البرق أنظر من أين يجي بالمطر ، وبإبهام ما تأملت أي ما أبعد ، يتعجب من بعد نظره .

(٤) قطن والستار ويذبل : أسماء جبال ، والشيم : النظر . والصوب : المطر (المعنى) أن مطر هذا البرق امتد في جهات مترامية ، فكان يمينه على جبل قطن ، وكان يساره على بجلي الستار فيذبل ، بحسب نظرنا وتقديرنا لأنه لا يرى هذه الجبال .

(٥) كثيفة : اسم أرض أو هضبة . والدوح : الشجر العظيم . والكنهيل : شجر شائك (المعنى) فأضحى المطر يسح الماء حول كثيفة ويقلب سيله الأشجار العظيمة فيجعل عاليها سافلها .

(٦) القنان : اسم جبل . والنفيان هنا : ما يتطاير من رشاش الماء والسيل أو ما يشد عن معظمه (ومن) هنا : بمعنى الباء كقوله تعالى (ينظرون إليك من طرف خفي) . والعصم : الوعول ، واحدها أعصم ، وهو ما كان في معصمه بياض يخالف لونه ، ومن شأن الوعول أنها تسكن الجبال ، ولا تكاد توجد في غيرها . (المعنى) ومر هذا المطر على جبل القنان برشاشه فأكره الوعول على النزول منه من كل ناحية .

- وَتِيَاءٌ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذَعَ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنَدَلٍ (١)
- كَأَنَّ تَيْسِيرًا فِي عَرَانِينٍ وَبَلْبَةٍ كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ (٢)
- كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجِيمِرِ غُدُوءَةٌ مِنْ السَّيْلِ وَالغُنَاءِ - فَلَكَّةٌ مِغْزَلٌ (٣)
- وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَيْبِطِ بَعَاعَهُ نُزُولَ الْيَمَانِيِّ ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ (٤)
- كَأَنَّ مَكَائِكِي الْجَوَاءِ غُدِيَّةً صَبِيحَنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقِ مَفْلَقَلٍ (٥)

(١) وتيَاء: كانت من مدن اليهود قديماً في الجاهلية . وهي بين مدائن صالح وتبوك من طريق الشام إلى المدينة . وكان بها نخل كثير وقصور حصينة منها الأبلق الفرد . وتسمى العرب القصر العالى والحصن المرفوع أطماً (المعنى) أما تياء فلم يترك بها سبل هذا المطر جذع نخلة لأنه أسقطها جميعاً ولم يترك بها بناء قائماً إلا إذا كان مشيداً بالجنادل والصخور العظيمة .

(٢) تيسير: اسم جبل . والعرايين: جمع عرينين وهو: أول الشيء ومقدمه . الوبل: المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد: الكساء المخطط . والترميل: الف في الثوب ، فالثوب مزمل به (المعنى) كأن هذا الجبل عند أوائل هذا المطر رجل كبير في بجاد مزمل به . وذلك أنه شسبه الجبل وقد غطاه الماء والغناء إلا رأسه الأسود بشيخ ملتف في كساء مخطط . وجرّ مزمل على المجاورة إذ كان صفة لكبير . أو هو مجرور على أنه صفة لبجاد على تقدير في بجاد مزمل به .

(٣) المجيمر: اسم جبل ، وذراه: أعلاه . والغناء: ما احتمله السيل من حطام النبات ونحوه ، وفلكة المغزل: الخشبة المستديرة في أعلاه كالقرص (المعنى) أن هذا المطر كشف ما على رأس المجيمر من التراب والنبات ، وأحاط سيله وغناء سيله بجوانبه على استدارة جعلت رأس المجيمر كأنه فلكة مغزل .

(٤) صحراء الغبيط: من صحارى بلاد العرب ، وأصل الغبيط: الأرض المنخفضة . والباع: النقل والحمل . والمراد هنا السحاب المثلث بالماء . والعياب: جمع عيبة ، وهي: وعاء من جلد يحمل فيه الثياب ونحوها (المعنى) وألقى هذا المطر أثقاله بصحراء الغبيط فأنبت نباتاً حسناً . مختلفاً ألوانه وأزهاره ، فكانت نزوله بها كنزول التاجر اليماني إذا جاء محملاً بعياب ثياب مختلفة الألوان والأصباغ ، ونشرها أمام الناس ترغيباً لهم في شرائها .

(٥) المكائي: جمع مكاء كرمان ، وهو طائر كثير الصفير . والجواء: البطن الواسع من الأرض . وصبحن: من الصبوح ، وهو الشرب صباحاً . والسلاف: أول ما يعصر من الخمر . والرحيق: صفوة الخمر . والمفلقل: الذى يلذع لذع الفلفل أو الذى وضع فيه الفلفل (المعنى) أن هذا المطر بعد ما نزل في هذا الوادى جعله روضة من النبات والزهر ، وأصبحت تغرد فيه الطيور مبتهجة كأنها شربت صباحاً وحين سلاف مفلقل فسكرت وطربت ..

كَانَ السَّبَاعَ فِيهِ غُرْفٌ عَشِيَّةً بِأَرْجَائِهِ الْقَصُومَى أَنَابِيشٌ عَنصَلٌ (١)

وله من قصيدته التي مطلعها :

أَلَا أَنْعِمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلَلُ البَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي العَصْرِ الخَالِي؟ (٢)

*
* *

(١) السباع : جمع سبع ، وهو كل حيوان مفترس أسدا كان أو غيره . والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية . والعنصل : بصل برى تختفى أصوله تحت الأرض فتنبش ، فهي بعد النبش أنابيش ، جمع أنبوشة . أولا مفرد لها (المعنى) أن هذا المطر استحال في بعض الأودية سيلا عظيما أغرق السباع واحتملها طافية على وجه مائه بادية خراطم روسها وأطرافها ؛ كأنها أنابيش عنصل .

(٢) عم صباحا ، وأنعم صباحا : تحية الصباح في الجاهلية ، كقولهم : عم ، وأنعم مساء : لتحية المساء ، وعم ظالما : لتحية الليل . و (عم) : فعل أمر من وعم يم كوزن يزن ، وأنعم صباحا : من النعمة والنعيم ، وهو مني عم أيضا . والظل : الشاخص من الأشياء على وجه الأرض . والمراد هنا آثار دار المحبوبة الشاخصة . والبالي : المدارس الذي كادت معاملة تخفى . والعصر : لغة في العصر . والخالي : الماضي . (المعنى) أنه مر صباحا على دار كانت تنزلها محبوبته في العصر الماضي ، فشاهد ظلها المدارس فغياها بقوله : أنعم صباحا الخ . ثم راجع نفسه ، وقال : كيف أدعو بالنعمة لشيء وجد منذ زمان طويل فقارقه أهله وبلى ، وفارقه النعمة بفراقهم .

وقد أعتدى ، والطير في وكأتها
لغِيثٍ من الوَسْمِيِّ رائدُهُ خالٍ (١)
تَحَامَاهُ أطرافُ الرماحِ تحامياً
وجداد عليه كلُّ أَسْحَمٍ هَطَّالٍ (٢)
بِعِجْزَةٍ قد أترزَ الجرى لجمها
كَمَيْتٍ كأنها هِراوةٌ مِنوَالٍ (٣)
ذَعَرْتُ بها سِرْباً تقياً جلوده ،
وأكرعه وشئُ البرود من الخال (٤)
كَانَ الصُّوَارَ إِذ تَجَاهَدَنَّ غُدُوَّةً
على جَمَزَى - خَيْلٌ تَجُولُ بِأَجْلَالٍ (٥)

(١) المراد بالغِيث هنا : البقل والمرعى ، لأنه أثر الغيث ، وهو المطر . والوسمي : أول مطر الربيع .
والرائد : من يبعثه أهله في طلب المرعى . وخال : أى خال بنفسه . (المعنى) وقد أبكر (والطير لم تزل جائئة
في أوكارها) لطلب الصيد في مرعى لم يجسر أحد على رعيه ، فاذا راده رائد جرى . مثلى وجد نفسه منفردا
لا يزاوجه عليه مزاحم .

(٢) الأَسْحَم هنا : السحاب الأسود اللون المتراكم . والمطال : الكثير المطر . (المعنى) أن هذا
المرعى منبع تحاماه الرماح أى الفرسان الحاملوها ، لأنه بين حينين متعادين ؛ فيخشى رعيه كل منهما ؛
ولكنى بجراوتى قصده للصيد ، وهو خصب لتوالى الأمطار عليه .

(٣) العجزة : الفرس الصلبة العضل . وأترز الجرى لجمها : أى أيبسه وضمّره . والكميت : الجراد
الى سواد . والهراوة : العصا الغليظة . (المعنى) أنه يذهب الى الصيد في هذا الوادى بفرس مضمرة صلبة
كأنها الخشبة الغليظة الصلبة التى تلف عليها شقة الثياب عند نسجها بالمنوال .

(٤) ذعرت : أخفت وأفزعت . والسرب : القطيع من بقر الوحش . والأكرع : جمع كراع وهى
أطراف القوائم . الخال : الثوب الناعم من ثياب اليمن . (المعنى) أفزعت وهجت بهذه الفرس قتلها من
الوحش بيض الجلود مخططة الأكرع بالسواد ؛ فكأنها ثياب اليمن الموشاة .

(٥) الصوار : القطيع من بقر الوحش ، وتجاهدن : اجتهدن فى العدو ، وعلى : بمعنى مع . والجمزي :
نوع من العدو . والأجلال : جمع جل ، وهو ما يوضع على ظهر الفرس ساترا له . (المعنى) كأن قطع بقر
الوحش عند ما اجتهدن فى أن يجربن جرية الجمزى (وهو جرى سريع مع وثب) خيول تجرى عليها أطلال

بِجَالِ الصُّوَارِ ، وَاتَّقَيْنَ يَقرهَبِ طَوِيلِ القَرَا وَالرُّوقِ أَخنَسَ ذِيَالِ (١)
فَعَادِيَتُ مِنْهُ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ وَكَانَ عِدَائِي إِذْ رَكِبْتُ عَلَى بَالِي (٢)
كَأَنِّي يَفْتَحُ الجَنَاحِينَ لِقُوَّةِ عَلَى عَجَلٍ مِنْهَا - أَطَاطِي شِمَالِ (٣)
تَحَطَّفُ نِخْرَانَ الأَنِيمِ بالضَّحَى وَقَدْ بَحَرْتُ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ (٤)
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا - العُنَابُ وَالْحَشْفُ البَالِي (٥)

(١) بجال : دار . والقرب : الكبير الضخم من الثيران ، والقرا : الظهر . والروق : القرن ، والأخنس : المنخفض قصبة الأنف ، وذلك من صفات البقر ، والذيال : الطويل الذيل . (المعنى) فدار هذا القطيع دورة . واتقين الصائد بهذا القرب وتسترن به ، وجعلته مما ييل الصائد ؛ لأنه أشد من . وهذا القرب طويل الظهر والقرن أخنس الأنف طويل الذنب .

(٢) فعاديت منه : أى به وعادى بين الصيدين عداء : والى العدو وتابعه فى طلق واحد . وكان عدائى الخ أى كان على تهم منى واشتغال به .

(٣) الفتح : لين وطول فى جناح الطائر . والقوة : السريعة التى تحطف كل شىء . وطأطأ فرسه : ونزهه بفخذه وحركه للعدو ، والشمال السريعة الخفيفة ؛ يريد فرسه . (المعنى) كأتى عند ما حثت فرسى وهجتها للعدو - أستحث عقابا طويلتا الجناحين سريعة بحلة . أى أن فرسه تشبه العقاب .

(٤) الأنيم وأورال : موضعان . والنخزان : جمع نخز «بضم ففتح» وهو ذكر الأرناب . وبجرت : اختفت فى أبحارها . (المعنى) أن هذه العناب التى شبه بها فرسه تتحطف أرناب الأنيم ، أما ثعالب أورال فلتخبها تدخل أبحارها .

(٥) العناب : ثمر كالتين أحر . والحشف : الردى المقبض من التمر (المعنى) كأن قلوب الطير الرطب منها واليابس فى وكر هذه العناب عناب وحشف بال ، أى أنها تأتى بقلوب الطير تطعم فراخها بها لصغر حجمها . ولكثرة ما تصيد يبق الكثير منها فى وكرها ما بين حديث رطب وعتيق يابس -

فلو أن ما أسعَى لأدنى معيشةٍ كفانى (ولم أطلب) قليلٌ من المال (١)
ولكنما أسعى لمجدٍ مؤنَّبٍ وقد يُدرك المجدَ المؤنَّبَ أمثالي (٢)
وما المرءُ ما دامت حُشاشةُ نفسه بمُدركِ أطرافِ الخطوبِ ولا آلي (٣)

ومن مأثور قوله :

وقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ حتَّى رَضِيتُ منَ الغَنيمَةِ بالإيابِ (٤)

ومنه قوله :

إذا المرءُ لم يَحْزُنْ عليهِ لسانه فليسَ على شيءٍ سواه بَحْزَانِ (٥)

(٢١) فاعل كفانى : لفظ قليل — ومفعول أطلب محذوف تقديره ولم أطلب الملك الذي أسعى لاسترجاعه ، وإنما يرضى بالقليل من يسعى لأدنى معيشة ، أى أطلب عيشة الملك والمجد المؤنَّب الأصيل فينا ولو لم أسع له لكفانى القليل من المال .

(٣) الحشاشة : بقية النفس . والخطوب : الأمور العظيمة . وأطرافها : غاياتها . والآلي : المقصره (المعنى) أن الانسان مع سعيه في دوام حياته لا يدرك نهاية كل ما يريد ، ولو لم يقصر في الطلب .

(٤) أى وقد أكرثت الطواف في الآفاق حتى أعيانى الطواف ، وحتى رضيت أن أعود بدل الغنيمة الى أهلى بنفسى . وكان أكثر خروجهم وأسفارهم لطلب الغنائم .

(٥) أى اذا عجز المرء عن ضبط الكلام الذى يخرج من لسانه فهو عن ضبط غيره أعجز .

(٢) لُزْهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ مِنْ مَعْلَقَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

أَيْنَ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحِوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمَتَّالِمِ (٢)

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةٍ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدِّمِّ (٣)

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالُ بَنُوهِ : مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ (٤)

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، أحد فحول شعراء الجاهلية الأربعة . وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ثم هو أعفهم قولاً وأكثرهم تهذيباً لشعره ، وآل أبي سلمى نشأوا في غطفان أحلافاً لهم ، وإن كان نسبهم في مزينة ، وتخرج زهير في الشعر على بشامة بن الغدير الشاعر خال أبيه ، وعلى زوج أمه أوس بن حجر شاعر مضر في زمانه ، ففأقهما في الشعر ، وله ديوان شعر كبير منه في مدح هرم بن سنان الديلمي المزي ، ومن مدائحه فيه هذه المطلقة ، مدحه بها لحسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عيس وذبيان في حرب داحس والغبراء بمجملهما ديات القتلى ، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير . ومات قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنة .

(٢) أم أوفى : امرأة زهير ، والدمنة : ما أسود من آثار الدار من الرماد ونحوه ، وحومانة : القطعة من الرمل ، الدراج والمتنم : موضهتان بنجد (المعنى) أمن دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم عند وقوعنا عليها وسؤالنا لها : أين أصحابك ؟ أو قوتنا لها : ما كان أطيب أيامنا فيك !

(٣) غيظ بن مرة : حى من غطفان منه هذان الرجلان الساعيان في الصلح بين العشيرة ، يريد بهما هرم بن سنان والحارث بن عوف المدوحين ، وتبزل بالدم : تشقق به (المعنى) سعى هذان السباع في الصلح بعد ما تشقق ما بين العشيرة من الألفه والمودة بالدم .

(٤) جرهم : قبيلة يمانية كانت تملك سدانة الكعبة قبل قريش .

- يَمِينًا لِنِعْمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا على كُلِّ حَالٍ : من سَجِيلٍ وَمُبْرَمٍ (١)
- قَدَارَ كَمَا عَبَسَا وَذَبْيَانَ بَعْدَ مَا تَفَانَوْا ، وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ (٢)
- وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ نُدْرِكِ السَّلْمَ وَاسْعَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ - نَسَلَمَ
- فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ (٣)
- عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَادٍ وَغَيْرِهَا وَمَنْ يَسْتَسِيحُ كَثْرًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ (٤)
- فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ الْمُزْنَمِ (٥)
- تَعْفَى الْكُلُومُ بِالْمَيْتِينَ ، فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ (٦)
- فَمَنْ مُبْلِغُ الْأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةً وَذَبْيَانَ : هَلْ أَقْسَمْتُ كُلَّ مُقْسَمٍ (٧)
- فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ لِيَخْفَى ، وَمَهْمَا يُكْتَمَ اللَّهُ يَعْلَمَ

- (١) السجيل : الخيط أو الحبل يفتل فتلا واحدا ، والمبرم : ما يفتل خيطين ثم يفتلان ثانية ويجعلان خيطا واحدا (المعنى) أقسم يمينا لنعم السيدان أنتما في حال الرخاء وحال الشدة .
- (٢) « دقوا بينهم عطر منشم » : مثل يضرب في شدة التنازع وانتشار الشر بين القوم ، وأصله أن امرأة عطارة تعطر أقوام بعطرها وخرجوا للحرب فهلكوا .
- (٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأتم : الإثم .
- (٤) معدن عدنان أبو القبائل الزارية ومنها المدوحان .
- (٥) التلاد من الإبل : ما ولد عندك ، والإفال : جمع أفيل ، وهو الفصيل الصغير ، والمزمن : فحل كريم من الإبل زمنوا أذنه ، أى ميزوه بعلامة . يقول : أصبح يجرى في أولياء المقتولين من نفاس أموالكم غنام شتى من إبل صغار معلمة .
- (٦) التعفية : المحو وإزالة الأثر . والكلوم : الجراح . وينجمها : يدفعها نجوما أى أقساطا . (المعنى) أن الجراح يحى أثرها ببذل الميتين من الإبل يفرمها على أقساط من لم يجن فيها جريمة ، وهما المدوحان .
- (٧) يريد بالأحلاف القبائل التي حالفت ذبيان على حرب عبس ، و « هل » هنا بمعنى « قد » مثل « هل أتى على الإنسان حين من الدهر » . (المعنى) أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم قد أقسمتم كل قسم عظيم على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه ؛ فإن الله يعلمه ، ويعاقبكم عليه في يوم الحساب ، أو يعجل عقابكم — ومن هذا يعرف أنه كان مؤمنا بالبعث .

- بِؤْحْرٍ ، فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ ، فَيُدْنَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُعَجَّلُ ، فَيُنْتَقَمُ
وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ (١)
مَتَى تَبَعْتُوهَا تَبِعْتُوهَا ذَمِيمَةٌ وَتَضُرُّ إِذَا ضُرِّيْتُمْوهَا ، فَتَضُرُّمُ (٢)
فَمَرْكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَا يَنْفَالُهَا ، وَتَلْقَحُ كِشَافًا ، ثُمَّ تَحْمِلُ ، فَتُنْتَمِ (٣)
فَتُنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ، ثُمَّ تُرْضَعُ فَتَنْفِطُمُ (٤)
فَتَغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تَغْلِلُ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَمِ (٥)

(١) المرجم من الحديث المقول بطريق الظن ، لاعتن تحقيق . أى : وما حديثي عن الحرب
وتحويتكم ويلايتها بالحديث المفترى ، بل أنتم قد علمتم وبل الحرب وذقتموه ، فلا تقرّبوها .

(٢) الضرى والضراوة : شدة الحرص ، والتضرية : الحمل على الضراوة . وضربت النار تضرم :
التهبت . (المعنى) متى تهبجوا الحرب تهبجوها مذمومة ، ويشند حرها ، وتضطرم نارها .

(٣) العرك : الدك ، والنفال : الجسد أو الخرقه توضع تحت الرحا ليقع عليها الطحين ، والبناء
في « بنفالهنا » بمعنى « مع » أى الرحا في حال طحنها . و « تلقح كشافا » أى وتلقح لقاها كشافا
بأن تحمل في عامين متواليين ، وتتم أى تأتى في كل مرة من المراتن بتوأمين . (المعنى) إذا هجتم الحوب
طحتكم طحن الرحا ، وتدوم زما طويلا في شدة ، فتكون كالناقة التى تحمل حملين في عامين متتابعين ، ثم هى
لا تلد إلا توأمين .

(٤) أشام : مصدر من الشؤم على وزن أفعل أو صفة لمخدوف . وأحمر عاد لقب لعاقرة ناقة صالح
نبي ثمود طبه السلام ، وسموه قدارا ، وكان عقره لهذه الناقة شؤما على قومه ، ويريد بعاد هنا ثمود :
إما توها وخطأ ، وإما أن ثمودا من عاد . (المعنى) ان هذه الحرب يطول أمرها وتنتج لكم غلمان شؤم
أو غلمان أب أشام شؤم قدار عاقر الناقة ، ثم تعيش هذه الغلمان ، فترضع وتنطم . وكل ذلك كناية عن
طول الحرب وشروورها .

(٥) أى تغل لكم غلة ليست كغلة قرى العراق من الحب الذى يكال بالقفيز ، أو من ثمن الغلة وهى
الدراهم . وإنما تغل لكم غلة هى الموت والحلاك .

- لَعَمْرِي لَنَعَمَ الْحَى جَرَّ عَلَيْهِمُ
بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حَصِينٌ بِنُ ضَمِّمِ (١)
- وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَةٍ
فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا ، وَلَمْ يَتَّجِمِ (٢)
- وَقَالَ : سَأَقْضِي حَاجَتِي ، ثُمَّ أَتَقِي
عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجِمِ (٣)
- فَشَدَّ ، وَلَمْ تَفْزَعْ بِيوتُ كَثِيرَةٌ
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفِ (٤)
- جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمُ يَعَاقِبُ بِظُلْمِهِ
لَهُ لِبَدٌ ، أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمِ (٥)
- سَرِيعًا ، وَإِلَّا يُبَدِّ بِالظُّلْمِ يُظْلِمِ (٦)

(١) يُوَاتِيهِمْ : يوافقهم . (المعنى) نعم الحى الذين رضوا بالصلح بعد ما جر عليهم الحصين بن ضمضم من تلك الجريرة والحناية التي لا تجبهم يوافقون على الصلح ، ثم أخذ يقص قصة الحصين بقوله : « وكان طوى كشحا الخ » وملخص هذه القصة أن رجلا من بني عبس قتل أخا للحصين بن ضمضم قبل الصلح ، فلما اصطلحت عبس وذبيان أضمر الحصين بن ضمضم الأخذ بالنار بقتل قاتل أخيه أو بقتل رجل من أهله إلى أن لقي رجلا من عبس فشده عليه وقتله ، واعتمد على أن يناصره ألف فارس من قومه إذا غضبت عبسى لتبليها ، فنارت عبس وتدارك الحارث بن عوف الثمر ، فدفع لعبس مائة من الإبل دية القتيل . وتم الصلح بين عبس وذبيان .

(٢) مستكنة أى فعلة أو جريمة مستكنة مستترة فى نفسه ، فلا هو أظهرها حتى يؤخذ الخذر منه ولا هو تردد فى الإقدام عليها .

(٣) أى وقال فى نفسه : سأقضى حاجتى بقتل قاتل أخى ، وأدفع عن نفسى بألف فارس ملجم أى بألف فارس من قومى .

(٤) أم قشعم : كنية للنية ، ومعنى إلقاء رحلتها فى مكان تحقق الموت فيه . (المعنى) فشده الحصين على العيسى غدرا من غير أن تعلم بذلك بيوت كثيرة من عبس ، فكانت تفزع لصاحبها وتدفع عنه ، وإنيما شد عليه عند موضع نزل فيه الموت المحقق الذى لا يدفع .

(٥) يصف جيش عبس الذى لم يعلم بالجريمة ولو علم بها لدافع عنها . ويقول : كان هذا عند رجل كالأسد الذى له لبد على عنقه ، ولم تقلم أظفاره ، وأنه شاكى السلاح يقذف به فى الحروب .

(٦) يصف هذا الجيش بأنه جرى ، إذا ظلم عاقب ظالما سريعا بظلمه ، وإن لم يبدأه الناس بالظلم بدأهم هو بظلمه لثقتة بنفسه .

رَعَوَا مَارِعُوا مِنْ ظَمْمِهِمْ ، ثُمَّ أوردُوا
 غَمَارًا تَسِيلَ بِالرِّمَاحِ وَبِالدَّمِ (١)
 فَقَضَوْا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ أَصْدَرُوا
 إِلَى كَلَالٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمٍ (٢)
 لَعْمَرِكَ مَا بَجَرْتُ عَلَيْهِمْ رِمَاحَهُمْ
 دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلَّمِ (٣)
 وَلَا وَهَبٍ مِنْهُمْ ، وَلَا آبِنِ الْمُخْزَمِ
 فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْـبَحُوا يَعْقِلُونَهُ
 عِلَالَةً أَلْفَ بَعْدَ أَلْفٍ مُصْتَمٍ (٤)
 تُسَاقُ إِلَى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ
 صَحِيحَاتٍ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمُخْرَمٍ
 لِحَى جِلَالٍ بَعْضُ النَّاسِ أَمْرُهُمْ
 إِذَا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ (٥)

(١) يقال رعت الماشية الكلالا ورعاها صاحبها الكلالا أيضا ، والظم : ما بين الشربتين وجبس الإبل من الماء الى غاية التوبة ، والغار : جمع غمر وهو الماء الكثير . ويريد بالظم هنا وبورود الغمار الرجوع الى الحرب . (المعنى) تركوا الحرب وبقوا يتمتعون بنعيم السلم مدة ، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غمارا منها لا تسيل إلا بالرماح والدم .

(٢) قضوا : أنفذوا . وأصدروا : أرجعوا ، والكلال المستوبل : هو ما تجده ويلا من العشب ، أى يجلب الوبال ، والمتوخم بمعناه . (المعنى) أنهم بمنزل رعى الكلالا الوابل . ثم أصرب عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين أعطوا ديات القتلى فقال : لعمرك الخ .

(٣) ابن نهيك ، والقتيل الذى قتل فى المكان المثلّم ، ونوفل ووهب وابن المخزم ، كل هؤلاء عقابهم هرم بن سنان والحارث بن عوف ، أى غرموا دياتهم لأولياء دمائهم مع أنهم لم يقتلوهم برماحهم ، وإنما غرموا قبرا وإيثارا للصلح بين القبيلتين .

(٤) العلالة : الشيء بعد الشيء . والمصتم : التام . والمخرم : الطريق فى أعلى الجبل (المعنى) أرى هؤلاء الكرام يعقلون القتلى بألف تام العدد بعدها ألف أخرى من الإبل الصحيحات التى تساق الى أولياء القتلى طالعات فى أعلى الجبل لأجل الرعاية للقوم الفاتلين .

(٥) الحى الحلال : الكثير وانعدد ، أو المتقاربون فى المنازل ، المعظم : الخطب العظيم . (المعنى) تساق هذه الإبل ، لأجل المحافظة على ولاء حى يحفظون جيرانهم اذا نزلت بهم الخطوب العظيمة وهم =

كِرَامٍ ، فَلَا ذُو الْوَتْرِ يُدْرِكُ وَتْرَهُ لَدَيْهِمْ ، وَلَا الْجَنَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلِمٍ

(٣) لَعَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ مِنْ مَعْلَقَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا : (١)

الْأَهْبِيَّ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي نُحُورَ الْأَنْدَرِينَا (٢)

* * *

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُحَبِّرُكَ الْيَقِينَا (٣)

بِأَنَا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا وَنُصِيدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا (٤)

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طِوَالٍ عَصِينَا الْمَلِكِ فِيهَا أَنْ نَدِينَا (٥)

وَسَيِّدٍ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَجَّوهُ بَتَاجِ الْمَلِكِ يَتَجَمَّى الْمُحْجَرِينَا (٦)

= كرام شجعان لا يدرك صاحب الوتر - أى النار - وتره منهم ، ولا الجناني عليهم . اجر عليهم من الجنانيات في العشار الأخرى بمسلم أى نخدول لا ينصر له .

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فناك العرب وشعرائهم المشتهرين بقصيدة واحدة والمجيد للفخر . وأمه ليلي بنت مهلهل أنحى كليب . قال هذه المعلقة في ملاحاة وقعت بينه وبين الحارث بن حلزة اليشكري في مجلس الملك عمرو بن هند يصف فيها حديثه مع ابن هند ، ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة - ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

(٢) الصحن : القدح الواسع ، وأصبحينا أى أسقينا الصبح وهو الشرب في الصباح ، والأندرين : قرية جنوبي حلب من بلاد الشام .

(٣) أنظرنا : أى أمهلنا .

(٤) أى أنا نورد راياتنا الحرب وهى بيض ، ونصديرها وهى حمراء ، وقدرويت من دماء أعدائنا .

(٥) أى ونخبرك بأيام حرب لنا مشهورة عصينا الملك فيها أن نخضع له ونذل .

(٦) المحجرون : اللاجئون الى من يحميهم ، مشتق من أجره اذا أُلجأ الى المضيق . وخبر "سيد" .

في البيت الذى بعده .

تركنا الخيل عاكفةً عليه
وأزلنا البيوت بذي طُلُوج
وقد هرت كلاب الحى منا
متى تنقل إلى قوم رحانا
يكون ثفالها شرقى نجد
نزلم منزل الأضياف منا
قريناكم فجعلنا قراكم
نعم أناسنا ، ونعف عنهم
مقلدة أعنتها صفونا (١)
إلى الشامات تنفى الموعدينا (٢)
وشدبنا قتادة من يلينا (٣)
يكونوا فى اللقاء لها طحيناً
ولهوتها قضاة أجمعينا (٤)
فأعجلنا القرى أن تستيمونا (٥)
قبيل الصبج مرداة طحونا
ونحمل عنهم ما حملونا (٦)

(١) أى قتلناه وأسرحنا منه وزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه وسلب أصحابه ، فبقيت خيولنا واقفة عليه صافية . والشافى : القائم ، أو الذى يرفع إحدى قوائمه لعا .

(٢) ذو طلوج : مكان جنوبي نجد بين اليمامة ومكة ، والشامات : جمع شامة ، والشامة والشامات تسمى بهما بلاد الشام أحيانا ، وتنفى الموعدين أى تزيل من بين هذين البلدين أعداءنا الذين يوعدوننا ، فنملك هذه الأرضين الواسعة ، ونزل بها بيوتنا .

(٣) هرت الكلاب : نجت خوفاً ، والتشذيب : قطع أغصان الشجرة أو شوكة ، والقتادة : الشوكة ، أى أذهبنا شوكة من يلينا ويقرب منا من الأعداء .

(٤) الثفال : جلدة أو خرقة تجعل تحت الرجا يسقط عليها الطحين ، واللهوة : القبضة من الحب تنق في الرجا (المعنى) أن كيدنا وحرابتنا تشبه الرجا ، وهذه الرجا تدور بالحرب فى شرق نجد وتلتهم قضاة أجمعين وهى قبيلة عظيمة .

(٥) القرى : الضيافة . يسخر بأعدائه ويقول : نزلتم علينا فى إغارتكم كالأضياف ، فجعلنا قراكم بحرب طحون خشية شتمكم إيانا ، وجعلنا ضيافتكم قتالا طحنكم كطحن المرداة للحجارة . والمرداة الصخرة التى تكسرها الحجارة ويدق بها النوى .

(٦) أى نعم قومنا بخيرنا اذا أسرنا ، ونعف عن أموالهم اذا أسرنا ، ونحمل عنهم ما حملونا من

الديات والمغارم والدفاع .

نُطَاعِنُ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا (١)
 يُسْمِرُ مِن قَنَا الْخَطَى لُدُنِ ذَوَابِلَ ، أَوْ بِيضِ يَعْتَلِينَا (٢)
 تُشَقُّ بِهَا رُءُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنُخْلِهَا الرَّقَابَ ، فَتَخْتَلِينَا
 كَانَتْ بِحَاجِمِ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا (٣)
 وَأَنْ الضَّغْنَ بَعْدَ الضَّغْنَ يَبْدُو عَلَيْكَ ، وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا (٤)
 وَرِثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدُّ نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى بَيْنَنَا (٥)
 وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ نَحَرَتْ عَلَى الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مِنْ يَلِينَا (٦)
 نَجْدُ رُءُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا (٧)

(١) أى أننا نحسن استعمال السلاح ؛ فنطاعن أعداءنا بالرمح إذا لم يلاصقونا ودنت أشخاصهم منا ، فإذا لاصقونا ضاربناهم بالسيوف .

(٢) ثم وصف هذه الرماح التى يطاعن بها ، فقال : إنها سمر لنضجها فى منابتها ، وانها من القنا الخطى أى منسوبة الى بلدة الخط على ساحل البحرين من خليج فارس تجلب منها الرماح ، واللدن جمع لدن (كسهم) وهو المرن فى صلابه . ووصف السيوف فقال إنها بيض تعتل الروس فتشق هاماتها ، ونضرب بها الرقاب فتقطعها كما يقطع المحش الخلا وهو النبات الرطب ، أى تجعل الرقاب لها كالتخلا ، فتختليها أى تحشها .

(٣) الأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الصلبة الكثيرة الحصى ، والوسوق : جمع وسق ، وهو الحمل . يقول كأن رهوس الشجعان أحمال إبل تسقط فى الأراضى الصلبة .

(٤) الضغن : الحقد الذى يخفى .

(٥) معد بن عدنان أبو الشعب العظيم المقابل لشعب قحطان ، والشاعر من شعب معد — يقول :
 نعلم قبائل معد جميعهم أننا ورثنا المجد عن آبائنا فلم نقرط فيه بل دافعنا دونه حتى لا يزالنا ويخفى عنا .

(٦) العماد : جمع عمود ، ونحرت : سقطت ، والأحفاض : جمع حفص (كسبب) وهو متاع البيت . وسقوط الأعمدة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والظعن (المعنى) إذا حل غيرنا خيامهم للهرب ، فنحن لا يطمع فينا طامع بل نحى أنفسنا ، ونمنع جيراننا .

(٧) أى فقطع رؤوسهم فى غير بر منا ، ولا شفقة عليهم ، وندهلهم ؛ فلا يدرون أى شئ . يجابوننا ، ويتعدون عنه من السلاح لأن سيوفنا تعجلهم عن الأتقاء .

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ تَحَارِيْقُ بِأَيْدِي لَاعِينَا (١)
 كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضِبْنَ بِأَرْجَوَانٍ أَوْ طَلِينَا (٢)
 إِذَا مَا عَى بِالْإِسْنَانِ حَى مِنَ الْهُولِ الْمَشْبَهِ أَنْ يَكُونَا (٣)
 نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتِ حَدِّ مُحَافِظَةً، وَكُنَّا السَّابِقِينَ
 شُبَّانَ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا وَشَيْبَ فِي الْحُرُوبِ مُجْرِبِينَ
 حُدَيَّا النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا مَقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَن بَنِينَا (٤)
 فَأَمَّا يَوْمَ خَشِينَا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصْبًا تُبِينَا (٥)
 وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ فَنَمِينُ غَارَةً مُتَلَبِّينَا (٦)

(١) لم يصف أعداءه بالجبن وقلة الدفاع عن أنفسهم ، بل يقول : إننا انتصرنا على أقوام شجعان ماهرين في استعمال السيوف مثلنا ؛ فكانت سيوفنا وسيوفهم كخاريف بأيدي لاعين . والخاريف : جمع خراف ، وهو المتديل أو الخرقفة تلف ويضرب بها ، وهي لعبة من لعب الصبيان (الطره) .

(٢) الأرجوان : صبغ أحمر ، كأن ثيابنا وثيابهم صبغت بالصبغ الأحمر من كثرة الدماء .

(٣) عى بالأمر : تخير فيه ولم يهتد لوجه الصواب فيه ، والإسنان التقدم بالليل إلى القتال (المعنى) إذا تخير قوم في الإقدام على القتال من شدة الهول الخشى أن يقع نصبنا نحن للقتال كنبية ضخمة مثل جبل (رهوة) ذات حد وشوكة محافظة على أحسابنا ؛ وكان غيرنا المترددين ، وكما نحن السابقين إلى القتال بشبان الخ .

(٤) الحديا : مصغر الحدي ، اسم من التحدي ، وهو المباراة ومنازعة الغلبة في الأمر العظيم (المعنى) نحن حديا الناس كلهم لا نخشى قوما منهم ، بل نخدى الجميع ، ونقول لهم اخرجوا إلى قتالنا : تفعل ذلك من أجل مقارعتنا (أي مضاربتنا وممانعتنا) بينهم عن بنينا .

(٥) العصب : الجماعات ، والنبون الجماعات من الخيل والناس في تفرقة ، جمع نبة (بالضم) .

(٦) أمعن في الأمر : أبعده فيه وتوغل ، وهو يتعدى بحرف الجر (في) واذن فتكون غارة منصوبة على أنها مفعول مطلق ، أو على الظرفية على تقدير وقت الغارة ، أو على نزع الخافض ، والتلبب التحزم =

برأس من بني جشم بن بكر
ومنها يفتخر بقومه :

وقد علم القبائل من معد
بأننا المطعمون إذا قدرنا
وأنا المائعون لما أردنا
وأنا التاركون إذا سخطنا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا
إذا ما الملك سام الناس حسفا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها
بغاة ظالمين وما ظلمنا

ندق به السهولة والحزونا (١)
إذا قبب بأبطحها بينا
وأنا المهلكون إذا ابتلنا (٢)
وأنا النازلون بحيث شينا (٣)
وأنا الآخذون إذا رضينا (٤)
ويشرب غيرنا كدرا وطينا (٥)
أبينا أن نقر اللذ فينا
ونبش حين نبش قادرينا
ولكنا سنبدا ظالمينا (٦)

- = بالسلاح ، والتشمير في الأمر. (المعنى) أننا يوم خوفنا على أبنائنا من إغارة أعدائنا علينا نستعد للقتال ميكرين ونشر خيلنا في الأرض فرقا وجماعات للدفاع عنهم ، وفي يوم أمننا عليهم نبادئ نحن غيرنا من الأعداء بالإغارة عليه مبعدين فيها ، منشرين لها ، مدجين بالأسلحة ، فالقتال دأبنا في الخوف والأمن .
- (١) الرأس : الحى الذين لا يحتاجون إلى إعانة أحد ، أو الرأس : رئيس القوم وسيدهم ، وجشم بن بكر أحد أجداد الشاعر . (المعنى) أننا عند إمعاننا في الغارة نغير على أعدائنا بحى من بني جشم ابن بكر لا يحتاجون إلى نجدة غيرهم ، فندق بهم السهول والأوعار ، أى نهزم الضعاف والأشداء ، أو نغير عليهم يقودنا فارس هذه صفته .
- (٢) يعنى أننا إذا قدرنا على الناس لا نستلذهم بل نطعمهم ونرغد عيشهم ، وإذا ابتلانا عدونا بحرب أهلكناه .
- (٣) يريد أننا نمنع ونحجى ما نريد من البلاد والناس ، فلا يستطيع أحد أخذه منا ولا معارضتنا فلنا البلاد نزل أى مكان شئنا .
- (٤) أى أننا أقوياء أحرار لا سيطرة لأحد علينا ، نترك الشيء ونأخذه كما نهوى .
- (٥) أى لا يشرب الناس من المورء إلا بعد أن نشرب ، فيكون الماء قد تكدر بالطين .
- (٦) كانت العرب تتباهى بالحرية والمنعة ويفخرون بأنه ليس فى استطاعة غيرهم أن يظلمهم لقوتهم ، بل هم الذين يبدون غيرهم بالظلم لاعتقادهم أن (من لا يظلم الناس يظلم) .

ملاًنا السبر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا (١)
إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً تخرُّ له الجبارُ ساجدينا

(٤) عمرة بن عمرو بن شداد العبسي (٢) :

من معلقته التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردٍ أم هل عرفت الدار بعد توهم (٣)

أنني على بما علمت ، فإنني * * *
شبح مخالفتي إذا لم أظلم (٤)
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل *
مر مذاقته كطعم العلقم (٥)

(١) كانت نغلب تسكن شواطئ الفرات وربما امتدت ديارهم إلى ساحل الخليج الفارسي ؛ ولذلك

يقع في شعر نغلب وأختها بكر بن وائل ذكر السفن وأدواتها .

(٢) هو أحد فرسان العرب وأغربتها (سودانها) وأجوادها وشعراؤها المشهورين بالفخر والحماسة ، وأمه أمة حبشية يقال لها « زبيبة » على وزن كبيرة . وكان أبوه وأهله يعدونه في عداد العبيد على عاداتهم في أبنائهم المولدين من الإماء ، فكان يرضى إليهم ويخيلهم ، ولكنه كره ذلك ، ومارس الفروسية ، وأخذ قومه من المهالك في غارات أعدائهم عليهم ، فأعتقه أبوه ، وخاض مع قومه أكثر الوقائع ، ومنها حروب داحس والغبراء ، حتى صار فارس عيس الأوحده ، وضرب به المثل في الشجاعة . ومات قبيل الإسلام .

(٣) غادر بمعنى ترك و (من) زائدة . والمترد : اسم مفعول من تردم ثوبه بمعنى أصلحه ورقعه . و (أم) بمعنى بل للإضراب . والتوهم : التفرس . (المعنى) هل ترك الشعراء شيئاً من الشعر لم يصلحوه ويهدبوه أو معنى لم يسبقوا إليه حتى يتبأ للمثل أن يأتي به . ثم خاطب نفسه وقال : بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرسك في آثارها .

(٤) المخالفة : المعاشرة بخلق حسن ، والخطاب لحيبته .

(٥) الباسل هنا الكريه ، والبشع الطعم . والعلقم : الحنظل وكل شيء مر الطعم جداً .

- ولقد شربتُ من المُدَامَةِ بَعْدَ مَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعَلَّمِ (١)
بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَيْسَرَةٍ قُرِنَتْ بِأَزْهَرٍ فِي الشَّمَالِ مُقَدَّمِ (٢)
فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ (٣)
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتِكْرَمِي
وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (٤)
عَجِلْتُ يَدَايَ لَهُ بِمَارِقِ طَعْنَةٍ وَرَشَاشٍ نَافِذَةٍ كَلَوْنَ الْعَنْدَمِ (٥)
هَلَّا سَأَلْتِ الْقَوْمَ يَا بِنْتَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

(١) الهواجر : جمع هاجرة ، وهي نصف النهار عند زوال الشمس أو من زوالها الى العصر .
ومعنى ركود الهواجر سكونها ، أى سكون الناس فيها في بيوتهم . والمشوف : المجلو . والمعلم : المنقوش ،
وأراد به القدح الذى شرب به الخمر ، أو الدينار ، أو الدرهم الذى اشتراها به ، والأقرب الأقول ؛
لأن البيت الآتى يوضحه .

(٢) الزجاجاة الصفراء : يريد بها القدح ، وصفرتها آتية من صفرة الخمرة . والأسرة جمع سرار بالكسر ،
وهو الخط في بطن الكف أو الوجه والجبهة ، والمراد بها الخروز والخطوط في الكأس . والأزهر :
الأيض الحسن يريد به الأبريق . والمقدم : الذى عليه القدام ، وهي المصفاة تكون على فم الأبريق .
(المعنى) ولقد شربت المدامة بزجاجة صفراء أى كأس صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركبت على فم مصفاة
كان في جهة الشمال من الكأس أو في شمال الساقى .

(٣) وافر أى نام سليم لم يجرح بسبب أو طعن فيه .

(٤) الخليل : الزوج . ومجدلا : صريعا على الجدالة وهي الأرض . وتمكو : تصفرو وتصوتت .
الفريصة : العضلة التى ترعد من جسم الدابة أو الإنسان إذا خاف . والأعلم : المشقوق الشفة
العليا . (المعنى) ورب زوج غانية حسناء قتلته ، وتركته صريعا على الأرض تصوتت فريصته من شدة
انفجار الدم منها بعد طعنة فيها كشدق الرجل الأعلم .

(٥) مارق طعنة : أى بطعنة عاجلة . ورشاش نافذة : أى وبرشاش طعنة نافذة الى الجوف .
ولون هذا الرشاش كلون الصبغ الأحمر المسمى العندم .

- إذ لا أزال على رحالةٍ ساجٍ نَهْدِ تَعَاوُرِهِ الكِأَةَ مُكَلِّمٌ (١)
- طَوْرًا يُعْرَضُ لِلطَّعَانِ ، وَتَارَةً يَاوِي إِلَى حَصِيدِ القِيسِيِّ عَرْمَرَمٌ (٢)
- يُنْخِرُكَ مَنْ شَهِدَ الوُقَاعَ أَنِّي أَغْشَى الوَعْيَ وَأَعِيفُ عِنْدَ المُنْعَمِ (٣)
- وَمُدَجِّجِ كِكِرَةِ الكِأَةِ نِزَالَهُ لَا مُمَيِّنَ هَرَبًا وَلَا مُسْتَلِمِ (٤)
- جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُتَّقِفِ صَدَقِ القَنَاةِ مُقَوِّمِ
- بِرِحِيَةِ الفَرْعَيْنِ يَهْدِي جُرْسُهَا بِاللَّيْلِ مُعْتَسِ السَّبَاعِ الضَّرْمِ (٥)
- فَشَكَّكَتُ بِالرَّحِ الطَّنْوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَاةِ بِمُحْرَمِ (٦)

- (١) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الغنم بأصوافها ؛ يتخذ للجري الشديد ليس له قربوس ولا مؤخرة . والساج : الفرس الذي يسط يديه معا عند العدو . والنهد : القليظ الصدر ، وتعاوره الكياة أى تعاوره وتتناوبه الفرسان التامو السلاح بالطعن ، والكياة : جمع كى ، والمكلم المجرح .
- (٢) الحصيد من القسي : المحكم قتل أوتارزه وربطها . والشئى العرمم : الكثير . (المعنى) هذا الفرس ييبأ مرة لمقابلة الطعان ، وتارة للقسي المتينة الكثيرة ؛ فهو مدرب على الحرب .
- (٣) ينخرك مجزوم فى جواب (هلا سألت) لأنه بمنزلة الأمر .
- (٤) المدجج بالسلاح : الذى ستره أى أنه تام السلاح مثل الكمى و(هربا) منصوب على أنه مفعول مطلق لأن أمعن يتعدى بنى فكان حقه فى غير الشعر أن يكون لا ممعن فى الحرب ، ولكن لما كان لفظ ممعن يراد به معنى الهارب كان بمنزلة لا أدعه تركا (المعنى) ورب فارس تام السلاح تكره الأبطال التامو السلاح مثله نزاله ، وهو لا يهرب من الأعداء لفرط بأسه ، ولا يستسلم لهم فى أسروه ، فذنبه بطعنة عاجلة من ربح مثقف مقوم صدق القناة صلها مستويا .
- (٥) برحبية الفرغين : بيان لقوله (بعاجل طعنة) ، ورحبية : واسعة . والفرغ : مصب الماء من الدلو ، والدلو فرغان . والجرس : الصوت . والمعتمس من السباع : الطالب الشئى ليل . والضرم : الجلياع (المعنى) جادت يداى له بطعنة شقت من جسمه كالدلو الواسعة ، يهدى خريز الدماء منها جياع السباع الى قنيلها فتأق لنا كله .
- (٦) قالوا إن الثياب هنا كناية عن القلب لأن الرجل لا يقتل بشك الثياب وإنما المراد : أن الرمح شق ثيابه وخرق صدره وقلبه .

- فتركته جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنَهُ
ما بين قَلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ (١)
وَمِشَكِّ سَابِغَةٍ هَتَكَتُ فُرُوجَهَا
بالسيف عن حامى الحقيقة مُعَلِّمَ (٢)
رَبِذٍ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا
هَتَّكَ غَايَاتِ التَّجَارِ مُلَوِّمَ (٣)
بَطَّالٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ
يُحَدِّى نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوْعَمَ (٤)
لَمَّا رَأَى قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدَهُ
أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لَغَيْرِ تَبَسُّمِ (٥)
فَطَعْتُهُ بِالرَّيْحِ ، ثُمَّ عَالَوْتُهُ
يَمَهَّدِ صَافِي الْحَدِيدَةِ مُحَمَّدَمَ (٦)

(١) الجزر : جمع جزرة ، وهى الشاة تذبج أو الناقة . وينشئه : يعنى يتناوله بالأكل من رأسه

الى يده .

(٢) المشك : الدرع التى أحكم اتصال حلقها ومساميرها ، صفة جاءت على وزن مفعول كسعر مشتقة من الشك بمعنى اللزوم والالصق وشدة الاتصال . والسابغة : الدرع الطويلة . ومعنى (هتكت فروعها) : شققت منافذها بالسيف . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه من الأهل والمال . والمعلم الذى أعلم نفسه فى الحرب بعلامة فلا يتنكر لجنبه (المعنى) ورب درع سابغة ملتصقة الحلقات ضيقة المنافذ شققها بضربة من سيفى ، فأنكشفت عن جسم فارس حام لأهله وقومه ، لا يتنكر فى الحرب بل يعلم نفسه بعلامة يعرف بها من فرط شجاعته .

(٣) الربذ : السريع الضرب بالقداح ، والغايات : الرايات ، والمراد بالتجار هنا تجار الخمر (المعنى) يصف هذا الفارس الذى هتك درعه بأنه كان كريما حاذقا يلعب القمار والميسر وخاصة فى الشتاء ، لأنه زمن الجذب فى بلاد العرب . فاذا نزل تجار الخمر بحيه ونصبوا راياتهم وعلاماتهم جاء فاشترى الخمر كلها لأصحابه ، فيقلعون راياتهم ، ويذهبون فياً كل الناس من الجزور التى كسبها أو خسرها ويشربون من الخمر فيكثر لوم أهله ونصحائه له على إتلافه ماله ، وهى صفات يفتخر بها أهل الفتوة من الأعراب .

(٤) السرحة : الشجرة الطويلة العظيمة غير الشائكة . والسبت بالكسر : جلود البقر أو كل نعال مدبوغة بالقرظ . والتووم المولود مع غيره فى بطن واحد . يصف قتيله بالطول والضخامة والغنى وبأنه ليس من صعاليك الأعراب الذين يخذون النعال غير المدبوغة وانه ليس بتووم اذ التووم يكون ضعيفا غالبا .

(٥) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو آخر الأضراس : أى فتح فمه من الفزع فبذت نواجذه .

(٦) أى علوته بسيف من صنع الهند قاطع .

- عهدى به شدَّ النهار كأنما
إلى أن قال :
- ١) خُضِبَ البَنَانُ ورأسه بِالِظْلِمِ
نُبْتُ عَمْرًا غيرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي
٢) والكُفْرُ مَحْبَثَةٌ لِنَفْسِ المَنِعمِ
ولقد حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بالضحى
٣) إذ تَقَلَّصُ الشَّفَتَانِ عن وَصَحِ القِيمِ
في حَوْمَةِ المَوْتِ التي لا تَسْتَكِي
٤) عَمْرَاتِهَا الأَبطَالُ غيرَ تَعْمُغِمِ
إذ يَتَّقُونَ بِي الأَسِنَّةِ لم أَخِمِ
٥) عنها، ولو أتى تَضَائِقُ مُقَدِّمِي
لما رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
٦) يَتَذامرون كَرَّرْتُ غيرَ مَذْمُومِ
يَدْعُونَ عَنَرًا والرَّماحُ كأنها
٧) أَشْطَانُ يَرِي في لَبَانِ الأَدْهِمِ

(١) شدَّ النهار : أى عند شدِّ النهار ، أى عند ارتفاعه ، وهو وقت الضحى . والظلم : نيات النيلج تصبغ الثياب بعصارته ، فيكون لونها أسود الى زرقة . أى أن دم هذا القليل جف على رأسه أصابوه فاسود فصاركصغ النيلج (النيلة) .

(٢) كفر النعمة : بجودها و (محبة) مصدر ميمي من خبت ضد طاب . أى أن كفران النعمة متفرقتس المنعم عن الإنعام .

(٣) تقلص : تقصر وترتفع — أى حفظ وصية عمه بثباته وصبره عندما حاربوا أعداءهم وقت الضحى ، وقد انكشفت الشفتان من كل محارب عن بياض فمه ، أى عن أسنانه ، خوفا من القتل .

(٤) حومة كل شيء : معظمه ، أى فى ساحة الموت العظيمة . وفى حومة تتعلق بحفظت فى البيت السابق . والغمرات : الشدائد . والتعمغيم : الصوت يسمع ولا يفهم .

(٥) لم أخم أى لم أجبن ، بل أقدم عليها ولو كان الموضع يذى أقدم عليه أمامى متضابقا من تراحم الأعداء بهجومهم على .

(٦) يتذامرون : أى يحض بعضهم بعضا على القتال ، فعندئذ عطفت عليهم غير مذموم على عملى بل ممدوحا عليه .

(٧) عنر : أى باعتره حذفت التاء للترخيم ، وروى المبرد أنه كان يسمى عنرا أيضا . والأشطان : جمع شطن ، وهى إخبال الطويلة الشديدة القتل . واللبان : الصدر . والأدهم : فرسه .

مازلت أرميهم بثغرة تحريه
 فازور من وقع القنا بلبانه
 لو كان يدري ما المحاورة اشكى
 والخيل تفتحم الخبار عوابسا
 ولقد شقى نفسى ، وأبرأ سقمها
 ذلُّ جمالى حيثُ شئتُ ، مشايبي
 إني عدانى أن أزورك فاعلمى
 حالت رماحُ ابني بغيضِ دونكم
 ولبانه حتى تسربل بالدم (١)
 وشكا إلى يعبرة وتحمم (٢)
 ولكان لو علم الكلام مكلمى
 من بين شيطمة وأجرد شيطم (٣)
 قيل الفوارس : ويك عنتر أقدم (٤)
 لبي ، وأحفزه برأى مبرم (٥)
 ماقد علمت ، وبعض ما لم تعلمى (٦)
 وزوت جواني الحرب من لم يجرم (٧)

(١) أى بثغرة نحره .

(٢) العبرة : تردد البكاء فى الصدر قبل أن تفيض الدمعة ، والتحمم : الصوت المتقطع دون الصهيل ، ويفعله إذا طلب العطف عليه والرفقة لحاله .

(٣) الخبار : الأرض اللينة . والشيطم : الطويل . والأجرد : القصير الشعر ، وهما صفتا حسن للفوس الكريم .

(٤) وبك مركبة من (وى) وكاف الخطاب ، ووى تعجب ، كأنهم قالوا : عجبا لك ! أقدم ! أو هى مخففة من وبك ، أو ويحك .

(٥) الذلل : جمع ذلول ، وهو من الإبل وغيرها ضد الضعب الحرون . ومشايبي قلبى أى متابعى ومشجعى . وأحفزه : أدفعه . والميرم : المحكم . (المعنى) يصف نفسه بأنه رجل أسفار ، وأن جماله لذلك مذلة لتعودها السير لا يصعب أن يوجهها الى أى أرض . ويصف نفسه أيضا بأنه حاضر العقل لا يعزب عقله فى أى حال من الأحوال ، بل هو أيضا يدفعه ويقويه برأى محكم .

(٦) المعنى : صرفنى عن زيارتك ما قد علمته من الأسباب ، وما لم تعلميه . وجملة (فاعلمى) معترضة .

(٧) بغيض بن ريث بن غطفان : أبو الحى الذى يجمع بين عبس وذبيان ، فكلاهما انا بغيض وزواه ذبا وزويا : نجاه ، وأبعده . والجواني : جمع جانية من الجنابة . (المعنى) صرح بغيض الأسباب التى حالت دون زيارة محبوبته ، فقال : صرفنى عنك الحرب الناشئة بين عبس وذبيان ، وصرفنى عشائر القيلتين بجنابة بعض على بعض ، فاضطرت لظاهرة قومي فى حروبهم مع أنى لست من جناتهما ، ولم يكن لى دخل فى الأسباب التى جرت بها .

ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تُدرْ للمحروبِ دائرةٌ على أبني ضَمَمِ (١)
الشامى عِرْضِي ، ولم أَشْتِهُمَا والناذِرَيْنِ إِذا لمَ أَلْقَهُمَا نَمِي (٢)
إِن يَقَعَلَا فَلقد تَرَكْتُ أَبَاهُما بجزراً نِخَامِعةً ونَسِيرِ قَشَمِ (٣)

(٥) لبيد بن ربيعة من معلقته التي مطلعها :^(٤)

عَفَتِ الدِيَارُ : مَحَلُّهَا فُقَامُهَا بِنِي ، تَأْبَدُ غَوْلُهَا فِرْجَامُهَا (٥)

- (١) ابننا ضمضم : هما هرم وحصين ، وكان عذرة قتل أباهما ضمضما فكانا يتوعدانه .
- (٢) يقال نذرت دم فلان : إذا أبحته لكل من يقدر على قتله .
- (٣) النخامة : الضبع كأن في مشيها نجما أي عرجا ، والقشعم : من النسور الكبير . (المعنى) إن يندرا دمي فقد قتلت أباهما ضمضما وتركته جزور الضباع والنسور القشاعم .
- (٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري أحد أشراف الشعراء والفؤاد والمعمرين الأجواد ، وهو من بني عامر بن صعصعة : إحدى القبائل المصرية ، وأمه عيسية ، وكانت في الجاهلية شجاطا فانتكا جوادا شاعرا ، شهد له النابغة ، وهو قلام ، بأنه أشعر هو وزن حين سمع معلقته ، ولما ظهر الإسلام أسلم وتنسك وحفظ القرآن كله حتى لم يروله في الإسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولما فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات ستة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة ولبيد شاعر يجيد الفخر والزناء في لفظ جزل ومعنى بارع وحكمة وموعظة .

(٥) عفت الديار : درست ، ومحلها : بدل أو عطف بيان من الديار ، فقوامها معطوف على محلها ، والمقام : مكان الإقامة وهي الثبات والاستقرار في المكان طويلا بأن يصير دار إقامة . وتأيد : توجس ، وخلا من أهله . ومعنى وغول ورجام : مواضع في وسط نجد . وليست متى هنا (منى مكة) . المعنى : درس مكان النزول ومكان الإقامة من ديار أحبنا بني متوحشا غولها ورجامها منهم

أو لم تكن تدرى نوارُ بأنى وَصَالُ عَقْدِ حَبَائِلِ جَدَّامُهَا (١)
تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَتَلَقُّ بَعْضَ النُّفُوسِ جِمَامُهَا (٢)
بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ طَلَّقِي لِذِيذِ لَهْوِهَا وَتِدَامُهَا (٣)
قَدِ بَيْتٌ سَامَرُهَا ، وَغَايَةِ تَاجِرِ وَافِيَتْ إِذْ رُفِعَتْ ، وَعَزَّ مُدَامُهَا (٤)
أَغْلَى السَّبَاءِ بِكُلِّ أَدَّكَنْ عَاتِقِ أَوْ جَوْنَةٍ قُدْحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا (٥)
وَعِدَاةٍ رِيحٍ قَدِ وَزَعَتْ وَقِرَّةٍ قَدِ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا (٦)

(١) نوار: اسم امرأة ، والجذام : القطاع ، والحبائل : جمع حباله : مصيدة الصائد وشركه .
المراد بها هنا العهد . وهذا البيت وما بعده من الأبيات يتحدث بها عن مفاخر نفسه وماثر قومه .
المعنى (أ ولم تكن تعلم نوار بأنى أصل من يستحق المواصلة وأقطع من يستحق القطيعة .

(٢) اعتلق الشيء : تعلق به ، و(بعض النفوس) يريد به نفسه ، والحمام : الموت . والمعنى أنى
تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا إِلَّا أَنْ أَمُوتَ

(٣) التفت في كلامه الى نوار وقال : (بل أنت ... البيت) والليالة الطلق : التي لا حر ولا برد فيها
يؤذيان ، والندام : المنادمة .

(٤) السامر : من يتحدث بالليل (وغاية تاجر) الغاية هنا : الراية ، والتاجر : الخمار يرفع رايته عند
تروله على الخي لإعلانا للشراب . وغاية بالجر : معطوفة على ليالة في البيت السابق (المعنى) كم من ليلة طلق
يلذ فيها اللهو والمنادمة قد بت المسامر فيها ، وكم من راية تاجر نمر وافيتها عند ما رفع التاجر رايته واشترت
حداستها عند ما عزت بارتفاع ثمنها لكثرة المشترين لها — يصف نفسه بأنه طيب الحديث ، يحب اللهو
والطرب ، ويذل في ذلك نفيس المال .

(٥) السباء : شراء الخمر وجلبها ، ولا يستعمل لشراء غيرها . والأدكن : يريد به زق الخمر لأنه أغبر ،
والعائق : القديم . والجونة (بفتح الجيم) السوداء يريد بها الخلية ، وقدحت وفض ختامها : بمعنى واحد

(٦) الغداة : البكرة والصباح ، والقرة : البرد ، ووزعت : كففت ، والشمال أبرد الرياح (المعنى)
درب صباح يوم بارد ذى رياح قد أصبح زمام برده بيد ربح الشمال ؛ فهى تصرفه وتمعن فيه كيف شاءت .
قد كفتته عن الإخوان بشرب الخمر والتدفئة والسماع ، يتحدث بالفنوة والكرم .

بَصْبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذِبِ كَرِينَةٍ بِمَوْتِ تَأْتَالُهُ لِإِبَاهُمَا (١)
بَاكَرَتْ حَاجَتَهَا الدِّجَاجَ بِسُجْرَةٍ لِأَعْلَلٍ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا (٢)
وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِيلُ شِكْنَى فَرُطٌ ، وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا (٣)
فَعَلَيْتُ مَرْتَقِبًا عَلَى مَرهُوبَةٍ حَرَجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قِتَامُهَا (٤)
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجْنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا (٥)
أَسْهَلْتُ ، وَانْتَصَبْتُ بِكُذْعِ مَنِيْقَةٍ جَرْدَاءَ يَتَّخِصِرُ دُونَهَا جَرَامُهَا (٦)

(١) الصبوح: الشرب صباحا، أى شرب خمر صافية، والكرينة: المغنية الضاربة بالعود، والوتر: العود لأنه ذو أوتار وتأتاله: تصلحه أى أنه يشرب الخمر ويتلهى بسباع مغنية عوادة.

(٢) حاجتها: أى حاجة الخمر: أى حاجته هو اليها، وأضاف الحاجة الى الخمر توسعا، والدجاج: يريد بها الديكة، والعلل: الشرب بعد شرب (المعنى) استبقت بشرها صباح الديكة لأكردها حين استيقظ نوامها أى سقاتها النائمون.

(٣) ثم أخذ يصف نفسه بالكفاية والغناء وحماية فومه وأصحابه فقال: (ولقد حميت الحي الخ) وشكنى: جميع سلاحي، يريد تحملى شاكي السلاح، وفرط: أى فرس تقدم أصبح بلجامها وشاحا الى وتوشع الفارس بلجام فرسه: أن يلقه على عاتقه ويخرج يده منه لتفرغ يدها كأنهاما تعمل بالسلاح.

(٤) عليت وعلوت واحد، وعلى مرهوبة أى على جبال عالية، وخرج: مرتفع فى تكاثف وتواجر والفتام: الغبار.

(٥) والضمير فى ألفت يعود على الشمس المفهومة من المقام. والكافر: السائر، وهو من أسماء الليل، وأجن: ستر، والنثر: موضع الخفاة، أى علوت على الجبال التى بنعقد فى أعاليها الغبار المتصاعد والضباب الحامل للغبار أرقب حركات العدو حراسة لأصحابى طول النهار؛ حتى إذا ألفت الشمس يدها فى الليل، وبدأت تغيب فيه، وستر الظلام مواضع الخوف من نواحي العدو، ولم يعد لمراقبى فوق الجبل فائدة نزلت الى السهل.

(٦) أسهلت: نزلت الى السهل. (ويكذع منيفة): أى يكذع نخلة مرتفعة، وجرداء: خالة من السعف ملساء، ويخصر: يكل ويضجر، وجرامها: قطاع ما تحمله النخلة عند فضجها (المعنى) عندما أسهلت مرتفع فرسى ونشطت وانتصبت كأنها جذع نخلة عالية ملساء يضجر ويتمب دون الوصول الى رأسها من مجاز لمنتهى — ثم أخذ فى بقية وصف الفرس بالآيات الثلاثة الآتية.

رفعتها طَرَدَ النَّعَامِ وَشَلَّهُ
 قَلِقَتْ رِحَالُهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا
 تَرَقَّى ، وَتَطَعَنُ فِي الْعَنَانِ ، وَتَنْتَحِي
 وَكَثِيرَةٌ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٌ
 غُلِبَ ، تَشَدَّرُ بِالذُّحُولِ ، كَأَنَّهَا
 أَنْكَرَتْ بَاطِلَهَا ، وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا
 حتى إذا سَخَّنتُ ، وَخَفَّ عِظَامُهَا (١)
 وَابْتَلَّ مِنْ زَبَدِ الْحَمِيمِ حَزَامُهَا (٢)
 وَرَدَّ الْحِمَامَةَ إِذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا (٣)
 تُرَجَى نَوَافِلُهَا وَيُخَشَى ذَامُهَا (٤)
 جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًّا أَقْدَامُهَا (٥)
 عِنْدِي ، وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا (٦)

(١ و ٢) رَفَعْتُهَا : أى جعلتها تعدو العدو المسمى بالمرفوع ، وهو فوق العدو الموضوع ، وهما مصدران جاءا على وزن المفعول كاليسور والمعسور ، وطرده النعام : عدوه . والشل : الطرد ، وخفف عظامها : أى خفف قصب قوائمها بمعنى أسرعت ، والرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاة بصوفها لا قربوس له ولا مؤخرة يتخذ للجري الشديد ، وأسبل نحرها : أى سال بالعرق . والحميم : العرق (المعنى) . طردتها طرد النعام حتى إذا حبت واشتدت سرعتها اضطرب سرجها عن مكانه وسال نحرها بالعرق وابتل حزامها من زبده .

(٣) تَرَقَّى : ترفع رأسها ، وتظعن أى تعتمد فى العنان كما يعتمد الطاعن ، تنتحى أى تقصد ، ويريد بالحمامة هنا القطة (المعنى) أن هذه الفرس ترفع رأسها تارة وتخفضه فى العنان أخرى ، تمر فى سيرها من القطة الى الماء ، وقد سبقها اليه جماعة حمام مسرعة فهى تجد مسرعة فى أثره .

(٤ و ٥ و ٦) هذه الأبيات الثلاثة يصف فيها نفسه بالشجاعة والانتصاف من الأعداء الأقوياء قال (وكثيرة غرباؤها مجهولة) : أى ورب كتيبة كثيرة الغرباء ؛ لما يحضرها من ألوان الناس قد جهل بعضها بعضا ، ونوافلها : غنائمها ، وذامها : عيبها وعار هزيمتها ، وغلب : جمع أغلب وهو الغليظ العنق وهو كناية عن قوة البدن ، وتشدر بالذحول : تهتد وتتعبد بالأحقاد والثارات . والبدى هنا : واد لبني عامر يحسب أنه كان موحشا . وبؤت بحقها انصرفت به (المعنى) ورب كتيبة حرب كثيرة المقاتلة المختلفة لأنساب والألوان المجهول بعضهم لبعض لغربتهم ترجى مغائرها وأنفالها بالظفر فيها ويخشى عار الهزيمة منها ، ومقاتلتها غلاظ الأعناق تهتد وتتعبد بأخذ النار كأنها جن البدى راسخة الأقدام فى القتال تلك الكتيبة التى صفاتها ما ذكرت قد انتصفت منها ؛ فأنكرت باطلها المزعوم عليها ، ونفرت فيها بالحق بمحض

قوى وحسن بلائى ولم يفتخر على كرامها .

- وجزورٍ أيسارٍ دعوتُ لحفها
بمغاليقٍ مُتَشابهٍ أجسامها (١)
أدعو بهنَّ لعافرٍ أو مُظفلٍ
بِذَلَّتْ لِحيرانٍ الجَميعِ لِحامها (٢)
فالضيف والجار الجنب كأنما
هبطا تباله مُخصبا أهضامها (٣)
تأوى إلى الأطنابِ كُلِّ رذِيَّةٍ
مِثْلِ البليَّةِ قاصٍ أهدامها (٤)
ويكَلِّونَ إذا الرياحُ تناوحتُ
خَلْجًا ، ثُمَّ شِوارِعًا أيتامها (٥)

(١ و ٢) يصف في الأبيات الخمسة الآتية نفسه بأنه متلاف للسال يلعب الميسر بالجزور ويطعم لحومها الجيران والضيغان والأرامل والأيتام وكان ذلك عندهم من الكرم والفتوة — الجزور : الناقة تشتري للذبح ، والأيسار : جمع يسر وهو الذي يضرب بالقداح ، وهي أعواد تسوى وتوضع عليها علامات الكسب والخسارة في القمار ، والمغاليق من نعوت قداح الميسر التي يكون لها الفوز ، (أدعو بهن) أى بالمغاليق ، (لعافر أو مظفل) أى للعب بها على جزور عافر فتكون سمينة أو لجزور ذات طفل فتكون أغلى ثمنا ، ولحامها أى لحومها جمع لحم (المعنى) ورب جزور مقامر يدعوت من أجل نحرها سواء كانت عاقرة أم مطلقا بقداح متشابهة العلامات فائزة عند اللعب بها — تبذل لحومها الجيران الجميع .

(٣) تباله : بلد بين اليمن والحجاز (في العسير) أهضامها ، أى وديانها وهي من أخصب بلاد العرب (المعنى) أى أن ضيفه وجاره الغريب يكونان من الخصب بمنزلة من نزل تباله .

(٤) الأطناب : جمع طناب وهي حبال الخيام ، والرذية : المرأة الضعيفة جوعا أو الأرملة الباتسة ، والبليَّة في الأصل : الناقة يموت صاحبها ، ويقولون إنه يبعث عليها في القيامة ، وإنما يفعل ذلك من يعتقد منهم بحشر الأجساد ، وقالص : صفة لرذية . والأهدام : جمع هدم وهو التوب الخلق البالي . (المعنى) تأوى إلى أفنية خيامنا كل رذية بأسة نوشك أن تموت جوعا وهز الإء ، تصيرة الثياب البالية ، فتطمع .

(٥) التكليل : نضد اللحم بعضه على بعض . الخلج : هنا الجفان الكبيرة ، وتمد أى يزداد فيها ، وشوارعا : نعمت للخلج ، والشوارع النوق ترد الشريعة وهي منهل الماء ، ويريد بها هنا اليتامى من الناس . (المعنى) أنه يطعم المعوزين والأرامل واليتامى لحوما يكملون بها جفانهم عند تناوح الرياح أو شتداد هبوبها من كل ناحية وذلك في الشتاء ، وهو زمن الجهد عندهم .

إنا إذا التقتِ المجامعُ لم يزل
 ومقسمٌ يُعطى العشيرةَ حقَّها
 مِنَّا لِرِزْازٍ عَظِيمَةٍ جَسَّامُهَا (١)
 وَمَعْدَمٍ لِحُقُوقِهَا هَضَامُهَا (٢)
 فَضْلاً وَذو كَرِيمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى
 مِن مَعَشَرِ سَنَّتْ لَهُمُ آبَاؤُهُمْ
 لَّا يَطْبَعُونَ وَلَا يَبُورُ فَعَالُهُمْ
 لَإِنَّمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ؛ فَإِنَّمَا
 وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعَشِيرِ
 فَبِنِي لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمَكُهُ
 وَهُمْ السَّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ
 إِذْ لَا يَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامُهَا (٥)
 قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَامُهَا (٦)
 أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظَّنَا قَسَامُهَا (٧)
 فَمَا إِلَيْهِ كَهَلُهَا وَغَلَامُهَا
 وَهُمْ فَوَارِسُهَا، وَهُمْ حُكَّامُهَا (٨)

- (١) أخذ يمدح بقومه ، ويعتد ما أثرهم ، فقال : (إنا إذا التقتِ المجامع ... الخ) ولزاز كل شيء .
 الملازم له . والجشام : المتكلف القيام بالأمر الشاق . المعنى : إذا اجتمع الناس لخطب عظيم لم يحل
 المجامع من رجل منا يقيم الخصوم .
- (٢ و ٣) ومنا العادل الذي يقسم الغنائم في العشيرة ؛ فيعطى كل ذي حق حقه ، ومنا الرئيس المستبد
 الذي يحكم على قومه بما شاء ؛ فلا يرد حكمه لهيبته ، ولو هضم حق هذا وأعطاه ذاك ، وإنما يفعل ذلك
 وغبه في الفضل على غيره وزيادة التحكم فيه . ومنا الكريم السمع الأخلاق الكثير الكسب والغمم للنفاس .
- (٤) أى سنت لهم آباؤهم هذه السنة الكريمة ، والإمام : المثال الذي يحاكي في كل شيء .
- (٥) الطبع : الدنس ، والبوار : الهلاك ، والفعال كسحاب : فعل الخير ، والأحلام : العقول .
 (المعنى) لا يبدسون أعراضهم ، ولا يفتن عملهم للخير ، ولا تغلب أهواؤهم عقولهم .
- (٦) الخلائق : الطبايع ، وعلامها هو الله تعالى .
- (٧) أى أوفى قسام الحظوظ — وهو الله تعالى — بأوفر نصيب لنا من الأمانة .
- (٨) أى إذا حل بالعشيرة خطب فطبع معوا لنجدتها وإسعافها .

وَهُمْ رِبِيعٌ لِلجَائِرِ رَفِيهِمْ^١ والمِرْمَلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا^(١)
وَهُمُ العَشِيرَةُ أَنْ يَطِيَّ حَاسِدٌ^٢ أو أَنْ يَمِيلَ مَعَ العَدُوِّ لِثَامِهَا^(٢)

(٦) قَالَ النَّابِغَةُ الذَّبِيَانِيُّ^(٣)

كَلِّبْنِي لِهَيْمٍ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيَهُ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ^(٤)
تَطَاوَلَ، حَتَّى قَلْتُ لَيْسَ بِمُنْقِضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بَأَيِّبٍ^(٥)

(١) وهم ربيع أى بمنزلة الربيع فى الخصب لمن جاوهم ، وللمرملات أى الأرامل إذا تطاول عامها وكانت الأرملة تبقى بلازواج مدة . كان ذلك فى الجاهلية وأول الإسلام ، ثم جعلت تلك المدة أربعة أشهر وعشرا .

(٢) وهم العشيرة أى هم متوافقون ، وأن يطنى حاسد : أى خشية أن يطنى حاسد (المعنى) أنهم متعاضدون خشية أن يطنى الحساد بعضهم عن نصر بعض ، أو أن يميل لثامهم إلى الاعداء .

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية أحد أشرف قبيلة ذبيان من القبائل المضرية وأحد شيوخ شعراء الجاهلية ؛ لقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر بفناء وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ، ولكنه أمر مدح الملوك : ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأتريين النعمان بن المنذر ، فقتله البس . ثم وشى به عنده ، وهم بقتله ، فقتل إلى ملوك الشام . فدحهم ، ولم يطب مقامه بالشام ، فطاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا فى عفو عنه . وطال عمر النابغة ، ومات قبيل الإسلام . ويعدّه كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هى قصيدته التى أوتها :

عوجوا فحجوا لنعم دمنة الدار ما ذا تحيون من نوى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التى نشرحها وهى التى مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بنى غسان بالشام .

(٤) كلبنى لهم : أى دعبنى وهى من وكلة للشئ أى أسلمه له . وأميمة : اسم امرأة تصغير أم وناصب صفة لهم أى هم ذى نصب أى تعب . ويطيئ الكواكب أى غروب كواكبه . توهم أن ليله بطيئ الكواكب وأنه طويل لكثرة ما يقاسيه فيه من الهموم .

(٥) وليس الذى يرعى النجوم بأيب . أى وحتى قيل : ليس الذى « البيت » والذى يرعى النجوم يريد النجم الذى يتقدمها فىكون بمنزلة الراعى لها ويؤيد ذلك رواية (وليس الذى يهدى النجوم) وإياب النجوم والشمس مغيبها كأنها رجعت إلى مبدئها ومسقطها : أى وحتى قيل إن أول النجوم الطالعة فى هذا الليل لا يغيب مع أنه سابقها فكان حقه أن يكون أزل غائب . وقيل إن الراعى هو الصبح . وكل ذلك تناية عن طول الليل .

- وَصَدْرٍ أَرَا حَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ (١)
 عَلَى لَعْمَرٍ وَنِعْمَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ (٢)
 حَلَفْتُ يَمِينًا (غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ (٣)
 لَيْنٌ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجَلْقٍ (٤)
 وَلِحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ (٥)
 وَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ (٦)
 بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا، وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ (٧)
 إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ (٨)
 تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٩)
 لَوْلَا أَنَّهُ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبٍ (١٠)
 وَلَا عِلْمَ إِلَّا حَسَنُ ظَنِّ بَصَاحِبٍ (١١)
 وَقَبْرِ بَصَيْدَاءَ الَّذِي عِنْدَ حَارِبٍ (١٢)
 لَيْتَمَسُنُ بِالْجَيْشِ دَارَ الْمُحَارِبِ (١٣)
 كِتَابٌ مِنْ غَسَانَ غَيْرِ أَشَابِ (١٤)
 أَوْلَيْكَ قَوْمٌ بِأَسْمِهِمْ غَيْرُ كَاذِبٍ (١٥)
 عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَابِ (١٦)

(١) و صدر : أى وكلبنى أيضا لصدر . وأراح الليل : من الرواح وعازب : غائب
 (المعنى) ودعيني أيضا وصدري المتضاعف الحزن الذى أرجع هذا الليل ما كان غائبا من همه . ثم اقتضب
 الكلام اقتضابا وشرع فى مدح عمرو بن الحارث فقال (على لعمرو) .
 (٢) عقارب النعمة : تكديرها بالمن والأذى . (المعنى) على لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده
 لم يذكرها من ولا أذى .

(٣) أى حلفت يمينا لم استثن فيها ولا علم لى بصحة هذه اليمين إلا تفتى وحسن ظنى بصاحبي الذى أمدحه
 (٤) أى لئن كان الممدوح عمرو منسوباً لصاحبي هذين القبرين وهو الواقع . وجلق : اسم
 لدمشق . وصيداء ، من مدن ساحل الشام ، موضع قريب منها ، وحارب اسم رجل أو بلد
 وصاحب القبرين : هما الأب ، والجد الأول ، والحارث الجفنى : هو الجد الثالث لأن الممدوح هو عمرو
 ابن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شمر الجفنى لأنه سيد آل جفنة . (المعنى) لئن
 كان هذا الممدوح ابن هؤلاء الملوك العظام (وهو يعلم أنه ابنهم وإنما بالغ فى المدح) ليلقن مبلنهم وليطلبن
 بجيشه أعداءه فيغزوهم فى عقر دارهم كما كان آباؤه وأجداده يفعلون .

- (٥) أشاب : جمع أشابة وهم الأخطا ، أى أن هذه الكتاب كلها من صلب غسان .
 (٦) أى أن هذه القبائل هم بنو عمه الأذنون ، وبنو عمه الأبعدون فى القرابة وهم بنو عمرو بن عامر .
 (٧) أى إذا غزوا حلقت عليهم جماعات النسور والعقبان والرخم لنا كل ممن يقتلونهم .

- يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغَيِّرَنَّ مُغَارَهُمْ من الضاريات بالدماء الدوارب (١)
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ نُحْرًا عَيْونَهَا جلوس الشيوخ في ثياب المرانب (٢)
جَوَانِحٌ قَدْ أُبْقِنَ أَنْتَ قَبِيلَهُ إذا ما التقى الجمعان أول غالب (٣)
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إذا عرض الخطى فوق الكواثب (٤)
عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطَّعَانِ عَوَاسٍ بين كلوم بين دام وجالب (٥)
إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطُّعْنِ أَرْقَلُوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب (٦)
فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ الْمُنِيَةَ بَيْنَهُمْ بأيديهم بيض رفاق المضارب (٧)

(١) أى تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير باغارتهم على الأعداء ضاريات متدربات على دماء القتلى .
(٢) نحرا : جمع أنحر ونحراء ، أى ضيقة العيون خلقة ، أو أنها تتحازر أى تقبض أجفانها لتتحدد النظر . جلوس الشيوخ الخ . أى أنها عند اشتداد القتال تقع على أعالي الأرض والهضاب كأنها تترسها ووقوفها وتحديد النظر تترقب القبلى جالسة جلوس الشيوخ إذا انفوا بأكسية المرانب يتحدثون النظر إلى شئ بعيد . والمرانب : جمع مرتباني وهو الثوب المبطن بفراء الأرناب .

(٣) جوانح : أى ما تلات للوقوع .

(٤) أى القنا الخطى المنسوب إلى الخط : بلد بالبحرين . والكواثب : جمع كاثبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رحمة مستعرضا : أى اعتادت الطير أن الرماح إذا عرضت على الكواثب كان ذلك لرزق يساق إليها .

(٥) على عارفات : أى على خيول صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه . والكوم : الجراح . والدامى : الذى يسيل دما . والجالب : الجرح الذى يس أعلاه .

(٦) أرقلوا : أسرعوا . والجمل المصعب : الفحل الصعب . (المعنى) إذا أنزل هؤلاء الأقوام عن هذه الخيول لضيق فى المكان ، ووقع الانتقام — أسرعوا إلى الموت على أرجلهم كأنهم الجمال المصاعب .

(٧) يتساقون : أى يسقى بعضهم بعضا .

- يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنِسٍ وَ يَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ فَرَأْسُ الْحَوَاجِبِ (١)
- وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ (٢)
- تَوَرَّثَ مِنْ أَرْزَامٍ يَوْمِ حَلِيمَةَ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جَرَّبَنَ كُلَّ التَّجَارِبِ (٣)
- تَقَدُّ السَّلَوقِيُّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوَقَّدُ بِالصَّفَّاحِ نَارَ الْحِبَابِ (٤)
- بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَاتِهِ وَطَعْنِ كَايَزَاغِ الْمَخَاضِ الضَّوَارِبِ (٥)
- لَهُمْ شِمِيَةٌ لَمْ يَعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ مِنَ الْجُودِ، وَالْأَحْلَامِ غَيْرِ عَوَازِبِ (٦)

(١) الفضاض : ما انقض وتفرق . والقونس أعلى البيضة التي توضع على الرأس من الفولاذ . وفراس الحواجب أى فراس الجمجمة وهى العظام الرقاق التي تكون أسفل الجمجمة فوق الحنك والحنق . والضمير فى يتبعها يعود على (كل قونس) لأنه فى معنى الجمع — كقوله تعالى : « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » — (المعنى) يطير بين هذه السيوف قوانس الفرسان فضاضا ، ويتبع هذه القوانس فى الطيران فراس . فاجم الفرسان .

(٢) الفلول : جمع فل ، وهو الثلمة فى حدّ السيف . والقراع : المضاربة بالسيف . وهذا الاستثناء سماه ابن المعتز تأكيد المدح بما يشبهه الذم إذ أن انقلابها من قراع الكتاب نحر وفضل ؛ لأنه دليل على صبرهم وشجاعتهم وكثرة ضررهم للأعداء .

(٣) أى أن هذه السيوف ورثت عن الآباء الذين حضروا يوم حليلة ، وهو يوم انتصرت فيه الفساسنة على المناذرة . وحليمة هذه ابنة الحارث بن أبى شمر جدّ المدوح الثالث وكانت ضمنت عسكراً إليها عند رجوعهم متصورين بالطيب فقيل فى المثل (ما يوم حليلة بسر) .

(٤) السلوقى : أى الدرع السلوقى . والدرع مؤنثة ، وقد تذكر كما هنا ، وهو منسوب الى بلد سلوقية من ساحل أنطاكية بالشام . والصفاح : الحجارة العراض ، ونار الحباحب : شعاع يضىء بالليل من ذباب يسمى الحباحب (المعنى) أن هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة النسج وإذا ضرب بها الحجارة قدححت شرراً يتطاير كأنه نار الحباحب .

(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس ، وسكاته : حيث يسكن ويستقر . والإيزاغ : دفع الباقية بيوها والمخاض : النوق الحوامل . والضوارب : التي تضرب بأرجلها (المعنى) إذا ضرب بها أزلت الهام عن الأعناق وإذا طعن بها خرج الدم فى إثرها خروجا كأن دفاع بول النوق الحوامل .

(٦) الأحلام : العقول . والعوازب : البعيدة أو الغائبة : أى أنهم أجواد حاضر العقول .

محلّتهم ذاتُ الإله ، ودينهم	قوميم ، فما يرجون غير العواقب (١)
رفاقُ النعالِ طيبٌ حُجراتهم	يحيون بالريحان يوم السباسب (٢)
تُحْيِيهمُ بيضُ الولائدِ بينهم	وأكبسة الإضريح فوق المشاجب (٣)
يصونون أجسادًا قديمًا نعيمها	بخالصة الأردانِ خضرِ المناكب (٤)
ولا يحسبون الخيرَ لا شرَّ بعده	ولا يحسبون الشرَّ ضربًا لا زب (٥)
حبوتُ بها غسانٌ إذ كنتُ لاحقًا	بقومي ، وإذ أعيت على مذاهبي (٦)

وقال يمدح النعمان ، ويعتذر إليه ، من قصيدة مطلعها :

عفا ذوحسا من فرتي ، والفوارع ، فخبنا أريك ، فالتلأع الدوافع (٧)

(١) يروى محلّتهم ذات الإله ومحلّتهم فعنى الأولى بسكنهم دار نفس الإله يريد بيت المقدس والأرض المقدسة . ومعنى الثانية : كتاب حكمتهم ومقرورهم ذات الإله . أى عبادة الإله . والعواقب : جمع عاقبة أى عاقبة أعمالهم جزاء الإله لهم عليها . يصفهم بأنهم متدينون .

(٢) رفاق النعال : أى أن نعالهم رقيقة لا يخصفونها طباقا ، وذلك كناية عن قلة مشيهم لأنهم ملوك لا يمشون بل يركبون الخيل غالبا . وحجزة الأزار والسراريل : يجمع شدهما على الوسط من الجسم ، كناية عن عفتهم . والريحان الزهر الطيب الرائحة . والسباسب : يوم الشعانين ، وهو يوم عيد عند النصراني وكان المدوح نصرانيا ، وذلك كناية عن رقة أمرجهم وحسن أذواقهم أو محافظتهم على التقاليد المرعية .

(٣) الولائد : الإماء . والإضريح : الخز الأحمر اللون ، والخز : ثياب تنسج من الصوف المخلوط بالحريز ، والمشاجب : جمع مشجب ، وهو الأعواد تنشر عليها الثياب وتعلق . أى أنهم ملوك أهل نعمة خدمهم الولائد البيض ، وثيابهم تينة مصونة تعلق على المشاجب .

(٤) الأردان : جمع ردن ، وهو مقدم كم القميص (المعنى) يصونون أجسادهم العريضة في التنم بثياب بيض الأردان خضر المناكب . وكان هذا الزي من لبس الملوك .

(٥) اللأزب : الثابت اللازم (المعنى) أنهم قد عرفوا تصرف الزمان وتقلبه ، فإذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، وإذا أصابهم شر لم يرهقهم ، وأيقنوا أنه لا يدوم فلم يفتنوا ؛ فوصفهم بالاعتدال .

(٦) أى حبوت بقصائدي غسان عند ما كنت لاحقًا بقومي غير خائف من أحد وعند ما كنت خائفًا هاربا من النعمان ، وضافت على مذاهبي . أى أنهم خير من يمدحهم في حال الأمن والخوف .

(٧) عفا : درس ، وذوحسا والفوارع وأريك والتلأع : أسماء مواضع ، وفرتي اسم امرأة . (المعنى) عفا من منازل فرتي ذوحسا وما جاوره من الفوارع وجاني أريك فتلك التلأع التي تدفع المياه إلى الروادي

ومنها :

- أَتَانِي — أَيْبَتَ اللَّعْنِ — أَنْكَ لُمْتَنِي وتلك التي تَسْتَكُّ منها المِسامِعُ (١)
- مِقَالَةٌ أَنْ قَدْ قُلْتُ : سَوْفَ أَنَالَهُ ، وذلك من تَلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعٌ (٢)
- لَعَمْرِي — وَمَا عَمْرِي عَلَى بَيْهِنٍ — لَقَدْ نَطَقْتُ بُطْلًا عَلَى الْأَقَارِعِ (٣)
- أَقَارِعُ عَوْفٍ ، لَا أَحَاوُلُ غَيْرَهَا وَجُوهٌ قُرُودٍ تَبْتَسِي مَنْ تُجَادِعُ (٤)
- أَتَاكَ أَمْرٌ مُسْتَبْطِنٌ لِي بِغُضَّةٍ لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلِ ذَلِكَ شَافِعٌ (٥)
- أَتَاكَ يَقُولُ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبٍ وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ (٦)
- أَتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقْوَلِهِ وَلَوْ كُنْتُ فِي سَاعِدَيْ الْجَوَامِعِ (٧)
- حَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِييسَةً — وَهَلْ يَأْتَمُنُّ ذُو أُمَّةٍ ، وَهُوَ طَائِعٌ — (٨)
- بُصْطَجِبَاتٍ مِنْ لِصَافٍ وَثَبْرَةٍ يُزْرَنَ إِلَّا ، سِيرُهُنَّ التَّدَافِعُ (٩)

(١) آيبت اللعن : كلمة يدعى بها للوك ، أى حفظت بما تلعن به . وتسنك : تضيق (المعنى) أتتى عنك ملامة يضيق عنها السمع و يأبأها .

(٢) مقالة مرفوع على أنه بدل من فاعل أتانى فى البيت السابق ، سوف أناله أى بأذى . أى وذلك خبر مفعول منك ومن مثلك من أهل القدرة والسلطان .

(٣) أراد بالأقارع بنى قريع بن عوف ، وكانوا وشوا به الى النعمان .

(٤) تجادع : تسام .

(٥) أى أتاك امرؤ منهم مستبطن لى بغضا له يشفعه آخر مثله من الأعداء بالوشاية .

(٦) هلهل بكعفر : صفة لقول ، أى أتاك بقول يخيف النسج كاذب ، ولم يأتك بالحق الواضح .

(٧) الجوامع : جمع جامعة وهى : الغل والقيد فى اليد أو العنق ، وكبئت أى ضيقت .

(٨) الأمة : الدين والاستقامة أى وهل آثم فى يمينى ، وأنا أدين لك وفى طاعتك .

(٩) لصف وثريرة ماء ان يستقى منهما الركبان على طريق مكة . وإلال جبل عن يمين إمام الحج

حيث يقف بعرفة (المعنى) حلفت بنوق مصطحبات للحجاج يمتطونها من لصف وثريرة الى عرفة حيث يتبين

الى إلال يزورنه ، ثم يقصدن مكة متدافعات فى السير أى يدفع بعضهن بعضا من الازدحام . وحلف بهذه

النوق التى تزور عرفة ومكة تعظيما لها .

- سَمَاءًا تُبَارِي الرِّيحَ خَوْصًا عِيُونُهَا لَهَنَ رِذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعَ (١)
- عَلَيْهِنَّ شُعْتُ عَامِدُونَ لِمَجْهَمٍ فَهِنَّ كَأَطْرَافِ الْحَنَى خَوَاضِعَ - (٢)
- لَكَفَّتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ ، وَتَرَكْتَهُ كَذَى الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعَ (٣)
- فَإِنْ كُنْتَ لِأَذْوِ الضَّغْنِ عَنِّي مُكَذِّبٌ وَلَا حَلِيفِي عَلَى السَّبْرَاءِ نَافِعُ
- وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرٍ - لَا مَحَالَةَ - وَاقِعُ (٤)
- فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ الْمَتَأَى عِنْدَكَ وَاسِعُ (٥)
- خَطَاطِيفٌ مَجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِيَ الْيَكِّ نَوَازِعَ (٦)

(١) السماء : طائرًا كبيرًا من الخفاف سريع الطيران ، وتبارى الريح : تعارضها ، وخصوصًا عيونها : أى ضيقات عيونها ، والرذايا : جمع رذية ، وهو المتروك المطروح من الإبل الهالك في أثناء الطريق . (المعنى) ترور هذه الإبل إلا لا حال كونهن سرعات السير كالسهم ضيقات العيون من الجهد وانقضاء الغبار ، وقد سقط منها هوالك في الطريق مودعة به .

(٢) شعث : جمع أشعث ، وهو المدبر الشعر من طول السفر المتفرقة ، والحنى : جمع حنية ، وهي القروس . (المعنى) على هذه التوق رجال شعث قاصدون للحج ، وقد أصبحت هذه التوق من عناء السفر ضامرة كالأقواس المبرية خاضعة الأعناق لإعياء وتعبا .

(٣) لكففتنى : جواب القسم . والعر : قروح مثل القوباء تخرج من الإبل متفسرة في مشاقرها وقوائمها ، فتكوى الصحاح في هذه المواضع لثلاث تعديها الأمراض . (المعنى) لقد أخذتني بذنب الجاني وتركته ، فأنا وهو كمثل التفصيل المعرور : يترك راتعًا يأكل ما شاء في مرعاه ، ويكوى غيره وهو سليم .

(٤) وأنت بأمر لا محالة واقع ، أى وأنت في أمر لا يبدأ واقع لا محالة .

(٥) فانك كالليل الخ أى فان عقابك ومؤاخذتك كالليل أى لا أنجو من عقابك مهما اتسعت أمامي مذاهب البعد منك والحرب عنك . وخص الليل دون النهار لأن الليل موحش يخشى شره كما يخشى عقاب الملك .

(٦) خطاطيف : خبر لمبتدأ محذوف أى لك بخطاطيف : جمع خطاف . أو مبتدأ متوغل الابتداء به الوصف وتمت خبره . ومجن : جمع أمجن أى معوج . (المعنى) أن لك خطاطيف تمتد إلى يها أيدى تنزع بي اليك وتجذبني .

- أَتُوْعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخْنُكْ أَمَانَةً وَيُتْرَكُ عَبْدٌ ظَالِمٌ وَهُوَ ضَالَعٌ (١)
وَأَنْتَ رَبِيعٌ يُنْعِشُ النَّاسَ سَبِيهُ وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَاطِعٌ (٢)
أَبِي اللَّهِ إِلَّا عَدْلُهُ وَوَفَاءُهُ فَلَا النَّكْرَ مَعْرُوفٌ ، وَلَا الْعُرْفُ ضَائِعٌ (٣)
وَتُسْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ بَزُورَاءَ ، فِي حَانَاتِهَا الْمَسْكُ كَانِعٌ (٤)

(٧) قَالَ أَعْشَى قَيْسٌ : (٥)

- وَدَّعَ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ (٦)

(١) الضالع : الجائر المذنب . (٢) السيب : العطاء .

(٣) أى أن الله عادل : ليس النكر مقبولا عنده ، ولا المعروف ضائعا وهو جاعل النعمان بارادته عادلا . واذا أعدنا الضمير على النعمان فالمعنى ظاهر أيضا .

(٤) التصريد : الشرب دون الرى ، وزوراء : دار كانت بالحيرة للناذرة ، وكنع المسك بالشىء : تراكم ولزق . والبيت دعاء للنعمان .

(٥) هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسى البكرى ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهم ، وينتهى نسبه إلى بكر بن وائل ، وكان يسكن أرض اليمامة فى قرية منها تسمى "منفوحة" ، قال الشعر وأجاده وذاع صيته ، ومدح الملوك والاجواد ، ومنهم المناذرة ، وملوك نجران ، حتى طمع فى جوائز كسرى ، فرحل إليه ومدحه ، وله شعر غزير جيد ، وقصائد مطولة ، وهو أحد المكثرين فى وصف الخمر . عرب فى شعره كثيرا من الالفاظ الفارسية بعد دخوله أرض فارس . ولشعره حلاوة ورنه فى نفس سامعه حتى سمى صناجة العرب ، ومات فى أوائل ظهور الإسلام ، وعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته القصيدة اللامية التى مطلعها :

ما بكاك الكبير فى الأطلال وسؤالى وما ترد مسؤالى

وقيل : معلقته هى القصيدة التى نحن بصدد شرحها .

(٦) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمر بن مرثد أهداها إلى قريب له ، فولدت خليدا الآتى

ذكره فى شعره . .

- غَرَاءُ فَرَعَاءٍ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَينِي كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحْلُ (١)
- كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرَّ السَّحَابَةِ ، لَارِيثٌ وَلَا عَجَلُ (٢)
- تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاسًا إِذَا انصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَتْ بِرِيحِ عِشْرِقٍ زَجَلُ (٣)
- لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِيرَانَ طَلَعَتَهَا وَلَا تَرَاهَا لَسِرَ الْجَارِ تَحْتَلُّ (٤)
- يَكَادُ يَصْرَعُهَا (لَوْلَا تَسَدُّدُهَا) إِذَا تَقَوَّمَ إِلَى جَارَاتِهَا — الْكَسَلُ (٥)
- إِذَا تَقَوَّمَ يَضُوعُ الْمِسْكَ أَصْوَرَةً وَالزَّنْبِقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرَادِنِهَا شَمْلُ (٦)
- مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشَبَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ تَبِطُّ (٧)

(١) الغراء : البيضاء الواسعة الجين ، والفرعاء : الطويلة الفرع أى الشعر ، والعوارض هنا : الرباعيات والأتياب من الأسنان ، يريد أنها نقيه الأسنان ، الوجي : الذى يشتكى حافره ولم يحف بعد ؛ فيكون شبه متاقلا ، فكيف اذا كان وحلا ؟ أى يمشى فى الوحل . يعنى : أن هذه الجارية لسمها وتدلها تمشى متمهله متاقلة .

(٢) الريث : البطء .

(٣) الوسواس : صوت الحلى ، والعشوق : شجرة مقدار ذراع لها أكام فيها حب صغار إذا جفت قوت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس طيبها بصوته اذا ضربته الريح .

(٤) تحتل : أى تسمعه استراقا .

(٥) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المترفات بالكسل وقلة العمل فى البيت لأنهن مخدومات

(٦) بضوع المسك : أى تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : يجع صوار بالضم ، وهو نابغة المسك أرحفه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسين ، وأجوده ما كان يميل الى حمرة ، ولذلك وصفه بالورد . (المعنى) اذا قامت هذه الجارية تضوع منها المسك شديدة رائحته كأنما تضوع من عدة حقائق ، وكذلك كانت رائحة زيت الياسين المنبعثة من أطراف أكامها شاملة عامة للكان الذى هى فيه .

(٧) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض

وقيعات .

- يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مؤزَّرٌ بِمِمْ النَّبِتِ مَكْتَهَلٌ (١)
- يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةِ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ (٢)
- صَدَّتْ هَرِيرَةٌ عَنَّا مَا تَكَلَّمْنَا جَهَلًا بِأَمِ خَلِيدٍ، حَبَلٌ مَنْ تَصِلُ؟ (٣)
- أَنَّ رَأْبَ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبِهِ رَبِيبُ الْمُنُونِ وَدَهْرٌ مُفْنِدٌ خَبِيلٌ (٤)
- قَالَتْ هَرِيرَةٌ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا: وَيَلِي عَلَيْكَ! وَيَلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ! (٥)
- إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً ؛ لَا نِعَالَ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَتَعِيلُ (٦)
- وَقَدْ أَقْوَدُ الصَّبَا يَوْمًا ، فَيَتَبَعُنِي وَقَدْ يَصَاحِبُنِي ذُو الشَّرَةِ الْغَزَلُ (٧)

(١) كوكب كل شيء : معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر ، أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها ، أو يفتح ويشرق عند شروقها ، وهذا الزهر مؤزر أى يكفه نبات تام النمو ملتف عليه كالنفاف الإزار .

(٢) الأصل : جمع أصيل وهو من العصر الى الظلام ، وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيب التسيم حاملا رائحة الأزهار ، وبأطيب خبر قوله ما روضة السابقة ، يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة .

(٣) أم خليلد : كنية هريرة وقوله (حبل من تصل ؟) استفهام تعجبى ، يعنى : اذا هجرتنا ولم تكلمنا فن تكلم إذن ؟ .

(٤) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، والمفند : الآتى بالفتد وهو السفه فى الرأى ، ومثله الخبال .

(٥) « ويلى عليك ويلى منك » أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك ، وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر لى هلاكى . (المعنى) أمن أجل أن رأيتى هريرة رجلا أعشى قد أهلك الموت أهله وخانه دهر سفیه فخبول تقول لى لما زرتها « ويلى عليك الخ » .

(٦) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شايأ غنيا طروبا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمتع للقيان وينعم بهن فقال : « إمام ترينا حفاة لانعال لنا ... الخ » أى إن ترينا نتبدل مرة فتمشى حفاة فليس هذا دائما فإنا نمشى أيضا منتعلين فطورا نفتقر وطورا نغنى .

(٧) أقود الصبا الخ : أى أتصايب ، وآتى بأفعال الفتيان ، ويصحبني منهم الغزل ذو الشرة ، وهى

وقد غدوتُ إلى الخانوت يتبعني	شاوٍ منشلٌ شلؤلٌ شلشلٌ شلؤلٌ (١)
في فتيّة كسيوف المنيدٍ قد علموا	أن هالكٌ كلٌّ من يحفى ويتعل (٢)
نازعهم قُصبَ الرّيحان متيكتنا	وقهوةٌ مُزّةٌ وأوقهها خِضل (٣)
لا يستفيقون منها، وهي راهنةٌ	إلا بهاتٍ، وإن علّوا، وإن نهّلوا (٤)
يسعى بها ذو زجاجاتٍ له نطفٌ	مقلصٌ أسفل السربال معتملٌ (٥)
ومستجيبٌ تحال الصنج يسمعه	إذا ترجع فيه القينة الفضل (٦)

(١) الخانوت: بيت الخمار، والشاوي: الذي يشوي اللحم، والمشل: السواق الخفيف، والشلؤل والشلشل:

المشترى، فيحمله له ويرفعه. (المعنى) قد أكر إلى حانة الخمار يتبعني غلام طاه يشوي لي اللحم ويسوق دابتي سوقا حسنا، ويحمل لي ما أشتريه في نشاط وخفة روح، وذكر هذه الألفاظ المتقاربة الحروف والمعاني مبالغة، ولكنها عيبت عليه.

(٢) أي كالسيوف في المضاء والصرامة وأن تخففة من الثقبلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وبجمله خبرها «هالك كل من... الخ» فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر. (المعنى) أي في فتيّة قد علموا أن جميع الناس هالكون فهم يتندرون اللذات خوف أن يفوتها الموت عليهم.

(٣) الرّيحان: كل زهر طيب الرائحة، ونازعهم قصب الرّيحان: أتناولها مرة ويتناولونها أخرى؛ والقهوة: الخمرة، والراوق: الوعاء الذي تروق فيه الخمر، وخضل: دائم الندى لا يجف لكثرة شربهم. (٤) راهنة: دائمة أمامهم أي لا يتنبون إلا إذا أبطأ عليهم الساق فصاحوا به «هات» ولو شربوا حلا بعد نهل أي مرة بعد أخرى.

(٥) النطف: القرطة من اللؤلؤ، ومقلص: مشمر، والسربال: القميص، والمعتمل: النشيط. (المعنى) يسعى بالخمرة ساق يحمل زجاجاتها مقرط الأذن بلؤلؤ، مشمر ذيله معتمل نشيط.

(٦) ومستجيب: أي ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فجيبه بجأ كأنه، أي أن العود والصنج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر. والصنج: دوائر رفاق من نجا، يصفق بإحداهما على الأخرى وهي التي نسميها في زماننا «الكاسات» وهو أيضا نوع من الآلات الورتية، وترجع: تردد النغم، والقينة: الأمة، وقيل: إذا كانت مغنية، والمرأة الفضل: التي تلبس ثوبا واحدا كأنها متبدلة.

والساحباتُ ذُيُولَ الرَّيْطِ آوِنَةٌ والرافلاتُ على أعجازها العِجَلِ (١)
من كل ذلك يومٌ قد لهُوتُ به وفي التجارب طولُ اللهُوِ والغَزَلِ (٢)

* * *

أبلغ يزيدُ بنى شيبانَ مَالِكَةً: أبا بَيْبَيْتٍ أَمَا تَتَفَكُّ تَأْتِكِلِ (٣)
أَلَسْتَ مَنْتَهِيًّا عَنِ نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلِ (٤)
كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا فَلَمْ يَضُرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوِعْلُ
تُعْرِى بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتِهِ يَوْمَ اللَّقَاءِ، فَتُرْدِي، ثُمَّ تَعْنِزِلِ (٥)
لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدْتُ عِدَاؤُنَا وَالتُّمَسَّ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضٌ مُحْتَمَلِ (٦)
فَلَحِمَ أَبْنَاءَ ذِي الْجَدِّينِ إِنْ غَضِبُوا أَرْمَاحَنَا، ثُمَّ تَلْقَاهُمْ، وَتَعْنِزِلِ (٧)
لَا تَقْعُدَنَّ، وَقَدْ أَكَلَتْهَا حَطْبًا تَعَوَّذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلِ (٨)

(١) والساحبات بالنصب على أنه مفعول لفعل مقدر : أى وترى الساحبات ، أو على أنه معطوف على الصنح ، أى وتخال الصنح يسمعه وتخال الساحبات كذلك ، أى يوافقن فى غنائهن نغم العود ، والريط : الملاوات ، وآوينة : جمع أوران . والرافلات : الجازات لثيابهن خلفهن ، والعجل : القرب الصغيرة شبه بها أعجازهن .

(٢) أى لهُوت وتغزرت طول بلا فى تجاربي .

(٣) المالكه : الرسالة ، وتأكل : يأكل بعضك بعضا من الغيظ .

(٤) أصل الأثلة الشجرة من الأثل ، والمراد بها هنا أصلنا ومجدنا المؤنل ، وأطت الإبل : أنت تعيا

وحنينا . (المعنى) لست بضارنا أبدا الدهر .

(٥) تغرى بنا رهط مسعود : أى تلتصق العداوة بيننا وبينهم فهلك الناس باغرائك ثم تعزل القتال .

(٦) عوض : ظرف لمستقبل الزمان ضد قط التى هى للماضى ، تقول عوض لا أفارك . أى لا أفارك

أبدا ، وتحتمل بالبناء للجھول . من احتمل الرجل أغضب . أى لا أظنك إن احترم الشر بيننا والتمس منك المساعدة تغضب للتمس وتنصره .

(٧) أى تجعلهم لحمه وطعاما لرماحنا وذو الجدين : قيس بن مسعود من أشرف العرب .

(٨) أكلتها : أجهتها ثم تعوذ بالله من شرها وتبتهل اليه فى اجتنابها .

- سائل بني أسد عنا، فقد علموا
 وأسأل قُشَيْرًا وعبد الله كلهم
 إنا نقاتلهم حتى نقتلهم
 قد كان في آل كهف إن هم احتربوا
 إني لعمر الذي خطت مناسمها
 لأن قتلتم عميدا لم يكن صددا
 لأن منيت بنا عن غيب معركة
 لا تنتهون . وان ينهي ذوو شطط
 أن سوف يأتيك من أنبائنا شكك (١)
 وأسأل ربيعة عنا كيف نقتل (٢)
 عند اللقاء، وإن جاروا، وإن جهلوا
 والخاصرية من بسى ويتضل (٣)
 تحدى ، ويسيق إليه الباقر الغيل (٤)
 لتقتلن منله منكم ، فتمتيل (٥)
 لا تلتفنا عن دماء القوم نقتل (٦)
 كالطعن يذهب فيه الزيت والقتل (٧)

(١) شكل : أزواج ، أى خير ثم خير .

(٢) نقتل : نأتى بالامر العظيم المبتدع .

(٣) آل كهف والخاصرية : حياض من العرب ، أى لقد كان في هذين الحيين من بسى لأخذ ثاره ويتاضل فا دخولك أنت بيتهم ولست منهم .

(٤) خطت : سفت التراب بمناسمها ، والمناسم : جمع منسم كجلس ، طرف الخف من البعير وتحدى : تدرع في السير مع اضطراب ، والباقر : البقر ، والغيل ككتب ، جمع غيول : الكثير من الإبل والبقر ونحوها (المعنى) إني أحلف بالله الذى ترحل إلى بيته إبل الحجيج سرعة تثير التراب بمناسمها ويساق إليه البقر الكثير ليضحى به هديا يتقرب به إليه .

(٥) العميد : السيد ، وصدد الشيء : المقابل له أو القريب منه فتمتيل أى تخير الأمثل فالأمثل (المعنى) لأن قتلتم منا سيدا لم يكن في روضة الشأن مقاربا للقاتل لتقتلن به أفضل سيد فيكم .

(٦) منيت : أصيبت وابتليت بنا بعد معركة ، ونقتل : نلوى ونصرف (المعنى) لأن ابتليت بحربنا لا نجدنا نججد دماء قومك ونشربا منها بل نعرف بها ونستعد للقاتل عند ما تريدون أخذ النار منا .

(٧) الشطط : الجور والظلم أى أنكم لا تتوبون عن أذانا ، ولا ينهاكم عن ظلمنا الا طعنة حاففة إذا عولجت بوضع الزيت والقتيل ذهب الزيت والقتيل فيها لغورها ، ولم يغن العلاج وبقى الجرح بلا يبره .

- حتى يَظَلُّ عَمِيدُ الْقَوْمِ مَرْتَفِقًا يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةً عَجَلٌ (١)
- أَصَابَهُ هِنْدُوَانِيٌّ، فَأَقْصَدَهُ أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مَعْتَدِلٌ (٢)
- كَلَّا! زَعَمْتُمْ بِأَنَا لَا نَقَاتُكُمْ إِنَا لِأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قَتْلٌ (٣)
- نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنُوِّ ضَاحِيَةٌ جَنِّي فُطَيْمَةَ لَا مَيْلَ وَلَا عَزْلٌ (٤)
- قَالُوا: الطَّعَانُ، فَقَلْنَا: تِلْكَ عَادَتُنَا، أَوْ تَنْزِلُونَ، فَإِنَا مَعَشَرَ نَزْلٍ (٥)
- قَدْ نَخْضِبُ الْعَيْرَ فِي مَكُونٍ فَائِلِهِ وَقَدْ يَشِيْطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ (٦)

(١) العجل : جمع عجول : المرأة الثكلى ، أى لا تتهون عن غيكم حتى نصرع سيد قومكم ، فيظل معتمدا على مرفقه بهم بالقيام فلا يستطيع ، وقد فرغته أنصاره أو قتلوا ، ولم يبق مدافع عنه إلا نسوة .
ثكلى يدفعن عنه بأكفهن خشية أن تدوسه الأرجل .

(٢) الهندوانى : المنسوب الى الهند أى سيف هندوانى ، وأقصده : أصابه فلم يخطئه . أو ذابل : أى رخ ذابل من رماح الخط وهى بلد فى البحرين تجلب منها الرماح .
(٣) قتل : جمع قتول أى قتال .

(٤) الحنو : المعوج من جبل ورمل ومن كل شىء . : ويوم الحنو : من أيامهم ويسمى « حنو فرائر ، وحنو ذى قار » . وفطيمة : اسم موضع بالبحرين انتصر فيه قومه على بنى شيبان . وقيل الشىء ضاحية : أى علانية — والميل : جمع أميل وهو الذى لا يثبت فى القتال . والعزل : جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه وحركت الزاى بالضم (المعنى) نحن الفوارس المنتصرون علانية يوم الحنو بجانبى وادى فطيمة حيث لم تكن ثمة فارسين ولا عزلا من السلاح .

(٥) أى أو تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح فانا مثلكم نازلون .

(٦) العير : المراد به هنا حمار الوحش الذى يصاد بالرماح ، والفائل : عرق يجرى من الجوف الى الفخذ . ومكنون فائله : الدم الذى ينفجر منه . ويشيط : يهلك (المعنى) انا بصراء بموضع الطعن فاذا كان الصيد والطردها حمار الوحش فى فائله نخضبنا العير بدماثة التى تنزف منه ، واذا كان القتال طعنا الفارس فرغناه على رماحنا .

(٨) قال طرفة بن العبد (١) :

نَحْوَلَةَ أَطْلَالٍ بِبِرْقَةٍ تَهْمِدُ تَلُوحُ بَكَائِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ (٢)
 وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدُ (٣)
 كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءٌ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ (٤)
 عَدْوِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا ، وَيَهْتَدِي (٥)

(١) هو طرفة بن العبد البكري أحد نخول شعراء الجاهلية ، مات أبوه وهو صغير ورباه أعمامه ، ومال الى البطالة وقول الشعر ، وتعرض به لهجاء الناس والملوك ، وكان من هجاء عمرو بن هند ، فجاء يوما يتعرض لمعروفه ، فأحاله على عامل له بالبحرين بأن يأخذ جائزته منه ، وأوعز ابن هند الى الوالي بقتله فقتله وهو شاب لم تزد سنه على ست وعشرين سنة . وهو من أوصف الناس للناقة ، يميل الى الغريب من اللفظ والكناية حتى تكاد تخفى معانيه في بعض أبيات من شعره ، وله ديوان صغير أشهره معلقته التي نحن بصدد شرحها .

(٢) نخولة : اسم امرأة . والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد درومها . والبرقة في الأصل : المكان الذي اختلط ترابه بحجارة أو حصى براق . وبرقة تهمد : اسم ديار محبوبته . الوشم : النقش على اليد بالنيلج أو بصنع أسود بعرز الإبر في الجلد .

(٣) وقوفًا : منصوب على أنه حال وهو جمع واقف ، وصحبي فاعل للفظ (وقوفًا) لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله ومطيئهم مفعول لأنه بمعنى حبس المتعدى . (المعنى) لاحت لى هذه الأطلال ، وأصحاب حابسون مطيئهم من أجل في هذه البقعة ناصحين لى بالتجلد والصبر . يقولون : لا تهلك حزنا وتجلد .

(٤) الحدوج : جمع حدج وهو مركب يوضع على الجمال للنساء خاصة . والمالكية : أى المنسوبة الى بنى مالك بن سعد . والخلايا : جمع خلية ، وهى السفينة العظيمة . والنواصف : جمع ناصفة ، وهى الرحبة الواسعة فى الوادى . ودد اسم مكان (المعنى) كأن هوادج المالكية وهى تسير بالرحاب الواسعة من المكان المسعى ددا سفن عظيمة لكبرها وتمايلها ثم أخذ فى وصف هذه السفن فقال عمولية الخ .

(٥) عدولى : قرية بالبحرين كان أهلها يصنعون السفن العظيمة . وابن يامن ملاح أو تاجر من أهل هجر . ويميل بها الملاح : أى يجور بها عن طرق السفن المسلوكة طورًا ويهتدى طورًا على حسب تصاريف الرياح .

يَسُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمَفَايِلَ بِالْيَدِ (١)
 وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرٌ سَمَطَى لُؤْلُؤَ وَزَبْرَجِدٍ (٢)
 خَذُولٌ تُرَاعَى رَبَّابًا بِجَمِيلَةٍ تَتَاوَلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي (٣)
 وَتَبْسِمُ عَنِ الْمَى كَأَنَّ مَنْوَرًا تَخْتَلُّ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصَ لَهُ نَدَى (٤)

(١) الحباب: موج البحر المزبد. والحيزوم: الصدر. والمفايل: الذي يلعب لعبة الفيال أو المفايلة، وهي لعبة لصبيان الأعراب، وهي تراب يكومونه، ثم يخبثون فيه خبيثا، ثم يسق المفايل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين، ثم يقول: في أي الجانبين خبات؟ فان أجاب المسئول بالصواب ظفر وإلا قر وظب.

(٢) وفي الحي: أي في منازل القبيلة ظبي أحوى، أي أسود العين، يريد به محبوبته، ثم ذكر بعض أوصاف الظبي وبعض أوصاف المحبوبة فقال: هذا الظبي ينفض المردي أي يأكل ثمر الأراك نقضا بقمه. شادن: أي صغير السن. وهذه المحبوبة تتقلد سمطين أحدهما فوق الآخر، سمطا من اللؤلؤ، وسمطا من الزبرجد. واللؤلؤ: خرز كريم يكون في جوف نوع من الأصداف. والزبرجد: جوهر كريم من جواهر البر أخضر اللون.

حشية أو الظبية إذا خذلت صواحبها وأقامت على ولدها وهي خاذل أيضا وصفها على التشبيه هنا بوصف المؤنث. وفي السابق بوصف المذكر بقوله (أحوى) من أجل أن هذه المرأة تشبه الغزال مرة وتشبه مرة البقرة الخذول وإن رعت مع صواحبها لا تزال تتأفت إلى ولدها والهة عليه ترنو إلى ناحيته يحنو. وذلك ما يريد في وصف محبوبته عند تلفتها ونظرها بتدليل لمن يراعيها. وتراعي بمعنى ترعى مع غيرها. والررب: القطيع من البقر والظباء. والخميلة: الأرض اللينة ذات الأشجار الكثيفة الغضة المهذلة. والبرير: ثمر الأراك (المعنى) أن هذه الفتاة حسنة التأفت والنظرات كأنها مهاة مذعورة على ولدها، فهي إن رعت مع صواحب لها خذلتها واجتنبت من ولا تزال متلفتة إلى ناحية ولدها، وهي متنعمة كالمهاة التي ترعى البرير وتدخل في خلال أغصان الشجر فتكون كأنها مرتدية بها.

(٤) النغر الأملى: الأسمر اللثة، وهم يمدحون سميرتها لدالاتها على اكتناز الدم فيها، وهو أمانة الصحة. والمؤور: صفة لموصوف محذوف أي كأن أخوانا متورا. وخبر كأن محذوف تقديره (هو) وتخلل الشيء حل في خلله. وحر الرمل خالصه. والدعص: الكثيب من الرمل (المعنى) أن الحميبة تبسم عن نغر كأن فيه أخوانا منورا تخلل دعصه الندى الذي نبت فيه رملا خائضا نقيا. والأخوان الذي ينبت في الرمل الندى النقي يكون أنقى بياضا.

سَقَّتْهُ إِيَّاءُ الشَّمْسِ إِلَّا لِئَاتِيَهُ
وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداًهَا
وَإِنِّي لَأَمْضِي أَلْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ
إلى أن قال :

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي :
وَجِاشْتُ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفًا ، وَخَالَهُ
مُصَابًا ، وَلَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرَصِدٍ (٥)
أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا ، وَأَفْتَدِي (٤)
عِنَيْتُ ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَدَّلِ (٦)
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ قَتَى ؟ خَلَّتْ أَنْتَى

(١) وصف النفر : باعتبار بياض أسنانه بأن سقته إيَّاء الشمس أي ضوؤها بياضا وحسنا أي أشربه حسنا . واستثنى اللثة لأن بياضا عيب ودليل على ضعف الدم بل هي سماء كأنما نقرها أسف بأتمد أي ذزع عليه الأتمد وهو الكحل فأسودت لثته وبقيت مرسله على الأسنان لم تنقلص إلى أعلى لأنها مترفة في الماء كل لا تكدم على نقرها بأكل الأشياء اليابسة الغليظة التي تكشف اللثة عن أصول الأسنان بل تأكل اعم اللين .

(٢) ووجهه : ولها وجه أبيض كأن الشمس خلعت رداءها عليه فهو نقي اللون لم يتخذ أي يتكسر جلده ويتغضن فيطني ذلك رونقه .

(٣) أمضي : أنفذ ، والهيم ما يهيم من الأمور ، واحتضاره : حضوره . والعوجاء : الضامرة المتصقة البطن ، فتكون معوجة الأسفل . والمرقال : السريعة السير ، وتروح وتفتدي : أي تصل سير الرواح بسير الغدو . أي إذا همني أمر يستدعي السفر أمضيه من ساعة حضوره بركوب ناقة ضامرة سريعة تصل الرواح بالغدو .

(٤) على مثلها الخ : أي على مثل الناقة أسير في القلاة الموحشة التي يقول صاحبي من خوفها : إناها لكون ، فياليتني أقدر على أن أفديك منها ، وأفندي نفسي — وصغير فيها يعود على القلاة المفهومة من المقام كقوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » أي الشمس .

(٥) وجاشت إليه النفس خوفاً : أي ارتفعت ، فلم تستقر : كما تجيش القدر إذا ارتفع غليانها . والمرصد : المكان الذي يرصد فيه اللصوص والأعداء من يترهبهم (المعنى) وذعرت نفسه ، وظن نفسه مصابا هالكا ، ولو لم يكن هناك من يرصده . ثم أخذ يفتخر بخصاله فقال « إذا القوم الخ ... » .

(٦) أي إذا قال القوم : من قتي لسلوك هذه القلاة وإمضاء هذه المهمة العظيمة ؟ علمت أنهم يعنونني ؟ فقامت بها غير كسل ولا متبلد .

- أَحَلَّتْ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ ، فَأَجْدَمْتُ وَقَدِ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمُتَوَقِّدِ (١)
فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلَيْدَةُ مُجَلِّسِ تُرِي رَبِّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدِّدِ (٢)
وَلَسْتُ بِجَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ (٣)
فَإِنْ تَبِعْنِي فِي حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلَقَّنِي وَإِنْ تَلْتَمِسُنِي فِي الْحَوَائِثِ تَصْطَدِ (٤)
مَتَى تَأْتِي أَصْبَحُكَ كَأَمَّا رَوِيَّةٌ وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَا غِنَى فَاغْنِ وَازْدِدِ (٥)
وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَى الْجَمِيعُ تَلَاقِنِي إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ الْمُصَمِّدِ (٦)
نَدَامَايَ بَيْضٌ كَالنَّجُومِ وَقَيْنَةٌ تَرُوحُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَبِحَسَدِ (٧)

(١) القطيع : السوط ، وأحلت على الناقة بالقطيع ضربتها به ضربا في إثر ضرب . وأجذمت : أمرعت ، وخب : ارتفع . والآل : السراب ، أو هو سراب أول النهار خاصة . والأمعر والمعزاة : المكان الغليظ الكثير الحصى ، والمتوقد : المتهب بالحر (المعنى) قت بسلوك هذه المفازة فركبت فاقتي ، وضربتها بالقطيع فأسرعت ، وقد اشتد الحر وارتفع السراب في الأماعر المتهبة من الحر .

(٢) فذالت أى ماست وتجنزت . والوليدة : الجارية المولدة في بلاد العرب . والسحل : الثوب الأبيض (المعنى) فتبخرت هذه الناقة كما تبخر جارية تعرض في مجلس سيدها تجر أذيال ثوبها الأبيض الضافي .

(٣) التلاع : جمع تلعفة ، وهى مجارى المياه من رموس الجبال إلى الأودية حيث تشق فيها شقا . واسترقد : طلب الرشد وهو المعونة والعتاء (المعنى) لست ممن يستتر فى التلاع وشقوق الجبال مخافة الضيفان والمسترفدين ، ولكن متى يطلب القوم إعانتى أعنهم .

(٤) الحانوت : حانة الخمارين أى أنى رجل جد إذا جد الأمر ، ورجل هو إذا فرغت .
(٥) يقول إذا جئتنى أصبحك شرب كأس ترويك ، وإن كنت غانيا عنها بما عندك فاغن به وازدد بما عندنا .

(٦) ذروة كل شىء : أعلاه . والمصمد : الذى يصمد اليه فى الحوائج أى يقصد (المعنى) إن يجتمع الحى للفاخرة بالأنساب تجدىنى أتمى الى أعلى بيت شريف يقصد فى الحوائج .

(٧) الندامى : جمع نديم . والقينة : الأمة المغنية وقد تطلق على الأمة أيا كانت . تروح علينا أى تأتينا عشية . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران أو الثوب الذى يبل الجسد وهو =

- إذا نحن قُلْنَا : أسمعينا ، أنبرت لنا
إذا رجعت في صوتها خلت صوتها
وما زال شرابي الخمر ولذتي
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها
وأيت بني غبراء لا ينكرونني
ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي
على رسلها مطروفة لم تسدد (١)
تجاوب أظار على ربع ردى (٢)
وبيعى وانفاق ، طريفى ومُتلى (٣)
وأفردت أفراد البعير المعبد
ولا أهل هذالك الطراف الممدد (٤)
وأن أشهد اللذات ، هل أنت مُحلى (٥)
قدعنى أبادرها بما ملكت يدي (٦)

= الشعار (المعنى) ندامى أحرار بيض ليسوا مولدين من إماء سود فهم مثل النجوم الوضاء ، ومن ندامى مغنية محبى . أينا عشية عليها برد تحته قبض أحر اللون ، أو تحته قبض واحد على جسدها .

(١) أى إذا قلنا لهذه المغنية : أسمعينا غناك اعترضت لنا وظهرت تغنى على رسلها هيئة فى رفق وتؤدة ،

حطروقة العين (أى ساكنة الطرف) لم تبلغ فى صياحها .

(٢) رجعت فى صوتها : كررت النغم . والأظار : جمع ظئر ، وهى هنا الناقة المرضع . والربع : الفصيل

الذى ولد فى الربع . والردى : الهالك (المعنى) إذا رجعت هذه المغنية فى صوتها أشبه حين صوتها حين

النياق التى فقدت فصلاتها .

(٣) شرابي : أى شرى . والطريف : المسال الذى يكتسبه المرء بنفسه . والتلبد والتلد : الذى يرثه

عن آبائه ، والمعبد : البعير الأجرى المطلى بالقطران المعبد عن الإبل (المعنى) ما زال شرابى للخمر ولذتى بها

وبيعى وانفاق لأجلها هو كل ثوق الحديثة والقديمة حتى تحامتنى عشيرتى لإفراطى فى اللذات ، وأصبحت

متفردا بلذاتى عنهم كالبعير الأجرى .

(٤) الغبراء : اسم للأرض . وبنو غبراء : الفقراء أو الأضياف . والطراف : القبة من الجسد

يتخذها المياسير والأغنياء . والممدد الذى مد بالأطناب (المعنى) إن اعتزلونى لا أكن مجهولا ، فإن الفقراء

يعرفوننى بمطاني لهم ، وكذلك الأغنياء بلذاتى وشرف نسبي .

(٥ و ٦) الوغى : الحرب (المعنى) يا من يزجرنى من أجل حضورى الحروب وانهماكى فى اللذات بأن

كلا منهما يجر الى الموت هل أنت ضامن لى الخلود فى الدنيا ؟ فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى قدعنى أستبق

إياها بانفاق ما ملكت يدي فى لذاتى .

- أرى قبرَ نَحَامٍ بَنِيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ (١)
- تَرَى جُثُوْتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِحُ صَمٍّ مِنْ صَفِيْحٍ مُنْضَدٍ (٢)
- أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيْلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمَتَشَدِّدِ (٣)
- أَرَى الْعِيْشَ كَثْرًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَقْصِرُ الْأَيَّامُ وَالْدَهْرُ يَنْفَدِ (٤)
- لَعَمْرِكَ إِنْ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لِكَالطَّوْلِ الْمُرْتَحَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ (٥)
- مَتَى مَا يَشَأُ يَوْمًا يَقْدُهُ لِحَنْفِهِ وَمَنْ يَكُ فِي حَبْلِ الْمَيْتَةِ يَنْقَدِ (٦)

*
* *

- (١) النحام : الكثير النجم ، وهو النجنج بخلًا ، والمراد بالغوي هنا المسرف في ماله المبدد له بانفاقه في غير صالح .
- (٢) الجنوة : الكومة من التراب أو الحجارة ، والصفائح : جمع صفيحة وهي الحجر العريض كالبلاط . المنضد : المصنف المسون بعضه الى بعض — أى أن البخيل والمسرف يتساويان بعد موتهما ؛ فلكل منهما قبر عليه كومة من التراب وبعض حجارة مصففة .
- (٣) يعتام : يصطفى ويختار . وعقيلة كل شيء . : خيرته وأنفسه عند أهله ؛ فهم يعقلونه أى يمنعونه الناس لذلك . والفاحش المتشدد : الشديد البخل .
- (٤) العيش هنا : العمر والحياة .
- (٥) ما أخطأ الفتى : أى مآءة إخطائه له بإبقائه حيا دهرًا طويلا . والطول : الحبل ، وثنياء : طرفاه المتثنيان منه . (المعنى) أن الموت إذا أغفل بعض الناس ، فطال عمرهم لا يخرجون عن قدرته وسلطانه ؛ فثله كمثل من بيده طرفا حبل مربوط برأس فرس إذا شاء جذب به اليه فانقاد له . كذلك الإنسان لا محالة ميت ، وإن طال عمره .
- (٦) الحنف : الموت — يقول : إن زمام الإنسان بيد الموت متى أراد جره الى هلاكه . ولا مناص للره من الموت .

ومنها :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند (١)

*
*

ومنها :

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً، ما أقرب اليوم من غدا!

عندي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود (٣)

ويأتيك بالأخبار من لم تبسح له بقاتاً، ولم تضرب له وقت موعده (٤)

*
*

(١) أشد مضاضة : أى أشد حرقة وألم

(٢) الأعداد هنا : جمع عدد بكسر العين ، وهو الماء الدائم الذى لا تنقطع مادته مثل ماء العيون لا يبارلا ماء القدران . (المعنى) أرى الموت مورداً للأحياء دائماً لا يفنى ؛ فهم دائماً واردوه .

(٣) أى منظر لك الأيام ما كان خافياً عليك ، ويأتيك بالأخبار من لم تسأله عنها وتتكلف مؤونة زادم ليسافر ويحلبها لك .

(٤) تبسح : هنا بمعنى تشتري ، وهو من كلمات الأضداد فى اللغة . والبسات : الزاد والجهاز .

وقال أيضا :

سائلوا عنا الذى يعرفنا	بقوانا يوم تحلاق اللمم (١)
يوم تبدي البيض عن أسوقها	وتلف الخيل أعراج النعم (٢)
أجدر الناس برأس صلدم	حازم الأمر شجاع في الوغم (٣)
كامل يحمل آلاء الفتى	نبيه سيد سادات خضم (٤)
خير حى من معد علموا	لكفى ولجار وابن عم (٥)
يجبر المحروب فينا ماله	ببناء وسوام وخدم (٦)
نقل للشحم في مشتاتنا	نحر للنبي طرادو القرم (٧)

(١) يوم تحلاق اللحم : يوم انتصرت فيه بكر على تغلب من أيام البسوس ، وكان يقود بكرا الحارث ابن عباد البكرى ، وقد أمر بخلق شعورهم لتمييزها .

(٢) أى النساء البيض أى يوم يكشفن عن سوقهن ، كناية عن هول ذلك اليوم ، والأعراج : جمع عرج بفتحين ، القطيع من الإبل من الثمانين فما فوق ، والنعم : الإبل ، واللف : الجمع والقسم ضد النحر . أى وتحوز خيلنا أى فرسانها قطائع إبل تغلب .

(٣) الرأس الصلدم : القوى الصاب ، ويريد به هنا رأس القوم في الحرب ، أى رئيسهم ، والوغم : الحرب . (المعنى) نحن أجدر الناس بأن يقودنا رئيس قوى حازم شجاع في الحرب .

(٤) الآلاء : جمع ألا (كعصا) أو ألو (كدلو) ، ومن معانى الألو والألا : العطية والنعمة والجهد وكلها مناسبة هنا . والخضم : السيد الخمول المعطاء ، خاص بالرجال أى إن هذا الرئيس كامل يحمل نعم الفتى الكامل أى يتصف بحماسة ، أو يتحمل عطاء الفتى القاصد له ، أو يتحمل ضعفه وجهده باعانه وحمايته .

(٥) نحن خير حى من قبائل معد — وعلموا بالبناء للعلوم أى عرفونا بذلك . والكفى : الكاسف اللون المتغيره بؤسا — أى نحن خير حى في معد عرفه الناس مرجوا للكفى ولجار ولابن العم .

(٦) المحروب : المسلوب المال . والبناء : المسكن ، والسوام كسحاب : الإبل السائمة — أى أن المسلوب المال إذا أقام فينا جبرنا ماله ، وأسكناه وأعطيناه إبلا سائمة وخداما .

(٧) نقله : أعطاه نفلا أى عطية ، والقرم : شدة اشتواء اللحم بعد العهد بأكله . يعنى أننا نعطي من يقصدنا الشحم في الشتاء ، وهو زمن الجهد ونحر النوق التيب ، ونطرد عن مشهى اللحم قرمه بإطعامه إياه .

- تَزَعُ الجَاهِلَ فِي مَجْلِسِنَا قَرَى المَجْلِسَ فِينَا كَالْحَرَمِ (١)
- وَتَفَرَعْنَا مِنْ ابْنِي وائِلِ هَامَةَ المَجْدِ وَخُرطُومِ الصَّكْرَمِ (٢)
- مَنْ بَنَى بَكَرًا إِذَا مَا تُسَبَّوْا وَبَنَى تَغْلَبَ ضَرَابِي البَهْمِ (٣)
- حِينَ يَنْجِي النَّاسَ نَجْمِي سِرْبِنَا وَاصِحِي الأَوْجِهَةِ مَعْرُوفِي الكَرَمِ (٤)
- بُحْسَامَاتٍ تَرَاهَا رُسْبًا فِي الضَّرِيبَاتِ مُتْرَاتِ العُصْمِ (٥)
- وَقَوْلٍ هَيْكَلَاتٍ وَوَيْحٍ أَعْوَجِيَّاتٍ عَلَى الشَّأْوِ أَرْزَمِ (٦)
- وَقَنَا جُرْدٍ وَخَيْلٍ صُفْرٍ شُرْبٍ مِنْ طُولِ تَعْلَاكِ البَلْجَمِ (٧)

(١) تزع : مضارع وزع بمعنى كف وزجر . والحرم : ما يحارب عنه الإنسان ويحميه ، أو أنه يريد حرم مكة — بمعنى أننا تكف الجاهل فلا يأتي في مجلسنا بسفاهة فكان مجلسنا حرم نحميه أو حرم يلحزم ديننا .

(٢) على صيغة الماضي يسكون العين والخرطوم الأنف — أي وقد تفرعنا ونسلنا من ابني وائل بكر وتغلب اللذين هما بمنزلة هامة للجد ، ويكونون بالأنف عن الأئمة والعز والشتم .

(٣) ثم فسر معنى ابني وائل بأنهما بكر وتغلب وضرابه البهم . جمع بهمة وهو الشجاع لا يعلم من أين يضرب .

(٤) والسرب بالكسر : النساء أو النفس .

(٥) جمع الحسام على حسامات نادر . ورسب : جمع راسب ، وهو السيف يغيب في القمريية . وإذا فرقت رسبا ككتب كان جمع رسوب بمعنى الراسب أيضا . والوزن لا يمنع من ذلك والمتر القاطع ، والعصم : جمع عصام ، كل ما يعصم الشيء . وبشده و يربطه من الخيال ونحوها وقيل : أراد بها المعاصم على المعنى لأنها تعصم البدن بالدفع عنه .

(٦) الفحل : الذكر من كل حيوان ، ويريد بالفحول هنا الخيل الذكور ، والهيكل : العظيم الجسم ، ووجهه على هيكلات نادر ، وويح : جمع وقاح ، يريد القرم الصلب الحافر ، وأعوجيات : جمع أعوجي ، وهو القرم ينسب إلى أعوج : اسم فرس كريم عتيق ، وأزم : جمع أزم ، وهو القرم يعض على فأس الجلام من شدة نشاطه . والشأر : السبق ، أي ونجى سربنا بخيول فحول صلبة الخوافر أعوجيات شديدة في السبق .

(٧) وقنا جرد : أي رماح مجزدة من الكعوب الغليظة ، وخيل صفر : أي ضامرات ، وشرب : ضامرات صلاب ، وتعلاك اللحم وعلكها تحريمها والعض عليها بالقم . والبلجم : جمع لجام .

آدَت الصنعةُ في أمثِها	فهى من تَحْتُ مُشِيحَاتُ الحُزْمِ (١)
تَتَّقِي الأرضَ بِرِجٍ وَوَجْحٍ	وَرِقٍ يَقْعَرْنَ أَنْبَاكَ الأَتَمِّ (٢)
وتَفَرَّى اللُّحْمُ من تَعْدَائِها	والتغالي ؛ فهى قُبُّ كالعجم (٣)
خَلَجَ الشَّدُّ مُلِحَاتٍ إِذَا	شالت الأيدي عليها بالجذم (٤)
قَدَمَا تَنْضَوِ إِلَى الدَّاعِي إِذَا	خَلَّلَ الدَّاعِي بدَعْوَى ، ثم عم (٥)
بِشِبَابٍ وَكُفُولٍ نَهْدٍ	كَلِيوِثٍ بَيْنَ عَيْرِيسِ الأَجَمِّ (٦)

(١) آدى : قوى . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه والعناية بلفه وتسميته ، والأمتن : جمع متن ، وهو الظهر . ومشيات الحزم : أى أن أحزمتها متقدمة الى الأمام ، أو أنها مرتفعات الحزم لعظم صدرها ومنها — يعنى أن هذه الخيل قد قوى متونها وأعظمها حسن القيام على علفها حتى إنك لترى حزمها من تحتها مرتفعات جدا لعظم متنها وصدرها .

(٢) الأرح : الحافر العريض ، والجمع رح . ووج : جمع وقاح ، وهو الحافر الصلب ، وورق : جمع أورق ، وهو الذى لونه الورقة ، وهى سواد فى بياض قليل كلون الرماد ، ويقعرن : يقتلن ، والأنباك : جمع نبك ، وهى الأرض المرتفعة أو الأكمة المحددة الرأس . أى تتق تأثير مشيها على الأرض بحوافر صلبة ورفاء تقتلع الآكام .

(٣) تفرى : تشقق ، وتفرت العين : انجست بالماء ، وكلا المعنيين مناسب ، والتعداء : العدو والتغالي : شدة الارتفاع ، يريد صعود المرتفعات ، والقب : جمع أقب ، والقبب دقة الخصر وضهور البطن ، وهو من محاسن الخيل ، والعجم : نوى كل شىء (المعنى) أن هذه الفرس يتشقق لحمها وينبجس بالقرق من شدة عدوها وصعودها الآكام فأصبحت لذلك ضامرة البطن دقيقة الخصر يابسة العضل ، كأنها النوى فى البيوسة .

(٤) الخليج : جمع خلوج ، وهى السريعة الجرى ، والشد : العدو . والملحات : المنصبات فى الجرى من ألح السحاب : دام مطره ، وشالت الأيدي : ارتفعت . والجذم : جمع جذمة ، وهو السوط .

(٥) قدما تنضو : أى تسبق وتسرع قدما أى تجرى أمام أمام بدون انحراف ، وخلل : خصص . والداعى : المستغيث — أى تسرع الى نجدة المستغيث قدما اذا خصص بادئ بدء . فصاح : يالفلان ! ثم اضطر بعد الى التعميم لاشتداد الكرب عليه فعمم الدعوى .

(٦) والنهد : جمع ناهد ، وهو الشجاع الذى يمشى على كل حال وهو أيضا الأسد ، والعريس : مأوى الأسد . والأجم : الأجمات .

(٩) الحارث بن حلزة اليشكري (١)

من معاقته التي مطلعها :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوِيْمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ (٢)

* * *

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْزِ بَاءَ خَطْبٍ نَعْنَى بِهِ وَنَسَاءُ (٣)
أَنْ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُوْنَ نَ عَلَيْنَا فِي قَيْلِهِمْ إِحْفَاءُ

(١) هو الحارث بن حلزة اليشكري أحد فحول الشعراء المقلين ، وصاحب المعلقة الحمزية المشهورة . كان في بكر بن وائل بمنزلة عمرو بن كلثوم في تغلب شجاعة وحاسة وفضاحة وارتجالا . وكثير من الرواة يقولون ؛ إنه ارتجل هذه القصيدة بحضرة الملك عمرو بن هند إثر ملاحاة وجدال بين أعيان بكر وتغلب عند الملك عمرو ، وكان يتعصب لتغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وارتجلها على طولها وكثرة غريبها ، يفخر بقومه وأيامهم في حروب البسوس مع تغلب ، وفي غيرها . وعمر الحارث طويلا .

(٢) أذنتنا : أعلنتنا ، وبينها : بفراقها لنا ، وناو : مقيم . أى كثيرا ما تركه إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفه أو لشده ، وليست أسماء من هؤلاء ، ففراقها شاق علينا .

(٣) نعى به : نقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبني بكر قبيلة الشاعر ، ويغنون علينا : يتجاوزون الحد في التقول علينا ، والقبيل : القول ، والإحفاء : شدة الإلحاح والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الأخبار خبر يقصد به إساءتنا ، وهو أن الأراقم من تغلب يغالون وينشدون في نسبة مالم تفعل البنا .

- يَخِاطُونَ الْبِرِّيَّ مَنَّا بَدَى الذَّنْبُ مَب، وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ (١)
- زَعَمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْدَ رَ مَوَالٍ لَنَا ، وَأَنَا الْوَلَاءُ (٢)
- أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ :
- مَنْ مُنَادٍ ، وَمَنْ مُجِيبٌ ، وَمَنْ نَصٌّ هَالٍ خَيْلٍ ، خِلَالِ ذَلِكَ رُغَاءُ (٣)
- أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمَرْقُشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ (٤)
- لَا تَحْتَنِنَا عَلَى غِرَاتِكَ ؛ إِنَّا قَبْلُ مَا قَدَ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ (٥)
- أَفْبِقِينَا عَلَى الشَّنَاءِ تَنَمِيَةً بِنَا حُصُونٍ ، وَعِزَّةً قَعَسَاءُ (٦)
- قَبْلَ مَا الْيَوْمَ بَيَّضَتْ بَعْيُونَ النَّاسَ فِيهَا تَعِيْطٌ وَإِبَاءُ (٧)

(١) الخلى هنا : الخالى من الذنب ، والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، أى لا تنفع البرى . عندهم براءة من الذنب فهم يأخذونه بذنوبهم .

(٢) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه ؛ فعندهم أن كل من ضرب حمارا مثلا مذنب ، وأنه من موالينا وأنصارنا ، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره .

(٣) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ . قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للإرتحال وأصدق وأوضحه تصويرا للحقيقة .

(٤) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ : أى لتزينك الباطل دوام .

(٥) لا تحتلنا : أى لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لا تحسبنا جازعين لإغرائك الملك بنا ؛ فن قبلك وشى بنا الأعداء فلم يفلحوا .

(٦) الشناءة : البغض ، وتمينا : ترفعا . والقعساء : الثابتة ، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٧) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وببيضت بعيون الناس : بيضتها أى أعمتها ، والباء زائدة ، والتعيط : الترفع والإباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عزتنا القعساء أبصار الناس ، فلا يتطلعون الى إذلالنا ، وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن ننال بسوء .

وَكُنَّ الْمُنُونُ تَرْدِي بِنَا أُرْ عَنْ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ (١)
 مَكْفِهْرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرُ تَوَهُ لِلدَّهْرِ مُؤَيِّدٌ صَمَاءُ (٢)
 أَيَّمَا خُطْبَةٍ أَرْدْتُمْ فَأَدُو هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأَمْلَاءُ (٣)
 إِنْ نَبَّشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَا قَبْ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ (٤)
 أَوْ نَقَّشْتُمْ ، فَالْنَقْشُ يَجْشِمُهُ النَّا سٌ ، وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَالْإِبْرَاءُ (٥)
 أَوْ سَكْتُمْ عَنَّا ، فَكَمَا كُنْ أَعُ مَمَضَ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا أَقْدَاءُ (٦)

(١) تردى : ترمى وترجم ، والباء في (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا للتقين به الأسد ، أى لتلقين الأسد ، أى هو كالأسد . والأرعن هنا : الجبل الذى له حيود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الأسود ، وينجاب عنه : ينشق عنه ، والعما : السحاب الأبيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا إنما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب ، وذلك من منعنا وقوتنا .

(٢) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع ، ولا ترتوه : لا تتقصه وتنال منه ، والمؤيد : الداهية . وصماء : لاتسمع اعتذارات — أى أن هذا الجبل يمنع على حوادث الدهر لاتنال منه الدواهي الصم .

(٣) الخطة : الأمر يقع بين القوم ، أو الإقدام على الأمر . والأملاء : جمع ملاء ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها فى معاملتنا فابعثوها إلينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٤) ملحّة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدرکوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ .) للضرورة ، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك ، أو أن جواب الشرط الآتى جواب له ولهذا .

(٥) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء ، ويجشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا وبينكم فان ذلك مع ما فيه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صلاح أمورنا وإبرائنا عن العار .

(٦) وإن سکتتم عنا فانا نسکت ، ونفضى أعیننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

أَوْ مَنْعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدَّ
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُتَهَبُّ النَّا
أَذْرِكُنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعْفِ الْبَحْرِ
ثُمَّ مَلْنَا عَلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَمْنَا
لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْمِ
لَيْسَ يُنْجِي مُوَائِلًا مِنْ حِذَارٍ
وَقَالَ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ يَفْتَخِرُ :
وَإِن سَأَلْتَ إِذَا الْكَتِيبَةُ أَجْمَتْ
وَحَسِبْتَ وَقَعَ سُيُوفُنَا بَرءٍ وَسَهْمِ

ثُمَّوهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعَلَاءُ؟ (١)
سُ غَوَارًا لِكُلِّ حَيِّ عُوَاءِ (٢)
رَيْنَ سَيْرًا حَتَّى نَهَاها الْحِساءَ (٣)
نَا، وَفِينَا بَنَاتٌ مُرَّةٌ إِمَاءِ (٤)
يَلِ، وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النِّجَاءِ (٥)
رَأْسِ طَوْدٍ وَحَرَّةٍ رَجَلَاءِ (٦)
وَتَيَّنَّتْ رِعَّةَ الْجَبَانِ الْأَهْوَجِ (٧)
وَقَعَ السَّحَابِ عَلَى الطَّرَافِ الْمَشْرِجِ (٨)

- (١) وان منعتم ما تسألون فيه من الصالح والراضى فمن الذى أخبركم أن له العلو علينا حتى تطمعوا فينا .
(٢) غوارا : أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء : الصياح . (المعنى) إن كنتم لا تتمون عنا فقد علمتم فعالنا وحفظنا لأنفسنا ، بل بقلنا على غيرنا من قبائل تميم فى تلك الأيام التى تعرفونها ، أيام كان الناس يتهب بعضهم بعضا ، ويغير بعضهم على بعض ، وفى كل حى منهم صياح .
(٣) يريد بالسعف النخل ، والحساء : جمع حسى ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا ، أى هل علمتم إذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .
(٤) فأحرمتنا : أى دخلنا فى الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفيها بناتهم سبايا .
(٥ و ٦) النجاء : الإسراع والفرار ، والموائل : الذى يطلب موئلا أى ملجأ ، والطود : الجبل .
والحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء : الغليظة . (المعنى) أن الشدة كانت عامة فلم يقم العزيز فى البلد السهل لما فيه الناس من الخوف . ولم ينفع الدليل فراره ولو التجأ الى رأس جبل أو تحصن فى حرة غليظة .

(٧) الرعة : الخوف . والأهوج : الأحق الطائش الطويل .

(٨) السحاب هنا : المطر . والطراف : البيت أو القبة من آدم أى جلد . والمشرج : المخيط بعض

قطعه فى بعض . وشبه وقع السيوف على الررس بوقع المطر على القبة من الجلد لبيان كثرة وقعها وتميز صوت وقعها ؛ لأنه حينئذ يكون كالطبل .

وإذا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَّكَ النِّعَامُ إِلَى كَنَيْفِ العَرِجِ (١)
أَلْفَيْتَنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إن لم يَكُنْ لَبْنٌ فَعَطَّفُ المَدْحِ (٢)

(١٠) دريد بن الصمة (٣)

قال في رثاء أخيه :

أرثُ جَدِيدُ الحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ بِعَاقِبَةٍ ، أُمُّ أَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ (٤)

(١) اللِّقَاحُ : جمع لقحة وهي الناقة ذات اللبن . وتروحت : رجعت الى مباركها آخر التماس
والرتك : مقاربة الخطو ، والسكين حفيرة من شجر للإبل . والعريج : شجر مربع الالتهاب . أى واذا
راحت النوق ذوات اللبن الى كنفها المتخذ من شجر العريج مسرعة إمراع النعام ألفتنا الخ .

(٢) ألفتنا : وجدتنا ، والعمارة : هنا العشيرة والأهل . والمدح : قُدح الميسر الذى يقاسر به
أى ان لم يكن لبن عطفتنا على القداح فضر بناها ونحونا النوق التى ربحنا الضيف .

(٣) هو دريد بن الصمة أحد فرسان العرب وسيد بنى جشم من قبائل هوازن . ويقال إنه أشعر
فرسان العرب وأكثرهم غزوا . وأدرك الإسلام ولم يسلم . وخرج مع قومه فى غزوة حنين ، ولا فضل
فيه للحرب ، وإنما أخرجه تينا برأيه ، فقتل فى ذلك اليوم . وكان له إخوة ثلاثة ، قتلوا فى غارات مختلفة ،
منهم عبد الله قتلته بنو غطفان ، لأن دريدا كان أغار عليهم وامساق إبلهم ، فنزل عبد الله
فى الطريق ليقتسم الغنيمة فنهاه دريد خوف لحاق غطفان بهم ، فأصر ، فلحقت بهم عند منعرج اللوى
فقتلت بنو عبس منهم عبد الله ، وأراد دريد أن يتقدمه فلم يقن ، وسقط هو أيضا ، فمات ، وظنته غطفان
قتيلا ، فنجا ، وهزمت جشم قبيلة . وبقى حزينا على أخيه يرثيه دهرًا ، فلامته امرأته أم معبد ، وصفرت
شأن أخيه ، فطلقها ، وقال فيها وفى قصة مقتل أخيه هذه القصيدة .

(٤) رث الحبل : بلى ، والمراد عهده من أم معبد ، وبعاقبة أى بآخرة : أى أخيرا ، والاستفهام
من باب تجاهل العارف ؛ اذ هو عارف بأنه رث .

- وبانت ، ولم أحمد إليك نوالها
 كأن حمول الحى إذ متع الضحى
 أو الأثاب العم المحرم سوقه
 قلت لعارض وأصحاب عارض
 علانية : ظنوا بالفى مدح
 وقت لهم : إن الأحالف هذه
 وما رأيت الخيل قبلاً كأنها
 أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
- ولم ترج منا ردة اليوم أو غد (١)
 بناصية الشحناء ، عصبه مذود (٢)
 بكابة لم يجبط ، ولم يتعضد (٣)
 ورهط بنى السوداء ، والقوم شهدى (٤)
 سرائهم فى الفارسي المسرد (٥)
 مطنة بين السنار ومهمد (٦)
 جراد يبارى وجهة الريح معتدى (٧)
 فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد (٨)

(١) وبانت : بعدت ، ونوالها : خيرها ، والردة : الرجوع . (المعنى) بانت أم معبد غير حميدة الصبغة ، فلا ترجو منا ردة لطلاقتها .

(٢) الحمول : جمع حمل بالكسر : ما يحمل على الإبل مثلاً ، ومتع الضحى : بلغ آخر غايته ، وهو الضحى الأكبر ، والعصبه بفتح فسكون الشجرة تعلق فى شئ . عال فتكون كالخيمة عليه كشجر اللبلاب ونحوه ، ومذود : اسم جبل (المعنى) كأن حمول الحى عند ترحلهم عصبه عاقت فى عرايين الجبل .

(٣) الأثاب : شجر . والعم : العظيم . والمحرم : المنوع قطع سوقه . وكابة : موضع . ولم يجبط : أى لم تعصب فروعه وتخبط بالعصى فيكسر ولم يتعضد أى يقطع .

(٤) عارض : أخ له حضر غزاتهم هذه ، ورهط بنى السوداء : أصحاب أخيه عبد الله .

(٥) علانية : جهرة ، ظنوا أى أيقنوا أن سيلحقكم ألفاً مدجج بالسلاح ، والفارسي : الدرع . والمسرد : المتابع الحلق ، أى أنه ضيق النسج .

(٦) الأحالف : جمع أحلاف وهم المتحالفون على نصره بعضهم لبعض ، ومطنة : ضاربة الأظناب بين هذين المكانين .

(٧) قبلاً : أى عياناً ومقابلة ، يبارى : يسابق ، ومعتدى : أى فى الغداة .

(٨) بمنعرج اللوى : المكان الذى نزل أخوه .

- فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ ، وَقَدْ أَرَى غَوَايَتِهِمْ أَنِي بِهِمْ غَيْرُ مُهْتَدِي (٦١)
- وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ ؟ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أَرَشِدُ (٦٢)
- دَعَانِي أَنحَى ، وَالخَيْلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُدٍ (٦٣)
- أَخْ أَرْضَعْتَنِي أُمُّهُ مِنْ لِبَانِهَا بِشَدِي صَفَاءٍ بَيْنَنَا لَمْ يُجِدِّ (٦٤)
- بُحْتُ إِلَيْهِ ، وَالرَّمَاخَ تَنُوشُهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُحَدَّدِ (٦٥)
- وَكُنْتُ كذَاتِ البُورِ رِبَعْتُ فَأَقْبَلْتُ إِلَى قِطْعٍ مِنْ جِلْدِ بُوٍّ مَجْلَدٍ (٦٦)
- فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حَتَّى تَنْهَيْتُ وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللُّونِ أَسْوَدُ (٦٧)
- قِتَالِ امْرَأِي آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ المَرَّةَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ (٦٨)
- تَنَادَوْا ، فَقَالُوا : أَرَدَتِ الخَيْلُ فَارَسَا ! فَقُلْتُ : أَعْبُدُ اللهَ ذَلِكُمْ الرَّدَى ؟ (٦٩)
- فَإِنْ يَكُ عِبْدُ اللهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ اليَدِ (٦١٠)

- (١) كنت منهم أى كنت على رأيهم مع أنى أراهم غاوين ضالين وأنى غير مهتد باتباعهم .
- (٢) غزوية : حى من جشم ، وهم رهط دريد الأذنون .
- (٣) القعدد : البليان يقعد عن نصرة قومه ، أى أنى عطفت عليه لإنقاذه .
- (٤) لم يجدد : لم يقطع رضاعها له حتى أتم مدة الرضاع .
- (٥) تنوشه : تتناوله بالظعن . والصياصى : جمع صيصة : شوكة يسوى بها الحائك نسجه .
- (٦) البو : ولد الناقة والبقرة ، يحشى جلده تبنا ، فتجد رائحته فيه ، فترأمه وتدر اللين له .
- (٧) تنهيت : كفت أسود بالضم ، وفيه عيب الإقواء . وهو اختلاف حركة الروى أى الحرف الأخير فى الأعراب . وقيل انه على تقدير ياء نسب مخففة للوزن ، وأنه أسودى والياء للبالغة .
- (٨) قتال امرئى : أى قاتلت عنه قتال امرئى فادى أخاه بنفسه .
- (٩) أردت : أهلكت ، والردي : الهالك .
- (١٠) وقافا : هيابا يقف عن القتال جبنا ، ولا طائش اليد . أى نخطى اليد فى الضرب والرمى .

- ولا برماً إماً الرياح تناوحت يرطب العضاة والضريع المعضد (١)
- وتخرج منه صرة القر جرأة وطول السرى درى عصب مهند (٢)
- كميش الإزار خارج نصف ساقه صبور على الضراء طلاع أنجد (٣)
- قليل تشككيه المصبيات ذاكر من اليوم أعقاب الأحاديث في غد (٤)
- إذا هبط الأرض الفضاء تزيئت لرؤيته كالماتم المتند (٥)
- وكم غارة بالليل واليوم قبله تداركها منى بسيد عمرد (٦)
- سليم الشظى عبل الشوى شنج النساء طويل القرا نهد أسيل المقلد (٧)
- يفوت طويل القوم عقد عذاره منيف كجذع النخلة المتجرد (٨)

(١) البرم : من لا يدخل مع القوم في الميسر ضنا بالجزور ، وكانوا يطعمون لحومها الفقراء ، وإما الرياح : إن شريطة وما زائدة ، وتناوحت : هبت من كل ناحية ، وذلك زمن البرد والشتاء ، والعضاة : الشجر الشائك . والضريع : نبات لا تقربه الدواب لخبثه ، والمعضد : المقطع .

(٢) صرة القر : شدة البرد ، والسرى : السير بالليل — أى وتخرج منه شدة البرد وطول السرى رجلا ماضيا في الأمور كأنه السيف المهند اللامع .

(٣) كميش الإزار : إما أن يكون كناية عن خفته وسرعته ، وإما أنه لا يطيل إزاره كالمترفين المشبهين بالنساء بل إن نشاطه يستدعى أن يقصر ثوبه بحيث يظهر نصف ساقه . وطلاع أنجد : كناية عن اقتحام الصعاب ، والأنجد : جمع نجد .

(٤) أى يحسب حساب العواقب ، فلا يقول اليوم ما يحاسب عليه غدا .

(٥) الماتم في الأصل مجتمع الرجال والنساء في الغم أو الفرح ، ثم خص به اجتماع النساء للموت ، والتنديد : رفع الصوت . والمعنى إذا نزل أرضا اجتمع الناس حوله وارتفعت أصواتهم في قضاء الخوائج ونحو ذلك .

(٦) أى تداركها عنى بفرس يشبه ذئبا شرسا .

(٧) الشظى : العظم الملازق بالساعد أو الساق ، والعبل : الضخم . والشوى : الأطراف . والنساء عصب يجرى في الفخذ والساق . والشنج : المتقبض ، وهو مدح في الفرس . والقرا : الظهر . والأسيل : الأملس المستوى . والمقلد : العنق .

(٨) وصف هذا الفرس بارتفاع رأسه ، فقال يفوت الخ . والعذار من اللجام : ما سال على خذ الفرس وعقده على رأسه خلف أذنه . يعنى أن أعلى رأسه أطول من قامة رجل طويل ، ومنيف : عال ، والمتجرد من النخيل : الذى زالت أصول كرهه فصار أملس . ثم رجع الى رثاء أخيه فقال : وكنت الخ .

وكنت كَأَنِّي وائِقٌ بِمَصَدِّرٍ يَمْشِي بِأَكْثَابِ الْجُبَيْلِ فَتَهْمَدُ (١)
لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا وَإِنْ يَأْتِ مَثْنَى الْقَوْمِ يَفْرَحُ وَيَزْدَدُ (٢)
وَهَوْنٌ وَجِدِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ : كَذَبْتُ ، وَلَمْ أَبْجَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي (٣)

(١١) قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ التَّمِيمِ : (٤)

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ (٥)
يُكَلِّفُنِي لَيْلَى ، وَقَدْ شَطَّ وَلِيهَا وَعَادَتْ عَوَادِي بَيْنَنَا وَخُطُوبُ (٦)

(١) المصدر : الأسد . والجبل وتهمد : موضعان — أى وكنت عند تقى بأنى كَأَنِّي وائِقٌ بأسد

يَمْشِي بِأَكْثَابِ الْجُبَيْلِ فَتَهْمَدُ .

(٢) أى له مقاتلة كل مفرد يلقاه من الناس فاذا لقي اثنين لم يجبن عنهما ، بل يفرح ويزداد فرحة

ويجمل عليهما .

(٣) أى طيب نفسى أى لم أجفه ، ولم أبجل عليه بما ملكت يدي فلم ألم نفسي بعد قلبي بأنى لم أقم

بحقه ، وجعل لم أقل له كذبت كناية عن الجفاء .

(٤) هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناشرة التميمي ، شاعر جاهلي مجيد من أقران امرئ القيس . مات

قبل الإسلام بزمان طويل . وإنما قيل له «الفحل» من أجل أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته

أيضا يسمى علقمة الحصى بن سهل ، ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام ، وأسلم . وقيل سمي «الفحل»

لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ؛ لأنها فضلت علقمة عليه حين حكاها في شعرهما .

(٥) طحا به قلبه : ذهب به كل مذهب ، والظروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق

إلى الشيء ، وبعيد : تصغير بعد — وحان المشيب : قرب ، أو آن أرائه — أى أضلك قلبك الظروب

في حب الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب — والخطاب لنفسه . ثم الكهف هو تكلم عن نفسه ،

فقال : يكلفني الخ .

(٦) وشط وليها : بعد عنك قريبا ودنوها ومواصلتها — وعادت : شغلت وصرفت ، مقلوب عداة

عن الأمر : صرفه ، والعوادي : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشيء . والخطوب : جمع خطب ،

وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر . (المعنى) أن قلبي هذا يكلفني حب ليلي مع أنها بعدت عنه ، وعز

عليه قريبا ، وحالت بينه وبينها حوائل وشواغل وحوادث صوارف عنها .

- منعمة ، ما يُستطاعُ كلامُها
 على بايها من أن تُزارَ رقيب (١)
- إذا غاب عنها البعل لم تُفِش سره
 وترضى إيابَ البعل حين يُؤوب (٢)
- فلا تعدلى بنى وبين مغمم
 سقتك روايا المزن حين تصوب (٣)
- سقاك يمان ذو حَيٍّ وعارض
 تروح به جنح العشي جنوب (٤)
- وما أنت ؟ أم ما ذكرها ربعة
 يخط لها من ثمداء قلب (٥)
- فإن تسألوني بالنساء فإني
 بصير بأدواء النساء طيب (٦)
- إذا شاب رأس المرء أو قل ماله
 فليس له من ودهن نصيب
- يردن ثراء المال حيث علمته
 وشرخ الشباب عندهن عجيب (٧)

(١) منعمة : من النعم فهى محجبة يعنى بحراستها أهلها .

(٢) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هى ترضى إيايه فلا يعجبها غيره ، وإذا قرئ وترضى

(بالضم) كان المعنى وتجعل إيايه رضيا حميدا بالأا يشك فى صوتها .

(٣) فلا تعدلى : أى فلا تسوى ، والمغمم من الرجال : المحقق الذى يستجمله الناس ، سقتك الخ :

يدعو لها بأن تسقى المزن الروية أى التى تروى حين تملح - يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرض عليه . ثم عاد الى الدعاء لها فقال : سقاك الخ .

(٤) أى سقاك سحاب يمان أى يأتى من ناحية جنوبي نجد . أصله يمني خففوا ياء النسب ،

وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحَيّ : السحاب المتراكم بعضه على بعض ،

فيكون سيره بطيئا ، كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ،

والجنوب : الريح الجنوبية . (المعنى) سقاك سحاب يمان مكرم . وسقاك سحاب عارض تسوقه فى الليل

ريح جنوبية . ثم عدل عن هذا ، وقال : وما أنت الخ .

(٥) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للإضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما الداعى

لذكرك ليلي ، وهى ربعة من ربعة وأنت تيمى ، وقد رحلت الى بلادها حيث خط لها فى ثمداء قلب .

والقلب البئر وثرمداء موضع . ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطبائهن ، فقال : فإن تسألوني الخ .

(٦) الأدوية : جمع داء ، أى بطبائهن المعيبة التى بمنزلة الأمراض فيهن .

(٧) الثراء : الكثرة ، أى يحبين من يعلن عنده مالا . وشرخ الشباب أقله ، وعجيب : معجب .

فدعها ! وسلّ الهمّ عنك بيجسرة
كهمّك فيها بالرداف خبيب^(١)
الى الحارث الوهاب أعملتُ ناقى
بكلّكها والقصريين وجيب^(٢)

(١٢) قال سلامة بن جندل السعدى التميمى :^(٣)

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب أودى ، وذلك شأؤ غير مطلوب^(٤)
ولّى حثيثاً ، وهذا الشيب يتبعه
لو كان يُدرکه ركض اليعاقيب^(٥)
أودى الشباب الذى مجد عواقبه فيه نلذ ، ولا لذات للشيب^(٦)

(١) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهمك أى مثل همتك فى المضاء والقوة ، والرداف : جمع رديف ، والرديف والردف : كل شىء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخبيب : السير السريع . (المعنى) أى فدع لى هذه ، وسلّ الهم عنها برحلة على ناقة قوية سريعة مثل همتك فى المضاء والنفاذ ، وفى سيرها سرعة ولو حملت خلف الراكب لها عدة أنقال .

(٢) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغساني ، وكان أسيراً شاساً ، فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا ، والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والوجيب : خفقان القلب . أى أنه لشدة إجهادها فى السير اشتد نبض قلبها ، وبأن ذلك فى كلكها وقصر يها لقرب القلب منها .

(٣) شاعر جاهلى مجيد من فرسان تميم ، وشعره منين سلس صحيح الرواية ، وكان معاصراً لعمرو بن دند والعناب بن المنذر .

(٤) أودى : هلك وزال ، والتعاجيب : العجائب ، والشأؤ : الغاية . (المعنى) مضى الشباب ذو العجائب محمّوذا بما كان فيه من اللذات العجيبة ، مضى وأصبح الآن غاية لا تدرك .

(٥) حثيثاً : سريعاً ، واليعاقيب : جمع يعقوب ، وله معان : منها أنه ذكر القطا والحجل ، وملكمة النحل ، والعقاب ، والحيل المشبهة بيعاقيب الحجل فى الركض لسرعتهما ، وكلها مناسبة هنا ، ولو هنا : للتمنى .

(٦) المجد : الكرم وشرف الفعال . (المعنى) زال الشباب الذى انتهى بفعال كلها شرف وكرم .

- يومان يوم مقامات وأنديّة
 ويوم سير إلى الأعداء تأويب (١)
- همت معد بنا همتا فنهها
 عنا طعان فضرِب غير تذيب (٢)
- بالمشرفي ومصقول أسنتها
 صم العوامل صدقات الأنايب (٣)
- يملو أسنتها فتیان عادية
 لا مقرفين ولا سُودِ جعابيب (٤)
- سوى الثقاف قناها ؛ فهي مُحكمة
 قليلة الزنغ من سنّ وتركيب (٥)
- زرقا أسنتها حمرًا مثقفة
 أطرافهن مقيّل لليعاسيب (٦)
- كانها بأكف القوم إذ لحقوا
 مواتح البر أو أشطان مطلوب (٧)

(١) يومان : أى لنا يومان ، والتأويب : السير السريع ، أى ان لنا يومين : يوما نجلس في المقامات والأنديّة للسمر أو للتشاور ، و يومنا نسير إلى الأعداء سيرا سريعا .

(٢) معدّ : الشعب العظيم الذى يشمل ربعة ومضر ، ونهها : كفها ، ويقال : طعان غير تذيب : اذا بولغ فيه . وجعله هنا صفة للضرب أى همت قبائل معد بقتالنا مرة فكفها عنا طعاننا وضر بنا الشديدان .

(٣) بالمشرفي : بالسيف المنسوب إلى مشارف الشام ، وهى القرى العربية التى على حدود الشام تجلب منها السيوف المشرفية ، ومصقول أسنتها : أى وبرماح مصقول أسنتها ، وعامل الرمح : صدره أى الجزء الذى يلي منه السنان ، والصدق : الصلب المستوى من الرماح . والأنايب : كعوب الرماح .

(٤) العادية : أول جماعة تحمل من الرجال أو الفرسان ، والمقرف : الذى تكون أمه عربية وأبوه أعجميا بعكس الهجين ، والجعابيب : جمع جعبوب وهو الضعيف النذل لا خير فيه ، أو القصير الدميم .

(٥) الثقاف : الآلة التى ينسوى بها الثقاف الرماح أى يسويها ، وهى خشبة فى وسطها نقب ، الزنغ : البيلس والعوج ، ولا يريد أن بها زينا قليلا بل لا زينغ فيها . والسن : تركيب السنان أى أن أسنتها ركبت فيها معتدلة غير معوجة .

(٦) والمقيّل : القيلولة فى الظهر ، واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو عظيم النحل . (المعنى) سوى الثقاف القنا زرقا أسنتها حمرًا مثقفة فكانت أطرافهن مكانا لتعليق رموس السادات من الأعداء .

الموايح : الحبال الطويلة التى يمتح بها البرأى يترج ماؤها ، والأشطان : الحبال الطويلة .
 مطلوب : اسم برين المدينة والشام بعيدة القعر .

- (١) يشقّ بأرماحنا غير التكاذيب كلاً الفريقين : أعلاهم وأسفلهم
(٢) كلّ شهاب على الأعداء مشبوب إني وجدت بني سعد يفضلهم
(٣) وكلّ ذى حسب في الناس منسوب إلى تميم حمة العزّ نسبتهم
(٤) عنّ الذليل ، وماوى كلّ قرضوب قوم إذا صرحت كحل بيوتهم
(٥) صبر عليها ، وقبص غير محسوب بجهيم من دواهي الشر إن أزمّت
(٦) بكل وادٍ حطيب الجوف مجدوب كما تحلّ إذا هبت شامية
(٧) هابي المراع قليل الودق مؤظوب شيب المبارك مدرّوس مدافعه

(١) غير التكاذيب : أى غير ذوى التكاذيب ، جمع تكذيب وهو أنت يحمل الفارس على الأعداء ، ثم لا يصدق الجملة ؛ فيرتد عنهم جبنا . (المعنى) كلاً الفريقين من الأعداء ، الأشراف منهم والوضعاء ، أصيبوا برماحنا إلا من قر منهم جبنا .

(٢) بنو سعد بطن من تميم قوم الشعراء . (المعنى) إني وجدت قومي يفضلهم على الناس أن كل شجاع فيهم بمنزلة الشهاب المتقد على الأعداء .

(٣) نسبة بنى سعد إلى تميم وإلى كل ذى حسب معروف النسب .

(٤) الكحل : السنة الشديدة الجذب ، والقرضوب : الفقير الذى لا يصيب شيئاً إلا أكله .

(٥) أزمّت : عضت . والقبص : العدد الكثير لا يقدر على حسبه من كثرة . ثم وصف صبرهم على الشدائد والجذب باليتين الآتين .

(٦) الريح الشامية : باردة وإذا هبت في الشتاء ، وهو زمن الجذب عندهم ، كانت أبرد . (المعنى) نصبر على الجذب ونحل الوديان المجدوبة التي ليس بها إلا الحطب .

(٧) شيب : يعنى أن مبارك إباهم في الوادى المجدوب الذى نزله شيب أى بيض من الغبار والجذب لا خضرة فيها ، أو من الصقيع لأنهم يتزلونه زمن الشتاء . والمدروس : العافى المحو المعالم . والمدافع : جمع مدفع ، وهو مجرى المياه ، وهابى المراع أى أن المكان الذى تمرغ فيه إباهم هاب لقلّة المطر الذى يشبهه ، والمؤظوب : الذى قد وظب حتى أكل ما فيه . (المعنى) هذا الوادى الذى اضطرا إلى الإقامة فيه زمن الشتاء — مباركه بيض لا خضرة فيها أو أن الصقيع كساه بالياض ، ومجارى مياهه مدروسة لعدم المياه التى تجرى فيها ، ومراغ إباهه هاب بالتراب والغبار ، وقد أكل كل ما فيه من العشب ، فلم يبق فيه شيء . يعنى . يصف قومه بالجلد والصبر على الشدائد .

كنا اذا ما اتانا صارخٌ فزِعُ كان الصراخُ له قَرَعٌ الظنابيب
(٣) وشَدَّ كُورٍ على وِجْناءِ ناجيةٍ وشَدَّ سَرَجٍ على جرداءِ سرحوبِ
(٤) يقالُ : محبِسُها أدنى لمرْتعِها وإن تعادى بَيْكٍ كلُّ محلُوبِ
حتى تُرِكَنا، وما تُثْنى ظعائُننا يأخذنَ بين سوادِ الخَطِّ فاللُوبِ

(١٣) وَقَالَ عَبْدُ يَغُوثَ الْحَارِثِيُّ . (٥)

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللُّومَ مَا بِيَا فَمَا لَكُمَا فِي اللُّومِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا (٦)
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ وَمَا لُومِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا (٧)

(١) ظنابيب : جمع ظنوب ، وهو حرف عظم الساق من أمام . أي إذا استصرخ بنا واستنجد مستغيث أسرعنا في نجدة . وهو مثل يضرب للتهيؤ للأمر بسرعة . وأصله من قرع ظنابيب الإبل لتبرك سريعاً فتركب . وفسر هذا التهيؤ بالبيت الآتي .

(٢) الكور : الرجل الذي يوضع على ظهر الناقة ليركب عليها ، والوجناء : الناقة الصلبة الجسم ، والناجية : السريعة السير ، والجرداء : الفرس القصيرة الشعر وذلك من محاسنها : والسرحوب : الطويلة .

(٣) يقال محبسها الخ يعني يقال في وصفها : إن محبس هذه الإبل وهذه الخيل على الجذب ومقابلة العدو على الثغر ومواضع المخافة — أدنى وأقرب وأولى من أن ترتع وتخصب فتضيع الثغر . وتعادى : تبارى في العدو ، والبك : قلة اللبن في المحلوب . أي ولو جرت النوق التي تحلب بلبن قليل لقله رعيها .

تنى : ترجع ويرد بعضها على بعض أي تمنع عن سيرها وتحال دونه . والظعية : المرأة المسافرة في هودجها ، وسواد الخط : يريد بلاد الخط من ساحل البحرين ، واللوب : الحجارة السود ، وتكون في الجبال الغربية من بلاد العرب . (المعنى) ما زلنا تدافع العدو حتى ترك لنا البلاد فأصبحت ظعائنا يسرن ما بين سواحل البحرين الى حدود الحجاز ، لا يثنين العدو عن طريق

(٥) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي اليمني أسريوم الكلاب وهو يوم بين تميم واليمن ، وقد أسرته تميم الرباب وهو شاعر فارس مقدم في قومه ينتمى الى بيت معرق في الشعر .

(٦) أي كفى اللوم ما أنا فيه : فلا تحتاجون الى لومي مع ما ترون من أسرى وجهدي .

(٧) يقول : ليس لومي أخى من شمالي أي أخلاقي

- فإرا بكجا إما عرَضت فبلغن
أبا كرب والأهمين كليهما
جزى الله قومي بالكلاب ملامة
ولو شئت نجنتي من الخيل نهدة
ولكنني أحمى ذمار أبيكم
أقول وقد شدوا لساني بئسعة :
أمعشر تيم قد ملكتم فأسججوا
فإن تقتلونني تقتلوا بي سيّدا
أحقا عباد الله أن لست سامعا
وتضحك مني شيخة عيشية
نداماي من تجران أن لا تلاقيا
وقيسا بأعلى حضر موت اليمانيا (١)
صريحهم والآخرين المواليا (٢)
تري خلفها الحو الجياد تواليا (٣)
وكان الرماح ينخطفن المحاميا (٤)
أمعشر تيسم أطلقوا عن لسانيا (٥)
فإن أخاكم لم يكن من بوأيا (٦)
وإن تطلقوني تحرّبوني بماليا (٧)
نشيد الرعاء المعزبين المتأليا (٨)
كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا (٩)

(١) أبو كرب والأهمان : من اليمن ، وقيس بن معد يكرب الكندي كذلك .

(٢) صريحهم : خالصهم ومحضهم . والموالى هنا : الخلفاء .

(٣) النهدة : الفرس المرتفعة الخلق ، والحو : الخيل التي تضرب إلى خضرة ، وقوله تواليا أي تلوها وتتبعها لأن فرسه بخفيقة قد تقدّمت الخيل .

(٤) الذمار : ما يجيب على الرجل حقه من منعه جاراً وطلبه ثأراً — ينخطفن : يذهبن به .

(٥) هذا مثل ، فاللسان لا يشد بئسعة ، وإنما أراد أفعلوا بي خيرا لينطلق لساني بشركم وانكم ما لم تفعلوا

فلساني مشدود لا أستطيع مدحك .

(٦) اسججوا : مهلوا ويسروا أمرى ، والبواء : النظر . أي أنت صاحبكم ليس نظيري

فلا أقتل به ، يقال : يا فلان يؤففلان أي اذهب به ، يقال ذلك للقتول بمن قتل .

(٧) أي وإن تطلقوني أدفع دية عظيمة لصاحبكم بحيث يهلك منها مالي .

(٨) المعزب : المنحى بإبله ، والمتأليا التي قد نتج بعضها وبقى بعض ، والواحدة متلية .

(٩) عيشية نسبة إلى عبد شمس ، والأسير : المشدود .

وقد علمت عرسي مليكة أني أنا الليث معدوا على وعاديا
وقد كنت نحرًا الجزور، ومعملًا
وأنحر للشرب الكريم مطيتي
وكنت إذا ما الخيل شمتها القنا
وعادية سوم الجراد وزعتها
كأنني لم أركب جوادًا ولم أقل
ولم أسب الرق الروي ، ولم أقل
وأصدع بين القينتين ردائيا
ليقًا بتصرف القنا بنايا (٢)
بكفي وقد أنحوا إلى العوالي (٣)
لخيالي : كرى نفسي عن رجاليا
لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

(١٤) وقال ذو الإصبع العدواني : (٥)

لي ابن عم على ما كان من خلقي مختلفان : فأقلبه ، ويقليني (٦)

- (١) الشرب الشاربون ، المفرد شارب كصحب وصاحب . والمطية : البعير هنا — أصدع أخق
والقينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والأزل هو المراد هنا يصف نفسه بالكرم والترف .
- (٢) شمس : ضرب ونخس ، والقنا : الزماح ، واللبيق الحاذق .
- (٣) العادية : القوم يعدون ، والخيل كذلك . سوم الجراد : انتشاره في طلب المرعى . وزعتها :
كففتها ومنعتها — أنحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها إلى ، والعوالي : الرماح . يقول : ورب
جماعة من الفرسان تعدو على في كثرة الجراد وشيوعه قد كففتها عنى ، وقد أمالوا رماحهم نحو
في القتال .
- (٤) السبا : اشتراء الخمر ، والأيسار الذين يضربون القداح في المقامرة ، يقول : كأنني لم أشرب الخمر ،
ولم أقل للقامرين معي أعلوا ضوء النار للشواء أو لإكرام الضيفان الذين يقصدونها ، وكان ذلك من مفاخر العرب .
- (٥) هو حوثان بن الحارث من عدوان من مضر شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية وقد عمر طويلا
حتى خرف وأهتر ومات قبل الإسلام .
- (٦) على ما كان من خلق أي من تخالق ومعاملة بيننا ، يريد أنهما مختلفان ، أقلبه : أبغضه .

- أزرى بنا أننا شالت نعمتنا
يا عمرو إلا تدع شتي ومنتصتي
تفألني دونه ، وخلصه دوني^(١)
أضربك ، حتى تقول الهامة : اسقوني^(٢)
عني ، ولا أنت ديان فتخزوني^(٣)
ولا تنفسك في العزاء تكفيني^(٤)
عن الصديق ، ولا خيري بممنون^(٥)
بالفاحشات ، ولا فتكى بأمون
هوناً فليست يوقاف على الهون^(٦)
ترعى الخاض ، وما رأيي بمغبون^(٧)
وإن تتخلى أخلاقاً إلى حين^(٨)
كل أمرئ راجع يوماً لشيئته

(١) أزرى بنا : قصر بنا وعابنا ، وقوله شالت نعمتنا : معناه تفرق أمرنا واختلف ، فتنافرنا فصرت أراه أقل مني ويراني أقل منه .

(٢) الهامة : الرأس . وكان العرب يعتقدون أن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من نوع البوم من قبره فلا تزال تصيح : اسقوني ، حتى ينأرله ، والمراد : أضربك حتى تقتل .

(٣) لاه ابن عمك : أصله لله ابن عمك فحذفت اللام الخافضة اكتفاءً بالتي تليها ، والديان : القائم بالأمر . يقول : لست القائم في أمرى فتخزوني أي تسوسني وتدبر أمرى .

(٤) تنسبة : المجاعة . والعزاء : الضيق والشدة .

(٥) أي لا أدثر عن صاحبي شيئاً ولا أمن عليه .

(٦) عف : أي تفيف عماليس لي ، يؤوس : لست بذى طمع ، فأنا يأس مما في يد غيري ، والهون :

الهوان والذلة .

(٧) أي لست بآبن أمة ، وخص الخاض لأن رعيها عمل المهين .

الشيعة : الطبع ، يريد أن التعلق لا يدوم ولا بد أن يرجع الإنسان إلى طبعه .

- إِنِّي أَبِيَّ أَبِي ذُو مُحَافَظَةٍ
وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مِائَةٍ
فَإِنْ عَلِمْتُمْ سَبِيلَ الرَّشْدِ فَانْطَلِقُوا
مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي كَرَمٍ
لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْا شَارِبَكُمْ
اللَّهُ يَعْلَمُنِي ، وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ
قَدْ كُنْتُ أُوتِيكُمْ نَصِيحِي ، وَأَمْنُكُمْ
لَا يُخْرِجُ الْكُرْهُ مِنِّي غَيْرَ مَايِيَةٍ
- (١) وَإِنْ أَبِيَّ أَبِي مِنْ أَبِييْنَ
(٢) فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ كَلَّا فَكِيدُونِي
(٣) وَإِنْ جَهَلْتُمْ سَبِيلَ الرَّشْدِ فَاتُونِي
أَلَّا أَحْبَبْتُمْ إِذْ لَمْ تَحْبُونِي
وَلَا دِمَائُكُمْ جَمْعًا تُرَوِّنِي
وَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِّي ، وَيَجْزِينِي
(٤) وَدَى عَلَى مُثَبَّتٍ فِي الصَّدْرِ مَكْنُونٌ
وَلَا أَلَيْنَ لِمَنْ لَا يَتَّبِعُنِي لِيَنِي (٥)

(١٥) عبيد بن الأبرص (٦):

قال من بائته المشهورة التي أولها :

أفقر من أهله ملحوبٌ
فالقطيبياتُ فالذنوبُ (٧)

* * *

- (١) يصف نفسه وآبائه بالغر والمنعة .
(٢) زيد على مائة : زيادة عليها .
(٣) أي فإن عرفتم سبيل الرشد فاذهبوا لوجهكم ، وان فرعم إلى رأي أحبكم ونصحت لكم .
(٤) مكنون : مستور .
(٥) يقول ، إذا أكرهت على الشيء لم يكن عندي إلا الإباء له فلا أعطى على القسر شيئاً .
(٦) هو عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية وقدمائهم ، وبائته التي منها هذه الأبيات من مجزوء البسيط ، وأكثر أبياتها مضطربة الوزن ولكن أغراضها ومعانيها شريفة .
(٧) ملحوب والقطيبيات والذنوب : أسماء أماكن .

وكلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُؤُوبُ وغائبُ الموتِ لا يُؤُوبُ
أعافرٌ مثلُ ذاتِ وُلْدٍ أو غانمٌ مثلُ من ينجِبُ
من يسألِ الناسَ يجرِّموه وسائلُ الله لا ينجِبُ
ساعِدٌ بأرضٍ إن كنتَ فيها ولا تَقُلْ : إني غريبٌ

(١٦) وقال الأفوه الأودي^(١) :

البيت لا يبتنى إلا له عمْدٌ ولا عمادٌ إذا لم تُرسَّ أوتادُ^(٢)
فإن تجمع أوتادُ وأعمدةً وساكنٌ بلغوا الأمر الذي كادوا^(٣)
لا يصلحُ الناسَ فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهَّأهم سادوا
تهدى الأمورُ بأهلِ الرأي ما صلحت فإن تولتْ فبالأشرار تنقاد
إذا تولَّى سراة الناس أمرهم تَمَّا على ذاك أمر القوم فازدادوا

(١) هو صلاءة بن عمرو الأودي أحد نخول شعراء الجاهلية وحكائها وسادتها وفرسانها .

(٢) هذا البيت والذي بعده تمثيل لمذهبه ورأيه في سياسة الناس وصلاح أمورهم إذا تولى حكمهم وقيادتهم سراةهم وذوو الأحساب والرأي فيهم فإدام هؤلاء بأيديهم الحل والعقد صلحت أمورهم وعظمت شؤونهم وبلغوا ما أرادوا ، فإذا تغلب الجهال بقوتهم عم الفساد .

(٣) كادوا هنا بمعنى أرادوا .

عصر صدر الإسلام وبنى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فُرُشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا
لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .
تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ .
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

- (١) معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم
- (٢) الجملة حال من الضمير في اعبدوا أى اعبدوا ربكم راجين أن تتخبطوا في سلك المتقين .
- (٣) كالفرش المبسوط .
- (٤) كالقبة المضروبة عليكم .
- (٥) الأنداد : جمع ند بكسر النون : المثل .
- (٦) أى والحال أنكم من أهل العقل والمعرفة الذين لا يصدقون صحة الشرك .
- (٧) الأمة : الجماعة . والمراد هنا الأنبياء الماضون وأتباعهم الذين ينتسب إليهم المجادلون من الكفار ،
خلت : مضت — المعنى أن هؤلاء قوم لهم أفعالهم لا تفيدكم شيئاً كما أنكم لا تسألون عن سيئاتهم .
- (٨) الاختلاف : التعاقب .
- (٩) الفلك : السفينة للواحد والجمع .

بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
 الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ
 اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ .

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

- (١) السماء : جهة العلو .
- (٢) البث : النشر والتفريق .
- (٣) تصريف الرياح : تدبير مهامها وأحوالها .
- (٤) أشد حبا : لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف غيرهم المترددن بين الأصنام ، أو الالاجئين الى الله حين الشدة فقط .
- (٥) جواب لو محذوف أى لندموا إذ يرون العذاب يوم القيامة ، وأجرى مجرى الماضى لتحقق الوقوع كقوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » . ومعنى ظلموا أنهم ظلموا أنفسهم بالتخاذم الأنداد .
- (٦) الأسباب : الصلات التي كانت بين التابع والمتبوع .
- (٧) كرة : أى عودة الى الحياة الدنيا .
- (٨) حسرات : ندامات ، المفرد حسرة .
- (٩) البر : كل فعل مرضى . والخطاب لأهل الكتاب الذين خاضوا فى أمر قبلة الصلاة حين حوتل من بيت المقدس الى الكعبة بمكة ويصح أن يكون الخطاب عاما .
- (١٠) أى أن البر الذى ينبغى أن يهتم به هو بر من آمن . (١١) المراد بالكتاب الكتب المنزلة .
- (١٢) أى مع حب المال . (١٣) يريد المحاويع منهم .

(١) ^(١٢) ^(١١) ^(٤) ^(٣) ^(٤)
والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وءاتى الزكاة والموفون
يعهدهم إذا عهدوا والصبرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم المتقون .

(٥) ^(٦)
ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال
الناس بالإثم وأنتم تعلمون .

(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠)
ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه
وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه
جهنم ولينس المهاد . ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله

(١) ابن السبيل : المسافر .

(٢) أى فى تخليص الرقاب فك الأسرى وعون المكاتبين .

(٣) البأساء : المصيبة فى المال . والضراء : المصيبة فى النفس . البأس : مجاهدة العدو .

(٤) صدقوا : أخلصوا للدين واتباع الحق وطلب البر . المتقون : المتبعون عن الكفر وسائر الرذائل .

(٥) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه غير مباح .

(٦) تدلوا بها إلى الحكام : أى تلقوا بالحكومة فيها إليهم . بالإثم : أى بما يوجب إثمًا
كشهادة الزور واليمين الكاذبة . وأنتم تعلمون : جملة حالية . وذلك أن عمل الذنب مع العلم به أقبح .

(٧) أى يحلف على إخلاصه . ألد الخصام : شديد العداوة والجدال للسلين .

(٨) تولى : أدبر وانصرف عنك أو إذا غلب وصار واليا . الحرث : الزرع . والنسل : المشاية .

(٩) أخذته بكذا : حملته عليه وألزمته إياه . والمعنى على ذلك أن الأنفة وحمية الجاهلية حملته على

الإثم الذى يؤمر بانقائه . فحسبه جهنم أى كفته جزاء وعذابا . ولينس المهاد : جواب قسم مقسود

والخصوص بالذم محذوف للعلم به . والمهاد : الفرائش ، أى بنس المهاد مهاده .

(١٠) يشري نفسه : يبيعها ويذلها فى الجهاد مثلا . ابتغاء مرضاة الله : أى طلبا لرضاه . والله

ومعروف بالعباد لإرشادهم الى مثل هذا الشراء ليكونوا مقترين فائزين .

وَعُوفٌ بِالْعِبَادِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . فَان زَلْتُمْ ^(٣) مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . ^(٤)

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى ^(٥) أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمٌ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوِّقِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَزِغِ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزِّبِ تَشَاءُ
وَتُذَلِّبِ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . ^(٩) ^(١٠)

- (١) السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والطاعة . (٢) مين : ظاهر العداوة .
- (٣) زلتم : حدثتم عن الدخول في السلم . والبيئات : الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق .
- (٤) عزيز : لا يعجزه الانتقام . حكيم : عادل لا ينتقم إلا بحق .
- (٥) كره لكم : شاق عليكم مكروه طبعاً .
- (٦) أى مثل ثقتهم كمثل حبة الخ . والمراد أن الله يضاعف لهم الثواب على هذا الإنفاق .
- واسع : لا يضيق فضله . عليم : بنية المنفق وقيمة إنفاقه .
- (٧) المن : أن يعتد الانسان بيا حسانه على من أحسن اليه .
- (٨) الملك هنا : كل شيء فعناه عام وما بعده خاص .
- (٩) إيلاج الليل والنهار : إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة واليقص .
- (١٠) المراد بانخراج الحي من الميت وبالعكس إنشاء الحيوان من مواده وإمامته واستحاله الى موات .

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ (١) ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ (٧) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ
مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

(١) يشترون : يستبدلون . عهد الله : الأيمان . أيمانهم : ما حلفوا به كقولهم لئن من بالله
ولنتصرنه . الثمن القليل : هو متاع الدنيا .

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم من الخير والثواب . لا يزكِّيهم : لا يثني عليهم .

(٣) اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : دين الإسلام أو القرآن .

(٤) أى فى الجاهلية إذ كنتم تتقاتلون .

(٥) الشفا : الحرف . والمعنى : كنتم مشفين على الوقوع فى النار لكفركم فأنقذكم بالإسلام .

(٦) فبأرحمة : أى فبرحمة وما زائدة للتأكيد . الفظ : سىء الخلق الجافى . غليظ القلب : فاسيه .

انفضوا من حولك : تفرقوا عنك .

(٧) عزمت : وطنت نفسك على شئ . بعد الشورى .

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظَالِمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَيَصَلُونَ سَعِيرًا .

وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى شَيْءٍ حَسِيبًا .
وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا .
يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ
الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا . هَاتِمٌ هُوَ لَأَجْدَثُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلْ
اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا . وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدُوَّةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

(١) هذا أمر للأوصياء بحفاة الله في أمر اليتامى وأن يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرارهم
الضعاف بعد وفاتهم . والقول السديد يظهر في الإنصاف وحسن العشرة .

(٢) أى ما يجزى الى النار . يصلون سعيرا : يدخلون نارا شديدة . (٣) يحاسبكم على التحفة أيضا

كما يحاسبكم على غيرها . (٤) يختان نفسه : يخونها بالمعاصى . الأثيم : المنهك في المعاصى .

(٥) يستخفون : يستترون . يببتون : يدبرون زورا .

(٦) الوكيل : المحامى الدافع عنهم عذاب الله . (٧) يظلم نفسه بالشرك أو بذنب لا يتعداه ضرره .

(٨) الميسر : القمار مطلقا . الأنصاب : الأصنام نصبت للعبادة . الأزلام : جمع زلم وهو القدح . وذلك

أن العرب كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربي . وعلى الآخرتها فى
وې . والثالث غفل . فان خرج الأمر مضوا ، وان خرج الناهى تجنبوا ، وان خرج الغفل أجالوها ثانية .

ريجس : قدر تعاقب العقول .

وَالْمَيْسِرَ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ^(١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ عَلَيَّ رَسُولِنَا الْبَلُغُ الْمُبِينُ ^(٢) .



ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ^(٣) ، فلولا
إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعمالون ^(٤) ،
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم ^(٥)
بعتة فاذا هم مبلسون ^(٦) ، ففقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ^(٧) .

وإذ قال إبراهيم لأبيه أزرأ ^(٨) تتخذ أصناما آلهة إني أرىك وقومك في ضلال مبين ^(٩) ،
وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن ^(١٠)

(١) هذا الاستفهام إيذان بأن أمر المنع والتحذير بلغ الغاية ، وأن الأعداء قد انقطعت .

(٢) أى فان أعرضتم فلن تضروا الرسول بأعراضكم لأن عليه البلاغ وقد آداه .

(٣) أى فكفروا فأخذناهم الخ . البأساء : الشدة والفقرة . الضراء : الضر والآفات . يتضرعون :
يتدللون ويتوبون .

(٤) معناه نفى تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم إليه .

(٥) أى لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب النعم امتحانا لهم بالشدة
والرخاء .

(٦) مبلسون : منحسرون آيسون .

(٧) دابرهم : آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد ، (والحمد لله) على هلاكهم إذ هو نعمة للناس .

(٨) أزر : عطف بيان لأبيه .

(٩) ملكوت السموات : مجائبها وبدائعها . ليكون من الموقنين أى ليستدل ويستيقن .

(١٠) جن عليه الليل : ستره بظلامه . وهنا أراد سيدنا إبراهيم هداية قومه من طريق النظر

والاستدلال .

عليه أَيْسَلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَّ^(١) قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ
 بَارِزًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَءَا
 الشَّمْسَ بِإِزْغَةٍ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ^(٣)
 إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .^(٤)
 إِنْ أَنَّى فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ، ذَلِكَمُ اللَّهُ
 عَزَّ وَجَلَّ تُوَفِّكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
 الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ^(١٠)

(١) أفل النجم : غاب .

(٢) بارزا : مبتدئا في الطلوع .

(٣) أي من الأجرام السماوية المخذلة المحتاجة الى من يصرفها .

(٤) وجهت : توجهت بالإيمان والعبادة . فطر : خلق . حنيفا : حال من التاء في وجهت .

والحنيف : المسلم .

(٥) فالقه بالنبات والشجر الذي ينبت منه .

(٦) توفكون : تنصرفون عنه الى غيره .

(٧) فالق الإصباح : شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل . سكا : يسكن اليه التعب نهارا مطمئنا

اليه . حسبانا : أي على أدوار يحسب بها الوقت . وهو مصدر حسب بالفتح . وقيل : جمع حساب

كشباب وشبان . العزيز العليم : القادر والخير بتدبيرهما حسب الأصلح .

(٨) فصلنا الآيات : بناها فصلا فصلا .

(٩) نفس واحدة : هي آدم عليه السلام . مستقر : في الأصلاب أو فوق الأرض . مستودع :

في الأرحام أو تحت الأرض .

(١٠) أي نبت كل صنف من النبات .

فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حَبًّا مُتْرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٍ
مِنَ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ، أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ
إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا
مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا
ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

(١) الخضر : شئ . أخضر يخرج من الحبة مشعبا . الحب المترابك : هو السنبل .

(٢) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلوعها قنوان ، وهى الأعذاق : جمع قنوكهقنوان جمع صنو .
دانية : قرية التناول أو ملتفة متقاربة . وجنات : عطف على نبات كل شئ . ينعه : نضجه . الآيات :

العلامات والأدلة على وجود الخالق الحكيم .

(٣) أى وأحسنوا لهما إحسانا .

(٤) الإملاق : الفقر . ومن : للسيبية .

(٥) الفواحش : كبار الذنوب .

(٦) أى بالطريقة النافعة محافظة واستئارا . الأشد : جمع شدة كنعمة وأنعم . والمراد حتى يصير بالنوا .

(٧) القسط : العدل والتسوية .

(٨) اعدلوا : قولوا الحق والعدل ولو على القريب .

(٩) صراط الله : شريعته . والمراد بالسبل : الأديان المختلفة أو الأهواء الضالة .

(١) وَأَنْتُمْ فَتَنَةٌ لِّأَصْيَابِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .
وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ
(٢) وَأَيَّدَكُمْ بِنَصِيرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

لَمَّا تَسَأَلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا فَمَا يَحْبِبُونَ . الْكُفْرَ حَصْحَصَ الْحَقُّ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
(٣) (٤) (٥) (٦) (٧)
وَنَسِيَ خَلْقَهُ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ . قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
(٨) (٩) (١٠)
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ . وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ . لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ
(١١) (١٢)
وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ . وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

- (١) أى اتقوا ذنبا يعممكم أثره : كإقرار الأشرار، وترك التناهى عن المنكرات، ومن أوجه إعراب لا تصيب أنها جواب الأمر على معنى ان أصابتكم . ولذلك أكد الفعل .
- (٢) يئن الله عليهم بما يبتهم ونصرتهم حينما كانوا ضعافا أول الإسلام .
- (٣) تستعمل فى الحث على بذل النفس المحبوب .
- (٤) حصص : بان وظهر . تستعمل لظهور الأمر بعد خفائه أو الشك فيه .
- (٥) يقال للشخص ينظر الى وجه ضيف دون القسوى المهم . وأصلها أن الإنسان يجب من البعث ناسيا أن الله الذى خلقه من التراب قادر على بعثه .
- (٦) يجابه بها من فرط فوق فى مغبة عمله .
- (٧) تستعمل فى اليأس من الرجوع فى الحكم أو العمل .
- (٨) فى قرب المنتظر .
- (٩) فى الحرمان .
- (١٠) للنص على أن لكل شئ غاية .
- (١١) مدبر الشريعة فيه .
- (١٢) تستعمل الشاكلة فى دلالة العمل على طبيعة صاحبه .

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ^(١) . كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ^(٢) . مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ ^(٣) . مَا عَلَى
 الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ^(٤) . هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ^(٥) . كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً
 كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ^(٦) . ءَأَلْسُنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ^(٧) . تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ^(٨) . وَلَا
 يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ^(٩) . كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ^(١٠) . وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ^(١١) .
 وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ^(١٢) . لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا ^(١٣) . لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ
 وَالطَّيِّبُ ^(١٤) . ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ^(١٥) . ضَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ^(١٦) . بِمِثْلِ هَذَا
 فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ^(١٧) . وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ^(١٨) . فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ^(١٩) .

- (١) في ظهور الخير من غير مظانه .
- (٢) تستعمل في تحمل الإنسان نتيجة عمله .
- (٣) في الرجل يقوم بواجبه لا يعنيه المهمل .
- (٤) للحسن بوجود ما يشاء .
- (٥) في الخير جزاؤه الخير .
- (٦) الضعيف يفوز بالقوى .
- (٧) عدم فائدة التوبة بعد فوات الفرصة . والأصل طيع الآن الخ .
- (٨) تستعمل للجماعة كالمفكرين وأهوائهم مختلفة .
- (٩) يضرب للرجل يعرف الشيء أكثر من غيره .
- (١٠) تعصب الإنسان لما عنده .
- (١١) تضرب للقوم يفقدون خيرا لا يستحقونه .
- (١٢) إنكار الجليل . (١٣) الاكتفاء بقاية الجهد .
- (١٤) للفرق بين المتباينات . (١٥) للشريعم .
- (١٦) يضرب لاستضعاف المتكبر المتجاهل .
- (١٧) استكبار الشيء وتجييله .
- (١٨) للأشياء النادرة .
- (١٩) تستعمل في لفت النظر إلى مواطن العبرة والتبصر .

(ب) الشِّعر

(١) قال كعب بن زهير :^(١)

بانثُ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ متيمٌ عندها لم يُجزَّ مكبولُ^(٢)
وما سعادُ غداةَ البين إذ برزتُ إلا أغنُ غضيضُ الطرفِ مكحولُ^(٣)
تجلو عوارضُ ذي ظلمٍ إذا ابتسمتُ كأنه مُنهلٌ بالراحِ معلولُ^(٤)
شجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماءٍ مخنيةٍ صافٍ بأبطحِ أضْحى وهو مشمولُ^(٥)
تتفي الرياحُ القذَى عنه وأفرطه من صوبِ غاديةٍ بيضٍ يعاليلُ^(٦)
ويلمها خلةٌ لو أنها صدقتُ بوعدها ولو أنّ النصحَ مقبولُ^(٧)

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي . وقد نشأ كعب في أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة . وأسلم ومدح الرسول بهذه القصيدة التي نشرحها . ويعد شعره من النوع القوي الجزل مع غرابة لفظ ، وجودة وصف ، ويقال إنه توفي سنة ٥٢٤ هـ .

(٢) بانث : فارقت . والمتبول : الذي أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

(٣) الغزال الأعن : الذي في صوته غنة ، وهي صوت محبوب . غضيض الطرف : أي في طرفها تكسر وتثور .

(٤) تجلو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا : الأسنان . ذي ظلم : أي ثغري ظلم . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . ومنهل معلول : أي مسق بالخمر مرة بعد أخرى .

(٥) شجّت : أي مزجت بالماء لتذهب سورتها . وبذي شَبَمٍ أي بماء ذي شَبَمٍ . والشبم : البرد .

والمخنية : منعطف الوادي لأن ماءها يكون أصفى وأرق . والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى .

والمشمول : الذي ضربته ريح الشمال حتى برد . أي كأن في ثغرها راحا مزجت بماء بارد نقي صاف .

(٦) القذَى : ما يسقط في الماء . وأفرطه : أي ملاءه . والصوب : المطر . والغادية : الغامة

تأتي صباحا . واليعاليل : الجبال ، أي وملاء هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٧) ويل أمها : تضاف كلمة ويل إلى أم وتربكان كأنها كلمة واحدة وتستعمل في التعجب ،

وفي رواية ابن هشام : فيألها ... والخلة هنا : الصديقة . أي ما أعجبها صديقة لو وفّت بما وعدت : وسمعت نصيحة النصح لها في أمرى .

لكنها خلةٌ قد سيطَ من دميها
 فما تقومُ على حالٍ تكون بها
 ولا تمسكُ بالعهدِ الذي زعمتُ
 كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً
 أرجو وأملُ أن تدنو مودتها
 فلا يغرنك ما منت وما وعدت
 أمست سعادُ بأرضٍ لا يبلغها

فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلٌ (١)
 كما تلونُ في أثوابها الغول (٢)
 إلا كما يميسكُ الماءَ الغرابيل
 وما مواعيدُها إلا الأباطيل (٣)
 وما إخالُ لدينامكٍ تنويل (٤)
 إن الأمانى والأحلامَ تضليل
 إلا العتاقُ النجياتُ المراسيل (٥)

*
 * *

وقال كل خليلٍ كنت آمله
 فقلتُ : خلوا سبيلي لا أبا لكم
 كل ابنٍ أنتى وإن طالت سلامته
 نبئتُ أن رسولَ الله أوعدني
 فقد أتيتُ رسولَ الله معتذراً
 مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةً أ
 لا تأخذني بأقوالِ الوشاةِ ، ولم

لا الهينك إني عنك مشغول
 فكل ما قدر الرحمنُ مفعول
 يوماً على آلةٍ حذباء محمول
 والعفو عند رسولِ الله مأمول (٦)
 والعدرُ عند رسولِ الله مقبول
 قرآنٍ فيها مواعيطٌ وتفصيل (٧)
 أذنب ، ولو كثرت في الأقاويل

(١) سيط : من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره . والفجع : الإصابة بالمكروه . والولع : الكذب .
 (٢) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تترامى لهم في القلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق .
 (٣) عرقوب : يضرب به المثل في خلف الوعد ، قيل إنه وعد أخاه ثمر نخلة ، وقال : أنتى إذا أطلع النخل ، فلما أطلع قال : إذا أبلح . فلما أبلح قال : إذا أزهى . فلما أزهى قال : إذا اربط . فلما أربط قال : إذا صار تمرا . فلما صار تمراً جده من الليل ولم يعطه شيئاً .

(٤) مفعول إخال الأول ضمير شأن مقدر . والمفعول الثاني جملة لدينا الخ .
 (٥) لا يبلغها : أى لا يبلغها أو لا يبلغها إياها إلا العتاق الخ . والعتاق : الإبل أو الخيل الكريمة . والنجيات : السريعات . والمراسيل : جمع مراسل ، وهو السريع .
 (٦) أوعد : هدد . (٧) نافلة القرآن : عطية القرآن . والتفصيل : التبيين .

- لقد أقومُ مقامًا لو يقومُ به يرى ويسمعُ ما قد أسمعُ الفيل (١)
 لظلُّ ترعدُ من وجدي بوادره إن لم يكن من رسول الله تتويل (٢)
 ما زلتُ أقطعُ البيداءَ مدرعًا جنحَ الظلامِ، وثوبُ الليلِ مسبول (٣)
 حتى وضعتُ يميني ما أنازعها في كفِّ ذى تقماتٍ قوله القيل (٤)
 فلهو أخوفُ عندي إذ أكلته وقيل : إنك منسوبٌ ومسئول (٥)
 من ضيغم بضراءِ الأرضِ مخدرة في بطنِ عثرِ غيلٍ دونه غيل (٦)
 يفتدو فيلحمُ ضرغامينِ عيشهما لحمٌ من الناسِ معفورٌ خراديل (٧)
 إذا يساورُ قرنا لا يحلُّ له أن يتركَ القرن إلا وهو مغلول (٨)
 منه تظلُّ حميرُ الجوا نافرةً ولا تمشي بواديه الأراجيل (٩)

- (١) أى لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيما الهيبه لو شهده القيل أو سمع القيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد .
 (٢) ظل ترعد ، جواب لوفى البيت السابق . والبوادر : جمع بادرة ، وهى هنا بين المنكب والعنق .
 (٣) ادرع الظلام أى لبسه كأنه درع .
 (٤) ما أنازعها : أى لا أجذبها . والقيل : أى القول الحق .
 (٥) أخوف : أى أعظم مسبب للخوف . ومنسوب : أى مسئول عن نفسك . أى ان مقامى بين يدى رسول الله بعد أن قيل لى انك تسأل عما نسب اليك من القبيح لأشد إخافة لى من ضيغم الخ
 (٦) من ضيغم : متعلق بأخوف فى البيت السابق . وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأويها السباع وبها نبت من الشجر . والمخدر : مكان إقامة الأسد . وبطن عثر مأنسة . أى مخدرة غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — بصفه بالمنعة والتوحش .
 (٧) بلحم : أى يطعم اللحم . معفور : أى ملقى فى التراب . والخراديل : القطع ، والمعنى يصبح الأسد فيطلب صيدا لولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة .
 (٨) يساور : يواكب . والقرن : المائل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . ويراد به هنا لاستطاع المشي . وفى رواية محدود . وفى أخرى : مغلول .
 (٩) الجحز : البر الواسع . والأراجيل : جمع الأرجال ، والأرجال جمع رجل ، اسم جمع لراجل أى غير راكب .

- ولا يزال بؤاديه أخو ثقفة
إق الرسول لنور يستضاء به
مضرج البر والدرسان مأكول (١)
مهتد من سيوف الله مسلول
ببطن مكة لما أسلموا : زولوا (٢)
عند اللقاء ولا ميل معازيل (٣)
ضرب إذا عرد السود التنايل (٤)
من نسج داود في الهيجا سرايل (٥)
كانها حلق القفعا مجدول (٦)
قوماً ، وليسوا تجازياً إذا نيلوا (٧)
وما لهم عن حياض الموت تهليل (٨)

- (١) البز : الثياب . والدرسان : أخلاق الثياب ، جمع دريس ؛ أى أن بوادى هذا الأسد تجدد شجاعا كان يتق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقا ممزقة .
(٢) زولوا : أى انتقلوا من مكة إلى المدينة .
(٣) النكس : الضعيف . والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له . والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزال وهو من لا سلاح له .
(٤) الزهر : البيض . وعرد : قر وأعرض . والتنايل : القصار .
(٥) شم العرائن : شم الأنوف ، أى أعزة . واللبوس : اللباس . والسرايل : الدروع ، أى لباسهم .
دروع من نسج داود .
(٦) بيض : صفة للسرايل . والسوايق الطوال . والقفعا : ثياب تنبسط على الأرض تشبه به حلق الدروع .
(٧) المفارج : جمع مفراج . والمجازيع : جمع مجزاع .
(٨) التهليل : الجبن والفرار .

(٢) قالت قتيلة بنت النضر بن الحارث تبكي أخاها :

- يا راجبًا إن الأئيل مِظنة^(١) من صُبحِ خامسة^(٢) ، وأنت موفق^(٣)
أبلغ بها ميتًا بانَّ تحجة^(٤) ما إن تزال بها النجائب تخفيق^(٥)
مني اليك ، وعبرة مسفوحة^(٦) جادت بواكفها ، وأخرى تخفق^(٧)
هل يسمعي النضر إن ناديت^(٨) أم كيف يسمع ميت لا ينطق^(٩)
أحمد يا خيرِ ضميرِ كريمة^(١٠) في قومها ، والفحل فحل معرق^(١١)
ما كان ضرك لو مننت؟ وربما من الفتى وهو المغيظ المحقق^(١٢)
أو كنت قابل فدية فليفتقن^(١٣) بأعز ما يغلوبه ما يفتق^(١٤)

(١) قتيلة بنت النضر وقيل أخته نشأت في قومها بنى عبد الدار بن قصي من قريش . وكان أخوها أربوها النضر مع قريش على الرسول في غزوة بدر فأمر الرسول عليه السلام بقتله . وترى أن شعرها على قزته أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحله .

(٢) الأئيل : موضع فيه قبر النضر ، تقول إن الأئيل يظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة ، إذا وفقت ولم يعقك عائق .

(٣) النجائب : جمع نجبية . وهي جياذ الإبل . ونخفان النجائب : شدة اهتزازها ، وإن زائدة .

(٤) منى متعلق بأبلغ ، والمسفوحة : المصبوبة ، أي بلغه من رسالة ، وأذكر له عبرة على فقدته سالت ، وعبرة أخرى جمدت ، وأخذ حزنها بالخلق فخفته .

(٥) أم هنا للإضراب : أي بل كيف يسمع الخ .

(٦) الضن : الأصل ، والولد . والكريمة : النجبية . والمعرق : من له أصول راسخة في الكرم المعنى أن أمك شريفة وأباك عريق في الحمد .

(٧) المعنى إذا كنت كذلك فما كان ضرك لو مننت على أخي وأطلقته فقد بعفو الكرم ، وهو منظور على النبط والحقق .

(٨) أي وما ضرك لو قبلت فدية ، فإني إن فعلت أنفقنا لفديته أعز وأغلى ما نملك .

قالنضر أقرب من أسرت قرابة
وأحقهم إن كان عتق عتق (١)
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تشقق! (٢)
صبرا يقاد إلى المنية متعبا
رسف المقيد ، وهو عان موثق (٣)

(٣) قال أمية بن أبي الصلت يعتب على ابن له : (٤)

غذوتك مولودا وعلتك يافعا
تعل بما أدنى إليك وتنهل (٥)
إذا ليلة نابتك بالشكولم أيت
لشكواك إلا ساهرا أتملل (٦)
كأنى أنا المطروق دوتك بالذي
طريقته به دوني ، وعيني تهمل (٧)
تخاف الردى نفسي عليك ، وإنها
تتعلم أن الموت حتم مؤجل (٨)
فلما بلغت السن والغاية التي
إليها مدى ما كنت فيك أوئل

(١) كان تامة : أي وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتق وفكاك .

(٢) تنوشه : تتناوله ، والله أرحام : تعجب أي لم يقتله أحد غير بني أبيه فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها .

(٣) صبرا أي حبسا حتى يقتل ، والمعنى أنه يقاد يموت بعد الحبس وهو متعب يرصف رسف المقيد ، أي وهو أسير موثق .

(٤) هو عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبي العرب ؛ حتى إذا كانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم نفسها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٥٩ هـ . ويمتاز شعره بالسهولة ، والدخيل من الألفاظ ، وتناول الأساطير ، والأمور الدينية مع المدح والحكمة وكان أكثر مدحه في عبد الله بن جدعان القرشي .

(٥) غذاه : قام بمؤنته ، وعاله : كفله وقام به ، والياغ : من قارب العشرين ، تعل : من العلل ،

وهو الشرب الثاني . والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبح عليه من نعمه مرة بعد مرة .

(٦) أتملل : أتقلب على الملة وهي الجمر .

(٧) تهمل : أي يسيل منها الدمع .

(٨) للردى : الهلاك ، حتم أي لا مفر منه . مؤجل أي له وقت .

جعلت جزائي منك جبها وغلظة
كانك أنت المنعم المتفضل (١)
فليتك إذ لم ترع حق ابوتي
فعلت كما الجار الجاور يفعل (٢)
وسميتني باسم المنفد رأيه
وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل (٣)
تراه ممدًا للخلاف كأنه
يردّ على أهل الصواب موكل (٤)

(٤) وقال كعب بن مالك : (٥)

عجيبٌ لأمرِ الله والله قادرٌ
على ما أراد ، ليس لله قاهرٌ
قضى يوم بدرٍ أن نلاقى معشرًا
بنوا ، وسبيلُ البغي بالناسِ جائرٌ
وقد حشدوا ، واستنقروا من يلبهم
من الناس ، حتى جمعهم متكائرٌ
وسارت إلينا لا نحاولُ غيرنا
باجمعها : كعبٌ جميعاً ، وعامرٌ
وفينا رسولُ الله ، والأوسُ حوله ،
له معقلٌ منهم عزيزٌ وناصرٌ
وجمعُ بني النجارِ تحت لوائهِ
يمشون في الماذي ، والنقعُ نائرٌ (٦)
فلما لقيناهم ، وكلُّ مجاهدٌ
لأصحابه مستبسلٌ النفسِ صابرٌ

(١) الجبه : مقابلة الانسان بما يكره .

(٢) أي ليتك إذا أبيت أن تعاملني معاملة الأب تعاملني كما يعامل الجار جاره .

(٣) فته : نسبة الى سوء العقل أي وصفتني بسوء الرأي والغبارة ، ولو عقلت لعلمت أن التفنيد حقيق .

بأن ينسب اليك لا إلى . (٤) معدا : أي محضرا ومهيئا ، أي أنه يهيئ الخلاف ، ويقابل به كل

رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

(٥) هو كعب بن مالك الخزرجي من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نشأ في المدينة وأسلم

ودافع أعداء الرسول عنه ، وروى عنه كثيرا من الأحاديث ثم كان عثمانيا يدعو الأنصار لتصر عثمان ، وتغلبه

على شعره النزعة الدينية في أسلوب واضح متين .

(٦) الماذي هنا : السلاح من الحديد المجلوه ، والنقع : غبار الحرب .

شهدنا بأن الله لا ربَّ غيره
وقد عيرت بيض خفاف كأنها
بين أبدنا جمعهم فتبددوا
فكَبَّ أبو جهلٍ صريحا لوجهه
وشَيْبَةَ والتَّيْمِيَّ غادرن في الوغى
فأمسوا وقود النار في مُستقرها
وكان رسول الله قد قال : أقبِلوا
لأمرٍ أراد الله أن يهلكوا به
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرٌ
مَقَابِيسُ يُزْهِمُا لِعَيْنِكَ شَاهِرٌ^(١)
وَكَانَ يُلَاقِي الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرٌ^(٢)
وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرْتَهُ وَهُوَ عَائِرٌ^(٣)
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا بَدَى الْعَرْشِ كَافِرٌ
وَكُلُّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرٌ
فَقُولُوا ، وَقَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرٌ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّهَ اللَّهُ زَاجِرٌ

(١) البيض الخفاف : السيوف ، والمقابس : جمع مقباس ، وهو شعلة النار ، ويزهها : يشعلها ، وشاهر السيف : رافعه .

(٢) الحين : الموت والهلاك .

(٣) كب : صرع والنون في غادرته للسيوف ، والعاثر يراد به المصروع .

(٤) حمه الله : قضاه ، زاجر راد .

(٥) قال مالكُ بنُ الرِّيبِ التَّمِيمِيُّ:

ألا ليت شعري هل أبينن ليلةً
فليت الغضى لم يقطع الركبُ عرضهُ
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى
لم ترني بعث الضلالة بالمهدي
دعاني الهوى من أهل أود وصحبي
أجبت الهوى لما دعاني زفرة
لعمري لئن غالت خراسان هاتمي
فله دري يوم أترك طاعما
يحب الغضى أزجى القلاص التواجيا
وليت الغضى ما شى الركاب لياليا
مزار ولكن الغضى ليس دانيا
وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا (٢)
بذي الطبسین فالنفت ورائيا (٣)
تقنعت منها أن الأم ردائيا (٤)
لقد كنت عن بابي خراسان نائيا (٥)
بني بأعلى الرقتين وماليا (٦)

(١) مالك بن الرب المازني التميمي شاعر فاتك لص نشأ في بادية بني تميم عند البصرة يقول الشعر الرفيق الجيد وينال الناس بالشرف يطلبه الولاة فيفرح حتى اتخذه معه سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية وعند قفولها من خراسان مرض مالك هذا فقال يذكر مرضه وغر بته بهذه القصيدة . وشعر مالك كما ترى جيد منين حسن التعبير .

(٢) في جيش ابن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان كان خرج معه لما ولي خراسان فلها كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فلدغته حية في داخله .

(٣) أود : موضع بالبادية من بلاد العرب . الطبسان : كورتان بخراسان ، أي دعاني الهوى وأنا في المكان ذي الطبسین .

(٤) أن الأم : أي مخافة أن الأم . وردائيا : مفعول تقنعت .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) لله دري : تركيب يقال في المدح والثناء ، أي ما أنا فيه من الخير إنما هو من الله في أصل المعنى ، وأراد بهذا التركيب هنا التعجب من نفسه والتقريع لها . والرقتان : قرينان قرب البصرة .

ودرُ الطَّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً (١)
ودرُ كَبِيرِي اللَّذِينَ كِلَاهِمَا
ودرُ الهوى من حيثُ يدعو صحابه
تذكرتُ من يبكي على فلم أجِدْ
وأشقرَ خنْذِيذٍ يُحْرَعِنَانَهُ
إلى الماء لم يترك له الدهرُ ساقياً (٥)

* * *

ولكنْ بأطرافِ السَّمِينَةِ نِسْوَةً
صريحٌ على أيدي الرجال بقنْفرة
ولما تراءت عند مرور مينيّتي
أقول لأصحابي : أرفعوني لأتني
فيا صاحبي رحلي دنا الموتُ فانزلا
عزيرُ عليهنّ العَشِيَّةَ ما مَيَا (٦)
يسوونَ قبرى حيثُ حمّ قضايَا
وخلّ بها جسمي وحانت وفاتي (٧)
يقتر لعيني أن سهيلٌ بدا لي (٨)
برابية ؛ إني مقيم لياليا

(١) إما أنه يقصد بالطباء النساء من أهله ، وأنهن كن يتشاءمن من سفرته ؛ وإما أنه يقصد الأطباء الحقيقية وأنها وإن سنحت وجاءت من المياسر الى الميامن وهو ما كانت تميمن به العرب كانت خداعة في هذا وأنها في الحقيقة كانت نذير الشؤم والهلاك .

(٢) لونها نيا : لو للتمنى . والضمير يعود للشفيق .

(٣) ودر لجاجاتي يتهم بأن مطامعه دفعته الى الهلاك وأن الموت كان انتهاء مطامعه .

(٤) الرديني منسوب الى ردينة ، وهي امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجد من يبكي على في

للغربة إلا سيفي ورمحي .

(٥) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيد : أى طويل صلب .

(٦) السمينة : موضع .

(٧) خل بها جسمي : اختل .

(٨) سهيل : نجم يكون في سمت بلاد اليمن .

أقيا على اليوم أو بعض ليلة
وقوما إذا ما استلّ رُوحى وهيثا
وخطا بأطراف الأسننة مضجعى
ولا تحسدانى — بارك الله فيكما —
خذانى بخزانى بهردى إليكما
وقد كنت عطاءا إذا الخيل أدبرت
وقد كنت محمودا لدى الزاد والقيرى
وقد كنت صبارا على القرن فى الوغى
وطورا ترانى فى ظلال ومجميع
وطورا ترانى فى رعى مستديرة
وقوما على بسر الشبيك فاشمعا
بانكما خلفتاني يقفيرة
ولا تنسيا عهدى خليلي انى

ولا تعجلانى ؛ قد تبين ما بيا
لى السدر والأكفان ثم ابكاليا (١)
وردا على عيني فضل ردايا
من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
سريعا الى الهيجا الى من دعانيا
وعن شتى ابن العم والجار وانيا
ثقيلا على الأعداء غضبا لسانيا (٢)
وطورا ترانى والعناق ركابيا (٣)
تخرق أطراف الرماح ثيابيا (٤)
بها الوحش والبيض الحسان الروانيا (٥)
تهيل على الريح فيها السوافيا (٦)
تقطع أوصالى وتبلى عظاميا (٧)

(١) السدر : شجر النبق . والمراد هنا ورقة لأنه يغسل به الميت .

(٢) القرن : المثيل فى الحرب . والعصب : السيف القاطع .

(٣) يصف نفسه فى السلم بأنه كان متمعا بلذات العيش فى خلال نعيم ، وأنه كان صاحب رأى إذا الضت

المجامع ، ويصف نفسه فى الحرب بأن مكانه متون الخيل . والعناق : جمع عنيق ، وهو الفرس الكريم .

(٤) أى فى الحرب التى تدور رحاها .

(٥) الشبيك : موضع . والروانى : النواظر .

(٦) السوافى : جمع سافية ، وهى الريح تحمل الغبار .

(٧) الأوصال : المفاصل .

قلن يعدم الوالون بيتا يجيني
يقولون : لا تبعدا ! وهم يدفنونني
غداة غد يالهف نفسي على غد
وأصبح مالي من طريف وتالد
فيا ليت شعري هل تغيرت الرحي
إذا القوم حلوها جميعا وأنزلوا
وعين وقد كان الظلام يجيها
وهل ترك العيس المراقيل بالضحا
إذا عصب الركان بين عنيزة
ويا ليت شعري هل بكت أم مالك

ولن يعدم الميراث مني المواليا (١)
وأين مكان البعد إلا مكانيبا (٢)
إذا أدلجوا عني وخلقت ثاوريا (٣)
لغيري وكان المال بالأمس ماليا (٤)
رحى المثل أو أضحت بفلج كما هيا (٥)
بها بقرا حم العيون سواجيا (٦)
يسفن الخزامى نورها والأقاحيا (٧)
تعالها، تعلو المتون الفياقيا (٨)
وبولان عاجوا المبقيات المهاديا (٩)
كما كنت لو عالوا نعيك با كيا (١٠)

- (١) بيتا يجيني : قبرا يواريني . والموالي : الأقارب .
(٢) بعد يبعد من باب فرح هلك ، وكان من عادة العرب عند دفن الميت أن يقولوا لا تبعد .
(٣) غداة الظرف متعلق بيقولون ، أدلجوا : ساروا ليلا . وثاوير : مقيم .
(٤) الطريف : المال المكتسب . والتالد : المال الموروث .
(٥) رحي المثل بضم الميم . والمثل : موضع . وفلج : موضع .
(٦) حلوها : أي نزلوا بها . حم : جمع حماء وهي السوداء . والسواجي : جمع ساجبة وهي العين الساكنة ، وهي صفة حسن والظاهر أنه يقصد بالبقر هنا النساء الحسان وما في البيت بعده ترشيح .
(٧) يجيها : يخفيها ، وساف يسوف : شم . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والأقاحي : جمع أقحوان هو نبت زهره أبيض مفلج .
(٨) العيس : الإبل . المراقيل : جمع مرقال وهي السريعة . والتعالى : الارتفاع في السير . والمتون : الجهات المرتفعة . والفياقيا : جمع فيفاعة وهي الأرض الغليظة .
(٩) عنيزة : مكان في وادي بطن فلج . المبقيات : التي يبقى جريها بعد انقطاع جري غيرها وكلاهما .
(١٠) عالوا : رفعوا أي بلغوا . أي كما كنت با كيا عليك يا أم مالك لو بلغوني نعيك .

إذا ميت فاعتادى القبور فسلمى
على الرِّيم أُسقيت الغمام الغواديا (١)
ترى جدًّا قد جرت الريح فوقه
غبارًا كلون القسطلاني هابيا (٢)
رهينة أحجار وترب تضمنت
قوارتها منى العظام البواليا

* * *

أقلب طرفي فوق رحلي فلا أرى
به من عيون المؤنسات مُراعيا
وبالرمل منّا نسوة لو شهدني
بكين وفدين الطيب المداويا
فمنهن أمي وابنتاها وخالتي
وباكية أخرى تهيج البواكيا (٣)
وما كان عهد الرمل منى وأهله
ذميًّا ، ولا بالرمل ودعتُ قاليا

(٦) وقال أعشى باهلة (٤) :

إني أنثني لسان ما أسرُّ بها
من علو لا تجبُّ فيها ولا سخر (٥)
جاءت مرجمة قد كنت أحذرُها
لو كان ينفعني الإشفاق والحذر (٦)

(١) الرِّيم : القبر . الغوادى : جمع غادية . السحابة الباكزة المطر .

(٢) القسطلاني : نسبة إلى القسطلان وهو غبار الحرب . هاب من هبا الغبار إذا سطم أو اختلط بالتراب .

(٣) يريد زوجته .

(٤) هو عامر بن الحارث بن عوف بن معن شاعر مشهور كان له أخ من أمه يدعى المنتشر بن وهب

قتله بنو الحارث بن كعب في رجل منهم فرناه الأعشى بهذه الرائية .

(٥) لسان : أى رسالة . وعلو الشئ : أعلاه . ويريد هنا من بعد وهو هنا مبنى على الضم لأنه

ظرف مبهم قطع عن الإضافة . والسخر : الاستهزاء ، أى أن الخبر الذى وصل اليه من مكان بعيد خبر

لا يجب فيه ، لأنه كان ينتظر ، ولا استهزاء بصحة .

(٦) مرجمة : الحديث المرجم : ما لا يوقف على حقيقته . والإشفاق : الخوف .

- تَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا تَلْوِي عَلَى أَحَدٍ
إِذَا يُقَادُ لَهَا ذِكْرُ أَكْذِبِهِ
فَبِتُّ مَكْتَبًا حَيْرَانَ أَنْدَبُهُ
بِغَاشِيَةِ النَّفْسِ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ
إِنِ الَّذِي جِئْتَ مِنْ تَثْلِيثِ تَنْدَبِهِ
تَتَعَى امْرَأًا لَا تُغِبُّ الْحَى جَفْتَهُ
وَرَا حَتَّ الشُّوْلِ مَغْبَرًا مَنَاكِبَهَا
وَأَجْرَ الْكَلْبِ مُبْيَضُّ الصَّقِيعِ بِهِ
عَلَيْهِ أَوْلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا
- حَتَّى أَنْتَنَا ، وَكَانَتْ دُونَنَا مُضْرُ (١)
حَتَّى أَنْتَنِي بِهَا الْأَنْبَاءُ وَالْحَبْرُ (٢)
وَلَسْتُ أَدْفَعُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثِ مَعْتَمِرُ (٣)
مِنْهُ السَّمَّاحُ وَمِنْهُ الْجُودُ وَالْغَيْرُ (٤)
إِذَا الْكَوَاكِبُ خَوَى نَوْءَهَا الْمَطَرُ (٥)
شُعْنًا تَغَيَّرَ مِنْهَا النَّيُّ وَالْوَبْرُ (٦)
وَضَمَّتْ الْحَى مِنْ صُرَادِهِ الْجَحْرُ (٧)
ثُمَّ الْمَطَى إِذَا مَا أَرْمَلُوا جُزْرُ (٨)

- (١) لا تلوى على أحد : أى لا تتوقف ولا تنتظر . أى أن هذه الرسالة كانت تبرز على الناس سرى ما حتى وصلت الى وكان بينى وبينها قبائل مضر .
- (٢) الأنباء : الأخبار . يريد كنت أ كذبها حتى تواترت الانباء والأخبار .
- (٣) جاشت : غلت واضطربت من الحزن . وتثليث : موضع . ومعتمر : معتم .
- (٤) الغير : جمع غيرة ، وهى النخوة .
- (٥) نعى الميت ينعاه : أخبر بموته . أغبتهم : جاءتهم يوما وتركتم يوما . والجفنة : القصة . وخوى الكوكب : لم يطر . والنوء : مظهر خاص فى الكواكب ينذر بالمطر . والمعنى أنه كان كرىما يرسل الجفان الى الحى حتى فى أوقات الشدائد والجذب حينما يخلف المطر ما كانت تنذره علامات سقوطه .
- (٦) الشول : جمع شائلة . وهى الناقة جف لبنها . والشعث : جمع شعناء وهى المغبرة الرأس المتلبدة الوبر . والنى : الشحم والسمن .
- (٧) أجمر الكلب : ألزمه بجره . والصقيع : ما يسقط بالليل كأنه ثلج . والصراد : السحاب شديد البرد . ولا مطرفيه .
- (٨) أرملا : فل زادهم ، والتصقت أيديهم بالرمل . والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنخر .
خبر المطى .

- لا تَأْمَنُ الْبَازِلُ الْكَوْمَاءُ ضَرْبَتَهُ (١)
 قَدْ تَكْظِمُ الْبَزْلُ مِنْهُ حِينَ يَفْجُوها (٢)
 أَخْوَرُ غَائِبَ يُعْطِيها وَيَسْأَلُها (٣)
 مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنْ يُكْذِرُهُ (٤)
 يَمْشِي بِيَدَاءٍ لَا يَمْشِي بِها أَحَدٌ (٥)
 كَأَنَّهُ بَعْدَ صَدَقِ الْقَوْمِ أَنْفَسَهُمْ (٦)
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ تَعْجَلُ (٧)
 إِمَّا يُصِيبُهُ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَأَةٍ (٨)
 أَخْوَرُ حُرُوبٍ وَمَكْسَابٍ إِذَا عِيدُوا (٩)
 يَأْمَشُرُ فِي إِذَا مَا أَخْرُوطَ السَّفَرُ (١٠)
 حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِها الْحَرَرُ (١١)
 يَخْشَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النُّوفَلُ الزُّفْرُ (١٢)
 عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرٌ (١٣)
 وَلَا يُحْسِ خِلا الخَافِي بِها أَثْرُ (١٤)
 بِالْبَاسِ يَلْمَعُ مِنْ أَقْدَامِهِ الشَّرَرُ (١٥)
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عَسَرُ (١٦)
 يَوْمًا قَدْ كَانَتْ يَسْتَعْلِي وَيَنْتَصِرُ (١٧)
 وَفِي الخِيفَةِ مِنْهُ الْجِدُّ وَالْحَذَرُ (١٨)

- (١) البازل : ما برز نابه من جمل أو ناقة ، وتكون سته إذا نحو تسع سنين . الكوما : الناقة الضخمة السنام . واخروط السفر : أي طالت مدته ، وبعدت طريقته .
 (٢) تكظم : أي تحبس غيظها على مريض ، ويفجؤها : يجيئها بغامة وبغته . والبحر : جمع جرة . وهي الكرش التي يوضع فيها البعير طعامه لئلا يكله ثانية . يعني أنه لكثرة عادته بمقر الإبل إذا رآه كظمت وجبست جرها خوفا وهيبة حتى تكاد تقطع أعناقها .
 (٣) الرغائب : العطايا ، يعطيها ويسألها : أي مرة يعطى بلا سؤال ومرة بعد سؤال . والظلام : ما يتظلم منه . والنوفل : الكثير العطاء . والزفر : السيد .
 (٤) اليداء : الفلاة . والخافي : الخفي ، يصفه بالجرأة وقوة القلب والعزيمة .
 (٥) صدق القوم أنفسهم : أي إجهادهم أنفسهم . والبأس : القوة ، يعني إذا جراه وسابقه قوم فانك تراهم بعد أن أجهدوا أنفسهم ليلبثوا مدهاء قد خابوا ، وراه وقد لمع الشر من أقدامه لقوة عدوه .
 (٦) استنظرته : طلبت منه الانتظار . وبأسرته : لا ينته ولا طفته . والعسر : قلة السباحة وضيق الخلق .
 (٧) إما : هي إن الشرطية المدغمة في ما . والمناوأة : المعادة .
 (٨) الجد : الاجتهاد في الأمر .

- مردى حروب شهاب يستضاء به (١) كما أضاء سواد الطخية القمر (١)
- مهفهف أهضم الكشحين منخرق (٢) عنه القميص ، لسير الليل محتقر (٢)
- ضخم الدسيعة متلاف أخوثقة (٣) حامى الحقيقة منه الجود والفخر (٣)
- طاوى المصير على العزاء منجرد (٤) بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر (٤)
- لا يتارى لما فى القدر يرقبه (٥) ولا يعض على شرسوفه الصفر (٥)
- تكفيه فلذة لحم إن ألم بها (٦) من الشواء ، ويروى شربه الغمر (٦)
- لا يأمن الناس ممسأه ومصبحه (٧) فى كل فج ، وإن لم يغزى ينتظر (٧)
- المعجل القوم ان تغلى مرآجلهم (٨) قبل الصباح ، ولما يمسح البصر (٨)
- لا يغمز الساق من أين ولا نصب (٩) ولا يزال أمام القوم يقتفر (٩)

(١) المردى : الحجر الذى يرمى به أو الذى تكسره الصخور . والشهاب : شعلة من النار . والطخية : الظلمة .

(٢) المهفهف : الخفيف اللحم . أهضم الكشحين . أى ضامر الخصر . منخرق عنه القميص :

هذا كناية عن طول أسفاره .

(٣) الدسيعة : العطية . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه . ويدافع عنه كالشرف والعرض وغيرهما .

(٤) المصير : المعى ، وجمعه مصران . والعزاء : السنة الشديدة المجدة ، والمنجرد هنا : المسرع بالسير

يعنى أنه فى السنة المجدة يطوى أحشاءه على الجوع ، ويسير بالقوم لمواطن القوت فى ليلة لا ماء فيها ولا نبات .

(٥) يتارى : ينجس وينظر . والشرسوف : غضروف الضلع المشرفة على البطن . والصقر والصفار :

دوية تزعم العرب أنها فى البطن تعض الضلوع عند الجوع .

(٦) الفلذة : القطعة الصغيرة . والشرب : أصله الشرب وسكنت الراء . وهو مصدر شرب بمعنى

عطش . والنمر : قرح صغير أو أصغر الأقداح .

(٧) أى أنه يخوف فى كل الأوقات وأنه إذا لم يغز قوما انتظروا حملته فى خوف .

(٨) أى أنه يدعو القوم إلى العجلة والإسراع إلى الغارة دون أن ينتظروا غليان قدورهم وذلك قبل

الفجر وقبل أن يمسح القوم أعينهم من آثار النوم .

(٩) الأين والنصب التعب . و يقتفر : يتبع ويجرى على أثره .

عِشْنَا بِهِ بُرْهَةً دَهْرًا فَوَدَّعْنَا كذلك الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ مِنْ كَبِيرِ
فَنِعَمَ مَا أَنْتَ عِنْدَ الْحَايِرِ تُسَالَهُ ونعمَ ما أنتَ عندَ البأسِ تُحْتَضِرُ (١)
أَصَبْتَ فِي حَرِّمٍ مِنَّا أَخًا ثِقِيَّةً هِنْدَ بْنَ سَلَمَى ، فَلَا يَهْنَأُ لَكَ الظَّفَرُ !
فَإِنْ جَزَعْنَا فَإِنَّ الشَّرَّ أَجَزَعَنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرٌ صَبِرٌ (٢)

(٧) قَالَتِ الْخَنَسَاءُ (٣) تَرْتِي أَخَاهَا صَخْرًا :

مَا هَاجَ حُرْنَكَ ؟ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَارُ أُمُّ ذَرَفَتْ أَنْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّادُ (٤)
كَأَنَّ عَيْنِي لِدِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ قَيْضٌ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَيْنِ مِدْرَارُ (٥)
تَبْكِي لِصَخْرِي هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ وَهَيْتُ وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أَسْتَارُ (٦)
تَبْكِي خَنَاسٌ فَمَا تَنْفَكُ مَا عَمَّرْتُ لَهَا عَلَيْهِ رَنْيْنٌ ، وَهِيَ مِقْتَارُ (٧)

(١) البأس : الشدة ، وتحتضر أى يطلب حضورك .

(٢) صبر : جمع صبور .

(٣) هى تماضرينت عمزوين الشريد السلمى نشأت فى بيت مجد وسيادة فى الجاهلية تقول المقطوعات من الشعر فلما قتل أخوها صخر ومعاوية اشتد جزعها عليهما حتى نبقت فى الرناء . وتعد الخنساء على نرأس الشعاع العربيات لثقة شعرها مع جمال الأسلوب وسلاسته . وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية . سنة ٥٤٦ .

(٤) ما : استفهامية . والعوار : رمد العين : وذرفت : فطرت قطرا متابعا . تقول : أى شىء هاج

حزتك أبك رمد ؟ أم سكبت الدموع لخلو الدار من أهلها ؟

(٥) كأن عيني أى دموع عيني . والفيض : الماء الكثير . والمدرار الغزير .

(٦) الضمير فى تبكى يعود على الخنساء . والعبرى : التى لا تحبف دموعها وعبراتها . والولة : شدة الجزع والأستار هنا : الأحجار والتراب يبال على الميت . وفولها من جديد التراب يدل على قرب موته ، وهذا يستلزم

شدة الجزع .

(٧) ما عممرت : أى مدة عمرها . والمقتار : التى أصابها فترة أى ضعف .

- تبيكي خُنَّاسٌ على صَخِيرٍ ، وَحَقُّ لَهَا
لَا بُدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرَفِهَا غَيْرِ
يَا صَخْرُ وِرَادَ مَاءٍ قَدْ تَنَازَرَهُ
مَشَى السَّبْتَى إِلَى هَيْجَاءٍ مُضْلِعَةٍ
فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تَطِيفُ بِهِ
تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرَتْ
لَا تَسْمَنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعَتْ
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مَنَى يَوْمَ فَارَقَنِي
وَإِنَّ صَخْرًا كَافِينًا وَسَيِّدُنَا
- إِذْ رَأَى الدَّهْرُ ، إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارٌ (١)
وَالدَّهْرُ فِي صَرَفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارٌ (٢)
أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وِرْدِهِ عَارٌ (٣)
لَهُ سَلَاحَاتٍ أَنْيَابٌ وَأَظْفَارٌ (٤)
لَهَا حَنِينَانِ إِصْغَارٌ وَإِكْبَارٌ (٥)
فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ (٦)
فَإِنَّمَا هِيَ تَحَنُّانٌ وَتَسْجَارٌ (٧)
صَخْرٌ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ (٨)
وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتَوَ لَنَحَارٌ (٩)

(١) رايها الدهر : أى رأيت منه ما تكرهه .

(٢) فى صرفها : أى فى حدودها وتصرفها . وغير الدهر : أحداثه وأحواله . والحول : التحول والتقلب .
والأطوار : الأحوال .

(٣) تناذره أهل الموارد : أنذر بعضهم بعضاً ، وخوف بعضهم بعضاً عاقبة وروده . تقول : وردت
بحوض المنية وقد خافه كل وارد ، على أنه ليس فى ورده من عار لأنه لا مفتر منه .

(٤) السبتى : الجرى ، والنمر . والهيجاه : الحرب . والمضلعة : الشديدة .

(٥) العجول من الإبل والنساء : التى يموت ولدها وهو صغير . والبو : جلد ولد الناقة محشوا يذل
منها قرأه . والإصغار فى الحنين : خفض الصوت به . والاكبار : رفعه .

(٦) رتعت الناقة رعت ، أى أنها رعى مادامت ناسية ما أصاب ولدها حتى إذا ذكرته لم يقر لها فرار

من شدة الحزن .

(٧) ربعت : أصابها مطر الربيع ، أى تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت فى أرض معشبة أصابها

مطر الربيع لأنها دائماً فى حنين . والتسجار : مد الصوت بالحنين من سجر يسجر

(٨) بأوجد : خبر ما يحول قبل هذا البيت بيتين

(٩) نشتواى ندخل فى الشتاء . وخصصته لأنه زمن الجذب والشدة

وان صخرًا لَمَقْدَامٍ إِذَا رَكَبُوا
أَغْرُ أَيْلُجٍ تَأْتُمُّ الْهَدَاةَ بِهِ
جِلْدٌ جَمِيلٌ الْمُحْيَا كَامِلٌ وَرِعٌ
حَمَالُ الْوَيْةِ هَبَّاطٌ أَوْدِيَةٌ
فَبِتُّ سَاهِرَةً لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ
لِيَكَّهُ مُقْتَرٌ أَفْتَى حَرِيَّتَهُ
وَرُقُقَةٌ حَارٌّ هَادِيهِمْ بِمَهْلِكَةٍ
لَا يَمْنَعُ الْقَوْمَ إِنْ سَالُوهُ خَلَعَتَهُ
وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا جَاعُوا لِعَقَارِ (١)
كَأَنَّهُ عَنَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ (٢)
وَالْمَعْرُوبُ غَدَاةُ الرَّوْعِ مِسْعَارٌ (٣)
شَهَادَةُ أُنْدِيَّةٍ لِلجَيْشِ جَرَّارٌ (٤)
حَتَّى أَتَى دُونَ غَوْرِ النَّجْمِ أُسْتَارٌ (٥)
دَهْرٌ ، وَحَالَفَهُ بُوْسٌ وَإِقْتَارٌ (٦)
كَأَنَّ ظُلْمَتَهَا فِي الطُّخْيَةِ الْقَارِ (٧)
وَلَا يَجَاوِزُهُ بِاللَّيْلِ مُرَّارٌ (٨)

(١) عقر الإبل : نحرها .

(٢) الأغر : الكريم الفعال والشريف . والأبلج : البعيد ما بين الحاجبين . وهذا إما بمدح به الرجل .
والعلم : الجبل . تصفه بأنه هادي الهداة وأنه في الشهرة والظهور أو في هداية الناس إلى الشرف والمجد
كالجبل في قننه نار .

(٣) الجلد : الشديد القوى . والورع : المحتجب لما لا يعنيه . وفي رواية ذرع والذرع الحسن
العشرة . والروع : الخوف والحرب . ومسعار : أي موقد نار الحرب .

(٤) تصفه بالشجاعة والسيادة ؛ فهو حامل اللواء في الحرب ، وهو لا يعتصم بالجبال خوفاً ، بل
يهبط الوديان للقتال ، ثم أنه حكيم راجح الرأي يشهد أندية عقلاً ، القبيلة وأهل الرأي فيها .

(٥) الغور : غروب النجم وسقوطه ؛ تريد بالنجم الثاني صخرًا أي حتى عجلت ظلمات القبور ، فعبت
صخرًا دون أن يبلغ من الحياة أمد أمثاله .

(٦) المقتَر : الفقير . والحريية : ما يعيش الإنسان به من المال

(٧) المهلكة : مكان الهلاك . والطخية : الظلمة الشديدة .

(٨) المزار : جمع ماز ، أي لو سئل توبه ما منعه ، ولا يمر بداره إنسان إلا أضافه .

(٨) قال حسان بن ثابت^(١) يذكر الحارث بن هشام وهزيمته
يوم بدر . وقد حسن إسلامه بعد ذلك واستشهد بأجنادين :
تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ نَخْرِيدَةٌ تَسْقِي الضَّجِيعَ بِيَّارِدٍ بِسَامٍ^(٢)



يَأْمَنُ لِعَاذِلَةٍ تَلُومٌ سَفَاهَةٌ وَلَقَدْ عَصَبْتُ عَلَى الْهَوَى لُوَامِي^(٣)
بَكَرْتُ عَلَى بُسْحَرَةٍ بَعْدَ الْكُرَى وَتَقَارِبٍ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ^(٤)
زَعَمْتَ بَانَ الْمَرْءِ يُكْرَبُ يَوْمَهُ عُدْمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِنَ الْأَصْرَامِ^(٥)
إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَتَجَوَّيْتُ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ الْأَحْبَةَ أَنْ يِقَاتِلَ عَنْهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ^(٦)

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري . نشأ جاهليا ناهيا في الشعر يمدح المناذرة والنسائية ، وقد أسلم مع الأنصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول . محببا اليه والى خلفائه حتى مات في خلافة معاوية سنة ٤٥ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر بنفسه وبقومه . ويختلف أسلوبه الإسلامي عن الجاهلي بتأثير البيئة الجديدة فصار سهلا مألوفاً بعد أن كان وعرا غريب الألفاظ

(٢) تبهه الحب : ذهب بعقله وأسقمه . والنخريدة : المرأة الحية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المستتر . والضجيع : المضاجع . والبيارد : البسام : القم العذب كثير الابتسام .

(٣) أي من يسعدني لدفع عاذلة . والسفاهة : الجهل ، مصدر سفه .

(٤) بكر يبيكر إلى الشيء : يعجل . والسحرة : قبيل الصبح . ويريد بالتقارب من حادث الأيام :

الكبر والتقرب من الموت .

(٥) يكره : يذم . والمعترك : الجيش إذا اختلط رجاله . والأصرام : جمع صرم ، وهو : الصف والجماعة . يقول : إن العاذلة تدعى أن فذنا . قوم الرجل وأهله يذني أجله ؛ فهي تنفره من الحرب ونحوض غمارها .

(٦) الطمرة : القرمس الجواد المستعمل للوثب ، أي نجا مسرعا بفرسه متشبها برأسها ولبانها فرارا من

هول الحرب .

- تَدْرُ العَنَاجِجَ الجِيَادَ يَقْفَرَةَ ١
مَرَّ الدَّمُوكِ مُجْهِدٍ وِرْجَامِ (١)
مَلَّاتْ بِهِ الفَرَجِينَ فَاوَمَدَّتْ بِهِ
وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكِ
طَحَنَتْهُمْ — وَاللَّهِ يُنْفِذُ أَمْرَهُ —
بِزَرِّ السَّبَاعِ وَدُسْنِهِ بِحَوَامِي (٢)
لَوْلَا الإِلَهُ وَجَرِيهَا لَتَرَكْنَهُ
صَقُرٌ إِذَا لَاقَى الكَتِيبَةَ حَامِي (٤)
مَنْ كَلَّ مَاسُورٍ يَشُدُّ صِفَادَهُ
وَمَجْدَلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ
حَتَّى تَزُولَ شَوَاحِجُ الأَعْلَامِ (٥)
بِإِضِّ السِّيُوفِ تَسُوقُ كُلِّ هُمَامِ (٦)
نَسَبُ القِصَارِ سَمِيذَعٍ مِقْدَامِ (٧)
بِيضٌ إِذَا لَاقَتْ حَديدًا أَصَمَّتْ
كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالِ كُلِّ غَمَامِ (٨)

- (١) العناجيج : جياد الخيل . الدموك : البكرة يستقى بها على البئر ، والمجهد : حبل شديد القتلى ، والرجام : حجر يربط في الدلو ليكون أسرع لها عند إدلائها .
(٢) ملات ... الخ : المراد بالفرجين القضاء بين يديها ورجليها . وأرمدت : صارت بلون الرماد لكثرة ما أصابها من غبار . نوى : أقام .
(٣) الضمير في تركته للخيل ، وجزر السباع : أى طعمتها ويريد بالحوامى سنانك الخيل .
(٤) صقر : فاعل يشد ، وفيه تشبيه الرجل الشجاع بالصقر . والصفاد : ما يوثق به الأسير .
(٥) حذله صرعه على الجدالة : وهى الأرض ذات الرمل الرقيق أو عام . يقول إن هذا المجدل فارق الحياة ، فلا يستجيب لمن يدعو حتى تزول الجبال .
(٦) بالعار : متعلق بمحذوف أى يشعرون .
(٧) الأغر : الكريم الفعال والشريف . ونسب القصار أى نسب قصار النسب ، بقولون فلان فصير النسب أى أبوه معروف إذا ذكره الابن كفاءه عن ذكر الجد . والسميذع : السيد الكريم الشريف السنخى الموطأ الأكتاف والشجاع والرجل الخفيف فى حاجته . بيدى متعلق بمحذوف حال من بيض .
(٨) بيض : خبر لمبتدأ محذوف أى سلاحه بيض ، وأصممت بمعنى أسكنت لشدة هولها . ثم شبهها فى لمعانها بالبرق فى ظلمة الغمام .

وقال يمدح عمرأ بن الحارث الغساني وقومه :

- أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بَيْنَ الجَوَابِي فَالبُضَيْعِ حَوَمَلِ (١)
فالمَرَجِ مَرَجِ الصُّفَرَيْنِ بِجَاسِمِ فديارِ سَامِي دُرِّسَا ، لَمْ تُحَلِّلِ (٢)
دِمْنٌ تَعَاقِبُهَا الرِّيحُ دَوَارِسُ والمُدَجِنَاتِ مِنَ السَّمَاءِ الأَعْرَزِ (٣)
دَارُ لِقَوْمٍ قَدْ أَرَاهُم مَرَّةً ففوقِ الأَعْرَازِ عِزُّهُمْ لَمْ يُنْقَلِ
لَهُ دُرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتْهُمْ يَوْمَا يَجَلَّقُ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ (٤)
يَمْسُونَ فِي الحُلَلِ المِضَاعِفِ نَسْجُهَا مَشَى الجَمَالَ إِلَى الجَمَالَ البُزْلِ (٥)
الضَّارِبُونَ الكَبِشَ يَبْرُقُ بِيضُهُ ضَرْبًا يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ المَفْصِلِ (٦)
وَالخَالِطُونَ فقَيْرُهُمْ بَغْنِيهِمْ والمنعِمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ المُرْمَلِ (٧)
أولَادُ جَفَنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُنْفِصِلِ

- (١) رسم الدار : بقية آثارها . والجوابي والبضيع وحومل : مواضع .
(٢) مرج صفر وجاسم : موضعان بالشام . ودرسا : جمع دارسة ، وهي البالية . لم تحلل
أى لم ينزل أحد بها .
(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهي آثار الدار . وتعاقبها الرياح أى تهب عليها آنا فآنا . ودوارس :
جمع دارسة . والمدجنات : السحب الكثيرة الأمطار .
(٤) جلق : دمشق .
(٥) الحلل : الدروع ، والمضاعف نسجها : التي نسجت حلقتين حلقتين . والبزل : جمع بازل ،
وهو ما برزت نابه من الإبل ، وذلك عند ما يبلغ التاسعة .
(٦) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة تلبس على الرأس .
وقصد بقوله (ضربا يطيح له بنان المفصل) أن الضرب سريع والسيوف حاد حتى أنه يقطع أجزاء الجسم
الصغيرة في سرعة .
(٧) المرمل : الذي ، فى زاده والنصق بالرمل . يصفهم بالجوود والرفق والتواضع .

- يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ بردى يصفق بالرحيق السلسل (١)
- يَسْقُونَ دِرْيَاقَ الرَّحِيقِ ، وَلَمْ تَكُنْ تدعى ولأندهم لنقف الحنظل (٢)
- بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيْمَةً أَحْسَابُهُمْ شم الأنوف من الطراز الأول
- فَلَيْثُ أَزْمَانًا طَوِيلًا فِيهِمْ ثم أدركت كأننى لم أفعَل (٣)
- إِذَا تَرَى رَأْسِي تَغْيِرُ لَوْنَهُ شمطا ، فأصبح كالثغام المحوِل (٤)
- وَلَقَدْ يَرَانِي مُوعِدِيَّ كَأَنِّي فى قصر دومة أو سواء الهيكل (٥)
- وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ فِي حَانُوتِهَا صهبا صافية كطعم الفلفل (٦)
- يَسْمَى عَلَى بِكَاسِهَا مَتَنْظَفٌ فيعلنى منها ، ولو لم أنهل (٧)

- (١) البريص : موضع بدمشق . وبردى : نهر دمشق الأعظم . وصفق الرجل الشراب : حوله مزوجا من إناء الى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها . والسلسل : العذب البارد ، أى أنهم يسقون من وفد عليهم ماء من النهر مزوجا بالخمر العذب البارد المصفى .
- (٢) الدرياق : لغة فى الترياق وهو الخمر . والولائد : جمع وليدة ، وهى الصبية أو الأمة .
نقف الحنظل : شقه ، ويكنى بأن إمامهم لا تشق الحنظل ليسارهم ولأنهم فى خصب .
- (٣) طويلا . صفة لفعول مطلق أى لبنا طويلا . وادركت : أى امتعت عن النهي بآثاره .
- (٤) إنا : إن الشرطية المدغمة فى ما . والشمط : بياض الشعر يخالط سواده . والثغام : نبت يبيض ورقه إذا يس وجواب الشرط محذوف أى فلا تجزعى .
- (٥) أوعده : أئذره بالشر . وأصل موعدى موعدوى ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء .
وقصر دومة : حصن . والهيكل : بيت لعبادة النصارى . يقصد أن أعداءه يرونه بعيدا عن أن يتالوه حتى كأنه فى الحصن .
- (٦) الحانوت : الحانة .
- (٧) المتنظف : لابس القرط . وأعله : سقاه ثانيا . والنهل : من الأضداد يقع على الرى والبطش ، أى يسقبنى ثانية ، ولو لم أظما .

إن التي ناولتني فرددتها
كلتاهما حلب العصير فعاطني
يُرْجَاة رَقَصَتْ بِمَا فِي قَعْرَهَا
تَسِي أُصَيْلٌ فِي الْكِرَامِ وَمِذْوَدِي
وَلَقَدْ تَقَلَّدْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَيَسُودُ سَيِّدُنَا بِحَجَّاحِ سَادَةٍ
وَيُحَاوِلُ الْأَمْرَ الْمَهْمَ خَطَابَةً
وَيَتَزَوَّرُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رُكْبَانًا
وقال يوم فتح مكة :

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ
إِلَى عَذْرَاءَ مَنَزِلُهَا خَلَاءُ
تَعْفِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ
وَكُنَّا لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ
خِلَالَ مَرْوِجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ

- (١) قتل الشراب : مزجه بالماء ، وقتلت دعاء على الساقى ولم يقصد به الشرهنا .
- (٢) كلتاهما : أى الخمر الصرف والمزوجة . فاسقنى أشدهما إرخاء للفاصل ، وهى الخمر الصرف .
- (٣) معنى رقص الكأس بما فى قعرها : صعود الفقاع من أسفل الى أعلى لشدة ثوران الخمر فيها . والقلوص : الناقة .
- (٤) المذود : اللسان . والمواسم : جمع ميسم ، وهو آلة يكرى بها . والمصطلى : المستدفى . والكلام على التشبيه أى أن لسانه يشبه المكواة التى تكوى من تصيبه .
- (٥) سيد بحجاج : مسارع فى المكارم . سواء : وسط . المفصل كسجد : كل ملتحق عظيمين فى الجسد . يريد أنه يصيب شاكلة الصواب .
- (٦) المهم : المشكل .
- (٧) ذات الأصابع والجواء وعذراء مواضع بالشام .
- (٨) الروامس : الرياح التى تذفن الآثار ، والمراد بالسماء الأمطار .
- (٩) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل .

- فدع هذا ، وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٌ يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ ؟ (١)
- عِدْمَنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا * * * تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدَهَا كَدَاءَ (٢)
- يُسَارِينِ الْأَسِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْثَافِهَا الْأَسْلُ الظَّاءِ (٣)
- تَطَّلُ جِيَادَنَا مَتَمَطَّرَاتٍ تَلَطَّمُهُنَّ بِالنَّخْرِ النِّسَاءِ (٤)
- فَإِذَا تُعْرَضُوا عَنَّا أَعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَأَنْكَشَفَ الْغِطَاءَ (٥)
- وَأِلَّا فَاصْبِرُوا لِحِلَادِ يَوْمٍ يَعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
- وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرَضَتْهَا اللَّقَاءُ (٦)
- لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدِّ قِتَالٍ أَوْ سَبَابٍ أَوْ هِجَاءٍ
- فَفَحِّمُوكُمُ بِالْقَوَافِي مِنْ هِجَانَا وَنَضِيرُكُمْ حِينَ تَخْتَلِطُ الْبِدْمَاءُ (٧)

(١) العشاء من المغرب إلى العتمة ، والمعنى دع الحديث في الأطلال ، وأرشدني إلى من يدفع عنى لطيف الخيال الذي يورقني إذا اشتدّ ظلام الليل .

(٢) كداء : نذبة بالقرب من مكة ، وجملة عدمنا : دعائية .

(٣) المباراة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان ، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أى أن الخيل تسابق الأسنة التي يضمها الفرسان حذاء عنقها فلما منها أن الأسنة تجرى معها شوطاً ، ومصغيات : حال من الأسنة أى ما ثلاث للطن ، وظماً الرماح : شدة شغفها بالدم والقتال .

(٤) تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضاً ، ولطمه : ضربه ، والنخر : جمع نخار ، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أى إن النساء يسحن بنخرن على الخيل لما أصابها من الجهد . ولما غشها من هرق وغبار .

(٥) فإذا : أصلها إن ما ، وهى إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة ، واعتمرنا : أدينا العمرة وهى زيارة البيت الحرام ، أى إن أعرضتم عن تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

(٦) عرضتها : أى همتها وقوتها ، أى أن الأنصار قوتها فى اللقاء والقتال

(٧) حكم الفرس : جعل للجامة حكمة ، فأخضعه ، أى تخضع بشعرنا من هجانا ، وبقاتل بشجاعة حينما تخطط دمازنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقراب اللسان والقلب .

وقال الله : قد أرسلتُ عبداً
شهدتُ به ، وقومى صدقوه ،
وجبريلُ أمينُ اللهِ فينا ،
ألا أبلغُ أبا سُفيانَ عني
بأن سيوفنا تركتُ عبداً
هجوتَ محمداً ، فأجبتُ عنه
أتمجوه ، ولستَ له بكف ،
فمن يهجو رسولَ اللهِ منكم
فإنَّ أبى ووالده وعرضي
لحقَّ القولُ إن نفعَ البلاءِ (١)
فُقلتم : ما تُجيب ، وما نشاء
وروحُ القدسِ ليس له كِفَاء (٢)
فأنتُ مجوفٌ نخبُ هَواءِ (٣)
وعبدُ الدارِ سادتها الإمام
وعند اللهِ في ذاك الجزاء
فشركا لخيركما القِداء
ويمدحه وينصره سواء
ليعرض محمدٌ منكم وقاه

(٩) قال الحُطَيْبَةُ : (٤)

وطاوى ثلاثَ عاصِبِ البطنِ مُرمِلٍ
أنحى جفوةً فيه من الإنسِ وحشةً
بيداءً لم يعرف بها ساكنٌ رَسَمًا (٥)
يرى البؤسَ فيها من شرأسته نُعمَى (٦)

(١) البلاء : الاختبار مصدر بلاء يلوه .

(٢) الكفاء : أى المكافئ أى المساوى .

(٣) المجوف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ .

(٤) أبو مليكة جردل الحطيبية العبسي ، نشأ معلول النسب قبيح الصورة ناقصاً على الناس هجاء . وهو جيد

الشعر مستوى الأسلوب يعد سيد المخضرمين في الناحية الفنية وغلب عليه المدح والهجاء حتى مات سنة ٥٥٩ .

(٥) الطاوى : ليلجأ . ثلاث أى ليل ثلاث . عاصب البطن : معصوبه من شدة الجوع .

مرمل : فاقد الزاد فقير . بيدااء : فلاة . الرسم : العلامة وما كان لاحقاً بالأرض من آثار الديار —

يذكر رجلاً باتساً في مفازة مقفرة .

(٦) الشراسة : سوء الخلق والحال — يقول : إن سوء الحال بلغ به أن يعدم البؤس نعمة .

وأفرد في شعب عجزوا إزاءها
 حفاة عرأة ما اغتذوا خبز ملة
 وأي شبحا وسط الظلام قراعه
 فقال: هيا رباه! ضيف ولا قرى!
 فقال أبوه لما رآه بحيرة
 ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرا
 قروى قليلا، ثم أحجم برهة،
 فيتا هما عنت على البعد عانة
 عطاشا تريد الماء فانساب نحوها
 فأمهلها حتى تروت عطاشها
 نقرت نحوص ذات بحيش سمينة
 فيا بشره إذ جرهما نحو قومه

ثلاثة أشباح تخالمهم بهما (١)
 ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعاما (٢)
 فلما رأى ضيفا تسمروا هتأ (٣)
 بحقك، لا تحريمه تا الليلة اللجأ (٤)
 أيا أبت أذبحني! ويسر لهم طعاما
 يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
 وإن هو لم يذبح قتاه فقد هما
 قد انتظمت من خاف مسجلها نظما (٥)
 على أنه منها إلى ديمها أظما
 فأرسل فيها من كتابته سهما (٦)
 قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحا (٧)
 ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدعى (٨)

- (١) الأشباح : جمع شبح وهو الشخص . البهم : جمع بهمة أولاد البقر والمعز والضأن .
 (٢) الملة : رماد التنور الحار وخبزها ما يخبز فيها ، يصف بؤس أهل هذا البيت .
 (٣) راعه : أفزعه .
 (٤) هيا حرف نداء . القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه . تا الليلة : أي هذه الليلة .
 (٥) عنت : ظهرت واعترضت . والعانة : القطيع من حمر الوحش . المسجل : حمار الوحش يقود القطيع أثناء السير إلى الماء أو غيره .
 (٦) تروت : رويت بمعنى شربت .
 (٧) نقرت : سقطت صريعة . نحوص : سمينة . اكتنزت : امتلأت . طبقت : تفتت وعصها الشحم .
 (٨) الكام : الجرح .

وبأثوا كراما قد قَضَوْا حق ضيفهم
وما غَرِمُوا غُرْمًا ، وقد غَنِمُوا غَنْمًا
وبات أبوهم من بشاشته أبا
لضيفهم والأم من بشرها أما
وقال يمدح بغيض بن عامر :

ألا طَرَقْنَا بعد ما هَجَعُوا هِنْدُ
وهند آتى من دونها ذو غوارب
ألا حبذا هند وأرض بها هند

وهند آتى من دونها ذو غوارب
يقمص بالبوصى معروف ورد (٢)

وإن التي نكبتها عن معاشر
غضاب على أن صدت كما صدوا (٣)

أت آت شماس بن لآي وإنما
أناهم بها الأحلام والحسب العبد (٤)

فإن الشقي من تعادى صدورهم
وذو الجدد من لأنوا إليه ومن ودوا (٥)

يسوسون أحلاما بعيدا أنها
وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدد (٦)

(١) يقول : ألا زارنا طيف خيال هند بعد أن هجعت الأعين ، وبعد أن سارت الإبل خمس ليال وظهر لنا نجد .

(٢) من معاني الغارب أنه أعلى كل شيء ، وذو الغوارب : البحر ، لأن أمواجه عالية ، وقص البحر بالسقيفة : حركتها بموجه والبوصى : ضرب من السفن . والمعروف : المتركم الأمواج . والورد : الجرى ، أو الأحمر الضارب إلى الصفرة . يقول : إن بني وبين هند بحرا يقذف بالسفن ، متركم الأمواج .

(٣) نكبتها أى نحيبها وأبعدتها . والضمير للذمة والمعاشر آل الزبير فان بن بدر أى أن المدحة التي عدلت بها عن قوم غضبوا على لأنى صدت عنهم كما صدوا عنى .

(٤) جملة أت خبر إن فى البيت قبله . والأحلام : العقول . والحسب : الشرف . والعبد : القديم أو الكثير . أى جاء فى هذه المدحة الإشادة بأحلامهم وحسبهم

(٥) نسب العداوة إلى الصدور لأنها مكان الفيظ والعداوة والجدد : الحظ .

(٦) أى يحكون الناس إذا رضوا بأحلام بعيدة النظر طوية التانى . إذا غضبوا كانوا أهل حفيظة أى غيظ . وجد أى اجتهاد وعجلة .

- أَقْلُوا عَلَيْهِمْ — لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ — (١) من اللوم أَوْسَدُوا المكانَ الذي سَدُوا (١)
- أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البني (٢) وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا (٢)
- وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها (٣) وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا (٣)
- وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ (٤) من الدهر رُدُّوا بعضَ أحلامِكُم رُدُّوا (٤)
- وإن غاب عن لأيٍ بغيضٌ كفهم (٥) فواشيٌ لم تَطُرُّ شوارِبُهُم مُرَدُّ (٥)
- وكيف ولم أعلمهمُ خذلوكم (٦) على مُفْطِيعٍ ، ولا أديمكم قَدُّوا (٦)
- مطاعينُ في الهيجا مكاشيفُ للدجى (٧) بنى لهمُ آباؤُهُم ، وبنى الجَدُّ (٧)
- فمن مبلغٌ لأيا بانٍ قد سعى لكم (٨) إلى السُّورةِ العُلَيَّا أخٌ لكم جَدُّ (٨)

(١) لا أبا لأبيكم : شتم . والأصل أنهم لا يعرفون لهم آباء يتسبون إليها عند المفارقة .
(٢) البنى أو البنى بكسر الباء وضمها والأول جمع بنية بكسر الباء . والثاني جمع بنية بضمها ، والمراد أنهم يحسنون عمل المكارم . وإن عقدوا شدوا أى وإن عقدوا العزيمة أو نقوها أو إن عقدوا على الحرب حملوا .
(٣) أى كدوا من أعطوه بطلب الجزاء على النعمة .

(٤) المولى : ابن العم أو الجار أو الخليف . على جلِّ حادث أى عند الخطب العظيم أى إن استغاث بهم المولى في شأن أضربه واستشارهم أمدوه بالرأى السديد .
(٥) لأى : عشيرة بغيض بن عامر . فواشي : جمع ناشئة يريد بهم فتيان القبيلة . ولم تطرد شواربهم : لم تظهر .

(٦) المفظع : الأمر تجاوز الحد في الشناعة . والأديم هنا : العرض . أى وكيف تمادونهم ولم يتخذوكم في خطب ملم ، ولم ينالوا من عرضكم .

(٧) مطاعين ومكاشيف : جمع مطعان ومكشاف . والدجى : الليل يريد به ظلمة الخطوب . أى أنهم يكشفون ظلمة الليل بنار قراهم أو يبددون ظلمة الخطوب بشجاعتهم وحسن رأيهم .

(٨) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والجلد : القوى ، بمعنى أن يبلغ إنسان لأيا بانٍ أخاهم سعى للجد حتى وصل إلى قمة الدنيا .

- (١) جَرَى حِينَ جَارَى لِأُسَارَى عِنَانَهُ عِنَانٌ وَلَا يَتَّبِعِي أَجَارِيَهُ الْجَهْدُ
 (٢) رَأَى مَجْدَ أَقْوَامٍ أُضْيِعَ خُتْمَهُمْ عَلَى مَجْدِهِمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ الْخِجْدُ
 (٣) وَقَدْ لَامَنِي أَفْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قَلْتُ إِلَّا بِالذِي عَلِمْتُ سَعْدُ

وقال يهجو الزُّبْرُقَانَ بن بدر :

- والله ما معشرٌ لاموا امرءاً جُنُباً فِي آلِ لَأَيِّ بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ (٤)
 لَقَدْ مَرَّيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْحِي وَإِبْسَاسِي (٥)
 وَقَدْ مَدَحْتُمْ عَمْدًا لَأُرْشِدَكُمْ كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَتْحِي وَإِمْرَاسِي (٦)
 وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ إِيْنَاءَ صَادِرَةٍ لِلخَمْسِ طَالِ بِهَا حَوْذِي وَتَنْسَاسِي (٧)

(١) لا يسارى عنانهُ عنان : أى لا يجاريه . والأجاري : جمع إجرية ، وهى : الجرى والجهد والطبيعة ، والكلام على التمثيل أى أنه إذا سبق أحداً فى طريق المجد لم يسبقه أحد ، ولم يقمده به تعب أو لا يترك طبعه مهما يجده .

(٢) أى لما رأى أن المجد انما هو فى الجهد والاجتهاد فى الأمور .

(٣) الأفناء جمع فناء : الجأة .

(٤) الجنب هنا : القريب . فى آل لَأَيِّ أى فى مديح آل لَأَيِّ . وأكياس : جمع كيس ، وهو اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزُّبْرُقَانُ ورهطه .

(٥) أصل المرى : المسح على ضرع الناقة لتدتر . والإبساس : أن تدعو الناقة باسمها أو تلاطفها لتدتر . يريد أنه حاول تملقهم كثيراً فلم ينل منهم شيئاً .

(٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو ، والإمراس : وضع حبل البئر فى البكرة بعد أن انزلق منها . يريد أنه تعمد أن يقصر عليهم جهوده ، ويختصم بمدحه ليرشدهم إلى ما غاب عنهم من أسباب المجد .

(٧) الإيناء : مصدر أوني بمعنى أتعب ، والصادرة : الآتية من الماء . والخمس من أظاء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، والحوذ مصدر حاذ الدابة ساقها سريعاً . والتنساس : مصدر نس الناقة من باب نصر وضرب : ساقها وزجرها . يقول انتظرت عطاءكم مجهداً إجهاد ناقة أعيائها التعب فهى تساق وترجر .

- لما بدا لي منكم عيبٌ أنفسيكم ولم يكن لجراحي منكم آسى (١)
أجمعتُ يأساً مبيئاً من نوالكم ولا ترى طارداً للمحرّ كالياس
ما كان ذنبٌ بغيضٌ أن رأى رجلاً ذا فاقة حل في مستوعيرٍ شامى (٢)
جاراً لِقومٍ أطلّوا هُوتَ منزله وغادروه مقياً بين أرماس (٣)
ملّوا قِراه ، وهَرَّتْهُ كِلابُهُمُ وجرّحوه بأنيابٍ وأضراس (٤)
لا ذنبَ لي اليوم إن كانت نفوسكم كِفاركِ كرهتُ ثوبى وإلباسى (٥)
من يفعل الخير لا يعدم جوازِيه لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناس
دع المكارمَ لا ترحل لبُغيّتها واقعدُ فإنك أنت الطاعمُ الكاسى (٦)
وأبعث يساراً إلى وفيرٍ مُدّمةٍ واحِدجٍ إليها بنى عرّكين أنكاس (٧)
ما كان ذنبى أن قلتُ معاوانكم من آلٍ لأى صفاةٍ أصلها راسى

- (١) الآسى : الطيب . وفى رواية غيب أنفسيكم أى ما كان مستورا من بخلكم .
(٢) المستوعر : المكان الوعر . والشامى بالهمز ومهل المكان الغليظ المرتفع . أى لم يكن ذنب
بغيب عند الزبرقان إلا أنه رأى رجلا فى مكان وعمر قاحل فأعانه .
(٣) الهون : المذلة . والأرماس : القبور أى وتركه كالبيت بين أموات القبور .
(٤) هرتة الكلاب : نجته . وهذا كناية عن أنه كان غريبا مضطهدا بينهم . وقوله (جرحوه) يريد
أن آل الزبرقان سبوه ونهشوا عرضه .
(٥) الفارك : المرأة تبغض زوجها . أى ليس الذنب ذنبى إذا كنتم تبغضون شعرى أو مقامى فيكم
بخلا كما تبغض المرأة زوجها ، وتكره أن ترى ثوبه وأن تلبسه إياه .
(٦) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسور ، وهذا من أقذع الهجاء لأنه قام بجاحته فأصبح كالمرأة
(٧) يسار : اسم عبد للزبرقان . والوفير : السماء الكامل لم ينقص من أديمه شئ . والمذمة : يريد
بها هنا الملوثة يقال : برذمة أى قليلة الماء أو غزيرته : ضد . وحجج البعير يحججه : شد عليه الرحل
والعرك : افتتاق فى إبط البعير ، والمراد أن هذا هو عملكم دون المكارم .

(١٠) قال الأخطل^(١) يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو

قيساً وبني كليب من قصيدة أولها :

خَفَّ القَطِينُ فَرَأَوْا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزَعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ^(٢)

* * *

فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا مَا إِن يُوَازِي بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ^(٣)
حَشَدٌ عَلَى الْحَقِّ، عَنْ قَوْلِ الخَنَاخِرِ^(٤) وَإِنَّ أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا^(٥)
فَإِن تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةٌ كَانَتْ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصِرٌ^(٥)
أَعْطَاهُمُ اللهُ جَدًّا يَنْصُرُونَ بِهِ لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُحْتَقِرٍ^(٦)
لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ، إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشْرُوا^(٧)
شَمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ، وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا^(٨)

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل النخعي. نشأ في قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر طامية وقيس خاصة. ولما كان متصلاً بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يمجيد مدح الملوك ووصف المارك، وكذا الخمر لما قرته إياها في وقت أجم المسلمون فيه عن شربها، وكانت وفاته أول خلافة الوليد.

(٢) خف : أسرع. القطين : القطن، أي السكان والمعاشر. واح : ذهب في الرواح أي

للغنى ضد بكر. أزعجتهم : أفلقتهم - نوى في صرفها ونوانها غير وأحداث.

(٣) النبعة هنا : الأصل يعصبون بها : يلزمونها. والحديث عن عبد الملك وقومه.

(٤) حشد : مجتمعون. الخنا : الفحش. ألمت : نزلت. مكروهة : نازلة.

(٥) تدججت : أظلمت. معتصر : ملجأ، أي يستطيعون الخلاص من الأزمات.

(٦) الجد : البخت والإقبال.

(٧) بأشروا : يبطروا ويطغوا. مواله : أولياءه.

(٨) شمس : جمع شموس أي عسر شديد على عدوه - استفاد لهم أي يذل ويخضع لهم العدو.

هم : جمع حلم وهو الصبر والأناة. قدروا تمكنوا من العدو. والمعنى : أنهم يعفون إذا انتصروا.

لَا يَسْتَقِيلُ ذُرُوءَ الْأَضْغَانِ حَرْبَهُمْ
وَهُمُ الَّذِينَ يَبَارُونَ الرِّيَّاحَ إِذَا
بَنِي أُمَيَّةَ نِعْمَاكُمْ مَجَلَّةٌ
بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ
وَأَتَّخِذُوهُ عُدُوًّا؛ إِنَّ شَاهِدَهُ
إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلَقَّاهَا، وَإِنْ قَدِمَتْ
بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَتْ دُونَكُمْ
حَتَّى أَقْرُوا، وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضِيضٍ،
وَلَا يَبِينُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوْرٌ (١)
قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى الْعَافِينَ أَوْ قَتَرُوا (٢)
تَمَّتْ، فَلَا مِثْلَ فِيهَا وَلَا كَدْرٌ (٣)
فَلَا يَبِينُ فِيكُمْ آمِنًا زُفْرٌ (٤)
وَمَا تَغِيَّبُ مِنْ أَخْلَاقِهِ دَعْرٌ (٥)
كَالْعُرِّيِّكَنْ حِينًا ثُمَّ يَتَشَرُّ (٦)
أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمْ أَوْوَاءُ، وَهُمْ نَصْرُوا (٧)
وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ (٨)

(١) يستقل : يجتمل . الأضغان : جمع ضغن ، أى حقد — فى عيدانهم أى فى أقسامهم —

خور ضعف .

(٢) يبارون الرياح : يسابقونها فى الإسراع الى الكرم . العافون : الذين يطلبون القوت .
قروا : اقترروا ، وقل ما عندهم . يقول : إنهم يسرعون الى الكرم وقت الإبحال .

(٣) نعماكم : عطاياكم للناس . مجللة : عامة . المثة على الناس : ذكر المعروف الذى أسدى اليهم .

(٤) زفر بن الحارث بن كلاب الكلابي ، وكان زعيم قيس على تغلب وعلى أمية .

(٥) شاهده : ظاهره . دعر : فساد ، أى لا تغتروا بصلحه .

(٦) العر : الجرب . يقول : إن الجرب وإن كن فى الجسم لا بد أن يظهر ، فكذلك العداوة ،

وإن بعد عهدا .

(٧) ناضت دونكم : دافعت عنكم الأنصار الذين آووا الرسول بعد الهجرة ونصروه . والأخطل هو

الذى هجا الأنصار لما دعاه الى ذلك يزيد بن معاوية . واليه ينسب البيت المشهور :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

(٨) أقروا : سكنوا . مضض : وجع . نفذ القول : مضى وجرى ؛ يشبه الكلام بالإبر

فى الفاذا والآثر .

أُخِمَّتْ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَارِ قَدْ عَلِمَتْ
 وَقَيْسَ عَيْلَانَ حَتَّى أَقْبَلُوا رَقِصًا
 ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ غَوَارِبُهُمْ
 فَلَا هَدَى اللَّهُ قَيْسًا مِنْ ضَلَالَتِهَا
 مَا إِنْ سَعَى مِنْهُمْ سَاعٍ لِيُدْرِكَنَا
 وَلَمْ يَزَلْ يُسَلِّمُ أُمَّرُ جَاهِلِيهَا
 حَتَّى أَصَابَ سُلَيْمًا مِنْ عَدَاوَتِنَا
 كَانُوا ذِي أُمَّةٍ حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ
 صُكُّوا عَلَى شَارِفٍ صَعِبٍ مَرَاكِبُهَا
 عَلِيًّا مَعَدًّا، وَكَانُوا طَالِمًا هَدَرُوا (١)
 فَبَايَعُوكَ جِهَارًا بَعْدَ مَا كَفَرُوا (٢)
 وَقَيْسُ عَيْلَانَ مِنْ أَخْلَاقِهَا الضُّجْرُ (٣)
 وَلَا لَعًا لِبَنِي ذَكْوَانَ إِذْ عَثَرُوا (٤)
 إِلَّا تَقَاصِرَ عَنَّا وَهُوَ مُنْبَهَرٌ (٥)
 حَتَّى تَعَايَا بِهَا الْإِيرَادُ وَالصَّدْرُ (٦)
 إِحْدَى الدَّوَاهِي الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ
 بِهِمْ حَبَائِلُ لِلشَّيْطَانِ وَابْتَهَرُوا (٧)
 حَصَاءَ لَيْسَ لَهَا هَلْبٌ وَلَا وَبْرٌ (٨)

- (١) أُخِمَّتْ : أسكت . بنو النجار : أحوال الرسول من الأنصار ، منهم أم عبد المطلب . معد : جد الزارية . هدروا : افتخروا عليكم وهجوكم ، يقال هدر البعير إذا ردد صوته في حنجرته .
- (٢) قيس عيلان كانت مع ابن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معارفة وقتل في عهد عبد الملك . رقصا مسرعين . كفروا خرجوا عليك .
- (٣) غوارب : جمع غارب وهو للبعير ما بين السنام والعنق (المعنى) أن الحرب آلتهم .
- (٤) لا لعالم : لا أقالمهم الله . يقال للعائر دعاء عليه . ويقال لعالمه أى أقال الله عشرته دعاء له . بنو ذكوان : قبيلة من سليم رهط عمير بن الحباب والمخاف السليمين ، وكانا قد خرجا على بنى أمية ، وحاربا تغلب قبيلة الأخطل .
- (٥) تقاصر : قصر وتأخر . انبهر الرجل : انقطع نفسه من الإعياء .
- (٦) سليم قبيلة عمير بن الحباب وهو المقصود هنا بقوله « جاهلها » . تعايا بها : أعجزها . الإيراد : من ورود الماء والصدر عن الماء — يعنى أعجزها تدبير الأمور .
- (٧) الإمة : النعمة — علقت بهم الخ : ضلوا . ابتهروا : انتخروا بما ليس فيهم .
- (٨) صكوا على شارف ، أى حملوا على خطة . الناقة الشارف : الكبيرة المسنة . حصاء : لا وبر لها . الهلب : شعر الذنب .

فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمْ سِنْجَارٌ خَالِيَةٌ وَالْمَحَلِّيَّاتُ فَالْحَابُورُ فَالسَّرْرُ (١)
كَرُّوا إِلَى حَرَّتِيهِمْ يَعْمرُونَهِمَا كَمَا تَكُرُّ إِلَى أوطَانِهَا الْبَقَرُ (٢)
إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ يَجْنُونَ حَنْظَلَهُمْ إِلَى الْفُرَاتِ . فَقُلْنَا : بَعْدَ مَا نَظَرُوا (٣)
وَلَا يَلَاقُونَ فَرَّاصًا إِلَى نَسَبِ حَتَّى يَلَاقِيَ جَدَى الْفَرْقِدِ الْقَمَرُ (٤)
وَلَا الضُّبَابَ إِذَا اخْضَرَّتْ عَيْونُهُمْ وَلَا عَصِيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ بَشَرُ (٥)
أَمَّا كَلِيبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ التَّفَارِطِ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرُ (٦)
وَقَدْ نُصِرْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَا لَمَّا أَتَاكَ بِبَطْنِ الْغُوطَةِ الْخَبْرُ (٧)
يَعْرِفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الْحُبَابِ ، وَقَدْ أَصْحَى وَلِلسَيْفِ فِي خَيْشُومِهِ أَثْرُ (٨)

- (١) سنجانار : قصبة كورة الفرج من تل أعفر . المحليات : بلدة صغيرة بين الموصل وسنجانار .
الخابور : اسم نهر وواد . السرر : أرض بالجزيرة كماثر المواضع المذكورة .
- (٢) الحرة : موضع فيه حجارة سود نخرة كأنما أحرقتها النار وحرثهم بعالية نجد . كروا : رجعوا .
- (٣) الحنظل : نبت مر . يقول : طمعوا فينا ، ويا بعد ما نظروا . وكانت تغلب قبيلة الأخطل
تقيم بالجزيرة في حوض الفرات .
- (٤) فراص بن معن بن سعد بن قيس من باهلة وبنو فراص ينتسبون الى تغلب — جدى الفرقد نجم
الى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة ، ولا يلتق مع القمر . يقول إنهم قصروا عن نسب
هؤلاء ، ولا يشبهونهم إلا في أنهم بشر .
- (٥) الضباب من قيس عيلان ، عصية بطن من سليم ، اخضرت : اسودت .
- (٦) كليب بن يربوع : رهط جرير . التفارط : التقدم في طلب الماء . (المعنى) ليس لهم نصيب
في السبق الى الحامد .
- (٧) الغوطة : الكورة التي منها دمشق وهي احدى منازه الدنيا الأربع : الصغد والأبلة وشعب بوان
والغوطة . وكانت دمشق عاصمة بني أمية — وكان رهط الأخطل مع الخليفة في الحروب الداخلية .
- (٨) ابن الحباب هو عمير بن الحباب السلمي ، وقد قتل وحمل رأسه إلى قبائل غسان ، وكان يزدرهم .
الخيشوم : أنقى الأنف .

وقال يفضل الفرزدق على جرير:

بَكَرَ الْعَوَازِلُ يَبْتَدِرْنَ مَلَامَتِي وَالْعَالِمُونَ فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي^(١)
 فِي أَنْ سَقَيْتَ بِشْرِبَةٍ مُقَدِّبَةٍ صَرَفٍ مُشْعَشَعَةٍ بِمَاءِ سُحَّانٍ^(٢)
 فَظَلَمْتُ أَسْقِي صَاحِبِي مِنْ بَرْدِهَا عَمْدًا لِأَرْوِيَهُ كَمَا أَرْوَانِي
 وَذَكَرْتُ إِذْ جَرَّتِ الشَّمَالُ وَهَيَّجَتْ شَوْقًا لَنَا - رِيًّا وَأُمَّ أَبَانَ^(٣)
 وَالْحَارِثِيَّةَ؛ إِنِّي مُهْدِي لَهَا مَدْحًا يُسَبِّحُ بَيْنَ كُلِّ مَكَانٍ^(٤)
 لِأَقْيَمِينَ يَجْمَعُ فَأَرَيْتَنِي صُورَ الْمَهَا بِزُخْرَافِ الْبُنْيَانِ^(٥)
 وَمُحَوَّرَهْنَ دِيَّاسِقٍ مِنْ فِضَّةٍ وَنَوَاهِدُ كُنُوعِ الرُّمَّانِ^(٦)
 وَمُرْمَلِ الْحِنَاءِ يُصْبِحُ قَانِيًّا كَدَمِ الذَّبِيحِ - بَارُوحٍ وَبَنَانٍ^(٧)
 يَنْظُرَنَّ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ نُجْلٍ يَمْتَنُّ الْعَاشِقِينَ حَسَانٍ^(٨)
 نَظْرًا مَخَالَسَةً وَهَنَّ صَوَائِدُ بِخَدُورَهْنَ وَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ^(٩)
 وَإِذَا رَأَى الشَّيْبَ لَمْ يَقْرَبْنَهُ وَالغَانِيَاتُ عَنِ الْكَبِيرِ غَوَانِي
 يَقْطَعَنَّ مِنْهُ حَبْلَ كُلِّ مَوَدَّةٍ جَهْلًا، وَهَنْ إِلَى الشَّبَابِ رَوَانِي^(١٠)

- (١) العوازل : جمع عاذلة ، اللائمة . يتدرون ملامتي : يسرعن إلى لومي . يلحاني : يعينني .
 (٢) مقذبة : نظيفة ليس فيها قذى . صرف : نقية جيدة . مشعشة : ممزوجة . سُحَّان : ماء بارد ، وواد بالشام .
 (٣) ذكرت : تذكرت . الشمال : ريح تهب بين الشرق وبنات نعش . ريا وأم أبان : علمان لامرأتين أي ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال .
 (٤) يشب الخ : يذكرن في كل مكان .
 (٥) المهـا : جمع مهاة ، البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة في جمال العينين . الصورة : الشكل . يعني أنهن يشبهن الصور التي تزين بها الأبنية .
 (٦) نحور جمع نحر : أعلى الصدر . دياسق : جمع ديسق ، وهو الصحن من الفضة ، يشبه محورهن بالفضة صفاء وصقلا .
 (٧) مرمل الحناء : يقصد الحناء المرمل أي المزينة به المرأة يديها ورجليها . قانتا : شديد الحرارة . أروح : جمع راحة وهي باطن الكف دون الأصابع . البنان : أطراف الأصابع . المفرد بنانة . والمراد : أروجهن وبنانهن .
 (٨) خلل : جمع خلة ، الثقب . نجل : جمع نجلاء ، الواسعة العين الحسنة .
 (٩) مخالسة : مسروقا بسرعة وختل . الخدور : جمع خدر السترا والبيت .
 (١٠) الجهل هنا : الحفاء . رواني : دائمات النظر ، المفرد رانية .

- أى أديمٌ لذي الصفاءِ مودتي وإذا تغيرتُ كنتُ ذا ألوانٍ (١)
 وأصدُّ عن صرمِ الصديقِ تَكْرُمًا حينًا ، وما دهنرى له بهوانٍ (٢)
 وأفارقُ الخُلالانَ عن غيرِ القلي وأميتُ عندي السرَّ بالكتمانِ (٣)
 ولقد غدوتُ على القنيصِ بنهدةٍ عندَ البديهةِ سهوةِ القذفانِ (٤)
 تنقُضُ في أثرِ الأوابدِ مثلَ ما تنقُضُ كاسرةٌ من العقبانِ (٥)



- ما بال قومٍ لا تغبُّ أذائهم فعمس الظهور من الحيينِ بطنٍ (٦)
 هم هيجوا حربى وما لهم بها لو واجهتهم باللقاءِ يدانٍ (٧)
 حربٌ امرئٍ ما إن ترثَ سلاحه أبدا ولا يفترُّ بالحدثانِ (٨)
 قبَّح الإلهُ بنى كليبٍ إنهم لا يحفظون محارمَ الجيرانِ (٩)

- (١) كنتُ ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .
 (٢) صرم : فطيمة وهجر . يقول : ما همى هوأنه .
 (٣) الخلالان : جمع خليل ، الصديق . القلى : البغض . أميت السر : لا أبدية فكأنه ميت .
 (٤) غدوت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسم . عند البديهة
 للجرى حين تفجؤها به . السهوة : الموازية . القذفان : سرعة الركض . يصف فرس الصيد .
 (٥) الأوابد : جمع أبدة وهى الوحش . كاسرة : منقضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين ، طائر
 من الجوارح .
 (٦) ما يابهم : أى ما حالهم وما حصل لهم . لا تغب : لا تنقطع . عمس الظهور : مفردة أعمس ،
 وهو من نرج صدره ودخل ظهره ، ضد الأحذب . الحيين : وجع فى البطن . بطن : عظام البطون ،
 المفرد بطن وبطين . بطن صفة لقوم (جرير) .
 (٧) ما لهم بها يدان : أى ليست لهم عليها قدرة . اللقاء : الحرب .
 (٨) ترث : تبلى . الحدثان : النوايب . لا يفتر بالحدثان : لا تأخذ النوايب على غرة لاستعداده
 لها دائما .
 (٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم : جمع محرما ، ما لا يحل انتهاكه .

وإذا تُؤدِبَ للكارم والعُلا	لم يُندَبُوا لترادف الأعوان (١)
أجرير إنك والذي تسمُوه	كأسيْفَةٍ نَحَرَتْ بِحِجْحِ حَصَانِ (٢)
حملت لربِّتها فلما عُولِيَتْ	نسلت تُعارضها مع الأظعان (٣)
أَتَعُدُّ مَأْتَرَةً لِغَيْرِكَ نَحْرَهَا	وسنأؤها في سالف الأزمان (٤)
تأج الملوك ونفخهم في دارم	أيامَ يربوعٍ مع الرعيان (٥)
متلففٌ في بُرْدَةٍ حَبِيبِيَّةٍ	بفساء بيتٍ مذلَّةٍ وهوان (٦)
يَغْدُو بَيْنِهِ بِثَلَّةٍ مَذْمُومَةٍ	ويكون أكبرهمه رِبْقَانِ (٧)
سَبَقُوا أَبَاكَ بِكُلِّ مَجْمَعٍ تَلَعَةٍ	بالمجدِ عندَ مواقف الركبِانِ (٨)
إِخْسَاءً كُليبُ، إليك، إن مجاشعاً	وأبا الفوارسِ نهشلاً أخوان (٩)
قومٌ إذا خَطَرْتُ عَلَيْكَ قُرُومَهُمْ	طرحوك بين كلاكِ وجران (١٠)

- (١) تؤدب: نذب الناس ودعوا. الترادف هنا: التعاون. يقول: لا يصلحون للكارم والمعالى.
- (٢) تسموه: تتعلق به من مفاخر ليست لك. الأسيْفَة: الأمة. الحِجْح: مركب النساء على البعير كالهودج. الحصان هنا: الحزرة ضد الأمة. يقولان نحر بك بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها.
- (٣) أى حملت حدج سيدتها. عوليت: علت الحدج. نسلت: أسرعت. تعارضها أى تعدو حياها الأظعان: النساء في الهودج.
- (٤) مأثرة: محمّدة ومفخرة. السناء: الشرف. سالف الأزمان: ماضيها. يقول له: تفخر بما ترمض وأنت من نخذ حقير هو يربوع لا مجد له.
- (٥) دارم: رهط الفرزدق، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر. الرعيان جمع راع: من يقوم على المشاة يخدمها.
- (٦) حبيبة: نسبة إلى صانع أو إلى نوع من الغنم.
- (٧) الثلثة: الصوف أو جماعة الغنم. الربقان مثنى ربق: حبل يشد في عنق البهم.
- (٨) التلعة: ما علا من الأرض. عند مواقف الركبان: أى عند المفاخرة والتحاكم.
- (٩) إخسأ: ابتعد محقراً. إليك: تنح وابتعد. مجاشع: قبيلة الفرزدق. نهشل: قبيلة من تميم كمجاشع.
- (١٠) خطر الجمل بذنبه: رفعه مرة بعد أخرى. القروم: الفحول والأماجد جمع قرم. والكلاك: جمع كلكل وهو الصدر. والجران: صفحة العنق. يقول: إن رجالهم يعلون عليك مفاخرة.

(١١) وقال الفرزدق يذكر تفضيل الأخطل إياه على الشعراء

ويمدح بني تغلب ويهجو جريرا :

يابن المِراغَةِ والمهْجاءِ إذا التَقَّتْ أعناقُهُ وتماحَكَ الخَصْمَانِ (٢)
 يابن المِراغَةِ أنْ تَغْلِبَ وَأَنْتِ رفَعوا عَنائي فوْق كُلِّ عَنانِ (٣)
 كانَ المُذَبِّلُ يَقودُ كُلَّ طِميرَةٍ دَهْماءَ مُقَرَّبَةٍ وَكُلَّ حِصانِ (٤)
 يَصْهَلَنَ بالنَظَرِ البَعِيدِ كَأَنَّما إِرْناثُها يَبوَأنَّ الأَشطانِ (٥)
 يَقَطِّعُنَ كُلَّ مَدى بَعِيدٍ غَوْلُهُ خَبَبَ السَّباعِ يَقْدَنُ بالأُرسانِ (٦)

(١) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدامي أحد فحول الشعراء الأمويين . نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر ويمازج حتى نبغ فيه ، واتصل بولاية العراق يمدحهم ويهجوهم ، ورحل الى دمشق يمدح الخلفاء وينال جوائزهم . وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لعصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم في الجاهلية والإسلام . ويمتاز شعر الفرزدق بحشونة الألفاظ ووعورة المعاني والميل الى الفخر في هجائه والفحش في غزله وقد مات سنة ١١٤ هـ .

(٢) ابن المِراغَةِ : جرير . خبر الهجاء : متعلق إذا . أى حاصل وذائع إذا ... الخ أعناقهُ : جماعته أى يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض . تماحك : تخاصم وتمازى .
 (٣) تغلب من ربيعة : قوم الأخطل . العنان بالكسر : سير البجام ، وبالفتح : الجانب وهو الأنسب هنا .

(٤) أى المذبل بن هبيرة . الطميرة : الفرس الطويلة السريعة . الدهماء : السوداء . مقربة أى قريبة اليهم لكرمها وسرعتها يعمدون اليها حين الفرع .

(٥) الصهيل : صوت الخيل . الإرنان : التصويت . البوائن : الآبار المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبلها نواحيها . الأشطان جمع شطن : الحبل . يقول : كأنها تصهل من آبار بوائن لسعة أجوافها ومعنى يصهل بالنظر البعيد أنها تصهل إذا رأت شبحا من بعد لحدة نظرها ونشاطها .

(٦) كل مدى : كل غاية بعيدة . غوله : بعده . الخيب للفرس : عدو فيه يقوم على رجليه تارة وعلى يديه أخرى . الأرسان جمع رسن : الخيل ، يشبه الخيل بالسباع فى العدو .

- وَكأنَّ رايَاتِ الهُدَيْلِ إِذَا بَدَتْ فَوْقَ الخَمِيْسِ كَواسِرُ العِقْبانِ (١)
وَرَدُّوا إِرابَ بِمِحْفَلٍ مِنْ وائِلٍ لِحَبِّ العِشِيِّ ضُبارِمِ الأركانِ (٢)
وَبِيْتُ فِيهِ مِنَ المَخافَةِ عانِذا أَلْفٌ عَلَيْهِ قَوانِسُ الأبدانِ (٣)
تَرَكَوا لِتَغْلِبَ إِذْ رَأَوْا أَرماحَهُمْ بِإِرابَ كُلِّ لئيمَةٍ مِدرانِ (٤)
تُدْمِي - وَتَغْلِبُ يَمْنَعُونَ بَنائِهِمْ - أَقْدامُهُنَّ حِجارَةَ الصَّوانِ (٥)
يَمِّشِينَ فِي أَثْرِ الهُدَيْلِ وَتارَةً يَرُدُّونَ خَلْفَ أواحِرِ الرِكابِ (٦)
لولا أَنائِهِمْ وَفَضْلُ حُلومِهِمْ باءُوا أَباكَ بِأوكِيسِ الأئمانِ (٧)
وَالْحَوْفِزَانُ أَميرُهُمْ مُتضائِلٌ فِي جَمْعِ تَغْلِبَ ضارِبٌ بِجِيرانِ (٨)

- (١) الخميس : الجيش الضخم . كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح وهذا وصف لاسراع الخيل .
(٢) إراب : موضع ، وهو يوم بين بنى يربوع وبكر بن وائل يقودهم الهذيل هذا . المحفل : الجيش الكثير الخيل . لحب العشي : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للطف فالأصوات كثيرة . الضبارم : الغليظ . الأركان : النواحي ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة .
(٣) عانذا : محتما . القوانس : أعلى البيض من الحديد ، المفرد : قونس . الأبدان : الدروع غير السوابغ . يقول : يمتاذ بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون .
(٤) مدران : كثيرة الوسخ . أى خلوا نساءهم وهربوا .
(٥) تدمى : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله . وذلك لأنهن يسقن حفاة .
(٦) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب .
(٧) أوكيس : أبجس .
(٨) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد ساعد في تغلب وكذلك غزاها الحوفزان في بكر ابن وائل فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل . متضائل : متصاغر . الجران : مقدم عنق البعير ، وضرب بجرائه : برك .

أَحِبِّينَ تَغْلِبَ إِذْ هَبَطْنَ بِإِلَادِهِمْ لَمَّا سَمِينَ وَكُنَّ غَيْرَ سَمَانِ
يَمَّشِينَ بِالْفَضَلَاتِ وَسَطَ شُرُوبِهِمْ يَتَّبِعْنَ كُلَّ عَقِيرَةٍ وَدُخَانِ (١)
يَتَّبَاعِيُونَ إِذَا انْتَشَوْا بِبَنَاتِكُمْ عِنْدَ الْإِيَابِ بِأَوْكَيْسِ الْأُمَّانِ (٢)
وَاسْأَلْ بِتَغْلِبَ كَيْفَ كَانَ قَدِيمُهَا وَقَدِيمُ قَوْمِكَ أَوْلَ الْأَزْمَانِ
قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنُودَ عَمْرًا، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النَّعْمَانِ (٣)
قَتَلُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ، وَأَوْقَدُوا نَارَيْنِ قَدْ عَلَتَا عَلَى النَّبْرَانِ (٤)
لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةُ وَائِلِ نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانِ
حَبَسُوا ابْنَ قَيْصَرَ وَابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِمْ يَوْمَ الْكَلَابِ كَأَكْرَمِ الْبُنْيَانِ (٥)
إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمَهَا كَلْبٌ عَوَى مُتَهِّمٌ الْأَسْنَانَ (٦)
قَوْمٌ إِذَا وُزِنُوا بِقَوْمٍ فَضَّلُوا مِثْلِي مُوَازِيَهُمْ عَلَى الْمِيزَانِ

- (١) الفضلات: الخمر أى يسقين الرجال ويخدمهم . الشروب : القوم يشربون الخمر . يتبعن كل عقيرة : يتسمعن الغناء . دخان أى موضع الطبخ والشواء .
(٢) انتشوا : سكروا .
(٣) ابن هند عمرو بن هند : ملك الحيرة . يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله في قصة مشهورة . قسطوا : جاروا . النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا .
(٤) صنائع الملوك : أنصارهم ، المفرد صنيعه . أوقدوا نارين : اشارة الى يوم خزازي لتغلب على كنانة وعلى بكر بن وائل .

(٥) يوم الكلاب الأول حيث نزلوا شرحبيل بن الحرث الكندي نعم امرئ القيس .

(٦) الأراقم : حى من تغلب . متهم متكسر والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم .

وقال يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر اليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب

هجو الشائع :

وَكُورِمُ تَنْعِمُ الْأَضْيَافَ عَيْنًا وَتُصْبِحُ فِي مَبَارِكِهَا ثَقَالًا (١)
حُوسَاتِ الْعِشَاءِ خُبْعِنَاتٍ إِذَا النَّجَاءُ رَاوَحَتِ الشَّمَالَ (٢)
كَانَ فِصَالَهَا حَبَشٌ جَعَادٌ تَحَالُ عَلَى مَبَارِكِهَا جُفَالًا (٣)
لَا كَلْفٌ أُمَّهُ دَهْمَاءُ مِنْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ جَلْدٍ جَلَالًا (٤)
أَرَقْتُ فَلَمْ أَنْمَ لَيْلًا طَوِيلًا أَرَأَيْتَ هَلْ أَرَى النَّسْرِينَ زَالًا (٥)
فَأَرَقْنِي نَوَائِبُ مِنَ الْهُمُومِ عَلَيَّ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمْرِي عِيَالًا (٦)
وَكَانَ قَرَى الْهُمُومِ إِذَا اعْتَرَنِي زَمَاعًا لَا أُرِيدُ بِهِ يَدَالًا (٧)

(١) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم ، الواحد أ كوم . تنعم : تقرو تسر . المبارك : جمع مبارك موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كوم مبتدا بعد واروت ، خبره محذوف أى لهذا المدوح .

(٢) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعنات : ضخام شديداً ، المفرد خبعنة . النجاء : ريح انحرقت عن مهاب الرياح . راوحت : عارضت . الشمال : ريح تهب ما بين مطلع الشمس وبنات نعش .

(٣) الفصال ، جمع فصيل : ولد الناقة اذا فصل عنها . الجعاد جمع جعد : عكس المسترسل (٤) الأكلف : الفحل المائل الى السواد . دهماء : سوداء الجلد : جلد البو . الجلال جمع جل : وهو للدابة كالثوب للإنسان .

(٥) أرقت : سهرت . النسران : كوكبان . يقال لأحدهما النسر الطائر ، وللآخر النسر الواقع يقول : أرى هل زال فيطلع الصباح ، وذلك بسبب همه .

(٦) أرقى : أسهرنى . النوائب المصائب المفرد نائبة . عيالا جمع عيل ، أى ليس همى بسبب لبنائى الذين أعولهم .

(٧) قرى : اكرام . الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

فَعَادَاتُ الْمَسَالِكِ نَصَفَ حَوْلٍ	وَحَوْلًا بَعْدَهُ حَتَّى أَحَالَ (١)
فَقَالَ لِي الَّذِي يَعْنِيهِ شَأْنِي	نَصِيحَةً قَوْلِهِ سِرًّا وَقَالَ : (٢)
عَلَيْكَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَاسْتَجْرَهُمْ	وَوَخَّذُ مِنْهُمْ لِمَا تَخْشَى حَبَالًا (٣)
فَإِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ فِي قُرَيْشٍ	بَنَوْا لِبُيُوتِهِمْ عَمْدًا طَوَالًا (٤)
فَرَوَّحْتُ الْقَلُوصَ إِلَى سَعِيدٍ	إِذَا مَا الشَّاءُ فِي الْأُرْطَاةِ قَالَا (٥)
تَخَطَّى الْحَرَّةَ الرَّجُلَاءَ لَيْلًا	وَتَقَطَّعُ فِي تَخَارِمِهَا نِعَالًا (٦)
حَلَفْتُ بِمَنْ أَمَى كَفَنِي حِرَاءٍ	وَمَنْ وَافَى بِحُجَّتِهِ إِلَّا لَا (٧)
إِذَا رَفَعُوا سَمِعْتُ لَهُمْ عَجِيْبًا	عَجِيْبَ مُحَلَّى نَعْمًا نِهَالًا (٨)
وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ لَهُ فَقَامَتْ	وَتَخَّرَ لَابِنِ دَاوُدَ الشَّمَالَا (٩)

- (١) عادت الخ : وازنت بين المسالك لا أدري لأيهما أصير . أحال : انقضى الحول .
- (٢) يعنيه : يهيمه . شأنى : أمرى وحالى .
- (٣) عليك بنى أمية : انقدهم ، وسعيد بن العاص أموى . استجروهم : استغث بهم . حبال جمع جبل : العهد والذمة .
- (٤) العمدة : جمع عمود ما يقوم عليه البيت ، والمراد أنهم بنوا مجدا وشرفا .
- (٥) رويحت : سقت . القلوص من الإبل : الطويلة القوائم . الأرتاة : شجرة مرة تأكلها الإبل فضة . قال : نام فى منتصف النهار . يعنى شدة الحر .
- (٦) الحررة : الأرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار . الرجلاء : الخشنه يترجل فيها أو الكثره الحجارة . المخارم : الطرق ، المقرد مخرم . النعل هنا : طبق من جلد يوقى به الخلف ، يصف وعودة الطريق .
- (٧) الكفف : الظل أو الجانب . حراء : غار خارج مكة كان يجتث فيه رسول الله ويتعبد قبل الرسالة ، وفيه نزل عليه الوحي لأول مرة . إلال : جبل يعرفات حيث يقف الحاج . والمعنى أنه الذى ظهر ظل دينه فى مكة . يحلف بالنبي وبالحجيج .
- (٨) أى رفعوا أيديهم وأصواتهم بالتلبية . العجيج : رفع الصوت والصياح . المحلى : هنا : مانع الإبل عن الماء . النعم : الإبل . النهال : العطاش ، واحدها : ناهل يشبه صوت الحاج بصوت المحلى . الخ .
- (٩) سمك : رفع ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح . يشير الى معجزة سليمان وتسخير الريح له . والشاعر يقسم بالله كما أقسم قبل بالرسول .

- وَمَنْ نَجَّى مِنَ الْغَمَرَاتِ نُوحًا وَأَرَسَى فِي مَوَاضِعِهَا الْجِبَالَ (١)
- لَئِنْ عَافَيْتَنِي وَنَظَرْتَ حِلْمِي لَأَعْتِنَنَّ إِنْ الْحَدَثَانِ آلَا (٢)
- إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ وَلَمْ أَحْسَبْ دَمِي لَكُمْ حَلَالًا (٣)
- وَإِكْنَى هَجُوتُ ، وَقَدْ هَجَّتَنِي مَعَاشِرٌ قَدْ رَضَّخَتْ لَهُمْ سِبْجَالًا (٤)
- فَإِنْ يَكُنْ الْهَجَاءُ أَحْلَ قَتْلِي فَقَدْ قَاتَنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَ (٥)
- وَإِنْ تَكُ فِي الْهَجَاءِ تُرِيدُ قَتْلِي فَلَمْ تُدْرِكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقَالًا (٦)
- نَرَى الشَّمَّ الْجَحَّاجَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا (٧)
- بَنِي عَمِّ النَّبِيِّ وَرَهْطَ عَمْرٍو وَعُثْمَانَ الَّذِينَ عَلَوْا فَعَالَا (٨)
- قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالًا (٩)
- خَمْرُوبٌ لِلْقَوَانِسِ غَيْرُ هَدٍّ إِذَا خَطَرَتْ مُسُومَةٌ رَعَالًا (١٠)

- (١) الغمرات : جمع غمرة معظم البحر . نوح الرسول وفي عهده كان الطوفان .
- (٢) عافيتني : دفت عنى البلاء والسوء وكان الشاعر فارا من زياد حاكم العراق . نظرت حلمي : وأعيت عقلي وأناقي . اعتنن : اشتد وقوى . الحدثان النواصب . آل : رجع .
- (٣) زياد بن أبيه : والى العراق ، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره إليه لشدة هجائه ، ولكن الشاعر فر الى سعيد هذا .
- (٤) رضخت لهم : أعطيتهم قليلا من هجائي . السجال جمع سجال : الدلو العظيمة . وقال الحرب بينهم سجال أى تارة لهم وتارة عليهم .
- (٥) قلنا لشاعرهم وقال أى تهاجينا ، فلم أقتل أنا دونه ؟
- (٦) فى الهجاء أى بسببه . ومعنى الشطر الثانى : فلم تسمع مقال المستجير . المتصر : المستظهر على عدوه .
- (٧) الشم جمع أشم وهو السيد العزيز . الجحاج جمع جحجج : السيد . عال : اشتد وتفاقم .
- (٨) الرهط : قوم الرجل . الفعال : الفعل الحسن .
- (٩) قياما : حال من مفعول نرى فى البيت الذى قبل السابق ومعنى يرون به يرونه فالباء للتجريد .
- (١٠) القوانس : أعلى البيض من الحديد ، المفرد قونس . الهد : الرجل الضعيف . المسومة : الخليل المعلة لكرمها . الرعال : جمع رعلة : القطعة من الخليل . يصفه بالشجاعة والإقدام .

وقال يهجو جريرا :

إِنِّ الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِيكُ ، وَمَا بَنَى
بَيْتًا زُرَّارَةَ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ
يَلْجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ وَإِذَا احْتَبَوْا
لَا يَحْتَسِبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلَهُمْ
مِنْ عِزِّهِمْ وَحَجَّرَتْ كَلِيبُ بَيْتَهَا
ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ،
أَيْنَ الذِّينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارِمًا
يَمْشُونَ فِي حَاقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ
وَالْمَانِعُونَ إِذَا النَّسَاءُ تَرَادَفَتْ

بَيْتًا دَعَاءُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ (١)
حَكْمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ (٢)
وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ (٣)
بَرَزُوا كَأَنَّهُمْ الْجِبَالُ الْمُثَلُّ (٤)
أَبَدًا إِذَا عَدَّ الْفَعَالُ الْأَفْضَلُ (٥)
زُرْبًا كَأَنَّهُمْ لَدَيْهِ الْقُمَّلُ (٦)
وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُتَزَلُّ (٧)
أَمْ مَنْ إِلَى سَلْفِي طَهِيَّةٌ تَجْعَلُ (٨)
جَرِبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكُحَيْلُ الْمُشْعَلُ (٩)
حَدَرَ السَّبَاءِ بِجَاهَلَا لَا تُرْحَلُ (١٠)

(١) سمك : رفع . الدعائم : جمع دعامة وهي عمود البيت . أعز : أقوى .

(٢) المليك : الله جل جلاله . حكم السماء : أى القوى المقنندر . لا ينقل : لا يزول . يرد

بيت شرف وعز .

(٣) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق يفخر بهم على جرير .

(٤) يلجون : يدخلون . احتبوا : اشمئوا بالثوب . المثلل : الراسيات ، جمع مائل .

(٥) فناء البيت : الساحة أمامه . الفعال بفتح الفاء : الفعل الحسن والخطاب لجرير ، أى ليس

لك رجال أشرف كهؤلاء المعدودين تفاخرى بهم .

(٦) كليب : قوم جرير . حجرت : دخلت زربا كأنه الحجر . الزرب : حفيرة تتخذ لحبس الجداء .

القمل : جمع قملة ، كالجرادة وأقل منها

(٧) يعنى أن بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت . والشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة

” وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت “ .

(٨) تسامى : تفاخر . طهيسة : أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير . تجعل هنا :

معناها تقرن بهم وتباهى .

(٩) الحلق : جمع حلقة وهي الدرع . جرب الجمال : أى الجمال المصابة بداء الجرب . الكحيل :

القطران . المشعل : الكثير . يشبه الرجال فى عظمتهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران

(١٠) ترادفت : ركب بعضهم خلف بعض . السباء : الأسرى فى الغارات . لا ترحل : لا توضع على

الرجال للعجلة . يقول : إن قومي يمنعون حرهم إذا كانت الغارات وفرعت النساء فركبت الجمال أعزاه .

- يَجْمِي إِذَا اخْتَرَطَ السُّيُوفُ نِسَاءَنَا
وَمَعْصَبٌ بِالسَّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ
مَلِكٌ تَسْوِقُ لَهُ الرِّمَاحَ أَكْفَنًا
قَدَّمَ مَاتَ فِي أَسْلَاتِنَا أَوْ عَضَّهُ
وَلَنَا قُرَاسِيَّةٌ تَظِلُّ خَوَاضِعًا
مَتَخَمِّطٌ قَطِمٌ لَهُ عَادِيَّةٌ
ضَخْمُ الْمَنَاكِبِ تَحْتِ شَجَرِ شُثُونِهِ
وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي فُقَيْمٍ جَاءَنِي
- ضَرَبٌ يَخْرُلُهُ السُّوَاعِدُ أُرْعَلُ (١)
نَحْرَقُ الْمَلُوكَ لَهُ نَحْمِيسٌ بِحَقْلُ (٢)
مِنْهُ تَعَلُّ صُدُورُهُنَّ وَتَنْهَلُ (٣)
عَضْبٌ بَرَوْتَقِهِ الْمَلُوكُ تَقْتَلُ (٤)
مِنْهُ مَخَافَتُهُ الْقُرُومُ الْبِزْلُ (٥)
فِيهَا الْفَرَاقِدُ وَالسَّمَكَ الْأَعْزَلُ (٦)
نَابٌ إِذَا ضَغَمَ الْفُحُولَةَ مِقْصَلُ (٧)
مَجْرَلُهُ الْعَدَدُ الَّذِي لَا يُعْدَلُ (٨)

(١) اخترط : سل . تخر : تسقط . أرعل : مسترخ مائل وهو صفة لضرب . وإنما يريد أنه يعيل ما قطع فيسترخي .

(٢) معصب : متوج ، والوار واورب . وما بعدها : مبتدأ ، وقد مات : خبره — يعنى حسان وقابوس ابني المنذر . نخرق الملوك : الرايات . النحميس : الجيش الضخم . الجحفل : الكثير الخيل .

(٣) منه : أى من الملك — تعل وتنهل من الدم ، والإنهال : الطعن الأول ، والعلل : الطعن الثانى .

(٤) الأسلات : الرماح ، المفرد أسلة . العضب : السيف القاطع . روتقه : فرنده وجوهره .

(٥) القراسية : الضخم الغليظ من الإبل . يقول : لنا عزز قديم شبيه بالفحل وهو القراسية .

القروم : جمع قرم ، وهو السيد أو الفحل الكريم . البزل : جمع بازل ، وهو الذى نبت نابه .

(٦) متخبط : متغضب فى كبر . قطم : هالمح . نادية أولية قديمة ، وأصل الفرقد نجم يهتدى به

والسماك الأعزل يكون فى نوه المطر ، أى لنا عزز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال ، بعضنا يقندى به والبعض كريم يستقى منه .

(٧) الشجر : مجتمع اللجين . الشثون : ملنق قبائل الرأس ، الواحد شأن . عض : عض .

مقصل : قاطع .

(٨) فقيم من دارم : عشيرة الشاعر . الحيز : الجيش الكثير العدد — لا يعدل : ليس له عدل من

غيره أى نظير .

- وَإِذَا الرَّبَائِعُ جَاءَنِي دَفَّاعُهَا (١)
 هَذَا فِي عَدْوِيَّتِي جُرْنُومَةٌ (٢)
 وَإِذَا الْبَرَاجِمُ بِالْقُرُومِ تَخَاطَرُوا (٣)
 وَإِذَا بَدَخْتُ وَرَأَيْتِي يَمْشِي بِهَا (٤)
 الْأَكْثَرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمْ (٥)
 وَزَحَلْتُ عَنْ عَتَبِ الطَّرِيقِ وَلَمْ تَجِدْ (٦)
 إِنِ الزَّحَامَ لِغَيْرِكُمْ فَتَحِينُوا (٧)
 حُلُّ الْمُلُوكِ لِبِأْسِنَا فِي أَهْلِنَا (٨)

- (١) الرباع : جمع ربيعة وهي ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى . الدفاع : دفاع السيل حين يكثر ويمتد . شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع .
 (٢) العدوية : فلكية بنت مالك من زيد مناة نسب إليها بنوها . الجرثومة . الأصل والتراب يجتمع في أصل الشجرة فيرتفع على ما حوله . صعب مناكها : يعني نواحيها . نياف طويلة مشرقة . عيطل : طويلة .
 (٣) البراجم في الأصل : رهوس الأشاجع التي هي أصول الأصابع ، والمراد هنا : بتو محتظة ابن مالك ، وهم نخمة تبرجوا على سائر إخوتهم . القروم : القحول . تخاطروا كما تخاطر القحول بأذنانها إذا تهتد بعضها بعضا . الأغلب : الغليظ العنق .
 (٤) بدخت : نفرت في كبر . والأسماء المذكورة في البيت من بني دارم .
 (٥) حصاهم : عددهم . الأتول يعني من الآيات والأجداد أو من المساعي والأفعال .
 (٦) زحلت : تخبث ، والحطاب بلرير . العتب : الغلظ في ارتفاع أي عن وضوح الطريق . المنقلب : الطريق في الجبل . يقول إذا سلكتنا تخبث لنا ، وسد عليك الطريق ، فلم تدر أين تسير ، وتضع قدميك .
 (٧) ورد العشى : ورود الماء ليلا . يقول إنكم لضعفكم ومهانتكم لا قبل لكم بالزحام بل تشربون من فضل غيركم .
 (٨) الحلة : إزار ورداء . السابغات : الدروع . الوغى : الحرب . تسربل : تنقص . فهم في أسلم ملوك ، وفي الحرب ليوث .

- أَحْلَامُنَا تَرْتُبُ الْجِبَالَ رِزَانَةً وَتَخَالِفُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ (١)
- فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا مَهْلَانَ ذَا الْمَهْضَبَاتِ، هَلْ يَخْلَحَلُ (٢)
- وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرَى وَإِنِّي فِي آلِ ضَبَّةَ لِلْمُعِمْ الْمُخَوَّلُ (٣)
- فَرَعَانٍ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ (٤)
- فَلَيْنَ نَخَرْتُ بِهِمْ لِمَنْ لِقَدِيمِهِمْ أَعْلُو الْحُزُونَ بِهِ، وَلَا أَسْهَلُ (٥)
- زَيْدُ الْفَوَارِسِ، وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ وَأَبُو قَيْصَةَ، وَالرَّيْسُ الْأَوَّلُ (٦)
- أَوْصَى عَشِيَّةَ حِينَ فَارَقَ رَهْطَهُ عِنْدَ الشَّهَادَةِ فِي الصَّحِيفَةِ دَغْفَلُ (٧)
- أَنَّ ابْنَ ضَبَّةَ كَانَ خَيْرًا وَالِدًا وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ (٨)
- مِمَّنْ يَكُونُ بَنُو كَلْبٍ رَهْطُهُ أَوْ مَنْ يَكُونُ إِلَيْهِمْ يَتَخَوَّلُ (٩)

(١) الأحلام : جمع حلم الصبر والأناة أو العقل وضده الجهل والسفه . رزانة : وقارا .

(٢) مهلان : جبل عظيم بنجد . الهضبات : جمع هضبة الجبل الصغير . هل يخلحل : أى هل يزول

ويجتزك ؟ . فكذلك عزنا .

(٣) حنظلة : هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر وأمه من ضبة . الأعرى : المشهور بالعرى والشرف .

المع المخول : الكريم الأعمام والأحوال .

(٤) ذروة كل شئ : أعلاه . يعقل : يلجأ . أى يلجأ إليهما الناس عند الخوف

(٥) الحزون : ما غلظ من الأرض ، مفردة حزن . السهل : ماسهل ولان . إن نخره بهؤلاء . يسمو به

(٦) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين مسمى بذلك لأنه والى بين سبعة فوارس فى نار أبيه

حصين . وابنه هو الحصين بن زيد . وأبو قيصه خوار بن عمرو منهم أيضا . والرئيس الأول لمحم بن سويط من سعد بن ضبة .

(٧) رهط الرجل : قومه الأذنون . دغفل : هو ابن حنظلة النسابة من وائل . وهو فاعل أوصى .

(٨) بنو ضبة . رهط الشاعر لأمه . الحسب : مفاخر الآباء .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . يتخول : من الخولة ، أى يدعيهم أحوالا . فهو فى هذه الأبيات

يفضل نفسه نسبيا وحسبا على جرير .

- وَهُمْ عَلَى ابْنِ مُزَيْبِيَاءَ تَنَازَلُوا
وَهُمُ الَّذِينَ عَلَى الْأَمِيلِ تَدَارَكُوا
وَمُحْرَقًا صَفَدُوا إِلَيْهِ يَمِينَهُ
مَلِكًا يَوْمَ بَزَاخَةَ قَتَلُوهُمَا
وَهُمُ الَّذِينَ عَلَوْا عُمَارَةَ ضَرْبَةً
وَهُمْ إِذَا اقْتَسَمَ الْأَكَابِرُ رَدَّهُمْ
جَارٌ إِذَا غَدَرَ اللَّئَامُ وَفِي يَدِهِ
وَعَشِيَّةَ الْجَمَلِ الْجَمَلِ ضَارَبُوا
- وَالخَيْلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا الْقَسَطُلُ (١)
نَعْمًا يُسْأَلُ إِلَى الرَّئِيسِ وَيُعْكَلُ (٢)
بِصِفَادٍ مَقْتَسِرٍ أَخُوهُ مُكَبَّلُ (٣)
وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْهِ مُكَلَّلُ (٤)
فَوْهَاءَ فَوْقَ شُثُونِهِ لَا تُوصَلُ (٥)
وَإِيفِ لِضَبَّةَ ، وَالرَّكَابُ تُسَالَلُ (٦)
حَسَبٌ وَدَعْوَةٌ مَا جِدَّ لَا يُجَدَّلُ (٧)
ضَرْبًا شُثُونٌ فَرَاشُهُ تَنْزِيلُ (٨)

(١) ابن مزيبياء هو الحارث عمرو بن عامر قتله أحد بنى ضبة ، وابناء : محرق وزباد قتلها زيد الفوارس ، تنازلوا : نزلوا في ساحة القتال فضاربوا . العجاجتان : مثل عجاجة : الدخان والغبار . القسطل : الغبار . والمقصود أن الغبار نثر بين الجيشين المتحاربين .

(٢) الأميل : رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين ؛ وهو كذلك اسم يوم لبني ضبة على بنى شيبان . وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني أغار على بنى ضبة ، فاستاق ألف بعير لما لك بن المنتفق رئيس بنى ضبة ، فتداركت ضبة الخيل وردت النعم . يشل : يطرد . يعكل : يرد ويحبس .

(٣) محرق : سبق ذكره . صفدوا : جمعوا ، أي أسروه ، واستوثقوا منه . الصفاد : القيد أو الحديد الذي قيد فيه . أخوه : صاحبه أي صاحب هذا الصفاد مقتسر ومغضب .

(٤) بزاخة : وقعة لضبة على عسان ، والمملكان محرق وزباد كما سبق . مكمل : معقود فوق رأسه .

(٥) عمارة بن زياد العبسي قتله شرحاف الضبي يوم أعيار . فوها : واسعة ذات فم واسع . الشثون : ملتحق قبائل الرأس ، الواحد شأن ، ومن الشثون تجرى الدموع . لا توصل : لا تلتم .

(٦) اقتسم الأكابر : أسروا وتوزعوا . والأكابر شيبان وعامر وجليحة من بنى تميم الله بن ثعلبة ، أجارهم بدر بن حراء الضبي ، فوفى لهم . تشلل : تطرد .

(٧) جار : يعنى بدر بن حراء الضبي . المساجد جيرانه من بنى تميم الله الذين التجأ إليهم في إحدى السنين ، فوفوا له .

(٨) الجمل : وقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل من بنى ضبة كثير . الفراش : جمع فراشة كل رفيق من العظم أو الحديد . تنزير : تنفترق .

* * *

- يَا بْنَ الْمِرَاغَةِ أَيَّنَ خَالِكَ إِنِّي خَالِي حَبِيشٌ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ (١)
خَالِي الَّذِي غَضَبَ الْمُلُوكَ نَفُوسَهُمْ وَإِلَيْهِ كَانَ جِبَاءُ جَفْنَةٍ يُنْقَلُ (٢)
إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَأَبُوكَ خَلَفَ أَبَانَهُ يَتَقَمَّلُ (٣)
وَسُغِفْتَ عَنِ حَسَبِ الْكِرَامِ وَمَا بَنَوْا إِنَّ اللَّيْمَ عَنِ الْمَكَارِمِ يُسْغَلُ (٤)
إِنَّ الَّتِي فُقِيتَ بِهَا أَبْصَارُكُمْ وَهِيَ الَّتِي دَمَغَتْ أَبَاكَ الْفَيْصَلُ (٥)

وقال يصف ذئبا صادفه في أثناء سفره فأطعمه من زاده :

- وَأَطْلَسَ عَسَالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا دَعَاؤُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي (٦)
فَلَمَّا دَنَا قَلْتُ : أَدْنُ دُونَكَ ، إِنِّي وَإِيَّاكَ فِي زَايٍ لِمُشْتَرِكَيْنِ (٧)

(١) ابن المراغة : جرير . حبش : من ضبة أسر عمرو بن الحارث الغساني ، بجزناصيته ، واشترط عليه أن يبعث إليه كل سنة بجباء حتى يموت .

(٢) الجباء : العطية ، والمراد هنا الضريبة . جفنة من آباء الغساسنة إليه ينسبون ، ويسمون آل جفنة ملوك الشام في الجاهلية .

(٣) الرأس : الرئيس . الأتان : الحمار . يتقمل : يكثر قله .

(٤) اللئيم : الدنيء الأصل والبخيل .

(٥) دمغت : أي بلغت دماغه . الفيصل : مقطع الحق فيما بيننا وبينكم . وهذه القصيدة كانت

تسمى الفيصل .

(٦) الأطلس : أغبر اللون . عسال : مضطرب في مشيه . موهنا : نحو منتصف الليل .

(٧) أدن : اقرب . دونك : أمامك .

- فَيْتُ أَقْدُ الزَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
عَلَى ضَنْوَةٍ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانٍ (١)
- فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَثَّرَ ضَاحِكًا ،
وَقَائِمٌ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانٍ : (٢)
- تَعَسَّ ، فَإِنِّ وَأَنْفَتْنِي لَا تُخُونِي
نَكُنْ مِثْلَ مَنْ (يَاذِبُ) يَصْطَحِبَانِ (٣)
- وَأَنْتَ أَمْرٌ يَا ذَبُّ وَالْغَدْرُ كُنْتُمَا
أَخِيَيْنِ كَأَنَّا أَرْضَعَا بِلَبَانٍ (٤)
- وَلَوْ غَيْرَنَا نَبِهَتْ تَلْتِمِسُ الْقِرَى
أَتَاكَ بِسَمِّهِمْ أَوْ شِبَابَةَ سِنَانٍ (٥)
- وَكُلُّ رَفِيقِي كُلِّ رَحْلٍ — وَإِنْ هُمَا
تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمَاهُمَا — أَخَوَانِ (٦)
- فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللَّهُ نَفْسًا تَشَعَّبَتْ
عَلَى أَثْرِ الْعَاذِينَ كُلِّ مَكَانٍ (٧)
- فَأَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي أَتَبِعُ ظَاعِنًا
أَمْ الشُّوقُ مِنِّي لِلْمُقِيمِ دَعَانِي (٨)
- وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا تَوَلَّى بِشِقَّةٍ
مِنَ الْقَلْبِ فَالْعَيْنَانِ تَبْتَدِرَانِ (٩)

(١) أقد : أقطع .

(٢) تكثر : كشف عن أسنانه ، قائم السيف : مقبضه .

(٣) وانفتني : عاهدتني .

(٤) أخيان : أخوان ترومان .

(٥) شبابة سنان : طرف الرمح .

(٦) تعاطى القنا قوماهما : أى تحارب أهلها . أخوان : خير كل .

(٧) تشعبت : توزعت فى كل مكان من الهوم . الغادون : الميتون يشير الى بنه المتوفين .

(٨) ظاعنا : راحلا الى القبر . المقيم : الباقى على قيد الحياة — يصف اضطراب نفسه بين

الحزن والحذب .

(٩) تولى بشقة : أخذ ناحية من قلبه ، فشغلها . تبتدران الدمع : تدمعان .

(١٢) وقال جرير يرثي^(١) زوجه خالدة بنت سعد :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَا جَنِي أَسْتَعْبَارُ وَلُزْتُ قَبْرَكَ ، وَالْحَبِيبُ يُزَارُ^(٢)
وَلَقَدْ نَظَرْتُ ، وَمَا تَمَّتْ نَظْرَةٌ فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْأَحْفَارُ^(٣)
وَهَلَّتْ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ وَذَوُّو التَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكَ صِغَارُ^(٤)
أُرْعَى النُّجُومَ ، وَقَدْ مَضَتْ غُورِيَّةٌ عَصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهَا صُورُ^(٥)
نِعَمَ الْقَرِينِ ، وَكُنْتِ عِلْقَ مَضْنَةٍ وَأَرَى بِنَعْفِ بَلِيَّةِ الْأَجَارُ^(٦)
عَمَرْتُ مُكْرَمَةَ الْمَسَاكِ ، وَفَارَقْتُ مَا مَسَّهَا صَافٍ وَلَا إِقْتَارُ^(٧)
فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِرُقَّةٍ ضَا حِكِ هَزِمَ أَجَشٌ وَدَيْمَةٌ مِندَرَارُ^(٨)

(١) ينتسب أبو حذرة جرير بن عطية بن الخطفي الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك . وقد ولد باليمامة ونشأ في البادية بأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الخلفاء والولاة حتى اشتبك مع الفرزدق في التهاجي والسباب لعوامل سياسية واجتماعية . ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ٥١٠ هـ .

(٢) استعبار : حزن ودمع .

(٣) الأحفار : جمع حفر البئر المتسعة ، وهو هنا القبر .

(٤) وهلت : حيرت من الحزن . كبرة : كبر وضعف . التمايم : جمع تيممة ، وهي العوذة تعلق

على الصبي خوف الحسد .

(٥) أرعى النجوم : أراقبها . غورية : غائبة . عصب : جماعات . الصوار : القطيع من بقر الوحش .

(٦) القرين : الزوج والصديق أي أنت . العلق : النفيس أو الجراب . المضنة : ما يرضن به .

نعف بلية : مكان قبرها .

(٧) عمرت : عاشت . المساك : الإمساك . والمراد البقاء مع زوجها . الصلاف : مجاوزة قدر

الظرف والادعاء تكبرا . إقتار : بجح .

(٨) الصدى هنا : جثمان الميت . جدث : قبر ، برقة ضاحك : موضع . والبرقة في الأصل

الأرض الغليظة . عزم سحاب راعد ، أجش : غليظ الصوت ، ديمة : مطر يدوم في سكون . مدرار :

مُتْرَاكِمٌ زَجَلٌ يُضِيءُ وَمِيضُهُ	كالبلى تحت بطونها الأمهارة (١)
كانت مكرمة العشير ولم يكن	يخشى غوائل أم حزرة جار (٢)
ولقد أراك كسيت أجهل منظر	ومع الجمال مكينة ووقار (٣)
والريح طيبة إذا استقبلتها	والعرض لا دنس ولا خوار (٤)
وإذا سریت رأيت نارك نورت	وجها أغر يزينه الإسفار (٥)
صلى الملائكة الذين تُخبروا	والصالحون عليك والأبرار (٦)
وعليك من صلوات ربك كلها	نصب الحجج ملبدين وغاروا (٧)
يا نظرة لك يوم هاجت عبرة	من أم حزرة بالثيرة دار (٨)
تجى الروامس ربعا فتجده	بعد اليل، وثمته الأمطار (٩)
وكانت منزلة لها يجلاجل	وحى الزبور مجده الأحبار (١٠)

(١) زجل : رفع صوته . البلى : جمع أبلق فرس في لونه سواد وبياض . أمهارة : جمع مهر .

(٢) الغوائل : مفردة غائلة وهي الشر والفساد والداهية .

(٣) الوقار : الزناة .

(٤) خوار : مريب .

(٥) سریت : مرت ليلا . أغر : حسن له غرة . الإسفار : كشف الوجه .

(٦) الأبرار : جمع بار الصالح أو كثير الإحسان .

(٧) نصب : جد وتعب . الحجج : جمع حاج . ملبدين : محرمين ومتخذين صفحا ليتبد شعرهم .

غاروا : نزلوا النور .

(٨) عبرة : دمة . الثيرة : جبل أو هضبة بين نجد والبصرة .

(٩) الروامس : الرياح الدوافع للآثار . الربيع : الدار . تجدد : تجدد .

(١٠) جلاجل : موضع أو جبل بالدهناء . الوحي : المكتوب أو الرسالة . الزبور : الكتاب ،

وطلب على مزامير دارد . الأحبار : جمع حبر : العالم الصالح والرئيس الدينى .

لا تُكْثِرَنَّ إِذَا جَعَلْتَ تَلَوْنِي لا يَذْهَبَنَّ بِحِمْلِكَ الْإِكْثَارُ (١)
كَانَ الْخَلِيْطُ هُمَّ الْخَلِيْطِ فَأَصْبَحُوا مُتَبَدِّلِينَ وَبِالْدِيَارِ دِيَارُ (٢)
لَا يَلْبِثُ الْقُرْنَاءَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ (٣)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته السالفة التي مطلعها

إن الذي سمك السماء :

لَمِنَ الدِّيَارِ كَأَنَّهَا لَمْ تُحْلَلِ بَيْنَ الْكَيْسِ وَبَيْنَ طَلْحِ الْأَعْرَلِ (٤)
وَلَقَدْ أَرَى بِكَ، وَالْحَدِيدُ إِلَى بَيْلِي، مَوْتَ الْهَوَى وَشِفَاءَ عَيْنِ الْمُجْتَلِي (٥)
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنِي مُغْزِلِ قَطَعْتَ حِبَالَهَا بِأَعْلَى يَلِيلِ (٦)
وَإِذَا التَّمَسْتَ نَوَاهَا بَنَحْتَ بِهِ وَإِذَا عَرَضْتَ بِوُدِّهَا لَمْ تَجْعَلِ
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ، وَالْمِطِيُّ خَوَاضِعُ، وَكَأَنَّهَا قَطَا فَلَاحِةٌ مَجْهَلِ (٧)

(١) الحلم : الصبر والأناة والعقل .

(٢) الخليط : الصحاب . متبدلين : متغيرين . وبالديار الخ مسافرين الى ديار أخرى .

(٣) لا يلبث ... لا يمهلهم حتى يفرقهم . القرناء : جمع قرين العشير أو المصاحب .

(٤) الكاس : موضع من بلاد غنى . طلح : شجر . الأعزل : واد لكليب . كأنها لم تحلل :

أى قد درست كأنها لم تكن مسكونة .

(٥) المجتلى : الناظر، أى نجا بك فكان الهوى مستترا، فلما تفرقنا ظهرت آثاره بسبب الفراق .

(٦) المغزل : طيبة ذات غزال . حبالها : مصيدتها . يليل : موضع قرب وادى الصفراء

بين الحرمين .

(٧) خواضع : مجدة فى السير . قطا : طير . فلاة : صحراء واسعة مجهل : مفازة لا يهتدى فيها .

- يَسْقِينَ بِالْأُدْمَى فِرَاحَ تَنُوفَةٍ زُغْبًا حَوَاجِبُهُنَّ حُمَرَ الحَوْصَلِ (١)
- يَا أُمَّ نَاجِيَةَ ! السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ! قَبْلَ الرُّوَاكِ وَقَبْلَ عَذْلِ العُدْلِ (٢)
- وَإِذَا غَدَوْتَ فَمَا كَرْتِكَ تَحِيَّةٌ سَبَقَتْ سُرُوحَ الشَّاحِبَاتِ المُجَلِّ (٣)
- لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنْ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ (٤)
- أَوْ كُنْتُ أَرْهَبُ وَشَكَّ بَيْنَ عَاجِلِ لَقِنَعْتُ أَوْ لَسَأَلْتُ مَا لَمْ يُسَالِ (٥)
- أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سَمًّا نَاقِعًا فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأوَّلِ (٦)
- لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي ، وَضَعَا البَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ (٧)
- أَخْرَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الحَضِيضِ الأَسْفَلِ (٨)
- بَيْتًا يُحْمَمُ قَيْنَكُمْ بِفِنَائِهِ دَنَسًا مَقَاعِدُهُ حَيْثُ المَدْخَلِ (٩)
- وَلَقَدْ بَنَيْتُ أَحْسَنَ بَيْتٍ يُبْتَنِي فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمْ بِمِثْلِي يَذْبُلِ (١٠)

(١) الأدمى : موضع . تنوفة : بركة لا ماء فيها ولا أنيس . زغبا : قليلة الريش . والرغب أول ما يبدو من الشعر أو الريش .

(٢) الرواح : الذهاب عشية . وربما كان الأولى يا آل ناجية .

(٣) الشاحبات : الغربان تشجع في صباحها . المجل : تحجل في مشيها .

(٤) عهدكم : لقائكم .

(٥) وشك : قرب . قنعت بالقليل من الود دون الطمع ويعد الأمل الذي قضى عليه الفراق .

(٦) ناقما : قاتلا (هجاء مرا) .

(٧) الميسم : المكوى ، يريد الشعر . ضفا : تذلل . جدع الأنف : قطعه .

(٨) سمك : رفع . مجاشع : قوم الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل .

(٩) يحمم : يمدخن فيه فيسوده . القين : الحداد ، يرمي الفرزدق بأن قوم حدادون .

(١٠) يذبل : جبل مشهور بجهد يشبه به مجده .

- أَتَى بَنِي لِي فِي الْمَكَارِمِ أَوْلِي
وَنَفَخْتَ كِيرَكَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ (١)
- أَعْيَتِكَ مَأْتِرَةَ الْقِيَمِ مَجَاشِعِ
فَانظُرْ لَعَلَّكَ تَدْعَى مِنْ نَهْشَلِ (٢)
- وَأَمْدَحَ سَرَاةَ بَنِي فُقَيْمِ إِيَّاهُمْ
قَتَلُوا أَبَاكَ وَثَأْرَهُ لَمْ يُقْتَلِ (٣)
- وَدَعِ الْبَرَاجِمَ إِنْ شَرِبَكَ فِيهِمْ
مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعِمِ الْحَنْظَلِ (٤)
- إِنِّي أَنْصَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فِرْزَدُقُ مِنْ عَلِي (٥)
- مِنْ بَعْدِ صَعْكِي الْبَعِيثَ كَأَنَّهُ
نَحْرَبٌ تَنْفَجُ مِنْ حِذَارِ الْأَجْدَلِ (٦)
- وَلَقَدْ وَسَمْتُكَ يَا بَعِيثُ بِمِيسَمِي
وَضَعَا الْفِرْزَدُقُ تَحْتَ حَدِّ الْكَلْكَلِ (٧)
- أَتَى إِلَى جِبَلِي تَمِيمَ مَعْقِلِي
وَمَحَلُّ بَيْتِي فِي الْيَفَاعِ الْأَطْوَلِ (٨)
- أَحْلَامُنَا تَرِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً
وَيَفُوقُ جَاهِلِنَا فِعَالَ الْجُهْلِي (٩)
- فَارْجِعْ إِلَى حَكْمَى قُرَيْشٍ ؛ إِيَّاهُمْ
أَهْلُ النَّبُوءَةِ وَالْكِتَابِ الْمُتَزَلِّ (١٠)

(١) أتى : آبانى . (٢) مأثرة : مكرومة ، أذى لا تخفرك فى مجامع . تدعى : تغيب .

نهشل ومجاشع : أخوان من تميم .

(٣) مرأة : جمع مرى وهو الشريف . بنو فقيم : من دارم ، النار : القاتل ، وكان ذكوان

الفقيسى سبب موت أبى الفرزدق ، وقد عقر بعيرى أمه وأخته جعثن فى قصة طويلة .

(٤) البراجم : قوم من أولاد حنظلة بن مالك كما سبق . الشرب : هنا الحظ والنصيب .

(٥) عل : أعلى .

(٦) الصك : الضرب الشديد . الخرب : ذكر الخبارى طائر كالديك . تنفج : نقش ريشه

خوفا . الأجدل : الصقر .

(٧) الكلكل : الصدر . الحد : الصلابة .

(٨) المعقل : الملجأ أو الجبل المرتفع ، والمراد الشرف . اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٩) الجاهل : السفه .

(١٠) حكا قريش : هاتم وعبد مناف .

- فَأَسْأَلُ إِذَا خَرَجَ الْخِدَامُ وَأُحِشْتُ حربٌ تُضْرَمُ كَالْحَرِيقِ الْمُشْتَعِلِ (١)
- وَالْحَيْلُ تَنْحَطُّ بِالْكُفَاةِ ، وَقَدْ رَأَوْا لَمَعَ الرَّيْثِيَّةِ فِي النَّيَافِ الْعَيْطَلِ (٢)
- أَبْنُو طُهَيْةَ يَعْدِلُونَ فَوَارِسِي وَبُنُو خَضَافٍ ، وَذَاكَ مَا لَمْ يُعَدَّلِ (٣)
- وَإِذَا غَضِبْتُ رَمَى وَرَائِي بِالْحَصَى أَبْنَاءُ جُنْدَاتِي نَخِيرُ الْجُنْدَلِ (٤)
- عَمْرُو وَسَعْدُ يَا فَرَزْدُقُ فِيهِمْ زَهْرُ النُّجُومِ وَبَازِيخَاتُ الْأَجْبَلِ (٥)
- كَانَ الْفَرَزْدُقُ إِذْ يَعُودُ بِحَالِهِ مِثْلَ الذَّلِيلِ يَعُودُ تَحْتَ الْقُرْمَلِ (٦)
- وَأَنْفَرُ رِيضِبَةَ إِنَّ أُمَّكَ مِنْهُمْ لَيْسَ ابْنُ ضَبَّةَ بِالْمُعَمِّ الْمُخَوَّلِ (٧)
- وَقَضَتْ لَنَا مُضْرٌ عَلَيْكَ بِفَضْلِنَا وَقَضَتْ رَبِيعَةٌ بِالْقَضَاءِ الْقَيْصَلِ (٨)
- إِنِ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا عِزًّا عَلَاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مَنَقَلِ (٩)
- أَبْلَغُ بَنِي وَقْبَانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ خَفَّتْ ، فَلَا يَزُونَنَّ حَبَّةَ نَحْدَلِ (١٠)

- (١) الخدام : الفرس المحجل ، يعني في الغارة . أحشت : أوقدت . تضرم : تشتعل .
- (٢) تنحط : تصوت من الإعياء والتعب . الكفاة : جمع كفى : المدحج بالسلاح . الريثة : طليعة الجيش . النياف : الطويل من الإبل . العيطل : الطويل العتق .
- (٣) طهية : أم جماعة من تميم مجاشع ونهشل ودارم . خضاف : هم بنو مجاشع .
- (٤) الحصى : العدد الكثير . جندلة : بنت تميم الأدرم ، وهي أم ربيع فوم جرير .
- (٥) عمرو وسعد : حليفا عشيرة جرير . زهر النجوم : النايون . بازخ : عظيم . الأجل : جمع جبل ، والمراد عظام الرجال .
- (٦) يعوذ : يحتسى . القرملة : شجر ضعيف بلا شوك ، ومنه المثل ذليل عاذ بقرملة .
- (٧) ضبة : من طابحة أخوال الفرزدق . المعم : الكريم الأعمام ، والنحول : كريم الأحوال .
- (٨) ربيعة ومضر : شعبا عدنان العظيمان . الفريصل : الفاصل بين الحق والباطل .
- (٩) منقل : منحول وانتقال .
- (١٠) وقبان : لقب مجاشع ، معناه الحق . حلوم : جمع حلم : الغفل والزناة .

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

- أَتَصْحُو ، أَمْ فُوَادِكَ غَيْرُ صَاحٍ عِشِيَّةٌ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ (١)
تَقُولُ الْعَاذِلَاتُ : عَلَاكَ شَيْبٌ ! أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِرَاحِي ؟ (٢)
يُكَلِّفُنِي فُوَادِي مِنْ هَوَاهُ ظِعَائِنَ يَجْتَزَعْنَ عَلَى رِمَاحِ (٣)
ظِعَائِنَ لَمْ يَدِتْ مَعَ النَّصَارَى وَلَا يَدْرِينِ مَا سَمَّكَ الْقُرَاحِ (٤)
فَبَعْضُ الْمَاءِ مَاءُ رَبَابٍ مُزْنٍ وَبَعْضُ الْمَاءِ مِنْ سَبِيحِ مِلَاحِ (٥)
سَيَكْفِيكَ الْعَوَاذِلَ أَرْحَبِي هِجَانُ اللَّوْنِ كَالْفَرْدِ الْأَيَّاحِ (٦)
يَعِزُّ عَلَى الطَّرِيقِ بِمَنْكِبِيهِ كَمَا ابْتَرَكَ الْخَلِيعُ عَلَى الْقِدَاحِ (٧)

(١) تصحو : تترك الباطل . الرواح : الذهاب عشية . ويصح أن تكون أم بمعنى بل أى للإضراب .

(٢) المراح : الاختيال والتبختر .

(٣) الطعائن جمع طعينة : المرأة فى الهودج . يجتزعن بقدرود كالرماح .

(٤) القراح : قرية بين النهر ، وربما كانت للنصارى .

(٥) الرباب جمع ربابة : السحابة البيضاء . المزن البرد أو السحاب ذو الماء . السبخ مفردة صبخة : أرض ذات نر وملح . ملاح : مألحة .

(٦) يكفيك : يكف عنك . أرحبى : جعل منسوب الى أرحب بطن من همدان . هجان : أبيض كريم . الفرد : الثور المنفرد ، واللياح : الأبيض ، أى سأستريح من العواذل بهذا الجمل أركبه الى الخليفة .

(٧) يعز : يشتد . ابتك : حنا للركب . الخليع : المقامر . القداح جمع قدح : سهم الميسر .

- تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ : رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي امْتِنَاحٍ (١)
- تُعَلَّلُ وَهِيَ سَاعِبَةٌ بَيْنَهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّمِّ الْقَرَّاحِ (٢)
- سَأَمَّاحُ الْبَحْرُورِ بِخَنِينِي أَذَاةَ اللُّوْمِ وَانْتِظَرِي امْتِنَاحِي (٣)
- ثِقِي يَا لِلَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
- أَغْنِي — يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي — بِسَيْبٍ مِنْكَ ؛ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاحِ (٤)
- فَأَنَّى قَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا حَقًّا زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَامْتِنَاحِي
- سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيْشِي وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي (٥)
- أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ (٦)
- وَقَوْمٍ قَدْ سَمَوْتَ لَهُمْ فِدَانُوا بِدُهُمٍ فِي مُلَمَّامَةِ رَدَاحِ (٧)
- أَجَبْتُ حِي تِهَامَةَ بَعْدَ نَجْدِ وَمَا شَيْءٌ حَمِيَّتَ بِمُسْتَبَاحِ (٨)

(١) أم حزره : زوج جرير . امتناح : عطاء .

(٢) تعلل : تشغل وتلهي . ساعبة : جائعة . الشم : البارد من الماء . القراح الصافي .

(٣) امتناح الماء : استنفاه واستخرجه من البئر ، والمراد العطاء الذي يناله من عبد الملك بن مروان

المشبه بالبحر عطاء .

(٤) السيب : العطاء . ذوارتيح أي الى الكرم .

(٥) القوادم جمع قادمة : الريش في مقدم الجناح وهي كبار الريش وضدّها الخوافي . والمراد إن

أمرزني .

(٦) المطايا : جمع مطبة . الراح جمع راحة : بطن الكف .

(٧) سموت لهم : خرجت اليهم محاربا . دانوا : خضعوا . دهم : خيل سود ، الواحد أدهم .

المللمة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كناية ثقيلة .

(٨) أجمت : حلت . الحمى : ما ينجمه الإنسان ويمنعه إشارة الى حروبه في بلاد العرب .

لَكُمْ شَمُّ الْجِبَالِ مِنَ الرُّوَايِ ۖ وَأَعْظَمُ سَبِيلٍ مُعْتَلِجِ الْبَطَاحِ (١)
 دَعَوَاتِ الْمَلْحَدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ ۖ جَمَاحًا هَلْ شُفِيَتْ مِنَ الْجَمَاحِ (٢)
 فَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرِزِيًّا ۖ أَلْفَ الْعَيْصِ لَيْسَ مِنَ النُّوَاحِي (٣)
 فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قُرَيْشٍ ۖ بَعْشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي (٤)
 وَرَأَى النَّاسَ الْبَصِيرَةَ فَاسْتَقَامُوا ۖ وَبَيَّنَّتِ الْمِرَاضُ مِنَ الصِّحَاحِ (٥)

(١٣) وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ يَمْدَحُ

عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ :

لَمْ يَصْحُحْ هَذَا الْفَوَادُ مِنْ طَرِيهِ ۖ وَمِيَلِهِ فِي الْهَوَىٰ وَفِي لَعِبِهِ (٧)
 أَهْلًا وَسَهْلًا بَيْنَ أَتَاكَ مِنَ الرَّقَاةِ يَسْرَى إِلَيْكَ فِي سُخْبِهِ (٨)

(١) شم الجبال : أعانها . اعتلجت الأرض : طال نباتها ، والأمواج : النطمت . البطاح : جمع بطحاء مسيل واسع فيه حصى دقيق . يسير الى عظيم سلطانه .
 (٢) الملحد : المائل عن الدين الطاعن فيه . أبو خبيب عبد الله بن الزبير الخارج على بني أمية . جماحا : نافرین . والاستفهام تقريرى .
 (٣) هبرزيا : أسدا . والهبرزي : الأسوار من أساورة الفرس . ألف : كثير ملتف . العيص : الشجر الكثير أو الأصل . النواحي : البعداء . والمعنى أنهم وجدوك ذا بأس كريم الأصل .
 (٤) عشات الفروع : ليمات أصول نباتها . ضواح : مات ظلها لعدم الورق .
 (٥) البصيرة أيضا : العبد . والنقطة . وبينت : تبينت المراض جمع مريض : الباطل والمعوج ، ضده الصحيح .

(٦) عبید الله بن قيس الرقيات القرشي من شعراء الغزل والسياسة نشأ في قريش حريصا على سيادتهم ناقما على بني أمية اعترازهم باليمن متصرا لابن الزبير ، حتى اذا قتل واستقر الحكم للامويين اطمان اليهم وكان أول أمره مطاردا من الخلفاء ينتقل مختفيا بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ولزم عبس العزير ابن مروان والى مصر إلى أن مات سنة ٧٥ هـ . وابن الرقيات سهل الشعر رقيق المعاني ولا سيما في الغزل والزنا . وقد يرجع ذلك الى مزاجه الصافي والى الموضوعات التي يعالجها .

(٧) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فواده بالعشق والهيام

(٨) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربى بغداد وغيرها . السخب : جمع سخاب فلادة من

قرنفل وغيره . والخطاب في البيت لنفسه او لفواده ملتفتا إليه . ومن آتاه من الرقة هو طيف الحبيب .

- بَاتَتْ بِحُلُوانٍ تَبْتَغِيكَ كَمَا أرسل أهل الوليد في طلبه (١)
- فَدَلَّهَا الحُبُّ فَاشْتَفَيْتِ كَمَا تشفى دماء الملوك من كلبه (٢)
- سَقِيَا الحُلُوانَ ذِي الكُرُومِ وَمَا صنّف من تينيه ومن عينيه
- نَحْلُ مَوَاقِيرُ بِالفِئَاءِ مِنَ الـ برني غلب وهو يهتر في شربه (٣)
- أَسْوَدُ سُكَّانِهِ الحَمَامِ فَمَا تنفك غير بأنه على رطبه
- لِتَهْنِيَهُ مِصرٌ وَالعِرَاقُ وَمَا بالشام من بزّه ومن ذهبه (٤)
- فِيهِمْ بَهَاءٌ إِذَا أَتَيْتُهُمْ ونائل لا يغيب من حلبه (٥)
- أَثْنِي عَلَى الطَّيِّبِ ابْنَ لَيْلِي إِذَا أثبت في دينه وفي حسبه (٦)
- مَنْ يَصْدُقُ الوَعْدَ وَالقِتَالَ وَيُحْجِ شي الله في حاميته وفي غضبه (٧)
- وَمَنْ تُفِيضُ النَّدَى يَدَاهُ وَمَنْ ينتهب الحمد عند منتهيه (٨)
- أُمَّكَ بِيضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الـ بيت الذي يستظل في طنبه (٩)

- (١) حلوان مصر هي المرادة هنا . تبتيك : تطلبك . الوليد : الصبي .
- (٢) الكلب : داء عضه الكلب يشفى بدماء الملوك في زعمهم .
- (٣) مواقير : جمع موفر . النخلة الثقيلة الحمل . البرني : التمر . غلب جمع غلباء : الحديقة المتكاثفة .
الشرب حوض صغير حول النخلة يسع رباها .
- (٤) تهنه : تسره . البرز : الثياب ؛ من الكنان والقطن .
- (٥) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيب : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج
ما في الضرع . والمراد العطاء الدائم .
- (٦) ابن ليلي : المدوح . الحسب : الشرف .
- (٧) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه . (٨) ينتهب الحمد : يسبق إليه .
- (٩) قبيلة عظيمة تنسب الى لخطان أحيانا والى عدنان أخرى . الطنب : حبل يشد به مرادق البيت
والمراد يحتمى به .

- وأنت في الجوهر المهذب من عبد مناف، يداك في سببه (١)
يخلفك البيض من بينك كما يخلف عود النضار في شعبه (٢)
ليسوا من الخروع الضعيف كما جلت صقور الصليب من حديه (٣)
نحن على بيعة الرسول وما أعطى من عجمه ومن عمره (٤)
بها نصرنا على العدو ونزعى الغيب في نأيه وفي قربه (٥)
نأتي إذا ما دعوت في الخلق الـ ماذى أبدانه وفي جبيه (٦)
نهدى رعالا أمام أرعن لا يعرف وجه البلقاء في لجبه (٧)
فيهم كريب يقود حميرلا يعدل أهل القضاء عن خطبه (٨)
وعارض كالجبال من مضر الـ محمراء يشفي ذا العر من جربه (٩)
وابنا نزار إذا هما اجتمعا لم يتركا هاربا على هربه (١٠)

- (١) الجوهر : الطبيعة والحيلة . عبد مناف أصل بنى أمية . السبب : الخيل .
(٢) النضار : الأثل أو الطويل المستقيم الفصون . الشعب : الفصون .
(٣) الخروع : نبت معروف يعظم قرب المياه . الصايب : جبل . حديه : أهلاه .
نظرت : أى ليسوا مستضمنين فيسنة، لم قوى . بل هم كالجبل تنظر من قته الطيور .
(٤) ما أعطى : أى على العهد الذى عاهده جميع الناس عليه .
(٥) زعى الغيب : تحفظ العهد .
(٦) الخلق : جمع حلقة وهى الدرع . الماذى : الدرع اللينة أو السلاح كله . الجيب جمع جية : وهى من السنان ما دخل فيه الرمح .
(٧) رعال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر . الأرعن : الجيش الكثيف . البلقاء : بلد بالشام . والمراد أننا نجيب دعوتك لنا بجيش ضخم يساعذك .
(٨) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه .
(٩) العارض : الجيش . مضر الحمراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به . العر : الجرب والمراد الزينغ .
(١٠) ابنا نزار ربيعة ومضر .

وقال من قصيدة يمدح مصعب بن الزبير ويفتحز بقريش :

حبذا العيش حين قومي جميع لم تفرق أمورها الأهواء
قبل أن تطمع القبائل في ملء مك قريش وتشميت الأعداء
أيها المشتبهى فناء قريش بيد الله عمرها والفناء
إن تودع من البلاد قريش لا يكن بعدهم لحي بقاء (١)
لو تقفى وتترك الناس كانوا غم الذئب غاب عنها الرعاء (٢)
هل ترى من محاذ غير أن اللمه يبقى وتذهب الأشياء
يا مل الناس في غد رغب الدهر مر، ألا في غد يكون القضاء (٣)
لم نزل آمين يحسدنا النا س ويحري لنا بذاك الثراء (٤)
فرضينا ، فمت بدائك غمنا لا تميئن غيرك الأدواء
لو بكت هذه السماء على قوم م كرام بكت علينا السماء

* * *

إنما مصعب شهاب من اللد به تجلت عن وجهه الظلماء (٥)
ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
يتقى الله في الأمور وقد أف لمح من كان همه الإتقاء

* * *

عين فابكي على قريش وهل ير جع ما فات إن بكيت البكاء

(١) تودع : تهلك . البلا : الغم والوهن .

(٢) تقفى : تذهب . الرعاء : جمع راع . يقول لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طامة الذئب اذا تركها الرعاة .

(٣) رغب الدهر : رغبته .

(٤) الثراء : الخير .

(٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت .

- معشر حقتهم سيوف بني العـ
تراك الرأس كالنغامة مني
مثل وقع القدوم حل بنا فالد
ليس لله حرمة مثل بيت
خصه الله بالكرامة فالبا
حرقته رجال لحم وعك
فبيننا بعد ما حرقوه
كيف نومي على الفراش ولما
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي
- للات ينشون أن يضيع اللواء (١)
نجات تسرى بها الأنباء (٢)
ماس مما أصابنا أخلاء (٣)
نحن حجابة عليه الملاء (٤)
دون والعاكفون فيه سواء (٥)
وجذام وحمير وصداء (٦)
فاستوى السمك واستقل البناء (٧)
يشمل الشام غارة شعواء (٨)
عن براها العقيلة العذراء (٩)

- (١) الخنف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والأصل فيهم بنو أمهات شتى من أب واحد .
يقول : إن قرينا منقسمة على أنفسها في سبيل الملك ، فن هلك منها فيبدي بنيا .
(٢) النغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أى أشيب . تسرى : تسير ليلا .
(٣) أخلاء : جمع خلو : أى خال أى ليس عليهم وزر فبما نحن فيه من شقاق .
(٤) الحرمة : المهابة والذمة وما لا يحمل انتهاكه . الملاء : جمع ملاءة : الريطة والثوب يلبس
على الأضغاد .

- (٥) العاكف : المقيم في المسجد . البادى : من هو خارجه ، والمراد من في مكة وخارجها .
(٦) لحم وجذام وصداء وحمير من اليمن وعك من نزار .
(٧) السمك : السقف والقامة من كل شىء طويل مخين . استقل : ارتفع .
(٨) غارة شعواء : حملة متفرقة ، يقصد حرب الأمويين وكانت دمشق الشام حاضرهم .
(٩) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والقرط والخلخال ، المفرد برة . العقيلة : الكريمة
المختارة من النساء . العذراء : البكر . ولا تسفر البكر إلا وقت الهول والفرع .

أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمِّةٍ مُزَوِّرٌ
رَأَى وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ (١)

إِنْ قَتَلْتَنِي بِالطَّفِّ قَدْ أَوْجَعْتَنِي
كَانَ مِنْكُمْ لَنْ قُتِلْتُمْ شَفَاءً (٢)

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرْبِ
فَعَيْنُهُ بِالْذَمِّوعِ تَشْيِكُ (٣)

كُوفِيَةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتْهَا
لَا أُمَّ دَارُهَا وَلَا صَقَبٌ (٤)

وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَّتْ إِلَيَّ ، وَلَا
يَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبٌ (٥)

إِلَّا الَّذِي أَوْرَثَتْ كَثِيرَةٌ فِي آلِ
مَقَبٌ ، وَلِلَّهِ سَسْرَةٌ عَجَبٌ (٦)

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَوَانِي قَمَا
يُضَيِّحُنَ إِلَّا لَهْنٌ مُطَلَبٌ (٧)

أَبْصَرَنَ شَيْبًا عَلَا الذُّوَابَةَ فِي الرَّ
أَمِنْ حَدِيثًا كَأَنَّهُ الْعَطْبُ (٨)

فَهِنَّ يُنْكِرْنَ مَا رَأَيْنَ ، وَلَا
يُعْرِفُ لِي فِي لِدَائِي اللَّعِيبُ (٩)

مَا ضَرَّهَا لَوْ غَدَا بِحَاجَتِنَا
غَادٍ كَرِيمٌ أَوْ زَائِرٌ جُنُبٌ (١٠)

(١) مزور : مائل و كاره .

(٢) الطف : موضع قرب مكة دار فيه القتال بين بني أمية والزييريين . و ترى في الآيات حديه على

فريش عامة وكرهه بني أمية وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم .

(٣) كثيرة : امرأة آوت الشاعر بالكوفة حين أهدر الخليفة دمه . تشكب : تسيل .

(٤) نازح محلتها : بعيد منزلها . أم : قريبة . صقب : مجاورة .

(٥) صبت : حنت . سبب : صلة .

(٦) سورة : حدة . (٧) مطلب : مطلب وحاجة .

(٨) الذوابة : الناصية : شعر مقدم الرأس . العطب : الهلاك .

(٩) ينكرن : يعين . لدائي : أقراني ، جمع لدة .

(١٠) غاد : مبكر . جنب : غريب أو صاحب سفر — يريد ما يضرها لو زدها .

لم يأت عن ريبية وأجشمه أل حُب فأمسى وقلبه وصب (١)
يا جذا يثرب ولذتها من قبل أن يهلكوا ويحتربوا (٢)
وقبل أن يخرج الذين لهم فيها السناء العظيم والحسب (٣)
بغت عليهم بها عشيرتهم ^{بوجه} فعوجلوا بالجزاء واطلبوا (٤)

(١٤) قطري بن الفجاءة (٥)

قال في الحماسة :

لا يركن أحد إلى الإجمام يوم الوغى متخوفاً للجمام (٦)
فلقد أراني للرماح دريئةً من عن يميني مرةً وأمامي (٧)
حتى خضبت بما تحدر من دمي أكناف سرجي أو عنان الجأمي (٨)

(١) ريبية : تهمة . أجشمه : كلفه النصب . وصب : مريض .

(٢) يثرب : المدينة . يحتربوا : ينحاربوا ، والضمير يعود على حزب ابن الزبير والذين حاربهم من الأمويين ، وكان الشاعر زبيرياً أكثر حياته .

(٣) السناء : الرفعة . الحسب : الشرف .

(٤) بغت : عدت . اطلبوا : أخذوا .

(٥) هو قطري بن الفجاءة المازني من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء ، قضى مدة طويلة في حروب مع الأمويين حتى قتل بطبرستان سنة ٥٧٩ هـ .

(٦) الإجمام : التراجع . الوغى : الحرب . الجمام : الموت .

(٧) الدريئة : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

(٨) تحدر : سال . أكناف : جمع كنف : الخانب . العنان : سير الجمام .

ثم انصرفت، وقد أصبت ولم أصب جَدَعَ البصيرة قَارِحَ الإقدام (١)
وقال :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال : وَيَحِك ! كُن تُرَاعِي (٢)
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تُطَاعِي (٣)
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمُستطاع (٤)
ولا ثوبُ البقاء بثوبِ عنِّ فيطوى عن أخي الخنع اليراع (٥)
سبيلُ الموت غاية كلِّ حيِّ فداعيه لأهل الأرض داع (٦)
ومن لا يُعْتَبَطُ يسأم ويهرم وأُسْلِمُهُ المنونُ الى انقطاع (٧)
وما للرزءِ خيرٌ في حياةٍ إذا ما عدَّ من سَقَطِ المتاع (٨)

(١) جدع : شاب . البصيرة : العقل والفتنة والحجة . القارح من ذى الحافر : ماشق نابه وطلع ، والمراد القوى .

(٢) لها : لنفسه . طارت شعاعاً : تبددت من الخوف . ويحك ! : رحمة لك منصوبة بأضمار فعل . تراعى : تفرعى .

(٣) الأجل : غاية العمر .

(٤) مجال الموت : ميدانه .

(٥) الخنع : اللين ، وبالضم الذل . اليراع : الجبان .

(٦) داعى الموت : سببه من فناء العمر .

(٧) يعتبط : يموت شاباً . تسلم : ترك .

(٨) سقط المتاع : رديته .

(١٥) وقال عمران بن حطان^(١) أحد شعراء الخوارج يخاطب روح بن زنباع لمساعدته لمقاتلة عبد الملك بن مروان، فارتحل تاركاً له هذه الأبيات:

يا رَوْحُ كمْ مِنْ أَخِي مَثْوَى نَزَلْتُ بِهِ قَدْ ظَنَّ ظَنُّكَ مِنْ نَحْمٍ وَغَسَّانٍ^(٢)
حَتَّى إِذَا خِفْتُهُ فَارَقْتُ مَنْزَلَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قِيلَ: عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ!^(٣)
قَدْ كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا مَا تُرَوِّعُنِي فِيهِ رَوَائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ^(٤)
حَتَّى أَرَدْتَ بِي الْعُظْمَى فَأَدْرَكُنِي مَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مَرْوَانَ^(٥)
فَاعْذِرْ أَخْلَكَ (ابْنَ زِنْبَاعِ) فَإِنَّ لَهُ فِي النَّائِبَاتِ خُطُوبًا ذَاتَ أَلْوَانٍ^(٦)
يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمِينٍ وَإِنْ لَقَيْتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي^(٧)
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَّةٍ كُنْتُ الْمَقْدَمَ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي^(٨)
لَكِنْ أَبْتُ لِي آيَاتٍ مُطَهَّرَةً عِنْدَ الْوِلَايَةِ فِي طَهِّهِ وَعِمْرَانَ^(٩)

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسي بالبصرة حيث تعلم وتأدب، وأصبح شاعرا مجيدا صادقا في شعره دينيا ورعا. ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج فطارده الحكام. وأخذ ينتقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى مات بالكوفة سنة ٥٨٩. ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة.

(٢) المثوى: منزل الضيافة. أخو: صاحب. ظن ظنك: رأى في رأيك من أنى رجل هين. نحم

وغسان من اليمن من كهلان.

(٣) أى من بعد ما عرفته حقيقى تركته. (٤) تروعنى: تفزعنى.

(٥) العظمى: لقاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى. وكان حربا على الخوارج.

(٦) الخطوب: جمع خطب، الأمر العظيم.

(٧) يمان: أى أنا يمان أتسب الى اليمن. وكان عمران أثناء هربه ينتسب لمن ينزل به بما يلائمه

فهو عند ابن زنباع أزدى، وعند زفر بن الحارث أوزاعى. (٨) الطاغية: الجبار.

(٩) أبت: منعتنى الاستغفار لك. آيات جمع آية: كلام من القرآن منفصل بفواصل لفظى.

الولاية: السياسة. طه وعمران: سورتان فى القرآن. وكان الخوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال.

وقال يخاطب زفر بن الحارث الكلابي ، وكان قد نزل به بعد روح بن زنباع
مُخْفِيًا نَسْبَهُ ؛ فلما حاول زفر معرفته هرب وخَلَّفَ له رُقْعَةً فِيهَا :

إِنِّ التِي أَصْبَحْتَ بَعِيًّا بِهَا زُفْرٌ
مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأَخْبَرَهُ
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي وَسَائِلُهُ
فَاكْفُفْ كَمَا كَفَّ عَنِّي إِتْنَى رَجُلٍ :
وَإِذَا كَفَّ لِسَانَكَ عَن لَوْمِي وَمَسْأَلَتِي
أَمَّا الصَّلَاةُ فِإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا
أَكْرِمُ بَرُوحَ بَنِ زَنْبَاعٍ وَأُسْرَتِهِ
جَاوَزْتُهُمْ سَنَةً فِيمَا أُسْرُ بِهِ
فَاعْمَلْ ؛ فَإِنَّكَ مَنَعِي بِوَاحِدَةٍ
أَعَيْتَ عِيَاءً عَلَى رُوحِ بَنِ زَنْبَاعٍ (١)
وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَاعٍ (٢)
كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُوَلِّعْ بِإِهْلَاعٍ (٣)
إِقَامِ صَمِيمٌ ، وَإِمَامِ فَقْعَةَ الْقَاعِ (٤)
مَاذَا تُرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لِأَوْزَاعٍ ! (٥)
كُلُّ أَمْرٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ سَاعٍ (٦)
قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمْ لِلْعُلَا دَاعٍ (٧)
عِرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ تَهْجَاعٍ (٨)
حَسْبُ اللَّبِيبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعٍ (٩)

(١) عيا بها : يعجز عنها . أعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته .

(٢) مخدوع : مصدق ما أقول . خداع : ما كرمحتال .

(٣) الوسائل جمع وسيلة : السبب . يولع بالشئ : يحبه ويتعلق به جدا . إهلاعى : إفراعى .

(٤) صميم : خالص النسب الى قومه . الفقعة : الكمأة البيضاء لاعروق لها ولا أعضان . القاع :

أرض سهلة . فقعة القاع : لا أصل له .

(٥) الأوزاع : الجماعات . ووطن من همدان

(٦) يعنى به : يهتم به .

(٧) أوليهم جمع أول : أى آبائهم ، فهم أمجاد .

(٨) فيا أسر به : من الأوس والكرم . تهجاع : نوم خفيف .

(٩) منعى : مخبر بوفاتك . حسب : يكفى . ناع : مخبر . هذا : فاعل . الشيب : بدل .

وقال يرثي أبا بلال مرداس بن أدية من الخوارج :

لقد زاد الحياة إلى بغضًا وحبًا للخروج أبو بلال (١)
أحاذر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت ذرا العوالى (٢)
ولو أنني علمت بأن حنفي تحتف أبي بلال لم أبال (٣)
فمن يك همه الدنيا فإني لها والله رب البيت قالي (٤)

وقال فيه أيضا :

يا عين بكى لمرداس ومصراعيه يارب مرداس آجعلني كمرداس (٥)
تركتني هائما أبكى لمرزنتي في منزل موحش من بعد إيناس (٦)
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس (٧)

-
- (١) الخروج : الانضمام الى الخوارج في القتال .
(٢) ذرا : ظل . العوالى : جمع عالية ، أعلى القناة .
(٣) الحنف : الموت .
(٤) قال : كاره .
(٥) المصراع : الطرح على الأرض ، يقصد قتله .
(٦) هائما : حائرا . المرزنة : المصيبة العظيمة .
(٧) أنكرت الشيء : أبغضته لأنه تغير الى حال سيئة .

إِذَا شَرِبْتَ بِكَأْسِ دَارٍ أَوْهَلَا . عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا جُرْعَةَ الْكَأْسِ (١)
فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا شَارِبٌ عَجَلًا . مِنْهَا بِأَنْفَاسٍ وَرِدٍ بَعْدَ أَنْفَاسٍ (٢)

(١٦) قَالَ الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ مِنَ الْخَوَارِجِ : (٣)

وَإِنِّي لَمُقْتَادُ جَوَادِي وَقَازِفٌ . بِهِ وَيَتَنَفَّسِي الْعَامَ إِحْدَى الْمَقَازِفِ (٤)
لَا كَسِبَ مَالًا أَوْ أُوْلٍ إِلَى غِنَى . مِنْ اللَّهِ يَكْفِينِي عُدَاةَ الْخَلَائِفِ (٥)
فِيَارِبٌ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ . عَلَى شَرْجَعٍ يُعَلَى بِخُضْرِ الْمَطَارِفِ (٦)
وَلَكِنْ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرِ مَقِيلِهِ . يَجُودُ السَّمَاءِ فِي نُسُورِ عَوَاكِفِ (٧)
وَأُمِّي شَهِيدًا ثَاوِيًّا فِي عِصَابَةٍ . يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ (٨)

(١) جرعة : بلعة . إما مركبة من أن الشرطية وما الزائدة ، والبيت التالي دليل الجواب
أى فلا تحزن .

(٢) أنفاس : جمع نفس . الورد : الماء الذي يورد والمقصود الموت .

(٣) الطرماح بن حكيم الطائي شامى النشأة يجيد الفخر والمدح ، ورد الكوفة في جيوش الشام ،
واتصل بأحد الشراة من الخوارج ، فدعاه هذا الى مذهبه حتى اعتنقه أشد اعتقاد وأصححه ومات خارجيا
سنة ١٠٠ هـ .

(٤) مقتاد : قائد . قاذف : رام . المقاذف : الأماكن البعيدة .

(٥) أول : أصبر . عداة : جمع عاد وهو العدو . الخلائف : جمع خليفة . وكان خلفاء بني أمية
حربا على الخوارج .

(٦) حانت : قربت . الشرجع : المرير أو النعش . المطارف : جمع مطرف : رداء من خز مربع
ذو أعلام .

(٧) مقيله : موضع قبيلته . عكفت الطير حول القنيل : استدارت .

(٨) ثاويا : مقيا . العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . الفج : الطريق الواسع بين

جبلين . خائف : واق أو مخوف .

(١٧) قال الكُميت في بني هاشم : (١)

طَرِبْتُ وما شوقاً الى البيضِ أطربُ ولا لِعَباً مني وذو الشَّيبِ يَلْعَبُ؟ (٢)
ولم يُلْهِنِي دارٌ ولا رَسْمُ مَنْزِلٍ ولم يَتَطَرَّبْنِي بِنَاتُ مُحَضَّبٍ (٣)
ولا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطيرَ هُمَّةً : أَصاحَ غُرَابٍ أم تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ (٤)
ولا السانِحَاتُ البارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمْرَ سَلِيمِ القَرْنِ أم مرَّ أَعْضَبُ (٥)
ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواءَ، والخير يُطَلَبُ (٦)
إلى النَّفَرِ البيضِ الذين يَجِبُهم إلى الله فيما نالني أَتَقَرَّبُ (٧)
بني هاشم رهطِ النبي ؛ فأني يَوْمَ وَلَهُمُ أَرْضِي مِراراً وأَغْضَبُ (٨)

(١) كان الكُميت بن زيد الأَسدي شاعراً خطيباً نشأ في الكوفة وتآدب على علمائها وأخذ عن الأعراب وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولادة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم . وقد لقي في سبيل مذهبه النجدي والعدناني بلاءاً كثيراً وتوفي سنة ١٢٦ هـ . وتلح في شعر الكُميت آثار الحفظ الكثير لأشعار سابقيه مع سبك حسن وإخلاص لرأيه حتى أثار الفتنة بين عدنان وقحطان وفتح للشعبة طريق مناظرة خصومهم بالشعر كما ترى ذلك في هذه القصيدة التي نشرها .

(٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء . اللعب : العبث .

(٣) رسم : أثر . يتطربني : يهملني على الطرب .

(٤) الزجر : الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وأحواله على الحوادث المستقبلية .

(٥) السانحات جمع سانح : الطير يمر من اليسار إلى اليمين وهذا فال حسن عند العرب . البارحات :

عكس السانحات . الأعضب : المكسور القرن . يقول فما سبق : ليست تعينني هذه الأمور التي تشغل الناس والشعراء وإنما همي أهل الفضائل الخ .

(٦) النهي جمع نهي : العقل .

(٧) البيض : المشهورون من الأشراف .

(٨) الرهط : القوم والقبيلة .

خَفَضْتُ لَهُمْ مِثِّي جَنَاحِي مَوَدَّةً (١)
 وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَوْلَاءِ وَهَوْلَا
 وَأُرْمِي وَأُرْمِي بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا
 فَمَا سَاءَ نِي قَوْلِ أَمْرِي ذِي عَدَاوَةٍ
 قُلْتُ لِلذِّي فِي ظِلِّ عَمِيَاءَ جَوْنَةٍ :
 بَأَى كِتَابِ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ
 إِلَى كَيْفِ عِظْفَاهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبٌ (١)
 يَجْنَأُ عَلَيَّ أَيْ أَدْمُ وَأُقْصَبُ (٢)
 وَإِنِّي لِأَوْدَى فِيهِمْ وَأُوْنِبُ
 يَمُورَاءَ فِيهِمْ يَجْتَدِينِي فَأُجْدَبُ (٣)
 تَرَى الْجَوْرَ عَدْلًا أَيْنَ (لَا أَيْنَ) تَذَهَبُ (٤)
 تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيَّ وَتَحْسَبُ؟ (٥)

* * *

يُشِيرُونَ بِالْأَيْدِي إِلَى وَقَوْلُهُمْ :
 فَطَائِفَةٌ قَدْ كَفَرْتَنِي بِحُبِّكُمْ
 فَمَا سَاءَ نِي تَكْفِيرِ هَاتِيكَ مِنْهُمْ
 يَعْيبُونَنِي مِنْ خِيْبِهِمْ وَضَلَالِهِمْ
 وَقَالُوا : تُرَابِي هَوَاهُ وَرَأْيَهُ ،
 عَلَى ذَاكَ إِجْرِيَّايَ ، فِيكُمْ ضَرِيْبَتِي
 أَلَا خَابَ هَذَا ، وَالْمَشِيرُونَ أَخِيْبٌ
 وَطَائِفَةٌ قَالُوا : مُسِيٌّ وَمُذْنِبٌ
 وَلَا عَيْبُ هَاتِيكَ الَّتِي هِيَ أَعْيَبُ
 عَلَى حُبِّكُمْ بَلْ يَسْخَرُونَ وَأَعْجَبُ (٦)
 بِذَلِكَ أَدْعَى فِيهِمْ وَأُلْقَبُ (٧)
 وَلَوْ جَمَعُوا طَرًّا عَلَيَّ وَأَجْلَبُوا (٨)

(١) الكنف : الجانب والظل . عطفاه : جانبه ، أى أهل لي مرحبون بي .

(٢) المحن : الترس وما يتوق به . أقصب : أشتم .

(٣) العوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة . يجتديني : يطلب مني أتباعه .

(٤) عمياء : ضلالة . جونة : سوداء .

(٥) كتاب : قرآن . سنة : كلام الرسول ، والمراد بأى حق .

(٦) الخب : الخبث .

(٧) ترابي نسبة إلى علي بن أبي طالب الملقب بأبي تراب

(٨) اجرىاي : خلقى . طبيعتي : سنتي . ضريبتى : طبيعتي . اجابوا : جمعوا الجوع أو تواعدوا بالشر .

وأحمل أحقاد الأقارب فيكم^١ وينصب لي في الأبعدين فانصب^(١)
 يخاتمكم غصبا تجوز أمورهم فلم أر غصبا مثله يتغصب^(٢)
 بحكم أمست قريش تقودنا وبالقد منها والرديقين تركب^(٣)
 إذا اتضعونا كرهين لبيعة أناخوا لأخرى والأزمة تجذب^(٤)
 ردافا علينا لم يسيموا رعية^٥ وهمم أن يمتروها فيحلبوا^(٥)
 لينتجوها فتنه بعد فتنه فيفتعلوا أفلاءها ثم يركبوا^(٦)
 أقاربنا الأدنون منكم ليلة وساستنا منهم ضباع وأذؤب^(٧)
 لنا قائد منهم عنيف وسائق^٨ يقحمننا تلك الجرائم متعب^(٨)

(١) نصب له : عاداه وحاربه .

(٢) الخاتم : ما يختم به الملك أو سواه . تجوز : تسير وتنفذ . يتغصب : يفتصب . يقول : إنهم

يحكمون الناس بحكم الذي استلبوه .

(٣) الفهد : الفرد وأول سهام الميسر . الرديقان : مثني رديف وهو كل ما تبع شيئا أو الراكب

خلف الراكب . والمعنى أنها تحكم مطمئنة وإن كانت دخيلة في الحكم بلا حق .

(٤) اتضعونا : حكونا وأصله اتضع البعير خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب . أناخوا لأخرى :

دبروا لمسألة أخرى . الأزمة : جمع زمام . والمعنى والأمور تسير .

(٥) ردافا : متابعين . يسيم الماشية : يخرجها إلى المرعى . يمتري الناقة : يمسح ضرعها لئلا

والمعنى أنهم (بنو أمية) يحكمون الناس لينعموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية .

(٦) نتج الفرس : غنى بها حتى تضع . افلاء جمع فلو : الجحش أو المهر الصغير . افتعل : اختلق .

والمعنى أنهم يدبرون الفتن ليحكموا .

(٧) أذؤب جمع ذئب .

(٨) يقحم الفرس راكبه : يرميه على وجهه . وقحه في الأمر : أدخله فيه من غير روية . الجرائم

جمع جرثومة . وهي الأصل أو قرية النمل . متعب : صفة سائق (الخليفة) .

وقالوا : ورثناها أبانا وأمناء ، وما ورثتهم ذلك أم ولا أب ! (١)
يروون لهم حقا على الناس واجبا سفاها ، وحق الهاشميين أوجب (٢)

(١٨) قال جميل بن معمر : (٣)

ألا ليت أيام الصفاء جديداً ودهراً تولى يا بئير يعود
فغنى كما كنا نكون وأتم صديقاً وإذا ما تبذلين زهيداً (٤)
وما أنسى من الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوى أمصر تريد؟ (٥)
ولا قولها : لولا العيون التي ترى أيتك ، فاعذرني . فدتك جدوداً ! (٦)
خلي ما أخفي من الوجد ظاهر دمعي بما أخفي الغداة شهيداً (٧)
ألا قد أرى والله أن رب عبدة إذا الدار شطت بيننا ستريداً (٨)

(١) ورثناها : أى الخلافة . (٢) سفاها : جهلاً وباطلاً .

(٣) يعد جميل بن عبد الله بن معمر العذري مثال الغزل البدوي العفيف ، نشأ في البادية وأحب ابنة عمه يثينة ، وعرف بها ، وقال فيها شعراً كثيراً يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر . وقد لقي في سبيل حبه العنت والنفي حتى لجأ الى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان حيث مات سنة ٥٨٢ وشعره جميل حسن الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة ويعدّه النقاد في البادية نظير عمر بن أبي ربيعة في الحاضرة وكلاهما حجازي خصصا للمراجل متقاربة .

(٤) غنى : قميم . نكون : فوجد . ما تبذلين : أى ما تبيلين من الوصل .

(٥) من الأشياء : من الأشياء . النضو : المهزول من الحيوان : يريد ناقته . بقول مهما أنس من شيء . قلت أنسى قولها لى وقد قربت ناقى أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الأب تدعوله بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبدة : الدفعة أو الحزن من غير بكاء . شطت : بعدت . أى سيكثر بكائى إذا افرقنا .

ستريد خبر عبدة والجملة خبر أن المخففة .

إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بَشِينَةَ قَاتِلِي
وَأَنْ قُلْتُ : رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ
مَنْ الْحُبِّ ! قَالَتْ : نَابِتٌ وَيَزِيدُ! (١)
مَعَ النَّاسِ ، قَالَتْ : ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
وَلَا حُبًّا فِيمَا يَبِيدُ وَيَبِيدُ (٢)
إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ وَهُوَ حَمِيدُ! (٣)
مَنْ اللَّهُ مِيثَاقٌ لَهُ وَعَهْدُ
وَقُلْتُ لَهَا : بَنِي وَبَيْنَكَ فَاعْلَمِي
وَقَدْ كَانَ حُبِّكُمْ طَرِيفًا وَتَالِدًا
وَإِنَّ عَرُوضَ الْوَصْلِ بَنِي وَبَيْنَهَا
فَأَقْنَيْتُ عَيْشِي بِانْتِظَارِي نَوَالَهَا

* * *

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَّ لَيْلَةً
وَهَلْ أَهْبَطَنَ أَرْضًا تَظَلُّ رِيَا حُهَا
بَوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا أَسْعِيدُ (٦)
لَهَا بِالنَّيَا الْقَاوِيَاتِ وَثِيدُ (٧)

(١) أي إذا قلت لها إن الحب سيقبطني قالت : إنه باق ، وسيزيد أيضا

(٢) أي فلم أنل ما طلبت من بعض عقلي ولا الحب بفضي لأستريح .

(٣) الجوازي : جمع جازية وهي المكافئة . يقول : إذا جوزى الأوجه بالشاء عليهم وقت القراق

فليس لك في نفسى إلا العتب واللوم والبيت في الأصل جملة دعائية

(٤) الطريف : الجديد ، وضده التليد .

(٥) العروض : الطريق في عرض الجبل . صعود : مرتفع . والمعنى أن الوصل صعب المنال مهما

تسهله بالوعود .

(٦) وادي القرى : بالحجاز شمالى المدينة . ليت شعري : أي ليتنى أعرف ، جواب هذا الاستفهام

المذكور بعد . يتمي المبيت بهذا الوادي حيث كان يقيم الأوجه .

(٧) الناياء جمع ثنية : وهي طريق في الجبل أو الجبل نفسه . القاويات : الخاليات . وثيد :

صوت شديد . أي هل أحيانا ثانية في تلك الأرض الخالية التي تعزف فيها الرياح حيث كنت أعيش ناعما

بالهوى العذرى .

- وهل ألقين سعدى من الدهر مرة (١)
 وقد تلتقى الأهواء من بعد ياسة
 وهل أزجرن حرفاً علاة شملة
 على ظهر مرهوب كأن نُسوزهُ
 سبتنى بعينى جؤذيرٍ وسطَ رَبِّ رَبِّ
 فمن يُعطى في الدنيا قريناً كمثليها
 يموت الهوى منى إذا ما لقيتها
 يقولون : جاهد يا جميل بغزوة
 لكل حديث بينهن بشاشة
 ومن كان في حبي بشينة يمتري
 ألم تعلمى يا أمّ ذى الودع أننى
 وما رث من حبل الصفاء جديد (١)
 وقد تطلب الحاجات وهى بعيد
 بتحرق تباريها سواهم سُود (٢)
 إذا جاز هلاكك الطريق رُقود (٣)
 وصدر كفاثور اللجين وجيد (٤)
 فذلك فى عيش الحياة رشيد (٥)
 ويحيا إذا فارقتها قعود
 وأى جهاد غيرهن أريد
 وكل قتيلى بينهن شهيد (٦)
 فبرقاء ذى ضال على شهيد (٧)
 أضحك ذكراكم وأنت صلود (٨)

(١) رث : بلى . ما مبتدأ خبره جديد .

(٢) أزجر الناقة : أصبح بها لتسرع . الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة . العلاة : الناقة الطويلة . والشملة : السريعة . الحرق : القفر والأرض الواسعة تتحرق فيها الرياح . تباريها : تسابقها . سواهم : جمع ساهمة وهى الناقة الضامرة .

(٣) مرهوب : طريق مخوف . نسوز جمع نسر : المكان المرتفع . رُقود : نيام . هلاك الطريق : الذين ضلوه . رُقود خبر كان . (٤) سبتنى : أسرتنى . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . الربرب : القطيع من بقر الوحش . الفاثور : الطست والطفنة . اللجين : الفضة . الجليد : العنق وهو بالرفع على أنه مبتدأ خبره (لها) محذوف .

(٥) القرين : صاحب ، والزوج . رشيد : موفق . (٦) بشاشة : سرور وبهجة . (٧) يمتري ، يشك . البرقاء : أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين أو كل شىء فيه سواد وبياض . وبرقاء ذى ضال إحدى برق بلاد العرب ، يتخذ من موافقه فيها شاهداً على حبه الشديد . (٨) ذو الودع : طفلها يعلق عليه الودع وقاية ، وهو محاذ صغير أبيض معروف . صلود : بخيلة .

(١٩) وقال عمر بن أبي ربيعة : (١)

- قال لي صاحبي ليعلم ما بي : أنحُبُّ القَتُولَ أُخْتِ الرَّبَابِ؟ (٢)
 قلتُ : وجدى بها كوجدك بالعدُ : ب إذا ما مُنعتَ طعمَ الشَّرَابِ (٣)
 من رَسولِي الى الثُّرَيَّا بَأْتِي ضِقتُ ذرعا بهجرها؟ والكَتابِ! (٤)
 أزَهقتُ أم نُوفَلِ إذ دَعَّعَهَا مُهَجَّتِي ، ما لِقَاتِلِي من مَتَابِ (٥)
 حين قالت لها : أجيبي ! فقالت : من دعاني؟ قالت : أبو الخطَّابِ (٦)
 فأجبت عند الدعاءِ كما لبَّ : بي رجالٌ يرجون حُسنَ الثَّوابِ (٧)
 أبْرزوها مثل المَهْمَاةِ تَهَادِي بينَ خميسِ كَواعِبِ أترابِ (٨)

- (١) ولد أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة القرشي بالمدينة في بيت ترف ومجد متأثرا بالطبيعة الحجازية الرقيقة وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز . فكان عمر غزلا زعيم الغزلين جميعا . يمتاز شعره بسلاسة الأسلوب والافتنان في الغزل ولا سيما نوعه القصصي الذي تناول به نساء الأشراف في مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك . وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ .
- (٢) القَتُول : القاتلة . الرباب : جمع ربابة : وهي السحابة البيضاء ، وبها سميت المرأة .
- (٣) كوجدك بالعدب الخ : أى كشوقك الى الماء العذب حين تعطش جدا .
- (٤) الثريا بنت علي : إحدى صواحب الشاعر . ضقت ذرعا بهجرها : لأحتمله . والكتاب : آيقسم به .
- (٥) أزَهقت : أهلكت . مهجتي : روحى . (٦) أبو الخطاب : كنية الشاعر .
- (٧) أى أجابت إجابة الحاج يبنى الجزاء الجميل .
- (٨) المهامة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشى متمايلة . الكواعب جمع كاعب : وهي الفتاة الناهدة الذى . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، فهو فى سنك .

- وهي مَكْنُونَةٌ تَحْيِرُ مِنْهَا (١) فِي أَدِيمِ الْخَدِيدِ مَاءُ الشَّبَابِ (١)
دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِمَادٍ (٢) صَوْرُوهَا فِي جَانِبِ الْمِحْرَابِ (٢)
ثُمَّ قَالُوا : تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا! (٣) عَدَدَ النُّجُومِ وَالْحَصَى وَالْتُّرَابِ! (٣)
حِينَ سَبَّ الْقَتُولَ وَالْجِدَّ مِنْهَا (٤) حُسْنُ لَوْنٍ يَرِفُّ كَالزَّرِيَابِ (٤)
أَذْكَرْتَنِي مِنْ بَهْجَةِ الشَّمْسِ لَمَّا (٥) طَلَعْتَ مِنْ دُجْنَةِ وَسْحَابِ (٥)
فَارْجَحْتَنِي فِي حُسْنِ خَلْقِي عَمِيمِ (٦) تَهَادَى فِي مَشِيهَا كَالْحُبَابِ (٦)
غَضَبْتَنِي بِمَجَاجَةِ الْمِسْكِ عَقْلِي (٧) فَسَلُّوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي (٧)
قَلَدُوْهَا مِنْ الْقَرَنْفُلِ وَالْدَرِّ (٨) رَسَخَابًا وَاهَا لَهْ مِنْ سِخَابِ (٨)

وقال :

- أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتْرَبَعَا (٩) بِيَطْنِ حَلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقَعَا (٩)
إِلَى الشَّرِيِّ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بَدَلْتِ (١٠) مَعَالِمُهُ وَبَلَا وَنِكَبَاءَ زَعْرَعَا (١٠)

- (١) مَكْنُونَةٌ : مَصُونَةٌ مَسْتَوْرَةٌ : تَحْيِرٌ : اجْتِمَاعٌ وَتَرَدُّدٌ . أَدِيمُ الْخَدِيدِ : بِيَاضِهَا أَوْ صَفْحَتَيْهَا . مَاءُ الشَّبَابِ : رَوْتَقُهُ وَبَهْجَتُهُ . (٢) الدُمِيَّةُ : الصُّورَةُ الْبَدِيعَةُ . الرَّاهِبُ : الْمَقْطَعُ لِلْعِبَادَةِ الْمِحْرَابِ : الْقِبْلَةُ أَوْ صَدْرُ الْبَيْتِ . (٣) بَهْرًا : حَيَا قَوِيًّا . (٤) شَبَّ : زَادَ فِي حُسْنِهَا ، وَأَظْهَرَ جَمَالَهَا . يَرِفُّ : يَلْعَبُ . الزَّرِيَابُ : الذَّهَبُ . (٥) الْبَهْجَةُ : الْحُسْنُ . الدُّجْنَةُ : الطَّلَبَةُ . (٦) ارْجَحْتَنِي : مَالَتْ وَاهْتَزَّتْ : عَمِيمٌ : تَامٌ . الْحَبَابُ : الْحَبَّةُ . تَهَادَى : تَمَايَلَى . (٧) مَجَاجَةُ الْمِسْكِ : يَنْتَشِرُ مِنْهَا أَرْبَحُ . (٨) السِّخَابُ : قِلَادَةٌ مِنْ قَرَنْفُلٍ وَغَيْرِهِ . الْقَرَنْفُلُ : نَبَاتٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ . وَاهَا لَهْ : عَجَبًا مِنْ حُسْنِهَا عَلَى جِدِّهَا . (٩) الْأَطْلَالُ جَمْعُ طَلَلٍ : وَهُوَ الشَّائِخُصُّ مِنْ آثَارِ الْوَادِي . الْمُتْرَبَعُ : مَكَانُ إِقَامَةِ الرِّبِيعِ . بَطْنُ حَلِيَّاتٍ : مَوْضِعٌ يَظْهَرُ أَنَّهُ قَرِبَ مَكَّةَ . دَوَارِسُ جَمْعُ دَارِسٍ : أَيُّ زَائِلٍ . بَلْقَعَا : قَفْرًا . دَوَارِسُ بَلْقَعَا حَالَانِ مِنَ الْأَطْلَالِ وَالْمُتْرَبِعِ . (١٠) الشَّرِيُّ : النَّخِيلُ . الْمَغْمَسُ : مَوْضِعٌ بِطَرِيقِ الطَّائِفِ . مَعَالِمُهُ : مَعَاهِدُهُ جَمْعُ مَعْلَمٍ . الْوَادِي : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ . النِّكْبَاءُ : رِيحٌ انْحَرَفَتْ عَنْ مَهَبِ الرِّيحِ . زَعْرَعَا : شَدِيدَةٌ . يَقُولُ : تِلْكَ الْأَطْلَالُ بِنَاحِيَةِ هَذَا الْوَادِي الَّتِي بَدَلْتِ بِمَعَالِمِهَا أَمْطَارَ وَرِيَاحِ .

فِيخَلْنَ أَوْ يُخَيَّرْنَ بِالْعِلْمِ بَعْدَ مَا
يَهْنَدُ وَأَتْرَابَ لَهْنَدٍ إِذِ الْهَوَى
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مَزَاجُهُ
وَإِذَا لَا نُطِيعُ الْعَاذِلِينَ وَلَا نَرَى
تَنْوَعَتَيْنِ حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ سُقْمُهُ
فَقُلْتُ لِمَطْرِيهِرٍ بِالْحُسَيْنِ : إِنَّمَا
وَأَشْرَيْتَ فَاسْتَشْرَى وَإِنْ كَانَ قَدْ صَحَا
وَهَيَّجَتَ قَلْبًا كَانَ قَدْ وَدَّعَ الصَّبَا
لَئِنْ كَانَ مَا حَدَّثْتَ حَقًّا فَمَا أَرَى
فَقَالَ : تَعَالَ أَنْظُرِي . فَقُلْتُ : وَكَيْفَ بِي

نَكَانَ قُوَادًا كَانَ قَدَمًا مُفَجَّعًا (١)
بَجَمِيعٍ وَإِذَا لَمْ تَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا (٢)
كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرَّحِيقَ الْمَشْعَشَعَا (٣)
لِوَأَشٍ لَدِينَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَطْمَعَا (٤)
وَحَتَّى تَذَكَّرْتُ الْحَدِيثَ الْمَوْدَعَا (٥)
ضَرَرْتُ ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا؟ (٦)
قُوَادٌ بِأَمْثَالِ الْمَهَا كَانَ مُوزَعَا (٧)
وَأَشْيَاعُهُ ، فَاشْفَعُ عَسَى أَنْ تُشَفِّعَا (٨)
كَمَثَلِ الْأُلَى أَطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعَا (٩)
أَخَافُ مُقَامَا أَنْ يَشْبِعَ فَيْشْنَعَا؟ (١٠)

- (١) نكأ الجرح : قشره قبل برئه فندى . مفجعا : موجعا بهند وأترابها .
(٢) جميع : مجتمع . يتصدع : ينفترق .
(٣) مزاجه : ما يمزج به . صفق : حول الشراب ممزوجا من إناء الى آخر ليصفو . الرحيق : الخمر أو أفضاها . المشعشع : الممزوج . يقول : كما ممتزجين امتزاج الماء بالخمير في الشدة والصفاء .
(٤) العاذلون جمع عاذل : وهو اللائم . الواشى : النمام . الصرم : القطيعة .
(٥) تنوعتن : تووصفن . أى أن كلا وصفت لصاحبها ما تراه فيها من المحاسن . سقم القلب : مرضه من الحب المودع : الماضى .
(٦) المطرى : المادح المبالغ . ضررت : باذكاه الغرام فى نفسى . النفع هنا : صلته بهن .
(٧) أشريت قوادى : حركته الى الهوى فتحرك . صحا : ترك الباطل . موزعا : مولعا .
(٨) الصبا : جهلة الفتوة . الأشبياع : جمع شبيعة بالكسر وهى الفرقة . تشفع : تقبل شفاعتك فيصلتنى .
(٩) أربع نسوة : أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت جمالا .
(١٠) مقاما : إقامة معهن . يشبع : يضح .

فَقَالَ : اكْتَفِلْ ، ثُمَّ التَّمَّ ، فَأَتَتْ بَاغِيَا
فَأَنَّى سَأَخْفِي الْعَيْنَ عَنْكَ فَلَا تُرَى
فَأَقْبَلْتُ أَهْوَى مِثْلَ مَا قَالَ صَاحِبِي
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا ، وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ
تِبَاهُنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفَنِي
وَقَرَّبَتْ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُتَمِّمِ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْأَحَادِيثَ قُلْنَا لِي :
فَيَا لَأَمِيسَ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدًا
فَمَا جِئْتَنَا إِلَّا عَلَى وَفْقِ مَوْعِدِ
فَسَلِّمْ ، وَلَا تُكْثِرْ بَانَ تَتَوَزَعَا (١)
مَخَافَةَ أَنْ يَفْشُو الْحَدِيثُ فَيَسْمَعَا
لِمَوْعِدِهِ أَرْجَى قَعُودًا مَوْقِعَا (٢)
وَجُوهُ زَهَاهَا الْحَسَنِ أَنْ نَتَقَنَّهَا (٣)
وَقُلْنَا : أَمْرٌ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا (٤)
يَقِيسُ ذِرَاعًا كَمَا قِيسَ إِصْبَعًا (٥)
أَخِيفَتْ عَلَيْنَا أَنْ نُفَرَّوْهُنَّ مَخْدَعَا (٦)
إِلَيْكَ ، وَبَيْنَا لَهُ الشَّانَ أَجْمَعَا (٧)
عَلَى مَلَأٍ مَنَا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا (٨)

- (١) اكنفل : استتر بالكفل وهو في الأصل كساء يدار حول سنام البعير . التَّمَّ : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تتوزع : تتحشم .
- (٢) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق . القعود من الإبل : ما يقتعده الراعي في كل حاجة . الموقع : الذي ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .
- (٣) تواقفتنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقع : عن أن تلبس القناع فأسفرت معجبة بجمالها .
- (٤) تباهن : ادعين البله ، وهو الغفلة . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أعيأ وتعب . أوضع : حمل ناقته على السير السريع .
- (٥) المتيم : الذي دلهه الحب .
- (٦) تنازعنا : تبادلنا .
- (٧) الشأن أجمعا : الأمر جميعه أى رسمنا له الخطه
- (٨) الوفى : المطابقة . الملاء : الجماعة .

رَأَيْتَا خَلَاءَ مِنْ عَيْونٍ وَمَجْلَسًا
وَقُلْنَ : كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كَرَامِ
دَمِيثَ الرُّبَا سَهْلَ المَحَلَّةِ مُرِعَا (١)

وقال :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً
زَعَمُوهَا سَأَلْتُ جَارَتَهَا ،
أَكَمَا يَنْعَتْنِي تُبْصِرْنِي ؟
فَتَضَاحَكُنَّ ، وَقَدْ قَانَ لَهَا :
حَسَدًا حَمَلَهُ مِنْ شَأْنِهَا
وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَجِدُ (٢)
إِنَّمَا العَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِدُّ
وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ : (٣)
عَمْرُكُنَّ اللهُ ! أُمُّ لَا يَقْصِدُ ! (٤)
حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ ! (٥)
وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الحَسَدُ

(١) الدميث : اللبن ذو الرمل . الربا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . مرع :

مخصب .

(٢) أنجزتنا ما تعد : وفيت بوعدنا . مما نجد : أى من الوجد .

(٣) تبترد : قصب الماء البارد على رأسها .

(٤) ينعتنى : يصفنى . عمركن الله : أى أذكركن الله . يقصد : يعتدل ، فلا يبالغ .

(٥) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

- غَادَةً تَفْتَرُّ عَنْ أَشْنَبِهَا حِينَ تَجْلُوهُ أَقَاحٌ أَوْ بَرْدٌ (١)
وَلَهَا عَيْنَانِ فِي طَرْفَيْهِمَا حَوْرٌ مِنْهَا، وَفِي الْجِيدِ غَيْدٌ (٢)
قُلْتُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا مَنْ شَفَهُ الْوَجْدُ، وَأَبْلَاهُ الْكَمْدُ (٣)
نَحْنُ أَهْلُ الْخَيْفِ مِنْ أَهْلِ مَنَى مَا لِمَقْتُولٍ قَتَلْنَاهُ قَوْدٌ (٤)
قُلْتُ: أَهْلًا! أَتُمُّ بُغَيْتُنَا، فَتَسْمِينَ! فَقَالَتْ: أَنَا هِنْدُ! (٥)
إِنَّمَا ضَلَّ قَلْبِي فَاحْتَوَى صَعْدَةً فِي سَابِرِي تَطَّرِدُ (٦)
إِنَّمَا أَهْلُكَ جِيرَانُ لَنَا إِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ أَحَدٌ (٧)
حَدَّثُونَا أَنَّهَا لِي نَفَثَتْ عُقْدًا، يَا حَبْدًا تِلْكَ الْعُقْدُ! (٨)
كَمَا قُلْتُ: مَتَى مِيعَادُنَا؟ ضَحِكْتَ هِنْدُ، وَقَالَتْ: بَعْدَ غَدَا!

(١) الغادة : المرأة اللينة . تفتّر : تظهر . الأشنب : الفم في أسنانه ماء ورقة وعذوبة . تجلوه : تكشفه . الأقاح : جمع أخوان وهو البابونج البري من نبات الربيع له نوراً أبيض . البرد : ماء الغمام يسقط جامداً .

(٢) الحور : شدة سواد العين مع شدة بياضها . الجيد : العنق . غيد : نعومة .

(٣) شفه الوجد : أهزله الحب . الكمد : الحزن الشديد .

(٤) الخيف : ناحية من منى عند مكة . القود : القصاص .

(٥) بغيتنا : مطلبنا .

(٦) ضال : صار ضالاً لا يهتدى . احتوى : اشتمل . الصعدة : القناة تبتت مستقيمة لا تحتاج

الى متف ، شبه بها محبوبته في اعتدال قدها . السابري : الثوب الرقيق الجيد . تطرد : تمشي مستقيمة .

(٧) شيء . أحد : أى شيء واحد .

(٨) نفثت عقداً : سحرتنى ، والنفث : النفض ، والعقد تكون من خيوط وينفث فيها قصد

السحر .

(٢٠) قال كثير عزة (١) :

خَلِيلِي هَذَا رُبْعٌ عَزَّةٌ فَاعْقِلَا قَلُوصِيكَا نَمَّ ابِكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ (٢)
وَمَا كُنْتُ أُدْرِى قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْهُوَى وَلَا مُوجِعَاتِ الْحَزَنِ حَتَّى تَوَلَّتِ
فَقَدْ حَلَقْتُ جَهْدًا بِمَا نَحَرْتُ لَهُ قُرَيْشٌ غَدَاةَ الْمَازِمِينَ وَصَلَّتِ (٣)
أُنَادِيكَ مَا حَجَّ الْمَجْمِجُ وَكَبَّرْتُ يَفِيْفَا غَزَالَ رُقْفَةَ وَأَهَلَّتِ (٤)
وَكَانَتْ بَقِيعَ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا تَكَادِرَةٌ نَذْرًا فَأَوْفْتُ وَحَلَّتِ (٥)

(١) لم يكن لكثير بن عبد الرحمن من المكانة في الشرف والشعر الغزلي ما كان بلجمل أو عمر أو سواهما من الغزليين؛ فقد كان فيما يظهر دعيا في الحب غير مرغوب فيه لقبح صورته وهوان شخصيته فوق ثقافته السيانية وتردده بين الشيعة وبني أمية، أخذ يشهر بعزة بنت حميد الضمري حتى عرف بها وكانت وفاته سنة ٥١٠ هـ وما بقي من شعر كثير يدل على أسلوب جيد وصنعة حسنة وإن كان لا يبلغ في صدق الشعور مبلغ أضرابه الغزليين .

(٢) الربع : الدار . عقل البعير : شد وظيفه الى ذراعه (قيده) . القلوص : الناقة الشابة والطويلة . القوائم . يدعو صاحبيه المزعومين الى المكث عند ربيع صاحبه والبكاء عنده وقاء لها .
(٣) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالفت في اليمين . نحرت : ذبحت الضحايا . المازم ، ويقال المازمان : مضيق بين جمع وعرفة وآخرين مكة ومنى . والمعنى أقسمت بالله لتقطعني .
(٤) أناديك : أجالسك من النادي والندى وهما المجلس كما في الأمالى . المجميج : جمع حليج وهو قاصد مكة للنسك . فيفاء الغزال : مكان بمكة لا ماء فيه . الرفقة : مثلثة الرءاء : الأصحاب . أهلت : رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء .

(٥) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدته ولم تقدر . حلت : خرجت من عهده لما أوفته .

- فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ
 وَإِذَا وُطِنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ (١)
 وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُبِّ مِيعَةً
 تَعْمُ وَلَا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ (٢)
 كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ
 مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَى بِهَا الْعَصْمُ زَلَّتْ (٣)
 صَفْوَحًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِجَيْلَةٍ
 فَمَنْ مَلَ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصَلَ مَلَّتْ (٤)
 أَبَاحَتْ حِمِّي لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا
 وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ (٥)
 فَلَيْتَ قَلْبِي عِنْدَ عَزَّةٍ قُيِّدْتُ
 بِجَبَلٍ ضَعِيفٍ عُرٌّ مِنْهَا فَضَلَّتْ (٦)
 وَغُوْدِرَ فِي الْحَمِيِّ الْمَقِيمِينَ رَحْلَهَا
 وَكَانَتْ لَهَا بَاغٍ سِوَايَ فَبَلَّتْ (٧)
 وَكُنْتُ كَذِي رَجَلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ
 وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ (٨)
 وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلْعِ لَمَّا تَحَامَلْتُ
 عَلَى ظَلْعِهَا بِعَسَدِ الْعِثَارِ اسْتَقَلَّتْ (٩)

(١) وطنت : مهدت وأعدت . ذلت : سهلت ولانت .

(٢) الميعة : الشدة وأول الشيء وأصله . الغماء : الكرب تجلت : انكشفت وزالت .

(٣) الصم : جمع أصم : الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . زلت : زلقت يقول : لما أعرضت عنى لا تجيب ندائى كأنى أدعو صخرة صلبة عظيمة ملساء ، لا تستقر عليها الوعول .

(٤) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بجيلة بالوصل : لا تبدله .

(٥) الحمى : ما يحيى ويدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذى احتلته . برعاه الناس بدخولهم إليه .

التلاع : جمع تلعة وهى الأرض المرتفعة أو المنخفضة ، ويريد أنها ملكت عليه نفسه بالحُب حين لم يستطع ذلك سواها

(٦) عر منها : قطع .

(٧) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها كالسرج . باغ : طالب . بلت : نجت وذهبت .

(٨) رمى فيها الزمان : أصابها بالثلف . شلت : قطعت أو يبست

(٩) الظلع : العيب والغمز فى المتى . تحاملت على ظلعها . تكلفت الناقة السير على رجمها . استقلت :

استقام مشيا . يمتنى لو أتيت له ما يعطل سفره فيبقى مع عزة .

- أُرِيدُ النَّوَاءَ عِنْدَهَا ، وَأُظْهِرُهَا (١)
 فَمَا أَنْصَفْتُ : أَمَا النَّسَاءَ فَبَغَّضْتُ
 فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَاهْلًا وَمَرْحَبًا !
 وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنَّ وِرَاءَنَا
 خَلِيلَ ابْنِ الْحَاجِجِيَّةِ طَلَّحَتْ
 فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ مَا حَلَّ قَبْلَهَا
 وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كِيَوْمِهَا
 وَأَضْحَيْتُ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فُؤَادِهِ
 فَيَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ
 وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بِعِزَّةٍ بَعْدَ مَا
 لَكَ لِمُرْتَجِي ظِلِّ الْغَمَامَةِ كَلَّمَا
- إِذَا مَا أَطْلُنَا عِنْدَهَا الْمَكْثَ مَلَّتْ (١)
 إِلَيَّ ، وَأَمَّا بِالنَّوَالِ فَضَنَّتْ (٢)
 وَحَقَّتْ لَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّتْ (٣)
 مَنَادِحَ لَوْ سَارَتْ بِهَا الْعَيْسُ كَلَّتْ (٤)
 قَلُوصِيكَا وَنَاقِي قَدْ أَكَلَتْ (٥)
 وَلَا بَعْدَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ
 وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّتْ
 فَلَا الْقَلْبَ يَسْلَاهَا وَلَا الْعَيْنُ مَلَّتْ (٦)
 وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَّئَتْ كَيْفَ ذَلَّتْ (٧)
 تَخَلَّتْ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ (٨)
 تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْقَيْلِ اضْمَحَلَّتْ (٩)

- (١) النواء : الإقامة . (٢) ضنت : بجات .
 (٣) العتبي : الإعتاب ، يقال عاتبني فلان فأعتبه إذا نزعتم عما عاتبني عليه . أى إذا عدلت عن
 القطيعة والصد سررنا وأعتبناها كذلك . قلت : أى هى شىء قليل محتمل .
 (٤) الأخرى : يقصد القطيعة والهجر . المنداح : الواسعة البعيدة من الأرض . العيس : الإبل
 البيض يخالط بياضها شقرة . كلت : أعبت من السير .
 (٥) طلحت : أكلت وأتعبت . والحاجبية : لعله لقب عزة .
 (٦) الشاهق : المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها .
 (٧) اعترافه : صبره . يريد قوة صبره على أهوال الحب . وخضوع نفسه لو يلاته .
 (٨) التهيام : كالجئون من العشق . تخلى من الشىء : تركه .
 (٩) الغمامة : السحابة أو البيضاء خاصة . تبوأ المكان : نزل فيه . المقييل : النوم نصف النهار .
 انحلت : انقضت . يشبه تعلقه بعزة بعد القطيعة باللاجئ الى ظل سحابة ، ووجه الشبه الطمع فى غير مطمع .

كأني وإياها سخابةٌ مُحجِّلٌ رجاها فلما جاوزته استهلت (١)
فإن سأل الواشون : فيم هجرتها . فقل : نفسٌ حرَّسيت قستت !

(ج) النثر

(١) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب الى هرقل ملك الروم :

من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .
أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن
توليت فإن عليك إثم الأريسيين^(٢) . ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا نأخذ بعصاً بعضها أرباباً من دون الله فإن
تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون .

وكتب في صلح الحديبية بينه وبين قريش :

بِسْمِكَ اللَّهُمَّ ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، سهيل بن عمرو ؛ اصطالحا على
وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيمن الناس ويكف بعضهم عن بعض
على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع

(١) المحل : المجذب بعوزه المطر . جاوزته : بدت عنه . استهلت : أمطرت .

(٢) الأريسيون : الفلاحون والعمال لأنهم تبع لساداتهم وكبرائهم .

(٣) الحديبية : قرية صغيرة بينها وبين مكة مرحلة نزل بها النبي عليه السلام سنة ست للهجرة قاصداً

مكة لزيارة الكعبة معتمراً فأرادت قريش منعه الدخول مخافة العار وبعد تراسل بينهما تصالحا على ما في هذه

محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبةً مكفوفةً^(١) ، وأنه لا إسلال ولا إغلال^(٢) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنك ترجعُ عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، وإن معك سلاح الرَّاكِب والسُّيُوف في الرُّكْب ؛ فلا تدخلها بغير هذا .

خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صدق الله وعده ، ونصر عبده وهزم
الأحزاب وحده ، أَلَا كُلُّ مَأْتِرَةٍ أَوْ دِيمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ^(٤) .
إلسدانة البيت وسقاية الحاج^(٥) ، ألا وقبيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه الدية
مغلظة فيها أربعون خلفه^(٦) ، في بطونها أولادها . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ
عَنكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظَمَهَا بِالْآبَاءِ . النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ . ثُمَّ تَلَا
هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّا كَرَّمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ بِأَتَقَاكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

(١) العيبة : موضع السر أو الخريطة لللابس والمراد الأمن .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية والرشوة . الإغلال : الخيانة .

(٣) ما وعدهم به من فتح مكة وهزيمة الأحزاب أعدائه .

(٤) المأتره : الجميل . الدم : القتل .

(٥) سدانة الكعبة : خدمتها . سقاية الحاج وسدانة الكعبة : كانا من عمل الهاشميين منذ الجاهلية .

(٦) الخلفة : الناقة الحامل . (٧) نحوه الجاهلية : لجهالتها وسفهاها .

يا معشر قريش ! ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ^(١) .

ومن خطبته في حجة الوداع ^(٢)

الحمد لله حمدته ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم
عباد الله بتقوى الله ، وأحسبكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير « أما بعد » أيها
الناس اسمعوا مني أيين لكم ، فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، في موثقي
هذا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ^(٣) إلى أن تلقوا ربكم ، تحرمة يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده
أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن ربا الجاهلية موضوع ^(٤) ، وإن أول ربا أبدأ به
ربا عمى العباس بن عبد المطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم
أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن ماثر الجاهلية موضوعة

(١) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الرجل الذي يؤسر ثم يخلي عنه .

(٢) آخر حجة له .

(٣) حرام سفك الدماء وأغصاب الأموال .

(٤) موضوع : ساقط لا حساب عليه .

غير السّدانةِ والسّقايةِ . والعمدُ قودٌ ، ^(١) وشبهُ العمد ما قُتِلَ بالعصا والحجر ، وفيه مائةٌ
بعيرٌ ، فمن زاد فهو من أهل الجاهليةِ . أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبدَ
في أرضكم هذه ؛ ولكنه قد رضى أن يطاعَ فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس إن لِنِسائِكُم عليكم حقًّا . ولكم عليهن حقٌّ . لكم عليهن ألا يُوطئنَ
فرشكم غيركم ، ولا يدخلنَ أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ ،
فإن فعَلنَ فإن الله قد أذنبَ لكم أن تعضلوهن ^(٢) وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن
ضربًا غير مبرحٍ ؛ ^(٣) فإن اتهمن وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ؛ فاتقوا الله
في النساءِ ، واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغتُ ؟ اللهم اشهد ! أيها الناس إنما
المؤمنون إخوة ؛ فلا يحلُّ لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيبِ نفسٍ منه ، ألا هل
بلغتُ ؟ اللهم اشهد ! فلا ترجعنَّ بعدي كفارًا يضربُ بعضكم رقابَ بعضٍ ؛ فإنى
قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تضرُّوا بعده : كتاب الله . ألا هل بلغتُ ؟ اللهم اشهد !
أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لأدم ، وأدم من تراب ، أكرمكم
عند الله اتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلغتُ ؟ اللهم
اشهد ! قالوا : نعم ! قال فليبلغنَّ الشاهدُ الغائبَ . والسلام عليكم ورحمة الله !

(١) القود : القصاص . والمراد بالعمد : القتل عمدا .

(٢) العضل : النضيق .

(٣) الضرب المبرح : الشديد الأذى .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إِنْ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا
(١) طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَلَبَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ
أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ
مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْحَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا ؛ فَذَلِكَ مَثَلٌ مِنْ فِقْهِ فِي دِينِ
اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعِلِمٌ وَعِلْمٌ ، وَمَثَلٌ مِنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ،
وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ .

إِنَّمَا مَثَلِي وَمِثْلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَاحَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ
(٥) وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ تَقَعُ فِيهَا ، فَيَجْعَلُ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبُهُنَّ فَيَقْتَحِمُونَ فِيهَا ؛
فَأَنَا آخِذٌ بِجُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا .
أَدَّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّخَذَكَ ؛ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ .

إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
(٨) بِعِقَابٍ .

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ
(٩) قَدَّاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى .

(١) أجادب : قيل جمع أجذب ، جمع جذب : القفر الصماء . (٢) القيعان جمع قاع : أرض مهلهة مطمئنة انفسرحت عنها الجبال . (٣) ذلك إشارة الى المثل الاقول : الطائفة الطيبة . (٤) إشارة الى المثل الأخير . (٥) استوقد : أشعل . (٦) اقتحم في الشيء : دخل فيه من غير روية . (٧) الهجز : جمع حجرة : معقد الازار . (٨) يدل هذا الحديث على قيمة التناهي عن الشر في الجماعات والشعوب . (٩) دعا بعضها بعضا لمشاركته في الألم .

أَنْصُرُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا : قِيلَ : أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَحْجِزُهُ عَنِ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ .

مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ يَكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ .
مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ .

نَظَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْ شَيْئًا فَبَلَغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ .
وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ مِنْهُ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ وَيُلُّ لَهُ ، وَيُلُّ لَهُ !

لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمْعَةً : يَقُولُ : أَنَا مَعَ النَّاسِ ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنْتُ ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْتُ ، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَنْ تَجْتَنِبُوا إِسَاءَتَهُمْ .

لَا يَأْمَنُ أَحَدُكُمْ (٣) حَتَّى يَجِبَ لِأَخِيهِ مَا يَجِبُ لِنَفْسِهِ .

المُسْلِمُ مِنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ (٤) ، وَالْمُؤْمِنُ مِنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ .

مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ (٥) .

(١) وَيْلٌ لَهُ : أَيْ شَرٌّ أَوْ هَلَاكٌ يَحِلُّ بِهِ ، تَسْتَعْمَلُ فِي التَّهْوِيلِ وَالْإِنذَارِ .

(٢) الإِمْعَةُ : الْمُرْتَدُّ لَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ رَأْيٌ ، كَمَا يَفْسُرُ ذَلِكَ سَائِرَ الْحَدِيثِ .

(٣) أَيْ لَا يَكْفُلُ إِيمَانَ الشَّخْصِ إِلَّا بِذَلِكَ .

(٤) أَيْ مِنْ شَرَفَوْلِهِ وَعَمَلِهِ .

(٥) أَيْ مِنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ عَلَى الْمَعْرُوفِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ لِأَنَّ النَّاسَ وَسِيلَةُ الْخَيْرِ إِلَيْهِ .

لأَحْسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ،
وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَاكَتِهِ فِي الْحَقِّ .

يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيُسَبُّ فِيهِ اثْنَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ .
إِنَّ مِنْ أَحْبَبِكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ
أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالتَّشَدِّقُونَ (١) وَالتَّفْهِيمُونَ
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا التَّفْهِيمُونَ ؟ قَالَ : التَّكْبُرُونَ .

كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ،
وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ،
وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .

بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بَرًّا فَتَزَلَّ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ
نَخِرَ ، وَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ (٢) يَا كُلُّ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ! فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ
هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي . فَزَلَّ الْبَرُّ ، فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ
أَمْسَكَ بِهِ فِيهِ حَتَّى يَرْقَى ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ !

مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ .

خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَى . وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .

إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً (٣) فَلَا يَتَنَاجَى (٤) اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ .

(١) الثَّرَارُ : الَّذِي يَكْثُرُ الْكَلَامُ تَكَلُّفًا وَمَجَاوِزًا وَخُرُوجًا عَنِ الْحَقِّ ، التَّشَدِّقُ : الَّذِي يَلْوِي

شِدْقَهُ نَعْظًا .

(٢) يَلْهَثُ : يَخْرُجُ لِسَانَهُ مِنَ التَّنَفُّسِ الشَّدِيدِ عَطْشًا أَوْ إِعْيَاءً .

(٣) أَيْ الْجَمْعُ أَوِ الْجُلُوسُ . (٤) يَتَنَاجَى : يَتَسَارَعُ .

القضاة ثلاثة : واحد في الجنة ، واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففرضى به ، ورجل عرف الجحيم وجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار .

لأن يأخذ أحدكم أحبله ، ثم يأتي الجبل ، فيأتي بجزمة على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل الناس : أعطوه أو منعوه .

(٢) نموذج من كلام أبي بكر الصديق (١)

لما توفي الرسول عليه السلام واضطرب الناس خطبهم فقال :

أيها الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره (٢) فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أذكر . أيها الذين آمنوا كونوا قزامين بالقسط (٣) ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذي تعجزونه ولا تستنظروه (٤) فيلحق بكم .

(١) هو عبد الله بن أبي خنافة القرشي نشأ عالماً كريماً حليماً ، وكان أسبق الرجال سلاماً وأشدهم بلاءاً في نصرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولى شئون المسلمين بعد رسول الله فساهم بحكمة ولين حتى توفي سنة ٥١٢ هـ .

(٢) أظهرهم على نهايته بوفاته فلا تعرضوا عن قضاء الله جزعاً .

(٣) القسط : العدل .

(٤) لا تستنظروه : أى لا تتأوا عليه بل عاجلوه باعترام الخيرة وإيقاظه .

خطبة له أخرى

وقد جاء مال من البحرين ساوي فيه بين الناس فغضب الأنصار (١) .

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
يا معشر الأنصار ، إن شئتم أن تقولوا : إنا أوفيناكم في ظلالنا ، وشأطرتناكم
في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا — قلم ، وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العد
وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي (٢) :

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت (٣)
أبوا أن يملؤنا ، ولو أنبأنا تلاقى الذي يلقوت منا ملأت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأطلت

خطبته يوم السقيفة (٤)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيها الناس : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلامًا ، وأكثرهم أحسابًا (٥)
وأوسطهم دارًا ، وأحسبهم وجوهًا ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمسبهم
رحمًا برسول الله

(١) الأنصار : الذين نصروا الرسول بعد الهجرة الى المدينة وأكثرهم من الأوس والخزرج ،
فقالهم المهاجرون الذين يتحدث أبو بكر بلسانهم .

(٢) شاعر جاهلي من قيس .

(٣) كناية عن الحاجة وسوء الحال .

(٤) يوم السقيفة : يوم اجتمع العرب في سقيفة بني ساعدة عقب وفاة الرسول عليه السلام للنظر
فيمن يخلفه ، وتنافس في ذلك المهاجرون والأنصار .

(٥) الحسب : مفاخر الآباء .

صلى الله عليه وسلم . أسأمتنا قبلكم ، وقُدِّمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى
(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان) فنحن
المهاجرون ، وأتم الأنصار ، إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفئ (١) وأنصارنا على العدو .
أوتيتم ووآسيتم . فجزاكم الله خيرا ! فنحن الأمراء وأتم الوزراء . لا تدين العرب
إلا لهذا الحى من قريش ؛ فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله
من فضله .

وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب

إني مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بَعْدِي وَمُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ . إِنْ لَيْتَ اللَّهُ عَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ
بِالنَّهَارِ ، وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ . وَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً (٢) حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ ؛
فَإِنَّمَا ثَقَلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثِقَلِهِ
عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوَضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ
مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوَضَعُ
فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا . إِنْ لَيْتَ اللَّهُ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ
وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ؛ فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ : إِنْ لَيْتَ اللَّهُ أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ
أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ : إِنْ لَيْتَ لِي لَأَرْجُو
أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرْتُ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاغِبًا ،

(١) الفئ : الغنمة والخراج .

(٢) لا تنفسوا عليهم : لا تحسدوهم .

(٣) النافلة : السنة التي لا يلزم أداؤها بل يشحب . والفریضة : ما يلزم أداؤها من أمور الدين .

ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يُلقى بيده إلى التهلكة^(١) ، فإذا حفظت وصيتي فلا
يُكنُّ غائب^(٢) أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب
أبغض إليك من الموت ولست بمُعجز الله .

ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها فقال له أراك بارئاً
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أما إنني على ذلك لشديد الوجع^(٣) ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدَّ على^(٤)
من وجعي . إني وليت أموركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم أنفه أن يكون له^(٥)
الأمر من دونه . والله لتتخذن نضائد^(٦) الديباج وستور الحرير ، ولتألمن النوم على^(٧)
البصوف الأذري^(٨) كما يآلم أحدكم النوم على حسك السعدان . والذي نفسي بيده لأن^(٩)
يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يحوض غمرات الدنيا .
يا هادي الطريق جرت . إنما هو والله الفجر أو البجر^(١٠) .

(١) التهلكة : الهلاك .

(٢) يريد أن العمل بالوصية يجعل الموت أحب إليه كما أن تضييعها يبغضه في الموت مع أنه حتم .

(٣) ذلك إشارة إلى البرء من المرض . (٤) اللام للتوكيد وما موصولة مبتدأ خبره أشد .

(٥) ورم أنفه : أي امتلاء غيظاً ، وذكر الأنف . لتأثره بالقبض ، كما يقال شخ بأنفه للتكبر ،

أي رفع رأسه . (٦) النضائد : الوسائد ، المفرد نضيدة ، والمراد ما تضد في البيت من أثاث .

الديباج : الثوب سداه ولحمته من حرير ، والمراد الحرير . (٧) الأذري : نسبة إلى أذربيجان .

(٨) الحسك : الشوك . السعدان : نبت كثير الحسك . (٩) غمرات الدنيا : شئونها

التي تحير الناس . (١٠) جرت : حدثت عن جادة الصواب .

(١١) يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وإن سلكت الظلماء

وقعت في المكروه . وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا . البجر : الشر والداحية .

(٣) نبذة من كلام عائشة^(١)

قالت على قبر أبيها :

نصر الله يا أبت وجهك^(٢) وشكر لك صالح سعيدك ، فلقد كنت للدنيا مذلا
بإدبارك عنها ، وللاخرة مِعْزَا بإقبالك عليها ، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأكبر الأحداث بعده ففقدك - إن كتاب الله عز وجل
ليعدنا بالصبر عنك^(٣) حسن الغوض منك ، وأنا مستنجرة^(٤) من الله موعدة منك بالصبر
عنك ، ومستعينة^(٥) كثرة الاستغفار لك . فسلام الله عليك توديع غير قالبة^(٥) حياتك ،
ولا زارية^(٥) على القضاء فيك .

(٤) من آثار عمر بن الخطاب^(٦)

رسالته في القضاء الى أبي موسى الأشعري^(٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس : سلام
عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم إذا أدلى اليك^(٨) ، فإنه

(١) هي السيدة عائشة بنت أبي بكر وزوج الرسول عليه السلام تزوجها صغيرة ، فنشأت راوية للحديث عالمة بالدين متأدبة بالأدب العالى . وقد كان لها فى الأحداث السياسية بعد وفاة الرسول مواقف مشهورة . (٢) نصر وجهك . جعله ناضرا ، أى حسنا جميلا ، كناية عن حسن المثوبة .

(٣) إن : شرطية . أى إن عظم رزؤك وفقدك فان كتاب الله الخ .

(٤) مستنجرة : طالبة الانجاز والوفاء . (٥) قالبة : كارهة . زارية : عاتبة أو عابئة .

(٦) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشى ولد فى الجاهلية وربى فيها وعرف بالشجاعة والحزم والسيادة وقد هداه الله الى الاسلام بعد عداوة قوية ، فكان من أعظم أنصاره . فلهاولى الخلافة بعد أبى بكر قام بأعبائها خير قيام حتى قتل غيلة سنة ٥٢٣ هـ . وبعد عمر بن الخطاب من أبلغ الناس وأقواهم أسلوبا وأقدمهم للشعر وأرواهم له .

(٧) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله

معروف فى مسألة التحكيم بين على ومعاوية . (٨) أى تقدم اليه المتقاضون بحجبتهم .

لا يَنْفَعُ تَكْلِمَ بَحِيٍّ لَا تَفَادَ لَهُ . ^(١) آسَ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ ، حَتَّى
لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَيْئَسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ . ^(٢) الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى ،
وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ . وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صَلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ
حَلَالًا . لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضَيْتَهُ الْيَوْمَ ، فَرَأَجَعْتَ فِيهِ عَقْلَكَ ، وَهُدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ
أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمَرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .
الْفَهْمُ الْفَهْمَ فِيمَا تَلْجُلِجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ . ^(٣) ثُمَّ أَعْرَفَ الْأَشْبَاهَ
وَالْأَمْثَالَ ؛ فَنَقَسَ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَاعْتَمَدَ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَشْبَهَهَا بِالْحَقِّ .
وَاجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمْدًا يَنْتَهَى إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذَتْ لَهُ
بِحَقِّهِ ، وَإِلَّا اسْتَحَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ ؛ فَإِنَّهُ أَنْفَى لِلشَّكِّ وَأَجْلَى لِلْعَمَى . الْمُسَاهُونَ عُدُولٌ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ أَوْ مُجْرَبًا عَلَيْهِ شَهَادَةٌ زُورٍ أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ
أَوْ نَسَبٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ وَدَرَأَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَيْمَانِ . ^(٤) وَإِيَّاكَ وَالْقَلَاقَ
وَالضُّجْرَ وَالتَّادِيَّ بِالْخُصُومِ وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ
يُعْظِمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ وَيُحْسِنُ بِهِ الذَّنْحَ ؛ فَمَنْ صَحَّتْ نَيْتُهُ وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ

(١) آس بين الناس : سويتهم .

(٢) الحيف : الميل أهي ميلك معه لشرفه .

(٣) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٤) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أترعن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

(٥) ظنين : متهم أي يتسبب إلى غير أبيه أو يدعى إلى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة .

(٦) درأ : دفع يريد منع الحدود .

(٧) القلاق والضجر : ضيق الصدر وقلة الصبر .

وبين الناس . ومن تَحَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شَانُهُ اللهُ ، فما ظنُّكَ ^(٢)
بثوابِ عند الله عز وجل في عَاجِلِ رِزْقِهِ وخِزَائِنِ رَحْمَتِهِ ، والسلام . ^(٣)

وكتب الى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهم اليه ينصحانه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عُمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومُعَاذِ بن جَبَل ، سلام عليكما
فاني أحمد الله الذي لا إلهَ إِلاَّ هُوَ (أما بعد) فقد جَاءَنِي كِتَابُكَا تَرْعُمَانِ أَنَّهُ بَلَّغْنَاكَ أَنِّي
وَلَيْتُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحْمَرُهَا وَأَسْوَدُهَا يَجْلِسُ ^(٤) بَيْنَ يَدَيِّ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ وَالشَّرِيفِ
وَالْوَضِيعِ ، وَكُتِبَتْ أَنَّ أَنْظَرَ كَيْفَ أَنْتَ يَا عُمْرُ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِعُمَرَ
عِنْدَ ذَلِكَ إِلاَّ بِاللَّهِ . وَكُتِبَتْ تُحَدِّثَانِي مَا حَدَّثْتَنِي بِهِ الْأُمَمُ قَبْلَنَا ، وَقَدِيمًا كَانَ اخْتِلَافُ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِأَجَالِ النَّاسِ يَقْرَبَانِ كُلُّ بَعِيدٍ وَيُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ
مَوْعُودٍ ، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ ، ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . كُتِبَتْ تَرْعُمَانِ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، يَرْجِعُ فِي آخِرِ زَمَانِهَا أَنْ
يَكُونَ إِخْوَانُ الْعَلَانِيَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ وَلَيْسَتْ بِذَلِكَ . وَلَيْسَ هَذَا ذَلِكَ الزَّمَانُ ،
وَلَكِنَّ زَمَانَ ذَلِكَ حِينَ تَظْهَرُ الرِّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ ، فَتَكُونُ رِغْبَةُ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ

(١) أي أظهر للناس في خلقه خلاف نيته .

(٢) شانه : ضد زانه والمراد قبجه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله في الدنيا ورحمته في الآخرة .

(٤) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود كناية عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٥) اختلافهما بأجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

إصلاح دينهم ورهبةً بعض الناس إصلاح دُنياهم . وَكَتَبْنَا تُعَوِّدَانِي بِاللَّهِ أَنْ أَنْزِلَ
كِتَابًا مِنِّي سِوَى الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِكَا . وَإِنَّمَا كَتَبْنَا نَصِيحَةً لِي . وَقَدْ صَدَقْتَا .
فَتَعَهَّدَانِي مِنْكَا بِكِتَابٍ ؛ فَلَا غَيْبِي عَنْكَا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَا !

(٥) من خطب عثمان بن عفان :

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً . وَإِنْ لِكُلِّ نِعْمَةٍ عَاهَةٌ . وَإِنْ آفَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَعَاهَةٌ
هَذِهِ النِّعْمَةُ عَيَابُونَ ظَنَانُونَ ؛ يَظْهَرُونَ لَكُمْ مَا تَحِبُّونَ ، وَيُسْرُونَ مَا تَكْرَهُونَ ، يَقُولُونَ
لَكُمْ وَتَقُولُونَ ، طَعَامٌ مِثْلُ النَّعَامِ ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمُ الْيَهُمِ النَّازِحِ .
لَقَدْ أَقْرَرْتُمْ لَابْنَ الْخَطَّابِ بِأَكْثَرِ مَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ ، وَلَكِنَّهُ وَقَعَكُمْ وَقَعَكُمْ وَزَجَرَكُمْ زَجَرَ
النِّعَامِ الْحَزْمَةِ ؛ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ، وَأَقْمِنُ إِنْ قَلَّتْ هَلْمٌ ! أَنْ تَجَابَ
دَعْوَتِي مِنْ عُمَرَ . هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ حُقُوقِكُمْ شَيْئًا ؟ فَمَا لِي لَا أَفْعَلُ فِي الْحَقِّ مَا أَشَاءُ ؟
إِذَا فَلِمَ كُنْتُ إِمَامًا ؟

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموي القرشي . ولد في الجاهلية وسبق إلى الإسلام ، وأبلى
في نصرته . ثم ولي الخلافة بعد عمر بطريق الانتخاب الشورى . وبعد مدة ثار عليه أعراب من مصر والعراق
بجحمة إيثاره أقراره . وحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه سنة ٣٥ هـ . وكان من أبلغ الناس وأرجم لفظًا
وأسلمهم أسلوبًا بحكم نشأته القرشية ودراسة القرآن الكريم .

(٢) الطعام : أراذل الناس للواحد والجمع .

(٣) النازح : الناضب من نرحت البئر قل ماؤها أو نقيدها ومن معانيها البعيد جدا .

(٤) وقم : فهرج .

كتابه الى علي يستنجده حين أحيط به :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد بلغ السيلُ الزبيُّ (١) ، وجاوز الحزامُ الطيبين (٢) ، وطمع في من لا يدفع
عن نفسه ، ولم يغلبك مثل مغلب (٣) . فأقبل إلى صديقا كنت أو عدوا .

فإن كنت ما كولا فكن خيرا آكلي وإلا فأدركني ولما أمرق

(٦) بلغ علي بن أبي طالب أن خيلا لمعاوية وردت الأنبار،

فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان ،

نخرج مغضبا ونخطب الناس :

أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس

التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة (٥) ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب

الذل ، وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماء (٦) ، وضرب على قلبه بالأسداد ، وأدىل

(١) الزبي : جمع زبيبة : مصيدة الأسد وتكون في قلة أورابية أو هضبة . والتركيب كناية عن

بلوغ الشدة أفصاها كما يصل السيل الزبيبة .

(٢) الطيبان معنى طبي والجمع أطباء : مواضع الاخلاف (حملات الضرع) ومجاورة الحزام الطيبين

كناية عن الإشراف على الهلاك . (٣) المغلب : الضعيف الذي يغلب كثيرا ، فاذا قدر عليك

لا يرجع عنك . وهذا معنى ولم يغلبك مثل مغلب .

(٤) ولد علي بن أبي طالب قبيل الاسلام ونشأ في بيت مجد وشرف وكان أول من أسلم من الصبيان

ثم صاحب الدولة الاسلامية في أوليتها مجاهدا وناصرها بعد وفاة الرسول حتى اذا قتل عثمان وبايعه أهل

المجاز قام في وجهه معاوية ينازعه الخلافة وكانت بينهما قن وحروب ومكاتبات الى أن قتل علي غيلة

سنة ٤٠ هـ بمسجد الكوفة وكانت هذه الحياة العنيفة سبب نبوغه في الخطابة وتملكه زمام البلاغة التي تنطق

بها آثاره الصريحة . (٥) الجنة : الوفاة . (٦) ديث : ذلل . والقماء : الذل والمهانة .

الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومِنَع النِّصْف^(٢) . ألا وإني قد دعوتكم
إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزؤهم قبل
أن يغزؤكم ؛ فوالله ما غزى قوم قط في عُقْرِ دارهم إلا ذلُّوا . فتوا كلمتم وتخاذلتم^(٤)
حتى سُتت الغارات عليكم ، ومِلكت عليكم الأوطان^(٣) . وهذا أخو غامد^(٥) قد
وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان بن حسان البكري ، وأزال خيلكم عن^(٦)
مساحها . ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى^(٧)
المعاهدة ، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها وريعاتها ، ما تمنع عنه إلا بالاسترجاع^(٨)
والاسترحام . ثم أنصرفوا وإفرين ، ما نال رجلاً منهم كلم ، ولا أريق لهم دم ،^(٩)
فلو أن امرأةً مسلمة مات من بعد هذا أسفاً ما كانت به ، لوماً ، بل كان به عندي^(١٠)
^(١١)
^(١٢)
^(١٣)

(١) أى صارت الدولة للحق بدله .

(٢) النصف : العدل .

(٣) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٤) نوا كلمتم : انكل كل على الآخر . وتخاذلتم : خذل كل صاحبه .

(٥) هو سفيان بن عوف بعته معارفة مغيراً على العراق .

(٦) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات .

(٧) المساح : جمع سلحة ، وهي النعر حيث طروق الأعداء .

(٨) الحجل : الخللخال .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الرعات : جمع رعة بالفتح ونحوك : الفرط .

(١١) الاسترجاع : قول (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(١٢) أى لم ينل أحد منهم في مال أو بدن .

(١٣) الكلم : الجرح .

جديرا . فيأعجبا والله يُميت القلب وَيَجِيبُ الهم : اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم
وتفرقكم عن حَقِّكم ، فُقِّبِحَا لَكُمْ وترحاً حين صرتم غرضاً يُرْمَى ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ،
وَتَغَيِّرُونَ وَلَا تَغَيِّرُونَ . وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ ، فإذا أمرتكم بالسير اليهم في أيام الحرِّ
قامت : هذه حمارة القيظ ، أمهلنا ينسلخ عنا الحرُّ . وإذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء
قلتم : هذه صبارة القُرِّ ، أمهلنا ينسلخ عنا البردُ . كل هذا فراراً من الحر والقُرِّ
فأنتم والله من السيف أفرُّ . يا أشباه الرجال ، ولا رجال ! حلوم الأطفال ، وعقول
رَبَاتِ الْحِجَالِ . لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم ! معرفة والله جرت ندماً ، وأعقبت
سَدَمًا . قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدى غيظاً ، وجرعتموني نغب
التهمام أنفاساً ، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش :
إن ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب ، لله أبوهم ! وهل أحد
منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين
وهانذا قد ذرفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

(١) الترح بالتحريك : الهم أو الفقر .

(٢) حمارة القيظ : شدة الحر .

(٣) ينسلخ : يخف ويسكن .

(٤) أي شدة البرد .

(٥) ربوات الحجال : النساء . والحجال جمع حجلة : القبة ، وموضع يزين بالنور للعروس .

(٦) السدم : الهم أو مع أسف وغيظ .

(٧) النغب : جمع نغبة : الجرعة . التهمام : الهم .

(٨) ذرفت : زدت .

(٩) أي لا ينفع رأي للذي لا يسمع له .

وخطب في استنفار الناس إلى أهل الشام فقال :

أف لكم ! لقد سمئتُ عتابكم ، أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ،
وبالدُّل من العزِّ خلفاً . وإذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من
الموت في غمرة ، ومن الدهول في سكرة . يرتج عليكم حوارى فتعمهون ^(١) ،
فكأن قلوبكم مألوسة ^(٢) فأنتم لا تعقلون ما أنتم لي بثقة سيجيس ^(٣) الليالى ولا
زوافر ^(٤) عزُّ يفتقر إليكم ، وما أنتم إلا كإبلٍ ضلَّ رعاتها ، فكلمها جمعت من
جانب انتشرت من آخر ، ليس لعمر الله سَعْر ^(٥) نار الحرب أنتم . تكادون ولا تكيدون
وتنقص أطرافكم فلا تمتعضون ، لا يُنام عنكم وأنتم في غفلةٍ ساهون . غلب
والله المتخاذلون . وأيم الله إنى لأظنَّ بكم أن لو حسَّ الوغى ^(٦) واستحَرَّ الموت
قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس ^(٧) . والله إن امرءاً يَمَكَّنْ عدوه من
نفسه ، يعرق لحمه ^(٨) ويهشم عظمه ، ويفرى جلده — لعظيم عجزه ، ضعيف
ما ضمتَّ عليه جوانح صدره ^(٩) . أنتَ فكن ذلك إن شئتَ ، فأما أنا فوالله دون
أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفية يطير منه فراش الهام ^(١٠) ، وتطيح السواعد
والأقدام ، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء . أيها الناس إن لي عليكم حقاً ، ولكم على
حق ، فأما حَقكم عليّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم ^(١١) عليكم ، وتعليمكم كي لا تجهلوا
وتأديبكم كما تعملوا ، وأما حقِّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد ،
والمغيب والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم .

- (١) يرتج عليكم : يغلق فلا تهتدون لفهمه . حوارى : محاورى .
(٢) مألوسة : مخلوطة . (٣) سيجيس الليالى : طول الليالى ، أى أبداً .
(٤) الزوافر : جمع زافرة : عشيرة الرجل أو ركن البناء .
(٥) السعرها : الوقود من سعر النار أو قدها .
(٦) حس الوغى : اشتدت الحرب . استحَرَّ : بلغ غاية شدته .
(٧) أى انفراجاً لا يلتئم . (٨) أى يأكل لحمه لا يبقى منه شيئاً على العظم : ويفرى : يمزق .
(٩) جوانح الصدر : ضلوعه ، والمراد القلب .
(١٠) المشرفية : السيوف تنسب إلى قرى تدنو من الريف مشارف الشام . الهام : الروس ،
جمع هامة . وقراشها : عظامها الرقيقة . (١١) الفئ : الخراج وما يجويه بيت المال .

(١) وكتب الى معاوية جوابا عن كتاب منه :

أَمَّا طَلْبُكَ إِلَى الشَّامِ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعَتْكَ أَمْسٍ . وَأَمَّا قَوْلُكَ
إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَّاشَاتٍ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ ، ^(٢) أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ
فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فِي النَّارِ . وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتُ
بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ
الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِيَّةٌ
كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَلَا أَبُو سَفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلَا الْمُهَاجِرُ
كَالطَّلِيْقِ ، ^(٤) وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ ، ^(٥) وَلَا الْمُحَقِّقُ كَالْمُبْطِلِ ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ ، ^(٦) وَلِبئْسَ
الْخَلْفَ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ . وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ
وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ . وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا أَسَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ
طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَكُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، ^(٧) عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ
بِسَبْقِهِمْ وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ ، فَلَا تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيْبًا
وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا .

(١) كتب معاوية الى علي يطلب منه أن يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم

الحروب ويخوفه ويذكر له أنهما من شجرة واحدة فأجابه على بهذا الكتاب .

(٢) حشاشات : جمع حشاشة ؛ بقية الروح .

(٣) حرب : جد معاوية ، وعبد المطلب : جد علي .

(٤) الطليق : من أسرف أطلق باليمن عليه أو الفدية . ومن ذلك معاوية وأبوه .

(٥) الصريح : صحيح النسب في ذوى الحسب . واللصيق : من ينتمى إليهم وهو أجنبي .

(٦) المدغل : المفسد .

(٧) أي رغبة في خير أو خوفا من شر ، أي غير مخلصين

(٧) خطبة معاوية حين قدم المدينة عام الجماعة (١)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فإنى والله ما وليتها بحجة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ، ولكن جالذتكم^(٣)
بسيفي هذا مجالدة^(٤) . ولقد رُضت لكم نفسى على عمل ابن أبي قحافة ، وأردتها على
عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على سنيات عثمان فأبث على .
فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه منفعة^(٥) ، مؤاكلة حسنة ومشاركة جميلة . فإن لم
تجدونى خيركم فإنى خير لكم ولاية . والله لا أحمل السيف على من لا سيف له .
وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر أذنى^(٦)
وتحت قدمى . وإن لم تجدونى أقوم بحقكم كله فاقبلوا منى بعضه . فإن أتاكم منى
خيرا فاقبلوه ، فإن السبل إذا جاء أثرى ، وإن قل أغنى^(٧) . وإياكم والفتنة فإنها تُفسد
المعيشة وتكدر النعمة .

(١) - هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموى القرشى ولد لإبان ظهور الاسلام وورث عن أهله
حصانة وحسن حيلة . كان يتطلع الى الملك فلما مات عثمان ، وكان هو على الشام نازع عليا الخلافة . وكانت
بينهما أحداث وقتن استعان معاوية فيها بدهائه حتى اذا قتل على وخلفه الحسن وشعب عليه جنده صالح الحسن
ابن على معاوية عام ٤١ هـ . وقد سمي عام الجماعة ، وبذلك قامت الدولة لأموية على يد معاوية وكان
معاوية بلينا وان كان لا يبلغ شأوا على ومات سنة ٦٠ هـ .

(٢) أى الخلافة .

(٣) جالذتكم : ضاربتكم .

(٤) ذلتها ومررتها .

(٥) هو أبو بكر أول الخلفاء .

(٦) دبر أذنى : خلفها ، أى أثره .

(٧) أثرى الناس : جعلهم أثريا . وأعناهم جعلهم مكثفين لا يحتاجون

(٨) خطبة زياد البتراء بالبصرة حين قدم واليا عليها^(١)

من قبل معاوية

أما بعد، فإن الجهالة^(٢) الجهلاء . والضلالة^(٣) العمياء ، والغى^(٤) الموفى بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حماؤكم، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب^(٥) الكريم لأهل طاعته، والعذاب العظيم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي^(٦) الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات^(٧)، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدت الذي لم تسبقوا إليه، من تركم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله . ما هذه المواخير المنصوبة^(٧)، والضعيفة المسلوقة في النهار المبصر، والعدد غير قليل؟ ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن

(١) ينتسب زياد ابن أبيه الى أبي سفيان . ولد في السنة الأولى للهجرة . وكان منذ صغره ذكيا هماما شديد الرأي ولى بعض الأعمال فكان مثال الصرامة واليكاسة . ثم استلحقه معاوية أخاله بعد مقتل علي . وبق من رجال الدولة المعدودين حتى مات سنة ٥٣ هـ . وتدل خطبة زياد على شخصية عنيفة في الدين والسياسة ، تعدد حلقة الاتصال بين عمر بن الخطاب والحجاج ويعتمد في تأثيره الخطابى على الارهاب والوعيد في أسلوب جزل . وقالوا : انما سميت خطبته هذه البتراء لعدم بدئها بحمد الله وقيل غير ذلك .

(٢) جهالة جهلاء : شديدة مثل ليلة ليلاء

(٣) الضلالة العمياء : التي لا هدى معها .

(٤) السفية : سيئ الخلق وضده الخليم .

(٥) السرمدي : الدائم .

(٦) كناية عن تمكن الشهوات من نفوسهم وانصرفهم الى متاع الدنيا .

(٧) المواخير : جمع ما خور : بيت الرية والفحش .

(١) دَجَّ الليلَ وغازةَ النهارِ، قزبتم القرابة، وواعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس، كل امرئ منكم يذنب عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عاقبة، ولا يرجو معاداً، ما أتم بالحماء، ولقد أتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم (٢) حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكائس الرب (٣) . حرامٌ على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً . إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما يصلح به أوله : لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف . وإني أقسم بالله لا أخذن الولي بالمولى (٤) ، والمقيم بالظانين، والمقبل بالمُدبر، والمطيع بالمعاصي، والصحيح بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : أئج سعدٌ فقد هلك سعيدٌ أو تستقيم (٥) قناتكم ! إن كذبة الأمير ببقاء مشهورة، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في (٦) ، وأعلموا أن عندي أمثالها . من نُقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب من ماله . فإياي ودج الليل، فإني لا أوتي بمُدليج إلا سفكتُ دمه، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم . وإياي ودعوى الجاهلية (٨) ؛ فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعْتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن؛

(١) دَجَّ الليل : السير فيه . والمراد التلصص والفتك .

(٢) قيامكم دونهم : دفاعكم عنهم .

(٣) الكنوس : جمع كانس، وهو الظبي يدخل في كئاسه أي مأواه . والمراد أنهم عكفوا على المعاصي .

(٤) الولي : السيد . والمولى : العبد . والمراد أنه يأخذ السيد بذنب عبده . وكذا الباقي .

(٥) مثل يضرب لتتابع الشر . وأصله أن أخوين خرجا في طلب إبل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد .

(٦) المراد حتى تستقيموا . وشبههم بالقناة وهي عود الرمح .

(٧) اغتمزوها في : عدوها من عيوب .

(٨) دعوى الجاهلية : كناية عن التناصر بتأثير العصبية سفها وجهالة، وأصلها بالفلان استغاثت .

وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبةً، فمن غرق قومًا أغرقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه،
ومن نقب بيتًا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرًا دفناه فيه حيًّا . فكفُّوا عنِّي أيديكم
وألسينكم أ كُفِّفَ عنكم يدي ولساني . ولا تظهر من أحدكم ريبةً بخلاف ما عليه
عامتكم إلا ضربت عنقه . وقد كانت بيني وبين أقوامٍ إحن^(١) ، فجعلتُ ذلك دبرًا أدني^(٢)
وتحت قدمي . فمن كان منكم محسنًا فليزدد إحسانًا ، ومن كان منكم مُسيئًا فليترع عن
إساءته . إني لو علمتُ أن أحدكم قد قتله السُّل من بغضي لم أكشف له فِئاعًا ، ولم أهتِك
له سِترًا حتى يُسدي لي صفحته^(٣) ، فإذا فعل ذلك لم أنظره . فاستأنفوا أموركم ،
وأعينوا على أنفسكم ، فربَّ مبيتيسٍ يقدمونا سيرورٍ وسرورٍ بقدمونا سبتتيس . أيها
الناس ! أنا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم زادة^(٤) : نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ،
ونذود عنكم بِنبيء الله الذي خولنا^(٥) ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا
العدل فيما ولىنا ، فاستوجبوا عدلنا وفيأنا بمناصحتكم لنا . واعلموا أني مهما قصرت
عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ؛ ولو أتاني طارقًا
بليل ، ولا حائسًا عطاءً ولا رزقًا عن إبانته ، ولا مجمرًا لكم بعثًا . فادعوا الله بالصلاح
لأئمتكم ؛ فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذي إليه تأوون ، ومتى يصلحوا

(١) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

(٢) أي خلفها : والمراد أني طرحت ذلك .

(٣) صفحة الرجل : عرض وجهه . والمراد حتى يجهر بالعداوة .

(٤) زادة : حماة ، جمع ذائد أي مدافع .

(٥) البنيء : مال الخراج أو الغنيمة و يطلق على الظل كناية عن الحمى .

(٦) إبان الشيء : أوانه .

(٧) تجبير الجند أو البعث حسبهم في أرض العدو .

تصلحوا . ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ، ويَطْوَئِلْ له حُرْمَتُكُمْ ،
ولا تُدْرِكُوا حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرًا لكم ^(١) . أسأل الله أن
يعين كلاً على كل . وإذا رأيتموني أفيدُ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله ^(٢) . وأيم الله إن
لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعى .

(٩) خطبة عبد الله بن الزبير بعد أن قتل أخوه مصعب ^(٣)

الحمد لله الذي له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة يعزُّ من يشاء ويذلُّ من
يشاء . ألا إنه لم يذلَّ والله من كان الحقَّ معه ، وإن كان مفرداً ضعيفاً ، ولم يعزِّ
من كان الباطلُ معه ، وإن كان في العُدَّة والعَدَد والكثرة . إنه قد أتانا خبرٌ من العراق
ببلد الغدير والشقاق ، فساءنا وسرنا : أتانا أن مصعباً قُتِل ، ورحمة الله عليه ومغفرته ،
فاما الذي أحرزنا من ذلك فإن لفراق الحميم لُدَّةٌ يجدها حيمه عند المصيبة ،
ثم يرعوى ^(٤) بعد ذو الرأي والدين الى جميل الصبر ، وأما الذي سرنا منه فإننا قد علمنا
أن قتله شهادة له وأنه عز وجل جاعلٌ ذلك لنا وله ذخيرة إن شاء الله تعالى . إن أهل

(١) أى لو دعوتهم عليهم فهلكوا لا تجدون عوضاً عنهم .

(٢) أى على طرفه ووجوهه .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر وأبا حبيب . ولد بعد الهجرة بقليل ، وكان شجاعاً باسلاً
خرج على بنى أمية وطلب لنفسه الخلافة . واستمر تسع سنين استولى فيها على الحجاز والعراق واليمن ومصر
واستمر يناجز جيوش الدولة حتى أرسل اليه عبد الملك بن مروان الحجاج فحاصره بمكة مدة حتى قتل ابن
الزبير سنة ٧٤ هـ . وكان مصعب أخوه وابياً على العراق من قبله حتى دهمته جيوش عبد الملك وقتلته نحو

السنة الثانية والسبعين للهجرة .

(٤) يرعوى : يرجع .

العِراقِ أسلموه ، وباعوه بأقل ثمن . لقد قُتِلَ أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيار
الصالحين . إنا والله ما نموت حتف أنوفنا^(١) ، ما نموت إلا قتلا ، قعصا بالرماح وتحت^(٢)
طلال السيف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِلَ منهم رجل في جاهلية
ولا إسلام قط . وإنما الدنيا عارية^(٣) من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ،
ولا يبدد ملكه ، فإن تُقبِلَ الدنيا على لا أخذها أخذ الأشر البيطر^(٤) ، وإن تُدبر عنى
لا أبك عليها بكاء الحريف المهين^(٥) .

(١٠) خطبة لقطري بن الفجاءة^(٦)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حفت بالشهوات ، وراقت بالقليل^(٧)
وتحبيبت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزيتت بالغرور . لا تدوم حبرتها^(٨) ، ولا تؤمن
بفتحها ، غرارة ضرارة ، خوانة غدارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، أكالة غوالة^(٩) .

(١) مات حتف أنفه : على فراشه .

(٢) قعصه بالرمح : قتله في مكانه .

(٣) أى شئ . مستعار .

(٤) بيطر بالنعمة : طغى بها . والأشر : المرح .

(٥) الحرف : فاسد العقل . والمهين : الذليل الوضع .

(٦) قطري بن الفجاءة المازني خطيب شاعر من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغاتهم . خرج زمن

بنى أمية ، ودعا لنفسه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٥٧٩ هـ . وقد ترجمنا له في قسم
شعراء السياسة .

(٧) راقت العين بقله متاعها ، وتحبيبت الى النفوس بكونها عاجلة ليست آجلة كالآخري .

(٨) حبرتها : نعمتها . (٩) حائلة : متغيرة .

لا تَعُدُّوْا إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلَى أَمْنِيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ
(١) تَعَالَى ﴿ كَيْفَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ
(٢) وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ مع أَنَّ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا
(٣) عِبْرَةٌ؛ وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِمِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِمِهَا ظَهْرًا، وَلَمْ تَطَّلُهُ فِيهَا غَيْثَةٌ رِخَاءً
إِلَّا هَطَّتْ عَلَيْهِ مِرْنَةٌ بِلَاءً. (٥) وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَّصِرَةٌ أَنْ تُسَيَّرَ لَهُ خَاذِلَةٌ
مُنْتَكِرَةٌ، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا أَعْدُوذٌ وَأَحْلَوَى. (٦) أَمْرٌ عَلَيْهِ جَانِبٌ وَأَوْبَا. (٧) وَإِنْ آتَتْ
أَمْرًا مِنْ غَضَارَتِهَا وَرَفَاقَتِهَا نِعْمًا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا نِقْمًا. وَلَمْ يُمَسَّ أَمْرٌ مِنْهَا فِي جَنَاحٍ
أَمِنْ إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ. (٩) غَرَارَةٌ، غُرُورٌ مَا فِيهَا؛ فَإِنْ مَا عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ
فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مِنْ أَقَلِّ مِنْهَا اسْتَكْرَمٌ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَمِنْ اسْتَكْرَمٍ مِنْهَا
اسْتَكْرَمٌ مِمَّا يُؤْبِقُهُ وَيُطِيلُ حُرْنَهُ، وَيَسْكِي عَيْنِيهِ. كَمِ وَائِقٍ بِهَا قَدْ جَعَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ
إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي احْتِيَالٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ، وَكَمِ مِنْ ذِي أَبْهَةٍ بِهَا، قَدْ صَبَّرَتْهُ حَقِيرًا
وَذِي تَحْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا.

(١) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانهم فلا تجاوز رصف الله تعالى لها بهذه الآية .

(٢) الهشيم : الثبت اليابس المكسر .

(٣) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض أى أحرزته .

(٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والإدبار .

(٥) طلت السماء : أمطرت . والطل : المطر الضعيف . والمزنة : السحابة المظرة .

(٦) أى عذب . (٧) أوبا : أصله أوبا أى صار ذا وبا .

(٨) ارتضارة : النعمة والسعة والخصب .

(٩) القوادم : الريش الكبير فى مقدم الجناح ، ويقابلها الخواقي .

(١٠) يوبقه : يهلكه .

(١١) خطبة للحجاج حين ولي العراق

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني (٢)

يا أهل الكوفة! إني لأرى رؤوسا قد أينمت^(٣) وحان قطافها، وإني لصاحبها.
وكأني أنظر إلى الدماء بين العائم واللحم .

ثم قال :

هذا أوان الشد فاشتدى زيم^(٤) قد لفها الليل بسواق حطم^(٥)
ليس براعي إبل ولا غنم^(٦) ولا يجزار على ظهر وضم^(٥)

ثم قال :

قد لفها الليل بعصلي^(٦) أروع خراج من الدوى^(٦)

مهاجر ليس بأعرابي

(١) يعد الحجاج بن يوسف الثقفي ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا في عهدنا الأول، أولهم علي بن أبي طالب، وثانيهم زياد . وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفا . وحكما مستبدا . خدم بني أمية ولا سيما عبد الملك في توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥ هـ . وتدل خطبته على خواصه النفسية ومذهبه في السياسة والحكم، وأسلوبه الفني الذي يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظي وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد كما يمتاز بنفس جاهلية عنيفة .

(٢) ابن جلا : أي ابن رجل جلا الأمر وكشف الصعاب . الثنايا جمع ثنية : وهي الطريق في الجبل أو الجبل نفسه ، والمراد : القادر الشجاع .

(٣) أينمت : أدركت ونضجت .

(٤) زيم : اسم فرس أو ناقة . ولفها : جمعها . والحطم الذي لا يبقى من السير شيئا .

(٥) الوضم : ما يقطع عليه اللحم .

(٦) العصلي : الشديد . والأروع : الذكي . والدوى : الصحراء المتسعة . والمراد الخراج من

كل غنم شديدة .

وقال :

قد شمرت عن ساقها فشردوا وجدت الحربُ بكم فشدوا (١)
والقوسُ فيها وترٌ عرُدٌ مثلُ ذراعِ البكرِ أو أشدُّ (٢)
لا بدُّ مما ليس منه بدُّ (٣)

إني والله يا أهل العراق ما يقع لي بالشنان (٤) ، ولا يغمزُ جانبي كتغمازِ الثين .
ولقد فُيرتُ عن ذكاء (٥) ، وفنشتُ عن تجربة . وإن أمير المؤمنين — أطال الله
بقائه — نثرَ كنانته بين يديه (٦) ، فعجمَ عيدانها ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً (٧) ،
فرماكم بي ، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة (٨) ، واضطجعتم في مراقيد الضلال . والله
لا حزمَ منكم حزم السلامة (٩) ، ولا ضربَ بكم ضرب غرائب الإبل (١٠) ، فإنكم لكأهل قرية كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس

(١) شمر عن ساقه : اهتم وجد ؛ كناية عن قيامها .

(٢) عرُد : شديد . البكر : الفتى من الإبل .

(٣) أي لا بد من وقوع الحتم .

(٤) الشنان جمع شن : وهو الجلد اليابس إذا تقعق أي ضرب تقرت الإبل منه ، يضرب ذلك مثلاً
لنفسه أي أنه لا يرهبه وعيد أو تحوير .

(٥) فزال دابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها . وقُر عن الأمر : بحث عنه . والمراد أن الخليفة
اختاره حاكماً لحدة ذكائه وصحة تجاربه .

(٦) الكنانة : جعبة السهام . وعجم عيدانها : عضها لينظر أيها أصلب . وهذا وما بعده كناية عن أنه
اختبر أعوانه فوجدني أصلح لحكمكم . (٧) أي أقواها .

(٨) أي أسرعتم في الشر .

(٩) السلامة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتخبط بالعصى لسقوط الورق وهشم العيدان .

(١٠) وهي تضرب عند الهرب أو الخوض .

الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . وإني والله ما أقول إلا وقيتُ ، ولا أهُمُّ إلا
أمضيتُ ، ولا أخلقُ إلا فريتُ ^(١) . وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطيائكم ،
وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة ^(٢) . وإني أقسم بالله لا أجدُ
رجلاً تحلّف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربتُ عنقه .

(١٢) من رسالة عبد الحميد بن يحيى ^(٤) التي أوصى فيها الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد — حَفِظْكُمْ اللَّهُ يَا هَلْ صِنَاعَةَ الْكُتَابِ وَحَاطَكُمْ وَوَفَّقَكُمْ وَأَرْشِدَكُمْ — فَإِنَّ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ،
وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمَكْرَمِينَ أَصْنَافًا ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سُوءًا ، وَصَرَّفَهُمْ فِي صُنُوفِ
الصِّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْمَحَاوَلَاتِ ، إِلَى أَسْبَابِ مَعَايِشِهِمْ ، وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ ، بِفِعْلِكُمْ
مَعَشَرَ الْكُتَّابِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمُرُوءَاتِ وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ ، بِكُمْ تَنْظِمُ
لِلْخَلِيفَةِ مَحَاسِنَهَا ، وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا ، وَبِنَصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللَّهُ لِلخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ ، وَتَعْمُرُ

(٢) فريت : قطعت .

(١) أقدر .

(٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد أموى ولد بالبصرة ونشأ فيها وظهر

أمره بمقاتلة الخوارج . وقد ولاه الحجاج خراسان وبهات سنة ٨٢ هـ .

(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري نشأ بالأنبار من أرض العراق وشيخ معلم صبيان ثم صحب

مروان بن محمد مدة ولايته أرمينية ثم مدة خلافته واستمر وفياله في محنته حتى قتل سنة ١٣٢ هـ . وبعث

عبد الحميد شيخ كتاب الرسائل فله الفضل في تسليس أسلوها وحسن تقسيمها ، وجعلها واضحة طبيعية لا يجاريه

في ذلك أحد وله رسائل طوال ، منها رسالته إلى الكتاب التي نورد هنا قسما منها .

بُلْدَانِهِمْ . لَا يَسْتَفِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ؛ فَمَوْعِدُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْعِدٌ
أَسْمَاعِهِمْ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمْ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَأَلْسِنَتِهِمْ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ ،
وَأَيْدِيهِمْ الَّتِي بِهَا يُيَطِّشُونَ ^(١) . فَأَمَّا تَعَمُّكُمْ اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا تَزَع
عَنْكُمْ ، مَا أَضْفَاهُ ^(٢) مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ . وَليْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجَ
إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَافِ الْخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ ، أَيْهَا
الْكَاتِبُ : إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ
فِي نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَثِقُ بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ
الْحِلْمِ ، فَهَيِّأْ فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، مِقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ ، مِحْجَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ ،
مُؤَثِّرًا لِلْعَقَائِفِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِمًا بِمَا
يَأْتِي مِنَ النَّوَازِلِ ، يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا وَالطَّوَارِقَ فِي أَمَا كِنِهَا ، قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ
فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ ، وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْهُ أَخَذَ مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يُكْتَفَى بِهِ ، يَعْرِفُ
بَغْرِيْزَةَ عَقْلِهِ وَحُسْنَ أَدَبِهِ وَفَضْلَ تَجْرِبَتِهِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ قَبْلَ وُرُودِهِ ، وَعَاقِبَةَ مَا يَصْدُرُ
عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ؛ فَيَعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عُدَّتَهُ وَعَتَادَتَهُ ، وَيَهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ وَعَادَتَهُ .
فَتَنَاقَسُوا يَا مَعْشَرَ الْكَاتِبِ فِي صُنُوفِ الْآدَابِ ، وَتَهَمَّوْا فِي الدِّينِ وَابْدَعُوا بِعِلْمِ كِتَابِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ، ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَإِنَّهَا نِقَافُ أَلْسِنَتِكُمْ ، ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ
حَلِيَّةُ كُتُبِكُمْ ، وَارْوُوا الْأَشْعَارَ ، وَاعْرِفُوا غَيْرِهَا وَمَعَانِيهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا
وَسَيْرَهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمْمِكُمْ . وَلَا تُضَيِّعُوا النَّظَرَ

(١) ييطش : يفتك ويعمل .

(٢) أضفاه : أسبغه .

فِي الْحِسَابِ ؛ فَإِنَّهُ قِيَامُ كِتَابِ الْحَرَجِ . وَارْتَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيهَا وَدَنِيهَا
وَسَفْسَافِ الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا ؛ فَإِنَّهَا مَدَلَّةٌ لِلرَّقَابِ مَفْسَدَةٌ لِلْكَتَابِ . وَزَهْوًا صِنَاعَتِكُمْ
عَنِ الدَّنَاءَةِ وَارْتَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنِّيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ . وَإِيَّاكُمْ
وَالكِبْرَ وَالسُّخْفَ وَالْعِظْمَةَ ؛ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْتِنَاءٍ . وَتَحَابُّوْا فِي اللَّهِ عَنِ
وَجَلِ فِي صِنَاعَتِكُمْ وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنَّبِيلِ مِنْ
سَلْفِكُمْ .

(د) طائفة من أمثال العرب ^(١)

في جاهليتها وإسلامها

إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصْبَةِ ^(٢) — إِنَّ الْعَوَانَ لَا تَعْلَمُ الْخَمْرَةَ ^(٣) — إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الْحَزَّ
وَتُحْطِئُ الْمَفْصِلَ ^(٤) — أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ ^(٥) — إِنَّكَ رِيَّانٌ فَلَا تَعَجَّلْ بِشُرْبِكَ ^(٦)
أَرْمًا قَرُونًا ^(٧) — أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ ^(٨) — الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْبَاطِلُ بَلَّحَجٌ ^(٩) —

(١) الأمثال : جمع مثل وهو قول مأثور يمتاز بحسن التعبير وإصابة المعنى وإتقان التشبيه وحسن الإيجاز . وللائل مورد أى أصل قيل فيه ، ومضرب ، أى موضع استعمال ، فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى .

(٢) يضرب للشئ يشبه أصله .

(٣) العوان : التى سبق لها زوج ، والخمرة كيفية لبس الخمار (الطرحة) . يضرب للرجل العالم بالأمر المحرب له .

(٤) يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . الحز : القطع ، والمفصل : ملتقى كل عظمين فى الجسد حيث يكون القطع .

(٥) يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

(٦) يضرب لمن أشرف على إدراك بنيه فيؤمر بالرفق .

(٧) البرم : الرجل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لخبذه . والقرون : الذى يقرب بين الشيتين يأخذهما معا . يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

(٨) الحشف : أردأ التمر : والكيلة : طريقة الكيل . مضربه لمن يظلم من وجهين .

(٩) معناه أن الحق واضح بين ليس فيه حيرة .

أَمْكْرًا وَأَنْتَ فِي الْحَدِيدِ (١) — إِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى (٢) —
إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ (٣) — أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءِ أُكَيْسٍ (٤) — إِنْ غَدَا
لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ (٥) — إِنْ أَخَاكَ مَنْ آسَاكَ (٦) — يَدَاكَ أَوْ كَمَا وَفُوكَ نَفَخَ (٧)
يَصْبِحُ ظَمَانٌ وَفِي الْبَحْرِ فَمُهُ (٨) .

بَلَغَ السَّيْلُ الزَّبِيَّ (٩) — بَيْنَهُمْ عَطْرٌ مَنْشِمٌ (١٠) ، تَجْوَعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَدِيدِيهَا (١١) — تَعْبِيرٌ
عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَاتَهُ (١٢) — تَرَى الْفَتْيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ (١٣) — ثَارَ حَابِلُهُمْ عَلَى

-
- (١) يضرب لمن أراد المكر وهو مقهور .
 - (٢) المنبت : المنقطع عن أصحابه في السفر بسبب جهاده دابته ، الظهر : الدابة . يضرب لمن يبالغ في طاب الشيء بافراط حتى يعجز عنه قيضه .
 - (٣) يضرب للكفاة تجلب الشر .
 - (٤) يضرب في عدم التفريط فيما تملك اتكالا على الموهوم .
 - (٥) يضرب في قرب المأمول .
 - (٦) يضرب للصديق المخلص .
 - (٧) أراد رجل عبور النهر على زق فنفخ فيه فلم يحكمه ، فلما توسط النهر نوح منه الهواء ففرق ، فاستغاث برجل ؛ فقال له هذا المثل ، يضرب لمن يجنى على نفسه الحين .
 - (٨) يضرب لمن يعاشر بخيلا مريا .
 - (٩) الزبي : جمع زبية ، وهي مصيدة الأسد تكون في قلال الجبال اذا بلغها السيل كان مجحفا — يضرب لبلوغ الأمر أشده .
 - (١٠) يضرب في الشر العظيم ، ومنشم : عطاره كانت تطيب الحار بين من طيبها فيفنون في الحرب . فكان يقال أشام من عطر منشم .
 - (١١) أى لا تكون ظنرا ، وان آذاها الجوع : يضرب لمن يصف نفسه عن خسيس المكاسب .
 - (١٢) أى منظره يخبر عن مخبره (حقيقته) .
 - (١٣) يضرب لروعة المظهر مع سوء المخبر .

(١) نَابِلِهِمْ — جَمْعَةُ وَلَا أَرَى طِحْنًا — جَرَى الْمَذِيكَاتِ غِلَابٌ — جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ — (٤)
 حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ — حَدَوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ — حَرَّكَ لَهَا حِوَارَهَا تَحْنٌ — صَارَ الزَّجُّ قَدَامَ (٧)
 السَّنَانِ — عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى — عِنْدَ النَّطَاجِ يُغَلِّبُ الْكَبِشَ الْأَجْمَ — (٨)
 عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبْرِ الْيَقِينِ — فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكْمَ — قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمَلَأُ الْكَاثِنُ — كَانَ (١٠)
 كِرَاعًا فَصَارَ ذِرَاعًا — كَلَامٌ كَالْعَسَلِ وَفِعْلٌ كَالْأَسَلِ — كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا — (١١)
 كُلُّ فِتَاةٍ بِأَيْبَاهَا مَعْجِبَةٌ . (١٧)

- (١) الخابل : صاحب الخيالة . والنابل : صاحب النبل ، أى اختلط أمرهم . يضرب فى فساد ذات العين وتآريث الشر فى القوم .
- (٢) يضرب لمن يمد ولا يفي ، أو للظهور الخلاب ليس وراءه نفع . والجمعة : صوت الطحن .
- (٣) المذكية من الخيل : التى مضت ستة أو سنان على قروحها . والغلاب : المتغلبة . يضرب لمن يفوز على أقرانه فى الفضل .
- (٤) مثل يضرب فى اللثام وكيف بما ملون .
- (٥) معناه : أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشره ، صرف ما فيه .
- (٦) أى مثلاً بمثل ، يضرب فى التسوية بين الشئتين .
- (٧) الحوار : ولد الناقة . والمعنى ذكره بعض أشجاناه يهيج له . قاله عمسرون العاص لمعاوية حين أراد أن يستفز أهل الشام ، أى أرهم دم عثمان على قيضه ليفزعوا إلى الحرب .
- (٨) الزج : الحديد فى أسفل الرمح ، ويقال له السنان . يضرب فى سبق المتأخر المتقدم من غير أهلية لذلك .
- (٩) يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة . والسرى : السريلاً .
- (١٠) الأجم : الذى لاقرن له . يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .
- (١١) يضرب للرجل يعرف الشئ على حقيقته .
- (١٢) يضرب للرجل تذهب إليه لحاجتك .
- (١٣) أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه : والكاثن : جمع كثانة : خريطة السهام .
- (١٤) يضرب للدليل الضعيف صار عزيزاً قوياً . والكراع : مستدق الساق .
- (١٥) يضرب فى اختلاف القول والعمل . والأسل : الرماح .
- (١٦) الفرا : الحمار الوحش . يضرب لمن يفضل أقرانه .
- (١٧) يضرب فى إعجاب الرجل بما يخصه من عمل أو عشيرة .

أبيات تجرى مجرى الأمثال

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب (١)

*
* *

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل (٢)

*
* *

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب (٣)

*
* *

حنانيك بعض الشر أهون من بعض (٤)

*
* *

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ أصبت حكماً أو أصابك جاهل (٥)

(١) المغلب : الضعيف الذي يغلب دائماً ، فإذا قدر عليك لا يتركك (لاعزى القيس) .

(٢) الخطي : الرخ نسبة إلى الخط في البحرين . الوشيج : شجر الراح ، المفرد وشيعة أي لا ينبت الفسنة إلا شجرها ولا تغرس النخل إلا بحيث تنبت وتصلح ، والمراد أنه لا يلد الكرام إلا الكرام (لزهير) .

(٣) تلمه : تصلحه . والشعث : الفساد ، والمهذب : المنقى من العيوب . (المعنى) ليس رجل مبرء من العيب ، فإذا قطعت لإخوانك بذنب لم يبق لك أخ (للابنفة الديباني) .

(٤) لطرفة ، وصدرة : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا . الحنان : الرحمة ، والثنية هنا لقصد الدوام مثل ليك وسعديك أي رحمة بعد رحمة . والأكثر أضافتها إلى ضمير المخاطب .

(٥) الجهل : السفه والشراسة ، والحنأ : الفحش ، ومعنى الشطر الآخر أنك تؤذي كريماً أو يؤذيك جاهل مثلك ، وكلاهما شر .

تم طبع هذا الكتاب في يوم ٢١ من شعبان
سنة ١٣٦٣ (١٠ من أغسطس سنة ١٩٤٤) م
مدير المطبعة الأميرية

محمد كبرى